

al-Saffārīnī

Nafathāt sadr al-mulk mad

نفثات صدر الملك ، ورقة عين المسعد

لشرح

ثلاثيات سند الإمام أحمد

تأليف

العلامة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي

الطبعة الأولى

١٣٨٠

الجزء الأول

مقروءات

المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر

بدمشق

مقدمة الناشر

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد ، فهذا كتاب جليل شرح فيه العلامة شمس الدين السفاريني
ثلاثيات مسند إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه ،
وهي الأحاديث التي قرب سندها بين الإمام وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،
وقد أخرج هذه الأحاديث من المسند الإمامان الجليلان : محب الدين وضياء الدين
المقدسيمان رحمهما الله .

وقد رأيت هذا الكتاب عند الاستاذ الجليل فخر الدين الحسيني حفيد
المحدث الاسلامي الكبير الشيخ بدر الدين الحسيني رحمه الله . . . وكنت في زيارته
وتذاكرنا ما ينشر المكتب الاسلامي من المخطوطات فأطلعني عليه ثم دفع المخطوطة
إليّ لطبعها - إن تيسر - رغبة خالصة منه في خدمة العلم ونشره .

والحق أن « شرح ثلاثيات الإمام أحمد » ، كتاب جليل كما قدمت ،
فالمؤلف يترجم فيه للرواة ، ويشرح فيه ما يحتاج الى شرح من الألفاظ ، ويبين
ما يستنبط من الأحكام ، وما يتعلم من الآداب ، مورداً ما يتعلق
بالموضوع من الأحاديث ، معدداً آراء الأئمة والعلماء ، مستشهداً بأقوالهم ،
بحيث يخرج القارئ منه بالفوائد الكثيرة ، وبالمنفعة الأدبية أيضاً . . .

- ج -

2270

52

895

وقد عرضت هذا الكتاب على أستاذنا الجليل العلامة الشيخ محمد بن مانع فأعجب به وسر غاية السرور وتحدث الى صاحب السمو الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني في المشاركة في طبعه فبادر الرجل الكبير - حفظه الله - بما عرف عنه من علم وفضل وغيره على تراثنا القيم ، فاشترك بعدد من النسخ . . كما اهتم بهذا الكتاب أيضاً رجل العلم والفضل في شرقي الجزيرة الاخ في الله قاسم بن درويش فخره فاشترك بعدد آخر . . مما شجعنا على المباشرة بالطبع .

وصف المخطوط :

هي نسخة المؤلف وهي غير مؤرخة ، وخطها موافق لما نعرفه من خطه وبمض الاستدراكات ختمت بكلمة : المؤلف .

وفي آخرها تقرير بقلم محمد بن محمد المغربي التافلافي^(١) كتبه في حياة المؤلف سنة ١١٧٢ هـ واثني فيه عليه .

وتقع في (٨٤٠) صفحة من القطع الكبير (٢٣ x ١٦,٥) سم في كل صفحة (٢٩ ٣٠) سطراً وفي كل سطر خمس عشرة كلمة تقريباً ، وورقها متين ، وأخطاؤها قليلة ، وعليها تعليقات بسيطة بخط يخالف خط الأصل . وقد اختلف اسم الكتاب في المقدمة عن عنوانه في الصفحة الاولى ، فجاء في العنوان (قرّة عين المسمد) وفي مكان آخر (قوة عين الأرمد) وفي مكان (قرّة عين الأرمد) فأثبتنا كلاهما في موضعه اتباعاً للأصل .

عملنا في هذا الكتاب :

وقد بذلنا جهدنا في قراءة الكتاب وترقيمه وإصلاح ما وقع من المؤلف من سبق قلم ، ورجعنا كثيراً في ضبط نصوص الاحاديث الواردة فيه إلى كتب السنة المختلفة ..

(١) مفتي الحنفية في القدس وكانت وفاته سنة ١١٩١ هـ وكان عالماً كثير التأليف .

والقاعدة التي سار عليها المؤلف في هذا الكتاب هي أن يدرج شروحه بين
الفاظ الحديث ميمراً لما كان من نص الحديث بأن كتبه بالمداد الأحمر، فاستمعنا عن
ذلك في الطباعة بوضعه بين قوسين . وزدنا على ذلك أن أثبتنا لفظ الحديث
بتامه بحروف كبيرة قبل الشرح ، ليتيسر للقارئ أن يحيط به دون أن يكلفه
ذلك تتبعه لفظاً فلفظاً في ثنايا الشرح .

وإنا لنقدمه الآن الى المسلمين في طبعته الأولى راجين أن يكون لهم فيه
الفائدة كل الفائدة بالتأسي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتباع نهجه القويم..
وشكر الله لصاحب السمو والعلامة ابن مانع وللشيخ قاسم الدرويش
والاستاذ نحر الدين الحسيني والاساتذة الفضلاء الذين ساعدوا في تصحيح الكتاب
ما قدموه من جهد أو عون في خدمة السنة وإشاعة العلم ، وجعل عملنا خالصاً
لوجهه الكريم .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

ابوبكر

٢٠٠٠

دمشق ١٢ شعبان ١٣٨٠

My dear Mr. [illegible]
I have just received your letter of the 14th inst.
and am glad to hear that you are well.
I am also well and hope this letter finds you
the same.

I have not much news to write at present.
The weather here is very warm and the crops
are doing well. I have not much time to write
at present as I am very busy.

I am, dear Mr. [illegible], very respectfully,
Your obedient servant,
[illegible]

ترجمة المؤلف

هو أبو العون^(١) شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم السفاريني
مولده وحياته

ولد في قرية سفارين من قرى نابلس سنة ١١١٤ هجرية ونشأ بها ؛ ثم رحل
الى دمشق حيث أخذ عن علماء الحديث فيها وتفقه على حنا بلتها ، فبلغ الغاية
ثم رجع الى فلسطين حيث استوطن نابلس . فدرس وأفتى وأفاد بعلومه الناس .
منزلته وخلقه

قال عنه المرداوي : كان غرة عصره ، وشامة مصره ، لم يظهر في بلاده
بعده مثله ، وكان يدعى للعلماء ، ويقصد للعلماء ، ذا رأي صائب ، وفهم نقيب ،
جسوراً على ردع الظالمين ، وزجر المفتريين ، إذا رأى منكراً أخذته رعدة ،
وعلا صوته من شدة الحدة ، وإذا سكن غيظه ، وبرد قيظه ، يقطر رقة ولطافة
وحلاوة ، وله الباع الطويل في علم التاريخ ، وله شعر لطيف .
مؤلفاته

ومن مؤلفاته : شرح « منظومة الآداب » ، و « شرح منظومته في عقيدة
السلف » ، و « الدرر المصنوعات في الأحاديث الموضوعات » ، و « شرح عمدة
الأحكام » ،^(٢) وغير ذلك من المؤلفات النافعة .

(١) كل من ترجمه كناه « أبا العون » إلا أن معاصره مفتي القدس كناه في تعريفه
لكتابه في آخر النسخة التي جرى طبع الكتاب عنها « أبا عبد الله » .
(٢) نرجو أن نطبع هذا الكتاب للمرة الأولى قريباً إن شاء الله .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِة ثَقِي وَعَلِيه توكلي

الحمد لله الذي شرح صدور أهل الحديث لحفظه ، وجمعهم أوعية لادراك دقائق معانيه وتحديد حقائق لفظه ، فهم مصابيح الهدى ، وقدوة لمن اقتدى ، فمن يهديهم اهتدي فقد أخذ بحظه ، فسبحان من ذلل لهم سبل الحفظ والفهم ، وسهل عليهم استنباط الفقه والعلم ، ولم يصعب عليهم بغنظه (١) وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله . فمن زعم شيئاً من ذلك آب بهظه (٢) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وحيبيه وخليله الذي شج رأس الشرك وقمعه بدلظه (٣) ، نبي أرسله الله على حين فترة من الرسل ، وقد طبق الشرك السيل ، وأظلمت الأرض بكظله ومظه (٤) ، فعلم من الجهالة وهدى من الضلالة ، وبذل المجهود في تجريد توحيد المعبود ، بحاله وقاله وردعه ووعظه ، فتبسم الدين بعد عبوسه ، وتلاّأ بعد طموسه ، وظهر بعد دروسه ، ورقص بعد حزنه بقظه وبظه (٥) صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاماً دائماً ما نafs حافظ بحفظه ، وعلى آله وأصحابه وأصهاره وأحبابه وأنصاره وأحزابه الذين انكش بهم الشرك بعكظه (٦) ، وانتشر التوحيد وابتهج بهم بعد اندراسه ولظه (٧) ، واكتيجل بهم جفن الدين بعد عموشه وجحظه .

(١) الغنظ : الكرب والهم اللازم . (٢) بهظه الأمر : غلبه .

(٣) الذاظ : الضرب والدفع في الصدر .

(٤) الكظ : الكرب والجهد . والمظ والمظاظة : شدة الخلق وفضاظته .

(٥) القظ : القطع . والبظ : يقال : بظ المعني : حرك أوتاره .

(٦) العكظ : الحبس والقهر . (٧) اللظ : الطرد .

أما بعد فإن أولى ما يصرف في تحصيله الزمان ، وأجدر ما يداب في إدراك تأويله العاقل في كل عصر وآن ، وأحرى ما ينافس في نيله ذو اللب والجنان ، وأحق ما ينفق فيه العمر عند ذوي العرفان ، العلم النافع والعمل الصالح ؛ إذ بها فوز كل فائز وإفلاح كل فالح ، ولا شك أن العمل ثمرة العلم ، كما أن التصوير ثمرة الفهم ، فرجعت السعادة والسيادة الى تحصيل العلوم التي هي من مشكاة الرسالة مستفادة .

وقد مكثت برهة من الدهر وحيناً طويلاً انقضى فيه معظم العمر وأنا أم وأعزم وأتردد وأحزم وأقدم رجلاً وأؤخر أخرى لعدم علمي بالأحق والأحرى وذلك الهم والترديد والجمع والتفنيد لأشرح ثلاثيات « المسند » الواقعة فيه لحضرة سيدنا وإمامنا الإمام أحمد رضوان الله عليه . فمضى على ذلك الحقب وصنفت في زمن ترديدي عدة من الكتب . وأنا متردد بين الاقدام والاحجام لقصور شأوي عن إدراك مثل هذا المقام ، ثم إني قلت : قصارى أمري أن أعلق فوائد من الكتب المتداولة ، وليس لي من ذلك إلا أجر المناولة ، فاستخرت الله وعزمت على شرحها ، ووقفت على أبواب كرمه تعالى ، فمن سبحانه بفتحها ، هذا مع فقدي جل المواد وتمنذر وجود الخلل المواد ، واشتغال البال بالبلا بل والهموم وتشويش الخاطر بالقل والغموم ، كيف لا ، والوقت قد اكفر وجهه بالوقت ، واشمخر أنفه بالجبه والبهت ، ولم يبق من آثار هذا البيان إلا حكايات تزين بها الطروس ككان وكان ، والعلم قد أفلت شمسوه وتقوضت محافله ودروسه ، وربعه المأهول أمسى خالياً ، وواديه المأنوس أضجى موحشاً داوياً ، وغصنه الرطيب غدا ذاوياً ، وبرده القشيب صار بالياً ، فالعالم الآن قلت مضاربه ، وضافت مطالبه ، وعالت معاطيه وسددت مذاهبه ، فليس له في هذا الزمان ومنذ أزمان إلا الاتجاء الى عالم السر والاعلان ، فهو الذي يعطي ويمنع ويخفض ويرفع ، ويرزق الجنين في ظلمة الحشا سبجانه وتعالى يفعل ما يشاء .

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون
جنون أن تسمى لرزق ويرزق في غشاوته الجنين

فلا جرم ذهبت الراحة والسرور والبهجة والحبور ، مع الرعيل الأول
والسرب الذي عليه المعول ، ولم يبق لأبناء هذا العصر إلا الشدة والخصر ،
والندم والتأسف والتأوه والتلهف ، والاشتغال بالقييل والقال ، وإضاعة العمر في
اللهو والحال ، وإذا كان الزمان قد فسدت ملوكه وتهتك صلوكه ، وضل عالمه
وجار حاكمه ، وبخل مياسيره وانكش مشاهيره ، ولم يبق من الكرم إلا اسمه
ومن العلم إلا رسمه ، ومن العدل إلا ذكره ، ومن البذل إلا حكره ، ومن
المساواة إلا حكاياتها ، ومن المؤاخاة إلا نكاتها ، وكلج في وجوه أهل العلم وعبس
وأعرض عن إنصافهم ونكس ، ومال لأهل المال ، وذهب مع أهل الذهب والحال
فلا لوم على العالم إن خمدت ناره ، وانطمست آثاره ، وخفيت شارته ، وبردت
شرارته ، وصار بعد أن كان متبوعاً تابعاً ، وصار حلس بيته واقعاً ، وذوي غصن
عزمه بعد أن كان يانعاً ، وفل فرند حزمه بعد كونه قاطعاً . ولكن لا بد في كل
عصر ومصر الدين من حملة ، وللعلم من نقلة ، لقوله ﷺ : « لا يزال طائفة من
أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك »
متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه . ويبدل عليه ما رواه
الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وحسنه أن رسول الله ﷺ قال :
« مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أو آخره » قال الامام الحق ابن القيم في
كتابه « مفتاح السعادة » : فلو لم يكن في أواخر الأمة قائم بحجج الله مجتهد ، لم
يكونوا موصوفين بهذه الخيرية . قال : وأيضاً فإن هذه الأمة أكمل الأمم وخير أمة
أخرجت للناس ، ونبيها خاتم النبيين لا نبي بعده ، فجعل الله العلماء فيها كلماً
مات عالم خلفه عالم ، لئلا تطمس معالم الدين وتحفى أعلامه ، وكان بنو إسرائيل

كلما هلك نبي خلفه نبي ، فكانت تسوسهم الأنبياء ، والعلماء لهذه الامة كالانبياء في بني اسرائيل . وفي الحديث الآخر : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » . وهذا يدل على أنه لا يزال محمولاً في القرون قرناً بعد قرن . وفي صحيح أبي حاتم بن حبان من حديث الخولاني قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال الله يفرس في هذا الدين غرساً يستغلهم في طاعته ، وغرس الله هم أهل العلم والعمل ، فلو خلت الارض من عالم خلت من غرس الله . ولهذا القول حجج كثيرة جداً والله أعلم .

فلا جرم بعد ، عزمنا بعد التردد ، وجزمنا بعد التقييد ، على شرح ثلاثيات مسند مولانا وقودتنا وإمامنا وعمدتنا الامام أحمد بن محمد بن حنبل إمام كل حنبلي ، مما أخرجه الامام العالم المحقق مجد الدين إسماعيل بن عمر المقدسي والامام الحافظ ضياء الدين المقدسي رحمهما الله تعالى . وإنما كثر ترددي وتقاعسي عن ذلك لعدم من تقدمني لشرحها مع قصور همي وقلة موادي ، وتعذر موادي وخمود فكري واشتغال خلدي ، وعزة المواد بيدي ، غير أنني اعتمدت فيما نحيته من الدليل والتعليل ، على الجواد الفتح فانه حسبي ونعم الوكيل ، وسميته :

نفثات صدر المكمد ، وقوة عين الأرمد لشرح

ثلاثيات مسند الامام أحمد

رضي الله عنه

ولأقدم أمام المقصود مقدمة تشتمل على ثلاثة مقاصد وخاصة .

المقصد الاول : في ترجمة سيدنا ومولانا وإمامنا وقودتنا ومتبوعنا وعمدتنا

الامام أحمد رضي الله عنه .

هو الامام العلم الحجة المجتهد البارع الحافظ الضابط المتقن الورع الزاهد
الناسك العابد عالم الاسلام وكهف الدين ، ناصر السنة وإمام المتقين ، قامـع
البدعة وشجا المبتدعين ، داحض الحجاج الباطلة ، ومزيف المذاهب العاطلة ،
العالم الرباني ، والصدوق الثماني ، الامام المبجل ، والخبر المفضل ، أبو عبد الله
الامام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن ادريس بن عبد الله بن حيان
ابن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن
عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي
ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان يجتمع نسبه مع نسب
النبي ﷺ في نزار تاسع عشر أجداده ﷺ .

وأبناء نزار أربعة : مضر وربيعة وإياد وأنمار ، ومنهم تشعبت بطون
العرب كلها ، فالنبي ﷺ من ولد مضر بن نزار ، والامام أحمد رضي الله عنه
من ولد ربيعة بن نزار . قال ابن قتيبة في المعارف : وأما مضر وربيعة فاليها
ينسب ولد نزار ، وهما الصريح من ولد اسماعيل . انتهى .

فالامام أحمد من صميم العرب ومن صريح ولد اسماعيل ، فان المشهور أن
عدنان بن أد بن أدد الهيميسع بن حمل بن النيت بن قidar بن اسماعيل بن ابراهيم
خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام .

وكان أبو إمامنا محمد بن حنبل والي سرخس من أبناء الدعوة العباسية ،
توفي وله ثلاثون سنة . وأم الامام أحمد رضي الله عنه شيبانية أيضاً ، واسمها صفية
بنت ميمون بن عبد الله الشيباني من بني عامر ، كان نزل محمد بن خليل بهم
فتزوجها ، وجدها عبد الملك بن سواده بن هند الشيباني من وجوه بني شيبان
تنزل به قبائل العرب للضيافة ، فجاز الامام أحمد رضي الله عنه شرف النسبين ،

وكمل له بأصله أتم الشرفين ، فهو الامام أبو عبد الله الذهلي ثم الشيباني المروزي
ثم البغدادي .

خرج من مرو وهي من أعمال خراسان وهو حمل ، فولد ببغداد سنة أربع
وستين ومائة في شهر ربيع الأول ، وكان ربعة حسن الوجه ، وخضب رأسه
ولحيته وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وكان يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني ،
وكان في لحيته شعرات سود : وكانت ثيابه بيضاء ، يلبس العمامة والازار ويلبس
الغليظ الأبيض من الثياب ، وربما لبس قميصاً وفرواً ، وربما لبس الفرو فوق
الجبة في البرد الشديد ولبس العمامة فوق القلنسوة ، وربما لبس القلنسوة بغير
عمامة ، ولبس السراويل والرداء ، وكثيراً ما كان يتوشح فوق القميص ، ولم
يلبس طيلساناً قط . قال الراوي : ولم أره أرخى كماً في مشيته قط ، وكانت
سراويله فوق كعبيه ، وكان لا يخوض في شيء من أمور الناس ، وكان ذا وقار
وسكينة ، من أحيا الناس وأكرمهم نفساً وأحسنهم عشرة وأدباً ، كثير
الاطراق والغض ، معرضاً عن القبيح واللغو لا يسمع منه إلا المذاكرة بالحديث
وذكر الصالحين . قال أبو داود : كانت مجالسة الامام أحمد مجالسة آخرة
لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا ، وما رأيته ذكر الدنيا قط . وقال ثعلب في
صفته : رأيت رجلاً كأن النار توقد بين عينيه . وكان رضي الله عنه يحب
الفقراء ويعرض عن أهل الدنيا ، ويجلس للفقهاء فلا يتكلم حتى يسأل ، يجلس
حيث انتهى به المجلس ، ولا يتصدر ولا يمد رجله إكراماً لجليسه ، وكان حسن
الخلق دائم البشر لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ، يحب في الله ويبغض في الله ،
لا تأخذه في الله لومة لائم ، حسن الجوار يؤذى فيتمحمل ، وكان أصبر
الناس على الوحدة فما كان يرى إلا في مسجد أو حضور جنازة أو
عياده مريض ، وكان يكره المشي في الأسواق ، وكان يقول : أشتي ما لا يكون

أشتهى مكاناً ليس فيه أحد . وكان يقول : الخلوة أروح أقلي . وكان متمسكاً
في دينه بالحديث والآثار ، قامماً لذوي البدع والأشرار ، وهو الذاب عن السنة
الصابر في الحنة .

وقد روى الامام أحمد رضي الله عنه عن أئمة أخيار ، وروى عن أئمة
أبرار ، ابتداء في طلب العلم سنة تسع وسبعين ، فكان يتأسف على عدم اجتماعه
بالامام مالك ، وكان يقول : فاتني مالك فأخلف الله عليّ سفيان بن عيينه ، وفاتني
حماد فأخلف الله عليّ اسماعيل بن علية .

فروى عن سفيان بن عيينه ، ومحمد بن إدريس الشافعي . ويزيد بن هارون
ويحيى القطان ، وابراهيم بن سعد ، وهيثم ، وو كيع ، وابن علية ، وعبد الرحمن
ابن مهدي ، وعبد الرزاق الصنعاني ، وجريز بن عبد الحميد ، ومعتمر بن سليمان
وأبي عاصم النبيل ، وعبد المؤمن بن عبد الله ، وخلائق لا يحصون ، ذكرهم ابن
الجوزي وغيره على حروف المعجم ، سمع منهم بمكة والمدينة والبصرة والكوفة
وبغداد واليمن والجزيرة ، وخرج الى اليمن والى طرسوس ماشياً ، وشارك الامام
الشافعي في أكثر شيوخه .

وروى عنه من الأئمة ما يعسر استقصاؤه إن لم يتمذر ، حتى روى عنه
كبار مشايخه ، منهم الامام الشافعي وعبد الرزاق الصنعاني وعبد الرحمن بن
مهدي ويزيد بن هارون ويحيى بن آدم وأبو الوليد وقتيبة بن سعيد ومعروف
الكرخي وعلي بن المديني ، وروى عنه أيضاً البخاري ومسلم وأبو داود وابراهيم
الحري وأبو زرعة الرازي وأبو زرعة الدمشقي وأبو بكر الأثرم وأبو
بكر بن أبي الدنيا وأبو القاسم البغوي ومحمد بن إسحق الصاغاني
وأبو حاتم الرازي وأحمد بن أبي الحواري وموسى بن هارون وحنبل بن

إسحاق و عثمان بن سعيد الدارمي وولده صالح وعبد الله ، والمروزي (١) وخلائق
كثيرون ذكرهم الحافظ ابن الجوزي على حروف المعجم . وهو النهاية
في الحفظ . فكانت كتبه رضي الله عنه اثني عشر حملاً . وكان يحفظها كلها
عن ظهر قلب .

قال عبد الله بن الامام أحمد : سمعت أبا زرعة يقول : كان أبوك يحفظ
ألف ألف حديث . وقيل لأبي زرعة : من أحفظ مشايخ الحديث ؟ قال : أحمد .
وقال عبد الوهاب الوراق : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل . قالوا له : وأي شيء
بان لك من فضله وعلمه على سائر من رأيت ؟ قال : رجل سئل عن ستين ألف
مسألة فأجاب فيها بـ « حدثنا » و « أخبرنا » .

وقد أكثر أئمة الاسلام وعلماء الانام من الثناء عليه وبالغوا في تعظيمه
بما هو أهله ولا سيما الامام الشافعي رضي الله عنه فإنه قال : خرجت من بغداد
وما خلفت بها أحداً أروع ولا أتقى ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل .
وقال أيضاً : ما خلفت في العراق أحداً يشبه أحمد .

وقال الربيع : قال لنا الشافعي : أحمد إمام في ثمان خصال ؛ إمام في
الحديث ، إمام في الفقه ، إمام في اللغة ، إمام في القرآن ، إمام في الفقر ، إمام
في الزهد ، إمام في الورع ، إمام في السنة .

وقال أيضاً : عجبت لصغير لا يقول شيئاً إلا صدقه الكتاب وهو أحمد .
وحدث الشافعي عن الامام أحمد فقال : أنبأنا الثقة من أصحابنا
- يعني أحمد - .

(١) من كان من مَرُو الشَّروذ يقال له : المروذي أو المروثذي . وهي
أشهر مدن خراسان . وأما من كان من مرو الشاهجان فيقال له : مروزي ،
وأصحاب أحمد كلا البلدين .

وقال الشافعي لأحمد : يا أبا عبد الله إذا رأيت الحديث الصحيح فأخبرني حتى أذهب إليه . وفي رواية قال الشافعي لأحمد : أنت أعلم بالاخبار الصحاح منا ، فإذا كان خبر صحيح فأعلمني به حتى أذهب إليه كوفياً كان أو مصرياً أو شامياً . نقل ذلك البيهقي وابن الجوزي وغيرهما .

وقد قال علي بن المديني : اتخذت أحمد إماماً فيما بيني وبين الله تعالى . وقال : إذا أفتاني أحمد بن حنبل لم أبال إذا لقيت ربي كيف كان . وقال أيضاً : أحمد سيدنا . وقال : حفظ الله أحمد هو اليوم حجة الله على خلقه . وقال أيضاً : أعز الله هذا الدين برجلين لا ثالث لهما ، أبو بكر الصديق يوم الردة ، وأحمد بن حنبل يوم الحنة . وقال أيضاً ما قام أحمد بالاسلام بعد رسول الله ﷺ ما قام أحمد . ف قيل له : ولا أبو بكر ، فقال : ولا أبو بكر ، فانه كان له أعوان ولم يكن لأحمد أعوان وأثنى عليه ابن معين ثناء حسناً وكذا الأئمة من أشياخه وأقرانه وغيرهم . وعلى كل حال ، مهما قلنا في حقه من الثناء فهو بعض ما قال فيه أئمة الدين من فحول الرجال . فكان يحبي الليل وهو غلام ، وكان يصوم النهار ويعجل الفطر ، ويصلي الى الصباح ويوتر بركعة ، وكان يصلي كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة فلما ضف صلى مائة وخمسين . قال عبد الله ابن الامام أحمد : لما كبر أبي زاد في الاجتهاد (١) .

وكان له كرامات ظاهرة منها ما رواه أبو يعلى الحنبلي أن الخليفة المتوكل أرسل الى الامام أحمد صاحباً له يعلمه أن له جارية بها صرع ، ويسأله أن يدعو الله لها بالعافية ، فأخرج الامام أحمد له نعل خشب بشراك من خوص وقال له : تمضي الى دار أمير المؤمنين وتجلس عند رأس الجارية وتقول له :

(١) يريد الاجتهاد في العبادة .

- يعني الجني - قال لك أحمد : أيها أحب اليك أن تخرج من هذه الجارية أو تصفع بهذا النعل سبمين ، فمضى اليه وقال مثل ذلك ، فقال له المارد على لسان الجارية : السمع والطاعة ، ولو أمرنا أحمد ألا نقيم بالعراق ما أقمنا ، لأنه أطاع الله ورسوله ، ومن أطاع الله تعالى أطاعه كل شيء ، وخرج من الجارية ورزقت أولاداً ، فلما مات أحمد عاودها المارد ، فأرسل المتوكل الى أبي بكر المروزي صاحب الامام أحمد وعرفه بالحال ، فأخذ المروزي النعل ومضى الى الجارية . فكلمه العفريت على لسانها : لا أخرج من هذه الجارية ولا أطعمك ولا أقبل منك ، أحمد أطاع الله فأمرنا بطاعته . انتهى . وقد أشار في « الفروع » في صلاة الجماعة الى هذه الحكاية ، ونقلها شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وذكرها في « الفروع » و« الهدي » عن شيخها ابن تيمية روح الله روحه : من مثل ما يقضي العجب . والله أعلم .

ومن منثور كلام الامام أحمد رضي الله عنه ومنظومه :

بادر كل خير هممت به قبل أن يمرض لك عائق . وقال : أشبه الشباب بشيء كان في الكرم فسقط . لكل شيء كرم وكرم القلوب الرضى عن الله تعالى . عزيز علي أن تذيب الدنيا أKBاد رجال وعت صدورهم القرآن . انور الخير فانك لا تزال بخير ما نوبته . وسئل عن الحب في الله فقال : هو أن لا تحبه لدنيا ، وسئل لم لا تصحب الناس ؟ قال : خشية الفراق . وسئل بم تلين القلوب ؟ قال : بأكل الحلال . وسئل عن الفتوة فقال : ترك ما يهوى لما يخشى . وسئل بم بلغ القوم المدح ؟ قال : بالصدق .

ومن شعره ما روي أنه دخل عليه أحمد بن يحيى المعروف بشعلب - وهو

من أصحابه - فقال له : فيم تنظر ؟ فقال : في النجو والعريية . فأشده الإمام
أحمد رضي الله عنه :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل	خلوت ؛ ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة	ولا أن ما يخفى عليه يغيب
لهونا عن الأيام حتى تتابعت	ذنوب على آثارهن ذنوب
فيا ليت أن الله يغفر ما مضى	ويأذن في توبتنا فتتوب

وفي رواية أخرى أنه قال : ما الذي تطلبه من العلم ؟ فقال : القوافي
والشعر . قال : وددت أني قلت له غير ذلك ، ثم ذكر الأبيات وزاد :

إذا ما مضى القرن الذي أنت فيهم	وخلّفت في قرن فأنت غريب
وسمع يوماً يقول :	

تفنى اللذات بمن نال صفوها	من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها	لا خير في لذة من بعدها النار

وقال رضي الله تعالى عنه للإمام علي بن المديني لما أجاب في المحنة وكان
مكرها رحمه الله تعالى :

يا ابن المديني الذي عرضت له	دنيا فجاد بدينه لينالها
ماذا دعاك الى انتحال مقالة	قد كنت تزعم كافراً من قالها
أمر بدا لك رشده فتبعته	أم زهرة الدنيا أردت نوالها
ولقد عهدتك مرة متشددا	صعب المقادة للتي تدعى لها
إن المرزءاً من يصاب بدينه	لا من يرزءاً ناقة وفصالها

ويروى أن الإمام الشافعي كتب للإمام أحمد :

قالوا يزورك أحمد وتزوره	قلت الفضائل لا تفارق منزله
إن زارني فبفضله أو زرت	فلفضله فالفضل في الحالين له

فأجابه الامام أحمد عن ذلك رضي الله عنها :
 إن زرتنا فيفضل منك تمنحنا أو نحن زرنا فلفضل الذي فيك
 فلا عدمننا كلا الحالين منك ولا نال الذي يتمنى فيك شانيكا
 ويروى أن الامام أحمد كتب للامام الشافعي رضي الله عنها وهما من أبلغ
 الشعر وهما (١)

إن نختلف نسباً يؤلف يديننا أدب أقمناه مقام الوالد
 أو يفترق منا الوصال فوردنا عذب تحدر من إناء واحد

واعلم أن الامام أحمد رضي الله عنه إنما تزوج بعد الأربعين ، وأول زوجاته
 عباسة بنت الفضل أم صالح ولم تلد له غيره ، ثم توفيت فتزوج ربحانة أم عبد الله
 فأقامت معه سبع سنين فقالت له : كيف رأيت يا ابن عم ؟ قال : ما أنكر عليك
 شيئاً إلا نعلك تصر ، فباعته واشترت نعلاً مقطوعاً فلبسته . واشترى جارية اسمها
 حُسن لما توفيت أم عبد الله فتسرى بها فولدت له زينب والحسن والحسين ومحمداً
 وسعيداً .

وكان ابنه صالح يكنى أبا الفضل وهو أكبر أولاده ولد سنة ثلاث
 ومائتين ، وكان الامام أحمد يحبه ويكرمه ، وابتلي بالعيال على حداثة سنه فقلبت
 روايته عنه على أنه قد روى عنه كثيراً ، وهو أحد نقلة مذهبه ، وقد روى
 عن أبي داود الطيالسي وإبراهيم بن الفضل وغيرها ، روى عنه ابنه زهير
 والبغوي وولي قضاء أصهان ومات بها ، وكان سخيّاً جواداً . ولما ولي أصهان
 وقرىء عهد الخليفة إليه بحضرة المشايخ جعل ييكي وهم يقولون : ما يبلدنا إلا
 من يحب أبا عبد الله ويعيل اليك . فقال : إنما أبكاني أني ذكرت أبي وأنه لا يريد

(١) الصحيح ان البيتين لابي تمام يقولها بن الجهم

أن يراني بهذه الحالة - وكان عليه السواد - ولكن الله يعلم أنني ما دخلت في هذا الأمر إلا لدين غلبي ، وكثرة عيال أحمد . وكان إذا خلا نزع سواده ويقول : تراني أموت وأنا هكذا ؟ . وتوفي في شهر رمضان سنة خمسين ومائتين بأصبهان .

وأما عبد الله بن الإمام أحمد - وبه كان يكنى وكنيته أبو عبد الرحمن - فهو أروى الناس عن أبيه وسمع معظم تصانيفه وحديثه ، وسمع من عبد الأعلى ابن حماد وكامل بن طلحة وغيرهم ، وكان إماماً حافظاً وشهد له بذلك أبوه ، ولما دنت وفاته قيل له : أين تحب أن تدفن ؟ فقال : صح عندي أن بالقطيعة نبياً مدفوناً ، ولأن أكون في جوار نبي أحب إلي من أن أكون في جوار أبي . توفي عبد الله رضي الله عنه يوم الأحد لتسع بقيت من جمادى الآخرة سنة تسعين ومائتين ، ودفن آخر النهار وصلى عليه زهير ابن أخيه صالح ، وكان له مجمع عظيم .

وأما سعيد بن الإمام أحمد ؛ فقال حنبل بن اسحق : ولد سعيد قبل موت الإمام أحمد بنحو من خمسين يوماً . ويروى أنه ولي قضاء الكوفة .

وأما بقية أولاده فلا يعرف من أخبارهم شيء . نعم لابنته زينب حديث في باب ورعه . وروي أن الإمام أحمد كان يضربها على اللحن وينهرها .

. . .

واعلم أن الإمام أحمد رضي الله عنه ولد ببغداد ونشأ بها وطلب العلم والحديث من شيوخها ثم أخذ في الرحلة ، وقال أبو عفيف : كان أحمد بن حنبل معناه في الكتاب وهو غلبي يعرف فضله وكان الخليفة بالرقعة فيكتب الناس إلى منازلهم فتبعته نساؤه إلى المعلم : ابعت إلينا بأحمد ليكتب إليهم جواب كتبهم فيبعثه فيجيب إليهن مطأطأة الرأس فيكتب الجواب فربما أملين عليه شيئاً من

المنكر فلا يكتبه لمن . ولما ابتداء في طلب العلم كان عمره ست عشرة سنة ، وكان ابتداء طلبه من شيوخ بغداد سنة تسع وسبعين ومائة ، ثم رحل الى البلاد النائية والدانية فكتب عن علماء كل بلد . وقال الامام أحمد : أول من كتبت عنه الحديث أبو يوسف ، ومات هشيم وأنا ابن عشرين سنة ، وأول سماعي منه سنة تسع وسبعين ومائة ، فجاء رجل فقال : مات حماد ابن زيد ، ومات مالك بن أنس تلك السنة . وكنا عند عبد الرزاق باليمن فجاءنا موت سفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد سنة ثمان وتسعين ومائة . وقال : أتيت ابن المبارك فقالوا : خرج الى طرسوس وتوفي بها سنة إحدى وثمانين . وقال : خرجت الى سفيان ابن عيينة سنة سبع وثمانين فقدمنا عليه وقد مات الفضيل بن عياض وهي أول سنة حججت ، وكتبت عن إبراهيم بن سعد وصليت خلفه غير مرة ، وخرج بعض أصحابنا الى الري الى جرير بن عبد الحميد ولم أخرج ، وخرجت الى الكوفة ثم رجعت الى أمي ولم أكن استأذنها قال : وكنت ربما أردت البكور الى الحديث فتأخذ أمي بشاقي وتقول : حتى يؤذن الناس أو حتى يصبحوا ، وكنت ربما بكرت الى مجلس أبي بكر بن عياش وغيره . وقال : دخلت عبادان سنة ست وثمانين ، ورحلت الى المعتمر تلك السنة - قال - وكنت مقبلاً على يحيى بن سعيد القطان ثم خرجت الى واسط فسأل يحيى عني فقالوا : خرج الى واسط فقال : وما يصنع بها ؟ قالوا : مقيم على يزيد بن هارون ، قال : وما يصنع به يزيد ؟ إنه أعلم منه ، وقال : دخلت البصرة خمساً ، أول رجب سنة ست وثمانين ومائة سمعت من المعتمر بن سليمان ، ثم دخلتها سنة تسعين ، وأربع وتسعين وقد مات غندر ، فأقمت على يحيى بن سعيد ستة أشهر ، ودخلت سنة مائتين .

ثم إن الامام أحمد رضي الله عنه أخذ في التحديث والقنوت والتصنيف ،

وكان قد أفتى وهر شاب وحدث ، وروى سنة وتسعين ومائة ثمان بمسجد الخيف
يعلم أصحاب الحديث الفقه ، ويقي الناس في المناسك وابن عيينة حي . قال الامام
الحافظ ابن الجوزي : إلا أنه لم يتصدر لذلك إلا وهو ابن أربعين . واستدل
بقول حجاج ابن الشاعر : سألت أحمد أن يحدثني سنة ثلاث ومائتين فأبى ، ثم
رجعت سنة أربع فوجدته يحدث وكان له أربعون سنة ، وكان يجتمع في مجلسه
زهاء خمسة آلاف أو يزيدون ؛ أقل من خمسمائة يكتبون عنه والباقي يتعلمون
منه حسن الأدب وحسن السميت .

وشرع رضي الله عنه في التصنيف في الحديث . قال الأئمة : مصنفات
الامام أحمد كلها في المنقول . فصنف « المسند » ثلاثون ألف حديث سوى المكرر
والمكرر عشرة آلاف حديث ، ولابنه عبد الله فيه زوائد نحو عشرة آلاف ،
وقال لابنه عبد الله : احتفظ به فسيكون للناس إماماً . وقال : جمعت هذا الكتاب
وانقيته من سبعمائة ألف وخمسمائة ، فما اختلف المسلمون فيه من حديث فارجموا
اليه : فان وجدتموه فيه وإلا فليس بحجة وقد تلقته الأئمة بالقبول . قال علماء
الحديث منهم العراقي . أما وجود الضعيف فيه فمحقق ، بل قيل : إن فيه
أحاديث موضوعة . ولابنه فيه زيادات فيها الضعيف وغير الثابت . انتهى .

وقد ألف الحافظ ابن حجر العسقلاني كتابه « القول المسدد في الذب
عن مسند الامام أحمد » وقال عنه : ذابا عن هذا التصنيف العظيم الذي تلقته الامة
بالقبول والتكريم وجملة إمامهم حجة يرجع اليه ويعول عند الاختلاف عليه ،
ثم سرد الاحاديث التي ذكرها العراقي وهي تسعة ، وأضاف اليها خمسة عشر
حديثاً أوردها ابن الجوزي في الموضوعات ، وأجاب عنها حديثاً حديثاً وقال :
ليس في « المسند » حديث واحد لا أصل له إلا ثلاثة أو أربعة ، حديث ابن عوف

أنه يدخل الجنة زحفاً ، والاعتذار عنه أنه أمر بالضرب عليه فترك سهواً ، أو ضرب عليه وكتب من تحت الضرب . انتهى .

ومن تصانيفه « التفسير » وهو مائة ألف حديث وعشرون ألفاً و « الزهد » وقد انتقيت منه أجزاء . ومن تصانيفه « الناسخ والمنسوخ » ومنها « التاريخ » و « حديث شعبية » و « المقدم والمؤخر في القرآن » و « جوابات القرآن » و « المناسك الكبير والصغير » وأشياء آخر .

ومناقب الامام أحمد ومحنته وما قاسى من المأمون والمعتمد والوائق معلومة مفردة بالتأليف ، ومناقبه كثيرة ومزايده شهيرة ، فمنها أنه أحاط بالسنة ، ومنها أنه انتهى إليه الحفظ ، وكل محفوظ حافظ من بعض محفوظاته ، ومنها أنه أجاب على ستين ألف قضية بـ (حدثنا) و (أخبرنا) عن ظهر قلبه الى غير ذلك مما امتاز به واختص دون سائر الأمة والأئمة بوصفه به .

. . .

ولما استكمل له سبع وسبعون سنة ودخل في الثامنة حُمِّ . فان الامام أحمد رضي الله عنه ولد في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة ، ثم حُمِّ في أول يوم من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين . قال ابنه صالح : فدخلت عليه وهو محموم فتنفس تنفساً شديداً فقلت : علام أفطرت البارحة ؟ فقال : على باقلاء . ثم أراد القيام فقال : خذ بيدي . فأخذت بيده فلما صار إلى الخلاء ضعفت رجلاه حتى توكأ عليّ ، وكان يختلف عليه غير متطبب فبال دماً عبيطاً ، فقال الطبيب : هذا رجل فت الحزن كبده والغم جوفه . واستأذنه ابنه في إدخال الناس عليه للعيادة فأذن ، فجعل الناس يدخلون عليه أفواجا ، ثم أمر ولده فكفر عنه كفارة يمين ، وعرض ابنه عليه وصيته وفيها :

هذا ما أوصى أحمد بن محمد بن محمد بن حنبل ؛ أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأوصى من أطاعه من أهله وأقاربه أن يعبدوا الله في العبادين ، وأن يحمده في الحامدين ، وأن ينصحوا الجماعة المسلمين ، وأوصى أنني رضيت بالله عز وجل رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً .. الى آخر الوصية .

فلما اشتد به المرض كثر الناس عليه حتى ملؤوا السكك والشوارع ، فممن السلطان من يمنع عنه خشية الاضرار به ، وزاد الناس كثرة في الأسواق والطرق حتى تعطل على كثير من الناس بيعهم وشراؤهم ، وجاءه رسول الأمير بأنه يريد أن يراك فقال : إن أمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره .

فلما كان قبيل وفاته جمع الصبيان وجعل يسميهم ويمسح برؤوسهم وعينه تدمع . وكان يصلي وهو قاعد وربما صلى وهو مضطجع ، ولا يكاد يفتر ، فلما كانت ليلة الجمعة ثقل مرضه ، ثم إن الناس ملأوا السكك .

فلما كان صدر نهار الجمعة قبض رضي الله عنه ، فصاح الناس وعلت أصواتهم بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجت ، وقعد الناس حتى خشي فوت الجمعة ، فصاح أهله بالناس إنما نخرجه بعد الجمعة .

وكان عنده ثلاث شعرات من شعر النبي ﷺ فأوصى أن تجعل شعرتان في عينيه وشعرة فوق لسانه ، ففعل به ذلك .

فكان تاريخ موته يوم الجمعة في شهر ربيع الاول لاثني عشرة ليلة خلت منه ، سنة احدى وأربعين ومائتين ، وأخرجت جنازته بعد انصراف الناس من الجمعة ، وكان أمير المؤمنين المتوكل غائباً عن البلد ، فوجه الأمير ابن طاهر بمناديل فيها ثياب وطيب ، فقال رسوله : الأمير يقرئكم السلام ويقول : قد

فعلت ما لو كان أمير المؤمنين حاضره لكان يفعله ، فأرسل اليه ولده : إن أمير المؤمنين قد كان أعفاه مما يكره وهذا مما يكره ، فعاد اليه الرسول فأخبره . وكفن الامام في ثلاث لفائف وغسله المروزي ، ولما أراد تكفينه دخل عليه بنو هاشم وأخذوا في البكاء ، وجعل أولادهم ينكبون عليه ويقبلونه ، وحضره نحو من مائة من بني هاشم .

وصلى عليه جمع لم تمهد كثرته في الاسلام ، فقد حزر بمائة ألف ألف ، وعلى السور نحو ستين ألفاً ، وقيل : إن المتوكل أمر أن يمسخ الموقف الذي وقف الناس فيه للصلاة على الامام أحمد ، فبلغ مقام الف الف وخمسمائة ألف سوى ما كان في السفن . وكان الامام أحمد يقول : قولوا لأهل البدع يبتنا وبينكم يوم الجنازة . ووقع المآثم يوم موته عند أربعة أصناف ؛ المسلمين واليهود والنصارى والمجوس ، وأسلم منهم في ذلك اليوم عشرون ألفاً ، وناحت الجن عليه وهتفت الهواتف بموته . قال أبو زرعة : كان يقال عندنا بخراسان : الجن نعت أحمد بن حنبل قبل موته بأربعين يوماً ، وسموا قائلاً يقول : مات رجل بالعراق ، فذهبت الجن كلها تصلي عليه إلا المردة .



وقد رثاه جماعة من الأئمة الأعلام بقصائد كثيرة جداً ، منها ما قاله أبو محمد جعفر بن أحمد بن حسين السراج البغدادي رحمه الله تعالى .

سقى الله قبراً حل فيه ابن حنبلٍ	من الغيث وسمياً على إثره ولي
على أن دمعي فيه ريّ عظامه	إذا فاض ما لم ييل منه وما يلي
فلله رب الناس مذهب أحمد	فان عليه ما حيت معولي
دعوه إلى خلق القرآن كما دعوا	سواه فلم يسمع ولم يتأول

ولا رده ضرب الشياطين وسجنه
ولما يزدهم والشياطين تنوشه
على قوله : القرآن وليشهد الوري
فمن مبلغ أصحابه أني به
والتقى به الزهاد كل مطلق
لقد عاش في الدنيا حميداً موقفاً
ولم يأت لأرجو أن يكون شفيع من
ومن حدث قد نور الله قلبه

عن السنة الفراء والمذهب الجلي
فشلت يمين الضارب المتبتل
كلامك يارب الوري كيفاً تلي
أفاخر أهل العلم في كل محفل
من الخوف دنياه طلاق التبتل
وصار إلى الأخرى إلى خير منزل
تولاه من شيخ ومن متكلم
إذا سألوا عن أصله قال : حنبلي
وقال اسماعيل الترمذي في قصيدة له في حياة الامام أحمد وأنشده

أيها . وهي :

إذا ميز الأشياخ يوماً وحصلوا
رقيق أديم الوجه حلو مذهب
أبي إذا ما خاف ضميم مؤمر
لعمرك ما يهوى لأحمد نكبة
هو المحنة اليوم الذي يبتلى به
شجى في حلوق الملحدين وقرة
جری سابقاً في حلبة الصدق والنقي
إذا افتخر الأقوام يوماً بسيد
فقل للآلى يشنونه لصالحه
جعلتم فداء أجمعين لنعله
أريحانة القراء تبغون عسره
فيا أيها الساعي ليدرك شأوه

وأحمد من بين المشايخ جوهر
إلى كل ذي تقوى وقور موقر
ومر إذا ما خاشنوه مذكر
من الناس إلا ناقص العقل مغور
فيعتبر السنني فينا ويُسبر
لأعين أهل النسك عف مشمر
كما سبق الطرف الجواد المضممر
ففيه لنا - والحمد لله - مفخر
وصحته : والله بالمعذر يـمـذر
فانكم منها أذل وأحققر
وكلكم من جيفة الكلب أقذر
رويدك عن إدراكه ستقصير

تمسك بالعلم الذي كان قد وعى ولم يله عنه الخبيص المزعفر
ولا بغلة هملاجة مغربية ولا حلة تطوى سراراً وتنشر
ولا منزل بالساج والكس متقن ينقش فيه حصه ويصور
ولا أمة براقعة الجيد بضه بمنطقها تصمي الحليم وتسحر
حمى نفسه الدنيا وقد سنحت له فنزله إلا من القوت مقفر
فان يك في الدنيا مقلًا فانه من الأدب الحمود والعلم مكث

وقال أبو مزاحم الخاقاني رحمه الله تعالى :

لقد صار في الآفاق أحمد محنة وأمر الورى فيها فليس بمشكل
ترى ذا الهوى جهلاً لأحمد مبغضاً ويعرف ذو التقوى بحب ابن حنبل
ومما ينسب للإمام الشافعي - والمشهور انها لابن أعين - موجعاً لأهل
البدع :

أضحى ابن حنبل حجة مبرورة وبحب أحمد يعرف المتنسك
وإذا رأيت لأحمد متنقصاً فاعلم بأن ستوره ستهتك
وقد قيل فيه من الشعر مالا يسعني ذكره وبالله التوفيق .

★ ★ ★

المقصد الثاني

في ترجمة مخوج أكثر الثلاثيات من المسند

وهو الامام العلامة المحدث الحافظ المتقن محب الدين اسماعيل بن عمر بن
أبي بكر المقدسي ، أبو اسحق وأبو القاسم وأبو الفضل ، سمع بدمشق من أبي
اليمن الكندي وغيره ، وعصر من البوصيري ومن الحافظ عبد الغني ، ويغداد من

ابن^(١) الأخضر وطبقته ، وبأصبهان من أبي عبدالله محمد بن مكي وأبي بكر أحمد بن عبيد الله الحائي وطبقتهما من أصحاب الرستمي ومسعود الثقفي ، وكانت رحلته مع الضياء بعد السمائية ، وعني بالحديث وقرأ .

قال الحافظ ابن رجب في الطبقات : ووصفه جماعة بالحافظ ، وتفقه وحدث وتوفي ثامن عشر شوال سنة ثلاث عشرة وسمائة .

قال الحافظ ابن رجب : وأظنه كان شاباً ، والله تعالى الموفق .



المقصد الثالث

في ترجمة الامام الحافظ الضياء رضي الله عنه :

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل ابن منصور السعدي المقدسي الصالح الحافظ الكبير ضياء الدين ابن أبي أحمد محدث عصره ووحيد دهره ، وشهرته تفني عن الإطناب في ذكره والاسهاب في أمره .

ولد رضي الله عنه في خامس جمادى الآخرة سنة تسع وستين وخمسمائة . قال الحافظ ابن رجب في طبقاته : كذا وجدته بخطه . وقال ابن النجار : سأله عن مولده فقال : في جمادى الاولى من السنة . وسمع بدمشق من أبي المجد البانياسي والخضر بن هبة الله بن طاووس وأحمد بن الموازي وغيرهم ، وسمع بمصر من البوصيري وفاطمة بنت سعد الخير وجماعة ، وسمع ببغداد الكثير من ابن الجوزي وابن المعطوس وابن سكيمة وابن الأخضر وطبقتهم ، وسمع من أبي

(١) في الاصل « ومن بغداد ابن » وهو خطأ من الناسخ .

جعفر الصيدلاني وطبقته بأصبهان ، ومن عبد الباقي بن عثمان بهمدان ، ومن المؤيد الطوسي وطبقته بنيسابور ، ومن أبي روح بهراة ، ومن أبي المظفر بن السمعاني بمرو ورحل مرتين الى أصبهان وسمع بها ما لا يوصف كثرة ، وكتب بخطه الكثير من الكتب الكبار وغيرها ، ويقال : إنه كتب عن أزيد من خمسمائة شيخ ، وحصل أصولاً كثيرة وأقام بهراة ومرو مدة ، وله إجازة من السلفي وشهده .

قال ابن النجار : كتب عنه بيغداد ونيسابور ودمشق ، وهو حافظ متقن ثبت ثقة صدوق نبيل حجة عالم بالحديث وأحوال الرجال له مجموعات وتخرجات .

وهو ورع تقى زاهد عابد محتاط في أكل الحلال مجاهد في سبيل الله ، ثم قال ابن النجار : ولعمري ما رأيت عينا في مثله في نزاهته وعفته وحسن طريقته في طلب العلم .

وقال عمر بن الحاجب : شيخنا أبو عبد الله شيخ وقته ونسيجه وحده عالماً وحفظاً وثقة ودينياً ، من العلماء الربانيين - قال - وهو أكبر من أن يدل عليه مثلي ، كان شديد التحرير في الرواية مجتهداً في العبادة كثير الذكر منقطعاً عن الناس متواضعاً في ذات الله سهل العريكة ؛ رأيت جماعة من المحدثين ذكروه فأطنبوا في حقه ومدحوه بالحفظ والزهد ، سألت الزكي البرزالي عنه فقال : ثقة جليل حافظ دين ، وقال ابن النجار ، وذكر بعض كلامه المتقدم .

وقال الشرف ابن النابلسي : ما رأيت مثل شيخنا الضياء .

ونقل الذهبي عن الحافظ المزني أنه كان يقول : الضياء أعلم بالحديث والرجال من الحافظ عبد الغني ولم يكن في وقته مثله .

وقال الذهبي في ترجمته : الامام العالم الحافظ الحجة محدث الشام شيخ

السنة ضياء الدين ، صنف وصحح ولين وجرح وعدل ، وكان المرجوع اليه في هذا الشأن .

وقال الشريف أبو العباس الحسيني : حدث بالكثير مدة وخرج تخاريف كثيرة مفيدة وصنف تصانيف حسنة ، وكان أحد أئمة هذا الشأن ، عارفاً بالرجال وأحوالهم والحديث وسقيمه وصحيحه ، ورعاً متديناً طارحاً للتكليف .

وقال الذهبي : الضياء بنى مدرسته على باب الجامع المظفري بسفح قاسيون وأعانها عليها بعض أهل الخير ووقف عليها كتبه وأجزاءه . وقال غيره : بناها للمحدثين والغرباء الواردين مع الفقر والقلّة ، وكان يبنى فيها جانباً ويصبر إلى أن يجتمع معه ما يبنى به ، ويعمل فيها بنفسه ولم يقبل من أحد فيها شيئاً تورعاً ، وكان ملازماً لجبل الصالحية قبل أن يدخل البلد أو يحدث به ، ومناقبه أكثر من أن تحصر ، قاله الحافظ ابن رجب ، وقال : إنما أشرت إلى نبذة منها ، ثم ذكر من تصانيفه :

كتاب « الأحاديث المختارة » وهي الأحاديث التي يصلح أن يحتج بها سوى ما في « الصحيحين » ، خرجها من مسموعاته ، كتب منها تسعين جزءاً ولم تكمل . قال بعض الأئمة : هي خير من « صحيح الحاكم » . قلت : رأيت لشيخ الإسلام ابن تيمية كلاماً في الثناء عليها وأنها خير من « صحيح الحاكم » و « ابن حبان » .

كتاب « فضائل الأعمال » مجلد . كتاب « فضائل الشام » مجلد . كتاب « مناقب أصحاب الحديث » أربعة أجزاء « صفة الجنة » ثلاثة أجزاء « صفة النار » جزءان « أفراد الصحيح وغرائب » تسعة أجزاء « ذم المسكر » جزء « فضائل القرآن » جزء « الرواة عن البخاري » جزء « دلائل النبوة والالهيات » ثلاثة أجزاء « فضائل الجهاد » جزء « النهي عن سب الأصحاب » جزء « الحكايات المستظرفات » أجزاء كثيرة فيها أحاديث مخرجة . كتاب « سبب هجرة المقدسة

الى دمشق وكرامات مشايخهم « نحو عشرة أجزاء ، وأفرد لأكابرهم من العلماء
لكل واحد سيرة في أجزاء كثيرة « أطراف الموضوعات لابن الجوزي ، في
جزئين « تحريم الغيبة » جزء « الموقف والاقتصاص » جزء « الاستدراك على
الحافظ عبد الغني في عزوه أحاديث في دور الأثر » جزء « الاستدراك على
المشايخ النبيل لابن عساكر » جزء ، كتاب « الارشاد الى بيان ما أشكل من
المرسل في الاسناد » جزء كبير ، فيه فوائد جلييلة . « الموافقات » جزء . « طرق
حديث الحوض النبوي » جزء . « أحاديث الحرف والصوت » جزء « الأمر
باتباع السنن واجتناب البدع » جزء « مسند فضالة بن عبيد » جزء . كتاب
« الأمراض والكفارات والطب والرقيات » وغير ذلك .

قال الحافظ ابن رجب : روى عنه ابن نقطة في استدراكه فقال :
حدثنا محمد عبد الواحد الحنبلي بالجبل ظاهراً دمشق ، وابن النجار في
تاريخه ، والبرزالي وعمر بن الحاجب ، وعمر بن الفخر البخاري ، والقاضي
تقي الدين سليمان بن الفراء ، والنجم الشقراوي ، وإسماعيل بن الحجاز ، والحسن
ابن الخلال ، والدشقي ، وأبو بكر بن عبد الدائم ، وعيسى المظعم وخلق كثير
غير من ذكر . قال الحافظ ابن رجب ، توفي الحافظ الضياء يوم الاثنين
ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة بسفح قاسيون ودفن
به . انتهى .

وذكره الحافظ جلال الدين السيوطي في « طبقات الحفاظ » فقال : الامام
العالم الحافظ الحجة محدث الشام شيخ السنة ضياء الدين ، ثم قال : رحل وصنف
وصحح ولين وجرح وعدل وكان المرجوع اليه في هذا الشأن جبلاً ثقة
دينياً زاهداً ورعاً ، ثم ذكر تاريخ وفاته كمولده على النحو الذي ذكرناه رحمه
الله ورضي عنه آمين .

الخاتمة

في ذكر أشياء مناسبة لما نحن بصددده ، منها :

الحديث الثلاثي : ما كان بين المخرج للحديث وبين النبي ﷺ ثلاثة رواة ؛ صحابي وتابعي وتابع تابعي ، وحينئذ تجتمع في الاسناد من أفراد الثلاثة قرون المفضلة في الأخبار الواردة عن النبي ﷺ .

ومنها : ذكر فضل هذه الثلاثة قرون ، وأفضلها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، وكان ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصاً صافياً ، فكان سندهم عن نبيهم ﷺ عن جبريل عن رب العالمين سنداً صحيحاً عالياً ، فألقوا ذلك الى التابعين وقالوا : هذا عهد نبينا الينا وقد عهدناه إليكم ، وهذه وصية ربنا وفرضه علينا ، وهي وصيته وفرضه عليكم . فجرى التابعون لهم باحسان على منهاجهم القويم واقتفوا على آثارهم صراطهم المستقيم . ثم سلك تابعوا التابعين هذا المسلك الرشيد ، وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد . ثم القرن الرابع وهم الأئمة المعبرون ، فقد روى الشيخان في « صحيحهما » وغيرها من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة - ثم إن بعدهم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن) رواه الترمذي ولفظه : (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمنون ويحبون السمن يعطون الشهادة قبل أن يسألوها) ورواه أبو داود ولفظه قال ﷺ : (خير أمتي القرن الذي بعث فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - والله أعلم أذكر الثالث أم لا -) الحديث . ورواه النسائي ولفظه :

(خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - فلا أدري أذكر قرنين بعده أو ثلاثة - ...) وذكر نحو ما تقدم . وأخرج البخاري ومسلم أيضاً من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجي قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) ورواه الترمذي أيضاً وقال : حسن صحيح ، وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (خير امتي القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) والله أعلم أذكر الثالث أم لا ، قال : ثم يخلف قوم يحبون السهانة يشهدون قبل أن يستشهدوا) وأخرج مسلم أيضاً من حديث عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها قالت سألت رسول الله ﷺ أي الناس خير ؟ قال : (القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث) قال الامام المحقق ابن القيم في صدر كتابه (أعلام الموقعين) : ثم جاء الأئمة من القرن الرابع المفضل في إحدى الروايتين كما ثبت من حديث أبي سعيد وابن مسعود وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم . ولفظ حديث أبي سعيد في «الصحيحين» قال : قال رسول الله ﷺ : (يأتي على الناس زمان فيغزو فيئام^(١) من الناس فيقولون : هل فيكم من صاحب رسول الله ﷺ فيقولون : نعم ، فيفتح ، ثم ذكر من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ثم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ، وفي رواية لمسلم وذكر الحديث وفيه : « ثم يكون بعث رابع » فكان سيدنا الامام أحمد كالشافعي والبخاري ، وكذا مسلم من القرن الرابع المفضل . وفيه وجد أكثر الأئمة وسراة الأمة وهم الذين نهجوا المذاهب ونقبوا عن المناقب والمثالب ، فمن بعدهم عيلة عليهم ومنسبون في العلم والعمل إليهم .

قال أهل العلم : قرن النبي ﷺ هم أصحابه وكانت مدتهم من المبعث الى

(١) الفئام : الجماعة من الناس .

آخر من مات من أصحابه مائة وعشرين سنة ، وقرن التابعين من نحو مائة إلى سبعين سنة ، وقرن أتباع التابعين من ثم إلى حدود العشرين ومائتين ، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً ، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ، ورفعت الفلاسفة (١) رؤوسها ، وامتنحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن . وكان إمام أهل السنة ومن عليه النظر واليه الإشارة من بين جماعاتهم سيدنا الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، فقام بأمر الاسلام أتم قيام ، ونصر سنة سيد الأنام ، وقمع البدع وعيب أهلها ووقف شجراً في حلوقهم ومنصفاً في قلوبهم وصدورهم فردهم بغيظهم خاسئين لم ينالوا ما طلبوا وانقلبوا على أعقابهم صاغرين .

ومنها أن الصحابة رضي الله عنهم أفضل من التابعين ، والتابعين أفضل من أتباع التابعين ، لكن هذه الافضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد ، محل بحث ، وإلى الثاني نحا الجمهور والاول قول ابن عبيد البر ، والذي يظهر أن من قاتل مع النبي ﷺ أو في زمانه أو أنفق شيئاً من ماله بسببه لا يعدله أحد في الفضل بعده كائناً من كان ، وأما من لم يقع له ذلك فهو محل البحث . والذي استقر عليه كلام العلماء فضل كل فرد من الصحابة على من سواه لأن الصحبة لا يماثلها شيء ، وأما غير الصحابة فمن حيث الجملة والله أعلم .

ومنها أن الصحابة رضوان الله عليهم جميعهم عدول بتعديل الله عز وجل ورسوله ﷺ فلا يحتاجون إلى بحث عن عدالتهم ، وعلى هذا القول معظم المسلمين من الأئمة والعلماء من السلف والخلف ، ولا يلتفت إلى قول المعتزلة وسلف القدرية وغلاة الرافضة وشبههم ممن له جرأة على السلف ، وهذا من قلة الدين وعدم المبالاة بالسلف رضوان الله عليهم . قال أئمة السنة : وما جرى بينهم كان مبنياً على الاجتهاد وكل مجتهد مصيب ، أو المصيب واحد مثاب والمخطئ معذور لا ترد شهادته . ولا ريب أن الصحابة من حيث الوضع تنطلق على من صحب

(١) في الاصل الفلاسفة ، تصحيف .

النبي ﷺ ولو ساعة وإن كان العرف يخص الاسم بمن كثرت صحبته ، ولا حد لتلك الكثرة بتقدير بل بتقريب ، والذي استقر عليه كلام العلماء أن كل من حصل له اجتماع بالنبي ﷺ وهو مؤمن به ومات على ذلك ولو تخلل إيمانه ردة . وأما من جاء بعد الصحابة فالكلام فيهم بطول ، ولا يخلو قوم من عدالة أو فسق ، والعدالة قليلة ، وأسباب الفسق كثيرة ، فكل من عري من شرط من شروط الرواية أو الشهادة فهو مجروح لا تقبل روايته . وطبقات المجروحين كثيرة ، أخبثها الكذب . والجرح وصف متى التحق بالراوي والشاهد سقط الاعتبار بقوله وبطل العمل به ، والتعديل وصف متى التحق بهما اعتبر قولهما وأخذ به ، ثم التزكية والجرح هل يشترط فيها عدد المزي والجرح أم لا ؟ فيه خلاف .

قال قوم : يشترط في الشهادة دون الرواية ، وهذا الصحيح ؛ لأن الرواية نفسها تثبت بالواحد ؛ فكان جرحها وتزكيتهما أولى ، لكن يجب ذكر سبب الجرح دون التعديل للراوي ؛ لأن ، والامام قد يجرح بما لا يراه غيره جارحاً لاختلاف المذاهب فيه .

وأما العدالة ، فليس لها سبب واحد فيفتقر الى ذكره . وإذا تعارض جرح وتعديل ؛ قدم الجرح ، لأن مع الجرح زيادة وصف ما اطلع عليها المعدل ولا نفاها ، فان نفاها بطلت عدالة المزي ، وهذا علم واسع ، وبالله التوفيق .

ومنها : الفرق بين الشهادة والرواية ، فالشهادة يعتبر لها العدد والذكورية ، والرواية تصح من الواحد والمرأة .

فان الامام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » : الفرق أن الرواية يعم حكمها الراوي وغيره على عمر الأزمان ، والشهادة تخص المشهود عليه وله ، ولا تتمدها إلا بطريق التبعية المحضة ، فالزام الميعن يتوقع منه العداوة والتهمة الموجبة

الرد ؛ فاحتيط لها بالعدد والذكورية ، وردت بالقرابة والمداوة وبطرق التهم ،
ويبعد مثل هذا في الرواية التي يعم حكمها ولا يخص ؛ فلم يشترط فيها عدد
ولا ذكورية ، بل اشترط فيها ما يكون مغلباً على الظن صدق الخبر ، وهو
العدالة المانعة من الكذب ، واليقظة المانعة من غلبة السهو والتخليط . ولما كان
النساء ناقصات عقل ودين ؛ لم يكن من أهل الشهادة ، فاذا دعت الحاجة الى
ذلك ؛ قويت المرأة بمثلهما ، لانه يبعد سهوها (١) وغلطها ، اذكير صاحبها .
وأما اشتراط الحرية في الشهادة ؛ ففي غاية البعد ، ولا دليل عليه من
كتاب ولا سنة ولا إجماع .

وقد حكى الامام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال :
ما علمت أحداً رد شهادة العبد ، والله تعالى يقبل شهادته على الامم يوم القيامة ؛
فكيف لا تقبل شهادته على نظيره من المكافين ! وتقبل شهادته على الرسول ﷺ
في الرواية ؛ فكيف لا تقبل على رجل في درهم ! ولا ينتقض هذا بالمرأة ؛ لأنها
تقبل شهادتها مع مثلها لما ذكرناه ، والمانع من قبول شهادتها وحدها منتف في
العبد ، والله تعالى أعلم .

ومنها : الخبر إن كان عن حكم عام يتعلق بالامة ؛ فاما أن يكون مستنده
السماع فهو الرواية ، وإن كان مستنده الفهم من المسموع فهو الفتوى ، وإن كان
خبراً جزئياً يتعلق بعين مستنده المشاهدة أو العلم فهو الشهادة ، وإن كان خبراً
عن حق يتعلق بالخبر عنه والخبر به ، هو يستحقه أو نائبه فهو الدعوى ، وإن كان خبراً
عن تصديق هذا الخبر فهو الاقرار ، وإن كان خبراً عن كذبه فهو الانكار ، وإن
كان خبراً أنشأ عن دليل ؛ فهو النتيجة ، ويسمى قبل أن يحصل عليه الدليل مطلوباً ،
وإن كان خبراً عن شيء تقصد منه نتيجته فهو دليل ، وجزؤه مقدمة كما في البدائع .

(١) في الاصل : لسوها .

ومنها : اعلم أن الامام احمد رضي الله عنه ، أسس مذهبه وبناه على
خمسة أصول :

أحدها : النصوص ، فاذا وجد النص قال بموجبه ، ولم يلتفت الى ماخالفه
كأننا من كان ، ولهذا لم يلتفت الى خلاف عمر في المبتوتة ؛ لصحة حديث فاطمة
بنت قيس ، ولا الى خلافه في التيمم للجنب ؛ لحديث عمار بن ياسر ، ولا الى
خلافه في استدامة المحرم الطيب الذي تطيب به قبل إحرامه ؛ لصحة حديث
عائشة في ذلك ، ولا الى خلافه في منع المفرد والقارن من الفسخ الى التمتع ؛
لصحة أحاديث الفسخ ، وكذلك لم يلتفت الى قول علي وعثمان وطلحة وأبي أيوب
وأبي بن كعب رضي الله عنهم في ترك الفسل من الاكسال (١) ؛ لصحة حديث
عائشة ، وأنها فعلته هي ورسول الله ﷺ فاغتسلا ، ولم يلتفت الى قول
ابن عباس واحدى الروايتين عن علي رضي الله عنهم أن عدة المتوفى عنها الحامل
أقصى الأجلين ؛ لصحة حديث سبيعة الأسلمية ، ولا الى قول معاذ ومعاوية
رضي الله عنهما في توريث المسلم من الكافر ؛ لصحة الحديث المانع من التوارث
بينها ، ولم يلتفت الى قول ابن عباس رضي الله عنهما في الصرف ، لصحة
الحديث بخلافه ، ولا الى قوله بإباحة لحوم الجمر لذلك ، وهذا كثير جداً . فلم
يكن يقدم على الحديث الصحيح عملاً ولا رأياً ولا قياساً ، ولا قول صاحب ،
ولا عدم علمه بالخالفه الذي يسميه كثير من الناس إجماعاً ، ويقدمونه على الحديث
الصحيح . وقد كذب الامام أحمد من ادعى هذا الاجماع ، ولم يسوغ تقديمه
على الحديث الثابت . وكذلك الامام الشافعي أيضاً نص في « رسالته » الجديدة
على ما لا يعلم فيه خلاف : لا يقال له إجماع ، ولفظه : ما لا يعلم فيه خلاف
فليس إجماعاً . وقال عبد الله بن الامام أحمد عن مثل هذا : سمعت أبي يقول :

(١) الاكسال : من اكسل في الجماع اذا خالطها ولم ينزل ، او عزل .

ما يدعي فيه الرجل الاجماع فهو كذب ، ومن ادعى الاجماع فهو كاذب ، لعل
الناس يختلفوا ، ما يدريه ولم ينته إليه ؟ فليقل : لا نعلم الناس يختلفوا ، هذه
دعوى بشر المريسي والأصم ، ولكن يقول : لا نعلم الناس يختلفوا ، ولم يبلغني
ذلك ، هذا لفظه . ونصوص رسول الله ﷺ أجل عند الامام أحمد ، وسائر
أئمة الحديث من أن يقدموا عليها توهم إجماع مضمونه عدم العلم بالخلاف ، ولو
ساغ هذا لتمطلت النصوص ، وساغ لكل من لم يعلم مخالفاً في حكم المسألة أن
يقدم جهله بالخلاف على النصوص . فهذا هو الذي أنكره الامام أحمد والشافعي
من دعوى الاجماع ، لا ما يظنه بعض الناس أنه استبعاد لوجود إجماع ، كما في
صدر « أعلام الموقعين » ، الامام ابن القيم .

الثاني : ما أفتى به الصحابة رضي الله عنهم ؛ فانه إذا وجد لبعضهم فتوى
لا يعرف له مخالف منهم فيها ، لم يعدها الى غيرها ، ولم يقل : إن ذلك إجماع ، بل
من ورعه في العبارة يقول : لا أعلم شيئاً يدفعه أو نحو هذا ، كما في رواية أبي
طالب : لا أعلم شيئاً يدفع قول ابن عباس وابن عمر وأحد عشر من التابعين :
عطاء ومجاهد وأهل المدينة على تسري العبد . وهكذا قال أنس رضي الله عنه :
لا أعلم أحداً رد شهادة العبد ، كما حكاه عنه الامام أحمد ، وإذا وجد الامام أحمد
هذا النوع عن الصحابة ؛ لم يقدم عليه عملاً ولا رأياً ولا قياساً .

الثالث : إذا اختلف الصحابة رضي الله عنهم في مسألة تخير من أقوالهم
ما كان أقربها الى الكتاب والسنة ، ولم يخرج عن أقوالهم ، فإن لم يتبين له موافقة
أحد الأقوال ، حكى الخلاف فيها ، ولم يحزم بقول .

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانيء ، أحد أصحاب الامام أحمد في مسائله :
قيل لأبي عبد الله : يكون الرجل في قرية فيسأل عن الشيء فيه اختلاف ؟ قال :

يفتي بما وافق الكتاب والسنة ، وما لم يوافق الكتاب والسنة أمسك عنه . قيل له :
أفتخاف عليه ؟ قال : لا .

الرابع : الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه ، وهو الذي رجحه على القياس ، وأيس المراد بالحديث الضعيف عنده الباطل ولا المنكر ، ولا من في رواته متهم بحيث لا يسوغ الذهاب اليه والعمل به بل الحديث الضعيف عنده قسم الصحيح ، وقسم من أقسام الحسن ، ولم يكن يقسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف ، بل إلى صحيح وضعيف ، والضعيف عنده مراتب ، قاله في « أعلام الموقعين » .

وقال ابن القيم أيضاً في كتاب « الفروسة الحمدية » : قال الامام أحمد لابنه عبد الله : يا بني أنت تعرف طريقي في الحديث ، لست أخاف ما فيه من ضعف إذا لم يكن في الباب شيئاً يدفعه .

قال ابن القيم : إذا لم يكن في المسألة حديث صحيح ، وكان فيها حديث ضعيف وليس في الباب شيء يردده ؛ عمل به ، فإن عارضه ما هو أقوى منه تركه للمعارض القوي . وإذا كان في المسألة حديث ضعيف وقياس ؛ قدم الحديث الضعيف على القياس .

قال : وليس الضعيف في اصطلاحه هو الضعيف في اصطلاح المتأخرين ؛ بل كان هو والمتقدمون يقسمون الحديث إلى صحيح وضعيف ، والحسن عندهم داخل في الضعيف بحسب مراتبه .

قال : وأول من عرف عنه أنه قسمه ثلاثة أقسام ، أبو عيسى الترمذي ، ثم الناس تبع له بعد .

فالامام أحمد يقدم الضعيف الذي هو الحسن عنده على القياس ، ولا يلتفت

الى الضعيف الواهي الذي لا تقوم به حجة ، بل ينكر على من يحتج به وذهب اليه ، فالامام أحمد رضي الله عنه أتبع خلق الله للسنن مرفوعها وموقوفها .

قال الامام ابن القيم في أول « أعلام الموقعين » : وليس أحد من الأئمة إلا وهو موافقه على هذا الأصل في الجملة ، فان ما منهم أحد إلا وقد قدم الحديث الضعيف على القياس من حيث الجملة .

وأما الامام مالك فانه يقدم الحديث المرسل والمنقطع والبلاغات وقول الصحابي على القياس .

الخامس : القياس . فان الامام أحمد رضي الله عنه ، إذا لم يكن عنده في المسألة نص ، ولا قول صحابي ، ولا أثر مرسل أو ضعيف ؛ عدل اليه فاستعمله للضرورة .

وقد قال الخلال : سئل الشافعي عن القياس فقال : إنما يصار اليه عنه الضرورة ، أو ما هذا معناه ، وقد توقف في الفتوى لتعارض الأدلة عنده ، أو لاختلاف الصحابة فيها ، أو لعدم اطلاعه فيها على أثر أو قول أحد من الصحابة والتابعين ، وكان كثير الكراهة للافتاء بمسألة ليس فيها أثر عن السلف ، كما قال لبعض أصحابه : إياك تتكلم في مسأله ليس لك فيه إمام :

والمقصود تعريف الوقوف على أصول الامام ، وأن الحديث الضعيف الذي يقدم على القياس كما يوجد في كلامه وكلام أصحابه ؛ المراد به الحسن بقسميه ، كما استقر عليه كلام المحدثين المتأخرين ، وبالله التوفيق .

ومنها : أنا في شرحنا للثلاثيات أول ما نقدم ترجمة رواة الحديث :

الاول في الاول . أول ما يذكر من مشايخ الامام والتابعي والصحابي ، ثم إن طال الكلام وبعثد العهد وذكر ثانياً ؛ أخلصنا ترجمته على الحل الذي

ذكرناها فيه ، ثم ذكرنا شرح الفاظ الحديث كلمة كلمة ، وذكرنا معناه ومدلوله وحكم ما فيه من الاحكام ، وبيننا اختلاف الائمة في ذلك حسب الامكان ، وسقنا من الأدلة النبوية ما يؤيد الصحيح المعتمد من ذلك ، وإن كان الحديث الذي ساقه الامام يشير الى قصة ذكرناها معزوة لناقلها ، أو الى غزوة ذكرنا اسم الغزوة ، ومتى كانت ، أو الى منقبة ؛ ذكرناها وقوينها بما في ذلك من الاحاديث وال اخبار والمراسيل والآثار ، وإن كان في الحديث رجل مبهم أو امرأة ؛ نهنا عليه حسب الامكان معزواً لمن سماه ، فإن لم نقف على من سماه ؛ قلنا : لم أقف على من سماه ، وكذا إذا سبقنا أحد من المحدثين الى نفي الوقوف على تسميته ؛ عزونا ذلك له ، وغالب ما نذكره من دقائق العلوم ، من الفقه والاصطلاح والفرائب ؛ نعزوه لنقلته لنخرج من تبعته ، وربما لم نقف على ترجمة الرواة ، ولا ما قيل فيه من مدح ولا قدح ولا تعديل ولا جرح ؛ فأبيض له ، لعلي أقف على ذلك فيما بعد ، فاني أعلم أنه منقول ، ولكن لقله موادي لم أجده عندي منقولاً ، ولعلي أجده فيما بعد .

ومادتي في التراجم والجرح والتعديل « طبقات الحفاظ » ، لحافظ السيوطي و « نظم طبقات الحفاظ للذهبي » لابن مرداس الحنبلي و « شرح الزهر البسام » للبرماوي ، وبعض شروح البخاري ، وبعض التواريخ ك « الوافي بالوفيات » للصالح الصفدي و « وفيات الاعيان » لابن خلكان و « مختصر الصفوة » و « زبدة الاعمال » و « منتخب المنتخب » لابن الجوزي ، وربما نقلت من موضوعاته في بعض المحال و « الترغيب » لحافظ المنذري ، ووقفت على قطعة لبعض متأخري علمائنا في الجرح والتعديل ، نقلت منها في بعض المحال .

واستعنت في شرحي لهذا الكتاب من كتب السير بسيرتي (معارج الأنوار) شرح النونية و (تجبير الوفا) و (السيرة الشامية) و (سيرة ابن سيد الناس

اليعمرى) و (سيرة الحلبي) و (سيرة عبد الملك ابن هشام) وغيرها و (تاريخ الخلفاء) للحافظ جلال الدين السيوطي و (مثير العزم الساكن) لابن الجوزي و (آداب النساء) له و (التبصرة) و (صيد الخاطر) وغيرها من تصانيفه ، و بعض شراح البخاري و (شرح الأربعين) للحافظ ابن رجب و (ذيل الطبقات) له و (القواعد الفقهية) له و (شرح حديث اختصام الملا الأعلى) و (البشارة العظمى في أن حظ المؤمن من النار الحمى) و (اللطائف) و (استبشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس) و (الذل والانكسار) وغير ذلك من تصانيفه .

وجعلت جعل عمدتي وجل مقتصدي وما عليه معولي كتب شيخ الاسلام أبي العباس الامام الحافظ الحجة تقي الدين ابن تيمية ، وكتب تلميذه امام المحققين وقدة المدققين الامام الحافظ المتقن شمس الدين ابن القيم من (الهدي النبوي) و (أعلام الموقعين) و (الفروسية الحمديه) و (الجيش الاسلامية) و (حادي الارواح إلى منازل الافراح) و (مفتاح دار السعادة) و (شرح منازل السائرین) و (بدائع الفوائد) وغيرها من كتبه التي هي مرهم الجروح وترياق القلب المجروح ، وكذا كتب الامام العلامة ابن مفلح ، وابن عبد الهادي ، ومن كتب الحديث ما لا نحصىه عدداً إلا بكلفة .

وقد عزوت كلام كل أحد لصاحبه غالباً ، خروجا من تبعته ، واذا تأملت شرحي للثلاثيات تأملاً تاماً ، وأنعمت^(١) النظر فيه بانصاف . رأيت من الفوائد الغريبة ، والحقائق العجيبة ، والدقائق النفيسة . والتنبيهات الأنيسة ، والتحقيقات الفقهية ، والتدقيقات الأثرية ، ما لملك لا تكاد تظفر به في غيره من الكتب ، وستقف على أشياء في مصنفنا أكثر مما وصفنا . ولنشرع في المقصود فنقول :

(١) لعله وأمنعت

قال مخرج « الثلاثيات » محب الدين إسماعيل بن عمر المقدسي في أولها :
(بسم الله الرحمن الرحيم) على ما يوجد في بعض النسخ ، وقد سقطت
البسملة من أكثرها ، والكلام عن البسملة مشهور .

وابتدأ بها تأسيساً بالكتاب ، اقتداء به ﷺ في مكاتباته للملوك وغيرهم ،
وعملاً بقوله ﷺ : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم
فهو أبت » .

من مسند

سيدنا أبي عبد الرحمن عبد الله ابن عمر

رضي الله عنها

قال الامام احمد رضي الله عنه :

الحديث الاول

١ - حدثنا سفيان ، قال : حدثني عبد الله بن دينار ، سمع

ابن عمر يقول : نهى رسول الله ﷺ عن بيع الولاء ،

وعن هبته .

(حدثنا) هذه الصيغة من أرفع العبارات ، وهي لما سمعه من لفظ الشيخ .

قال الخطيب : أرفع العبارات : سمعت ، ثم حدثنا وحدثني ، ثم أخبرنا ، وهو

كثير في الاستعمال . وقال ابن الصلاح : حدثنا وأخبرنا أرفع من سمعت من جهة ؛

إذ ليس في سمعت دلالة أن الشيخ رواه إياه ، بخلافها . وقال الامام أحمد رضي الله

عنه : أخبرنا أسهل من حدثنا ، قال : حدثنا شديد . (سفيان) هو أبو محمد

سفيان بن عيينة بن أبي عمران ، ميمون الهلالي الكوفي . قال البرماوي : كان

مولى لمحمد بن مزاحم أخى الضحاك . وقال ابن خلكان : كان مولى امرأة من

بني هلال بن عامر ، وهم رهط ميمونة أم المؤمنين ، رضي الله عنها . وقيل :
مولى لبني هاشم . وقيل : مولى الضحاك بن مزاحم . وقيل : مولى مسمر بن
كدام . ولد بالكوفة للنصف من شعبان سنة سبع ومائة ، ونقله أبوه إلى مكة ،
فذكره ابن سيمد في « الطبقات » وعده في الطبقة الخامسة من أهل مكة .

قال سفيان : جالست الزهري وأنا ابن ست عشرة سنة وشهرين ونصف
شهر ، وقال : قدم علينا الزهري سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وكان بنو عيينة
عشرة : سفيان ، وآدم ، ومحمد ، وإبراهيم ، وعمران ، فهؤلاء حدثوا ، وما عداهم
لم يحدث . وكان سفيان إماماً عالماً ثباتاً ثقة حجة زاهداً ورعاً ، مجتهداً على صحة
حديثه وروايته ، سمع الزهري ، وعمرو بن دينار ، وعبد الله بن دينار ،
وأبا إسحاق السبيعي ، وزيد بن أسلم ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وسهيل بن أبي
صالح ، وأيوب السختياني ، وخلقاً كثيراً . قال الحافظ ابن ناصر الدين : إن
سفيان بن عيينة أدرك ستة وثمانين من التابعين ، وتفرد مرة عن الزهري ،
وعمر بن دينار في آخرين . قال : وكان أعور العين ، ولما مات الزهري سنة أربع
وعشرين ومائة ؛ كان لابن عيينة من العمر سبع عشرة سنة ، وحين مات عمرو بن
دينار في سنة ست وعشرين ومائة ؛ كان لابن عيينة تسع عشرة سنة . قال : وكان
قد رأى في حياة شيوخه في المنام كأن أسنانه كلها سقطت ، فقص رؤياه على شيخه
الزهري . قال : يموت أسنانك ، يعني أقرانك ، وتبقى أنت . قال سفيان : فماتت
أسناني وبقيت . وروي أنه لما تفرد بمثل :

خلت الديار فسدت غير مسودة ومن الشقاء تفردني بالسود

وروى عنه الأعمش ، والثوري ، وشعبة ، وهام بن يحيى ، ويحيى بن سعيد
القطان ، ووكيع ، والامام أحمد ، والامام الشافعي ، وابن مهدي ، وابن المبارك ،
وخلق سواهم كثير . مات سفيان بن عيينة رضي الله عنه بمكة أول يوم من رجب ،

سنة ثمان وتسعين ومائة ، ودفن بالحجون ، وكان حج سبعين حجة ، ولما حج آخر حجة حجها ، فكان بجمع - يعني منى - استلقى على فراشه ثم قال : رأيت هذا الموضع سبعين عاماً ، أقول في كل سنة : اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان ، وإني قد استحييت من الله من كثرة ما أسأله ذلك ، فرجع فتوفي في السنة الداخلة . وقال سفيان : لما بلغت خمس عشرة سنة ، دعاني أبي فقال : يا سفيان ! قد انقطعت عنك شرائع الصبا ، فاحفظ الخير تكن من أهله ، ولا يفرنك من اغتر بالله فمدحك بما يعلم الله خلافه منك ؛ فانه ما من أحد يقول في أحد من الخير إذا رضي ، إلا وهو يقول فيه من الشر مثل ذلك إذا سخط ، فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء ، وإن يسهو بالعلماء إلا من أطاعهم . ومن كلام سفيان رضي الله عنه : من تزين للناس بشيء يعلم الله منه غير ذلك شانه الله . إذا كان نهاري نهار سفيه ، وليلي ليل جاهل ؛ فما أصنع بالعلم الذي كتبت ؟

ومن كلامه أيضاً : من زيد في عقله نقص من رزقه . أرفع الناس منزلة من كان بين الله وبين عبادته ، وهم الانبياء والعلماء . ليس يضر المدح من عرف نفسه . العلم إن لم ينفعك ضرك . إن من توفير الصلاة أن تأتي إليها قبل الإقامة . وذكر ابن خلكان في تاريخه : أن سفيان بن عيينه رضي الله عنه خرج يوماً إلى من جاءه يسمع منه وهو ضجر ، فقال : أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيد ، وجالس هو أبا سعيد الخدري ، وجالست عبيد بن دينار ، وجالس هو ابن عمر رضي الله عنهما ، وجالست الزهري ، وجالس أنس ابن مالك ، حتى عد جماعة ، ثم أنا أجالسكم ؟ فقال له حدث في المجلس : أتصنف يا أبا محمد ؟ قال : إن شاء الله تعالى ، فقال : والله لشقاء أصحاب رسول الله ﷺ بك أشد من شقائك بنا ، فأطرق وأنشد قول أبي نواس وهو هذا :

غسل جنبك لرام وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام

فتفرق الناس وهم يتحدثون برجاجة الحدث، وكان ذلك الحدث يحیی بن أکثم التميمي ، فقال سفيان : هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء يعني السلاطين .

وقال الشافعي : ما رأيت أحداً فيه من آلة الفتيا ما في سفيان ، وما رأيت أكف عن الفتيا منه .

قال ابن خلكان : وكان أبو عمران جد سفيان المذكور من عمال خالد ابن عبد الله القسري ، فلما عزل خالد عن العراق ، وولي يوسف بن عمر الثقفي ؛ طلب عمال خالد ، فهرب أبو عمران منه الى مكة ، فزلفها وهو من أهل الكوفة ، فقال سفيان : دخلت الكوفة ولم يتم لي عشرون سنة ، فقال أبو حنيفة لاصحابه ولاهل الكوفة : جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار . قال : فجاء الناس يسألوني عن عمرو بن دينار ، فأول من صيرني محدثاً أبو حنيفة ، فذاكرته ، فقال لي : يا بني ! ما سمعت من عمرو إلا ثلاثة أحاديث يضطرب في حفظ تلك الأحاديث . انتهى .

وفي « الآداب الكبرى » للعلامة ابن مفلح قال : لما حجج سالم الخواص ، لقي ابن عيينة في السوق ، فانكر عليه كونه في السوق ، فأنشد ابن عيينة :

خذ بعلمي وإن قصرت في عملي ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري
ومثله قول بعض المتأخرين :

خذ من علومي ولا تنظر الى عملي واقصد بذلك وجه الواحد الباري
وإن مررت بأشجار لها ثمر فاجن الثمار واخل العود للنار
ومناقب سفيان بن عيينة ومآثره كثيرة جداً ، رحمه الله ورضي عنه .

(قال) سفيان : (حدثني) كذا بالافراد (عبد الله) هو أبو عبد الرحمن (ابن دينار) القرشي المدني ، مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنها ، روى عن مولاة ، وأنس بن مالك ، وعنه شعبة ، ومالك والسفيانان . قال ابن سعد : ثقة ، كثير الحديث ، وقال ابن مرداس الحنبلي في « طبقات الحفاظ » : إمام ثقة ، وحديثه في الصحاح - يعني هو من رجال « الصحيحين » وغيرها من الكتب الستة - فهو إمام ثقة ثبت ، توفي سنة سبع وعشرين ومائة من الهجرة النبوية - على صاحبها الصلاة والسلام - ورمز له ابن مرداس في « طبقات الحفاظ » بقوله : « قكر » ، وعده في الطبقة الرابعة من صفار التابعين رحمة الله عليه وعليهم أجمعين .

(سمع) عبد الله بن دينار (ابن عمر يقول) : هو أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل - بضم النون وفتح الفاء - بن عبد العزيز بن رياح - بكسر الراء ، وبالمثناة تحت الراء ، وآخره حاء مهملة - بن عبد الله بن قرط - بضم القاف وسكون الراء ، وآخره طاء مهملة - ابن رزاح ، بفتح الراء وبعدها زاي وآخره حاء ، كذا قيده ابن الأثير والنووي ، لكن في « الروض » للسهيبي : أن الشيخ أبا بحر قيده بكسر الراء - قال - وزعم الدارقطني أنه بالفتح ، وأن رزاح - بالكسر - إنما هو رزاح بن ربيعة أخو قصي لأمه . انتهى . ورزاح هو ابن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي المدوي ، يجتمع مع النبي ﷺ في كعب بن لؤي . أسلم مع أبيه بمكة وهو صغير ، وقيل : أسلم قبل أبيه - ولا يصح هذا القول - وهاجر قبل أبيه ، وأول مشاهدته الخندق ، وشهد ما بعدها ، وقيل : إنه أول من بايع بيعة الرضوان ، والصحيح سنان بن أبي سنان الأسدي . وفي « الصحيحين » عن ابن عمر رضي الله عنهما : « عرضت على النبي ﷺ عام أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني ،

وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني ، . فكان عبد الله ابن عمر رضي الله عنها ممن استصغر يوم أحد ، ومن الذين استصغروا يومئذ فردوا : البراء بن عازب ، وأبو سعيد الخدري ، وزيد بن أرقم ، ورافع بن خديج وغيرهم ، كما بينته في « شرح العمدة » .

وكان عبد الله بن عمر ، من أهل العلم والورع والزهد ، شديد التحري والاحتياط في فتواه ، وهو أحد العبادة الأربع ؛ هو ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وابن عمرو بن العاص رضي الله عنهم ، وليس منهم ابن مسعود رضي الله عنه ، لأنه توفي قبل إطلاق هذا الاسم عليهم ؛ كما قاله الامام أحمد رضي الله عنه . وهو أحد المفتين من الصحابة أصحاب المذاهب الذين انتشر علمهم .

قال في « أعلام الموقعين » : الدين والفقه والعلم انتشر في الأمة عن أصحاب ابن مسعود ، وأصحاب زيد بن ثابت ، وأصحاب عبد الله بن عباس ، وأصحاب عبد الله بن عمر رضي الله عنهم ، فعلم الناس عامته من أصحاب هؤلاء الأربعة ؛ فعلم أهل المدينة عن زيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمر ، وعلم أهل مكة عن أصحاب ابن عباس ، وعلم أهل العراق عن أصحاب ابن مسعود . وابن عمر أحد المكثرين ، والمكثر هو من روي له عن رسول الله ﷺ ألف حديث فصاعداً ، وهم سبعة : أبو هريرة ، وابن عمر ، وأنس ، وعائشة الصديقة ، وابن عباس ، وجابر بن عبد الله ، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم . وأكثرهم أبو هريرة كما قال الامام أحمد ، فروي له عن رسول الله ﷺ خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً ، ثم ابن عمر ، فروي له ألفا حديث وستمائة وثلاثون حديثاً ، ثم أنس ، فروي له ألفان ومائتان وستة وثمانون حديثاً ، ثم عائشة ، روي لها عن رسول الله ﷺ ألفان ومائتان وعشرة ، ثم ابن عباس ،

روي له ألف وستمائة وستون حديثاً ، ثم جابر ، روي له ألف وخمسمائة وأربعون حديثاً ، ثم أبو سعيد الخدري ، فروي له ألف ومائة وسبعون حديثاً .

ولد عبد الله بن عمر رضي الله عنها قبل الوحي بسنة ، ومات بمكة سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر ، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وله أربع وثمانون سنة ، وقيل : ستة وثمانون ، وهذا يـمـكـر على قولهم : إنه ولد قبل البعثة بسنة ؛ إلا أن يريدوا إسقاط ثلاث سنين مدة فترة الوحي ، لأن الصحيح المعتمد أنه ﷺ أقام بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة ، فيكون ابن عمر رضي الله عنها ، ولد في الثالثة من البعثة ، هذا يـثـبـت لا غبار عليه .

روى عن ابن عمر رضي الله عنها خلق كثير ، منهم ابنه : سالم ، وحمزة ، وكذا عبد الله ، وبلال ، ومولاه نافع ، والقاسم بن محمد ، وعروة بن الزبير وخلق كثير سواهم . وانكف عن الفتن ؛ فلم يقاتل في شيء من الحروب التي جرت بين المسلمين . قال طاووس : ما رأيت رجلاً أروع من ابن عمر ، ولا رأيت رجلاً أعلم من ابن عباس ، رضي الله عنهم . وقالت عائشة رضي الله عنها : ما رأيت أحداً ألزم للأمر الأول من عبد الله بن عمر . وقال ابن المسيب : لو كانت شاهداً لأحد من أهل العلم أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر . وقال نافع : كان ابن عمر إذا اشتد عجزه بشيء من ماله قربه لربه ، وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه ، فربما شمر أحدهم ولزم المسجد ، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنة أعتقه ، فيقول أصحابه : والله ما بهم إلا أن يخذعوك ، فيقول : من خدعنا بالله انخدعنا له . وقال ميمون بن مهران : أتت ابن عمر اثنتان وعشرون ألف دينار في مجلس ، فلم يقم حتى فرقها . وقال نافع : ربما تصدق ابن عمر في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً ، وأعطى بنافع عشرة آلاف

دينار ، فقيل له : ما تنتظر أن تبيع ؟ قال : فهلا ما هو خير من ذلك ! هو حرٌ
لوجه الله تعالى ، وما مات حتى أعتق ألف إنسان ، أو زاد . واشتكني
فاشتري له عنقود عنب بدرهم ، فجاءه مسكين يسأل ، فقال : أعطوه إياه ، ثم
خالف إليه إنسان ، فاشتراه منه بدرهم ، ثم جاء به إليه ، فجاءه المسكين يسأل ،
فأعطاه إياه ، ثم خالف إليه إنسان ، فاشتراه منه بدرهم أيضاً ، فأراد المسكين أن
يرجع فمنع ، ولو علم ابن عمر بذلك العنقود ما ذاقه . وقال رضي الله عنه : لو
علمت أن الله تعالى تقبل مني سجدة واحدة ، أو صدقة درهم ، لم يكن غائب أحب
إلي من الموت ، إنما يتقبل الله من المتقين . وكان يحكي الليل صلاة ، ثم يقول :
أسحرنا ؟ فيقال : لا ، فيعاود الصلاة ، ثم يقول : أسحرنا ؟ فيقال : نعم ، فيقعد
فيستغفر ويدعو حتى يصبح . وكان يحكي ما بين الظهر والعصر ، وكان إذا أصبح
قال : اللهم اجعلني من أعظم عبادك نصيباً في كل خير تقسمه الغداة ، ونور تهدي
به : ورحمة تنشرها ورزق تبسطه ، وضراً تكشفه ، وبلاء ترفعه ، وفتنة تصرفها .
وقال جابر رضي الله عنه : ما أدر كنا أحداً إلا وقد مالت به الدنيا ومال بها
إلا عبد الله بن عمر . وقال ابن عمر رضي الله عنهما : لا يصيب عبد شيئاً من
الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله ، وإن كان عليه كريماً . وقال له رجل :
يا خير الناس ، وابن خير الناس ! فقال : ما أنا بخير الناس ، ولا بابن خير الناس ،
ولكني عبد من عباد الله ، أرجو الله وأخافه ، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه .
وقال : أحب في الله وأبغض في الله ، ووال في الله وعاد في الله ؛ فانك لن تنال
ولاية الله إلا بذلك . ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى
يكون كذلك . ومناقب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كثيرة ، ومآثره شهيرة ،
وفيا ذكرناه كفاية ، والله الموفق .

(انتهى رسول الله ﷺ) النهي مقابل للأمر ، وصيغته لا تفعل ، من

الأعلى للأدنى . قال العلامة ابن اللحام في قواعد الاصولية : اشترط جمهور المعتزلة في حد الأمر الملو دون الاستعلاء - قال - وهو ظاهر قول أصحابنا ، وتابعهم الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، ونقله القاضي عبد الوهاب في المخلص ، عن أهل اللغة وجمهور أهل العلم ، واختاره . وشرط أبو حسين من المعتزلة الاستعلاء دون الملو ، وصححه الآمدي ، وابن الحاجب . والمتكلمون لا يشترطون علواً ولا استعلاء ، فالاستعلاء : الطلب بلفظة ، ورفع الصوت ، والعلو : أن يكون الطالب أعلى مرتبة ، ومع التساوي فهو التماس ، ومع دنو الطالب فهو سؤال . والنهي في ذلك كله مثل الأمر صحة وخلافاً . والنهي : حقيقة في التحريم ، نحو قوله تعالى : (ولا تقتلوا أنفسكم . ولا تقربوا الزنا . ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل . ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء) . قال في « شرح مختصر التحرير » : إن تجردت صيغة النهي عن القرائن والمعاني الصارفة لها عن حقيقتها ؛ فهي للتحريم عند الائتمة الأربعة ، وبالغ الشافعي في إنكار قول من قال : إنها للكرهية . فمعمد المذهب أن إطلاق النهي يدل على الفساد . قال الامام محمد الدين بن تيمية : نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه في مواضع - قال - وهذا قول جماعة الفقهاء ، وحكاها القاضي أبو يعلى . قال الخطابي : ظاهر النهي يوجب فساد المنهي عنه ؛ إلا أن تقوم دلالة على خلافه - قال - وهذا مذهب العلماء في قديم الدهر وحديثه . ذكره في « الاعلام » في النهي عن بيع الكلب . وقيل : لا يدل على فساد المنهي عنه مطلقاً ، ونقله في « المحصول » عن أكثر الفقهاء ، والآمدي عن المحققين . وقيل : يدل على الفساد في العبادات دون المعاملات ، والاصح الاول ، وأنه يدل على الفساد من جهة الشرع .

فائدة : نقل علي بن سعيد عن الامام احمد رضي الله عنه أنه قال : ما أمر به النبي ﷺ عندي أسهل مما نهى عنه ، وكذلك نقل عنه الميموني : الأمر

أسهل من النهي . انتهى . والنهي يقتضي الفور والدوام ، فقول الناهي عن شيء : لا تفعله ! مرة ، يقتضي تكرار الترك .

(عن بيع الولاء) - وهو بفتح الواو ممدوداً - والمراد بولاء العتق ثبوت حكم شرعي بالعتق ، أو تعاطي سببه ، ومعناه : أنه إذا أعتق عبداً أو أمة صار له عصبية في جميع أحكام التعصيب عند عدم العصبية من النسب ؛ كالإراث ، وولاية النكاح ، والعقل ، وغير ذلك . قال في «النهاية» : كانت العرب تبيع هذا الولاء وتهبّه ، فنهى النبي ﷺ عن ذلك ، لأن الولاء كالنسب ، فلا يزول بالازالة . (و) نهى ﷺ (عن هبته) - أي الولاء - يعني أنه لا يزول ، لا بمعاوضة ولا بغيرها . وروى الطبراني من حديث عبدالله بن أبي أوفى ، والحاكم ، والبيهقي من حديث ابن عمر رضي الله عنهم مرفوعاً : (الولاء لجة كلحمة النسب لا يباع ولا يوهب) . صححه الحاكم ، ورده الذهبي ، وشنع عليه . وأما الحديث الذي نحن بصدد شرحه ، فرواه الجماعة . قال النووي : في الحديث دليل على تحريم بيع الولاء وهبته ، وانها لا يصحان ، وأنه لا ينتقل الولاء ، يعني ، لا يبيع ولا هبة - قال - واختار بعض السلف نقله - قال - ولعله لم يبلغه الحديث . وانكر ابن وضاح ان يكون (وهبته) من كلام النبي ﷺ . انتهى .

والاصل في الولاء قوله تعالى : (فان لم تعملوا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) - يعني الادعاء - مع قوله ﷺ : (الولاء لمن أعتق) متفق عليه .

(فروع) :

الاول : الولاء لا يباع ولا يوهب ولا يورث ، ولكن يورث به ، ومعنى لا يورث وإنما يورث به ، لانه ﷺ شبهه بالنسب ، والنسب لا يورث ،

وإنما يورث به ، ولأنه إنما يحصل بانعجام السيد على رقيقه بالعتق ، وهذا المعنى لا ينتقل ، وإنما يرث به أقرب عصبة المعتق مع عدم عصبة النسب ، مع بقاء الولاء المعتق ، وهذا قول عمر ، وعلي رضي الله عنها وغيرهما .

الثاني : لو أعتق عبده بسائبة أو قال : أعتقتك ولا ولاء لي عليك ، أو اعتقه من زكاته أو كفارته أو نذره ، فله ولاؤه على معتمد المذهب ، قدمه في « الفروع » ، وهو قول الشافعي وأهل العراق . قال الامام الموفق : وهو أصح في النظر لعموم الاخبار ، وعن هزيل بن شرحبيل قال : « جاء رجل الى عبد الله فقال : إني أعتقت عبداً وجعلته سائبة ، فمات وترك مالاً ولم يدع وارثاً ، فقال عبد الله : إن أهل الاسلام لا يسيبون ، وإنما كان أهل الجاهلية يسيبون ، وأنت ولي نعمته ولك ميراثه ، وإن تأثمت وتخرجت في شيء ؛ فنحن نقبله ونجعله في بيت المال » ، رواه مسلم ، والبخاري منه : « إن أهل الاسلام لا يسيبون ، وإن أهل الجاهلية كانوا يسيبون » . وقال سعيد : حدثنا هشيم عن منصور ، أن عمر ، وابن مسعود رضي الله عنهما قالا في ميراث السائبة : هو الذي أعتقه ؟ وقال الامام مالك : يجعل ولاؤه لجماعة المسلمين .

الثالث : اتفق الأئمة على أن المعتق يرث عتيقه حيث لا وارث له من النسب إذا اتفقا في الدين ، واختلفوا فيما إذا اختلف الدينان بينهما ؛ فكان أحدهما مسلماً ، والآخر نصرانياً أو يهودياً ، فقال أبو حنيفة ومالك والشافعي : لا يستحق الارث بالولاء مع اختلاف الدين ، بل يكون موقوفاً ، فإن أسلم السيد ورثه ، وإن مات قبل أن يسلم ؛ كان ميراثه للمسلمين . وقال الامام احمد : يرثه وإن اختلف الدينان ، كما في رواية المروزي ، والعقل بن زياد ، وهو معتمد المذهب ، والله أعلم .

الحديث الثاني

٢ — حدثنا سفيان ، قال : حدثني عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ ، قال : لا تدخلوا على هؤلاء القوم الذين عذبوا إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين ، فلا تدخلوا عليهم ، فاني أخاف أن يصيبكم ما أصابهم .

قال : (حدثنا سفيان) هو ابن عيينة (قال : حدثني عبد الله بن دينار عن) أبي عبد الرحمن عبد الله (بن عمر) رضي الله عنها (عن النبي ﷺ) أنه (قال) لأصحابه ، يعني لما وصلوا الحجر ، ديار ثمود في حال توجههم الى تبوك (لا تدخلوا على هؤلاء القوم) - يعني ثمود - أي لا تدخلوا ديارهم ومساكنهم (الذين عذبوا) أي عذبهم الله تعالى بسبب كفرهم ومعاصيهم ، يعني أنزل عليهم العذاب في ديارهم ومساكنهم (إلا أن تكونوا) في حال دخولكم لها (باكين) من خوف عقاب الله وعذابه الذي حل بأعدائه في مساكنهم ومنازلهم ، فربما يكون أثر ذلك لم يزل بتلك المنازل ، وليس المراد الاقتصار في ذلك على ابتداء الدخول ؛ بل دائماً عند كل جزء من الدخول ؛ بل البكاء مطلوب في حال الاستقرار في تلك الديار بالأولى . ومن ثم لم ينزل رسول الله ﷺ فيها البتة ، ولم يصل هناك . قاله ابن بطال وغيره . (فإن لم تكونوا باكين) للاعتبار بما نزل بهم (فلا تدخلوا عليهم) ديارهم التي حل بهم العذاب فيها ، ونزل عليهم العقاب وهم مستوطنوها . وفي لفظ : « لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين » (فاني) الفاء تعليلية (أخاف) إن دخلتم مساكنهم على غير هيئة الاعتبار والبكاء والادكار (أن يصيبكم) بسبب حلولكم في ديارهم

(ما أصابهم) من البلاء والعذاب ؛ لبقاء أثر الغضب على تلك البقاع . وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « لما مرّ النبي ﷺ بالحجر قال : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم ، إلا أن تكونوا باكين ، ثم قنّع رأسه ﷺ وأسرع السير حتى أجاز الوادي ، وهذا الحديث بروايته صحيح ، رواه البخاري ومسلم وغيرهما . وروى الحاكم في « الاكليل » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : رأيت رجلاً جاء بخاتم وجده في الحجر في بيوت المعذنين ، فأعرض عنه ﷺ ، واستتر بيده أن ينظر إليه وقال : ألقه ، فألقاه ، لكن إسناده ضعيف .

وتمود : هم قوم صالح نبي الله سبحانه ، ابن عبيد بن عابر بن إرم بن سام ابن نوح ، وتمود من عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وكانت منازلهم بالحجر ، وبين الحجر وبين قرح ثمانية عشر ميلاً . قرح : هي وادي القرى . ولما قال له قومه : اثنتا بآية ، أتى بهم هضبة ، فلما رآته تمخضت كما تمخض الحامل ، وانشقت عن الناقة . وعافر الناقة ، هو أحمر تمود ، واسمه قُدار بن سالف ، وكان أحمر أشقر أزرق قصيراً ، ويضرب به المثل في الشؤم ، والعافر الآخر ، مصعد بن مبرج ، وكان نحيفاً طويلاً ، أهوج مضطرباً . ولما عقرت الناقة ، صعد فصيلها جبلاً عالياً ، يقال له : صنو ، فطلبوه فلم يقدروا ، فلما رأى صالح ذلك أحزنه وبكى ، ثم رعى الفصيل ثلاثاً ، فانفجرت الصخرة ، فدخلها ، فوعدهم بالعذاب ، فقال : تتموا في داركم ثلاثة أيام ، لكل دعوة يوم . فأصابهم في اليوم الاول — وكان نهار الخميس — صفرة ، فأصبحوا مصفرين ، وفي اليوم الثاني أصبحت وجوههم حمرة ، كأنها قد خضبت بالدماء ، وأصبحوا في اليوم الثالث وقد اسودت وجوههم ، كأنها طليت بالقار ، وصبحهم العذاب يوم الاحد ، فأتتهم صيحة من

السما ارتجت لها الدنيا ، فتقطعت قلوبهم في صدورهم ، فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا هلك ، ولحق صالح ومن معه ممن كان قد آمن من قومه بمكة ، وتوفي بمكة ، ودفن بالحجر ، وله من العمر مائتان وثمانون سنة . وقيل : إنه خرج ومن معه من المؤمنين ليلة الاحد من بين أظهرهم ، فنزل في الرملة من بلاد فلسطين فمات بها ، ودفن في جامعها المعروف الآن بالابيض . واقتصر ابن قتيبة في « المعارف » على أنهم ماتوا بمكة هو ومن معه ، وأن قبورهم غربي الكعبة بين دار الندوة والحجر ، وأن الله تعالى أهلك ثمود قوم صالح . قال صالح عليه السلام لمن آمن معه : يا قوم إن هذه دار قد سخط الله على أهلها فاطعنوا عنها ، والحقوا بحرم الله وأمنه ، فأهلوا من ساعتهم بالحج ، وأحرموا في العباء ، ورحلوا قلائص حمراً مخطمة بحبال من ليف ، ثم انطلقوا يلبون حتى وردوا مكة ، فلم يزالوا بها حتى ماتوا ، والله أعلم .

(فرعان) :

الاول : جزم علماؤنا بأنه لا يباح من ماء آبار ثمود غير بئر الناقة . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : هي البئر الكبيرة التي يردها الحجاج في هذه الأزمنة - يعني أزمنته - قلت : هي الآن مجهولة ، فقد سألت عنها لما مررنا بها في ذهابنا وإيابنا سنة حجنا ، وهي سنة الف ومائة وثمانية وأربعين ، فلم يخبرني بها أحد . قال في « الاقناع » : فظاهره لا تصح الطهارة به ، كماء منصوب ، أو ثمنه المعين حرام ؛ فيتيمم معه لعدم . قال في « الفروع » : احتج الامام أحمد بقصة عجن الصحابة بماء آبار ثمود ، وأمرهم بأن لا يأكلوه ، وأن يطعموه لدوابهم ، على أنه يجوز علف نجاسة لحيوان لا يذبح ، أو يحلب قريباً . قال في « الفروع » : فدل على تحريم آبار ثمود . قال : وسأله مهنا عن نزل الحجر : أي شرب من مائها أو يمجن به ؟ قال : لا ! إلا من ضرورة - قال - ولا يقيم بها . وعن ابن عمر رضي

الله عنها : « أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر أرض ثمود - فاستقوا من آبارها ، وعجنوا به العجين ، فأمرهم ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من آبارها ، ويلفوا الابل العجين ، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة » رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم . قال في « الفروع » : ولا وجه لظاهر كلام الاصحاب رحمهم الله على إباحته مع الخبر ، ونص الامام أحمد . انتهى .

الثاني : قال في « الاقناع » : مسا كن ثمود لا تملك بالاحياء لعدم دوام البكاء مع السكنى والانتفاع ؛ قاله الحارثي ، قال في « الاقناع » : ويكره دخول ديارهم إلا لباك معتبر ؛ لا يصيبه ما أصابهم . انتهى . قلت : كراهة الدخول والاقامة لا تمنع الملك . وقد صرح جل علمائنا كغيرهم بأنها تملك ، والله الموفق وفي الحديث الحث على مجانية محال غضب الله وسخطه ، والمباعدة عن قبور الظلمة وديارهم ومصارعهم ، مع الغفلة عما أصابهم من عقاب الله وعذابه ، وإن أثر غضبه له تأثير في المحال كالحال . فان قيل : كيف يصيب عذاب الظالمين من ليس بظالم ؟ فالجواب أن الشارع ﷺ أرشد أمته إلى التفكير والاعتبار بالباعث للخشية ، فكأنه أمرهم بالتفكير في أحوال توجب البكاء من تقدير الله تعالى على أولئك بالكفر ، مع تمكنهم في الارض وإهمالهم مدة طويلة ، ثم ايقاع نقمته بهم وشدة عذابه عليهم وهو سبحانه مقلب القلوب ، فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته الى مثل ذلك ، والتفكير أيضاً في مقابلة أولئك نعمة الله بالكفر ، وإهمالهم إعمال عقولهم فيما يوجب الايمان به ، والطاعة لنبيه ، فمن مر عليهم ولم يتفكر فيما يوجب البكاء اعتباراً بأحوالهم ؛ فقد شابههم في الإهمال ، ودل على قساوة قلبه ، وعدم خشوعه ، فلا يأمن أن يحمله الى العمل بمثل أعمالهم ، فيصيبه ما أصابهم ، فهذا التقرير لا يأمن أن يصير ظالماً ، فيعذبه بظلمه ، والله الموفق .

الحديث الثالث

٣ — حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ،

قال : سئل النبي ﷺ عن الضب ، فقال : لا آكله ولا
أحرمه .

قال (حدثنا) أبو محمد (سفيان) بن عيينة (عن عبد الله بن دينار عن)
أبي عبد الرحمن عبد الله (ابن عمر) رضي الله عنها (قال : سئل) — بضم السين
المهمل على صيغة ما لم يسم فاعله — (النبي) — بالرفع نائب فاعل — (ﷺ) عن
الضب (أي حكم أكل لحمه . قال الحافظ ابن حجر في كتابه « فتح الباري لشرح
البخاري » : يحتمل أن يكون السائل جذيمة بن جزء ، فقد أخرج ابن ماجه من حديثه
« قلت : يا رسول الله ! ما تقول في الضب ؟ فقال : لا آكله ولا أحرمه — قال — قلت :
فاني آكل ما لم تحرم » وسنده ضعيف . وعند مسلم والنسائي من حديث أبي سعيد
« قال رجل : يا رسول الله ! إنا بأرض مضبة ، فما تأمرنا ؟ قال : ذكر لي أن أمة
من بني إسرائيل مسخت . فلم يأمر ، ولم ينه » . وقوله : مضبة . بضم أوله
وكسر الضاد المعجمة ، أي كثيرة الضباب — قال — وهذا يمكن أن
يفسر بثابت بن وديعة ؛ فقد أخرج أبو داود والنسائي من حديثه ؛ قال :
« أصبت ضباباً ، فشويت منها ضباً ، فأتيت به رسول الله ﷺ ، فأخذ عوداً ،
فعد به أصابعه ، ثم قال : إن أمة من بني إسرائيل مسخت دواب في الأرض ،
ولم يلا أدري أي الدواب هي ؛ فلم يأكل ، ولم ينه » وسنده صحيح . والضب
بفتح الضاد المعجمة وتشديد الموحدة — حيوان صغير ذو ذنب ، يشبه بالخردون

بكسر الحاء المهملة - وقيل : الحردون ، ذكر الضب ، حكاة الجوهرى ، ذكره في « المطلع » وفي « الفتح » : الضب دويبة تشبه الحردون ، لكنه أكبر منه ، ويكنى أبا حسل - بمهملتين مكسورة فساكنة - ويقال للاثني : ضبة ، وبه سميت القبيلة ، وبالحيف من منى جبل يقال له : ضب ، والضب أيضاً : داء في خف البعير ، ويقال : إن لأصل ذكر الضب فرعين ، ولهذا يقال : له ذكران . وذكر ابن خالويه أن الضب يعيش سبعائة سنة ، وأنه لا يشرب الماء ، ويبول كل أربعين يوماً قطرة ، ولا يسقط له سن ، ويقال : بل أسنانه قطعة واحدة . وحكى غيره أن أكل لحمه يذهب العطش . ومن الأمثال : لا أفعل كذا حتى يرد الضب ، يقوله من أراد أن لا يفعل الشيء ، لأن الضب لا يرد ، بل يكتفي بالغيم وبرد الهواء ، ولا يخرج من جحره في الشتاء (فقال صلى الله عليه وسلم : (لا آكله) - أي الضب - (ولا أحرمه) . وفي لفظ « الصحيحين » وغيرهما : « لست آكله ولا أحرمه » وفي مسلم من طريق نافع عن ابن عمر « سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر ، وفي « مسند » الإمام أحمد ، وفي البخاري ، ومسلم ، والموطأ ، والترمذي ، والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معه ناس فيهم سعد ، وأتوا بلحم ضب ، فنادت امرأة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم : إنه لحم ضب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلوه فإنه حلال ، ولكنه ليس من طعامي » وفي رواية لمسلم : « أتني بضب فلم يأكله ولم يحرمه » وفي أخرى أنه سئل عن الضب فقال : لا آكله ولا أنهى عنه ، وفي رواية الموطأ : « أن رجلاً نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! ما ترى في الضب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لست بأكله ولا بحرمه » وفي « المسند » والبخاري ، ومسلم ، وأبي داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن

خالد بن الوليد سيف الله أخبره أنه دخل مع رسول الله ﷺ على ميمونة زوج
 النبي ﷺ - وهي خالته ، وخالة ابن عباس - فوجد ضباً محنوداً بحساء مهملة
 ساكنة ، فنون مضمومة ، وآخره ذال معجمة ، أي مشوي بالحجاري المحمأة
 - قدمت به أختها حفيذة بنت الحارث من نجد ، فقدمت الضب لرسول الله ﷺ
 وكان قل ما يقدم يديه لطعام حتى يحدث عنه ، ويسمى له ، فأهوى رسول الله
 ﷺ بيده إلى الضب ، فقالت امرأة من النسوة الحضور : أخبرن رسول الله
 ﷺ بما قدمت له . قلن : هو الضب يا رسول الله ، فرفع رسول الله ﷺ يده ،
 فقال خالد بن الوليد : أحرام الضب يا رسول الله ؟ قال : لا ! ولكنه لم يكن
 بأرض قومي ، فأجذني أعافه . - قال خالد : فاجتزته بحجم وزاي ، هذا هو
 المعروف في كتب الحديث ، أي فأكلته - ورسول الله ﷺ ينظر ، فلم ينهي ،
 ففي هذين الحديثين وغيرهما جواز أكل الضب . وحكى عياض عن قوم تحريمه ،
 وعن الحنفية كراهته ، وأنكر ذلك النووي وقال : لا أظنه يصح عن أحد ، وإن
 صح فهو محجوج بالنصوص ، وبإجماع من قبله . قال في «الفتح» وقد نقله ابن
 المنذر عن علي ، فأبي إجماع يكون مع مخالفته . ونقل الترمذي
 كراهته عن بعض أهل العلم ، وقال الطحاوي في «معاني الآثار» :
 كره قوم أكل الضب ، منهم أبو حنيفة ، وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن
 - قال - واحتج محمد بحديث عائشة : « أن النبي ﷺ أهدي له ضب فلم يأكله ،
 فقام عليهم سائل ، فأرادت عائشة أن تعطيه : فقال لها ﷺ : أعطينه مالا
 تأكلين ! » قال الطحاوي : ما في هذا دليل على الكراهة ، لاحتمال أن تكون
 عافته ، فأراد النبي ﷺ أن لا يكون ما يتقرب به إلى الله إلا من خير الطعام ؛
 كما نهى أن يتصدق بالتمر الرديء . انتهى . وقد جاء عن النبي ﷺ « أنه
 نهى عن الضب » أخرجه أبو داود بإسناد حسن . ولا التفات لقول الخطابي :

ليس اسناده بذاك ، ولا بقوم ابن حزم : فيه ضعفاء ومجهولون ، وقول البيهقي :
تفرد به اسماعيل بن عياش ، وليس بحجة ، وقول ابن الجوزي : لا يصح ؛ لأن
في ذلك كله تساهلاً لا يخفى ؛ لانه من رواية اسماعيل بن عياش عن ضمضم بن
زرعة عن شريح بن عتبة ، عن أبي راشد الجبراني ، عن عبد الرحمن بن شبل
رضي الله عنه ، وحديث ابن عياش عن الشاميين قوي ، وهؤلاء شاميون ثقات ،
وقد صحح البخاري بعض رواية ابن عياش عن الشاميين . وقد أخرج الامام
أحمد وأبو داود وابن حبان وصححه من حديث عبد الرحمن بن حسنة رضي الله
عنه : « نزلنا أرضاً كثيرة الضباب » الحديث ، وفيه : « أنهم طبخوا منها ، فقال
ﷺ : إن أمة بني اسرائيل مسخت دواب في الارض ، فأخشى أن تكون هذه
فأكفؤوها » وأخرجه الطحاوي ، وسند هذا الحديث على شرط الشيخين إلا
الضحاك ، فلم يخرج جاله .

فان قلت : ما وجه هذا مع ما تقدم من الاحاديث الدالة على إباحة الضب
تصريحاً وتلويحاً ونصاً وتقريراً ؟ فالجواب : حمل النهي فيه على أول الحال
عند تجويز أن يكون مما مسح ، وحينئذ أمر بكفاء القدور ، ثم توقف فلم يأمر
ولم ينه عنه ، وأما الاذن فيه فمحمول على ثاني الحال ، لما علم ﷺ أن المسوخ
لا نسل له . ثم إنه عليه الصلاة والسلام بعد ذلك كان يستفدّره ، فلا يأكله ولا
يحرمه ، وأكل على مائدته ، فدل على الإباحة . ومن كرهه ؛ فكراهته للتنزيه
في حق من يتقذّره . وتحمل أحاديث الإباحة على من لا يتقذّره ، ولا يلزم من
ذلك أنه يكره مطلقاً . وقد أفهم كلام ابن العربي عدم حله لمن يتقذّره ؛ لما
يتوقع في أكله من الضرر .

تنبيه : ذكر الحافظ ابن حجر في « الفتح » متعجباً من ابن العربي حيث

قال : قولهم : إن المسوخ لا ينسل . هذا أمر لا يعرف بالعقل ، وإنما طريقه النقل ، وليس فيه أمر يعول عليه . كذا قال ، وكأنه لم يستحضره من صحيح مسلم ، ثم قال : وعلى تقدير ثبوت كون الضب ممسوخاً ؛ فذلك لا يقتضي تحريم أكله ، لأن كونه آدمياً قد زال حكمه ، ولم يبق له أثر أصلاً ، وإنما كره صلى الله عليه وسلم الأكل منه لما وقع عليه من سخط الله ، كما كره الشرب من مياه نمود . انتهى .
قال في « الفتح » : ومسألة جواز أكل الآدمي إذا مسخ حيواناً مأكولاً ؛ لم أرها في كتب فقهاءنا .

قلت : ظاهر كلام علمائنا عدم إباحة جميع المسوخ . قال الامام أحمد في القنفذ : إنه بلغه أنه مسخ . قال في « الفروع » : أي لما مسخ على صورته دل على خبثه ، قاله شيخنا - يعني شيخ الاسلام ابن تيمية - . انتهى . والحديث ظاهره يقتضي التحريم ، والله أعلم .

الحديث الرابع

٤ - حدثنا سفيان ، قال سمعته من ابن دينار ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : إذا سلم عليكم اليهودي ؛ فإنما يقول : السام عليك ، فقل : وعليك .

وقال مرة : إذا سلم عليكم اليهودي ؛ فقولوا : وعليكم ، فإنهم يقولون : السام عليكم .

قال رضي الله عنه : (حدثنا سفيان) بن عيينة (قال) أي سفيان (سمعته) أي الحديث الآتي (من) عبد الله (بن دينار ، عن) أبي عبد الرحمن عبد الله (ابن

(عمر) رضي الله عنها (عن النبي صلى الله عليه وسلم) أنه قال : (إذا سلم عليكم
 معشر المسلمين (اليهودي) واحد اليهود ، حذفت ياء النسبة من جمعهم ، كزنجي ،
 وزنج ، وفي تسميتهم بذلك خمسة أقوال : أحدها قولهم : إنا هدنا اليك ، والثاني :
 أنهم هادوا من عبادة العجل ، أي - تابوا - والثالث : أنهم مالوا عن دين الاسلام ،
 ودين موسى . والرابع : أنهم يهودون عند قراءة التوراة ، أي يتحركون ويقولون :
 السموات والأرض تحركت حين آتى الله موسى التوراة ؛ قاله أبو عمرو بن العلاء
 والخامس : نسبتهم الى يهوذا بن يعقوب ، فقليل لهم : يهود بالذال المعجمة ، ثم
 عرب بالمهمل ، نقله غير واحد . والمراد باليهود ، ما يشمل سائر فرقهم من السامرة
 والغزائين وغيرهما . (فأنما يقول) : وفي لفظ عند البخاري : (إنما يقول أحدهم
 بتسليمه عليكم : (السام) بالسين المهملة ، بغير همز وهو الموت ، وقيل : الموت
 العاجل (عليك) بالافراد ، كذا لعامتهم (فقل) : أمر منه صلى الله عليه وسلم
 بالرد عليهم على وفق ابتدائهم (و عليك) هكذا هو في « المسند » وجميع نسخ
 « صحيح البخاري » ، والذي عند جميع رواة الموطأ بلفظ ، فقل : عليك ، ليس
 فيه الواو . وأخرجه أبو نعيم في المستخرج من طريق يحيى بن بكير ، ومن طريق
 عبد الله بن نافع ، كلاهما عن مالك بآثار الواو . (وقال) سفيان عن ابن دينار
 عن ابن عمر (مرة : إذا سلم عليكم اليهودي ، فقولوا :) في الرد عليه (و عليكم ،
 فانهم) الفاء تعليلية ، أي اليهود (يقولون : السام) أي الموت (عليكم) . وأخرجه
 النسائي من طريق ابن عيينه ، عن ابن دينار بلفظ : « إذا سلم عليكم اليهودي
 والنصراني ، فأنما يقول : السام عليكم ، فقل : عليكم » بغير واو وبصفة الجمع ،
 وأخرجه أبو داود من رواية عبد العزيز بن مسلم ، عن عبد الله بن دينار ، وقال :
 وكذا رواه مالك والثوري عن عبد الله بن دينار ، قال فيه : و عليكم . ويأتي من
 حديث أنس : « إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : و عليكم » وقد ورد هذا

الحديث بألفاظ مختلفة ، أخرجه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود وغيرهم . والجمع بين رواياته أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر ، وأتمها سياقاً رواية هشام بن زيد بن أنس : سمعت أنس بن مالك يقول : « مرَّ يهودي بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال : السام عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعليك ، ثم قال : أتدرون ماذا يقول ؟ قال : السام عليك ، قالوا : يا رسول الله ! ألا تقتله ؟ قال : إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : « وعليكم » وفي رواية الطيالسي أن القائل ألا تقتله : عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان بعض الصحابة لما أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن اليهود تقول ذلك ؛ سألوا حينئذ عن كيفية الرد عليهم .

وقد اختلف العلماء في إثبات الواو وإسقاطها في الرد على أهل الكتاب ، لاختلافهم في أي الروايتين أرجح ، فذكر ابن عبد البر عن ابن حبيب : لا يقولها بالواو ؛ لأن فيها تشريكا ، وبسط ذلك أن الواو في مثل هذا التركيب تقتضي تقرير الجملة الأولى وزيادة الثانية عليها ، كمن قال : زيد كاتب ، فقلت : وشاعر ؛ فانه يقتضي ثبوت الوصفين لزيد - قال - وخالفه جمهور المالكية ، وقال بعض شيوخهم : يقول : عليكم السلام - بكسر السين - يعني الحجارة ، ووهاه ابن عبد البر ، بأنه لم يشرع لناسب أهل الذمة ، ويؤيده إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة لما قالت لهم : عليكم السلام واللجنة يا إخوان القردة . وذكر ابن عبد البر عن طاووس قال : يقول علاكم السلام بالألف - أي ارتفع .

وزهد جماعة من السلف إلى أنه يجوز أن يقال في الرد عليهم : عليكم السلام ، كما يرد على المسلم ، واحتج بعضهم بقوله تعالى : (فاصفح عنهم وقل سلام) . قلت : حكاه العلامة ابن مفلح في « الآداب الكبرى » عن عمر بن عبد العزيز ، ولفظه : قال ابن عبد البر : قيل لمحمد بن كعب القرظي : إن

عمر بن عبد العزيز سئل عن ابتداء أهل الذمة بالسلام . قال : يرد عليهم ولا يمدوهم بالسلام ، فقال له : لم ؟ فقال : لقوله عز وجل : (فأعرض عنهم وقد سلام) . كذا قال ، وهو غريب . انتهى . وفي « الفتح » أنه حكاه الماوردي وجها عن بعض الشافعية ؛ لكن لا يقول : ورحمة الله ، وقيل : يجوز مطلقاً . وعن ابن عباس ، وعلقمة : يجوز ذلك عند الضرورة . وعن الأوزاعي : إن سلمت فقد سلم الصالحون ، وإن تركت فقد تركوا . وعن طائفة من العلماء : لا يرد عليهم السلام أصلاً ، وعن بعضهم التفرقة بين أهل الذمة وأهل الحرب . والراجح من هذه الأقوال ما دل عليه الحديث ؛ ولكنه مختص بأهل الكتاب . قلت : الذي اعتمدته علماؤنا عدم بداءة أهل الذمة بالسلام . قال في « الآداب الكبرى » . هذا هو الذي عليه عامة العلماء سلفاً وخلفاً ، لأنه صلى الله عليه وسلم نهى عن بداءتهم بالسلام ، وذلك في « الصحيحين » وغيرهما .

قال الامام احمد في رواية أبي داود ، وسئل عمن يتقدم الذي بالسلام إذا كانت حاجته اليه - قال - لا يعجبني ، وقال في رواية أبي الحارث ، وسأله قال : مررت بقوم جلوس وفيهم نصراني أسلم عليهم ؟ قال : سلم عليهم ولا تنوه ، وروى الامام احمد ، والشيخان ، والترمذي من حديث أسامة بن زيد : « أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بمجلس فيه أخلاط من اليهود فسلم عليهم » . وسئل الامام أحمد عن رجل له قرابات مجوس من أهل الذمة يدخل عليهم ، أسلم عليهم ؟ قال : لا ، قيل له : كيف يقول ؟ قال : يقول : أبدرا تم^(١) ولا يبدأ بالسلام . قال الشيخ تقي الدين : فقد نهى عن الابتداء مطلقاً ، ورخص عند قوم المسلم أن يحیی بمثل أبدرا تم . قال في « الآداب » : وذهب بعض العلماء أنه لا يحرم وهو وجه لبعض الشافعية ، وذهب بعض العلماء إلى جوازه للحاجة .

(١) وكذا في الآداب الشرعية ١ ، ١٢٠

قال ابن مفلح في « الآداب » : وذكر بعض أصحابنا المتأخرين احتمالاً رأيته بخط القاضي تقي الدين الزريراني البغدادي ، قال : وتأول ابن عبيد البر النهي عن بداعتهم على أن معناه ليس عليكم أن تبدؤوهم - قال بدليل ما روى الوليد بن مسلم عن عروة بن رويم ، قال : كان أبو أمانة الباهلي رضي الله عنه ، يسلم على كل من لقي من مسلم وذمي ، ويقول : هي تحية لأهل ملتنا ، واسم من أسماء الله نفسه يديننا - قال - ومحال أن يخالف أبو أمانة السنة في ذلك ، كذا قال .

قال ابن مفلح : وأبو أمانة إن صح ذلك عنه ؛ فقد خالفه غيره بلا شك . والنهي ظاهر في التحريم ، والاصل عدم الاضمار ، وقد خالف ابن عبيد البر مالكا في هذه المسألة . قال ابن مفلح : وكلام الامام أحمد فيه متردد بين التحريم والكراهة ، وظاهر كلام الاصحاب التحريم . انتهى . هذا كله في ابتدائهم في السلام .

وإن سلم أحدهم ؛ فجزم علماؤنا بوجوب الرد .

قال في « الآداب الكبرى » : فإن سلم أحدهم ، أي أهل الذمة ، وجب الرد عليه عندنا وعند عامة العلماء ، لصحة الأحاديث عنه عليه الصلاة والسلام بالأمر بالرد - قال - : وذهب بعضهم إلى أنه لا يجيب ، ورواه ابن وهب وأشهب عن مالك .

وصفته : عليك أو عليكم ، بحذف الواو وبإثباتها ، صحت هذه الألفاظ عن النبي ﷺ - قال - واختار أصحابنا الواو ، وذكر ابن موسى في « الارشاد » حذفها ، وقطع به .

قال القاضي عياض من المالكية : اختار بعض العلماء ، منهم ابن حبيب المالكي حذف الواو ، لئلا يقتضي التشريك . وقال غيره بإثباتها ، كما هو في أكثر الروايات . وقال الخطابي : عامة المحدثين يروونه : وعليكم بالواو - قال - وكان ابن عيينة يرويه : عليكم بحذف الواو - قال - وهو الصواب ؛ لأنه إذا حذف

الواو صار قولهم الذي قالوه بعينه مردوداً عليهم ، فادخل الواو توجب الاشتراك معهم والدخول فيما قالوه ، لأن الواو للعطف والجمع بين الشئيين ، وقال غيره : الواو أجود كما في أكثر الروايات ولا مفسدة فيه ، لأن السام الموت وهو علينا وعليهم ، وقيل : إن الواو هنا للاستئناف لالعطف والتشريك ، فقوله : وعليكم أي ما تستحقونه من الذم ، ولا يجوز الزيادة على ذلك ، نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه . وتقدم أن للشافعية وجهاً تجوز أن يقال : وعليكم السلام ، وإن بعض العلماء كسر السين . وذكر ابن حمدان من علمائنا في آخر « الرعاية » أن الذمي إذا كسر السين من السلام وهي الحجارة رد عليه مثله ، وذكره ابن موسى ، والأول - يعني الاقتصار على « وعليكم » - أولى عملاً بالأحاديث الواردة فيه ، وقال الشيخ تقي الدين بن تيمية : إذا سلم الذمي على المسلم فانه يرد عليه مثل تحيته ، وإن قال : أهلاً وسهلاً فلا بأس ، كذا قال ، وجزم في موضع آخر بمثل قول الأصحاب . والله الموفق .

الحديث الخامس

هـ - حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر عن النبي ﷺ : إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث .

وقال مرة : إن النبي ﷺ نهى أن يتناجى الرجلان دون الثالث إذا كانوا ثلاثة .

قال رضي الله عنه : (حدثنا) أبو محمد (سفيان) بن عيينة (عن) أبي

عبد الرحمن (عبد الله بن دينار عن) أبي عبد الرحمن عبد الله (ابن عمر) رضي الله عنها (عن النبي ﷺ) أنه قال: (إذا كنتم ثلاثة) هكذا الأكثر، بنصب ثلاثة على أنها الخبر، ووقع في رواية لمسلم: إذا كان ثلاثة بالرفع على أن كان تامة، كذا في «الفتح» (فلا يتناجي اثنان دون الثالث) أي لا يتحدثان سراً، من المناجاة وهي المسارة، يقال: ناجاه مناجاة، سارّه، وانتجاه خصّه بمناجاته، كما في «القاموس»، وفي «النهاية» المناجي هو المخاطب للإنسان والمحدث له، يقال: ناجاه يناجيه مناجاة فهو مناج، والنجي فعيل منه، وفي رواية: لا يتناجي اثنان دون صاحبها، أي لا يتساران منفردين عنه، لأن ذلك يسوؤه. وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجي اثنان دون الآخر حتى يختلطوا بالناس، من أجل ذلك يحزنه». قال الخطابي: وإنما يحزنه لأجل معنيين؛ أحدهما: أنه ربما يتوهم أن نجواهما التبييت رأي أو تدسيس غائلة له، والثاني: من أجل الاختصاص بالكرامة وهو يحزن صاحبه، وعند الأكثر فلا يتناجي باثبات الألف المقصورة في الخط بصورة الياء، وإنما سقطت الألف في اللفظ لانتقاء الساكنين، بلفظ الخبر ومعناه النهي، وفي بعض نسخ البخاري بحيم فقط، بلفظ النهي ومعناه.

(وقال) ابن عمر رضي الله عنهما (مرة: إن النبي ﷺ نهى) نهى كراهة أو تحريم، كما سندر الخلاف فيه (أن يتناجي) أي يتسار (الرجلان)، ولعل المراد بالرجلين الشخصان (دون الثالث إذا كانوا ثلاثة)، بخلاف ما إذا كانوا أربعة فإنه لا يمتنع تناجي اثنين، لا يمكن أن يتناجي الاثنان الآخران، وقد ورد ذلك صريحاً فيما أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» وأبو داود وصححه ابن حبان من طريق أبي صالح عن ابن عمر رفعه قلت: فإن كانوا أربعة قال: لا يضره، وفي رواية مالك عند عبد الله بن دينار «كان ابن عمر رضي الله

عنها إذا أراد أن يسارر رجلاً وكانوا ثلاثة دعى رابعاً ، ثم قال للثنين :
استرخيا شيئاً ، فاني سمعت . . . ، فذكر الحديث ، وفي رواية سفيان في جامعه
عن عبد الله بن دينار نحوه ، ولفظه « فكان ابن عمر إذا أراد أن يناجي رجلاً
دعا آخر ، ثم ناجى الذي أراد ، وله من طريق نافع « إذا أراد أن يناجي وهم
ثلاثة دعا رابعاً » وهذا يؤخذ من حديث ابن مسعود من قوله : « حتى يختلطوا
بالناس » فانه يفيد أنه متى ما اختلط بأحد ، سواء جاء اتفاقاً ، أم عن طلب ،
كما فعل ابن عمر زال المانع . قال العلامة ابن مفلح في « الآداب الكبرى » :
ويكره أن يتناجى اثنان دون ثالثها ، قاله في « الرعاية » ، وقال في « المجرّد » :
ولا يتناجى اثنان دون واحد ، قال في « الآداب » : وقد يؤخذ منه أي من
كلام « المجرّد » التحريم ، وجزم به النووي ، قال في « الفتح » : قال النووي :
النهى في الحديث للتحريم إذا كان بغير رضاه ، وقال في موضع آخر : إلا باذنه ؛
أي صريحاً كان أو غير صريح ، والاذن أخص من الرضى ؛ لأن الرضى قد
يعلم بالقرينة فيكتفى بها عن التصريح ، والرضى أخص من الاذن من وجه
آخر ؛ لأن الاذن قد يقع مع الاكراه ونحوه ، والرضى لا يطلع على حقيقته ؛
لكن الحكم لا يناط إلا بالاذن الدال على الرضى .

وظاهر الاطلاق أنه لا فرق في ذلك بين الحضر والسفر . قال في
« الآداب الكبرى » : النهي عام وفاقاً للمالكية والشافعية ، وفي « الفتح » : عدم
الفرق قول الجمهور ، وقال في « الآداب » : وخصه بعض العلماء بالسفر ، قال في
« الفتح » : حكى عن أبي عبيد بن جربونة أنه قال : هو مختص بالسفر في
الموضع الذي لا يأمن فيه الرجل على نفسه ، فأما في الحضر وفي العمارة فلا بأس ،
وحكى عياض نحوه ، ولفظه : قيل : إن المراد بهذا الحديث السفر ، والمواضع
التي لا يأمن فيها الرجل رفيقه ، أو لا يعرفه ، أو لا يثق به ويخشى منه — قال —

وقد روي في ذلك أثر ، وأشار بذلك الى ما أخرجه الامام أحمد من طريق أبي سالم الخشاني عن عبيد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « ولا يحل لثلاثة يكونون بأرض فلاة أن يتناجى اثنان دون صاحبهما ، وفي سنده ابن لهيعة ، وعلى تقدير ثبوته فتقييده بأرض فلاة يتعلق بأحد علي النهي اللتين ذكرناهما في كلام الخطابي .

تنبيهات

الأول : استثنى في « الفتح » صورة مما تقدم عن ابن عمر من إطلاق الجواز إذا كانوا أربعة ، وهي ما لو كان بين الواحد الباقي وبين الآتي مقاطعة بسبب يعذران أو أحدهما به ، فانه يصير في معنى المنفرد .

الثاني : أفهم التعليل المار امتناع المناجي من المناجاة إذا كان ممن إذا خص أحداً بمناجاته أحزن الباقيين ؛ إلا أن يكون في أمر مهم لا يقدر في الدين . وقد نقل ابن بطل عن أشهب عن مالك قال : لا يتناجى ثلاثة دون واحد ، ولا عشرة ؛ لأنه قد نهى أن يترك واحد ، وهذا مستنبط من الحديث ؛ لأن المعنى في ترك الجماعة للواحد كترك الاثنين له ، وهذا من حسن الأدب ، لئلا يتباغضوا ويتقاطعوا . وقال المازري ومن تبعه : لا فرق في المعنى بين الاثنين والجماعة ؛ لوجود المعنى في حق الواحد ، زاد القرطبي : بل وجوده في العدد الكبير أمكن وأشد ، فليكن المنع أولى ، وإنما خص الثلاثة بالذكر لأنه أول عدد يتصور فيه ذلك المعنى . فمهما وجد المعنى فيه الحق به في الحكم . قال ابن بطل : وكل ما كثر الجماعة مع الذي لا يتناجى كان أبعد لحصول الحزن . قلت : وقد صرح علماؤنا بمثل هذا كما في « آداب ابن مفلح » وفي « منظومة الآداب » لابن عبد القوي ، ولفظه في المنظومة : وان يتناجى الجمع مادون مفرد .

الثالث : اختلف فيما اذا انفرد جماعة بالتناجي دون جماعة . قال ابن التين : وحديث عائشة في قصة فاطمة دال على الجواز ، وفي «الصحيح» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه : « فأتيته وهو في ملاء فساررته » ، ففي ذلك دلالة على ارتفاع الامتناع ، وهو ظاهر كلام علمائنا وغيرهم ، وقصة ابن عمر صريحة في ذلك .

الرابع : أرشد الحديث الى امتناع دخول أحد في حديث المتناجين بلا إذنها . قال ابن عبد البر : لا يجوز لأحد أن يدخل على المتناجين في حال تناجيها . قال في « الآداب الكبرى » : ويكره أن يدخل في سر قوم لم يدخلوه فيه ، والجلوس والاصفاء الى من يتحدث سرا بدون إذنه ، وقيل : يحرم - قال - وإن كان إذنه استحياء ، فذكر صاحب النظم : يكره ، وقد أخرج البخاري في « الأدب المفرد » من رواية سميد القبري قال : « مررت على ابن عمر ومعه رجل يتحدث ، فقامت اليها ، فلطم صدري وقال : إذا وجدت اثنين يتحدثان ، فلا تقم معها حتى تستأذنها » ورواه الامام أحمد ، وزاد في روايته من وجبه آخر عن سميد « وقال : أما سمعت أن النبي ﷺ قال : إذا تناجى اثنان فلا يدخل معها غيرها حتى يستأذنها » قال في « الفتح » : لا ينبغي للداخل القعود عند المتناجين ، ولو تباعد عنها إلا باذنها ؛ لأنها لما افتتخا حديثها سرا وليس عندها أحد ، دل على أن مرادها أن لا يطلع أحد على كلامها ، ويتأكد ذلك إذا كان صوت أحدهما جهوريا لا يتأتى له إخفاء كلامه ممن حضره ، وقد يكون لبعض الناس قوة فهم ، بحيث إذا سمع بعض الكلام استدل به على باقيه ، فالمحافظة على ترك ما يؤذي المؤمن مطلوبة وإن تفاوتت المراتب . وفي حديث ابن عباس رضي الله عنها : « من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل » ، ومن استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك ، ومن صور صورة

عذب وكلف أن ينفخ فيه الروح وليس بنافخ ، رواه البخاري وغيره . والآثك
بمد الهمزة وضم النون - هو الرصاص المذاب . والمستمع لحديث من يتناجون
أحد الثمانية المستحقين للصفع ، كما في كلام بعض الأدباء :

قد خص بالصفع في الدنيا ثمانية	لا لوم في واحد منهم اذا صفعا
المستخف بسلطان له خطر	وداخل في حديث اثنين قد جمعا
وأمر غيره في غير منزله	وجالس مجلساً عن قدره ارتفعاً
ومتحف بحديث غير حافظه	وداخل بيت تطفيل بغير دُعا
وقارئ العلم مع من لا خلاق له	وطالب النصر من أعدائه طمعا

الخامس : استفاد من الحديث وجوب كتم السر ، وتحريم افشائه . وقد
أخرج أبو داود من حديث جابر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
« المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس ؛ سفك دم حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع
مال بغير حق » وأخرج عنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اذا
حدث رجل رجلاً بحديث ثم التفت فهو أمانة » ورواه الترمذي وقال : حديث
حسن ، وأخرج الامام أحمد عن أبي الدرداء : « من سمع من رجل حديثاً
لا يشتهي أن يذكر عنه فهو أمانة وإن لم يستكتمه » ، وأخرج الامام أحمد أيضاً
عن أنس رضي الله عنه قال : « ما خطب نبي الله ﷺ إلا قال : لا إيمان لمن لا
أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » ، قال العلامة ابن مفلح في « الفروع » : حرم
في « أسباب الهداية » افشاء السر ، وفي « الرعاية » يحرم افشاء السر المضر .
انتهى . والأحاديث في ذلك كثيرة ، وقد ذكرت من ذلك طرفاً صالحاً مع
فوائد ظريفة في كتابي « غذاء الالباب لشرح منظومة الآداب » والله
تعالى موفق .

الحديث السادس

٦ - حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : كان رسول الله ﷺ يبايع على السمع والطاعة ، ثم يقول : فيما استطعت .

وقال : مرة : فيلقن أحدنا : فيما استطعت

قال رضي الله عنه (حدثنا) أبو محمد (سفيان) بن عيينة (عن) أبي عبد الرحمن (عبد الله بن دينار عن) أبي عبد الرحمن عبد الله (بن عمر) رضي الله عنهما (قال : كان رسول الله ﷺ يبايع) الناس (على السمع) أي إجابة قوله وقول الأمراء ، الذين كان ﷺ يؤمرهم ؛ إذ طاعة أوامرهم واجبة ما لم يأمروا بمعصية ، وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . وفي حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً : « لا طاعة في معصية الله ، إنما الطاعة في المعروف » ، (والطاعة) لله ولرسوله ﷺ ولولاة الأمور . قال القاضي عياض : أجمع العلماء على وجوب طاعة الامام في غير معصية ، وتحريمها في المعصية ، وقال ابن بطال : احتج الخوارج بحديث : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ونحوه ، فرأوا الخروج على أئمة الجور والقيام عليهم عند ظهور جورهم . والذي عليه الجمهور أنه لا يجب القيام عليهم عند ظهور جورهم ، ولا خلعهم إلا بكفرهم بعد إيمانهم ، أو تركهم إقامة الصلوات ، وأما ما دون ذلك من الجور ، فلا يجوز الخروج عليهم إذا استوطن أمرهم وأمر الناس معهم ؛ لأن في ترك الخروج عليهم تحصين الفروج والأموال وحقق الدماء ، وفي القيام عليهم تفرق الكلمة - قال - ولا يجوز القتال معهم لمن

خرج عليهم عن ظلم ظهر منهم . فقوله : كان صلى الله عليه وسلم يبايع ، أي يعاهد ، فالمبايعة هنا عبارة عن المعاهدة ، سميت بذلك تشبيهاً بالمعاوضة المالية ؛ كما في قوله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » وقد وقعت المبايعة منه صلى الله عليه وسلم لأصحابه مرات متعددة ، وفي « الصحيحين » وغيرها من حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال : تباعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وفي رواية « ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا بهتاناً تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب - زاد الامام أحمد - به - أي بسببه - فهو كفارة - زاد الامام أحمد - له - وكذا البخاري من وجه ، وزاد - وظهر - ، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه ، فأمره إلى الله ؛ إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ، فبايعناه على ذلك ، وفي « الصحيحين » وغيرها من حديث عبادة بن الصامت أيضاً رضي الله عنه قال : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ، والعسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى آفة علينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم » زاد في رواية « ولا ننازع الأمر أهله ؛ إلا أن تروا كفراً بواحاً ^(١) عندكم فيه من الله برهان » وفي مسلم وأبي داود والنسائي من حديث أبي إدريس الخولاني - وأبو إدريس هذا صحابي من جهة الرؤية ، تابعي من جهة الرواية ، تابعي كبير ، وقد ذكر في الصحابة لأن له رؤية ، وكان مولده عام حنين ، وحنين كانت في الثامنة - قال : حدثني الحبيب الأمين ، أما هو فحبيب إلى وأما هو فأمين ؛ عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : « كنا عند رسول الله

(١) بواحاً : ظاهراً مكشوفاً .

ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال : ألا تباعون رسول الله ﷺ ؛ وكنا حديثي^(١) عهد ببيعة ، فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله - قال - فبسطنا أيدينا وقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ، فعلام نبايعك ؟ قال : أن تعبدوا الله ولا تشرکوا به شيئاً ، وتصلوا الصلوات الخمس ، وتسمعوا وتطيعوا ، وأمر كلمة خفية قال : ولا تسألوا الناس شيئاً - قال - فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه ، وبيعة النساء مشهورة ، وكذا مبايعته ﷺ الأنصار في العقبة الأولى والثانية والثالثة ، وأشهر الجميع بيعة الرضوان ، وكانت في الحديبية في السادسة . قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : (ثم) بعد المبايعة (يقول) عليه الصلاة والسلام (فيما استطعت) أي يقول ذلك لكل واحد من المبايعين له ، أي في الشيء الذي تستطيعه ، لأن الله جل شأنه ، لا يكلف نفساً إلا وسعها ، وفي لفظ أو قال ﷺ : استطعتم بصيغة الجمع . وهذا الحديث رواه مالك وأصحاب الكتب الستة .

(وقال) ابن عمر رضي الله عنهما (مرة) أخرى (فيلقن) ﷺ (أحداً) معشر المبايعين له أن يقول (فيما) أي في الشيء الذي (استطعت) له من فعل وترك أي يعلمه ويفهمه أن يقول ذلك ، واللقن سرعة الفهم ، يقال : لقن كفرح فهو لقين وألقن ، حفظ بالمجلة ، والتلقين كالتفهم كما في « القاموس » . والاستطاعة القدرة على الشيء . قال الامام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » : استطاع استفعل من طاع بطوع ، ولم ينطق به ، وإنما نطقوا بالرباعي منه ، فقالوا : أطاعه ، وقالوا : طوع له كذا ، أي حسنه وزينه ، فكأنه جعل نفسه مطيعة لداعيه ، فالهمزة في أطاعه همزة التعدي والنقل من اللزوم الى التعدي ، والتضعيف في طوع لكونه في معنى حسن وزين ، فأما السين والتاء في استطاع ؛ فاما أن تكون للوجود ، أي وجدته طوعاً ، كاستجدته أي وجدته جيداً ، واستصوبت كلامه ، أي

(١) في الاصل : حديث .

وَجَدْتُهُ ضَوَابًا ، واستعظمته ، أي وجدته عظيماً ؛ وإما أن يكون للطلب ، أي طلبته أن يطيعني إذا أمرته ولا يستعصي علي ، بل يكون طوع قدرتي ، وقد يأتي هذا النبا بمعنى فعل ، كقرّ واستقر ومرّ واستمر ، وقد يأتي بمعنى الضرورة ؛ كاستنوق البعير واستحجر الطين ، وأما استعنب فللطلب ، أي طلب الاعتبار ، أي طلب إزالة عتبه ؛ فقوله تعالى : « وإن يستعنبوا فما هم من المعتبين » أي وإن يطلبوا إعتابنا وإزالة عتبنا عنهم ، يقال : عتب عليه إذا عرض عنه وغضب عليه ، ثم يقال : استعنب السيد عبده ، أي طلب منه أن يزيل عتب نفسه عنه بعوده إلى رضاه ، فأعتبه عبده أي أزال عتبه بطاعته . ويقال : استعنب العبد سيده ، أي طلب منه أن يزيل غضبه وعتبه عنه ، فأعتبه سيده ، أي أزال عتب نفسه عنه ، وإنما قال تعالى : « وإن يستعنبوا فما هم من المعتبين » أي وإن يطلبوا إزالة عتبنا عنهم فما هم من المزال عنهم ؛ لأن الآخرة لا تقال فيها العثرات ، ولا تقبل فيها التوبة .

فائدة : في استطاع أربع لغات ؛ أحدها : هذه . الثانية : استطاع بحذف تاء الافتعال تخفيفاً ، ومنه قوله تعالى : « فما استطاعوا أن يظهروه » . الثالثة : استطاع بالصاد ، وفيه أمران : حذف التاء وإبدال السين صاداً لأجل مجاورتها الطاء . الرابعة : استطاع بادغام السين في الطاء ، وهو إدغام على خلاف القياس . وقد روي فيه أيضاً : استطاع بفتح الهمزة وقطعها ، وهي مشكلة والله أعلم .

والحاصل أنه كان ^{صلى الله عليه وسلم} يلقن ، أي يفهم أصحابه أن يقولوا في الشروط التي تؤخذ عليهم عند المبايعة : فيما استطعنا ، لأن الطاعة تكون بحسب الاستطاعة ، وقد قال الله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » أي اطيعوا ، وهذه الآية ناسخة لآية « اتقوا الله حق تقاته » والله تعالى أعلم .

الحديث السابع

٧ - حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، قال :

سمعت عبد الله بن عمر قال : سمعت النبي ﷺ يقول :
البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، أو يكون بيع خيار .

قال رضي الله عنه : (حدثنا سفيان) بن عيينة (عن عبد الله بن دينار
قال : سمعت) أبا عبد الرحمن (عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما (قال : سمعت
النبي ﷺ يقول : البيعان) يعني البائع والمشتري ، وإطلاق البائع على المشتري
في هذا الحديث ، إما على سبيل التغليب ، أو لأن كلا منهما بائع (بالخيار) - بكسر
الخاء المعجمة - اسم من الخيار أو التخيير ، وهو طلب خير الأمرين من إمضاء
البيع أو فسخه ، وفي «المطلع» : الخيار اسم مصدر من اختار يختار اختياراً ، وهو
طلب خير الأمرين ، والمراد به خيار المجلس ، فيستمر لكل واحد منهما الخيار من
انتهاء العقد ، فله أن يعضيه وله أن يفسخه (ما لم يتفرقا) من مجلس العقد بأبدانها
التفرق المسقط للخيار ، وهو تفرقها بحيث لو كلم أحدهما صاحبه الكلام المعتاد
لم يسمعه ، كذا في «المطلع» ، ومعتمد المذهب إناطة التفرق بالعرف ، وهو معتمد
مذاهب العلماء ، ولا بد أن يكون التفرق بأبدانها عرفاً من مجلس العقد اختياراً ،
ولو بهرب أحدهما من صاحبه ، لامع الاكراه ، أو فزع من خوف ، أو الجفاء
بسبيل أو حمل ، وهما على خيارهما حتى يتفرقا من مجلس زال فيه ذلك . وفي رواية
عند النسائي : «ما لم يتفرقا» بتقديم الفاء . ونقل ثعلب عن المفضل بن مسleme : افترقا
بالكلام ، وتفرقا بالأبدان ، ورده ابن العربي لقوله تعالى : « وما تفرق الذين أوتوا

الكتاب ، فإنه ظاهر في التفوق بالكلام ، إلا أنه بالاعتقاد ، وأجيب بأنه من لازمه غالباً ، لأن من خالف آخر في عقيدته كان مستدعياً لمفارقة إياه يبدنه ، ولا يخفى ضعف هذا الجواب . والحق حمل كلام المفضل على الاستعمال بالحقيقة ، وإنما استعمل أحدهما في موضع الآخر اتساعاً . فإذا تفرق المتبايعان التفرق الشرعي فقد وجب البيع وسقط خيار المجلس . (أو) أي إلا أن (يكون) البيع (بيع خيار) شرط ، بأن يشترط أو أحدهما الخيار إلى مدة معلومة ، فها على خيارها حتى يسقطا الخيار إن كان لهما ، أو يسقطه من له الخيار ، أو أن يتصرفا أو أحدهما في المبيع ، كما سننبه عليه قريباً .

تنبيهات

الأول : اختلف الفقهاء رحمهم الله ورضي عنهم فيما دل عليه هذا الحديث من ثبوت خيار المجلس ، وكذا حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه عند الشيخين وغيرهما ، ولفظه : « البيعتان بالخيار مالم يفترقا ، أو حتى يتفرقا ، فإن صدقا وبيئنا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » . وفي بعض ألفاظ حديث ابن عمر رضي الله عنهما : « المتبايعان بالخيار مالم يتفرقا ، أو يقول أحدهما لصاحبه : اختر » . وفي لفظ : « إذا تباع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار مالم يتفرقا وكانا جميعاً ، أو تخير أحدهما الآخر ، فإن خير أحدهما الآخر فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع ، وإن تفرقا بعد أن تباعا ولم يترك واحد منهما البيع ، فقد وجب البيع » . متفق على ذلك كله . وفي لفظ : « كل بيعين لا بيع بينهما حتى يتفرقا ؛ إلا بيع الخيار » متفق عليه أيضاً .

قال نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما : « فكان ابن عمر إذا باع رجلاً فأراد أن لا يقبله ، قام فمشى هنيئة ثم رجع » أخرجاه أيضاً . فذهب الامام أحمد

والأمام الشافعي رضي الله عنها الى القول بمضمون هذه الاحاديث ، من ثبوت خيار المجلس في عقود المفاوضات اللازمة التي يقصد منها المال ، كالبيع ، والصلح والحوالة ، والاجارة ونحوها ، الا في العقود اللازمة التي لا يقصد فيها العوض ، كالنكاح ، والخلع ، والكتابة ، وكذا قال بذلك فقهاء أصحاب الحديث ، ونفاه الامام أبو حنيفة ، والامام مالك رضي الله عنهم أجمعين . ولا يخفى ان الاحاديث دلت دلالة ظاهرة على ثبوت خيار المجلس .

وروى الامام احمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال : « البيع والمبتاع بالخيار حتى يتفرقا ، إلا أن تكون صفقة خيار ، ولا يحل له أن يفارقه خشية أن يستقيله » ، ورواه الدارقطني أيضاً . وفي لفظ « حتى يتفرقا من مكانها » ، وعن ابن عمر رضي الله عنها قال : « بعث من أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه مالا بالوادي بمال له بخير ، فلما تباعنا رجعت على عقي حتى خرجت من بيته ، خشية أن يرادني البيع ، وكانت السنة أن المتبايعين بالخيار حتى يتفرقا » ، رواه البخاري ، ووافق ابن حبيب من أصحاب مالك من أثبتوه ، والذين نفوه اختلفوا في وجه المذر عن الاحاديث الدالة عليه .

ف قيل : لكونه حديثاً خالفه راويه وهو مالك ؛ فانه رواه ولم يقل به . قالوا : وكل ما كان كذلك لم يعمل به ؛ لأن الراوي إذا خالف ، فاما أن يكون مع علمه بالصحة فيكون فاسقاً ، فلا تقبل روايته ، وإما أن يكون لا مع علمه بالصحة وهو أعلم بعلم ماروى فيتبع في ذلك . والجواب منع المقدمة الثانية ، وهو أن الراوي إذا خالف ما رواه لم يعمل بروايته . وقولهم : إن كان مع علمه بالصحة كان فاسقاً ؛ ممنوع ، لجواز أن يعلم بالصحة ، ويخالف لمعارض راجح عنده ، ولا يلزم تقليده فيه ، وقولهم : إن كان لا مع علمه بالصحة وهو أعلم بروايته فيتبع

في ذلك ، ممنوع أيضاً ، لأنه إذا ثبت الحديث وجب العمل به ظاهراً ، فلا يترك
لمجرد الوم والاحتمال . وأيضاً هذا الحديث مروى من عدة طرق ، فان تعذر
الاستدلال به من جهة رواية مالك ، لم يتعذر من جهة أخرى ، كما في رواية الامام
أحمد هذه ، فانه لا مدخل للمالك فيها ، وإنما ربما يستأنس لما زعموا عند
التفرد ، والواقع هنا خلافه .

وقيل : في العذر عن العمل بمضمون الاحاديث ، انها آحاد فيما تعم به
البلوى ، وخبر الواحد في ذلك غير مقبول ، فان البياعات مما تكرر مرات
لا تحصى ، ومثل هذا تعم البلوى بمعرفة حكمه ، وما عمت به البلوى يكون
معلوماً عند الكافة عادة ، فانفراد واحد به خلاف العادة . والجواب عن ذلك
بمنع المقدمتين معاً ؛ أما الاولى : فالذي تعم به البلوى البيع دون الفسخ الذي دل
عليه الحديث ، فان الظاهر من الاقدام على البيع ، الرغبة من المتعاقدين فيما صار
اليه ، فالحاجة الى معرفة حكم الفسخ لا تكون عامة ، وأما الثانية : فالمعول عليه في
الرواية عدالة الراوي وجزمه بالرواية ، وقد وجد ذلك ، وعدم نقل غيره
لا يصلح معارضاً لجواز عدم سماعه للحكم ، فان الرسول ﷺ كان يبلغ الأحكام
للآحاد والجماعة ، ولا يلزم تبليغ كل حكم لجميع المكلفين ، وعلى تقدير السماع فمن
الجائز أن يعرض مانع من النقل ، أعني نقل غير هذا الراوي ، وإنما يكون
ما ذكرنا إذا اقتضت العادة أن لا يخفى الشيء عن أهل التواتر ، وليست
الاحكام الجزئية من هذا القبيل ، وقد علمت أن الحديث صح عن عبد الله بن عمر
وحكيم بن حزام ، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم .

وقيل في العذر : إن هذا مخالف للقياس الجلي ، والأصول القياسية المقطوع
بها ، وما كان كذلك فلا يعمل به . والجواب أولاً : عدم التسليم في مخالفة
القياس الجلي ، والأصول القياسية ، وثانياً : لا نسلم أن الحديث المخالف للأصول

القياسية يرد ، فإن الأصول تثبت بالنصوص ، والنصوص ثابتة في الفروع المعتبرة ،
وغاية ما في الباب أن يكون الشرع أخرج بعض الجزئيات عن الكليات لمصلحة
تخصها أو تعبداً ، فيجب اتباعه .

وقيل في العذر : إن هذا حديث معارض لإجماع أهل المدينة وعملهم ،
وما كان كذلك يقدم عليه العمل ، وقد قال مالك رضي الله عنه عقب روايته :
وليس لهذا عندنا حد معلوم ، ولا أمر معمول به فيه . انتهى . وإنما كان إجماع
أهل المدينة مقدماً على مثل هذا ، لما اختصوا به من سكناهم في مهبط الوحي ،
و وفاة الرسول ﷺ بين أظهرهم ، ومعرفتهم بالناسخ والمنسوخ ، فمخالفتهم
لبعض الأخبار تقتضي عليهم بما أوجب ترك العمل به ، من ناسخ أو دليل راجح ،
ولا تهممة تلحقهم ؛ فتعين اتباعهم ، فكان ذلك أرجح من خبر الآحاد المخالف
لعملهم . والجواب أولاً : منع كون ذلك من إجماع أهل المدينة ؛ فإن الإمام
مالك لم يصرح بأن المسألة من إجماع أهل المدينة ، وعلى فرض كون ذلك من
إجماعهم ، فاما أن يراد به إجماع سابق أو لاحق ، والأول باطل ؛ لأن ابن عمر
رأس المفتين بالمدينة في وقته ، وقد كان يرى خيار المجلس ، وكذا مولاة نافع
من التابعين ، وكذا لاحق ، فإن ابن أبي ذئب من أقران مالك ومعاصريه ،
وقد أغلظ على مالك لما بلغه مخالفته للحديث . وثانياً : منع كون إجماع أهل
المدينة وعملهم مقدماً على خبر الواحد مطلقاً ، فإن الحق الذي لا شك فيه ، أن
عملهم وإجماعهم لا يكون حجة فيما طريقه الاجتهاد والنظر ؛ لأن الدليل المعاصر
للأئمة من الخطأ في الاجتهاد ، لا يتناول بعضهم ، ولا مستند للعصمة سواء . قال
شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : الذي عليه أئمة الناس أن إجماع أهل
المدينة ليس بحجة شرعية . هذا مذهب احمد والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم ،
وهو قول المحققين من أصحاب مالك ، كما ذكره القاضي عبد الوهاب في كتابه

« المختص في أصول الفقه ، وغيره ، فذكر أنه ليس بإجماع ولا حجة عند المحققين من أصحاب مالك ، وإنما يحمله حجة بعض أهل المغرب من أصحابه . قال - وليس هؤلاء من أئمة النظر والدليل ، وإنما هم أهل تقليد . انتهى . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ولم أر في كلام مالك ما يوجب حمل هذا حجة وهو في الموطأ : إنما ذكر الأمر المجمع عليه عندهم ، فهو يحكي مذهبهم ، وتارة يقول : الذي لم يزل عليه أهل العلم ببلدنا ، يشير إلى الإجماع القديم ، وأطال الكلام في ذلك ، وحاصله عدم اعتبار كونه حجة ، والله أعلم .

وقيل في العذر : ما في بعض الروايات ، ولا يحل له أن يفارقه خشية أن يستقيله . فاستدلوا بهذه الزيادة على عدم ثبوت خيار المجلس ، لأنه لو لا أن العقد لازم لما احتاج إلى الاستقالة ، ولا طلب الفرار من الاستقالة . والجواب : بأن المراد من الاستقالة هنا فسخ البيع بحكم الخيار ، ولا يخفى ما في هذا العذر من العذر ، والله الموفق .

وقيل في العذر : بحمل المتبايعين على المتساومين . قلت : ورد هذا يعلم من جوهر الحديث ، ومن فعل ابن عمر مع عثمان رضي الله عنهم كما ذكرناه . وكل هذه الأعذار واهية ساقطة مصادمة للنص ؛ فوجب طرحها وعدم الالتفات إليها ، والله الموفق .

الثاني : اتفق الأئمة وعلماء الأمة على جواز خيار الشرط ، وصحته للمتعاقدين معاً ، ولأحدهما بانفراده إذا شرطه ، ثم اختلفوا في مدته ، فقال أبو حنيفة والشافعي : لا يجوز أن تكون مدته أكثر من ثلاثة أيام ، وقال مالك : يجوز بقدر الحاجة ، وقال أحمد : يجوز إلى مدة معلومة وإن طالت ، قال العلامة الشيخ مرعي الكرمي في غايته : لا كآلف سنة ومائة سنة ، لافضائه للنع من التفرق المتأني للعقد ، ولا بد أن يشترطه أو أحدهما في العقد ، أو في زمن الخيار

لا بعد لزومه ، فلو كان المبيع لا يبقى الى مضي المدة ، كطعام رطب ؛ يبيع وحفظ ثمنه ، وإن شرط الخيار بائع ليربح فيما أقرضه ؛ حرم — نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه — ولم يصح البيع .

الثالث : خيار المجلس يثبت عند الحنابلة والشافعية ، ولو فيما قبضه شرط لصحته ؛ كصرف وسلم ، وبيع مال ربوي بجنسه ، ولم يثبت عند الحنفية والمالكية ولا في عقد من العقود ، وأما خيار الشرط ؛ فيثبت في كل ما يثبت فيه خيار المجلس ، سوى ما قبضه شرط لصحته ؛ فإنه يثبت فيه خيار المجلس دون خيار الشرط ، والله أعلم .

الرابع : لو تلف المبيع في مدة الخيار ؛ فعمد مذهبنا أنه يبطل الخيار بتلف المبيع ، ولو قبل قبضه ، خلافاً لـ «المنتهى» ، أو احتاج لحق توفية ، كما لو أتلفه مشتر . وقال مالك والشافعي : إذا تلفت السلعة المبعة بالخيار في مدة الخيار ؛ فضمانها من بائعها دون مشتريها ؛ إذا كانت في يده أو لم تكن في يد واحد منها ، وإن قبضها المشتري ثم تلفت في يده وكانت مما يغاب عنه ؛ فضمانها منه ؛ إلا أن تقوم له بينة على تلفها ، فيسقط عنه ضمانها ، وإن كانت مما لا يغاب عنه ؛ فضمانها على كل حال من بائعها ، وقال أبو حنيفة : إذا تلف المبيع في مدة الخيار ؛ إن كان قبل القبض ؛ انتقض المبيع ، سواء كان الخيار لها أو لأحدهما ، وصار كأن لم ينعقد ، فأما إن كان تلفه في يد المشتري وكان له الخيار ؛ فقد تم البيع ولزم ، وإن كان الخيار للبائع ، انتقض البيع ، ولزم المشتري قيمة المبيع ، لا الثمن المسمى في العقد ، والله الموفق .

الحديث الثامن

٨ - حدثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، سمع ابن عمر
ابن ابنه عبد الله بن واقد : يابني : سمعت رسول الله ﷺ
يقول :

لا ينظرُ الله الى من جرَّ إزارهُ خيلاءً .

قال رضي الله عنه (حدثنا) أبو محمد (سفيان) بن عيينة (عن)
أبي أسامة (زيد بن أسلم) مولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
وزيد هذا مدني من أكابر التابعين ، سمع ابن عمر وجماعة من الصحابة رضي
الله عنهم ، وسمع أباه أسلم ، وروى عنه الثوري وأيوب السخيتاني والامام مالك
وابن عيينة وغيرهم ، وتوفي سنة ستة وثلاثين ومائة ، وأبوه هو أبو خالد أسلم
مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان حبشياً بجاويًا من بجاوة ، وقيل : كان
من سبي اليمن ، ابتاعه عمر رضي الله عنه بمكة سنة إحدى عشرة لما بعثه
أبو بكر الصديق رضي الله عنها ليقم الحج للناس . وكان أسامة بن زيد بن أسلم
يقول : نحن قوم من الأشعرين ؛ ولكننا لا ننكر منه عمر . سمع أسلم عمر
ابن الخطاب ، روى عنه ابنه زيد والقاسم بن محمد ، مات في ولاية مروان وله
مائة وأربعة عشرة سنة ، وقيل : مات زمن عبد الملك بالمدينة ، وفي « طبقات
الحفاظ » للحافظ جلال الدين السيوطي ما نصه : زيد بن أسلم المدني الفقيه أبو
أسامة ، ويقال : أبو عبد الله مولى عمر بن الخطاب ، روى عن أنس وجابر بن

عبد الله ، وسلمة بن الأكوع وابن عمر وأبي هريرة وعائشة ، وعن ابنه أسامة
 وابن جريج والسفيان وغيرهم ، أجمع على جلالته . وكانت له حلقة في المسجد
 النبوي . قال أبو حاتم : لقد رأينا في مجلس زيد بن أسلم أربعين حبراً فقيهاً ، فما
 رأينا فيهم متارين ولا متنازعين في حديث لا ينفعها قط . وكان علي بن الحسين
 يجلس إلى زيد ، ف قيل له تتخطى مجالس قومك إلى عبد عمر بن الخطاب ، فقال :
 إنما يجلس المرء إلى من ينفعه في دينه . قال يعقوب بن أبي شيبة عن زيد بن أسلم :
 هو ثقة كثير الحديث ، من أهل الفقه والعلم ، عالم بتفسير القرآن ، له كتاب في
 التفسير ، وكان يقول : ابن آدم ! إلتق الله يحبك الناس وإن كرهوا . وكان
 أبو حاتم يقول : لا يرني الله يوم زيد ؛ أنه لم يبق أحد من أهل العلم أرضى
 لنفسه ودينه غيره ، فأتاه نعي زيد فعقر ، فما قام بعده ، كما في شرح البخاري .
 قال زيد بن أسلم (سمع) — بفتح السين المهملة وتشديد الميم مفتوحة — (ابن
 عمر) رضي الله عنها بالرفع ، فاعل سمع (ابن ابنه) بنصب ابن ، مفعول أول لسمع
 (عبد الله) بالنصب ، بدل منه ، أو عطف بيان (ابن واقد) قال ابن قتيبة في
 « المعارف » : أما واقد بن عبد الله بن عمر فوقع من بيعه وهو محرم فمات
 — قال — وكان عبد الله بن واقد من رجال قريش ، وفيه يقول الشاعر :

أحب من النسوان كل خريدة لها حسن عباد وجسم ابن واقد

يعني عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير . وقد روى داود بن قيس
 رواية زيد بن أسلم عنه بزيادة قصة . قال : « أرسلني أبي إلى ابن عمر رضي الله
 عنها . فقلت : أدخل ؟ فعرف صوتي فقال : أي بني ! إذا جئت إلى قوم فقل :
 السلام عليكم ، فإن ردوا عليك فقل : أدخل ؟ — قال — ثم رأى ابنه وقد
 انجبر رداؤه فقال : ارفع إزارك ؛ فقد سمعت . . . » فذكر الحديث ، أخرجه
 الامام أحمد ، وأخرج الامام أحمد والحميدي وسمي الابن عبد الله بن واقد بن

عبد الله بن عمر كما هنا ، وأخرجه الامام أحمد أيضاً من طريق معمر عن زيد ابن أسلم « سمعت ابن عمر ... » فذكره بدون القصه . قال عبد الله بن عمر رضي الله عنها لأن ابنه عبد الله بن واقد (يا بني) — بضم الباء الموحدة وفتح النون وتشديد المثناة تحت مكسورة — (سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا ينظر الله) سبحانه وتعالى ، أي نظر رحمة ورضى ، أو لا يرحمه ، فالنظر اذا أضيف الى الله كان مجازاً ، وإذا أضيف الى الخلق كان كناية ؛ لأن من نظر الى متواضع رحمه ، ومن نظر الى متكبر مقته ، فالرحمة والمقت متسبان عن النظر ، من حيث هو ، يقع على الاجسام والمعاني ، فما كان بالأبصار فهو الأجسام ، وما كان بالبصار كان المعاني . قال الكرماني في « شرح البخاري » : نسبة النظر لمن يجوز عليه النظر كناية ؛ لأن من اعتدّ بالشخص التفت اليه ، ثم كثر حتى صار عبارة عن الاحسان ، وإن لم يكن هناك نظر ، ولمن لا يجوز عليه حقيقة النظر — وهو تقليب الحديقة ، والله منزّه عن ذلك — فهو بمعنى الاحسان مجاز عما وقع ، في حق غيره كناية ، وهذا على مذهب الخلف . وأما مذهب السلف فكل ماورد يؤمنون به بالمعنى الذي أراده الله تعالى ، مع اعتقاد التنزيه للباري بأنه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) زاد البخاري ومسلم وغيرهما : « يوم القيامة » إشارة الى أنه محل الرحمة المستمرة ، بخلاف رحمة الدنيا ؛ فانها قد تنقطع بما يتجدد من الحوادث ، (الى من) أي الى شخص ، فيتناول الرجال والنساء في الوعيد (جره) أي سحب وجذب (إزاره) وهو الثوب الذي يشد على الحقوين فما تحتهما ، وجمعه أزر ، ويجمع جمع قلة على إزاره ، ويذكر ويؤنث فيقال : إزار لبسته ولبستها ، والمترز — بكسر الميم مثله ، والجمع مآزر ، واثترزت لبست الازار ، قال في القاموس : اثترز به وتآزر ، ولا تقل : ازر ، وقد جاء في بعض الاحاديث ، ولعله من تحريف الرواة . انتهى . (خلاء) — بضم

الحاء المعجمة وقد تكسر ، وفتح المثناة تحت ، وبالمد منصوباً - مفعول لأجله أي
لأجل الخيلاء . قال الراغب : الخيلاء : التكبر ، ينشأ عن فضيلة يتراءى بها
الإنسان من نفسه ، والتخمين : تصوير خيال الشيء في النفس ، وبقيد الخيلاء
يخص ظواهر الاحاديث المطلقة في الزجر عن الاسباب .

والحاصل أن الاسباب تارة يكون خيلاء ، وتارة لا . الاول : حرام من الكبائر .
على الأصح ، والثاني : تارة يكون لحاجة ، وأخرى لا . الاول : غير مكروه مالم
يقصد تدليساً فيحرم ، والثاني : مكروه ، وهو الاسباب بلا حاجة ولا خيلاء ولا
تدليس ، لقول النبي ﷺ : « ماتحت الكعبيين في النار » ، فقد أخرج أبو داود
والنسائي وغيرهما ، وصححه الحاكم من حديث أبي جري - بالجيم والراء مصغراً -
واسمه : جابر بن سليم ، رفعه ، قال في أثناء حديث مرفوع : « وارفع إزارك الى
نصف الساق ، فان أبيت فالى الكعبيين ، وإياك وإسبال الازار ، فانها من الخيلة ،
وإن الله لا يحب الخيلة . وأخرج النسائي ، وصححه الحاكم أيضاً من حديث حذيفة
بلفظ : « الازار إلى أنصاف الساقين ، فان أبيت فأسفل ، فان أبيت فمن وراء الساقين ،
ولا حق للكعبيين في الازار » . وأخرج مالك ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه
وصححه أبو عوانة وابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ،
ورجاله رجال مسلم ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إزرة المؤمن الى نصف
الساق ، ولا حرج - أو قال ولا جناح عليه - فيما بينه وبين الكعبيين ، وما
كان أسفل من ذلك فهو في النار » ، ومن جر إزاره بطراً لم ينظر الله اليه يوم
القيامة . وأخرج البخاري والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن
رسول الله ﷺ قال : « ما أسفل من الكعبيين من الازار في النار » . وفي
رواية النسائي قال : « إزرة المؤمن الى عضلة ساقه ، ثم الى نصف ساقه ، ثم الى
كعبه ، وما تحت الكعبيين من الازار في النار » . قال ابن عمر رضي الله عنهما :

« ما قال رسول الله ﷺ في الازار فهو في القميص » رواه أبو داود . وروى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم . قال — فقراها رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، فقال أبو ذر : خابوا وخسروا ، من هم يا رسول الله ؟ قال : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » . قال الحافظ المنذري : المسبل هو الذي يطول ثوبه ويرسله الى الأرض ، كأنه يفعل ذلك تجبراً واختيالاً . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « من جر ثوبه خيلاً لم ينظر الله اليه يوم القيامة » فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله : إن إزاري يسترخي إلا أن أتأهده ، فقال رسول الله ﷺ : إنك لست بمن يفعله خيلاء » . ولفظ مسلم : « قال ابن عمر : سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين يقول : من جر إزاره لا يريد بذلك إلا الخيلة ، فإن الله لا ينظر اليه يوم القيامة » . الخيلة : — بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة — من الاختيال ، وهو الكبر واستحقار الناس .

وفي حديث ابن عمر ، وقصة الصديق رضي الله عنهم دليل على أنه لا حرج على من انجر إزاره بغير قصده مطلقاً . وأما ما أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يكره جر الازار على كل حال ، فقال ابن بطال : هو من تشديداته رضي الله عنه . قال في « الفتح » : بل كراهة ابن عمر محمولة على من قصد ذلك ، سواء كان عن خيلة أم لا ، وهو المطابق لروايته ، ولا يظن بابن عمر أنه يؤخذ من لم يقصد شيئاً ، وإنما يريد بالكراهة من انجر إزاره بغير اختياره ثم تمادى على ذلك ولم يتداركه — قال — وهذا متفق عليه ، وإن اختلفوا : هل الكراهة فيه للتحريم أو للتنزيه ؟ فإن كان الثوب على قدر لابس ، لكنه يسدله ، فهذا لا يظهر فيه تحريم ، ولا سيما إن كان عن غير قصد ، كالذي وقع للصديق

الاعظم . وأما إن كان الثوب زائداً على قدر لابسه ، فهذا قد يتجه فيه المنع من جهة الاسراف ، ومن جهة التشبه بالنساء . وقد صحح الحاكم من حديث أبي هريرة : « أن رسول الله ﷺ لعن الرجل يلبس لبسة المرأة » ، وقد يتجه فيه المنع أيضاً من جهة أن لابسه لا يأمن من تعلق النجاسة به ، وإلى ذلك يشير الحديث الذي أخرجه الترمذي في « الشائل » والنسائي من طريق أشعث بن أبي الشعثاء - واسم أبيه سليم الحازلي - عن عمته واسمها رهم - بضم الراء وسكون الهاء - وهي بنت الأسود بن حنظلة عن عمها ، واسمها عبيد بن خالد قال : « كنت أمشي وعليّ بردٌ أجربُه ، فقال لي رجل : ارفع ثوبك ؛ فإنه أتقى وأبقى ، فنظرت فإذا هو النبي ﷺ ، فقلت : إنما هي بردة ملحاء ، فقال : أما لك في أسوة ؟ - قال - : فنظرت فإذا إزاره تكون ممدودة إلى أنصاف ساقيه . وسنده قبلها جيد . وقوله : ملحاء - بفتح الميم وبمحملة قبلها لام ساكنة ممدودة - أي فيها خطوط سود وبيض . وفي قصة قتل عمر رضي الله عنه أنه قال للشاب الذي دخل عليه : ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لدينك . ويتجه المنع أيضاً في الاسبال من جهة أخرى ، وهي كونه مظنة الخيلاء ، ولهذا قال ابن العربي : لا يجوز للرجل أن يجاوز بثوبه كعبه ، ويقول : لا أجره خيلاء ، لأن النهي قد تناوله لفظاً ، ولا يجوز لمن تناوله اللفظ حكماً أن يقول : لا أمثله ، لأن تلك العلة ليست في ، فإنها دعوى غير مسلمة ، بل إطالته ذيله دال على تكبره . انتهى .

قال في « الفتح » : وحاصله ان الاسبال يستلزم جر الثوب ، وجر الثوب يستلزم الخيلاء ، ولو لم يقصد اللابس الخيلاء ، ويؤيده ما أخرجه أحمد بن منيع من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في اثناء حديث رفعه « وإياك وجر الازار فإن جر الازار من الخيلة » .

وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة رضي الله عنها قال : « بينما نحن مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ لحقنا عمرو بن زرارة الانصاري في حلة إزار ورداء قد أسبل ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بناحية ثوبه : تواضع لله ، ويقول : عبدك وابن عبدك وأمتك ، حتى سمعها عمرو ، فقال : يا رسول الله ! إني حَمَشُ الساقين^(١) ، فقال : يا عمرو ! إن الله قد أحسن كل شيء خلقه ، يا عمرو ! إن الله لا يحب المسبل ، الحديث . وأخرجه الامام أحمد من حديث عمرو نفسه ؛ لكن قال في روايته : عن عمرو بن فلان ، وأخرجه الطبراني أيضاً ، فقال عن عمرو بن زرارة ، وفيه : « وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع أصابع تحت ركبة عمرو ، فقال : يا عمرو ! هذا موضع الازار ، ثم ضرب بأربع أصابع تحت الاربع ، فقال : يا عمرو ! هذا موضع الازار ، الحديث ، ورجاله ثقة ، وظاهره أن عمرأ المذكور لم يقصد بأسبالة الخيلاء ، وقد منعه من ذلك لكونه مظهرها . وأما ما أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه بسند جيد أنه كان يسبل إزاره ، فقيل له في ذلك ، فقال : إني حَمَشُ الساقين ؛ فهو محمول على أنه أسبله زيادة على المستحب ، وهو أن يكون الى نصف الساق ، ولا يظن به أنه جاوز به الكعبين ، والتعليل يرشد اليه ، ومع ذلك فلمله لم تبلغه قصة عمرو بن زرارة . وأخرج النسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان من حديث المغيرة بن شعبه رضي الله عنه : « رأيت رسول الله ﷺ أخذ برداء سفيان بن سهيل وهو يقول : ياسفيان ! لا تسبل فإن الله لا يحب المسبلين .

تفيمه : يستثنى من عموم ذلك ثوب المرأة ؛ فإن لها أن تسبل ذيله من شبر الى ذراع ، فقد أخرج النسائي والترمذي وصححه من طريق أيوب ، عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما متصلاً بالحديث المار « فقالت أم سلمة : فكيف يصنع النساء بذيولهن ؟ فقال : يرخين شبراً ، فقالت : إذاً تنكشف اقدامهن فقال :

(١) دقيق الساقين

يرخمينه ذراعاً ، لا يزدن عليه ، قال ابن عبد القوي في « منظومة الآداب » :
وأطول ذيل المرء للعكب والنسا يلي الازر شبراً أو ذراعاً تزود
قال العلامة ابن مفلح في « الآداب الكبرى » : ويزيد ذيل المرأة على ذيل
الرجل ما بين الشبر إلى الذراع . وقال صاحب « المستوعب » : هذا في حق من
تمشي بين الرجال كنساء العرب ، فأما نساء المدن في البيوت ؛ فكذيل الرجال .
قال في « الرعاية الكبرى » : وترخيه البرزة ونساء البر على الأرض دون الذراع ،
وقيل : من شبر إلى ذراع ، وقيل : يكره ما نزل عنه أو ارتفع ، نص عليه .
انتهى . والمعتمد عدم الفرق بين نساء المدن وغيرهن لعموم الحديث ، وكذا
يستثنى من عموم النهي عن الخيلاء والتبختر عن قتال الكفار ، فإن أبا دجانه رضي
الله عنه لما تبختر بين الصفيين يوم أحد . قال عليه السلام : « إنها لمشية يبغيضها الله إلا
في مثل هذا الموطن » . والله الموفق .

الحديث التاسع

٩ - حدثنا سفيان ، عن زيد بن اسلم ، عن عبد الله ابن
عمر : دخل رسول صلى الله عليه وسلم مسجد بني عمرو بن عوف ، مسجد
قباء يصلي فيه ، فدخلت عليه رجال الأنصار يسلمون عليه ،
ودخل معه صهيب ، فسألت صهيباً : كيف كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصنع إذا سلم عليه ؟ قال : يشير بيده .

قال سفيان : قلت لرجلٍ : سل زيدا : أسمعته من عبد
الله ؟ وهبت أنا أن أسأله ، فقال يا أبا أسامة ! سمعته من عبد
الله بن عمر ؟ قال زيد : أما أنا فقد رأيته وكتبته .

قال رضي الله عنه : (حدثنا) أبو محمد (سفيان) بن عيينة (عن) أبي
أسامة (زيد بن أسلم عن) أبي عبد الرحمن (عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما
قال : (دخل رسول الله ﷺ مسجد بني عمرو بن عوف) يعني بعد ما بناه ،
فانه ﷺ دخل قباء يوم الاثنين لئلا يربيع الأول ، أي لأول يوم منه ، قاله
ابن عقبة ، وفي رواية جرير بن حازم عن ابن اسحق ، قدمها لاثنتي عشرة ليلة
خلت من ربيع الأول ، وعند أبي سعد في شرف المصطفى من طريق أبي بكر بن
حزم قال : قدم المدينة لثلاث عشرة ليلة من ربيع الأول ، وهذا يجمع بينه وبين
الذي قبله بالحمل على الاختلاف في رؤية الهلال ، فأقام صلى الله عليه وسلم في بني
عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وفي « الصحيح » عن أنس رضي الله عنه « أنه أقام
فيهم أربع عشرة ليلة » وقال ابن اسحق : خمس ليال . وعن قوم من بني عمرو
ابن عوف أنه أقام فيهم اثنين وعشرين يوماً ، (مسجد قباء) بالنصب بدل من
مسجد بني عمرو بن عوف أو عطف بيان ، وقباء - بالضم ، ويذكر ويقصر -
اسم الموضع المعروف قرب المدينة المنورة ، وفي « الصحيح » عن عروة « أقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف ، وأسس المسجد الذي أسس على
التقوى » وفي رواية عند عبد الرزاق عنه قال : « الذي بني فيهم المسجد الذي
أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف » وكذا عند ابن عائد ، وروى يونس
ابن بكير في زياداته عن المسعودي عن الحكم بن عتيبة - بضم العين المهملة وفتح
الفوقية وسكون التحتية وبالموحدة - قال : « لما قدم رسول الله صلى الله عليه

وسلم المدينة فنزل قباء ، قال عمار بن ياسر : ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من أن نجعل له مكاناً يستظل به إذا استيقظ ويصلي فيه ، فجمع حجارة فبنى مسجد قباء ، فهو أول من بنى مسجداً . قال ابن حجر وغيره : يعني لعامة المسلمين ، أو للنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو في التحقيق أول مسجد صلى فيه بأصحابه جماعة ظاهراً ، وإن كان قد بنى غيره من المساجد ، فقد روى ابن أبي شيبه عن جابر رضي الله عنه قال : لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم سنتين نعمر المساجد ، ونقيم الصلاة . وفي « الصحيحين » وغيرهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : « كان رسول الله ﷺ يزور قباء - أو يأتي قباء - راكباً و ماشياً » . زاد في رواية « فيصلي فيه ركعتين » ورواه البخاري والنسائي بلفظ : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكباً و ماشياً ، وكان ابن عمر يفعل » وأخرجه مسلم بلفظ : « ان ابن عمر كان يأتي قباء كل سبت ، وكان يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت » وفي رواية : « كان يأتيه راكباً و ماشياً » قال ابن ايثار : وكان ابن عمر يفعل . وروى النسائي من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قباء فيصلي فيه فان له كعدل عمرة » وأخرج الترمذي من حديث أسيد بن ظهير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الصلاة في مسجد قباء كعمرة » قال الترمذي : هذا هذا حديث حسن صحيح - قال - ولا نعرف لأسيد بن ظهير شيئاً صحيحاً غير هذا الحديث . (يصلي) أي دخله ليصلي (فيه) صلى الله عليه وسلم (فدخلت عليه رجال الأنصار) أنت الفعل في دخلت باعتبار الجماعة ، والأنصار هم الأوس والخزرج من بني قيلة وحلفائهم . وفي البخاري عن غيلان بن جرير قال : « قلت لأنس بن مالك رضي الله عنه : رأيت اسم الأنصار ، أكنتم تسمون به أم

سماكم الله تعالى وتبارك به ؛ قال : بلى شئنا الله عز وجل . . وروى البخاري
 ومسلم والترمذي وغيرهم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنها قال : « سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الأنصار : لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا
 يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحب الله ، ومن أبغضهم أبغض الله » وفي
 « الصحيحين » وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه « آية الإيمان حب الأنصار ،
 وآية النفاق بغض الأنصار » وأخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنها
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يبغض الأنصار أحد يؤمن بالله
 واليوم الآخر . (يسلمون عليه) صلى الله عليه وسلم (ودخل) المسجد (معه)
 عليه الصلاة والسلام (صهيب) وهو أبو يحيى صهيب بن سنان ، مولى عبد الله
 ابن جدعان التيمي ، وفي نسبه خلاف كثير ، إلا أنه من النمر بن قاسط ، كانت
 منازلهم بأرض الموصل فيما بين دجلة والفرات ، فأغارت الروم على تلك الناحية ،
 فسبته وهو غلام صغير ، فنشأ بالروم ، فابتاعته منهم كلب ، ثم قدمت به مكة ،
 فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمي فأعتقه ، فأقام معه إلى أن هلك وبعث النبي
 ﷺ ، ويقال : إنه لما كبر في الروم وعقل هرب منهم ، وقدم مكة ، فخالف
 عبد الله بن جدعان ، وأسلم قديماً بمكة . يقال : إنه أسلم هو وعمار بن ياسر في يوم
 واحد ، ورسول الله بدار الأرقم بعد بضعة وثلاثين رجلاً ، وكان من المستضعفين
 المعذبين في الله عز وجل بمكة ، ثم هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبي ﷺ ،
 وهو من السابقين الأولين ، وفيه نزل قوله تعالى : « ومن الناس من يشتري
 نفسه ابتغاء مرضاة الله » وشهد بدرًا والمشاهد كلها . روى عنه ابن عمر وجابر
 وابن المسيب . روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثون حديثاً ، انفرد
 بالإخراج عنه مسلم ، فأخرج له ثلاثة أحاديث ، ومات رضي الله عنه سنة ثمان
 وثلاثين بالمدينة ، وهو ابن سبعين سنة ، ودفن بالبقيع ، وقيل : مات سنة تسع

وثلاثين ، وهو ابن ثلاث وسبعين ، والله أعلم . قال ابن عمر رضي الله عنهما :
(فسألت صهيباً) فقلت له : (كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع)
أي ما كان يفعل (إذا سلم) بضم السين المهملة وكسر اللام مشددة مبنياً لمسلم
يسم فاعله ، أي ما يكون منه من الفعل إذا سلم رجال الأنصار (عليه) في حال
دخولهم عليه صلى الله عليه وسلم (قال) صهيب رضي الله عنه : كانت (يشير
بيده) الشريفة أي مع أتيانه بالرد المشروع ، وأقل ما يحصل به وجوب الرد أن
يسمع المبتدئ ، وحينئذ يحصل الجواب ، ولا يكفي الرد بالإشارة ؛ بل ورد
الزجر عنه ، وذلك فيما أخرجه الترمذي من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه
عن جده ، رفعه : « لا تشبهوا باليهود والنصارى ؛ فإن تسليم اليهود الإشارة
بالأصبع ، وتسليم النصارى بالأكف ، قال الترمذي : حديث غريب ، قال في
« الفتح » : وفي سنده ضعف ، لكن أخرج النسائي بسند جيد عن جابر رضي
الله عنه ، رفعه : « لا تسلموا تسليم اليهود ؛ فإن تسليمهم بالرؤوس والأكف
والإشارة ، قال النووي : ولا يرد على هذا حديث أسماء بنت يزيد : « مرّ النبي
صلى الله عليه وسلم في المسجد وعصبة من النساء قعود ، فألوى بيده بالتسليم »
رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه ؛ فانه محمول على أنه جمع بين
اللفظ والإشارة ، وقد أخرجه أبو داود من حديثها بلفظ : قسّم علينا . انتهى .
والنهي عن السلام بالإشارة مخصوص بمن قدر على اللفظ حساً وشرعاً ، وإلا فهي
مشروعة لمن يكون في شغل يمنعه من التلفظ بجواب السلام ، كالمصلي والبعيد
والأخرس ، وكذا السلام على الأصم ، ولو سلم بغير اللفظ العربي ، هل يستحق
الجواب ؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء ، ثالثها : يجب لمن يحسن بالعربية ، واستظهر ابن
دقيق العيد أن التحية بغير لفظ السلام من باب ترك المستحب وليس بمكروه ؛

إلا إن قصد به العدول عن السلام الى ما هو أظهر في التعظيم من أجل أكرام
أهل الدنيا .

ورد السلام يجب على الفور ، فلو أخر ثم استدرك فرداً ؛ لم يعد جواباً ،
قاله القاضي حسين وجماعة ، وكان محله إذا لم يكن عذر . وفي «آداب الكبرى»
لابن مفلح : وهل يكره أن يسلم على المصلي ، وأن يرد إشارة ؟ على روايتين :
إحداهما : يكره ، وهو الذي قدمه في «الرعاية» ، والثانية : لا يكره ، للعموم
ولأنه صلى الله عليه وسلم لم ينكر على أصحابه حين سلموا عليه ، وذلك في
البخاري ومسلم ، ولأنه صلى الله عليه وسلم رد إشارة على ابن عمر وصهيب ،
روى ذلك جماعة ، منهم الامام أحمد وأبو داود والترمذي وصححه ، وعن الامام
أحمد رضي الله عنه : لا يكره ذلك في النفل فقط ، وقيل : إن علم المصلي
كيفية الرد جاز وإلا كره ، وعنه : يجب رده إشارة ، وقال في «المحرر» : له رد
السلام إشارة ، وفي «الشرح» : يرد السلام إشارة ، وهو قول مالك والشافعي ،
وإن رد عليه بعد فراغه من الصلاة فحسن ؛ لأن ذلك جاء في حديث ابن مسعود
رضي الله عنه ، فإن رد في صلاته لفظاً بطلت ، وبه قال الثلاثة ؛ لأنه صلى الله
عليه وسلم لم يرد على ابن مسعود ، قال ابن مسعود : « فسألته فقال : إن الله
عز وجل يحدث من أمره ما يشاء ، وإنه قد أحدث من أمره أن لا يتكلم في
الصلاة » ، رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي ، وقال : رواه جماعة
من الأئمة عن عاصم بن أبي النجود ، وتداوله الفقهاء بينهم ، وكان الحسن وابن
المسيب وقتادة لا يرون به بأساً ، وروى النسائي عن عمار رضي الله عنه : « أنه
سلم على النبي ﷺ وهو يصلي ، فرد عليه » وهذا محمول على ما قبل تحريم
الكلام في الصلاة ، وروى المهاجر بن قنفذ : « أنه سلم على النبي ﷺ وهو
يتوضأ ، فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ، فرد عليه وقال : إنه لم يمنعني أن

أرد عليك إلا أنني كرهت أن أذكر الله عز وجل إلا على طهارة « إسناده جيد ، رواه الامام أحمد وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه» وغيرهم ، وقال ابن حبان : أراد به الفضل ؛ لأن الذكر على الطهارة أفضل ، لا أنه مكروه . ولم يرد النبي ﷺ وهو يبول ، رواه مسلم وغيره . وفي البخاري عن جابر رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ بعثه في حاجة قال : فأتيته فسلمت عليه فلم يرد عليّ ، فوقع في قلبي ما به الله أعلم ، فقلت في نفسي : لعله وجد علي أن أبطأت عليه ، ثم سلمت عليه فلم يرد عليّ ، فوقع في قلبي أشد من المرة الأولى ، ثم سلمت عليه ، فرد علي وقال : إنما منعي أن أرد عليك أنني كنت أصلي ، وكان علي راحلته متوجهاً الى غير القبلة . ولمسلم أنه أوماً بيده ، وفي هذا الخبر وغيره أنه يستحب لمن منعه من رد السلام مانع أن يعتذر الى المسلم ويذكر المانع له .

(فروع) :

الاول : لو سلم على أصم ؛ جمع بين اللفظ والاشارة ، فإن لم يجمع لم يجب الجواب ، فإن سلم عليه أصم ؛ جمع في الرد بين اللفظ والاشارة أيضاً . فأما الآخر فسلامه بالاشارة ، وكذلك جواب الأخرس . قال في «الآداب الكبرى» : ويؤخذ من المسألة قبلها أن من سلم على أخرس أو رد سلامه ، جمع بين اللفظ والاشارة ، وهو متوجه — قال — وذكر المروزي أن أبا عبد الله يعني الامام أحمد رضي الله عنه لما اشتد به المرض كان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجاً أفواجاً ، فيسلمون عليه فيرد عليهم بيده .

الثاني : ابتداء السلام سنة ، ومن جماعة سنة كفاية ، والأفضل السلام من جميعهم ، ولا يجب إجماعاً ، نقله ابن عبد البر وغيره ، قال ابن مفلح في

« الآداب الكبرى » : وظاهر ما نقل عن الظاهرية وجوبه . - قال - وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن ابتداء السلام واجب في أحد القولين في مذهب أحمد وغيره . ورفع الصوت بابتداء السلام سنة ليسمعه المسلم عليهم سماعاً محققاً ، وإن سلم على أيقاظ عندهم نيام ، أو على من لا يعلم هل هم أيقاظ أو نيام ؛ خفض صوته بحيث يسمع الأيقاظ ولا يوقظ النيام ؛ فقد روى مسلم من حديث المقداد رضي الله عنه : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيء من الليل فيسلم تسليماً لا يوقظ نائماً ، ويسمع اليقظان » ويسن أن يبدأ بالسلام قبل كل كلام .

الثالث : رد السلام المسنون فرض عين على المنفرد ، وكفاية على الجماعة فوراً ، ورفع الصوت به قدر الإبلان واجب ، ومن سلم في حالة لا يستحب فيها السلام ، لم يستحق جواباً ، فيكره أن يسلم على أجنبية إلا أن تكون عجوزاً ، وفي الحمام ، وعلى من يأكل أو يقاتل ، وعلى تالٍ وذا كبرٍ وملبٍ ومحدثٍ وخطيبٍ وواعظٍ ، وعلى من يستمع لهم ، وعلى من يكرر فقهاً ، ومدرسٍ ومؤذنٍ ومقيمٍ ، ومن هو على حاجته ، أو يتمتع بأهله ، ومشتغل بالقضاء ونحوهم .

الرابع : ابتداء السلام أفضل من رده ، مع أن ابتداءه سنة ، ورده واجب ، وهذا أحد المواضع التي السنة أفضل فيها من الواجب ، الثاني : إنظار المعسر واجب وإبرأؤه سنة ، وهو أفضل ، الثالث : التطهر قبل الوقت سنة وبه يجب . الرابع : الختان قبل البلوغ سنة وبه يجب . ونظموا ذلك (١)

الفرض أفضل من تطوع عابد	حتى ولو قد جاء منه بأكثر
إلا التطهر قبل وقت وابتداء	للسلام كذاك إبراهيم المعسر
وكذا ختان المرء قبل بلوغه	تتم به عقد الامام الأكثر

(١) البيتان الاولان للحافظ السيوطي ، والثالث للشيخ محمد الخلوئي الحنبلي .

وقد أنهيت الكلام على فصول السلام في كتابي « غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب » والله تعالى الموفق .

(قال سفيان) ابن عيينة رحمه الله ورضي عنه : (قلت لرجل) من الحاضرين (سئل زيدا) يعني ابن أسلم ، (أسمعه) ، أي الحديث من (عبد الله) بن عمر رضي الله عنه ؟ وخاف سفيان أن يكون بينه وبين ابن عمر واسطة في الحديث ، لأنه رواه عنه بالنعنة . قال سفيان رحمه الله تعالى (وهبت أنا أن أسأله) ، أي أسأل زيد بن أسلم عن ذلك ، (فقال) له الرجل : (يا أبا أسامة) ! هذه كنية زيد كما تقدم في ترجمته ، (سمعته) ، أي هذا الحديث (من عبد الله بن عمر) رضي الله عنها ، (قال زيد) بن أسلم : (أما أنا فقد رأيته) ، أي عبد الله بن عمر (وكلمته) ، يعني فلا أسأل بعد ذلك عن مثل ذلك ولا أتهم في شيء من ذلك ، لأن أضيق الشروط ثبوت اللقي والأخذ عن الشيخ وملازمته له ، وكل هذه موجودة في زيد بن أسلم مع ابن عمر رضي الله عنها ، والحديث صحيح والله أعلم .

الحديث العاشر

١٠ - حدثنا سفيان ، قال : سمع صدقة بن عمرو يقول

- يعني عن النبي ﷺ - يَهْلُ أَهْلُ نَجْدٍ مِنْ قَرْنٍ ، وَأَهْلُ الشَّامِ مِنَ الْجُحْفَةِ . وَأَهْلُ الْيَمَنِ مِنْ يَلَمْلَمٍ ، وَلَمْ يَسْمَعْهُ ابْنُ عُمَرَ .
وسمع النبي ﷺ : مُهَلُّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ذُو الْحُلَيْفَةِ قَالُوا لَهُ :
فَأَيْنَ أَهْلُ الْعِرَاقِ ؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ : لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ .

قال رضي الله عنه : (حدثنا) أبو محمد (سفيان) بن عيينة (قال) سفيان :
(سمع) أبو الهذيل (صدقة) بن يسار الجوزي المكي ، سكن مكة ، يعد في
التابعين ، روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وسمع أبا جعفر والقاسم ،
روى عنه شعبة والسفيان رضي الله عنهما ، والامام مالك وغيرهم ، هكذا ذكره
في « جامع الأصول » ولم يؤرخ وفاته ، وقوله : (ابن عمر) هو بالنصب مفعول أول
لسمع ، وصدقة فاعل ، وجملة (يقول) مفعول ثان ، أو حال من المفعول الذي هو
ابن عمر (يعني عن النبي صلى الله عليه وسلم يهل) بضم المثلثة التحتية ، أي رفع
صوته بالتلبية ، يقال : أهل الحرم بالحج يهل إهلالاً : إذا لبى ورفع صوته ،
والمراد يحرم ، (أهل نجد) بفتح النون وسكون الجيم ، قال في « المطلع » عن
صاحب « المطالع » : هو ما بين جرش إلى سواد الكوفة ، وحده مما يلي المغرب
الحجاز على يسار الكعبة ، ونجد كلها من عمل اليمامة ، وقال الجوهري : نجد من
بلاد العرب ، وهو خلاف الغور ، والغور هو تهامة كلها ، وكل ما ارتفع من تهامة
إلى أرض العراق فهو نجد ، وهو مذكر ، (من قرن) متعلق بهل ، وقرن بسكون
الراء بلا خلاف ، قال صاحب « المطالع » : هو ميقات نجد على يوم وليلة من
مكة ، ويقال له : قرن المنازل وقرن الثعالب ، ورواه بعضهم بفتح الراء وهو
غلط ، وإنما قرن بفتح الراء قبيلة من اليمن ، وهي قبيلة أويس بن عامر القرني ،
وقد غلط غير صاحب « المطالع » من العلماء من ذكره بفتح الراء ، وزعم أن
أويساً القرني منه ، وإنما هو من قرن - بفتح الراء - بطن من مراد .

(ويهل) أي يحرم (أهل الشام) ، زاد النسائي في حديث عائشة رضي الله عنهما
ومصر ، زاد الشافعي في روايته : والمغرب ، والشام : إقليم معروف يقال مسهلاً
ومهموزاً ، وشام بهمزة وبعدها مدة ، نقلها في « المطلع » ، قال الجوهري : الشام
وتؤنث ، وفي « القاموس » : الشام بلاد على سمت القبلة ، وسميت كذلك لأن

قوماً من بني كنعان تشاءموا اليهم — ، أي تياسروا ، أو سمي بشام من نوح ؛ فانه بالشين المعجمة بالسريانية ، أو لأن أرضها شامات بيض وحمر وسود ، وعلى هذا لا يهمز ، وقد تذكر ، وهو شامي وشام وشامي . انتهى . وفي «المطلع» في تسميتها بذلك ثلاثة أقوال : أحدها : أنها سميت بشام بن نوح ؛ لأنه أول من نزلها ، فجعلت السين شيناً تغييراً للفظ الأعجمي . الثاني : أنها سميت بذلك لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض ، فشبهت بالشامات . والثالث : أنها سميت بذلك لأن باب الكعبة مستقبل المطلع ، فمن قابل طلوع الشمس كانت اليمن عن يمينه والشام عن يده التومي ، أي اليسرى . وحد الشام ما بين العريش والفرات طولا ، وما بين البحر المالح ودومة الجندل عرضاً . (من الجحفة) - بضم الجيم وإسكان الحاء المهملة وفتح الفاء - قرية على ستة أميال من البحر وثمان مراحل من المدينة ، ومن مكة خمسة مراحل أو ستة أو ثلاثة ، كذا في القسطلاني ، وفي «المطلع» لابن قرقول : الجحفة : قرية جامعة على طريق المدينة من مكة ، وهي مهيبة ، وسميت الجحفة لأن السيل اجتمع فيها وحمل أهلها ، وهي على ستة أميال من البحر وثمان مراحل ، وقيل : نحو سبع مراحل من المدينة وثلاثة من مكة ، وفي «الاقناع» وغيره من كتب علمائنا : هي قرية كبيرة خربة بقرب رابع الذي يحرم منه الناس على يسار الذهاب الى مكة ، ومن أحرم من رابع فقد أحرم قبل محاذاة الجحفة بيسير ، بينها وبين مكة ثلاث مراحل ، وقيل : أكثر . انتهى . قلت : الذي شاهدناه عياناً أن ما بين رابع والمدينة خمس مراحل ، وما بينها وبين مكة كذلك ، نعم مراحل ما بين رابع ومكة قصيرة بالنسبة الأولى ، والله أعلم . قال ابن الكلبي : كان المماليق يسكنون يثرب ، فوقع بينهم وبين عييل - بفتح المهملة وكسر الموحدة - وهم إخوة عاد حرب ، فأخرجوهم من يثرب ، فنزلوا مهيبة في السيل فاجتمعهم ، أي استأصلهم ، فسميت الجحفة ، والآن هي خربة لا يصل إليها أحد لوخها ،

ولمّا يحرم الناس في هذه الأزمان من رابع لكونها محاذية لها .

تنبيه : يلزم أهل الشام في هذه الأزمنة الاحرام من ذي الحليفة ، لأنهم يأتون المدينة المنورة أولاً ، فيجب عليهم الاحرام من ميقات أهل المدينة ؛ لقوله **صلى الله عليه وسلم** : « هن - أي المواقيت - هن ، ولمن أتى عليهن من غيرهن » كما يأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى . فليس للشامي ونحوه ، فمن أتى المدينة مجاوزة ذي الحليفة بالإحرام إلى الجحفة التي هي ميقاته ، فإن فعل أساء ولزمه دم عند الجمهور . وأطلق النووي الاتفاق ، ونفى الخلاف في شرحه « لمسلم » « والمذهب » في هذه المسألة ، فإن أراد نفي خلاف مذهبه ، فمسلم ، وإلا فلا ؛ لأن مذهب مالك له مجاوزة ذي الحليفة إلى الجحفة إن كان من أهل الشام أو مصر ، وإن كان الأفضل خلافه ، وبه قال الحنفية وابن المنذر من الشافعية . قال العلامة ابن مفلح في « فروع » : « وهن مواقيت من مر عليها من غير أهلها كالشامي يمر بذي الحليفة يحرم منها ، نص عليه يعني الامام أحمد . قال النووي : بلا خلاف ، كذا قال ، ومذهب عطاء والمالكية وأبي ثور ، له أن يحرم من الجحفة - قال - ويتوجه لنا مثله ، وعند داود لا حج له ، وعند الحنفية يحرم أهل المدينة ومن مر بها من شامي وغيره من ذي الحليفة ، ولهم أن يحرموا من الجحفة ، ولا شيء عليهم ، وعن أبي حنيفة عليه دم ، وللشافعي : أنبأ ابن عيينة عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب ؛ أن عائشة رضي الله عنها اعتمرت في سنة مرتين ؛ من ذي الحليفة ، ومرة من الجحفة . وذكر بعض الحنفية ما ذكره ابن المنذر وغيره عن عائشة رضي الله عنها : كانت إذا أرادت الحج أحرمت من ذي الحليفة ، وإذا أرادت العمرة من الجحفة ، قال : ولو لم تكن الجحفة ميقاتاً لذلك لما جاز تأخير احرام العمرة ؛ لأنه لا فرق للائقي ، وأما إذا مر الشامي أو المدني من غير طريق ذي الحليفة ، فميقاته الجحفة للخبر ، ومن خرج عن

المقات أحرم اذا علم أنه حاذى أقربها منه ، ويستحب الاحتياط ، فان تساوى في القرب اليه ؛ فمن أبعدهما من مكة ، والله الموفق .

(و) يهل أي يحرم (أهل اليمن) وهو ما كان عن يمين الكعبة من بلاد الغور ، قال الجوهري : اليمن بلاد العرب ، قال في « القاموس » : اليمن محرّكة ما عن يمين القبلة من بلاد الغور ، والنسبة اليها يعني ويمان مخففة ، والالف عوض من ياء النسبة ؛ فلا يجتمعان ، قال سيبويه : وبعضهم يقول : يمان بالتشديد ، قال أمية بن خلف :

يماناً يظل يشد كـيـراً
وينفخ دائماً لهب الشواظ

(من يللم) - بفتح الياء المثناة تحت واللامين ، وسكون الميم الأولى بين اللامين - غير منصرف ، جبل من جبال تهامة ، ويقال فيه : ألملم - بهمزة بدل الياء - وهو على مرحلتين من مكة ، وفي « المطالع » ألملم ، ويقال يللم : من جبال تهامة ، على ليلتين من مكة ، والياء فيه بدل من الهمزة ، وليست بعزيدة ، وحكى اللغتين فيه الجوهري وغيره . (ولم يسمعه) أي يسمع قوله : يهل أهل اليمن من يللم عبد الله (بن عمر) رضي الله عنها ، قال ابن عمر رضي الله عنها : « وبلغني أن رسول الله ﷺ قال : وفي رواية سالم ابنه عنه : زعموا أن رسول الله ﷺ قال - ولم أسمعه : مهل أهل اليمن يللم ، ولا خلاف بين العلماء أن مرسل الصحابي صحيح حجة . نعم خالف في ذلك الاستاذ أبو اسحق الأسفرايني فذهب الى أنه ليس بحجة . وقد ورد ميقات أهل اليمن مرفوعاً من غير إرسال من حديث ابن عباس في « الصحيحين » ، ومن حديث جابر في مسلم إلا أنه قال : أحسبه رفعه ، ومن حديث عائشة عند النسائي ، ومن حديث الحارث بن عمر وعند أبي داود والنسائي . (وسمع) ابن عمر رضي الله عنها (النبي) بالنصب مفعول سمع (صلى الله

عليه وسلم) يقول : (مهل) - بضم الميم وفتح الهاء - أي موضع إهلال (أهل المدينة) النبوية ، على ساكنها الصلاة والسلام ، و آل فيها للعهد الذهني ، والنسبة اليها مدني ، والى مدينة المنصور وأصفهان مديني ، والى مدائن كسرى مدائي ، وقال الحافظ أبو الفضل المقدسي في « كتاب الانساب » : قال البخاري : المدني هو الذي أقام بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفارقها ، والمدني هو الذي تحول عنها وكان منها . انتهى . والمنسوب الى مدين قرية شبيب عليه السلام مدّيني . قال في النهاية : المهل - بضم الميم - موضع الالهلال ، وهو الميقات الذي يحرمون منه ، ويقع على الزمان والمصدر ، ومنه إهلال الهلال واستهلاله إذا رفع الصوت بالتكبير عند رؤيته (ذو الحليفة) - بضم الحاء المهملة وفتح اللام مصغراً - موضع عن المدينة ستة أميال ، وقيل سبعة ، نقله في « المطلع » عن القاضي عياض وغيره ، وذكر الرافعي من الشافعية ، أن بينه وبين المدينة ميل ، قال القسطلاني في « شرح البخاري » : وقول من قال كابن الصباغ في « التأمل » و « الروايات » في أنه على ميل من المدينة وهم يردده الحس . انتهى . والذي في « القاموس » ستة أميال ، وفي « المهمات » الصواب المعروف بالمشاهدة ، أنها على ثلاثة أميال أو تزيد قليلاً ، كذا قال ، وجزم فقهاؤنا أن بين ذي الحليفة والمدينة ستة أميال ، وتعرف الآن بآبار علي ؛ لأنهم يزعمون أن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتل الجن فيها ، وهذا كذب لا أصل له ، والموضع مال لبني جشم ، والحلف - محرّكة - نبت معروف ، الواحدة حلقة كفرحة وخشبة وصحراء ، كما في « القاموس » وهي قرية خربة ، وبها مسجد يعرف بمسجد الشجرة ، (قالوا) أي الحاضرون عند ابن عمر المستمعون لحديثه (له) أي لعبد الله بن عمر رضي الله عنها (فأين) ميقات (أهل العراق ؟) البلاد المعروفة ، وهي من عبادان الى الموصل طولاً ، ومن القادسية الى حلوان عرضاً ، قيل : سمي بذلك لتواشع عراق

النخل والشجر فيها ، أو لأنه استلف أرض العرب ، أو لأن العراق بين الريف والبر ، أو لأنه على عراق دجلة والفرات ، أي شاطئها ، أو معربة : إيران شهر ومعناه كثيرة النخل والشجر ، والعراقان الكوفة والبصرة .

(قال) عبد الله (بن عمر) رضي الله عنها مجيباً لمن سأله : (لم يكن) العراق (يومئذ) أي لم يكن أهله أسلموا بعد ، وفي البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنها قال : « لما فتح هذان المصران ، يعني البصرة والكوفة ، أتوا عمر بن الخطاب فقالوا : إن رسول الله ﷺ حد لأهل نجد قرناً ، وأنه جور عن طريقنا - وهو بفتح الجيم وسكون الواو فراء ، أي مائل عنها ، فإذا أردنا أن نأتي قرناً شق علينا ، قال : فانظروا حذوها من طريقكم - قال - فحد لهم ذات عرق » وهو الجبل الصغير ، وقيل : العرق من الأرض السبخة تنبت الطرفاء ، وبينه وبين مكة اثنتان وأربعون ميلاً ، فكان تحديده لهم باجتهاده ، ويؤيد هذا رواية الشافعي من طريق أبي الشعثاء قال : لم يوقت رسول الله ﷺ لأهل المشرق شيئاً ، فانخذ بحيال قرن ذات عرق . انتهى . وقدم العلامة ابن مفلح في « فروعه » أنه ثبت بالنص - قال - وعند بعض العلماء واختاره بعض الشافعية ، وقاله الشافعي في الأم ، وأوماً إليه الامام أحمد أن ذات عرق إنما ثبت بالاجتهاد من أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه . قال ابن الجوزي بعد ما ذكر خبر ابن عمر عند البخاري : وكلام الشافعي هذا يدل على أن عمر هو الذي حد ذات عرق ، وإنما حدها لهم لأنها حذو قرن ، أي محاذيتها - قال - فإن قيل : فقد روى أبو داود والنسائي من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ وقت لأهل العراق ذات عرق ؛ فالجواب : اسناده ضعيف ، وقد روي عن أبي داود أنه قال : الصحيح أن عمر وقت لأهل العراق بعد أن فتحت ، ويدل على صحة هذا ما روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر المواقيت الأربعة ولم يذكر ذات عرق انتهى . قال في « الفروع » والظاهر أنه خفي النص ، يعني على سيدنا عمر رضي الله عنه فوافقه ، فانه موفق للصواب انتهى .

قال ابن عبد البر : ذات عرق ميقاتهم ، أي أهل العراق باجماع . وفي صحيح مسلم عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يسأل عن المهمل فقال : « سمعت — أحسبه رفع الحديث الى رسول الله ﷺ — وذكر الحديث ، وفيه : ومهمل أهل العراق ذات عرق » . لكن قال النووي في شرح مسلم : إنه غير ثابت لعدم جزمه برفعه ، وأجيب بأن قوله : أحسبه ، معناه أظنه ، والظن في باب الرواية يتنزل منزلة اليقين ، وليس ذلك قادحاً في رفعه ، وأيضاً فلو لم يصرح برفعه لا يقيناً ولا ظناً؛ فهو منزل منزلة المرفوع ، لأنه لا يقال من قبل الرأي ، وإنما يؤخذ توقفاً من الشارع ، ولا سيما وقد ضمه جابر الى المواقيت المنصوص عليها يقيناً باتفاق ، وقد أخرجه الامام أحمد من رواية ابن لهيعة ، وابن ماجة من رواية ابراهيم بن يزيد ، كلاهما عن أبي الزبير ، فلم يشكأ في رفعه ، وقد صحح النووي حديث عائشة الذي رواه أبو داود والنسائي ، نعم كان الامام أحمد ينكر على أفلح بن حميد هذا الحديث ، وقال ابن عدي : قد حدث عنه ثقة الناس ، وهو عندي صالح ، وأحاديثه مستقيمة كلها ، وصححه الذهبي ، وقال العراقي : إن إسناده جيد ، وروى الامام أحمد والدارقطني من حديث الحجاج ابن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : « وقت رسول ﷺ ... فذكر الحديث وفيه : وقال : لأهل العراق ذات عرق » . فمجموع هذه الأحاديث لا يقصر عن درجة الاحتجاج بها ، وفي « اتقان »^(١) المجد ابن تيمية : والنص بتوقيت « ذات عرق » ليس في القوة كغيره ، فان ثبت فليس يبدع ، ووقوع اجتهاد عمر على وفقه ، فانه كان موفقاً للصواب ، وأما ما أخرجه أبو داود والترمذي عن ابن

(١) كذا في الاصل ، ولعله تحريف من الناسخ وليس للمجد كتاب يسمى « الاتقان »
فيا نعم ، وكتابه المشهور : « المتقى »

عباس رضي الله عنهما: « أن النبي ﷺ وقت لأهل المشرق «العقيق» ، فقد تفرد به يزيد بن أبي زياد ، وهو ضعيف باتفاق المحدثين ، وكذا حديث الطبراني في «الكبير» عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لأهل المدائن «العقيق» ، ولأهل البصرة «ذات عرق» ، الحديث فيه أبو ظلال بن يزيد ، وثقه ابن حبان ، وضعفه الجمهور ، والعقيق : واد فوق ذات عرق ، بينه وبين مكة مرحلتان ، فمن أحرم منه فقد أحرم قبل أن يصل إلى ذات عرق ، فعلى تقدير ثبوته يكون ميقات جواز واستحباب ، وميقات ذات عرق ميقات لزوم وإيجاب ، والله أعلم .

تنبيهات

الأول : حديث ابن عمر رضي الله عنهما رواه البخاري ومسلم ، لكن من حديث نافع عن ابن عمر وعن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه ، ورواه مسلم من حديث عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما قال : « أمر رسول الله ﷺ أهل المدينة أن يهلوا من ذي الحليفة ... الحديث » . قلت : روي حديث المواقيت عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو في «الصحيحين» وغيرهما ، وحديث جابر عند مسلم ، والاحاديث في هذا كثيرة شهيرة ، وفي آخر حديث ابن عباس أنه قال صلى الله عليه وسلم : « هن لهن ولمن أتى عليهن من غيرهن ، ممن أراد الحج والعمرة ، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ ، حتى أهل مكة من مكة » ، وهذا متفق عليه ، والله الموفق .

الثاني : إذا أراد دخول مكة أو نسكاً حر مسلم مكلف لزمه إحرام من ميقاته ، وفقاً لأبي حنيفة ومالك ؛ إلا أن أبا حنيفة يجوز لمن منزله دون الميقات أو داخله من أقي وغيره دخول الحرم ومكة بلا

إحرام ، فإذا أراد مكاناً داخل الميقات ودون مكة كخليص ، فله أن يدخله بلا إحرام ، فإذا وصل خليص مثلاً ، فله دخول مكة بلا إحرام ، وهو الحيلة عند المجاوزة للميقات بلا إحرام . وعندهم إنما يلزم الإحرام من أدنى الميقاتين من مكة كذي الحليفة ورابع ، لكن من الأبعد أفضل ، إلا أن يريد نسكاً . قال في « الفروع » : ولا وجه للفرقة ، وظاهر مذهب الشافعي : يجوز مطلقاً ؛ إلا أن يريد نسكاً . وعن الإمام أحمد رواية ثانية مثله ، ذكرها القاضي وجماعة ، وصححها ابن عقيل . قال في « الفروع » : وهي أظهر ؛ للخبر ، يعني مفهوم حديث ابن عباس — قال — وينبغي على عموم المفهوم ، والأصل عدم الوجوب ، ووجه الأول : ما روى حرب وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما : « لا يدخل إنسان مكة إلا محرماً ، إلا الجمالين والخطابين وأصحاب منافعها » ، احتج به الإمام أحمد ، قال : وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : يدخل بغير إحرام . وعن ابن عباس مرفوعاً « لا يدخل مكة أحد إلا بإحرام من أهلها وغيرهم » ، وذكره في : « الفروع » وقال : فيه حجاج ، ضعيف مدلس ، ومحمد بن خالد بن عبد الله ضعفه الإمام أحمد وابن معين وابن عدي وغيرهم ، وقال : لا أعرفه مسنداً إلا من هذا الوجه ، واحتج القاضي وابن العربي المالكي وغيرها بتحريم الله ورسوله مكة وذا في القتال . قال في « الانتصار » : ومعناه في الخلاف : الإحرام شرط لإباحة دخوله ، ولا نوجبه لدخوله لئلا يقال : لا ينوب عنه إحرام بحجة أو عمرة ، كالأول لم ينب عن مندورة ، ومعمد المذهب : لا يجوز لمن أراد دخول مكة أو الحرم أو نسكاً تجاوز الميقات بغير إحرام إن كان حراً مسلماً مكلفاً ؛ إلا لقتال مباح ، أو خوف ، أو حاجة متكررة ؛ كعطاب وفيثج^(١) وناقل ميرة ونحو حشاش ، وتردد المكي إلى قريته بالحل ، ثم إن بداله النسك أو لمن لم يرد الحرم أحرم من موضعه ، ومن تجاوز الميقات

(١) الفيح أو الفيوج : الذين يدخلون السجن ويخرجون ويحرسون .

بلا إحرام ، لم يلزمه قضاء الاحرام ، ذكره القاضي في « المجرد » ، وجزم به
الموفق وغيره وفاقاً لما لك والشافعي ، كتجية المسجد ، وحيث لزم الاحرام لدخول
مكة لا لنسك ، طاف وسمى وحلق وقصر وحل .

الثالث : من حج من مكة من مكى أولاً فميقاته منها ، وظاهر كلام علمائنا
لا ترجيح ، وأظهر قولي الشافعي من باب داره ، ويأتي المسجد محرماً ، ومتمم
مذهب الامام أحمد ، له الاحرام من حيث شاء من مكة ، ونصه : من المسجد ،
وفي « الايضاح » و « المبهج » : من تحت الميزاب ، ويجوز من سائر الحرم ، ومن
الحل كالعمرة ، ولا دم عليهم ، ومن أراد بمن بمكة من أهلها وغيرهم وكذا من
بالحرم العمرة ، أحرم بها من الحل ، ومن التمتع أفضل ؛ وهو أدنى الحل الى
مكة ، فان أحرموا من مكة أو من الحرم ، انعقد وفيه دم ، ثم إن خرج الى الحل
قبل إتمامها ، ولو بعد الطواف أجزأته عمرته ، وكذا إن لم يخرج ، قدمه في « المغنى » .
قال شيخ الاسلام ابن تيمية والزرکشي : هذا هو المشهور ، إذ فوات الاحرام
من الميقات لا يقتضي البطلان ، ولنا وللشافعي قول : لا يجوز له وفاقاً لما لك لأنه نسك
فاعتبر فيه الجمع بين الحل والحرم ، وحيث وجب عليه دم لمجاوزته الميقات بلا
إحرام لا يسقط لخروجه . والمراد على الراجح خلافاً للشافعية ، وللحنفية الخلاف ،
والله أعلم .

الحديث الحادي عشر

١١ - حدثنا سفيان قال : سمع عمرو ابن عمر : كنا
نُخابر ولا نرى بذلك بأساً ، حتى زعم رافع أن رسول الله
ﷺ نهى عنه ، فتركناه .

قال رضي الله عنه : (حدثنا) أبو محمد (سفیان قال : سمع عمرو) هو أبو محمد عمرو بن دينار الامام الحافظ عالم الحرم المكي أحد الاعلام المجي مولا م الأثرم، ولد سنة سبع وأربعين أو نحوها ، وسمع ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وأبا هريرة وأنس بن مالك ، وعنه شعبة وابن جريج والحمادان والسفيان وأيوب وأبو حنيفة . قال ابن أبي نجيح : ما كان عندنا أحد أفقه ولا أعلم من عمرو ابن دينار ؛ لا عطاء ولا مجاهد ولا طاووس ، وقال شعبة : ما رأيت أحداً أثبت في الحديث من عمرو بن دينار ، وقال ابن عيينة : ما كان عندنا أحد أفقه ولا أعلم ولا أحفظ من عمرو بن دينار ، وقال الامام أحمد ويحيى القطان : هو أثبت من قتادة ، وقال ابن عيينة : هو ثقة ثقة ، وكان قد جزأ الليل اثلاثاً ، ثلثاً ينام فيه ، وثلثاً يدرس فيه حديثه ، وثلثاً يصلي فيه ، مات رحمه الله ورضي عنه ، سنة خمس وعشرين ومائة وهو ابن ثمانين . وقوله : (ابن عمر) بن الخطاب رضي الله عنهما ، بالنصب مفعول أول لسمع على القول بأن سمع ينصب مفعولين ، والأصح خلافه ، والفاعل عمرو ، والمفعول الثاني محذوف تقديره . يقول : وعلى الأصح أن نحو يقول : جملة حالية . (كنا) معشر أصحاب محمد ﷺ (نخابر) أي زارع ، والخبرة المزارعة ، واشتقاقها من الخبر وهي الأرض اللينة ، والخير الأكثار ، وقيل : الخبرة معاملة أهل خير (ولا نرى بذلك) أي بالخبرة (بأساً) ، ولم نزل مستمرين على فعل ذلك .

(حتى زعم) من الزعم مثلث ، القول الحق والباطل والكذب ضد ، قاله في « القاموس » قال : وأكثر ما يقال فيما يشك فيه . وقد أخرج الامام أحمد وأبو داود ، ورجاله ثقات على انقطاع فيه ، « قيل لأبي مسعود : ما سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول في زعموا ؟ قال : بش مطية الرجل ، قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : الأصل في زعم أنها تقال في الأمر الذي لا يوقف على حقيقة

انتهى . أي سواء كان حقاً في نفسه أم باطلاً ، والله أعلم . (رافع) - بالراء بعدها ألف ففاء مكسورة - ابن خديج - بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة وبالجم - ابن رافع بن عدي بن زيد بن عمرو بن زيد الحارثي الأنصاري الأوسي من أهل المدينة ، لم يشهد بدرألآن النبي ﷺ رده يومئذ لصغره ، ثم أجازه يوم أحد ، وأصابه سهم يومها ، فقال له رسول الله ﷺ : أنا أشهد لك يوم القيامة ، ثم انتقضت جراحته في زمن عبد الملك بن مروان ، فمات سنة ثلاث وسبعين بالمدينة وله ستة وثمانون سنة ، روي له عن رسول الله ﷺ ثمانيه وسبعون حديثاً ، اتفقا منها على خمسة ، وانفرد مسلم بثلاثة . (أن) - بفتح الهمزة ، معمول لزعم - (رسول الله ﷺ نهى عنه) أي عن ذلك الفعل ، وهو الخبابة ، (فتركناه) أي تركنا العمل به . وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرها من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من تمر أو زرع » وفي « الصحيحين » وغيرها من حديثه أيضاً « أن النبي ﷺ لما ظهر على خيبر سأله اليهود أن يقرهم بها ؛ على أن يكفوه عملها ، ولهم نصف الثمر ، فقال لهم رسول الله ﷺ : نقركم على ذلك ما شئنا » وهذه هي المساقاة - مفاعلة من السقي - سميت بذلك لأن أهل الحجاز أكثر حاجة شجرهم الى السقي ؛ لكونهم يسقون من الآبار ، وهي أن يدفع إنسان شجره الى آخر ليقوم بسقيه ، وسائر ما يحتاج اليه ، بجزء معلوم من الثمرة ، وقد أجمع المسلمون على جواز ذلك . قال الامام شمس الدين بن أبي عمر في « شرح المقنع » : قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم : عامل رسول الله ﷺ أهل خيبر بالشطر ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم - قال - الى اليوم يعطون الثلث والرابع ، وهذا عمل به الخلفاء الراشدون مدة خلافتهم ، واشتهر ذلك فلم ينكره منكر ، فكان إجماعاً .

وأما المزارعة ؛ فهي دفع أرض وحب لمن يزرعه ويقوم عليه ، أو مزروع ينمو لمن يعمل عليه بجزء مشاع معلوم من المتحصل من الزرع ، فإن كان في الأرض شجر ، فزارعه الأرض وساقاه على الشجر صح . قال شمس الدين في « شرح المقنع » : تجوز المزارعة بجزء معلوم يجعل للعام من الزرع في قول أكثر أهل العلم . قال البخاري : قال أبو جعفر : ما بالمدينة أهل بيت إلا يزارعون على الثلث والربع ، وزارع علي وابن مسعود وسعد وعمر بن عبد العزيز والقاسم وعروة وآل أبي بكر وآل علي وابن سيرين ، وهذا قول سعيد بن المسيب وطاووس وعبد الرحمن بن الأسود وموسى بن طلحة والزهري وعبد الرحمن بن أبي ليلى وابنه وأبي يوسف ومحمد ، ويروى ذلك عن معاذ والحسن وعبد الرحمن بن زيد . قال البخاري : وعامل عمر رضي عنه على أنه إن جاء عمر بالبذر من عنده فله الشطر ، وإن جاءوا بالبذر فلهم كذا ، وكرهها عكرمة ومجاهد والنخعي ومالك وأبو حنيفة ، وروي عن ابن عباس الأمران جميعاً ، وأجازها الشافعي في الأرض بين النخل ، إذا كان بياض الأرض أقل ، فإن كان أكثر فعلى وجهين ، ومنعها في الأرض البيضاء لهذا الحديث ، وقد روي أن رافع ابن خديج رضي الله عنه قال : « كنا نخابر على عهد رسول الله ﷺ ، فذكر أن بعض عمومته أتاه فقال : نهى رسول الله ﷺ عن أمر كان لنا نافعاً ، وطواعية رسول الله ﷺ أنفع - قال - قلنا : ما ذاك ؟ قال : قال رسول الله ﷺ : من كانت له أرض فليزرعها ، ولا يكرها بثلاث ، ولا بربع ، ولا بطعام مسمى ، وفي « الصحيح » عن ابن عمر رضي الله عنهما : « نهى رسول الله ﷺ عن الخبارة » وقد جاء حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مفسراً ؛ روى البخاري عن جابر قال : « كانوا يزرعونها بالثلث والربع والنصف ، فقال النبي ﷺ : من كانت له أرض فليزرعها أو ليعطيها ، فإن لم يفعل فليمسك أرضه » ورواه الإمام

أحمد ومسلم بلفظ: « من كانت له أرض فليزرعها وليحرقها أخاه، أو فليدعها » ولنا
ولن وافقنا على جواز المزارعة ، ما في الأحاديث المتقدمة ، وما نقله أبو جعفر
محمد الباقر من فعل الخلفاء الراشدين ، ثم أهلهم ، يعطون الثلث والرابع ، قال :
وهذا أمر صحيح مشهور عمل به رسول الله ﷺ حتى مات ، ثم خلفاؤه
الراشدون حتى ماتوا ، ثم أهلهم من بعدهم ، ولم يبق من أهل المدينة أهل
بيت إلا عمل به ، وعمل به أزواج رسول الله ﷺ من بعده ، فروى البخاري
عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ عامل خيبر بشطر ما يخرج منها ،
من زرع أو تمر ، فكان يعطي أزواجه مائة وسق (١) ؛ ثمانون وسقا تمرا ،
وعشرون وسقا شعيرا ، فقسم عمر خيبر ، فخير أزواج رسول الله ﷺ أن
يقطع لهن من الماء والأرض ، أو يعضي لهن الأوسق ، فمنهن من اختار الأرض
ومنهن من اختار الوسق ، فكانت عائشة رضي الله عنها ممن اختار الأرض ، فان
قيل : حديث خيبر منسوخ بخبر رافع ؛ فالجواب : مثل هذا لا يجوز نسخه ، لأن
النسخ إنما يكون في حياة رسول الله ﷺ ، فأما شيء عمل به إلى أن مات ،
ثم عمل به خلفاؤه بعده ، واجمعت الصحابة رضي الله عنهم عليه وعملوا به ، ولم
يخالف فيه أحد ، فكيف يجوز نسخه ؟ ومتى نسخ ؟ فإن كان في حياة رسول الله
ﷺ ؛ فكيف عمل به مع نسخه ؟ وكيف خفي نسخه على الخلفاء ، مع اشتها رخصة
خيبر وعملهم فيها ؟ وأين كان راوي النسخ حتى لم يذكره ولم يخبرهم به ؟

وأما حديث رافع ؛ فقد روي من عدة أوجه بضروب مختلفة ، وقد فسر
حديث النهي في حديثه بما لا يختلف في فساد ، وهو ما في « الصحيحين » عن رافع
ابن خديج رضي الله عنه قال : « كنا أكثر الأنصار حقلا ، فكنا نكري
الأرض على أن لنا هذه ولهم هذه ، فربما أخرجت هذه ولم تخرج هذه ، ففاننا

(١) الوسق : ستون صاعاً ، أو حمل بعير

عن عليه السلام عن ذلك ، وأما الورق فلم ينهنا ، وفي لفظ البخاري : « كنا أكثر أهل الأرض مزدرعاً ، كنا نكري الأرض بالناحية منها تسمى لسيد الأرض - قال - فربما يصاب ذلك وتسلم الأرض ، وربما تصاب الأرض ويسلم ذلك ، فنهينا ، فأما الذهب والورق فلم يكن يومئذ ، وفي لفظ مسلم عن حنظلة بن قيس قال : « سألت رافع بن خديج عن كرى الأرض بالذهب والورق فقال : لا بأس به ، إنما كان الناس يؤاجرون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما على الماذنات وإقبال الجداول وبأشياء من الزرع ، فيهلك هذا ويسلم هذا ، ويسلم هذا ويهلك هذا ، ولم يكن للناس كراء إلا هذا ، فلذلك زجر عنه ، فأما شيء معلوم مضمون فلا بأس ، والماذنات -- بالذال المعجمة المكسورة فثناة تحمية بعدها ألف فنون فألف فثناة فوقية -- جمع ماذيان ، وهو النهر الكبير ، وليست بعربية ، وهي سوادية كما في النهاية ، أي بالذي يخرج على حافتي ذلك . وإقبال الجداول أي أوائل ورؤوس الأنهر الصفار . فإذا علمت هذا فليس هو من محل النزاع ، فإن هذا لا خلاف في فساده ، وحينئذ لا تخالف بين الأحاديث . فإن لم يحمل الحديث الذي نحن بصدده على ما فسرناه من نفسه وبينه بياناً شافياً ، وإلا فليحمل على الكرى بثلاث أو ربع ، والنزاع في المزارعة ، ولم يدل حديثه عليها أصلاً ، وحديثه الذي في المزارعة يحمل على الكرى أيضاً ، لأن القصة واحدة أنت بألفاظ مختلفة ، فيجب تفسير أحد اللفظين بما يوافق الآخر ، فإن لم يحمل لا على هذا ولا على هذا ، وتماهى الخصم مع ظاهر هذا الحديث الموهوم النهي عن المزارعة . قلنا : لا جرم أن حديث رافع هذا ورد بألفاظ وروايات مضطربة جداً ، مختلفة اختلافاً كثيراً يوجب ترك العمل بها لو انفردت ، فكيف تقدم على مثل ما قدمنا من حديث ابن عمر وغيره .

قال الامام أحمد رضي الله عنه : حديث رافع ألوان ، قال ابن المنذر : قد

جاءت الاخبار عن رافع من عدة روايات مختلفة مضطربة ، وقد أنكر حديثه فقهاء من فقهاء الصحابة رضي الله عنهم ؛ أحدهما زيد بن ثابت ، قال عن حديث رافع لما بلغه : « أنا أعلم بذلك منه ، وإنما سمع النبي ﷺ رجلين قد اختلفا فقال : إن كان هذا شأنكم فلا تكروا المزارع » رواه أبو داود ، والثاني ما روى البخاري عن عمرو بن دينار قال : « قلت لطاووس : لو تركت المخابرة فأنهم يزعمون أن النبي ﷺ نهى عنها فقال : إن أعلمهم — يعني ابن عباس رضي الله عنها — أخبرني أن النبي ﷺ لم ينه عن ذلك ؛ ولكن قال : إن يمنح أحدكم أخاه خير له من أن يأخذ عليه خراجاً معلوماً » وراه الامام أحمد وابن ماجه وأبو داود والترمذي ، وصححه عن ابن عباس رضي الله عنها : « أن النبي ﷺ لم يحرم المزارعة ؛ ولكن أمر برفق بعضهم ببعض » ثم إن أحاديث رافع ؛ منها ما يخالف الاجماع ، وهو النهي عن كرى المزارع بالاطلاق ، ومنها ما لا يختلف في فساد ، وتارة يحدث عن عمومته ، وتارة عن سماعه ، وتارة عن ظهير بن رافع . فاذا كانت أخبار رافع بهذا الاضطراب ، فطرحها أولى وأحرى من الاخبار الواردة في شأن خير الجارية مجرى التواتر التي لا اختلاف فيها ، وقد عمل بها الخلفاء الراشدون وغيرهم ، فلا معنى لتركها بمثل هذه الأحاديث المضطربة .

ولما كان الامام أحمد رضي الله عنه أعلم الناس بالمنقول وأحفظهم لأحاديث الصحابة والرسول ، لم يرجح على خبر رافع ولم يلو اليه عنه ؛ لعله بثبوت أحاديث المزارعة ، وعدم ما يقاومها من الأحاديث المخالفة لها .

وأما حمل الامام الشافعي رضي الله عنه ، أحاديث المزارعة على الارض التي بين النخيل ، وأحاديث النهي على الارض البيضاء ، جمعاً بينهما ؛ فهذا بعيد جداً ، فانه يبعد أن يكون بلد كبيرة يأتي منها أربعون ألف وسق ليس فيها أرض

بيضاء ، ثم إن هذا الحكم لا طائل تحته ، ثم إن موافقة الخلفاء أولى وأحرى من قول من خالفهم . وقد نقل أبو جعفر الإجماع على ما ذهب إليه الإمام أحمد ومن وافقه ، فإجماع السلف أولى بالتباع ؛ بل لا مندوحة للقول بخلافه ، وأيضاً فإن القياس يقتضي ذلك ، فإن الأرض عين تنمي بالعمل ، فجازت المعاملة عليها ببعض نوائها ، كالمال في المضاربة ، والنخل في المساقاة ، والله الموفق .

(فروع) :

الاول : تجوز المزارعة بجزء مشاع معلوم يحمل للعامل من الزرع ، ويعتبر كون البذر من رب الأرض ولو أنه العامل ، وبقر العمل من الآخر ، ولا تصح إن كان البذر من العامل ، أو منها أو من أحدهما والأرض لهما ، أو الأرض والعمل من الآخر ، أو البذر من ثالث ، أو البقر من رابع . وعن الإمام أحمد رضي الله عنه أنه لا يشترط كون البذر من رب الأرض ، واختاره الإمام الموفق والمجد والشارح وابن رزين وأبو محمد الجوزي وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن قاضي الجبل في « الفائق » وصاحب « الحاوي الصغير » قال الإمام الموفق في « المغني » : وهو الصحيح وعليه عمل الناس . قال في « الانصاف » : وهو أقوى دليلاً .

الثاني : حكم المساقاة كالمزارعة في ذلك ، فيصح على القول الذي صححه الموفق وغيره أن يكون الغراس من مساق ومناصب . قال القاضي علاء الدين المرادوي في « تنقيحه » : وعليه العمل .

الثالث : دلت الأحاديث التي ذكرناها على جواز كرى الأرض بالذهب والورق المعلومين ، فلا يصح كون الأجرة بشيء غير معلوم المقدار عند العقد ؛ لما دل الحديث على عدم اعتقاد جهالة الأجرة ، ويستدل به أيضاً على جواز كراء

الارض بطعام مضمون . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ومن استأجر أرضاً بجزء معلوم من زرعها؛ فظاهر المذهب صحتها ؛ سواء سميت إجارة أو مزارعة ، فإن لم تزرع الارض وصححناها؛ ضمنت بالمسمى الصحيح . قال في « الاقناع » : وتصح إجارة أرض بنقد وعروض ، وبجزء مشاع معلوم مما يخرج منها - قال - وتصح إجارتها بطعام معلوم ، من جنس الخارج منها ، ومن غير جنسه ، والله سبحانه الموفق .

الحديث الثاني عشر

١٢- حدثنا سفيان ، قال : قال عمرو - يعني ابن دينار - ذكروا الرجل يُهَلُّ بعمره فيحل ، هل له أن يأتي - يعني امرأته - قبل أن يطوف بين الصفا والمروة ؟ فسألنا جابر ابن عبد الله ، فقال : لا ، حتى يطوف بالصفا والمروة . وسألنا ابن عمر فقال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت سبعا ، فصلى خلف المقام ركعتين ، وسعى بين الصفا والمروة ، ثم قال : (لقد كان لكم في رسول الله أسوه حسنة) .

قال رضي الله عنه (حدثنا) أبو محمد (سفيان) بن عيينة قال سفيان : (قال عمرو يعني ابن دينار) المقدم ذكره : (ذكروا الرجل يهل) أي يحرم (بعمره) وهي في اللغة الزيادة ، وقيل : القصد ، نقلها ابن الأنباري وغيره ، وفي الشرع عبارة عن زيارة البيت الحرام بشروط مخصوصة . وأركانها ثلاثة : الاحرام

والطواف، والسعي، وواجبها: الاحرام من الحل، والخلق أو التقصير، (فيحل)
بعد إحرامه بالعمرة والفراغ من طوافها بالبيت سبعا، ولم يسع بين الصفا والمروة
السعي المشروع .

(هل له أن يأتي امرأته) لكونه حلالاً لفراغه من أفعال نسكه
(قبل أن يطوف بين الصفا) وهو بالقصر في الأصل الحجارة الصلبة، واحدها
صفاة، كحصاة وحصى، وهو هنا اسم المكان المعروف عند باب المسجد الحرام
أحد جبلي المسعى، (والمروة) وهي في الأصل الحجارة البيض البراقة يقدح
منها النار . قال في « المطلع » : وبها سميت المروة بمكة، وهي المكان الذي في
طرفي المسعى، وقال أبو عبيد البكري : المروة جبل بمكة معروف، والصفا
جبل آخر بازائه، وبينهما قديد ينحرف عنها شيئاً، والمشلل هو الجبل الذي
ينحدر منه الى قديد، وعلى المشلل كانت مناة، والمراد في الحديث بالطواف بين
الصفا والمروة السعي بينهما .

قال عمرو بن دينار رحمه الله تعالى : (فسألنا جابر بن عبد الله) رضي
الله عنها - وتأتي ترجمته في أول ذكر أحاديثه - عن حكم ذلك (فقال) جابر
رضي الله عنه : (لا) يأتي امرأته (حتى يطوف) أي يسعي (بالصفا) أي بين
الصفا (والمروة) سبعة أشواط لعدم فراغه من عمرته ؛ لأن السعي بين الصفا
والمروة أحد أركان العمرة .

قال عمرو بن دينار (وسألنا) أبا عبد الرحمن عبد الله (بن عمر) رضي
الله عنها عن ذلك (فقال) ابن عمر : (قدم رسول الله ﷺ) مكة المشرفة
(فطاف بالبيت) العتيق الذي هو الكعبة المشرفة (سبعا) من الاشواط . وفي
« الصحيحين » من حديث ابن عمر رضي الله عنهما « طاف رسول الله ﷺ حين قدم مكة ،
واستلم الركن ، أي الحجر الاسود أول شيء » وفيها عنه أيضاً « رأيت رسول الله

عليه السلام حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود أول ما يطوف يحجب ثلاثة أشواطه
(ف) بعد فراغه من طوافه (صلى خلف المقام) يعني مقام إبراهيم عليه
السلام. قال سعيد بن جبير : مقام إبراهيم : الحجر الذي وقف عليه إبراهيم عليه
السلام . وفي سبب وقوفه عليه قولان :

أحدهما أنه جاء يطلب ابنة إسماعيل فلم يجده ، فقالت له زوجته : - التي هي
أم أولاده ، واسمها رعدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ، وفي رواية الكلبي
رعدة بنت يشجب بن يمر بن لوزان بن جرهم ، وقيل : اسمها السيدة ، وقيل :
سامة بنت مهلهل ، ذكره الواقدي - إنزل ، فأبى ، فقالت : فدعني أغسل رأسك ،
فأنته بحجر فوضع رجله عليه وهو راكب ، فغسلت شقه ثم رفعت ، وقد غابت
رجله فيه ، فوضعت تحت الشق الآخر ، وغسلته فغابت رجله فيه ، فجعله الله من
الشعائر . هذا مروى عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم .

الثاني : أنه أقام على ذلك لبناء البيت ، وكان إسماعيل يناوله الحجارة ، قاله
سعيد بن جبير . وفي « الصحيحين » من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أنه قال : « قلت يا رسول الله ! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ! فترأت : » واتخذوا
من مقام إبراهيم مصلى ، قال الحافظ ابن الجوزي : قال محمد بن سعيد عن
أشياخ له : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه آخر المقام إلى موضعه اليوم ، وكان
ملصقاً بالبيت . وقال بعض سدنة البيت : ذهبنا نرفع المقام في خلافة المهدي ،
فانثلم ، وهو من حجر رخو ، فخشينا أن يتفتت ، فكتبنا في ذلك إلى المهدي فبعث
إينا بألف دينار ، فضربنا بها المقام أسفله وأعلاه ، ثم أمر المتوكل أن يجعل عليه
ذهب أحسن من ذلك العمل ففعلوا ذلك ، وقدر المقام ذراع ، والقدمان داخلان
فيه سبع أصابع .

فائدة : ذكر الحافظ ابن الجوزي في « مثير العزم الساكن » عن

عبد العزيز بن أبي رواد أنه كان خلف المقام جالساً ، فسمع داعياً دعا بأربع كلمات ، فمجب منهم ، فالتفت فما رأى أحداً ، وهي : اللهم فرغني لما خلقتني له ، ولا تشغلني بما تكفلت لي به ، ولا تحرمني وأنا أسألك ، ولا تعذبني وأنا أستغفرك .

وفي لفظ من حديث ابن عمر في « الصحيحين » « وركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام (ركعتين) » سنة الطواف . قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه « مثير العزم الساكن » : إذا قضى الطائف طوافه صلى ركعتين ، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ، قل يا أيها الكافرون ، وفي الثانية بعدها بالاخلاص ، والأفضل أن تكون خلف المقام . وقال أبو حنيفة ومالك : ركعتا الطواف واجبتان ، وقد روى ابن ماجه وابن خزيمة في « صحيحه » من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة » وعنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : من طاف بالبيت اسبوعاً لا يضع قدماً ولا يرفع أخرى إلا حط الله عنه بها خطيئة ، وكتب له بها حسنة ، ورفع له بها درجة » رواه ابن خزيمة في « صحيحه » ، وابن حبان واللفظ له ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أيضاً قال : « من توضأ فأصبغ الوضوء ، ثم أتى الركن يستلمه ؛ خاض في الرحمة ، فإذا استلمه فقال : بسم الله والله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ غمرته الرحمة ، فإذا طاف بالبيت كتب له بكل قدم سبعين الف حسنة ، وحط عنه سبعين الف سيئة ، ورفع له سبعين الف درجة ، وشفع في سبعين من أهل بيته ، فإذا أتى مقام إبراهيم فصلى عنده ركعتين إيماناً واحتساباً ، كتب الله له عتق أربعة محرراً من ولد اسماعيل ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » رواه أبو القاسم الإصبهاني موقوفاً . وعنه

رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو مسند ظهره الى الكعبة :
الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ، ولولا أن الله طمس نورهما
لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب » رواه الترمذي وابن حبان في « صحيحه » ،
كلاهما من رواية رجاء بن صبيح ، والحاكم ، ومن طريقه البيهقي ، وفي رواية البيهقي
قال : « الركن والمقام من يواقيت الجنة ، ولولا مامسه من خطايا بني آدم لأضاء
ما بين المشرق والمغرب ، وما مسها من ذي عاهة ولا سقيم إلا شفي » وفي أخرى
له عنه رفعه قال : « لولا مامسه من أنجاس الجاهلية ، مامسه ذو عاهة إلا شفي ، وما
على الأرض شيء من الجنة غيره » .

(وسمي بين الصفا والمروة) قال ابن الجوزي في « منير العزم الساكن » إذا فرغ
من الركعتين عاد الى الركن فاستلمه ثم خرج من باب الصفا وسمى ، قال الامام
العلامة — في أشهر الروايات عنه — ابن هبيرة في كتابه « الافصاح » : « اختلفوا
في السعي بين الصفا والمروة ؛ فقال مالك والشافعي وأحمد رضي الله عنهم : إنه
ركن من أركان الحج وفروضة ، لا ينوب عنه الدم . وعن الامام أحمد أنه واجب ،
وعنه تطوع ، والمذهب أنه ركن كقول الجمهور . وقال أبو حنيفة رضي الله عنه :
هو واجب ينوب عنه الدم ، واتفقوا على جواز تقديمه على طواف الزيارة ، حيث
فعل بعد طواف نسك ، ولو مسنون كطواف القدوم ، فلا يحتاج اذا طاف طواف
الزيارة الى السعي ، واتفقوا على أنه سبع مرات يحتسب بالذهاب سعية وبالاياب
سعية ، يبدأ بالصفا ويختم بالمروة ، وسبب مشروعية السعي : هاجر ام اسماعيل
عليه السلام ، في « الصحيحين » وغيرها من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال :
« جاء إبراهيم بأمر اسماعيل وابنها اسماعيل وهي ترضعه ، حتى وضعها عند دوحة
فوق زمزم ، وليس بمكة أحد وليس بها ماء ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر ،
وسقاء فيه ماء ، ثم قفا منطلقاً ، فتبعته أم اسماعيل فقالت : أين تذهب وتتركنا

بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت اليها ، فقالت له : آله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا الله ، ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم ، حتى اذا كان عند الثانية حيث لا يرونها استقبل بوجه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الدعوات ، ورفع يديه فقال : « رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع ، حتى بلغ يشكرون » ، وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى اذا نفذ عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر اليه يتلوى — أو قال : يتلبط — فانطلقت كراهية أن تنظر اليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الارض يليها ، فقامت عليه فاستقبلت الوادي تنظر ؛ هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً ؛ فهبطت من الصفا ، حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها ، ونظرت فلم تر أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات — قال ابن عباس رضي الله عنها : قال النبي صلى الله عليه وسلم — : ولذلك سعى الناس بينها . فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صه ! تريد نفسها ، ثم تسمعت فسمعت ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فاذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه — أو قال : بجناحه — حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها ، وهو يفور بعد ما تغرف من الماء ، — قال ابن عباس رضي الله عنها : قال النبي صلى الله عليه وسلم : — يرحم الله أم اسماعيل ؛ لو تركت زمزم — أو قال : لو لم تغرف من الماء — لكانت زمزم عيناً معيناً . فشربت وأرضت ابنها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإن ها هنا بيت الله عز وجل ، بينه هذا الغلام وأبوه ، فإن الله لا يضيع أهله . قال ابن دقيق العيد في أثناء كلامه له : اعلم أن كثيراً من الأعمال الواقعة في الحج ويقال : فيها إنها تعبد ، ليست كما قيل ، ألا ترى أنا إذا فعلناها وذكرونا أسبابها

حصل لنا من ذلك تعظيم الأولين ، وما كانوا عليه من احتمال المشاق في امتثال أمر الله تعالى ! وكان هذا التذكر باعثاً لنا على مثل ذلك ، ومقدراً في أنفسنا تعظيم الأولين ، وذلك معنى معقول ، مثاله السعي بين الصفا والمروة ؛ فانا نتذكر بفعله قصة هاجر مع ابنها إسماعيل عليه السلام ، وترك الخليل لهما في ذلك المكان الموحش منفردين منقطعي أسباب الحياة بالكليّة ، مع ما أظهره الله تعالى من الكرامة والآية في إخراج الماء لهما ، فيظهر لنا من ذلك مصالح عظيمة معقولة . (ثم قال) أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ولفظ «الصحيحين» : «وسعى بين الصفا والمروة سبعا ، وقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» . وأما فتيا جابر فمن زيادات البخاري على مسلم . ولفظه : «فسألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فقال : لا يقرب امرأته حتي يطوف بين الصفا والمروة ، ولفظه : «أيقع الرجل على امرأته في العمرة قبل أن يطوف بين الصفا والمروة ... الحديث» .

تنبيهات

الأول : أركان الحج أربعة : الاحرام ، والوقوف بعرفة ، والطواف ، والسعي . وواجباته سبعة : الاحرام من الميقات ، والجمع في الوقوف بعرفة بين الليل والنهار لمن وقف نهراً ، والمبيت بمزدلفة إلى ما بعد نصف الليل ، والمبيت بمنى ، ورمي الجمار مرتباً ، والحلق أو التقصير ، وطواف الوداع . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : : طواف الوداع ليس من الحج ، وإنما هو على كل من أراد الخروج من مكة . وأركان العمرة ثلاثة : الاحرام ، والطواف ، والسعي . وواجباتها الاحرام من الحل ، والحلق أو التقصير ، وما عدا ذلك فسنن . فمن ترك ركناً لم يتم نسكه إلا به ، لكن لا ينعقد نسكه بلا إحرام ، ومن ترك واجباً ولو سهواً

فعلية دم ، فالأ عدمه فكصوم متعة ، ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع ، ومن ترك مسنوناً فلا شيء عليه .

الثاني : يحصل التحلل الأول من الحج باثنين من ثلاث : من رمي ، وحلق ، وطواف ، فيحل له كل شيء سوى النساء ، نكاحاً وإنكاحاً وجماعاً ومباشرة ، ويحصل التحلل الثاني بالباقي منها مع السعي إن لم يكن سعي للحج قبل ذلك ، والله تعالى الموفق .

الحديث الثالث عشر

٦ - حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، سمع ابن عمر يقول : سمعت النبي ﷺ يقول على المنبر : من جاء منكم الجمعة فليغتسل .

قال رضي الله عنه : (حدثنا) أبو محمد (سفيان) بن عيينة (عن) أبي عبد الرحمن (عبد الله بن دينار) أنه (سمع) عبد الله (بن عمر) رضي الله عنهما (يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول) حال كونه (على المنبر) - بكسر الميم - قال الجوهري وغيره : نبرت الشيء ، إذا رفعته ، ومنه سمي المنبر ، وكذا قال في « النهاية » : كل مرتفع منبر ، ومنه اشتق المنبر : قال الإمام ابن القيم في كتابه « زاد المعاد في هدي خير العباد » : كان منبره صلى الله عليه وسلم ثلاث درجات ، وكان رسول الله ﷺ وسلم قبل اتخاذه يخطب إلى جذع نخلة يستند إليه ، فلما تحول إلى المنبر حن الجذع إليه حنيناً سمعه أهل المسجد ، فنزل إليه صلى الله عليه وسلم وضمه . قال أنس رضي الله عنه : حن لما فقد ما كان يسمع من الوحي .

قال ابن القيم : ولم يوضع المنبر في وسط المسجد ، وإنما وضع في جانبه الغربي قريبا من الحائط ، وكان بينه وبين الحائط مقدار عمر المشاة ، والذي صنع المنبر يقال له : ميمون ، وأنه مولى لسعد بن عباد ، كما قاله الامام مالك ، والمشهور أنه مولى امرأة من الانصار . قال في « الفتح » : فيحتمل أن يكون في الاصل مولى امرأته ونسب اليه مجازا ، واسم امرأته : فكيهة بنت عبيد بن دليم ، وهي ابنة عمه ، أسلمت وبايعت ، فيحتمل أن تكون هي المرأة . لكن رواه إسحق ابن راهويه في « مسنده » عن ابن عيينة فقال : مولى لبني بياضة : وأما ما وقع في « الدلائل » لأبي موسى المدني نقلا عن جعفر المستغفري أنه قال في أسماء النساء من الصحابة : ثلاثة — بالعين المهملة وبالثاء المثلثة — ثم ساق هذا الحديث من طريق يعقوب بن عبد الرحمن بن أبي حازم ، وقال فيه : أرسل الى ثلاثة امرأة قد سماها سهل ، فقد قال أبو موسى : صحف فيه جعفر أو شيخه ، وإنما هو فلانة . انتهى . ووقع عند الكرماني في « شرح البخاري » : قيل : اسمها عائشة . انتهى . قال في « الفتح » : وأظنه صحف المصحف ، لكن في « أوسط الطبراني » من حديث جابر رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ كان يصلي الى سارية في المسجد ، ويخطب اليها ويعتمد عليها ، فأمرت عائشة فصنعت له منبره » هذا الحديث وإسناده ضعيف ، ولو صح لما دل على أن عائشة هي المرادة في حديث سهل ، والله أعلم .

(من جاء منكم) معشر الصحابة ومن بعدهم من سائر رجال الأمة ، (الجمعة) لصلاتها ، وهي بضم الجيم والميم ، ويجوز سكون الميم وفتحها ، حكى الثلاثة في « المطلع » عن ابن سيدة ، قال القاضي عياض : مشتقة من اجتماع الناس للصلاة ، قاله ابن دريد ، وقال غيره : بل لاجتماع الخليقة فيه وكاملها ، وروي عن النبي ﷺ أنها سميت بذلك لاجتماع آدم فيه مع حواء في الارض .

ومن أسمائه القديمة : يوم العَرُوبَة ، زعم ثعلب أن أول من سماه يوم الجمعة كعب بن لؤي ، وكان يقال له : العَرُوبَة ، وكان لأيام الأسبوع عند العرب أسماء آخر ، فيوم الأحد أول ، والاثنين أهون ، والثلاثاء جبار ، والأربعاء دبار ، والخميس مؤنس ، والجمعة عَرُوبَة ، والسبت شيار — بالشين المعجمة — قال الجوهري : أنشدني أبو سعيد قال : أنشدني ابن دريد لبعض شعراء الجاهلية :

أؤمل أن أعيش فان يومي بأول أو بأهون أو جبار
أو التالي دبار أو فيومي بمؤنس أو عروبة أو شيار

(فليغتسل) لها في يومها ، يعني من أراد المحييء أي الذهاب إليها ، وقصد الشروع فيه ، وقال بمفهومه الامام مالك ، فاشتراط الاتصال بين الغسل والذهاب ، ولم يشترطه الجمهور ، وإنما اعتبر علماؤنا كون الغسل ما بين طلوع الفجر الثاني وصلاتها ، نعم ! الأفضل عند المضي إليها . وأبعد الظاهري حيث لم يتمتر بتقديم الغسل على إقامة صلاة الجمعة ، حتى لو اغتسل قبل الغروب كفى عنده ؛ متعلقاً بإضافة الغسل الى اليوم . وقد تبين في بعض الأحاديث أن الغسل لازالة الرائحة الكريهة ، ويفهم أن القصد عدم تأذي الحاضرين ، وذلك منتفٍ بمسح إقامته الجمعة ، فان قيل : هذا التعليل يباين قولكم : من اغتسل بعد الفجر حصل على السنة ؛ فالجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من اغتسل يوم الجمعة ، واليوم من طلوع الفجر ، فلاحظنا العلة المذكورة ولم نهمل ما صدق الحديث ، وهذا قول مجاهد والحسن البصري والنخعي والثوري والشافعي وإسحاق ، وحكي عن الأوزاعي أنه يجزئه الغسل قبل الفجر ، وإن اغتسل ثم أحدث أجزاء الغسل على المعتمد وفاقاً للمالك والشافعي ، واستحب طاووس والزهري وقتادة ويحيى ابن أبي كثير إعادة الغسل ، ولنا أنه اغتسل في يوم الجمعة أشبه من لم يحدث ،

والحدث إنما يؤثر في الطهارة الصغرى ، ولأن المقصود من الغسل التنظيف وإزالة الرائحة وقد حصل ، والحدث لا أثر له في ذلك .

تنبيه : ظاهر هذا الحديث يقتضي وجوب غسل الجمعة لدلالة الأمر على ذلك ، وأصرح منه ما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » ، رواه مالك وأحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه . قال الجلال السيوطي : أي متأكد ، وقال الخطابي : معناه وجوب الاختيار والاستحباب دون وجوب الفرض ؛ كما يقول الرجل لصاحبه : حقك واجب علي ، أي متأكد ، وقال ابن عبد البر : ليس المراد أنه واجب فرضاً ؛ بل هو مؤول واجب في السنة أو في المروءة أو في الاخلاق الجميلة ، ثم أخرج بسنده من طريق أشهب عن مالك أنه سئل عن غسل الجمعة أواجب هو ؟ قال : هو حسن وليس بواجب ، وأخرج من طريق ابن وهب أن مالكاً سئل عن غسل يوم الجمعة أواجب هو ؟ قال : هو سنة ومعروف ، قيل : إنه في الحديث واجب ، قال : ليس كل ما جاء في الحديث يكون كذلك .

والصارف عن الوجوب ما رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث سمرة رضي الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل أفضل » ، ورواه ابن خزيمة أيضاً ، فالتاء في نعمت للتأنيث ، قال أبو حاتم : معناه ونعمت الخصلة هي الطهارة للصلاة ، وقال بعضهم : فبالرخصة آخذ ، ونعمت الرخصة . قال شمس الدين ابن أبي عمر في « شرح المقنع » : ليس غسل الجمعة واجباً في قول أكثر أهل العلم . قال الترمذي : العمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم ؛ منهم مالك والثوري والشافعي وأصحاب الرأي ، وحكاه ابن عبد البر إجماعاً ، قال في « شرح المقنع » : وروي وجوبه عن أبي هريرة وعمر

ابن سليم ، وقاؤل غمبار بن يامر رجلا فقال : أنا إذن شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة . قال ابن دقيق العيد : وقد نص مالك على الوجوب ، فحمله من لم يمارس مذهبه على ظاهره ، وحكى عنه أنه يرى الوجوب ، ولم ير ذلك أصحابه على ظاهره .

فائدة : روى البخاري من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يغتسل رجل يوم الجمعة ، ويتطهر ما استطاع من طهر ، ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلي ما كتب له ، ثم ينصت إذا تكلم الإمام ؛ إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى » . وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحهم » والحاكم وصححه عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من غسل يوم الجمعة واغتسل ، وبكّر وابتكر ، ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ ؛ كان له بكل خطوة عمل سنة ، أجر صيامها وقيامها ، ورواه الطبراني في « الأوسط » من حديث ابن عباس رضي الله عنها . قال الخطابي : قوله : غسل واغتسل ، وبكّر وابتكر ، اختلف الناس في معناه ، فمنهم من ذهب الى أنه من الكلام المتضافر الذي يراد به التوكيد ، ولم تقع المخالفة بين المعنيين لاختلاف اللفظين ، وقال : ألا تراه يقول في هذا الحديث : ومشى ولم يركب ومعناها واحد ؟ - قال - والى هذا ذهب الأثرم صاحب الإمام أحمد ، وقال بمضهم : غسل ، معناه غسل الرأس خاصة ، والى هذا ذهب مكحول ، واغتسل ، معناه غسل سائر الجسد ، وزعم بمضهم أن قوله : غسل ، معناه أصاب أهله قبل خروجه الى الجمعة ؛ ليكون أملك لنفسه وأحفظ في طريقه لنظره ، وقوله : وبكر وابتكر ، زعم بمضهم ، أن معنى بكر

أدرك باكورة الخطبة ، وهي أولها ، ومعنى وابسكر ، قدم في الوقت ، وقال ابن الأنباري : معنى بكر ، تصدق قبل خروجه ، وتأول في ذلك ، ما روي في الحديث : « باكروا في الصدقة ، فإن البلاء لا يتخطاها » ، وقال الحافظ أبو بكر ابن خزيمة : من قال في الخبر ، غسل واغتسل - يعني بالتشديد - معناه جامع أهله ، فأوجب الغسل على زوجته ، أو أمته ، واغتسل هو ، ومن قال بالتخفيف ، أراد غسل رأسه ، واغتسل ، فغسل سائر جسده ؛ خبر طاووس عن ابن عباس قال : « قلت لابن عباس : زعموا أن رسول الله ﷺ قال : اغتسلوا يوم الجمعة ، واغسلوا رؤوسكم ، وإن لم تكونوا جنباً ، ومسوا من الطيب ، قال ابن عباس : أما الطيب فلا أدري ، وأما الغسل فنعم » .

الحديث الرابع عشر

١٤ - حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : نهى رسول الله ﷺ عن الثمار أن تباع حتى يبدو صلاحها .

قال رضي الله عنه : (حدثنا) أبو محمد (سفيان) بن عيينة (عن) عبد الله (بن دينار عن) عبد الله (ابن عمر) رضي الله عنها (قال : نهى رسول الله ﷺ) نهى حظر وتحريم (عن الثمار) من النخل ، والكرم ، وغيرها (أن تباع) ويستمر النهي عن بيعها (حتى) أي إلى أن (يبدو) أي يبين ويظهر (صلاحها) بأن تصير على الصفة التي تطلب منه ، وهو في « الصحيحين » وفيه - ما أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الثمار حتى تزهي ،

قيل : وما زهى ؟ قال : حتى تحمر أو تصفر ، وفي لفظ : حتى تزهو ، يقال :
 زها يزهو ، طال واكتمل ، وأزهى يزهى ، اذا احمر أو اصفر ، والتفسير في
 قوله : حتى تحمر أو تصفر ، من قول سعيد بن منيا ، مدرج في الحديث ؛ كإنبه
 عليه الامام أحمد رضي الله عنه ، والمراد من الاحمرار والاصفرار ، الحمرة
 والصفرة ؛ لكنهم اذا أرادوا اللون من غير تمكن قالوا : حمر - بفتح الحاء المهملة
 وضم الميم - وصفر كذلك ، فاذا تمكن قالوا : احمر واصفر ، فاذا زاد في التمكن ،
 قالوا : احمرار واصفرار ؛ لان زيادة البناء تدل على التكثر والمبالغة ، وقد روى
 الامام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة ، من حديث أنس رضي الله عنه أن
 النبي ﷺ نهى عن بيع العنب حتى يسود ، وعن بيع الحب حتى يشتد ، فان
 بيع شيء من ذلك ، قبل ذلك ؛ فلا يصح إلا بشرط القطع ، لاحتمال عروض آفة ،
 وفي ذلك إجراء الحكم على الغالب ، إذ تطرق التلف الى ما بعد إصلاحه ،
 وعدم تطرقه الى ما لم يبد صلاحه ممكن ، فأنيط الحكم بالغالب في الحالين . زاد
 في آخر حديث ابن عمر رضي الله عنهما كما في « الصحيحين » وغيرها « نهى البائع
 والمشتري » تأكيد لما فيه من بيان ، أن المنع وإن كان من مصلحة الانسان ،
 فليس له أن يرتكب النهي فيه قائلاً : أسقطت حق من اعتبار المصلحة ، ألا ترى
 أن هذا المنع لأجل مصلحة المشتري ؟ فان الثمار قبل بدو صلاحها عرضة للعاهات ،
 فاذا حصل منها شيء أجحف بالمشتري في الثمن الذي بذله ، ومع هذا فقد منعه
 الشرع ؛ فنهى المشتري ، كما نهى البائع قطعاً للنزاع والخصام . وأكثر علماء
 الأمة على أن هذا النهي للتحريم ، إلا أنهم أخرجوا من هذا العموم بيعها بشرط
 القطع ، وكذا لما لك الاصل . قال ابن هبيرة رحمه الله تعالى : اتفقوا على أنه اذا
 اشترى ثمرة لم يبد صلاحها بشرط قطعها ، أن البيع جائز ، قال في « الاقناع » :
 لا يصح بيع الثمرة قبل بدو صلاحها ، ولا الزرع قبل اشتداد حبه ، إلا بشرط

القطع في الحال ، إن كان منتفعاً به حينئذ ، ولم يكن مشاعاً ، فإن كان مشاعاً لم يصح شرط القطع ، لأنه لا يمكنه قطعه إلا بقطع ما لا يملكه ، وليس له ذلك إلا أن يبيعه مع الأصل ، بأن يبيع الثمرة مع الشجرة ، أو الزرع مع الأرض ، أو يبيع الثمرة للمالك الأصل ، والزرع للمالك الأرض ؛ فيجوز ، وقد نقل ابن هبيرة الاتفاق على صحة ذلك ، ثم قال : واختلفوا فيما إذا اشتراها ، يعني قبل بدو صلاحها ، ولم يشترط قطعها لغير مالك الأصل ، فقال الثلاثة : البيع باطل ، وقال أبو حنيفة : صحيح ويؤمر بقطعها ، وفائدة الخلاف في محلين ؛ أحدهما : البيع فاسد عندهم صحيح عنده ، الثاني : إطلاق البيع وترك الاشتراط فيه ، يقتضي التبقية عندهم ، وعنده يقتضي القطع — قال — واتفقوا على أن بيع الثمار قبل بدو صلاحها بشرط التبقية لا يصح ، واختلفوا فيما إذا باعها بعد بدو صلاحها بشرط التبقية إلى الجذاذ ، فقال الثلاثة : يصح ، وقال أبو حنيفة : إذا اشترط ذلك ؛ بطل البيع ، فإذا اشتراها قبل بدو صلاحها ، بشرط القطع ؛ فلم يقطعها حتى بدا صلاحها ، وأتى عليها أو ان جذاها ، فقال الثلاثة : العقد صحيح ، والثمرة بزيادتها المشتري ، ومعتد مذهب الإمام أحمد أنه يبطل البيع بزيادته . نعم يعفى عن يسيرها عرفاً .

(فرعان) :

الأول : صلاح بعض ثمرة شجرة ؛ صلاح لجميع أشجار نوعها الذي بالبستان الواحد ؛ لأن اعتبار الصلاح في الجميع يشق ، هذا معتد مذهب الإمام أحمد . قال في « الفروع » : وإذا بدا صلاح بعض نوع ، ونقل حنبل عن الإمام أحمد : غلب ، وقاله القاضي وغيره في شجرة يبيع جميعه ، وعلى الأصح ؛ وبستان ، وعنه : وما قاربه ، وفاقاً للمالك ، وعنه : الجنس كالنوع — قال — واختار شيخنا — يعني شيخ الإسلام ابن تيمية — وبقيّة الأجناس التي تباع حكمه عادة ، وإن

أفرد بالبيع ما لم يصلح منه ؛ لم يصح ، قال ابن قنيس في حواشيه : لأنه إنما
جاز بيعه تبعاً ، فلا يباع وحده ، كما لو كان منفرداً .

الثاني : ما تلف من ثمر على أصوله قبل أوان جذاه — سوى يسير منه
لا ينضبط لقلته — بجائحة ، وهي ما لا صنع لآدمي فيها ؛ كالريح والحر والبرد
والعطش ، ولو كان التلف بعد قبض بالتخلية ؛ فضمانه على بائع ؛ لقوله ﷺ في
أثناء حديث أنس في « الصحيحين » وغيرهما : « رأيت إذا منع الله الثمرة ! بم
يستحل أحدكم مال أخيه ؟ » وفي حديث جابر رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ
وضع الجوائح » رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي ، وفي لفظ عند مسلم :
« أمر بوضع الجوائح » وفي لفظه قال : إن بعت من أخيك ثمراً ، فأصابها جائحة
فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئاً ، بم تأخذ مال أخيك بغير حق ؟ » رواه مسلم
وأبو داود والنسائي وابن ماجة . والجوائح ؛ جمع جائحة ، وهي الآفة التي تهلك
الثمار والأموال وتستأصلها ، مصيبة عظيمة وفتنة مبيرة ، وجاح الله المال ،
وأجاحه : أهلكه ؛ كما في « المطلع » وفي « المطلع » أصابته جائحة ؛ أي مصيبة
اجتاح ماله ، أي استأصلته ، ومنه جائحة الثمار ، ومنه قوله : اجتاح أصله ؛
أي استأصله الهلاك . ولأن التخلية في ذلك ، ليس بقبض تام ، بدليل أن على
البائع المؤونة الى تنمة صلاحه ، فوجب كونه في ضمان بائع ، كما لو لم يقبض ، ولأن
الثمر على الشجر كالمنافع في الاجارة تؤخذ شيئاً فشيئاً ، ثم لو تلفت المنافع قبل
استيفائها كانت من ضمان الاجر ، وكذا هنا ، ومحل كونها من ضمان البائع ،
ما لم تبع مع أصلها لحصول القبض التام وانقطاع علق البائع عنه ، أو ما لم يؤخر
المشتري أخذها عن عادته لتفريطه ، ومذهب أبي حنيفة وأظهر قولي الشافعي أن
جميع ذلك من ضمان المشتري ، فلا يوضع له شيء منها ، وقال مالك : يوضع

للجائحة اذا أتت على ثلث التمرة فأكثر ، فهو من ضمان البائع فيوضع عن المشتري ، وإن كان دون ذلك فهو من ضمان المشتري ، وهو رواية عن أحمد ، ومعمد مذهبهم أنها من ضمان البائع قل أو أكثر ، ومالك يشترط في جواز وضع الجائحة عن المشتري إذا اشترى ثمرة واحتاجت الى التبقية على رؤوس النخل ، وأما إن كانت غير محتاجة فهي من ضمان المشتري ، ولا تكون من ضمان بائع وان تلف كله . قلت : وما ذكرنا من الأحاديث يؤيد ما ذهب اليه امامنا ، والله تعالى الموفق .

الحديث الخامس عشر

١٥ — حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، قال : سمعت ابن عمر يقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اقتنى كلباً الا كلب ماشية أو كلب قنص ، نقص من أجره كل يوم قيراطان .

قال رضي الله عنه : (حدثنا سفيان) ابن عيينة (عن عبد الله بن دينار قال : سمعت) عبد الله (بن عمر) رضي الله عنهما (يقول : قال رسول الله ﷺ : من) أي أي شخص من ذكر أو أنثى (اقتنى) بالقاف افتعال من القنينة - بالكسر - وهي الاتخاذ (كلباً) من أنواع الكلاب سواء السلوقي وغيره (إلا كلب ماشية) من غنم وغيرها يتخذ لحفظها ورعايتها (أو كلب قنص) أي صيد والقانص الصائد ، وفي رواية « من اقتنى كلباً إلا كلب ماشية أو ضارياً لصيد ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم « أو كلب زرع ، وفي لفظ :

حرث ، وكذا وقعت الزيادة في حديث عبد الله بن مغفل عند الترمذي ، وفي « الصحيحين » من حديث سفيان بن أبي زهير - رجل من أزد شنوءة وكان من أصحاب النبي ﷺ قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من اقتنى كلباً لا يغني عنه زرعاً ولا ضرعاً نقص كل يوم من عمله قيراط ، قال السائب ابن يزيد : قلت : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : اي ورب هذا المسجد ! وفي « الصحيحين » من حديث ابن عمر رضي الله عنهما « سمعت رسول الله ﷺ يقول : من اقتنى كلباً إلا كلب صيد أو ماشية ، (نقص من أجره) أي من أجر عمله الذي يعمله (كل يوم) من أيامه (قيراطان) ثمانية قيراط ، وهو قدر معلوم عند الله ، وفي رواية « نقص من أجره كل يوم قيراط ، قال العلامة ابن مفلح في كتابه « الآداب الكهري » : يجوز اقتناء كلب كبير لصيد يعيش به ، أو لحفظ ماشية يروح معها الى الرعي ويتبعها ، أو لحفظ زرع ، ولا يجوز اتخاذه لغير ذلك ، وقيل : يجوز اقتناؤه لحفظ البيوت ، وهو قول لبعض الشافعية ، وفي « الرعاية » وقيل : وبستان ، فإن اقتنى كلب الصيد من لا يصيد احتمل الجواز والمنع ، وهكذا الاحتمالان فيمن اقتنى كلباً ليحفظ به ماشية أو حرثاً إن حصلت ، أو يصيد به ان احتاج ، ويجوز تربية الجرو الصغير لأجل الثلاثة في أقوى الوجهين ، والثاني : لا يجوز ، وفي « الرعاية » لا يكره على الأصح اقتناء جرو صغير حيث يقتنى الكبير ، وأما اقتناء الكلاب لغير ما ذكر فلا يجوز لهذا الحديث وغيره من الأحاديث ، وزعم ابن عبد البر أن هذا الحديث يدل على إباحة اتخاذ الكلاب للصيد والماشية ، وكذا للزرع لأنها زيادة من حافظ ، وكراهة اتخاذها لغير ذلك ؛ إلا أن يدخل في معنى الصيد وغيره مما ذكر ؛ كاتخاذها لطلب المنافع ودفع المضار قياساً ، فتمحص الكراهة اتخاذها لغير حاجة ؛ لما فيه من ترويع الناس ، وامتناع دخول الملائكة البيت الذي هي فيه .

- قال - وفي قوله : نقص من عمله أي من أجر عمله ، ما يشير إلى أن اتخاذها ليس بمحرم ؛ لأن ما كان اتخاذه محرماً امتنع اتخاذها على كل حال ، سواء نقص الاجر أم لم ينقص ، فدل ذلك على أن اتخاذها مكروه لا حرام - قال - ووجه الحديث عندي أن المأماني المتعبد بها في الكلاب من غسل الاناء سبباً لا يكاد يقوم بها المكلف ولا يتحفظ منها ، وربما دخل عليه باتخاذها ما ينقص أجره من ذلك . وروى أن المنصور ثاني خلفاء بني العباس ؛ سأل عمرو بن عبيد عن سبب هذا الحديث فلم يعرفه ، فقال المنصور : لأنه ينبج الضيف ويروع السائل . انتهى . وما ادعاه من عدم التحريم واستدلالة بما ذكر ليس بلازم ، بل يحتمل أن تكون العقوبة تقع بعدم التوفيق للعمل بمقدار قيراط أو قيراطين ؛ مما كان يعمل من الخير لو لم يتخذ الكلب ، ويحتمل أن يكون الاتخاذ حراماً .

والمراد بالنقص أن الاثم الحاصل باتخاذها ، يوازن قدر قيراط أو قيراطين من أجر عمله ، فينقص من ثواب عمل المتخذ قدر ما يترتب عليه من الاثم باتخاذها ؛ وهو قيراط أو قيراطان ، وهذا ظاهر ، وقيل : سبب النقصان امتناع ملائكة الرحمة والبركة من دخول بيته ، أو ما يلحق المارين من الاذى ، أو لان بعضها شياطين ، أو عقوبة لمخالفة النهي ، أو لولوجها في الاواني عند غفلة صاحبها ، وربما يتنجس الطاهر بها ، فاذا استعمل في العبادة لم يقع موقع الطاهر . وقال ابن التين : المراد أنه لو لم يتخذها لكان عمله كاملاً ، فاذا اقتناه نقص من ذلك العمل . واختلف في اختلاف الروايتين في القيراط والقيراطين ، فقيل : الحكيم للزائد لكونه حفظ مالم يحفظ الآخر ، أو أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أولاً بنقص قيراط واحد ، فسمعه الراوي الاول ، ثم أخبر ثانياً بنقص قيراطين زيادة في التأكيد في التنفير من ذلك ، فسمعه الراوي الثاني ، وقيل : ينزل على حالين ، فنقص القيراطين باعتبار كثرة الاضرار باتخاذها ، ونقص القيراط باعتبار قلته ،

وقيل: يختص نقص القيراطين بمن اتخذها بالمدينة الشريفة خاصة، والقيراط بما عداها، وقيل: يلتحق بالمدينة سائر المدن والقرى، ويختص القيراط بأهل البوادي، وهو ملتفت الى معنى كثرة التأذي وقلته، وكذا من قال: يحتمل أن يكون في نوعين من الكلاب، واختلف أيضاً في نسبة القيراطين من أجر عمله؛ فقليل: قيراط من ماضي عمله، وقيراط من مستقبله، وقيل: قيراط من عمل الليل، وقيراط من عمل النهار، وقيل: قيراط من عمل الفرض وقيراط من النفل.

وقد ذكرت الكلام على هذا الحديث في رسالة متعلقة بالصلاة على الميت، وهو أن من صلى على ميت فله بالصلاة عليه قيراط، وله بهام دفنه وتعزية المصاب قيراطان، وأن نسبة هذين القيراطين لما يحصل لأهل المصيبة من أجر المصيبة، ولواحقها على أكمل حال من غير أن ينقص من أجر مصيبتهم شيء، وأنهم لو لم يصبروا بل جزعوا وتسخطوا حتى حصل عليهم من ذلك وزر؛ يكون لهذا المصلي والمتبع الجنازة قيراط، أو قيراطان من أجر تلك المصيبة ولواحقها؛ لو وجد على أتم حال، وأما في مقتني الكلب الذي حررناه فيها تبعاً للإمام ابن القيم في كتابه «بدائع الفوائد»، والإمام ابن عقيل في فنونه، وابن قندس في «حواشي الفروع»، أن القيراط والقيراطين بالنسبة الى عمله ذلك اليوم، فكأنه حصل من العمل الصالح الطيب أربعة وعشرين ألف حسنة مثلاً، فينقص منها باقتناء الكلب قيراطان، وهما ألفا حسنة في المثال على أتم وجوه العمل، أو بالنسبة الى عمل نفسه، ويكون عظام القيراط ونقصه مختلفاً باختلاف الأشخاص، والله الموفق.

تفہیمات

الاول : أشمر الحديث بجواز اتخاذ الكلاب لماشية والصيد ، وكذا الحرث ، لما ذكرنا من حديث أبي هريرة . وفي « الصحيح » : « قال سالم ابن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم : وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول : أو كلب حرث » وكان صاحب حرث ، فكان قد جوز اتخاذه للحرث والزراعة ، ويستدل لجواز ذلك بالنص الذي سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حافظ الأمة ، فصار العلماء الى جواز اتخاذه للزراعة والحرث ، أي لحفظ ذلك اعتماداً على حديث أبي هريرة . والكلب الذي يجوز اتخاذه لما ذكره ؛ لا بد أن يكون غير عقور ، فإن كان عقوراً لم يحز اتخاذه ، ويجب قتله ولو كان معلماً ، ولا بد أن يكون غير أسود بهيم ، فإن كان أسود بهيماً حرم اقتناؤه وسن قتله ، كما في « الاقناع » . وفي « المنتهى » يباح قتله ، وقدم في « الآداب الكبرى » : يباح قتل الكلب العقور والأسود البهيم والوزغ^(١) ، كذا قاله غير واحد - قال - وليس مرادهم حقيقة الاباحية ، والتعبير بالاستحباب أولى . وقطع به في « المستوعب » ، في محظورات الاحرام ، وكذا كل ما فيه أذى في الحرم وغيره . قالت عائشة رضي الله عنها : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل خمس فواسق في الحل والحرم ؛ الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأر ، والكلب العقور » ، رواه البخاري ومسلم ، وروى مسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً : « لا جناح على من قتلهن في الحرم والاحرام » ، وعبر بالاستحباب جماعة ممن تكلم على الاحاديث - قال - وذكر الأصحاب إباحة قتل الكلب العقور والأسود البهيم في غير موضع . وصرح الموفق وغيره : وإن كانا معلمين ، فإنه قال : وأما قتل ما لا يباح اقتناؤه من الكلاب بأن

(١) الوزغ ، جمع وزغة ، وهي : سام أبرص

كان أسود بهيماً أو عقوراً فيباح وإن كانا معلمين - قال - وعلى قياس الكلب كل ما أذى وضرهم في أنفسهم وأموالهم . ثم صرح الموفق رحمه الله بوجوب قتل الكلب العقور والأسود البهيم ، قال أبو الخطاب : الأمر بالقتل يقتضي النهي عن إمساكه وتعليمه والاصطياد به ، فعلى معتمد المذهب لا يباح صيد الكلب الأسود البهيم ولو معلماً .

الثاني : تعليم الكلب والفهد ونحوهما بثلاثة أشياء : أن يسترسل إذا أرسل ، وينزجر إذا زجر لافي حال مشاهدته الصيد ، وإذا أمسك لم يأكل . ولا يعتبر تكراره ، بل يحصل ولو بمرة ، فإن أكل بعد تعليمه لم يحرم ما تقدم من صيده ، ولم يباح ما أكل منه ، ولم يخرج عن كونه معلماً ، فيباح مصاده بعد الصيد الذي أكل منه . وقال البغوي من الشافعية في « تهذيبه » : أقل ما يعلم به كونه الكلب صار معلماً أن يتكرر وقوع ما اعتبر منه ثلاث مرات فصاعداً . وعن أبي حنيفة : يكفي مرتين . وقال الرافعي : لم يقدره المعظم ؛ لاضطراب العرف واختلاف طباع الجوارح ، فصار المرجع إلى العرف ، ولا بد أن يجرح الصيد ، فإن قتله بصدمته أو خنقه ، لم يباح على معتمد المذهب . وفي « الفتح » : فلو قتل الجارح الصيد بظفره أو نابيه حل - قال - وكذا بثقله على أحد القولين للشافعي وهو الراجح عندهم ، واختاره من علمائنا ابن حامد وأبو محمد الجوزي .

الثالث : لا بد لإباحة الصيد بالكلب المعلم ونحوه - حيث وجدته ميتاً أو فيه حركة ضعيفة لا تزيد على حركة المذبوح - من أن يكون ذكر اسم الله عند إرساله ، والعلماء يجمعون على مشروعيتها ؛ إلا أنهم اختلفوا في كونها شرطاً في حل الأكل ، فذهب الإمام أحمد إلى الراجح الذي لا يفتى بغيره ، وهو مذهب أبي ثور وطائفة : هي شرط لا تسقط عمداً ولا سهواً ولا جهلاً ، فمن تركها عند إرسال

الآلة الى الصيد من جارج وسهم فوجد المصيد ميتاً ؛ فهو ميتة لا يحل أكله ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم جعلها شرطاً لجواز الأكل في عدة أحاديث ، ولأن الأصل تحريم الميتة إلا ما أذن الشارع فيه منها ، وما أذن فيه منها يراعى صفته ، فالمسمى عليها وافق الوصف ، وغير المسمى باق على أصل التحريم ، ومذهب الشافعي وطائفة وهو رواية عن مالك وأحمد أنها سنة ، فمن تركها سهواً أو عمداً لم يقدح في حل الأكل ، ومذهب أبي حنيفة ومشهور مذهب مالك والثوري وكثير من العلماء جواز الأكل في تركها سهواً ، وعدمه في تركها عمداً ؛ لكن اختلف عن المالكية هل يحرم الأكل أو يكره ؛ وعند الحنفية يحرم ، وعند الشافعية : في العمدة ثلاثة أوجه ؛ أصحها يكره الأكل ، وقيل : خلاف الأولى ، وقيل : يأثم بالترك ولا يحرم الأكل ، كما في « الفتوح » . وفي الحديث دليل على إباحة الاصطياد بالكلاب المعلمة ؛ لكن استثنى الامام أحمد وإسحاق بن راهويه الكلب الاسود البهيم كما تقدم ، وهو مالا لون فيه سوى السواد ، فقال : لا يحل الصيد به لأنه شيطان ، ونقل عن الحسن وإبراهيم وقتادة نحو ذلك ، قال علماؤنا : ولا يخرج عن كونه أسود بهيماً بالنكتين اللتين يكونان بين عينيه - قالوا - فيحرم اقتناؤه وتعليمه ، ويسن قتله ولو معلماً كالخنزير ، ويحرم الانتفاع به . والله أعلم .



الثلاثيات الواقعة في مسند الامام أحمد رضي الله عنه

من مسند

جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنها

وعدها ثلاثون حديثاً

ونبدأ أولاً بترجمة جابر رضي الله عنه :

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام - بالمهملتين - ابن عمرو بن سواد - بفتح السين المهملة والواو ، فألف فـدال مهملة - ضد بياض ، ابن سلمة - بكسر اللام - الانصاري الخزرجي السلمي - بفتح السين المهملة واللام - المـدني - كنيته : أبو عبد الله ، وقيل : أبو عبد الرحمن ، وقيل : أبو محمد ، وهو وأبوه صحابيان ، شهد العقبة الثانية مع أبيه صغيراً ولم يشهد الاولى ، وكان أبوه أحد النقباء الاثني عشر ، وأبوه أول قتيل للمسلمين في أحد ، وشهد جابر بدرأ في قول البخاري وأبي أحمد الحاكم ، ونقل ابن عساكر عن أبي سعد والواقدي أنه لم يشهدا ، ورجحه ابن عبد البر ، واستدل بما رواه مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه أنه قال : « غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة ، لم أشهد بدرأ ولا أحداً ، معني أبي ، وأما ما احتج به للاول من حديث أبي داود عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه قال : « كنت أمنيح أصحابي الماء يوم بدر ، فقال السهيلي : معناه أنه كان صغيراً فلم يسهم له ، وزعم بعضهم أن هذه الرواية تصحيف : والصحيح « كنت منيخ أصحابي يوم بدر ، والمنيخ السهم ، يريد أنهم كانوا يرسلونه في حوائجهم لصغر سنه ، ثم

شهد جابر مع علي رضي الله عنها صفين ، وكف بصره في آخر عمره ،
مات بالمدينة سنة أربع وسبعين ، وقيل : سبع وسبعين ، وقيل : ثمان وسبعين ،
وقيل : ثلاث وسبعين ، وقيل : إحدى وستين ، وقيل : تسع وسبعين ،
والراجح من هذه الأقوال الأول ، وصلى عليه أبان بن عثمان ، وهو أمير المدينة
يومئذ ، وله من العمر أربع وتسعون سنة ، وهو آخر من مات بالمدينة من
الصحابة على قول ، وإذا أطلق جابر فهو المراد ، وهو أحد المكثرين من الصحابة .
روي له عن رسول الله ﷺ ألف حديث وخمسمائة وأربعون حديثاً ، اتفق
الشيخان على ستين ، وقال ابن الجوزي في « منتخب المنتخب » : ثمانية
وخمسين ، وانفرد البخاري بستة وعشرين ، ومسلم بمائة وستة وعشرين ،
والله أعلم .

الحديث الاول

١٦ — حدثنا هشيم ، قال : حدثنا أبو الزبير عن جابر بن
عبد الله قال : كنا مع أبي عبيدة ، بعثنا النبي ﷺ ، فنقد
زادنا فمررنا بحوت قذفه البحر ، فأردنا أن نأكل منه ، فمنعنا
أبو عبيدة ثم إنه قال بعد ذلك : نحن رسل رسول الله ﷺ

وفي سبيل الله ، كلوا فأكلنا منه أياماً ، فلما قدمنا ذكرنا
ذلك لرسول الله ﷺ فقال :

ان كان بقي معكم منه فابعثوا به إلينا .

قال رضي الله عنه : (حدثنا هشيم) هو أبو معاوية ، هشيم — بضم
الهاء ، وفتح الشين المعجمة : مصنف — ابن بشير — بضم الموحدة — ابن
القاسم السلمي الواسطي ، الامام الحافظ الكبير ، نزيل بغداد ، روى عن أبيه
وحמיד الطويل وأيوب السختياني ، وعن الزهري وعمرو بن دينار وابن زاذان
وخلق كثير ، وعنه شعبة أحد شيوخه ، ومالك والثوري ومحمد بن عيسى ابن
الطباع والامام أحمد وخلق . قال حماد بن زيد : ما رأيت في الحديثين أنبل منه ،
وقال يزيد بن هارون : ما رأيت أحداً أحفظ من هشيم إلا سفيان إن شاء الله
تعالى ، وقال ابن مهدي : كان أحفظ للحديث من سفيان الثوري ، قال ابن سعد :
كان ثقة ثباتاً كثير الحديث يدلس كثيراً ، وسئل أبو حاتم عنه فقال : لا تسأل
عنه في صدقه وأمانته وصلاحه ، وقال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه :
لزمته هشيماً أربع سنين أو خمس سنين ما سألته عن شيء هيبه له إلا مرتين
— قال — وكان هشيم كثير التسبيح بين الحديث ، يقول بين ذلك : لا إله إلا الله ،
يعد بهما صوته ، وقال معروف الكرخي : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في
المنام وهو يقول لهشيم : يا هشيم ! جزاك الله عن أمي خيراً ، فقيل لمعروف :
أنت رأيته ؟ قال : نعم ! هشيم خير مما يظن ، رضي الله عن هشيم . قال الامام
الحافظ ابن الجوزي في « صفوه الصفوة » : مكث هشيم يصلي الفجر بوضوء

العشاء ، قبل أن يموت عشر سنين . ولد هشيم سنة أربع ومائة ، ومات سنة ثلاث وثمانين ومائة .

(قال) هشيم : (حدثنا أبو الزبير) - بضم الزاي وفتح الموحدة فمثناة تحت ، فراء ، مصغرا - هو محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي المكي . روى عن جابر وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وعائشة رضي الله عنهم وخلق كثير ، وروى عنه أبو حنيفة ومالك وشعبة والأعمش والسفيانان وحماد بن سلمة والزهري - وهو من أقرانه - وعطاء بن أبي رباح - أحد شيوخه - وهشيم وغيرهم . وهو ثقة ، وثقه ابن المديني وابن معين والنسائي ، وضعفه ابن عيينة وغيره ، مات سنة ثمان وعشرين ومائة ، وقال ابن بدران الحنبلي في « طبقات الحفاظ » : أبو الزبير أمام كبير حافظ ، مولى حكيم بن حزام القرشي الأسدي . قال ابن معين والنسائي : ثقة ، وقال أبو زرعة وأبو حاتم : لا يحتج به ، وقال غير واحد : مدلس ، فاذا صرح بالسماع فهو حجة . انتهى .

(عن) أبي عبد الله (جابر بن عبد الله) الأنصاري رضي الله عنها (قال) جابر رضي الله عنه : (كنا) معشر الصحابة (مع) أمين الأمة (أبي عبيدة) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب - بضم الهمزة وفتح الهاء وسكون الياء المثناة تحت وبعدها باء موحدة - ابن ضبة - بفتح الضاد المعجمة وتشديد الموحدة - ابن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري ، أمين هذه الأمة ، أسلم مع عثمان بن مظعون ، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ ، وثبت معه يوم أحد ، ونزع الحلقة التي دخلتا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من حلق المغفر بفيه ، فوقعت ثنيتاه فكان أحسن الناس هتماً ^(١) ، وهو أحد

(١) هتم فاه : ألقى مقدم أسنانه .

العشرة المبشرين بالجنة . روي له عن رسول الله ﷺ خمسة عشر حديثاً ، ولم يخرج له البخاري في « صحيحه » شيئاً ، ولا مسلم إلا في حديث العنبر من رواية أبي الزبير عن جابر ، وهو قوله : نحن رسل رسول الله ﷺ ، وهو معنى تام فسموه حديثاً . مات أبو عبيدة رضي الله عنه في طاعون عمواس سنة ثمان مائة عشرة ، ودفن ببيسان أي بغور بيسان ، وقبره هناك مشهور ، وقد زرناه ، وصلى عليه معاذ بن جبل ، ثم مات بعده ، وقبره قاطع الغور مشهور ، وقد زرناه أيضاً . ولما مات أبو عبيدة رضي الله عنه كان عمره ثمان وخمسين سنة . يجتمع نسبه مع النبي ﷺ في فهر بن مالك .

(بعثنا النبي ﷺ) في ثلاثمائة راكب ؛ كما في « الصحيحين » ، وغيرها ، زاد الواقدي وابن سعد وغيرها : من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال جمهور أهل المغازي : كان ذلك في شهر رجب سنة ثمان . قال جابر كما في « الصحيحين » : « وأمر علينا أبا عبيدة بن الجراح » . وأما ما وقع في رواية أبي حمزة الخولاني عن جابر عند ابن أبي عاصم في « كتاب الأطمعة » أن أمير هذه السرية قيس بن سعد بن عبادة ؛ فالحفوظ كما قال في « الفتح » : ما اتفقت عليه روايات « الصحيحين » وغيرها أنه أبو عبيدة بن الجراح . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : وكان أحد رواة هذا الحديث ظن من صنع قيس بن سعد من نحر الجزر في تلك الغزاة أنه كان أمير السرية وليس كذلك . وفي « الصحيحين » ، وغيرها من حديث جابر رضي الله عنه أنه قال : « بعثنا رسول الله ﷺ ، وأمر علينا أبا عبيدة تملق عيراً لقريش ، وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمر تمر » . (فنجد) - كسمع ، بالتون والفاء والذال المهملة - (زادنا) الذي كنا قد تزودناه لسفرنا ، أي في وذهب ، وفي رواية : « فأقمنا بالساحل نصف شهر ، ففني الزاد ، فأمر أبو عبيدة

بأزواد الجيش ، فجمع فكان مزودي تمر ، وكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً ، ،
وفي رواية : « فكان يعطينا قبضة قبضة ، ثم صار يعطينا ثمرة ثمرة حتى في ،
قيل : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : كنا نمصها كما يمص الصبي ، ثم نشرب
عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل ، ، وفي رواية وهب بن كيسان « قلت
لجابر : ما تعني عنكم ثمرة ؟ قال : لقد وجدنا فقدناها حين فنيت ، ، وفي حديث
عبادة بن الصامت رضي الله عنه عند ابن إسحق « فقسّمها - أي التمرة - يوماً بيننا
فنقصت ثمرة عن رجل ، فوجدنا فقدناها ذلك اليوم ، فأصابنا جوع شديد ، وكنا
نضرب بعصينا الخَبِطَ (١) ثم نبله بالماء ، ويأتي الكلام على هذا في الحديث الخامس
والعشرين من أحاديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها .

(فمررنا بحوت قذفه البحر) ، وفي رواية في « الصحيحين » من حديث
جابر رضي الله عنه : « فألقى إلينا البحر دابة يقال لها : العنبر ، وفي آخر :
« حوتاً لم ير مثله ، كهيئة الكتيب الضخم ، فأتيناه ؛ فإذا هو دابة تدعى : العنبر ،
(فأردنا أن نأكل منه) — أي من ذلك الحوت الذي قذفه البحر — (فمنعنا)
أميرنا (أبو عبيدة) رضي الله عنه ، وقال : ميتة ، (ثم إنه) — أي أبا عبيدة —
(قال بعد ذلك) : — أي بعد أن نهانا عن الأكل منه ، وقال : إنه ميتة — لا
بل (نحن رسول الله) محمد (ﷺ) أرسلنا لنقاتل أعداء الله ، (وفي سبيل الله)
وقد اضطررتم فد (كلوا) منه ، فبنى أولاً على عموم تحريم الميتة ، ثم تذكر
تخصيص المضطر باباحة أكلها ، إذا كان غير باغ ولا عاد ، وهم بهذه الصفة ؛ لأنهم
في سبيل الله وفي طاعة رسوله ، ثم تبين من آخر الحديث ؛ أن جهة كونه حلالاً
ليست بسبب الاضطرار ، بل لكونها من صيد البحر ، كما يأتي مشروحاً مبيناً

(١) الخبط : ورق ينفض بالخطاط ، ويحف ويطن ، ويخلط بدقيق او غيره ،

ويؤخف بالماء فتوجره الابل .

قال جابر رضي الله عنه : (فأكلنا منه) أي من ذلك الحوت الذي قذفه البحر لنا (أياما) في رواية وهب بن كيسان عن جابر : « فأكل منه القوم ثمانى عشرة ليلة » وفي رواية عمرو بن دينار عندهما : « فأكلنا منه نصف شهر » وفي رواية أبي الزبير : « فأقمنا عليه شهراً » وطريق الجمع بين اختلاف هذه الروايات ؛ بأن الذي قال ثمانى عشرة ، ضبط ما لم يضبط غيره ، وأن من قال نصف شهر ألفى الكسر الزائد ، وهو ثلاثة أيام ، ومن قال شهراً ؛ جبر الكسر أو ضم بقية المدة التي كانت قبل وجدانهم : ورجح النووي رواية أبي الزبير لما فيها من الزيادة . قال ابن التين : إحدى الروايتين وهم ، ووقع عند الحاكم اثني عشر يوماً وهي شاذة ، وأشد منها رواية الخولاني : « أقمنا قبلها ثلاثاً » والجمع المذكور أولى ؛ فإن رواية ثمانى عشرة ليلة عند البخاري ، ورواية شهر عند مسلم ، ورواية نصف شهر عندهما . قال جابر رضي الله عنه كما في « الصحيحين » : « وادهنا من وودكه ، حتى ثابت منه اجسامنا واصلحت » وفي رواية « فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلثمائة ، حتى سمئنا — قال — ولقد رأيتنا نفترق من وقب عينه بالقلال الدهن ، ونقتطع منه القدر كالثور ، أو كقدر الثور ، وأخرجنا من عينه كذا وكذا قلة وودك ، ولقد أخذ أبو عبيدة رضي الله عنه ثلاثة عشر رجلاً ، فأقدمهم في ثقب عينه ، وأمر أبو عبيدة رضي الله عنه بضلع من أضلاعه فنصب ، ونظر إلى أطول رجل في الجيش ، أي وهو قيس بن سعد بن عباد ؛ كما ظنه في « الفتح » ، وأطول جمل فجلسه عليه ، ومر من تحته راكباً فلم يصبه — قال جابر رضي الله عنه — : « وتزودنا من لحمه » وفي رواية أبي حمزة الخولاني « وحملنا منه ما شئنا من قديد وودك في الأسقية والغدائر » .

قال جابر رضي الله عنه : (فلما قدمنا) المدينة المنورة (ذكرنا ذلك) أي أمر الحوت الذي قذفه البحر ، وأكلنا من لحمه وودكه ، وحملنا من ذلك

(لرسول الله ﷺ فقال) عليه الصلاة والسلام : (إن كان بقي معكم) معشر الغزاة من أهل ذلك الجيش (منه) - أي من لحم ذلك الحوت - (فابموا به) - أي بالباقي منه معكم - (إلينا) لنا كل منه ، وفي بعض طرقه في « الصحيح » أن النبي ﷺ أكل منه ، ولفظه « فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له . فقال : هو رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم من لحمه فتطعمونا ؟ » - قال - فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله ، وبهذا تم الدلالة على إباحة أكل صيد البحر ؛ حتى الطافي منه ، وإلا فمجرد أكل الصحابة منه ، وهم في حالة المجاعة ؛ قد يقال : إنه للاضطرار ، ولا سيما وفيه قول أبي عبيدة : « ميتة » ، ثم قال : لا بل نحن رسل رسول الله ، وفي سبيل الله ، وقد اضطررتم فكلوا ، كما تقدم ، وقد أخرجه بهذا اللفظ مسلم من طريق أبي الزبير عن جابر في الصيد ، وكذا البخاري في المغازي من هذا الوجه ؛ لكن قال أبو عبيدة : كلوا ، ولم يذكر بقيته ، وتقدم أن أبا عبيدة بناء أولاً على إباحة الميتة المضطر ، فقرر الرسول ﷺ أن جهة كونه حلالاً ، ليس بسبب الاضطرار ؛ بل لكونه من صيد البحر ، في « الصحيحين » « فلما قدمنا المدينة ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : كلوا رزقا أخرجه الله لكم ، وأطعمونا إن كان معكم ، فأناهم بعضهم بعضو فأكله ، فبين ﷺ لهم أنه حلال مطلقاً ، وبالغ في البيان بأكله منه ؛ لأنه لم يكن مضطراً ، فيستفاد منه إباحة ميتة البحر سواء مات بنفسه ، أو مات بالاصطياد ، وهذا مذهب الجمهور ، وعن أبي حنيفة : يكره ، وفرقوا بين ما لقطه البحر فمات ؛ وبين ما مات فيه من غير آفة ، وتمسكوا بحديث أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه « ما ألقاه البحر أو جزر عنه ، فكلوه ، وما مات فيه فطقا ، فلا تأكلوه » أخرجه أبو داود مرفوعاً من رواية يحيى بن سليم الطائفي ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، ثم قال : رواه الثوري وأيوب وغيرهما ؛ عن أبي الزبير موقوفاً ، وقد أسند من

وجه آخر ضعيف ، عن ابن أبي ذئب ، عن أبي الزبير ، عن جابر مرفوعاً ، وقال أبو عيسى الترمذي : سألت البخاري عنه فقال : ليس بمحفوظ ، و يروى عن جابر خلافة . انتهى . قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري لشرح البخاري » : ويحيى بن سليم صدوق ؛ وصفوه بسوء الحفظ ، وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقال يعقوب بن سفيان : اذا حدث من كتابه ؛ فحديثه حسن ، واذا حدث حفظاً ؛ يعرف وينكر ، وقال أبو حاتم : لم يكن بالحافظ ، وقال ابن حبان في « كتاب الثقات » : كان يخطيء ، وقد توبع على رفعه ، أخرجه الدارقطني ، من رواية أبي أحمد الزبيري ، عن الثوري مرفوعاً ؛ لكن قال : خالفه وكيع وغيره ، فوقفوه عن الثوري وهو الصواب ، وروي عن ابن أبي ذئب ، وإسماعيل بن أمية مرفوعاً ولا يصح ، والصحيح أنه موقوف ، واذا لم يصح إلا موقوفاً ؛ فقد عارضه قول الصديق الأعظم ، كما في البخاري تعليقا وغيره « الطافي حلال » ورواه موصولاً أبو بكر بن أبي شيبة والطحاوي والدارقطني ، من رواية عبد الملك بن أبي بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنها قال : « أشهد على أبي بكر أنه قال : السمكة الطافية حلال » زاد الطحاوي « لمن أراد أكله » وفي رواية « أشهد على أبي بكر أنه أكل السمك الطافي على الماء » والطافي من غير همز ، من طفأ يطفو اذا علا الماء ، ولم يرسب ، والدارقطني من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنها عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه « إن الله ذبح لكم ما في البحر فكلوه كله ، فانه ذكي » وكذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم .

والقياس يقتضي حله أيضاً ، قال العلامة ابن القيم في « الهدي » في قوله تعالى : (أحل لكم صيد البحر وطعامه) قد صح عن أبي بكر وابن عباس وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، أن صيد البحر ما صيد منه ، وطعامه ما مات

فيه : وفي الحديث « أحلت لنا ميتتان ودمان ؛ فأما الميتتان فالسمك والجراد ، وأما الدمان فالكبد والطحال » ، قال ابن القيم : حديث حسن ، وإن كان موقوفاً فهو في حكم المرفوع ؛ لأن قول الصحابة : أحل لنا وحرم علينا ينصرف الى إحلال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريمه ، ثم قال : والقياس يقتضي حله ؛ لأنه سمك لو مات في البر لا كل بغير تذكية ، ولو نضب عنه الماء أو نقلته سمكة أخرى فمات لا كل ، فكذلك إذا مات وهو في البحر . وأطال ابن القيم في الاستدلال على حله وأنه محض القياس في « الهدي » .

ويستفاد من قول جابر رضي الله عنه : أكلنا منه نصف شهر ؛ جواز أكل اللحم ولو أنتن ؛ لأن النبي ﷺ قد أكل منه بعد ذلك ، واللحم لا يبقى غالباً بلا نتن هذه المدة ، لا سيما في الحجاز مع شدة الحر ، لكن يحتمل أن يكونوا ملحوه وقددوه فلم يدخله النتن ، وقد حمل الفقهاء النهي عن أكل اللحم إذا أنتن للتنزيه ؛ إلا إن خيف منه الضرر . وقد صرح في « الاقناع » بكراهة أكل اللحم المنتن والتي خلافاً لـ « المنتهى » ، وعند المالكية : يحرم أكل اللحم المنتن كما في « الفتاح » واستظهره .

وفي الحديث جواز أكل حيوان البحر مطلقاً ؛ لأنه لم يكن عند الصحابة رضي الله عنهم نص يخص العنبر وقد أكلوا منه . لا يقال : انهم إنما أقدموا عليه بطريق الاضطرار ؛ لأننا نقول بأنهم أقدموا عليه مطلقاً من حيث كونه صيد بحر ، وإنما توقفوا من حيث كونه ميتة ، فدل على إباحة الاقدام على أكل ما صيد من البحر ، ثم بين لهم الشارع آخراً ، أن ميتته أيضاً حلال ، ولم يفرق بين الطافي وغيره . واحتج بعض المالكية بأنهم أقاموا يأكلون منه أياماً ، فلو كانوا أكلوا منه على أنه ميتة بطريق الاضطرار ماداموا عليه ؛ لأن المضطر إذا أكل الميتة يأكل منها بحسب الحاجة ، ثم ينتقل لطلب المباح غيرها . وجمع بعض العلماء

بين مختلف الأخبار في ذلك بحمل النهي على كراهة التنزيه وما عدا ذلك على الجواز .

ولا خلاف بين العلماء في حل السمك على اختلاف أنواعه ، وإنما اختلفوا فيما كان على صورة حيوان البر ، كالآدمي والكلب والخنزير والثعبان ؛ فعند الحنفية وهو قول للشافعية : يحرم ما عدا السمك ، واحتجوا عليه بهذا الحديث ، فإن الحوت المذكور لا يسمى سمكاً ، وفيه نظر ، فإن الخبر ورد في الحوت نصاً . وعن الشافعية الحل مطلقاً على الأصح المنصوص وهو مذهب المالكية ؛ إلا الخنزير في رواية ، وحجتهم عموم قوله تعالى : (أحل لكم صيد البحر) وحديث « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » أخرجه مالك وأصحاب السنن ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان وغيرهم ، وعن الشافعية : ما يؤكل نظيره في البر حلال ، وما لا فلا ، واستثنوا على الأصح ما يعيش في البر والبحر ، وهو نوعان :

الأول : ما ورد في منع أكله شيء يخصه كالضفدع ، وكذا هو مستثنى عند الإمام أحمد للنهي عن قتله ، وذلك من حديث عبد الرحمن بن عثمان التيمي ، أخرجه أبو داود والنسائي وصححه الحاكم ، وله شاهد من حديث ابن عمر عند ابن أبي عاصم ، وآخر عن عبد الله بن عمر ، أخرجه الطبراني في « الأوسط » وزاد : فإن نقيتها تسبيح ، وقد استوفيت ذلك في « شرح الآداب » ، واستثنى علماؤنا من حل دواب البحر التمساح ؛ لكونه يعدو بنابه ، وكذا الحية ، فمعتمد مذهب الإمام أحمد بإباحة جميع ما في البحر سوى حية وطفدعة وتمساح .

النوع الثاني : ما لم يرد فيه مانع فيحل ؛ لكن بشرط التذكية كالبط وطيير الماء ، ومعتمد المذهب اعتبار ذكاة كل حيوان إلا الذي لا يعيش إلا في الماء .

تنبيهات

الأول : نظر الامام ابن القيم في كتابه « الهدي » في كون هذه السرية كانت سنة ثمان ؛ لما في « الصحيحين » من حديث جابر رضي الله عنه أنه بعثهم يرصدون عيراً لقريش . ومن المعلوم أن صلاح الحديثية كان في السادسة ، ومن حينئذ لم يكن يرصد لهم عيراً ، بل كان زمن أمن وهدنة الى حين الفتح . قال . فظاهر هذا الحديث أن هذه السرية كانت قبل الهدنة . انتهى . قلت : ومما يقوي كون هذه السرية كانت قبل الهدنة ما ذكر فيها من القلة والجهد ، والحال أن الصحابة في سنة ثمان كان قد اتسع حالهم وكثر ملهم بفتح خيبر وغيرها ، والجهد المذكور في القصة يناسب ابتداء الامر ؛ فيرجح ذلك .

الثاني : قال الامام ابن القيم في « الهدي » أيضاً : قول من قال : إنها كانت في رجب وهم غير صحيح ؛ إذ لم يحفظ عن رسول الله ﷺ أنه غزا في شهر حرام ، ولا أغار فيه ، ولا بحث فيه سرية ، وقد عير المشركون المسلمين بقتالهم في أول رجب في قصة عبد الله بن جحش وأخي العلاء الحضرمي ، وقالوا : استحل محمد الشهر الحرام ، فأنزله الله تعالى في ذلك ، (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير... الآية)^(١) قال : ولم يثبت هذا بنص يجب المصير اليه ، ولا أجمعت الأمة على نسخه ، قال في « النور »^(٢) : وهو كلام حسن مليح ؛ لكنه على ما اختاره من عدم نسخ القتال في الأشهر الحرم ، وسلفه عطاء ابن أبي رباح ، وشيخه شيخ الاسلام ابن تيمية ، وأهل الظاهر ، والذي عليه الجمهور أنه منسوخ ؛ كما نص عليه علماؤنا وغيرهم . قال في « الاقتناع » : وتحريم القتال في الأشهر الحرم منسوخ نصاً ، وكذلك ذكر الحافظ ابن الجوزي في

(١) سورة البقرة الآية : ٢١٧

(٢) في « الذيل لطبقات الحنابلة » لابن رجب : « نور المؤمن وحياته »

كتابه « المصنع بأ كف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ » فقال في قوله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير) (١) : هذه الآية منسوخة بآية السيف .

الثالث : قول جابر رضي الله عنه في بعض رواياته : فلما في الزاد اقتضى رأي أبي عبيدة أن جمع زادم في مزود ، يعني لقصد المساواة بينهم ، مع قوله في الحديث : وزودنا رسول الله ﷺ جراباً من تمر لم يجد لنا غيره . وظاهرهما متباين ، والجمع بأن الزاد العام كان قدر جراب ، فلما نفذ وجمع أبو عبيدة الزاد الخاص الذي مع كل واحد من الجيش ؛ اتفق أنه صار قدر جرايين ، يرشد لهذا ما في البخاري من طريق وهب بن كيسان عن جابر : « خرجنا ونحن ثلاثمائة نحمل أزوادنا على رقابنا ، ففني زادنا حتى كان الرجل يأكل ثمرة تمر» وسيأتي في الحديث الخامس والعشرين بقية الكلام على هذا الحديث ؛ فإن الامام رضي الله عنه أخرجه هناك عن سفيان عن عمرو بن دينار عن جابر رضي الله عنه ، والله الموفق .

الحديث الثاني

١٧ — حدثنا هشيم ، قال : أنا أبو الزبير عن جابر — يعني ابن عبد الله — قال : قال رسول الله ﷺ :

من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

قال رضي الله عنه : (حدثنا هشيم) بن بشير الواسطي (قال : أنا أبو الزبير) محمد بن مسلم المكي (عن جابر ، يعني ابن عبد الله) الانصاري رضي

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١٧

الله عنها (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كذب) ، الكذب ضد الصدق ، (علي) حال كونه (متعمداً) غير مخطئ ، (فليتبوأ) — أي فليتخذ لنفسه — (مقعده) الذي هبى ، وأعد له بسبب كذبه علي (من النار) المهودة ، وهي نار جهنم ، فهو أمر بمعنى الخبر ، وبمعنى التحذير أو التهمك أو الدعاء على فاعله ، أي بؤاه الله ذلك .

واعلم أن هذا الحديث متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الامام الحافظ ابن الجوزي في صدر كتابه « الموضوعات » : هذا حديث متواتر — قال — وله سبب ؛ فروي بسنده عن ابن بريدة عن أبيه قال : « جاء رجل الى قوم في جانب المدينة فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أحكم فيكم برأيي ، وفي أموالكم ، وفي كذا وفي وكذا ، وكان خطب امرأة منهم في الجاهلية ، فأبوا أن يزوجه ، ثم ذهب حتى نزل على المرأة ، فبعث القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : كذب عدو الله ، ثم أرسل رجلاً فقال : إن وجدته حياً فاقتله ، وإن وجدته ميتاً فحرقه بالنار . فانطلق فوجده قد لدغ فمات ، فحرقه بالنار ، فعند ذلك قال ﷺ : من كذب علي . الحديث » رواه البغوي ، وأخرج ابن الجوزي الحديث عن بريدة ، ولفظه : « كان حي من بني ليث من المدينة على ميلين ، وكان رجل قد خطب منهم في الجاهلية فلم يزوجه ، فأتاهم وعليه حلة فقال : إن رسول الله ﷺ كساني هذه الحلة ، وأمرني أن أحكم في أموالكم ودمائكم ، ثم أزهق ، أي سبق ، فنزل على تلك المرأة التي كان يحبها ، فأرسل القوم الى رسول الله ﷺ فقال : كذب عدو الله ، ثم أرسل رجلاً فقال : إن وجدته حياً فاضرب عنقه ، وإن وجدته ميتاً فاحرقه بالنار — قال — فجاءه فوجده قد لدغته أفعى فمات ، فحرقه بالنار ، فذلك قول رسول الله ﷺ : من كذب علي .. الحديث » ورواه ابن عدي ، وأخرجه ابن الجوزي

أيضاً عن عبد الله ابن الزبير رضي الله عنها أنه قال يوماً لأصحابه : أندرون ما تأويل هذا الحديث : من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ؟ ذلك أن رجلاً عشق امرأة ، فأتى أهلها مساء فقال : ان رسول الله ﷺ بعني اليكم أن أتضيف في أي بيوتكم شئت - قال - وكان ينتظر بيتوتة المساء - قال - فأتى رجل منهم النبي ﷺ فقال : إن فلاناً أتانا يزعم أنك أمرته أن يبيت في أي بيوتنا شاء ، فقال : كذب ، يا فلان ! انطلق معه ، فان أمكنك الله منه فاضرب عنقه واحرقه بالنار ، ولا أراك إلا قد كفيته ، فلما خرج الرسول ؛ قال رسول الله ﷺ : ادعوه ، فلما جاء قال : إني كنت قد أمرتك أن تضرب عنقه وأن تحرقه بالنار ، فان أمكنك الله منه فاضرب عنقه ، ولا تحرقه بالنار ؛ فانه لا يعذب بالنار إلا رب النار ، ولا أراك إلا قد كفيته ، فجاءت السماء بصيب ، فخرج ليتوضأ فليسمه أفعى ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال : هو في النار .

وقد روى حديث « من كذب علي متعمداً .. » : بضع وستون نفساً ، منهم العشرة المبشرون بالجنة ، إلا عبد الرحمن بن عوف ، وقال أبو بكر محمد ابن أحمد بن عبد الوهاب الاسفراييني : ليس في الدنيا حديث اجتمع عليه العشرة من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة غير حديث : « من كذب علي متعمداً .. » قال الحافظ ابن الجوزي : ما وقعت الي رواية عبد الرحمن ابن عوف الى الآن - قال - ولا عرفت حديثاً رواه عن رسول الله ﷺ أحد وستون نفساً ، أو اثنان وستون إلا هذا الحديث ، وقد رواه الامام أحمد والشيخان وغيرهم من طرق متعددة وروايات ووجوه متباينة ، وسيأتي في هذه الثلاثيات من ذلك عدة روايات ، والله أعلم .

الحديث الثالث

١٨ — حدثنا هشيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال :
لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله
وشاهده وكاتبه .

قال رضي الله عنه قال (حدثنا هشيم عن أبي الزبير عن جابر) رضي الله
عنه (قال : لعن رسول الله ﷺ) ، أي أبعد وطرد (آكل الربا) إما دعاء
من رسول الله ﷺ ، أو إخبار من مظان البعد عن رحمة الله ومواطنها ، نازل
على آكل الربا وواقع عليه . والربا مقصور أصله الزيادة . قال في « المطلع » : ربا
الشيء ربواً : إذا زاد ، وبقى ربوان وربيان ، وأربنى الرجل إذا عامل بالربا ،
وهو مكتوب في المصحف بالواو ، قال الفراء : إنما كتبوه في المصحف كذلك
لأن أهل الحجاز تعلموا الكتابة من أهل الحيرة ، ولغتهم الربو ، فعلموهم صورة
الخط على لغتهم ، وإن شئت كتبته بالياء أو على ما في المصحف أو بالالف ؛ حكى
ذلك الثعلبي .

واعلم أن الربا محرم من الكبائر ، وهو تفاضل في أشياء ونسأ في أشياء ،
مختص بأشياء ورد الشرع بتحريمها . وهو نوعان :

النوع الأول: ربا الفضل ، فيحرم في كل مكيل وموزون بيع بجنسه - ولو
يسيراً - لا يتأني كيله - كتمر بتمر أو بتمرتين - ولا وزنه ، كما دون الأرز من
الذهب والفضة ، مطموماً كان أو غير مطموماً ، فالعلة المحرمة كونه مكيلاً أو
موزوناً . قال الامام أحمد : قياساً على الذهب والفضة . وقيل : العلة المضمومة

للأدعي ، وفي « النقيدين » : الثمنية . فعلى الأول تباع بيضة بيضة وبيضتين ،
وخياره وبطيخة ورمانة بمثلها وبمثلها ؛ لأنه ليس مكيلاً ولا موزوناً ، وقد نص
الامام احمد رضي الله عنه على جواز ذلك - قال - لأنه ليس مكيلاً ولا موزوناً ،
ونقل مهنا وغيره عنه أنه كره بيضة بيضة ، وقال : لا يصلح إلا وزناً بوزن لأنه
طعام ، فعلى هذا العلة المطعومية ، والاول المذهب ؛ لكن لا يحرم ما تخرج منه
الصناعة من الصفر والحديد ونحوهما ؛ كالخواتم والسكاكين والابر إلا النقيدين .
قال علماءنا : والجهل بالتساوي حال العقد ، كالعلم بالتفاضل . قال علماءنا والحنفية :
علة الربا في الفضة والذهب والوزن والجنس ، فكل ما جمعه الجنس والوزن فالتحريم ثابت
فيه اذا باعه متفاضلاً ؛ كالذهب والفضة والنحاس والبرصاص وما أشبهه ، وفي غير ذلك
فالعلة فيه الكيل والجنس ، فكل ما جمعه الجنس والكيل ؛ فالتحريم فيه ثابت ، اذا بيع
متفاضلاً ؛ كالحنطة والشعير والأرز والكرسنة ، ونحو ذلك ، فكل مكيل
وموزون ؛ لا يباع بجنسه ، إلا حالاً مقبوضاً متساوياً ، سواء كان مطعوماً أو غير
مطعوم . وقالت المالكية والشافعية : العلة في الذهب والفضة الثمنية ، فلا ربا
عندهم في الحديد والنحاس ونحوهما . وقالت الشافعية : العلة في بقية الربويات
المطعومية ، فيتعدى الربا الى كل مطعوم . وقالت المالكية : العلة فيها كونها تدخر
للقيوت ؛ تصلح له ، فمدوه الى الزبيب ، لأنه كالتمر ، والى القطنية ^(١) لأنها
كالبر والشعير ، فمثل رمانة ؛ برمانتين ، وسفرجلة ؛ بسفرجلتين ، حرام عند
الشافعية . مباح عند غيرهم .

النوع الثاني : ربا النسيئة ، وهو كل شيئين ، ليس أحدهما نقداً ، علة ربا
الفضل فيها واحدة ؛ كمكيل بمكيل ، وموزون بموزون ، فيشترط في مثل بيع
حديد بنحاس ، وبر بشعير مثلاً ؛ الحلول والقبض في المجلس ، ويجوز التفاضل

(١) ما سوى الحنطة والشعير والزبيب والتمر ، او هي الحبوب التي تطبخ

حيث اختلف النوع ، وأما إن اختلفت العلة فيها ؛ كما لو باع مكيلا بموزون جاز التفرق قبل القبض والنسأ والتفاضل ، وما كان مما ليس بمكيل ولا موزون كثياب وحيوان ؛ يجوز النسأ فيه ؛ سواء بيع بجنسه ، أو بغير جنسه متساويا أو متفاضلا .

واقصر بعض العلماء على جريان الربا في ستة أشياء فقط الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح ، وهو ما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلاً بمثل ، يداً بيد ، فمن زاد أو استزاد ، فقد أربى ، الآخذ والمعطي فيه سواء » رواه الامام أحمد في « المسند » ومسلم في « الصحيح » ومثله عن أبي هريرة وعبادة ابن الصامت وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم ، فاقصر أهل الظاهر على جريان الربا في هذه الستة المذكورة .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : اتفق الناس على تحريم ربا الفضل في الاعيان الستة التي جاءت بها الأحاديث ، وفي آخر حديث عبادة : « فاذا اختلفت هذه الاصناف ، فبيعوا كيف شئتم اذا كان يداً بيد » - قال - وتنازعوا فيما سوى ذلك ؛ فطائفة لم تحرم ربا الفضل في غيرها ، وهذا مأثور عن قتادة ، وهو قول أهل الظاهر ، وابن عقيل من أئمة علماء مذهبنا في آخر مصنفاته ، رجح هذا القول ، مع كونه يقول بالقياس . قال ابن عقيل : لأن علل القياس في مسألة الربا ؛ علل ضعيفة ، واذا لم يظهر فيه علة امتنع القياس . قال ابن تيمية : وطائفة حرمته في كل مكيل وموزون ؛ كما يروى عن عمار بن ياسر رضي الله عنه ، وبه أخذ الامام أحمد في المشهور عنه ، وهو قول أبي حنيفة وغيره ، وطائفة حرمته في الطعام ؛ وإن لم يكن مكيلا أو موزونا ، وهذا قول سعيد بن المسيب

والشافعي ، ورواية عن أحمد ، اختارها الموفق ، وهذا قريب من قول مالك :
القوت وما يصلح أن يدخر للقوت ، ورجح هذا القول ابن تيمية رحمه الله تعالى
على سائر الأقوال .

(و) لعن عليه السلام (موكله) أي موكل الربا، يعني ممطيه ومطعمه، (و) كذا لعن
(شاهده) أي شاهد عقده ، (و) كاتبه (لرضاها به ، وإعانتها عليه ، زاد الطبراني
من حديث ابن مسعود رضي الله عنه « وهم يعلمون ، أي ؛ والحال أن الشاهد
والكاتب يعلمان أنه ربا ؛ لأن المباشرة للمصيبة وكذا المتسبب فيها آثم . وفي
بعض الروايات « وشاهديه » بالثنية . والحاصل أن الربا بنوعيه ؛ من أكبر
الكبائر . وأخرج مسلم وأصحاب السنن وابن حبان في « صحيحه » من حديث
أبي مسعود رضي الله عنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله ،
زاد أبو داود والترمذي وصححه ، وابن ماجه وابن حبان « وشاهديه » وكاتبه ،
وروى مسلم حديث جابر المتقدم ولفظه : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله
وكاتبه وشاهديه ، وقال : هم سواء » وروى الامام أحمد وأبو يعلى وابن خزيمة
وابن حبان في « صحيحهما » من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : « آكل
الربا وموكله وشاهدها وكاتبه ؛ إذا علموا به ، والواشمة والمستوشمة للحسن ،
ولاوي الصدقة ، والمرتد أعرايباً بعد الهجرة ، ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ،
زاد ابن خزيمة وابن حبان « يوم القيامة » وروى الامام أحمد ، والطبراني في
« الكبير » ، ورجال الامام احمد ؛ رجال الصحيح ، عن عبد الله بن حنظلة
غسيل الملائكة رضي الله عنها . قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : « درهم ربا
يأكله الرجل ؛ وهو يعلم ، أشد من ست وثلاثين زنية .

واعلم أن اللعن ؛ أصله الطرد والابعاد من الله تعالى ، ومن الخلق
السب والدعاء ؛ كما في « النهاية » لابن الاثير وغيره . قال الحجاوي في لغة « اقناعه » :

لعنه لعناً من باب نفع ، طرده وأبعده أو سبه ، فهو لعين وملعون ، والمرأة لعين ، فيجوز لعن نوع الكفار ، والفساق من أصحاب الكبار ؛ كأكلة الربا وشاربي الخمر واللوطية والزناة وتاركي الصلاة ومانعي الزكاة وأضرابهم من أهل الكبار ؛ كما قال تعالى : (ألا لعنة الله على الظالمين) وقال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله اليهود والنصارى » ، وأما لعن كافر معين ، فظاهر المذهب منه . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : لعن تارك الصلاة على وجه العموم جائز — قال — وأما لعن المعين فالأولى تركها ؛ لأنه يمكن أن يتوب ، والله الموفق .

الحديث الرابع

١٩ — حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا أبو الزبير ، سمعه من جابر : كان ينبذ للنبي ﷺ في سقاء فان لم يكن سقاء ، فتَوَرَّ من حجارة .

قال رضي الله عنه (حدثنا) أبو محمد (سفيان بن عيينة) — بضم العين المهملة ، وفتح الياء المثناة — تحت — الأولى ، وسكون الثانية ، وفتح النون ، فهاء تأنيث — ابن أبي عمران ، ميمون المكي ، (حدثنا أبو الزبير ، سمعه) أي سمع الحديث الآتي ذكره أبو الزبير (من جابر) بن عبد الله رضي الله عنها وهو قوله : (كان) هذه تفيد كثرة وقوع ما بعدها وهو قوله : (ينبذ) أي يطرح التمر ونحوه في الماء ، يقال : نبذت التمر والزبيب ، اذا تركت عليه الماء ؛ ليصير نبيذاً ، انصرف من مفعول ؛ الى فاعيل ؛ وانتبذته ؛ اتخذته نبيذاً ، سواء كان مسكراً أو غير مسكر ، والمراد هنا أنه كان يطرح التمر (للنبي ﷺ في سقاء) فيه ماء

ايحلو الماء ، وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها « كننا ننبتذ لرسول الله ﷺ في سقاء نوكي أعلاه ، فيشربه عشاءً ، وننبتذه عشاءً ، فيشربه غدوةً ، وعند أبي داود من وجه آخر عن عائشة رضي الله عنها « أنها كانت تنبتذ للنبي ﷺ غدوةً ، فاذا كان من العشي تعشى فشرب على عشاءه ، فان فضل صبته ، ثم تنبتذ له بالليل ، فاذا أصبح وتغدى شرب على غدائه ، قالت : نفسل السقاء غدوة وعشية ، وفي حديث عبد الله بن الديلمي عن أبيه رضي الله عنه : « قلنا للنبي ﷺ : ما نصنع بالزبيب ؟ قال : انبتذوه على عشاءكم ، واشربوه على غدائكم ، أخرجه أبو داود والنسائي . (فان لم يكن) معنا (سقاء) (ف) كننا ننبتذ له ﷺ في (تور من حجارة) ، وإنما قيده بكونه من حجارة لأنه قد يكون من غيرها - وهو بفتح المثناة - إناء من حجارة أو من نحاس أو من خشب ، ويقال : لا يقال له تور إلا إذا كان صغيراً ، وقيل : هو قدح كبير كالقدر ، وقيل : مثل الطست ، وقيل : كالأجانة - بكسر الهمزة وتشديد الجيم وبعد الألف نون - وعاء .

ودل الحديث على أن النقيع يسمى نبتذاً ، فيحمل ما ورد في الاخبار بلفظ النبتذ على النقيع . قال المهبلي : النقيع حلال ما لم يشدد ، فاذا اشتد وغلا حرم ، وشرط الحنفية أن يقذف بالزبد - قال - وإذا وقع من الليل فشرب بالنهار أو بالعكس لم يشدد ، وذكر حديث عائشة المتقدم آنفاً . وأما ما أخرج مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « كان رسول الله ﷺ ينبتذ له الزبيب من الليل في السقاء ، فاذا أصبح شربه يومه وليلته من الغد ، فاذا كان مساء شربه أو سقاء الخدم ، فان فضل شيء أراقه ، » وقال ابن المنذر : الشراب في المدة التي ذكرتها عائشة يشرب حلواً ، وأما بالصفة التي ذكرها ابن عباس فقد ينتهي الى الشدة والقليلان ؛ لكن يحمل ما ورد من أمر الخدم بشربه على أنه لم

يبلغ ذلك ولكن قرب منه ؛ لأنه لو بلغ ذلك لأسكر ، ولو أسكر لحرم تناوله مطلقاً . انتهى . وقد تعلق بهذا الحديث من قال بجواز شرب قليل ما أسكر كثيره ، ولا يخفى أنه لا حجة فيه أصلاً ، غاية ما فيه أنه بدا فيه بعض تغير في طعمه من حمض أو نحوه فسقاه الخدم . وإلى هذا أشار أبو داود فقال بعد أن أخرجه : قوله : سقاه الخدم . يريد أنه يبادر به الفساد . انتهى . ويحتمل أن تكون أو في الخبر للتنويع ، كما جزم به النووي ؛ لأنه قال : سقاه الخدم أو أمر به فأهريق (١) ، أي إن كان بدا في طعمه التغير ولم يشتد سقاه الخدم ، وإن كان اشتد أمر بأهراقه . وحاصله أنه على اختلاف حاله إن ظهر فيه ؛ شدة بصبه ، وإن لم تظهر شدة سقاه الخدم ، إما يكون فيه إضاعة مال ، وإنما تركه ﷺ تنزهاً ، ويجمع بين حديث عائشة وحديث ابن عباس رضي الله عنهم بأن شرب النقيع في يومه لا يمنع شربه في أكثر من يوم حيث لم يشتد .

والذي استقر عليه المذهب أنه يحرم النبيذ والعصير إذا اشتد وإن لم يسكر ، أو تم له ثلاثة أيام ، زاد بعضهم : بلياليها ، وجزم به في « الاقناع » و « المنتهى » ، وإن لم يوجد منه غليان ، إلا أن يغلي قبل ذلك فيحرم ، ولو طبخ قبل التحريم ؛ حل إن ذهب ثلثاه نصاً . وقال الموفق والشارح وغيرهما : الاعتبار في حله عدم الاسكار ، سواء ذهب بطبخه ثلثاه أو أقل أو أكثر . قال في « الفروع » وغيره : وله وضع تمر ونحوه في ماء لتحليلته ما لم يشتد ، أو تم له ثلاثة أيام ، نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه ، والله أعلم .

(١) هراق الماء وأهرقه وأهراقه : أراقه وصبه .

الحديث الخامس

٤ - حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي الزبير ، عن جابر : أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن كسب الحجام فقال : اغلفه ناضحك .

قال رضي الله عنه : (حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي الزبير ، عن جابر) رضي الله عنه (أن النبي ﷺ سئل) بضم السين المهملة ، مبنياً لما لم يسم فاعله ، والضمير في سئل يعود الى النبي ﷺ ، محله الرفع على أنه نائب فاعل - (عن كسب الحجام) أصل الكسب ما يحصل للانسان بسميه ، والكسب : الطلب والسمي في طلب الرزق والمعيشة ، والحجام : هو الذي يتعاطى لإخراج الدم ، (فقال) ﷺ مجيباً للسائل : (اغلفه) - أي الكسب الذي حصل لك بسبب إخراج الدم - (ناضحك) ، والجمع نواضح ، وهي الابل التي يستقى عليها ، ويجمع ناضح أيضاً على نضاح ، وفي لفظ من أفاظ هذا الحديث : اغلفه نضاحك ، كذا جاء في رواية ، وفسره بعضهم بالريق الذي يكون^(١) في الابل ، فالعلمان نضاح ، والابل نواضح ؛ كما في «نهاية ابن الاثير» . وفي آخر «أعلام الموقعين» للإمام المحقق ابن القيم ما نصه : «سئل صلى الله عليه وسلم عن أجرة الحجام فقال : اغلفه ناضحك وأطعمه رقيقك» ذكره الامام مالك ، وفي مسند الامام أحمد وصحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي من حديث رافع ابن خديج رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يمن الكلب خبيث ، ومهر البغي خبيث ، وكسب الحجام خبيث» ، وفي الحديث الآخر : «شر الكسب

(١) في الاصل يكو تون : ولعله تصحيف من الناضح .

مهر البغي ، وثمن الكلب ، وكسب الحجام ، رواه الامام أحمد ومسلم والنسائي عن رافع ابن خديج أيضاً ، وفي « صحيح البخاري » عن عون بن أبي جحيفة — بالتصغير — قال : « رأيت أبي اشترى حجاماً ، فأمر بمحاجمه فكسرت ، فسأله عن ذلك فقال : إن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الدم ، وثمن الكلب ، وكسب الأمة » ، وقد اختلف في المراد من قوله : نهى عن ثمن الدم ، فقيل : المراد أجرة الحجام ، وسياق سبب الحديث ظاهر في ذلك ، وهو الذي فهمه الصحابي راوي الحديث . وقيل : هو على ظاهره ، والمراد تحريم بيع الدم ، كما حرم بيع الميتة والخنزير ، وهو ، يعني بيع الدم وأخذ ثمنه حرام إجماعاً ، وأما كسب الحجام فأكثر السلف والخلف لا يحرمه ولا يحرم أكله ، لا على الحر ولا على العبد ، وهو المشهور من مذهب الامام أحمد ، وفي رواية عنه قال بها فقهاء المحدثين : يحرم على الحر دون العبد . قال ابن دقيق العيد في « شرح العمدة » : والخبيث من حيث هو لا يدل على الحرمة صريحاً ، ولذا جاء في كسب الحجام أنه خبيث ، ولم يحمل على التحريم لدلائل خارجي ؛ وهو أن النبي ﷺ احتجم وأعطى الحجام أجرة ، وهو في « الصحيحين » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، ولو كان حراماً لم يعطه ، وحملوا أحاديث النهي على التنزيه والارتفاع عن دنياه الاكتساب ، والحث على مكارم الأخلاق ومعالي الأمور ، ولو كان حراماً لم يفرق فيه بين الحر والعبد ؛ فإنه لا يجوز للشخص أن يطعم عبده ما لا يحل . وأما اقترانه بثمن الكلب ومهر البغي — وهما حرام عند الجمهور ، وسواء كان الكلب مملأً أو لا ، خلافاً لأبي حنيفة في تجوز بيع الكلب إذا كان فيه منفعة ، وإحدى الروايات عن مالك — فدلالة الاقتران ضعيفة .

قال الخطابي : قد يجمع الكلام بين القرائن في اللفظ ويفرق بينها في المعنى ، ويعرف ذلك من الأغراض والمقاصد ، فأما مهر البغي وثمن الكلب فيريد

بالخبث فيها ، الحرام ؛ لأن الكلب نجس والزنا حرام ، وبذل العوض عليه وأخذه حرام ، وأما كسب الحجام فيريد بالخبث الكراهية ؛ لأن الحجام مباحة . وقد يكون الكلام في الفعل الواحد ، بعضه على الوجوب وبعضه على الندب ، وبعضه على الحقيقة وبعضه على المجاز ، ويفرق بدلائل الأصول واعتبار معانيها . انتهى . قال الامام ابن القيم : من المواضع التي يظهر فيها ضعف دلالة الاقتران عند تعدد الجمل واستقلال كل واحدة منها بنفسها ، كقوله ﷺ : « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ولا يغتسل فيه من جنابة » قلت : وما نحن بصدد من هذا القبيل ، فان كل جملة من الجمل التي في ضمن هذا الحديث ، مفيدة لمعناها وحكمها وسببها وغايتها ، منفردة به عن الجملة الاخرى ، واشتراكها في مجرد العطف لا يوجب اشتراكها فيما وراءه ، والله الموفق .

تنبيه : يدخل في عموم الحجام الفاسد والشارط ، وكل من يكون كسبه باخراج الدم ، لا الطبيب والكحال والبيطار ونحوهم ، فلا يدخل هؤلاء في لفظ الحجام ولا معناه . قال الامام ابن القيم في « الهدي » : حكم النبي ﷺ بخبث كسب الحجام ، وأمر صاحبه أن يعلفه ناضجه أو رقيقه ، صح عنه ذلك ، وصح عنه أنه احتجهم وأعطى الحجام أجره ، فأشكل الجمع بين هذين على كثير من الفقهاء ، وظنوا أن النهي عن كسبه منسوخ بإعطائه أجره ، ومن سلك هذا المسلك الامام الطحاوي . قال الامام ابن القيم : هذه - يعني دعوى النسخ - دعوى مجردة لا دليل عليها ، فلا تقبل ، فان النبي ﷺ لم يقل : إعطاء الحجام خبيث ، بل إعطاؤه إما واجب وإما مستحب وإما جائز ؛ ولكن هو خبيث بالنسبة الى الآخذ ، وخبثه بالنسبة الى آكله ، فهو خبيث الكسب ، ولا يلزم من ذلك تحريمه - قال - وقد سمي النبي ﷺ الثوم والبصل خبيين مع إباحة أكلها ، فثبت أجره الحجام من جنس أكل الثوم والبصل ؛ لكن هذا خبيث لرائحته وهذا خبيث لكسبه ، وبالله التوفيق .

الحديث السادس

٢١ - حدثنا سفيان ، حدثنا أبو الزبير ، قال : سمعت جابر
ابن عبد الله يقول : قال رسول الله ﷺ :
لا يبيع حاضر لباد ، دعوا الناس يرزق الله بعضهم
من بعض .

قال رضي الله عنه : (حدثنا سفيان) ابن عيينة (حدثنا أبو الزبير قال :
سمعت جابر بن عبد الله) رضي الله عنها (يقول : قال رسول الله ﷺ : لا يبيع
حاضر) بالبلد ، عارف بالسعر (لباد) أي قادم على بلد من غير أهلها ، سواء كان
من أهل البادية أو من أهل القرى ؛ لأن العلة واحدة . قال طاووس : قلت
لابن عباس رضي الله عنهما : ما قوله ﷺ حاضر لباد ؟ قال : لا يكون له سمسار .
قال في « القاموس » : السمسار - بالكسر - المتوسط بين البائع والمشتري ،
والجمع سمسرة ؛ والسمسار أيضاً مالك الشيء وقيمه والسفير بين المحبين ،
وسمسار الأرض العالم بها ، وهي بهاء ، والمصدر السمسرة . انتهى . والمراد هنا
الأول . قال في « المنتهى » وشرحه : وإن حضر بادٍ - أي قدم على بلد انسان من
غير أهلها - لبيع سلعته بسعر يومها وجهل السعر ، وقصده - أي القادم لبيع
سلعته - حاضر بالبلد عارف بالسعر ، وكان بالناس الى السلعة التي حضر القادم
بها ليبيعها حاجة ، حرمت مباشرة الحاضر القاصد القادم لبيع سلعته ، البيع له
- أي للقادم بالسلعة - وبطل البيع على الأصح ، سواء رضي أهل البلد بذلك

أولاً في الأصح ، فإن فقد شيء مما ذكر ، بأن قدم لا يبيع سلعته ، أو لبيعها ولكن لا يجهل السعر ، أو جهله ولكن لم يقصده الحاضر العارف بالسعر ، أو قصده وكان غير عارف بالسعر ، أو كان كذلك ولكن لم يكن بالناس حاجة إلى السلعة ؛ صح البيع ، كشراء الحاضر للبادي . وأما إن وجدت هذه الشروط كلها ؛ فالبيع باطل على الأصح ، نص عليه الإمام أحمد رضي الله عنه في رواية إسماعيل بن سعيد ، وكذا في مذهب الإمام مالك على إحدى الروايتين عنه ، وقال مالك في رواية أخرى : يفسخ العقد عقوبة ، وروي عنه : لا يفسخ ، وكرهه أبو حنيفة والشافعي مع صحته عندهما ، ولا يخفى قوة القول بطلانه لظاهر هذا الحديث . قال علماؤنا وغيرهم : والمعنى في ذلك أن البادي إذا ترك بيع سلعته ربما باعها برخص وهو الغالب ، فتحصل التوسعة على الناس ، بخلاف ما إذا تولى الحاضر ، فإنه لا يبيع إلا بسعر البلد ، وقد أشار عليه السلام إلى ذلك بقوله : (دعوا) - أي اتركوا - (الناس) على حالهم في بيعهم وشرائهم ، (يرزق الله) سبحانه وتعالى (بعضهم من بعض) بسبب تساهل بعضهم وسماحة البعض . وفي حديث أبي السائب جد عطاء ابن السائب رضي الله عنه مرفوعاً « دعوا الناس يصيب بعضهم من بعض ، فإذا استنصح أحدكم أخاه فلينصحه » رواه الطبراني بإسناد صحيح ، وذلك لأن أيدي العباد خزائن الملك الجواد ، فلا يتمرض لها إلا باذن ، فلا تسعروا ولا تلتقوا الركبان ، ولا يبيع حاضر لباد . وقد روى نهي بيع الحاضر للبادي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة ؛ منهم ابن عباس ، رواه الإمام أحمد والشيخان وأصحاب السنن إلا الترمذي ، ومنهم أبو هريرة ، متفق عليه ، ومنهم ابن عمر ، رواه البخاري والنسائي ، ومنهم أنس ، وأفضله : « قال : نهينا أن يبيع حاضر لباد وإن كان أخاه لأبيه وأمه » متفق عليه ، ولأبي داود والنسائي : « أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يبيع حاضر لباد وإن كان أباه أو أخاه » ومنهم جابر ، وحديثه المشروح ، رواه مسلم

وأبو داود والترمذي وابن ماجة . فهذه الأحاديث وغيرها مما لم تذكره مع تنوع مخارجها وتباين طرقها مع اتحاد معناها تدل دلالة ظاهرة على ما ذهب إليه الامام أحمد رضي الله عنه ؛ لأن النهي فيها ورد عن نفس البيع ، فلا جرم قلنا بطلانه وعدم صحته حيث وجدت فيه الشروط التي أشرنا إليها . قال في «الفروع» : وإن أشار حاضر على بادٍ ولم يباشر بيعاً لم يكره ، خلافاً لما لك ، ويتوجه : إن استشاره وهو جاهل بالسعر ؛ لزمه بيانه لو جوب النصح ؛ كما في حديث أبي السائب المتقدم آنفاً ، والله أعلم .

الحديث السابع

٢٢ - حدثنا سفيان ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن

النبي ﷺ : أيكم كانت له أرض أو نخل ، فلا بيعها حتى يعرضها على شريكه .

قال رضي الله عنه : (حدثنا سفيان) هو ابن عيينة ، (عن أبي الزبير) هو محمد بن مسلم المكي ، (عن) أبي عبد الله (جابر) بن عبد الله رضي الله عنها ، (عن النبي ﷺ) أنه قال : (أيكم) معشر الصحابة فمن بعدهم (كانت له أرض) ربايع (أو نخل) يعني بأرضه ، وله فيها شريك ، يدل له قوله في بعض الروايات : أو حائط ، فأراد أن يبيع شيئاً من هذه الأشياء (فلا بيعها) ولا شيئاً منها (حتى يعرضها على شريكه) المشارك له فيها . وفي «صحيح مسلم» و «سنن أبي داود» و «النسائي» من حديث جابر رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ قضى بالشفعة في كل شركة لم تقسم ربعة ، أو حائط ، فلا يحل له أن يبيع حتى يؤذن شريكه ، فإن شاء أخذ وإن شاء ترك ،

فإن باعه ولم يؤذنه فهو أحق به ، . وروى عبد الله بن الإمام أحمد في : « زوائد المسند » من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ قضى بالشفعة بين الشركاء في الارضين والدور ، . وفي « صحيح البخاري » ، عن جابر رضي الله عنه « جمل » ، وفي لفظ « قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالشفعة في كل مالم يقسم ، فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة » . ورواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه ، وفي لفظ : « إنما جعل النبي صلى الله عليه وسلم الشفعة... الحديث » ورواه الترمذي وغيره ، وفي مسلم من حديثه رضي الله عنه : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشفعة في كل شركة في أرض أو ربيع (١) أو حائط ، لا يصلح أن يبيع حتى يعرض على شريكه فيأخذ أو يدع ، فإن أبى فشريكه أحق به حتى يؤذنه » .

ففي هذه الأحاديث بيان تفصيل ما أجمله في قوله : « في كل مال » ، يعني من العقارات ، فلا تجب الشفعة فيما ليس بعقار ؛ كشجر وحيوان مفردين ، وجوهر وسيف ، نعم يؤخذ البناء والغراس تبعاً للأرض . وشذ قوم من الناس فائتها في المنقولات متعللين بعموم هذا الحديث مع أن آخره يشعر بأن المراد بالمال العقار ؛ لأنه الذي تدخله الحدود وصرف الطرق .

تنبيهات

الأول : الشفعة معناها لغة الزيادة ؛ لأن الشفيع يضم ما يشفع فيه إلى نصيبه ، فكأنه كان وترأ فصار شفعا ، والشفيع فاعل بمعنى فاعل ، وعرفا : استحقاق الشريك انتزاع حصة شريكه المنتقل عنه من يد من انتقلت إليه . زاد في « الاقناع » : إن كان مثله أو دونه بموض مالي بشئ الذي استقر عليه العقد . فلا شفعة لكافر حين البيع - أسلم بعد أو لا - على مسلم ولو ذمياً ، خلافاً للثلاثة .

(١) الربع : الدار بعينها حيث كانت ، جمعها رباع .

قال في « الفروع » : لاشفعة لكافر على مسلم ، نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه . قال في « الانصاف » : - وهو المذهب وعليه الأصحاب - وهو من مفردات المذهب . انتهى . وبه قال الحسن والشعبي ، وقد روى الدار قطني في « كتاب العلل » عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لاشفعة لنصراني » ، فهذا يخص عموم ما تعلقوا به من الاحاديث ، وقد بينت وجه المذهب من جهة الدليل والتعليل في « شرح عمدة الأحكام » .

الثاني : يعتبر كون المبيع شقصاً^(١) مشاعاً ، مع شريك ولو مكاتباً ، من عقار ينقسم قسمة إجبار ، فأما المقسوم المحدود فلا شفعة فيه ، ولا شفعة فيما لا يجب قسمته ؛ كحمام صغير وبئر وطرق وعراض ضيقة ، خلافاً لأبي حنيفة ، وحجة الجمهور قول جابر رضي الله عنه : « إنما جعل النبي صلى الله عليه وسلم الشفعة في كل مالم يقسم . . . الحديث » . وهذه الصيغة في النبي تشعر بقبول القسمة ، فيقال للبصير : لم تبصر كذا ، ويقال للأكمه : لا تبصر كذا ، وإن استعمل كل من الأمرين في الآخر فذلك الاحتمال ، فعلى هذا يكون في قوله : « فيما لم يقسم » إشعار بأنه قابل للقسمة ، فإذا دخلت إنما المفيدة للحصر اقتضت انحصار الشفعة في القابل للقسمة دون غيره ، ذكره ابن دقيق العيد في « شرح العمدة » ، ولما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لاشفعة في فناء ولا طريق ولا منقبة » ، والمنقبة : الطريق الضيق بين دارين لا يمكن أن يسلكه أحد ، ذكره أبو الخطاب في كتابه « رؤوس المسائل » ، وأبو عبيد في « الغريب » ، وروي عن عثمان رضي الله عنه أنه قال : لا شفعة في بئر ونخل ، ولأن إثبات الشفعة في مثل هذه الاشياء يضر بالبائع ؛ لأنه لا يمكنه أن يتخلص من إثبات الشفعة في نفسه بالقسمة .

(١) الشقص : السهم والنصيب

الثالث : يؤخذ من حديث جابر الذي رواه الامام أحمد والبخاري وغيرهما : فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة » عدم ثبوتها للجار ، وهو معتمد المذاهب الثلاثة ، وقال أبو حنيفة : تجب الشفعة للجار ، وهو رواية عن أحمد ، إلا أنها مرجوحة بالمرّة .

واستدل من أوجها للجار بحديث سمرة بن جندب رضي الله عنه ، أنه عليه السلام قال : « جار الدار أحق بدار الجار » رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي ، ورواه النسائي وأبو يعلى في « مسنده » ، وابن حبان من حديث أنس ، ورواه الطبراني من حديث سمرة أيضاً بلفظ : « جار الدار أحق بالشفعة » ، وبما روى البخاري وأبو داود والنسائي عن أبي رافع مرفوعاً : « الجار أحق بصقبة » ، وبما روى الامام أحمد وأصحاب السنن من حديث جابر مرفوعاً : « الجار أحق بشفعة جاره » ، ينتظر بها وإن كان غائباً ؛ بأن كان طريقها واحداً ، والمانعون أجابوا عن هذه الأحاديث بأجوبة ؛ أما ما في البخاري من قوله : « أحق بصقبة » فقد أبهم الحق ولم يصرح به ، فلم يجوز أن يحمل على العموم في مضمير ؛ لأن العموم يستعمل في المنطوق به دون المضمير . قال الخطابي وابن الاثير : الصقب - بالسين والصاد - في الاصل القرب ، وقال في « القاموس » الجار أحق بصقبة ؛ أي بما يليه ويقرب منه ، وقال العلقمي في حاشية « الجامع الصغير » : يحتاج بهذا الحديث من أوجب الشفعة للجار - قال - ومن لم يثبتها للجار تأول الجار على الشريك ، ويحتمل أن يكون المراد أحق بالبر والمعونة وما في معناها ، بسبب قربه من جاره . وأجابوا عن حديث سمرة بأن أهل الحديث اختلفوا في لقاء الحسن له ، ومن أثبت لقاءه قال : إنه لم يرو عنه إلا حديث العقبة ، وقد رواه الحسن عن سمرة ، وعن حديث « الجار أحق بشفعة جاره » ينتظر بها وإن كان غائباً ، بأن شعبة قال : سها فيه عبد الملك بن سليمان الذي الحديث من روايته ، قال الامام أحمد :

هذا الحديث منكر ، وقال ابن معين : لم يروه غير عبد الملك ، وقد أنكر عليه ، قال الامام محمد الدين في كتابه «منتقى الاحكام» : ويقوى ضعفه بحديث جابر ، يعني الذي ذكرناه فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة قال بعض علماء الحنفية : يلزم الشافعية القائلين بحمل اللفظ على حقيقة ، ومجازه أن يقولوا بشفعة الجوار ؛ لأن الجار حقيقة في المجاور ، مجاز في الشريك ، وأجيب عنه ؛ بأن محل ذلك عند التجرد عن القرائن ، وقد قامت القرينة هنا للمجاز ، فاعتبر جمعاً بين حديثي جابر وأبي رافع ، فان حديث جابر صريح في اختصاص الشفعة بالشريك ، وحديث أبي رافع مصروف الظاهر اتفاقاً ؛ لأنه يقتضي أن يكون الجار أحق من كل أحد ، حتى من الشريك ، ولا قائل به ، فان القائلين بشفعة الجوار ؛ قدموا الشريك مطلقاً ، ثم المشارك في الطريق ، ثم الجار على من ليس بمجاور .

قلت : واختار شيخ الاسلام ابن تيمية ، ثبوت الشفعة للجوار ، بشرط أن يكون شريكاً في الطريق ، محتجاً بآخر حديث جابر مرفوعاً : «الجار أحق بشفعة جاره» ، ينتظر بها اذا كان غائباً ؛ بأن كان طريقهما واحداً ، وتقدم قريباً . قال : وهذا ظاهر كلام الامام أحمد في رواية أبي طالب . حيث قال : «اذا كان طريقهما واحداً ، شركاء لم يقتسموا ، فاذا طرقت وعرفت الحدود ؛ فلا شفعة» قال الحارثي من فقهاء مذهبنا : وهذا الصحيح الذي يتعين المصير اليه ، وفيه جمع بين الاخبار ، فيكون أولى بالصواب .

الرابع : يشترط الأخذ بالشفعة ، مع ما تقدم المطالبة بها فوراً ، وأخذ جميع المبيع ، وأن يكون للشفيع ملك الرقبة سابقاً . وعن أبي حنيفة ؛ لا بد من طلبها على الفور ، حتى إن علم وسكت هنيئة ، ثم طلب فليس له ذلك . وعنه رواية أخرى له : ما دام قاعداً في ذلك المجلس ؛ فله أن يطالب بالشفعة ؛ ما لم يصدر منه ما يدل على الاعراض ، من نحو قيام واشتغال بشغل آخر . وعند

مالك : لا ينقطع استحقاقه بسكوته عن الطلب ؛ إلا بعد سنة . وعنه : لا ينقطع إلا أن يأتي عليه من الزمان ما يعلم به أنه تارك لها ، فأما طلبها عنده فعلى التراخي . وقال الشافعي في « القديم » : إنها على التراخي ، وفي « الجديد » : إنها على الفور . قال الامام أحمد : الشفعة بالمواثبة ساعة يعلمه ، ودليله حديث عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشفعة كحل العقال » ، وفي لفظ « الشفعة » كمنشطة العقال ، إن قيدت ثبتت ، وإن تركت ؛ فاللوم على من تركها ، قال الامام الموفق ابن قدامة في « مغنيه » : رواه الفقهاء في كتبهم .

الخامس : لا يحل الكذب والتحيل على إسقاط حق المسلم من الشفعة وغيرها ، ويجب على المشتري تسليم الشقص بالثمن الذي وقع عليه العقد باطناً ، والتحيل على إسقاطها بعد وجوبها حرام بالاتفاق ؛ كما في « مختصر فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية » ، وإنما النزاع في الاحتيال عليها قبل الوجوب ، ومعتمد مذهب الامام أحمد حرمة ذلك ؛ لأنه وسيلة لاسقاط حق المسلم ؛ ولا تسقط ، والله أعلم .

السادس : الاعتبار في إسقاط الشفعة بعد البيع . أما لو أذن الشريك لشريكه في البيع ؛ أو أسقط شفيعته قبل البيع ، لم تسقط ، وفيه رواية عن الامام أحمد أنها تسقط باسقاطها ولو قبل البيع ، والمعتمد : لا ، كما لا تسقط بدلالته في البيع ، ورضاه به ، وضمان ثمنه ، ولا يتوكله فيه لأحدهما في الاصح ، ولا بسلامه على المشتري ، أو دعائه له بالبركة ، أو غيرها ؛ لأنه إن كان بالبركة في المبيع ، فهو لنفسه ؛ لأن الشقص يرجع اليه ، وإن كان بغير ذلك ؛ فهو من توابع السلام ، فيلحق به . والمسقط للشفعة الرضى بتركها بعد وجوبها . ولم يوجد وأمثلاً عدم إسقاط الشفعة باسقاطها قبل البيع ؛ لأنه إسقاط حق ، قبل وجوبه ؛ فلا يسقط ، كما لو أبراه مما سيقرضه له .

الحديث الثامن

٢٣ — حدثنا سفيان ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال :
جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : رأيت كأن
عنقي ضُربت . قال : لم يحدث أحدكم بتلعب الشيطان ؟ .

قال رضي الله عنه : (حدثنا سفيان) بن عيينة (عن أبي الزبير عن جابر)
رضي الله عنه (قال : جاء رجل الى النبي ﷺ) وفي « صحيح » مسلم من
حديث جابر رضي الله عنه قال : « جاء أعرابي النبي ﷺ » (فقال) :
يا رسول الله (رأيت) في المنام (كأن عنقي ضُربت) ولفظ « صحيح » مسلم « كأن
رأسي ضُرب ، فتدحرج فاشتددت على أثره » وفي لفظ في « صحيح » مسلم عن
جابر أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه قال لأعرابي جاءه فقال : إني
حلمت أن رأسي قطع ، فأنا أتبعه ، فزجره النبي صلى الله عليه وسلم » وفي لفظ
آخر « يا رسول الله ! رأيت في المنام كأن رأسي قطع ، فضحك » وفي آخر
« رأيت البارحة فيما يرى النائم ؛ كأن عنقي ضُربت وسقط رأسي ، فاتبعته
فأخذته فأعدته » (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل بعد ما زجره (لم)
اللام للتعليل ؛ وما استفهامية ، فهو استفهام إنكاري ، حذف منها الألف لدخول
حرف الجر عليها ، كـ « عم يتساءلون ^(١) ؟ فيم كنتم ^(٢) ؟ لم تعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني عنك شيئاً ^(٣) » ونظائرها . والسر في حذف الألف من ما الاستفهامية
عند حرف الجر . كما في « بدائع الفوائد » إرادة مشاكلة اللفظ للمعنى ، فحذفوا
الألف ، لأن معنى قولهم : فيم ترغب ؟ في أي شيء ؟ إلام تذهب ؟ أي الى أي

(٢) سورة النساء ، الآية : ٩٧

(١) سورة عم ، الآية : ١

(٣) سورة مريم ، الآية : ٤٤

شيء ؟ و حتام لا ترجع ؟ أي الى أي غاية تستمر ؟ فحذفوا الألف مع الجار ، ولم يحذفوها في حال النصب والرفع ، كيلا تبقى الكلمة على حرف واحد ، وإذا اتصل بها حرف الجر ؛ أو اسم مضاف اعتمدت عليه ؛ لأن الخافض والمخفض بمنزلة كلمة واحدة . وربما حذفوا الألف في غير موضع الخفض ؛ والمكن إذا حذفوا الخبر فيقولون : مه يازيد ؟ أي ما الخبر وما الأمر ؟ فلما كثر الحذف في المعنى كثر في اللفظ ؛ ولكن لا بد من ها السكت ليقف عليها .

(يحدث أحدكم) معشر الناس (بتلعب الشيطان) الذي هو إبليس ، ومن زاد خبثه من ذريته . مأخوذ من شطن إذا بعد ، لأنه قد طرد ، وبعد عن رحمة الله ورضاه ، أو من شاط إذا احترق ، لأنه يحرق بنار جهنم ، وبنار العضب ، والابعاد . ولفظ « صحيح » مسلم « لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام » وفي لفظ له « لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك » وفي آخر « إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدث به الناس » واللعب ضد الجد ، يقال : لعب كسمع - لعباً ولعباً ولعباً وتلعباً وتلعباً وتلعباً . وفي الحديث « لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً جاداً ، أي يأخذه ، ولا يريد سرقة ؛ ولكن يريد إدخال الهم والغيظ عليه ، فهو لاعب في السرقة ، جاد في الأذية . والمراد هنا بتلعب الشيطان ، أنه يريه في منامه ما يحزنه ، ويدخل عليه الهم والغيظ ، ويخلط عليه في رؤياه ، فهو يتلاعب به ، يقال لكل من عمل عملاً لا يجدي عليه نفعا : إنما أنت لاعب . وفي حديث الاستنجاء : « إن الشيطان يلعب بمقاعد بني آدم ، أي انه يحضر أمكنة الاستنجاء ويرصدها بالأذى والفساد ؛ لأنها مواضع يهجر فيها ذكر الله ، ويكشف فيها العورات ، فأمر بسترها ، والامتناع من التعرض لنظر الناظرين ومهباب الرياح ورشاس البول ، وكل ذلك من لعب الشيطان .

تنبيهات

الأول : يحتمل أن النبي ﷺ علم أن منام هذا الرجل من الأضغاث بوحى ، أو بدلالة من المنام دلته على ذلك ، أو على أنه من المكروه الذي هو من تخويف الشيطان ، كما في «النهاية» ، كما أشار إلى ذلك النووي والمازري وغيرهما . وأما العابرون فيتكلمون في كتبهم على رؤيا قطع الرأس ، ويجعلونه يدل على مفارقة الرأي ما هو فيه من النعم ، أو مفارقة قومه ، أو زوال سلطانه ، أو تغير حاله في جميع أموره ؛ إلا أن يكون رقيقاً فيدل على عتقه — هـ ، أو مريضاً فيدل على شفائه ، أو مديوناً فيدل على قضاء دينه ، أو لم يحج فيدل على أنه يحج ، أو يكون مغموماً فيدل على كشف غمه ، أو مبهوماً فيدل على تفريج همه ، أو خائفاً فعلى أمنه .

الثاني : جاء في الرؤيا الصالحة عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث منها : ما رواه الشيخان وأبو داود والترمذي من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الرؤيا الصالحة من الله ، والحلم من الشيطان ، فإذا رأى أحدكم شيئاً يكره فلينبث حين يستيقظ عن يساره ثلاثاً ، وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره » ، وأخرج الامام أحمد وابن ماجه عن ابن عمر ، وعزي لمسلم أيضاً ، وذكره الحافظ عبد الحق الاشبيلي في جمعه ، وقال الحميدي في جمعه : لم أجده في كتاب مسلم ، وروى الامام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهم عن النبي ﷺ : « الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءاً من النبوة » ، وفي الحديث الآخر عنه ﷺ : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري ، ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة ، والامام أحمد عن أبي رزين العقيلي ،

والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنهم بأسانيد صحيحة . وفي «مسند» الإمام أحمد وسنن الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « الرؤيا ثلاث ؛ فبشرى من الله ، وحديث النفس ، وتخويف من الشيطان . فان رأى أحدكم رؤيا تعجبه فليقصها إن شاء ، وإن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد ، وليقم فليصل » زاد في رواية : « وايستمد بالله فانها لا تضره » ، وأكره الغل ، أي رؤيا الغل ؛ بأن يرى نفسه مغلولاً في النوم ، وهو ما كان في العنق ؛ لأنه إشارة الى تحمل دين أو مظالم أو كونه محكوماً عليه . قال : وأحب القيد يراه الانسان في المنام فيرجليه ؛ لأن القيد ثبات في الدين . وفي «سنن ابن ماجه» من حديث عوف بن مالك مرفوعاً : « الرؤيا ثلاثة ؛ منها تهويل من الشيطان ليحزن ابن آدم ، ومنها ما يهيم به الرجل في يقظته فيراه في نومه ، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

الثالث : قال ابن العربي : الرؤيا ادراكات يلقها الله تعالى في قلب العبد على يد ملك أو شيطان ، إما بأسمائها أي حقيقتها ، وإما بكناها ، وإما بتخليطها . ونظيرها في حال اليقظة ، الخواطر الواردة على فكر الانسان وقلبه ، فانها تأتي على نسق ، وقد تأتي مسترسلة غير محصلة .

وقال المازري : كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا ، حتى قال فيها غير الاسلاميين أقاويل كثيرة منكورة ، لأنهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل ، ولا يقوم عليها البرهان ، وهم لا يصدقون بالسمع ، فاضطربت أقوالهم . فالاطباء ينسبون الرؤيا الى الاخلاط الأربعة ، وهو أمر لا دليل عليه ، والفلاسفة يزعمون أن صور ما يجري في الأرض هي في العالم العلوي كالنقوش (١) فما حاذى بعض (٢) منها انتقش في قلب النائم .

(١) هي نظرية افلاطون المعروفة بنظرية المثل العليا .

(٢) لعلها : بعضاً .

وقال قوم : هي اعتقادات يخلقها الله في النائم ، كما يخلقها في قلب اليقظان ،
فاذا خلقها فكأنه جعلها علماً على أمور أخرى ، فيخلقها في ثاني الحال .
وتلك الاعتقادات تارة تقع بحضرة الملك فيقع بعدها ما يسر ، أو بحضرة
الشيطان فيقع بعدها ما يضر .

وفي الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً .
رؤيا المؤمن كلام يكلم به العبد ربه في المنام . رواه الطبراني والضياء وكذا
الحكيم الترمذي في « نوارد الأصول » .
وقد فسره بعض السلف بنحو ما تقدم قال : بأن يخلق الله في قلبه ادراكاً
كما يخلق في قلب اليقظان .
وبه فسروا قوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من
وراء حجاب » .^(١)

قال بعض السلف : « من وراء حجاب » في منامه . فاذا طهرت النفس من
الذائل ، انجلت مرآة القلب ، وقابل اللوح المحفوظ في النوم ، وانتقش فيه من
عجائب الغيب ، وغرائب الانباء .
فمن الصديقين من يكون له في منامه مكالمة وعجائبة ، ويأمره الله وينهاه
في المنام .

وفي « اعلام الموقعين » : سئل عنه عن قوله تعالى : « لهم البشـرى في الحياة
الدنيا وفي الآخرة »^(٢) فقال : هي الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل ؛ او ترى له ،
ذكره الامام احمد . انتهى .

وفي حديث أبي هريرة عند البخاري ، وفي حديث ابن عباس عند مسلم :
« لم يبق بعدي من النبوة إلا المبشرات ؛ الرؤيا الصالحة » .
ومعنى ذلك ، أن الرؤيا الصالحة ؛ تجيء في الصحة والبيان على موافقة
النبوة ، لأن النبوة انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم . وقيل : المعنى ؛ انها جزء من

(١) سورة الشورى ، الآية : ٥١ (٢) سورة يونس ، الآية : ٦٤

علمها . لأنها وإن انقطعت ؛ فعلها باق . وقيل : لأنها تشابهها في صدق الأخبار عن الغيب . وقيل : المعنى ؛ أن مدة الوحي كانت ثلاثة (١) وعشرين سنة ، منها ستة أشهر منام ، وذلك جزء من ستة وأربعين . قال الحافظ السيوطي : وهذا عندي من الأحاديث المتشابهة ، التي تؤمن بها ، ونكل معناها .

المراد إلى قائله صلى الله عليه وسلم : ولا نخوض في تعيين الجزء المشار إليه بقوله صلى الله عليه وسلم : الرؤيا جزء من ستة وأربعين . وأقل ما ورد في ذلك جزء من ستة وعشرين . وأكثرها جزء من ستة وسبعين ، وبين ذلك أربعين ، وأربعة وأربعين ، وخمسة وأربعين ، وستة وأربعين ، وسبعة وأربعين ، وتسعة وأربعين ، وخمسين وسبعين .

وأصحابها مطلقاً ؛ ستة وأربعين ، ويليه السبعون .

وجمع بعضهم بين الروايات ، بأن الاختلاف بحسب مراتب الأشخاص . قال القرطبي : المسلم الصادق الصالح يناسب حاله حال الأنبياء ، وهو الاطلاع على الغيب بخلاف الكافر والفاسق والمخلط ، كذا قال :

قلت : بل يشابه حال الأنبياء في صحة رؤياه وصفاء خاطره واتصال روحه في حال نومه بعالم الملكوت ، والله الموفق .

الرابع : في آداب الرؤيا الصالحة وغيرها .

أما الصالحة ؛ فلها ثلاثة آداب : أن يحمد الله عليها ، وأن يستبشر بها ، وأن يتحدث بها ، لكن لمن يحب دون من يكره .

وأما آداب الرؤيا المكروهة ، فستة أشياء :

الأول : أن يتعوذ بالله من شرها .

الثاني : أن يتعوذ بالله من الشيطان . الحديث : « إذا رأى أحدكم رؤيا »

(١) كذا الأصل : وصوابها : ثلاثا

يكرهها فليتحول وليتفل عن يسارة ثلاثاً وليسأل الله من خيرها وليتعوذ بالله من شرها ، رواه ابن ماجة بإسناد حسن من حديث أبي هريرة مرفوعاً .
يعني بقول : اللهم إني أعوذ بك من شر ما رأيت ومن شر الشيطان .
وفي حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً رواه مسلم وأبو داود وابن ماجة .

أي بأن يقول : « أعوذ بالله من شر الشيطان أو من شرها لأنها بواسطته .
الثالث : أن يتفل حين ينتبه من نوم — عن يساره ثلاثاً ، أي يبصق عن جانبه اليسر ثلاث مرات بصقاً خفيفاً كراهة لما رأى وتحقيراً للشيطان الذي حضر تلك الرؤيا ، وخص اليسار لانه محل الاقذار ، والتثليث للتأكيـد .
وهذا ورد في عدة أحاديث في « الصحيحين » وغيرهما ، عن عدة من الصحابة . وفي آخر الحديث فانه اذا فعل ذلك لا تضره ، أي تلك الرؤيا .

الرابع : أن يتحول عن جنبه الذي كان مضجعاً عليه حين رأى ذلك ، الى جنبه الثاني تفاؤلاً بتحويله وانتقاله ، ولجانبه مكان الشيطان ، أن يتحول الرؤيا من المكروه الى المحبوب ، وتنتقل من المضر الى المسر (١) .

وقد جاء ذلك في عدة أحاديث ، في مسلم وغيره ، ففي حديث جابر عند مسلم مرفوعاً : « وليتحول عن جنبه الذي كان عليه » .

الخامس : أن لا يذكرها لاحد أصلاً ، وقد جاء ذلك في عدة أحاديث في « الصحيحين » وغيرهما . ففي حديث أبي قتادة عندهما في الرؤيا التي يكرهها « ولا يخبر بها أحداً » .

وفي حديث أبي قتادة أيضاً عندهما : « ولا يحدث بها أحداً فانها لا تضره » .
وفي حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري : « ولا يذكرها لاحد فانها

(١) والصواب : الى اليسار

لا تضره . . . وتقدم نهي النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الذي تحدث برؤيا ضرب عنقه .

والسر في ذلك النهي ، لأن الحديث بها ، ربما فسر لها بمكروه على ظاهر صورتها ، ويكون ذلك محتملا ، فيقع بتقدير الله تعالى : « فان الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر » ، فان عبرت وقعت ، كما في حديث أبي رزين رضي الله عنه مرفوعا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه .

ومعناه أن الرؤيا اذا كانت ، محتملة وجهين ، فعبرت باحدها وقعت ، على قرب تلك الصفة .

قال أهل التعبير : قد يكون ظاهر الرؤيا مكروها ، وتعبيرها محبوب ، وعكسه .

وقال الخطابي من قوله صلى الله عليه وسلم : « الرؤيا على رجل طائر » . هذا مثل ، ومعناه أنه لا يستقر قرارها مالم تفسر .

وفي «النهاية» انها على رجل قدر جارٍ ، وقضاء ماضٍ من خير أو شر ، وان ذلك هو الذي قسمه الله تعالى لصاحبها . من قولهم : اقتسموا داراً فطار سهم فلان في ناحيتها ، أي وقع سهمه ، وخرج .

وكل حركة من كلمة أو شيء يجري لك فهو طائر .

والمراد أن الرؤيا هي التي يعبرها المعبر الأول ، فكأنها كانت على رجل طائر فسقطت ووقعت حيث عبرت ، كما يسقط الشيء الذي يكون على رجل الطائر بأدنى حركة . انتهى .

قال الطيبي : التركيب من باب التشبيه التمثيلي . شبه الرؤيا بالطائر السريع طيرانه ، وقد علق على رجله شيء يسقط بأدنى حركة .

فينبغي أن يتوهم المشبه حالات متعددة مناسبة هذه الحالات وهي : أن الرؤيا

مستقرة على ما يسوقه التقدير اليه من التعبير ، فاذا كانت في حكم الواقع قيص وألهم من يتكلم بتأويلها على ما قدر فيقع سريعا ، وان لم تكن في حكمه لم يقدر لها من يعبرها . انتهى .

وقال عبد الغافر الفارسي في « مجمع الغرائب » : اراد انها معلقة بما قدره الله وقسمه ، وطيره له ، ما لم تعبر ، أي لا يستقر تأويلها حتى تعبر ، والله أعلم .
الخامس : مما يطلب عند الرؤيا المكروهة الصلاة .

ففي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « واذا رأى أحدكم ما يكره ، فليقم فليصل ولا يتحدث بها الناس » . وفي لفظ البخاري : « فمن رأى شيئا يكرهه فلا يقصه على أحد ولا يقيم فليصل » .

والحكمة في ذلك : أن في الصلاة التحرز عن المكاره ، والاتجاء من كل أمر ينوب العبد من المخاوف .

السادس : الاستبشار بها . وفي حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعا عندهما : « فاذا رأى رؤيا حسنة فليُبشِّر ولا يخبر بها إلا من يحب » .

قوله فليُبشِّر ، هو بضم المثناة تحت وسكون الموحدة من البشارة .
وروي بفتح الياء المثناة تحت ، وسكون النون ، من النشر وهو الاشاعة .
قال القاضي عياض : وهو تصحيف وزاد بعضهم .

سابعا : وهي (١) قراءة آية الكرسي ، ولم يذكر لذلك مستندا فان كان أخذه من عموم حديث أبي هريرة ، ولا يقربك شيطان ؛ فيتجه . وينبغي أن يقرأها في صلاته . وبالله التوفيق .

(١) لعله : هو (اي السابع)

الحديث التاسع

٢٤ - حدثنا سفيان ، قال ابن المنكدر : سمعت جابر ابن عبد الله يقول . ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال : لا .

قال رضي الله عنه : (حدثنا سفيان) ابن عيينة (قال) الامام الحافظ ابو عبد الله محمد (ابن المنكدر) - بضم الميم وسكون النون وفتح الكاف وكسر الدال المهملة ، فراء - ابن عبد الله بن الهدير التيمي ، الامام الثقة المجمع على ثقته ؛ وتقدمه في العلم والعمل ، وهو من طبقة عطاء . روى عن أبيه وجابر وابن عمر وابن عباس وأبي أيوب وأبي هريرة وعائشة وخلق من الصحابة رضي الله عنهم . وروى عنه ابو حنيفة ومالك والزهري وشعبة والسفيانان . قال ابن عيينة ابن المنكدر كان من معادن الصدق ؛ يجتمع اليه الصالحون . ذكره الحافظ السيوطي في «طبقات الحفاظ» ، وكذا الحافظ الذهبي وابن مرداس وغيرهم . وذكره الحافظ ابن الجوزي في «صفوة الصفوة» ، ومن كلامه قال : كابدت نفسي أربعين سنة ، حتى استقامت ، وبكى ليلة ؛ فكثرت بكاءه حتى فزع أهله ، فarsلوا الى أبي حازم . فجاء اليه ، فقال : ما الذي ابكاك ؛ قد رعت اهلك ، قال : مرت بي آية من كتاب الله «وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون»^(١)

(١) سورة الزمر ، الآية : ٤٧

فبكى أبو حازم معه ، وقيل له : أي الأعمال أحب إليك ؟ قال : إدخال السرور على المؤمن ، قيل : فما بقي من لذاتك ؟ قال : الافضال على الإخوان . وقال : الفقيه يدخل بين الله وبين عباده ، فليُنظر كيف يدخل . وجزع عند الموت ؛ فقيل له : لم تجزع ؟ قال : أخشى آية من كتاب الله : « وبـدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » (١) إني أخشى أن يبدو لي ما لم أكن أحتسب .

توفي ابن المنكدر رحمه الله ورضي عنه سنة ثلاثين ومائة ، وقيل : إحدى وثلاثين ومائة .

(سمعت جابر بن عبد الله) الأنصاري رضي الله عنها (يقول : . ما سئل) بضم السين المهملة وكسر الهمزة على صيغة المجهول (رسول الله صلى الله عليه وسلم) بالرفع نائب الفاعل (شيئاً) مفعول ثان لسأل ، وهكذا رواه مسلم في « صحيحه » وكذا البخاري . وفي رواية للبخاري في « الصحيح » وفي « الأدب المفرد » من طريق ابن عيينة ، سمعت ابن المنكدر ، سمعت جابر بن عبد الله - رضي الله عنها - « ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء » (قط) بفتح القاف ، وضم الطاء المهملة مشددة ، وتضم القاف ويخفان . وقط مشددة مجرورة بمعنى الدهر مخصوص بالماضي ، أي فيما مضى من الزمان ، وفيما انقطع من العمر ، فهي ظرف زمان لاستغراق ماضى ، وتختص بالنفي ، يقال . ما فعلته قط . قال في « المغني » : والعامّة تقول : لا أفعله قط ، وهو لحن . واشتقاق قط من قططته ، أي قططته . قال الكرماني في « شرح البخاري » : معناه : ما طلب منه صلى الله عليه وسلم شيء من أمر الدنيا فمنعه . قال الفرزدق (٢) :

(١) سورة الزمر ، الآية : ٧٤

(٢) من قصيدته المشهورة :

والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

زهر الادب « شرح البجاوي » ٦٥/١ ، الحماسة « شرح المرزوقي » ص : ١٦٢١

أما المرتضى ٨/١ ، والبيان والتبيين ، وعميون الاخبار وغيرها .

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعم

قال هذا الفرزدق في الامام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله وسلامه عليهم .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : وليس المراد أنه صلى الله عليه وسلم يعطي ما يطلب منه جزماً ؛ بل المراد أنه لا ينطق بالرد ، بل إن كان عنده أعطاء إن كان الاعطاء سائفاً وإلا سكت ، فما سئل عن شيء من أمور الدنيا (فقال) في جواب السائل : (لا) أعطيك ذلك الشيء .

وقد ورد بيان ذلك في حديث مرسل أخرجه ابن سعد ، ولفظه : إذا سئل فأراد أن يفعل ، قال : نعم . وإذا لم يرد أن يفعل سكت . وهو قريب من حديث أبي هريرة — رضي الله عنه — : ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط ، إن اشتهاه أكل منه وإلا تركه .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : معناه لم يقل : لا ، منعاً للعطاء ، ولا يلزم من ذلك أن لا يقولها اعتذاراً ، كما في قوله تعالى : « قلت لا أجد ما أحملكم عليه » (١) ولا يخفى الفرق بين قول : « لا أجد ما أحملكم عليه » وبين لا أحملكم عليه ، وهو نظير قوله صلى الله عليه وسلم ، في حديث أبي موسى الأشعري ، لما سأل الأشعريون الحملان ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ما عندي ما أحملكم » ، لكن يشكك عليه أن في بعض ألفاظ حديث أبي موسى المذكور ، أنه صلى الله عليه وسلم حلف لا يحملهم فقال : « والله لا أحملكم » ، فيمكن أن يخص من حديث جابر ما إذا سئل ما ليس عنده ، والسائل يتحقق أنه ليس عنده ذلك ، أو حيث كان المقام لا يقتضي الاقتصار على السكوت من الحالة الواقعة أو من حال السائل ؛ كأن يكون لم يعرف العادة ، فلو اقتصر في جوابه على السكوت

(١) سورة التوبة ، الآية : ٩٢

مع حاجة السائل ، لتهدى على السؤال مثلاً . ويكون القسم على ذلك تأكيداً
لقطع طمع السائل .

والسر في قوله صلى الله عليه وسلم : « لا أجد ما أحملكم » وقوله : « والله
لا أحملكم » أن الأول لبيان أن الذي سأله لم يكن موجوداً عنده ، والثاني أنه
لا يتكلف الإجابة إلى ما سئل بالقرض مثلاً أو الاستيهاب ؛ إذ لا اضطرار حينئذ
إلى ذلك .

وفهم بعضهم من لازم عدم قول : لا ، إثبات نعم ، ورتب عليه تحريم البخل ؛
لأن من القواعد أنه عليه السلام إذا واظب على شيء كان ذلك علامة وجوبه ، ويأتي
البحث في ذلك في الحديث السادس عشر من حديث جابر إن شاء الله تعالى .

ولا يخفى أن السخاء من محاسن الأخلاق ، بل هو من أعظمها وأجلها .
والبخل ضده . ومحاسن الأخلاق : العفو ، والجود ، والصبر ، وتحمل الأذى ،
والرحمة ، والشفقة ، وقضاء الحوائج ، والتؤدة ، واللين الجانب ونحو ذلك .
والمذموم ضد ذلك .

والسخاء : بمعنى الجود ، وهو بذل ما يقتنى بغير عوض . والأصح ؛ أن
السخاء أدنى من الجود ، ولأنه (١) لا يوصف به تعالى ، ويوصف بالجود .

والسخاء : اللين عند الحاجات ، من قولهم : أرض سخاوية : أي ليننة
التراب . قال القشيري في «الرسالة» : قال القوم (٢) : من أعطى البعض فهو سخي ،
ومن أعطى الأكثر وأبقى لنفسه شيئاً ، فهو جواد ، ومن تحمل الضرر وآثر
غيره بالبلغة فهو مؤثر .

(١) لم تكن واضحة في الأصل

(٢) يقصد بهم أهل التصوف

وأما السهروردي في « عوارفه »^(١) فقال : السخاء أتم وأكمل من الجود ويقابل الجود : البخل ، ويقابل السخاء : الشح ، والجواد الذي يتفضل على من يستحق ، ويعطي من لا يسأل ، ويعطي الكثير ، ولا يخاف الفقر ، من قولهم : مطر جواد : إذا كان كثيراً ، وفرس جواد : إذا كان كثير العدو . والجود والبخل يتطرق إليهما الاكتساب بطريق العادة ، بخلاف السخاء والشح ، لانهما من ضرورة الغريزية ، فكل سخى جواد بلا عكس . والجود يتطرق إليه الرياء ولا كذلك السخاء ، لانه يقع من النفس الزكية المرتفعة عن الاغراض .

وقال السهروردي أيضاً : الشح الذي يقابل السخاء من لوازم صفة النفس . قال تعالى : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »^(٢) ، فحكم بالفلاح لمن وقى الشح ، وحكم أيضاً بالفلاح لمن انفق وبذل ، فقال تعالى : « ومما رزقناهم ينفقون - أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون »^(٣) .

والفلاح جامع لسعادة الدارين . انتهى . وفي « الكرماني شرح البخاري » الفلاح : الفوز والبقاء : وقيل : هو : الظفر وإدراك البغية . قال : وقيل : إنه عبارة عن أربعة أشياء : بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر ، وعز بلا ذل ، وعلم بلا جهل . قالوا : ولا كلمة في اللغة أجمع للخيرات منه . انتهى .

وظاهر كلام ابن القيم في كتابه « الكلم الطيب والعمل الصالح » المساواة بين الجود والسخاء ، قال فيه : السخى قريب من الله ومن خلقه ومن أهله ، وقريب من الجنة ، وبعيد من النار . والبخل بعيد من الله ، بعيد من خلقه ، بعيد من الجنة ، قريب من النار . فجود الرجل يحببه الى اعداده ، وبخله يبغضه الى اولاده ، ثم أنشد :

(١) يقصد كتاب « عوارف المعارف » الملحق باحياء علوم الدين للعزالي

(٢) سورة الحشر ، الآية : ٩

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٣ والاية : ٥

ويظهر عيب المرء في الناس بخله ويستره عنهم جميعاً سخاؤه
تغبط بأثواب السخاء فاني أرى كل عيب والسخاء غطاؤه

ثم قال في تعريف السخاء : انه بذل ما يحتاج اليه عند الحاجة ، وأن يوصل ذلك الى مستحقه بقدر الطاقة . وليس كما قال بعضهم : حد الجود بذل الموجود . ولو كان كما قال ، لارتفع اسم السرف والتبذير ، وقد ورد الكتاب بدمها ، وجاءت السنة بالنهي عنها ، ثم قال : واذا كان السخاء محموداً ، فمن وقف على حده سمي كريماً ، وكان للحمد مستوجباً . ومن قصر عنه كان بخيلاً ، وكان للذم مستوجباً وقد روي في أثر ، ان الله عز وجل اقسم بمزته أن لا يجاوره بخيل . وقال بعضهم : السخاء أن تكون بمالك متبرعاً ، وعن مال غيرك متورعاً . وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - : أوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام : اتدري لم اتخذتك خليلاً ؟ قال : لا ، قال : لأنني رأيت العطاء أحب اليك من الأخذ . وهذه من صفات الرب سبحانه ، فانه يطعم ولا يطعم ، وهو أجود الاجودين ، وأكرم الاكرمين ، وأحب الخلق اليه من اتصف بصفاته ، فانه كريم يحب الكريم .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اكرم من كل كريم ، متصف بأتم الكرم وأكمل الجود ، ومن ثم ما قال ﷺ : لا ، في رد سائل ، مع كونه بادي البشاشة للسائل ، باسماء لوفوده ، يهتز للعطاء وبذل الندي ، اسخا من الغيث ، وأسرع في فعل الخير من الريح المرسلة . وقد قوّم ما أعطى صلى الله عليه وسلم في يوم واحد فكان خمسمائة الف الف . قال ابن دحية : وهذا نهاية الجود ، ورحم الله أبي ، عبد الله بن جابر حيث يقول فيه صلى الله عليه وسلم :

هذا الذي لا يتي فقرا اذا يعطي ولو كثرا لانام وداموا
واذا من الانعام أعطى آملا فتحيرت لعطائه الأوهام

الحديث العاشر

٢٥ - حدثنا سفيان ، عن ابن المنكدر سمع جابراً :
جئى بأبي يوم أحد ، فوضع بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو مسجى ، فجعلت أريد أن أكشف عن وجهه
وينهاني قومي ، فسمع باكية - وقال مرة : صوت صائحة -
قال : من هذا ؟ قالوا : ابنة عمرو ، أو أخت عمرو ، قال : فلم
تبيكين ؟ أو قال : أتبيكين ؟ فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها
حتى رفعتموه .

قال رضي الله عنه (حدثنا سفيان) هو ابن عيينة (عن) محمد (بن المنكدر)
أنه (سمع جابراً) رضي الله عنه يقول : (جئى) بالبناء للمجهول من جاء (بأبي)
هو عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري الخزرجي ، وتقدم نسبه في ترجمة ابنه
جابر رضي الله عنها ، شهد عبد الله رضي الله عنه العقبة مع السبعين ، وهو أحد
النقباء ، وشهد بدرأ ، وقتل شهيداً (يوم) غزوة (أحد) بضم الهمزة ، وبالحاء
وبالدال المهملتين .

هو جبل أحمر ليس بذئ شناخيب^(١) جمع شنخوب ، بضم الشين والحاء
المجتمعتين بينهما نون ساكنة فواو فموحدة ، فرع الكاهل ، وفقرة الظهر ،

(١) في الاصل « شناخ » والصواب ما أثبتناه . وشناخيب الجبال : رؤوسها .
وفي هامش الكتاب : والمراد : (أي بليس ذي شناخيب) ليس بذئ شهاب عالية .

والمشئوب : الطويل . بين جبل أحد وبين المدينة المنورة أقل من فرسخ ، وهو في شمالها ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم : « أحد جبل يحبنا ونحبه » رواه الشيخان وغيرهما عن عدة من الصحابة - رضي الله عنهم - منهم انس وغيره . قال السهيلي : سمي أحداً لتوحيده وانقطاعه عن جبال آخر هناك . وكانت غزوة أحد التي استشهد عبد الله والد جابر - رضي الله عنها - فيها في شوال سنة ثلاث من الهجرة .

قال جابر رضي الله عنه : (فوضع) أبي بعد أن جسيء به (بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو) أي أبي ، أي والحال أنه (مسجى) أي مغطى ، قال في « القاموس » : تسجية الميت ؛ تغطيته . وفي « المطلع » قال الخليل : سجييت الميت ؛ غطيته بثوب .

قال جابر - رضي الله عنه - (فجعلت أريد أن أكشف عن وجهه) أي وجه أبي لا نظر إليه (وبنهاني) عن ذلك (قومي) يعني كراهية أن ينظر جابر لآبيه ؛ لأنه كان قد مثل به المشركون ، فقد جاء أنهم مثلوا بجميع الشهداء إلا حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة ، فلم يمثلوا به ؛ لأن أباه كان مع المشركين ، فتركوه لاجله .

وروى البخاري من حديث جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ، ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد ، وقال : أنا شهيد على هؤلاء ، وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يصل عليهم ، ولم يفسلهم . قال جابر وكفن أبي عمي^(١) في نمرة واحدة ، يعني لأن ثيابهم سلبها المشركون عنهم .

(١) في الهامش : قوله : وعمي كأنما أراد به عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام .

وفي «الصحيحين والنسائي» وغيرهما : من حديث جابر - رضي الله عنه -
 قال : أصيب أبي يوم أحد فجعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي ، وجعلوا
 ينهونني ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهاني .
 وفي رواية فيها عن جابر : لما كان يوم أحد جئني بأبي مسجى قد مثيل به ،
 وفي أخرى جئني بأبي يوم أحد مجدعا ، فوضع بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
 بنحوه (فسمع) النبي صلى الله عليه وسلم (باكياً ، وقال مرة : صوت صائحة)
 تبكي على أبي عبد الله بن عمرو (قال : من هذا ؟) الباكي (قالوا :) هي (ابنة
 عمرو) أخت عبد الله عمة جابر (أو) قالوا : (أخت عمرو) فتكون عمة
 عبد الله أبي جابر .

وفي «الصحيحين» وغيرهما ، من حديث جابر رضي الله عنه ، وجعلت
 فاطمة بنت عمرو تبكيه (قال : فلم) استفهام إنكاري دخلت عليه اللام الجارة
 فحذفت الألف من ما الاستفهامية (تبكين أو قال :) صلى الله عليه وسلم
 (أتبكين ؟) .

وفي «الصحيحين» تبكيه أو لا تبكيه (فما زالت الملائكة تظله) من
 الشمس (بأجنحتها) تكرمه له وإظهاراً لفضله (حتى) أي إلى أن (رفعتموه)
 من المكان الذي صرع فيه .

قلت : في هذا الحديث جواز البكاء بعد الموت ؛ لأن جابر رضي الله عنه
 قد بكى على أبيه بعد موته ، فلم ينهه النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا مذهب
 الإمام أحمد ، وأبي حنيفة ، واختاره أبو بكر الشيرازي ، وكرهه الشافعي
 وكثير من أصحابه بعد الموت ، ورخصوا فيه قبل خروج الروح ، واحتجوا
 بحديث جابر بن عتيك - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء
 يمود عبد الله بن ثابت ، فوجده قد غلب ، فصاح به رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلم يجبه ، فاسترجع وقال : غلبنا عليك يا أبا الربيع ، فصاح النسوة وبكين ، فجعل ابن عتيك يسكتهن ، فقال صلى الله عليه وسلم : دعهن ، فاذا وجب فلا تبكين باكية ، قالوا : وما الوجوب يارسول الله ؟ قال : الموت . رواه الامام أحمد ، وأبو داود وهذا لفظه ، والنسائي ، وابن ماجه .

وبحديث ابن عمر رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الميت ليُعذب ببكاء أهله عليه . متفق عليه . وهذا إنما هو بعد الموت ، وأما قبله فلا يسمى ميتاً . قالوا : والفرق بين ما قبل الموت وبعده ، أنه قبل الموت يرجى فيكون البكاء عليه حذراً ، فاذا مات انقطع الرجاء وأُبرم القضاء . فلا ينفع البكاء .

واحتج للأول مع حديث جابر بحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه صلى الله عليه وسلم قال : إن الله لا يعذب بدمع العين ، ولا يحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا - وأشار الى لسانه - أو يرحم . رواه البخاري وهذا لفظه ، ومسلم . وفي البخاري من حديث أنس - رضي الله عنه - قال : شهدنا بنتاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على القبر ، قال : فرأيت عينيه (١) تدمعان .

وفي حديث أنس أيضاً ، في قصة موت ابراهيم عليه السلام ابن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ إن العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، وإنا على فراقك يا ابراهيم لمحزونون ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا . متفق عليه .

وفي قصة استشهاد جعفر وأصحابه ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وفيه : وإن عيني رسول الله ﷺ لتذر فان . رواه البخاري . وفي حديث ابن عباس في موت زينب بنت رسول الله ﷺ ، وبكاء النساء ، وإن عمر جعل

(١) في الأصل : عيناه ، وهو خطأ ؛ وما أثبتناه من « صحيح البخاري » .

يضربهن بسوطه ، فآخذ رسول الله ﷺ بيده وقال : مهلا يا عمر ، ثم إيا كن
ونعيق الشيطان ، ثم قال ﷺ : انه مهيا كان من العين والقلب فمن الله عز وجل
ومن الرحمة ، وما كان من اليد واللسان ؛ فمن الشيطان . رواه الامام أحمد .
وعن عائشة الصديقة - رضي الله عنها - أن سعد بن معاذ - رضي الله عنه - لما
مات حضره رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر - رضي الله عنهما - قالت :
فوالذي نفسي بيده ؛ اني لأعرف بكاء أبي بكر ، من بكاء عمر ، وأنا في
حجرتي . رواه الامام أحمد .

وفي حديث اسماء بنت يزيد ؛ في قصة موت إبراهيم ابن النبي ﷺ ،
وبكائه عليه ، وقول أبي بكر وعمر : أتبكي ؟ أو ما نهيتنا عن البكاء ؟ قال : ليس عن
البكاء نهيت ؛ ولكن نهيت عن صوتين أحقق فاجرين ، صوت عند نعمة لهو
ولعب ورنه شيطان ، وصوت عند مصيبة لطم وجوه وشق جيوب ورنه شيطان .
وهذه رحمة ، ومن لا يرحم لا يرحم . رواه ابن ماجه . والاحاديث في هذا
الباب كثيرة جداً .

وكذلك ؛ لما ماتت رقية ، بكت فاطمة بنت النبي ﷺ ، وبكت النساء
بعد الموت .

وصح عن الصديق الاعظم ، انه رضي الله عنه قبّل النبي ﷺ بعد موته
وبكى . وأما ما استدل به الشافعي ومن وافقه ، فمحمول على البكاء الذي معه
نذب ونياحة . ودعوى الشيخ مردودة ؛ لأن قصة جعفر وأصحابه ، كانت في
الثامنة ، وكذلك البكاء على زينب عليها السلام ، فانها انما توفيت في الثامنة . ومن
ذلك ما في البخاري من قول عمر رضي الله عنه : دعهن يبكين على أبي سليمان
ما لم يكن نفع أو لقلقة . والنقع : التراب على الرأس ، والقلقة : الصوت ،

وأبو سليمان : هو خالد ابن الوليد رضي الله عنه . مات في خلافة عمر رضي الله عنه ،
والله تعالى الموفق .

وفي الحديث ؛ جواز الكشف عن وجه الميت بعد موته ، وفيه تسجيته ،
وفيه ذكر فضائل الشخص ومناقبه ، وفيه فضيلة الجهاد والشهادة . والله التوفيق .

الحديث الحادي عشر

٢٦ - حدثنا سفيان ، عن ابن المكندر ، سمع جابر بن
عبد الله يقول : ولد لرجل منا غلام ، فسماه القاسم ، فقلنا : لا نكنيك
أبا القاسم ، ولا ننعملك عينا ، فأبى النبي ﷺ ، فذكر ذلك له ،
فقال : اسم ابنك عبد الرحمن .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان عن محمد (بن المنكدر) أنه (سمع
جابر بن عبد الله) رضي الله عنها (يقول : ولد لرجل منا) معشر الأنصار (غلام)
أي صبي - بضم أوله - والغلام اسم المذكور من حين يولد ؛ إلى أن يشيب ، أو الطار
الشارب ؛ (فسماه) أي سمى الرجل ابنه (القاسم ، فقلنا :) معشر الصحابة
(لانكنيك ^(١) أبا القاسم) والكنية : كل اسم صدر بأب أو أم أو ابنة ، يقال :
كنيته وكنوته بمعنى (ولا ننعملك عينا) أي لا نقر عينك ولا ننعملك بطاعتك
وموافقتك على هذه التكنية ، يقال : 'نعمت' عين ، و'نعم' عين ، و'نعمي' عين .
كما في « النهاية » .

(١) في الهامش : بفتح أوله مع التخفيف . وبضمة مع التشديد .

وفيهما من حديث الحسن ؛ اذا سمعت قولاً ، فرويدا بصاحبه ، فان وافق قول عملاً ؛ فنعم ونعمة عين ، آخيه وأودده ، أي اذا سمعت رجلاً يتكلم في العلم بما تستحسنه ، فهو كالداعي لك الى مودته وإخائه (١) فلا تعجل حتى تختبر فعله ، فان رأيت حسن العمل ، فأجبه الى إخائه ومودته ، وقل له : نعم ونعمة عين ، أي قرّة عين ، يعني أقر عينك بطاعتك ، واتباع أمرك .

وفي حديث أبي مريم ؛ دخلت على معاوية فقال : ما أئمننا بك ؟ أي ما الذي أعملك اليه ؛ وأقدمك علينا ؛ وإنما يقال ذلك ، لمن يفرح ببلقائه كأنه قال : ما الذي أسرنا وأفرحنا وأقر أعيننا ببلقائك ورؤيتك ؟

وفي حديث مطرف ؛ لا تقل نعم الله بك عينا (٢) قال العلامة الزنجشيري : الذي منع (٣) مطرف صحيح فصيح في كلامهم ، وعينا نصب على التمييز من الكاف ، والباء للتعدي ، والمعنى : نعمك الله عينا ، أي أنعم عينك وأقرها ، وقد يحذفون الجارة ، ويوصلون الفعل فيقولون : نعمك الله عينا . وأما أنعم الله بك عينا ؛ فالباء فيه زائدة ، لأن الهمزة كافية في التعدي ، تقول : نعم زيد عينا ، وأنعمه الله عينا ، قال : ويجوز أن يكون من أنعم ، اذا دخل في النعم ، فيعدي بالباء . قال مطرف خيل اليه (٤) أن انتصاب التمييز في هذا الكلام عن الفاعل ؛

(١) الكلمة مطموسة في الاصل ، وما أثبتناه من اللسان « نعم » وفيه الحديث بكامله .

(٢) يظهر ان بقية كلام مطرف قد سقطت من الاصل وهي ؛ فان الله لا ينعم بأحد عينا ، ولكن قل : أنعم الله بك عينا .

(٣) في مصادر أخرى : الذي منع منه ، بزيادة « منه » وهو أوضح .

(٤) كذا في الاصل وهو لا يستقيم : والضواب هو ؛ قال : ولعل مطرفاً خيل اليه ، كما في غير هذا الكتاب .

فاستعظم ، كما يقولون : نعمت بهذا الأمر عينا للتعدي (١) فحَسِبَ أن الامر في نعم الله بك عينا كذلك . انتهى .

وحديث جابر هذا في « الصحيحين » وفيها عن جابر رضي الله عنه ؛ أن رجلا من الأنصار ولد له غلام ، فأراد أن يسميه محمدا ، فأتى النبي ﷺ فسأله ، الحديث .

وفيها عنه قال : ولد لرجل منا غلام ، فسماه القاسم ، الحديث (فأتى) الرجل (النبي ﷺ فذكر ذلك) أي قول قومه الذي قالوه له من أنهم لا يكونونه بأبي القاسم ، ولا ينعمونه عينا (له) أي للنبي صلى الله عليه وسلم ، والجار والمجرور متعلق بذكر . ولفظ البخاري : فأتى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله (٢) ، الله وليلي غلام فسميته القاسم ، فقالت الانصار : ولا نكنيك ابا القاسم ، ولا ننعملك عينا ، فقال النبي ﷺ : أحسنت الانصار ، سموا باسمي ، ولا تكتنوا بكنيتي .

وفي « البخاري » من طريق سالم بن ابي الجعد ، عن جابر رضي الله عنه قال : ولد لرجل منا غلام ، فسماه القاسم ، فقالوا : لانكنيك حتى نسأل النبي ﷺ ، فيجمع بين هذا الاختلاف ، إما بأن بعضهم قال هذا ؛ وبعضهم قال هذا ، وإما أنهم منعوا أولا مطلقاً ، ثم استدركوا ؛ فقالوا : حتى نسأل .

وفي رواية : لانكنيك ابا القاسم ولا كرامة ، فآخبر النبي ﷺ بذلك ، (فقال) النبي ﷺ (اسم ابنك عبد الرحمن) وفي الرواية الاخرى . فقال : سموا باسمي ، ولا تكتنوا بكنيتي ، ويجمع بينهما ؛ بأن أحد الراويين ذكر ما لم يذكر الاخر .

(١) كذا في الاصل ، وفي الكلام سقط ، ومقتضى الكلام ان يقول : والباء للتعدي .

(٢) في الاصل مطموس .

وفي « البخاري » من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق ، فقال رجل : يا أبا القاسم ، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنما دعوت هذا .

وفي رواية دعى رجل بالبقيع : يا أبا القاسم ، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : لم اعنك . ولا مخالفة بين لفظ كان في السوق ، وكان في البقيع ؛ لأن السوق كان يومئذ بالبقيع ، فذكره تارة باسمه ؛ وتارة باسم محله ، وحينئذ قال عليه الصلاة والسلام : سموا باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي .

وقوله : ولا تكنوا ؛ بحذف إحدى التائين ، وروى ؛ ولا تكنوا بسكون الكاف ، وفتح المثناة بعدها نون . فيؤخذ من الحديث مشروعية تكنية المؤمن يولده ، ولا يختص بأول الولادة ، وإنما اختار النبي ﷺ للرجل أن يسمى ابنه عبد الرحمن ؛ لأن أفضل الأسماء ؛ عبد الله وعبد الرحمن . قال بعض شراح « المشارق » : لله الأسماء الحسنى ، وفيها فروع وأصول ، أي من حيث الاشتقاق . قال : ولأصول أصول ، أي من حيث المعنى . فأصول الأصول : اسمان ؛ الله والرحمن ، لأن كلاهما مشتمل على الأسماء كلها ؛ قال الله تعالى : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ^(١)) ، ولذلك لم يتسم بهما أحد ، وما ورد من رحمن اليمامة غير وارد ؛ لأنه مضاف ، وقول شاعرهم :

وأنت غوث الوري لا زلت رحمانا

تغال في الكفر وليس بوارد ، لأن الكلام في أنه لم يتسم به أحد ، ولا يرد إطلاق من أطلقه وصفاً ، فانه لا يستلزم التسمية بذلك ، وقد لقب غير واحد ؛ الملك الرحيم ، ولم يقع مثل ذلك في الرحمن ، فاذا تقرر ذلك ظهر أن إضافة العبودية الى كل من الاسمين حقيقة محضة ، فظهر وجه الاختيار ، والله اعلم .

(١) سورة الاسراء ، الآية : ١١٠

تفہیمات

الاول : الاسم واللقب والكنية ، تشترك الثلاثة في تعريف المدعو بها ، وتفترق في أمر آخر ، وهو أن الاسم إما ان يشعر بمدح أو ذم أو لا ، الاول : اللقب ، وغالب استعماله في الذم ، ولهذا قال تعالى : (ولا تنازروا بالالقب (۱)) ولا خلاف في تحريم تلقيب الانسان بما يكرهه ، سواء كان فيه أو لا ؛ نعم إذا عرف بذلك واشتهر به كالأعمش والأعرج والأصم والأشتر ، فقد اُطرد استعماله على السنة أهل العلم قديماً وحديثاً ، وقد سهل فيه الامام أحمد رضي الله عنه . قال أبو داود في مسائله : سمعت أحمد بن حنبل في الرجل يكون له اللقب لا يعرف إلا به ولا يكرهه ، قال : أليس يقال : سليمان الأعمش ، وحميد الطويل ؟ فلم ير به بأساً .

وإن لم يشعر لا بمدح ولا ذم ، فإن صدر بأب أو أم فهو الكنية ؛ كأبي فلان وأم فلان . وإن لم يصدر بذلك ، فهو الاسم كزيد وعمرو . وهذا هو الذي كانت تعرفه العرب ، وعليه مدار مخاطباتهم .

وأما فلان الدين ، وعز الدولة ، وبهاء الدولة ، فلم تكن العرب تعرف ذلك ، وإنما حدث من قبل المعجم ، كما في « تحفة الودود » لابن القيم رحمه الله تعالى .

الثاني : اختلف العلماء رحمهم الله تعالى ، في التكني بأبي القاسم على ثلاثة مذاهب : الاول : المنع مطلقاً سواء كان اسمه محمداً أم لا ، قال في الفتح : ثبت ذلك عن الشافعي رضي الله عنه ؛ قال الامام ابن القيم في كتابه « تحفة الودود » : روى البيهقي بسنده عن الربيع بن سليمان ، قال : سمعت الشافعي

(۱) سورة الشورى ، الآية : ۱۱

يقول : لا يحل لأحد أن يكتني بأبي القاسم ، سواء كان اسمه محمداً أو غيره .
قال : وروي نحوه قوله هذا عن طاووس ، قال السهيلي : وكان ابن سيرين يكره
أن يكتني أحداً أبا القاسم ، كان اسمه محمداً أو لم يكن .

الثاني : الجواز مطلقاً ، ويختص النبي بزمان حياته صلى الله عليه وسلم ،
واستدل لهذا بما أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» ، وأبو داود ، وابن ماجه ،
وصححه الحاكم ، من حديث علي رضوان الله عليه ، قال : قلت يا رسول الله !
إن ولد لي من بعدك ولد أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك ؟ قال : نعم .
وفي بعض طرقه قال محمد بن علي المعروف بابن الحنفية : فسماي محمداً ،
وكناني أبا القاسم .

وفي تاريخ ابن أبي خيثمة عن ابن الحنفية قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعلي رضي الله عنه : إنه سيولد لك بعدك ولد ، فسمه باسمي وكنته
بكنيتي ، فكانت رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي ، كذا قال .
قلت : الذي جزم به علماءنا عدم كراهة التكني بأبي القاسم بعد موت
النبي ﷺ ؛ وإن كان في أصل المذهب ثلاث روايات ، ثالثها : الكراهة لمن
اسمه محمد فقط ، ولا يحرم خلافاً للشافعي كما في «الفروع» .

وتقل حنبلي عن الامام ؛ لا يكتني به ، واحتج بالنهي فظاهره يحرم ،
ومنع سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي في «غنيته» من الجمع ، وأن عن الامام
أحمد رواية تكره الكنية والتسمية باسم النبي ﷺ وكنيته ، جمعاً وانفراداً ،
قال في «الفروع» : ومراده انفراداً ، أي الكنية .

قال القاضي علاء الدين المرداوي في «تصحيح الفروع» : الصواب عدم كراهة
التكني بأبي القاسم مطلقاً بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد وقع فعل
ذلك من الاعيان ، ورضاهم به يدل على الاباحة .

وفي « الهدي » لابن القيم : الصواب أن التكني بكنيته ممنوع ، والمنع في حياته أشد ، والجمع بينها ممنوع . انتهى . فظاهره التحريم ، والمذهب الإباحة ، وهذا مذهب مالك على أنه يباح بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم .
قال محمد بن زنجويه في كتاب « الأدب » : سألت ابن أبي أوس ، ما كان مالك يقول في الرجل يجمع بين كنية النبي صلى الله عليه وسلم واسمه ؟ فأشار إلى شيخ جالس معنا فقال : هذا محمد بن مالك ، سماه محمداً وكناه أبا القاسم ، وكان يقول : إنما ينهى عن ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، كراهية أن يدعى أحد باسمه أو كنيته ، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأما اليوم فلا بأس بذلك .

الثالث : المنع يختص عن اسمه محمد دون غيره ، وهذا إحدى الروايات عن الإمام أحمد ؛ إلا أنها مرجوحة .

وبالمذهب الأول قال أهل الظاهر ، وبالع بعضهم فقال : لا يجوز لأحد أن يسمى ابنه القاسم لئلا يكنى أبا القاسم ، ودليل هذا المذهب ما رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، وحسنه الترمذي وصححه ابن حبان ، من طريق أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه ، رفعه : من تسمى باسمي فلا يكتني بكنتي ، ومن اكتني بكنتي فلا يتسم باسمي .

ورواه البخاري في « الأدب المفرد » ، ولفظه : لا تجمعوا بين اسمي وكنتي .

ورواه الترمذي ولفظه : إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يجمع بين

اسمه وكنيته .

وأخرج الإمام أحمد ، وابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة ، رفعه :

لا تجمعوا بين اسمي وكنتي .

وأخرج الطبراني من حديث محمد بن فضالة رضي الله عنه ، قال : قدم

النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن اسبوعين ، فأتي بي اليه فمسح على رأسي وقال : سموه باسمي ولا تكنوه بكنتي .

والمعتمد من هذه المذاهب ، اختصاص النهي بالزمن النبوي ؛ لأن بعض الصحابة رضي الله عنهم سمى ابنه محمداً وكناه أبا القاسم ، منهم : طلحة ابن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وقد جزم الطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي كناه ، وأخرج ذلك من طريق عيسى بن طلحة ، عن ظئر محمد ابن طلحة . وكذا يقال : أن كنية كل من الحمدين - ابن أبي بكر ، وابن سعد ابن ابي وقاص ، وابن جعفر بن أبي طالب ، وابن عبد الرحمن بن عوف ، وابن حاطب بن أبي بلتعة ، وابن الاشعث بن قيس - أبو القاسم . وان آباءهم كنوم بذلك ، قال القاضي عياض : وبه قال جمهور السلف والخلف وفقهاء الأمصار .

وأما ما أخرجه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها ؛ أن امرأة قالت : يا رسول الله ! إنني سميت ابني محمداً ، وكنيته أبا القاسم ، فذكر لي أنك تكره ذلك . فقال : ما الذي أحل أسمي وحرّم كنتي ؟ فقد ذكر الطبراني في « الاوسط » أن محمد بن عمران الحنفي ، تفرد به عن صفية بنت شيبة عنها ، ومحمد المذكور مجهول . قال في « الفتح » وعلى تقدير أن يكون محفوظاً ؛ فلا دلالة فيه على الجواز مطلقاً ؛ لاحتمال أن يكون قبل النهي .

الثالث : سبب كراهة ذلك ؛ قال ابن القيم في « تحفة الودود » : وللكراهة ثلاثة مأخذ :

أحدها : أعطى معنى الاسم لغير من يصلح له ، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه العلة بقوله : إنما أنا قاسم ؛ أقسم بينكم ، فهو ﷺ يقسم بينهم ما أمره ربه تبارك وتعالى بقسمته ، فلم يكن يقسم كقسمة الملوك الذين يعطون من شاؤوا ، ويحرمون من شاؤوا .

الثاني : خشية الالتباس وقت المخاطبة والدعوة ، وقد أشار الى هذه العلة في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : نادى رجل رجلاً بالقيـع ، يا أبا القاسم ، فالتفت اليه رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! لم اعنك ، إنما دعوت فلانا . فقال ﷺ : تسموا باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي . متفق عليه .

وتقدم الثالث : اختصاص النهي عن الاشتراك الواقع في الاسم والكنية معاً ، فالعلة التمييز بالاسم والكنية ، فالمصلحة نفس الاختصاص ، والنهي يختص بالمشاركة في ذلك الاختصاص ، كما نهى أن ينقش أحد على خاتمه كنقشه .

قال ابن القيم في « تحفة الودود » بعد ذكره العلل الثلاثة : فعلى المأخذ الأول ، يمنع الرجل من الكنية في حياته ، وعلى المأخذ الثاني ؛ يختص المنع بحال حياته ، وعلى المأخذ الثالث ؛ يختص المنع بالجمع بين الكنية والاسم ، دون افراد أحدهما ، فالمنع في هذا الباب يدور على هذه المعاني الثلاثة . والله أعلم .

الرابع : تباح التسمية بمحمد وأحمد ، بل وسائر أسماء الأنبياء ، بل التسمية بمحمد لها مزية ، قال ابن عبد البر ، قال ابن القاسم ، قال مالك : سمعت أهل مكة يقولون : ما من أهل بيت فيهم اسم محمد ؛ إلا رزقوا ورزق خيراً ، وذكره ابن مفلح في « الفروع » هكذا .

وقال ابن القيم في « تحفة الودود » : اختلف في كراهة التسمية بأسماء الأنبياء على قولين : أحدهما ؛ أنه لا يكره . قال : وهذا قول الاكثرين وصوبه .

قال : والثاني يكره ، وحكى هذا المذهب الطبري ، وساق الطبري من طريق سالم بن أبي الجعد ؛ كتب عمر رضي الله عنه : لا تسموا أحداً باسم نبي ، واحتج لصاحب هذا القول ، بما أخرجه من طريق الحكم بن عطية ، عن ثابت ،

عن أنس رضي الله عنه ، رفعه ؛ يسمونهم محمداً ، ثم يلعنونهم . وهو حديث ضعيف ؛ أخرجه البزار وأبو يعلى أيضاً ، وسنده لين ، قال القاضي عياض : والاشبه أن عمر رضي الله عنه . لما فعل ذلك ، إعظاما لاسم النبي ﷺ ، لئلا يفتك . قال السهيلي في « الروض » ، كان من مذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه كراهة التسمي بأسماء الأنبياء . قال ابن القيم في « تحفة الودود » : وصاحب هذا القول ، قصد صيانة أسماهم عن الابتذال ، وما يعرض لها من سوء الخطاب عند الغضب وغيره ، وكان الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قد سمع رجلا يقول لمحمد بن زيد بن الخطاب : يا محمد فعل الله بك وفعل ، فـدعاه وقال : لا أرى رسول الله ﷺ يسب بك ، فقير اسمه .

وأخرج الامام أحمد ، والطبراني ، من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى ؛ نظر عمر رضي الله عنه الى ابن عبد الحميد - وكان اسمه محمداً - ورجل يقول له : فعل الله بك يا محمد ، فارسل الى ابن زيد بن الخطاب . فقال : لا أرى رسول الله ﷺ يسب بك ، فسماه عبد الرحمن ، وأرسل الى بني طلحة - وهم سبعة - ليغير أسماهم ، فقال له محمد - وهو كبيرهم - : والله لقد سماني النبي ﷺ محمداً ، فقال : قوموا ؛ فلا سبيل اليكم .

قال في « تحفة الودود » : وكان لطلحة عشرة من الولد ، كل منهم : اسم نبي ، وكان للزبير عشرة ، كلهم يسمى باسم شهيد ، فقال له طلحة : أنا سميتهم بأسماء الأنبياء ، وأنت سميتهم بأسماء الشهداء ؟ فقال له الزبير : فاني أطمع أن يكون بني شهداء ، ولا تطمع أن يكون بنوك أنبياء .

والحاصل جواز التسمية بأسماء الانبياء ، ولا سيما بأسماء نبينا محمد وأحمد صلى الله عليه وسلم .

وأما ما روي أن من اسمه محمد وأحمد له من الفضائل كذا وكذا ، وأن

من تسمى بمحمد وأحمد لم يدخل النار ؛ فهذا شيء موضوع لا أصل له ولا شيء من ذلك . وقد قال ابن القيم في « المنار المنيف » : هذا يناقض ما هو معلوم من دينه ﷺ ؛ إذ النار لا يجار منها بالاسماء والالقب ، وإنما النجاة منها بالآيمان والأعمال الصالحة ، والله ولي التوفيق .

الحديث الثاني عشر

٢٧ — ثنا سفيان ، عن ابن المنكدر ، سمع جابراً يقول :
ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق ،
فاتدب الزبير ، ثم ندب الناس ، فاتدب الزبير ، ثم ندب
الناس ، فاتدب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ان لكل نبي حوارياً ، وحواريّ الزبير .
قال سفيان : سمعت ابن المنكدر في هذا المسجد .

قال رضي الله عنه (ثنا سفيان) ابن عيينه (عن) محمد (بن المنكدر)
أنه (سمع جابراً) رضي الله عنه (يقول : ندب رسول الله ﷺ الناس) أي
دعاهم وحشهم وحرصهم (يوم الخندق) الذي خندق فيه رسول الله ﷺ ، عليه
وعلى أصحابه رضي الله عنهم ، بشور سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وكانت كما في
« الهدي » لابن القيم ، وتبعه الذهبي كما في « سيرة ابن اسحق » ومتابعيه سنة
خمس في شوال . قال في « الهدي » : هذا الاصح : قال الحافظ ابن حجر : هو
المعتمد ، وروى ابن عقبة عن الزهري ، والامام أحمد عن الامام مالك انها كانت
(١) وهو كتاب يبين فيه الحديث الضعيف ، وقد طبع أخيراً باسم « المنار » فقط .

سنة أربع ، وصححه النووي في « الروضة » وهو عجيب كما بينته في « شرح نونية
الصرري » .

وكان الخندق بسطة ونحوها ، وكان سلع الجبل خلف ظهورهم ، والخندق
من المزداد الى ذباب الى راتج^(١) ، وكان قد عمل فيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه
رضي الله عنهم مستعجلين يبادرون قدوم العدو عليهم ، ولم تكن العرب تخندق
عليها ، وإنما الذي أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه ، قال : يا رسول الله !
إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا ، فاعجبه ذلك ، فأمرهم صلى
الله عليه وسلم بالجد ، ووعدهم النصر إن هم صبروا واثقوا ، وأمرهم بالطاعة ، قال
الواقدي : عمل المسلمون في الخندق حتى أحكموه في ستة أيام ، وكذا قال ابن
سعد (فانتدب) أي أجابه صلى الله عليه وسلم لما ندب له أبو عبد الله (الزبير)
بضم الزاي وفتح الموحدة فمثناه فراء ، مصغرا ، ابن العوام ، بن خويلد بضم
الخاء المعجمة . وفتح الواو ، ابن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي
المدني . أمه صفية بنت عبد المطلب ، عممة النبي صلى الله عليه وسلم ، أسلمت
وهاجرت الى المدينة .

أسلم الزبير قديماً على يدي أبي بكر الصديق وهو ابن خمسة عشر سنة ،
وقيل : ستة عشر ، وكان إسلامه بعد إسلام الصديق بقليل . قيل : كان رابعاً أو
خامساً ، فعذبه عمه بالدخان ليترك الإسلام فلم يفعل ، وهو أحد العشرة المشهود لهم
بالجنة ، وهاجر الى الحبشة ثم الى المدينة ، وهو أول من سل سيفاً في سبيل الله ،
شهد المشاهد كلها (ثم ندب) النبي ﷺ (الناس) يوم احزاب فقال : من يأتينا بخبر
القوم ؟ (فانتدب) أي أجاب ﷺ (الزبير) بن العوام فقال : أنا (ثم ندب)

(١) قوله من المزداد ، هو أطم لبني حرام غربي مساجد الفتح . وذباب كفراب

وكتاب ، اسم جبل بالمدينة . وراتج ، اسم أطم أيضاً . المؤلف

النبي ﷺ (الناس) ثانياً فلم يحبه أحد (فانتدب) ، أي أجابه ﷺ ثانياً
(فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعد الثالثة : (ان لكل نبي) من أنبياء الله
عليهم الصلاة والسلام (حوارياً) ، أي ناصراً ينصره (وحواري) أي ناصري
(الزبير) رضي الله عنه .

قال في « المطالع » : معنى الحواري : الناصر ، وقيل : الخالص ، وقيل :
الحواريون : المجاهدون ؛ وقيل : أصحاب الأنبياء ، وقيل : الذين يصلحون
للخلافة بعده ، حكاه الحربي عن قتادة ، وقيل : الاخلاء ، حكاه السلمي . هذا
كله في حواري رسول الله ﷺ .

وأما في أصحاب عيسى عليه السلام ، فقليل : انهم كانوا قصارين ، لأنهم يبيعون
الثياب ، وكانوا أولاً قصارين ، وقيل : صيادين ، وقيل : الحواريون : الملوك ،
فتصح في الزبير رضي الله عنه صحبة النبي ﷺ ، ونصرته ، واختصاصه ،
واخلاصه له ، وقيل : المفضل عندي كفضل الحواري في الطعام . وكان ابن عمر
رضي الله عنها يذهب الى أنه اسم مختص بالزبير دون غيره ، لتخصيصه ﷺ له به
دون غيره . وهذا الحديث الذي نحن بصدد شرحه ، رواه الشيخان ، والترمذي ،
من حديث جابر رضي الله عنه ، ولفظه : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الاحزاب : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا ، ثم قال : من يأتينا بخبر
القوم ؟ فقال الزبير : أنا ، ثم قال : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا ، ثم
قال في الثالثة : ان لكل نبي حوارياً ، وإن حوارياً : الزبير . وفي لفظ لهم : ندب
النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثلاثاً ، فذكره .

وفي « الصحيحين » ، والترمذي من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ،
قال : كنت يوم الاحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة مع النساء ، يعني نسوة
النبي صلى الله عليه وسلم ، في أطعم حسان بن ثابت ، فنظرت ، فإذا أنا بالزبير على

فرسه يختلف الى بني قريظة ، فلما رجع قلت : يا ابيه رأيتك تختلف ، قال وهل رأيتني يا بني ؟ قلت : نعم . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم ؟ فانطلقت ، فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وآله عليه أبيه فقال : فذاك أبي وأمي .

وفي رواية : في أطم حسان فكان يطأطي لي مرة فأنظر ، واطأطي له مرة فينظر .

وأخرج منه الترمذي قال : جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيه يوم قريظة فقال : بأبي وأمي . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وشهد الزبير رضي الله عنه اليرموك ، وفتح مصر . وكثرة ماله ، وسعة تركته مشهور ، وكان - رضي الله عنه - عليه يوم بدر ربيعة صفراء (١) معتجراً بها وهو على الميمنة ، فنزلت الملائكة على سيماه ، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد ، وبايع النبي ﷺ على الموت ، وفي « صفوة الصفوة » لابن الجوزي قال أبو الاسود : أسلم الزبير وهو ابن ثمانين سنة ، وهاجر وهو ابن ثمانين عشرة ، وكان عمه يعلقه في حصير ويدخن عليه بالنار ويقول : ارجع الى الكفر ، فيقول : لا أكفر أبداً . وقال نبيك : كان للزبير الف مملوك يؤدون الضريبة فكان يقسمه كل ليلة ، ثم يقوم الى منزله ليس معه منه شيء .

قال ابن الأثير في « جامع الاصول » : كان الزبير أبيض طويلاً ، ويقال : لم يكن بالطويل ولا بالقصير ، يميل الى الخفة في اللحم . ويقال : كان أسمر خفيف المارضين .

(١) قوله : ربيعة صفراء ، قال ابن قرقول في « المطالع » : الربيعة كل ثوب يكون لفقين ، وكل ثوب رقيق ، قال واكثر كلام العرب : ربيعة ، ولم يجز البصريون ربيعة ، وأجازها اهل الكوفة « المؤلف » .

قال البرماوي وغيره : وكان يوم الجمل قد ترك القتال وانصرف ، فلحقه جماعة من الغواة فقتلوه بوادي السباع بناحية البصرة . وفي « جامع الاصول » لابن الاثير ؛ ان الذي قتله عمير بن جرموز بسفوان من أرض البصرة ، سنة ستة وثلاثين ، وله أربع وستون سنة ، وقيل : ستون ، وقيل : بضع وخمسون . قال : ودفن بوادي السباع ، ثم حول الى البصرة وقبره مشهور بها ، ومناقبه كثيرة ، ومآثره شهيرة ، وفضائله غزيرة رضي الله تعالى عنه .

(قال سفيان) ابن عيينة رحمه الله تعالى ورضي عنه (سمعت) محمد (بن المنكدر) رحمه الله ورضي عنه (في هذا المسجد) قال ذلك نفيًا لما توهمه العنمة من الدلسة ، وبالله التوفيق .

الحديث الثالث عشر

٢٨ - ثنا سفيان ، قال : انبأنا ابن المنكدر ، أنه سمع جابرًا يقول : مرضت فأتاني النبي ﷺ يعودني هو وأبو بكر ماشيين ، وقد أغمي عليّ فلم أكلمه ، فتوضأ فصبّه عليّ ، فأفقت ، فقلت :

يا رسول الله ! كيف أصنع في مالي ولي أخوات ، قال : فنزلت آية الميراث : « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » . كان ليس له ولد وله أخوات .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) ابن عيينة (قال : أنبأنا) محمد (ابن المنكدر) وهذه الصيغة ، يعني أنبأنا ، الرابعة من صيغ الاداء ؛ لأن صيغ الاداء على ثماني مراتب : الاولى ؛ سمعت وحدثني ، الثانية ؛ أخبرني وقرأت عليه ، الثالثة ؛ قرئ عليه وأنا أسمع ، الرابعة ؛ أنبأني ، الخامسة ؛ ناواني ، السادسة ؛ شافني ، أي بالاجازة ، السابعة ؛ كتب إلي بالاجازة . ثم عن ونحوها من الصيغ المحتملة للسمع والاجازة ، ولعدم السماع أيضاً . وهذا مثل ؛ قال ، وذكر ، وروى كما في « النخبة وشرحها » للحافظ ابن حجر ، وقال فيها أيضاً : الانباء من من حيث اللغة واصطلاح المتقدمين ؛ بمعنى الاخبار ، وأما في عرف المتأخرين ؛ فهو للاجازة ، فافهم انها من المتقدمين في رتبة أخبارنا ، والله أعلم . (أنه) ، أي ابن المنكدر (سمع جابرأ) رضي الله عنه (يقول : مرضت) مرة (فأتاني النبي ﷺ يعودني هو) (وأبو بكر) عبد الله بن عثمان ، أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . قيل : كان اسمه عبد الكعبة ، فسماه النبي ﷺ عبد الله ، وانما سمي عتيقاً لقول النبي ﷺ : من أراد أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبي بكر ، وقيل : سمته به أمه ، وقيل : سمي به لجمال وجهه . وأمّه أم الخير سلمى بنت صخر ، بنت عم أبيه ، ماتت هي وأبوه مسلمين رضوان الله عليهم .

شهد الصديق مع النبي ﷺ المشاهد كلها ، وكان خصيصاً به فلم يفارقه في جاهلية ولا اسلام ، وهو أول الرجال إسلاماً ، وأسلم على يده عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وخلائق لا يحصيهم إلا الله ، وهو خليفة رسول الله ﷺ ورضي عن الصديق ، تولى الخلافة يوم الثلاثاء ثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة احدى عشر ، وهو ثاني يوم مات النبي صلى عليه وسلم . وكان مولده

بمكة بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر إلا أياماً ، ومات بالمدينة ليلة الثلاثاء ثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بين المغرب والعشاء ، وله ثلاث وستون سنة ، وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس فغسلته ، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، ودفن بالحجرة الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر . يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب . روى عنه عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عباس ، وابن عمر ، وابن عمرو ، وأنس بن مالك ، وأبو هريرة ، والبراء بن عازب ، وزيد بن ثابت ، وعائشة ، وقيس بن أبي حازم ، وغير هؤلاء من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين .

ومناقب الصديق لا تحصى ، وفوائده لا تستقصى ، روي له عن رسول الله ﷺ مائة حديث واثنان وأربعون حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم منها على ستة أحاديث ، وانفرد البخاري بأحد عشر ، ومسلم بحديث واحد . وإنما قل أخذ الحديث عنه لقلة مدته بعد النبي ﷺ مع وفور الصحابة رضي الله عنه وعنهم أجمعين . حال كون النبي صلى الله عليه وسلم وصديقه الأعظم في عيادتهم (١) لجابر رضي الله عنه في مرضه (ماشيين) أصل العيادة الزيارة مرة بعد أخرى ، فكل من أتاك مرة بعد أخرى فهو عائد وإن اشتهر ذلك في عيادة المريض حتى كأنه مختص به ، وقد تكررت الأحاديث في عيادة المريض وفوائدها والمشي إليها ، وصرح في « الاقناع » من كتب المذهب ، عن ابن حمدان من علمائنا ؛ أن عيادة المريض فرض كفاية . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : الذي يقتضيه النص وجوب ذلك ، واختاره جمع . وترجم البخاري في « صحيحه » باب وجوب عيادة المريض جزم بالوجوب على ظاهر الأمر ، والمراد مرة ، وظاهره ولو من وجع ضرر ورمد ودمل ، خلافاً لأبي المعالي ابن المنجا من علمائنا . وفي (١) في الاصل : أعادتهم . ولم نر هذا الاستعمال ، وقد تكرر في غير هذا الموضع ، فأبدلناه بعيادة .

« الفروع » يستحب ذكر الموت والاستعداد له ، وكذا عيادة المريض وفقاً
للأئمة الثلاثة . قال : وأوجب أبو الفرج ، يعني الشيرازي من أئمة المذهب ،
وبعض العلماء عيادته ، والمراد مرة ، واختاره الآجري . وفي أواخر « الرعاية »
فرض كفاية ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : حق المسلم على المسلم خمس ، فذكر
منها عيادة المريض . متفق عليه . ووقع في رواية مسلم ، خمس تجب للمسلم على
المسلم ، فذكرها منها . قال ابن بطال : يحتمل أن يكون الأمر على الوجوب
بمعنى الكفاية ، كاطعام الجائع وفك الأسير ، ويحتمل أن يكون للندب ،
للبحث على التواصل والآلفة . وجزم الداودي بالأول ، فقال : هي فرض يحمله
بعض الناس عن بعض . وقال الجمهور : هي في الأصل ندب ، وقد تصل إلى
الوجوب في حق بعض دون بعض .

وعن الطبري : يتأكد في حق من يرجى بركته ، وتسبب فيمن يراعى
حاله ، وتباح في ما عدا ذلك .

وفي الكافر خلاف المذهب ، المنع منها ، قال ابن بطال : إنما تشرع عيادة
الكافر إذا رجي إسلامه ، فأما إذا لم يطمع في ذلك فلا . انتهى . واستظهر
الحافظ ابن حجر في « الفتح » أن ذلك يختلف باختلاف المقاصد ، فقد يقع
بسيادته مصلحة أخرى . قال الماوردي : عيادة الذي جائز ، والقربة موقوفة على
نوع حرمة تقترب بها من جوار أو قرابة . وظاهر ما نقله في « الفروع » عن
صاحب « المحرر » جواز عيادة الذي ، فإنه قال : ظاهر كلام الامام أحمد
والاصحاب عدم جواز عيادة المتبدع سواء كفر ببدعته أو لا . قال في « المحرر » :
وأما الذي فتجوز اجابة دعوته ، وترد التحية عليه إذا سلم ، ويجوز قصده
للبيع والشراء ، فجازت عيادته وتعزيته كالمسلم ، وعكسه من حكم بكفره من
أهل البدع ، لو جوب هجره . قال القاضي : ولم نهجر أهل الذمة لأننا عقدناها

مهم لمصلحتنا بأخذ الجزية ، ولا أهل الحرب للضرر بتركه البيع والشراء ،
وأما المرتدون فإن الصحابة رضي الله عنهم باينهم بالقتال ، وأي هجر أعظم من
هذا ؟ ! ومعتمد المذهب عدم جواز عيادة الكافر والمبتدع ، والله الموفق .
وقد نقل النووي الاجماع على عدم وجوب عيادة المريض ، يعني على
الاعيان ، كذا في « الفتح » ، وفي « الفروع » ، مانعه ؛ وفي « شرح مسلم » :
عيادة المريض سنة بالاجماع ، قال في « الفروع » : كذا قال وسواء فيه من يعرفه
ومن لا يعرفه ، والقريب والاجني ، واختلف العلماء في الاؤكد والافضل
منها ، كذا قال ، يعني النووي . قال في « الفروع » : ويتوجه أن القريب
أولى . انتهى .

تمة : في ذكر طرف من الأحاديث الواردة في عيادة المريض
وفضلها .

في « الصحيحين » ، و « سنن أبي داود » ، و « ابن ماجه » ، وغيرهما من
حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : حق المسلم على
المسلم خمس ؛ رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، واجابة الدعوة ،
وتشميت العاطس .

وفي « مسلم » ، حق المسلم على المسلم ست ، فزاد : وإذا استنصحك فانصح
له . ورواه الترمذي .

وأخرج الامام أحمد والبخاري وابن حبان في « صحيحه » ، عن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : عودوا المرضى ، واتبعوا
الجنائز تذكركم الآخرة .

وروى الامام أحمد ، والطبراني ، وأبو يعلى ، وابن خزيمة ، وابن حبان ،
في « صحيحها » ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

خمس من فعل واحدة منهم كان ضامناً على الله عز وجل ؛ من عاد مريضاً ، أو خرج مع جنازة ، أو خرج غازياً ، أو دخل على إمام يريد تعزيـره وتوقيـره ، أو قعد في بيته فسلم الناس منه وسلم من الناس . وروى أبو داود نحوه من حديث أبي أمامة .

وروى الترمذي وحسنه ، وابن ماجه واللفظ له ، وابن حبان في « صحيحه » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من عاد مريضاً ناداه مناد من السماء طبت ، وطاب ممشاك ، وتبوات من الجنة منزلاً .
وروى الامام أحمد ، ومسلم واللفظ له ، والترمذي ، عن ثوبان رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : أن المسلم اذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع . قيل : يا رسول الله ! وما خرفة الجنة ؟ قال : جناها . قال الحافظ المنذري : خرفة الجنة - بضم الخاء المعجمة ، وبمدها راء ساكنة - : هو ما يتخرف من نخلها ، أي يجتنى .

وروى أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من توضأ فأحسن الوضوء ، وعاد أخاه المسلم محتسباً بُوعِدَ من جهنم سبعين خريفاً ، فقيل : يا أبا حمزة ! ما الخريف ؟ قال : العام .
وروى الترمذي وحسنه ، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن عادته عشية صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة .

ورواه أبو داود موقوفاً على علي رضوان الله عليه ، ثم قال : وأسندهذا عن علي من غير وجه صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم رواه مسنداً بمعناه . ولفظ الموقوف : ما من رجل يعود مريضاً ممسياً إلا خرج معه سبعون

ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة . ومن أتاه مصباحاً خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يمسي ، وكان له خريف في الجنة .

ورواه بنحو هذا الامام أحمد ، وابن ماجه مرفوعاً ، وزاد في أوله : إذا عاد المسلم أخاه مشى في خرافة الجنة حتى يجلس ، فإذا جلس غمرته الرحمة . الحديث . وليس عندهما ؛ وكان له خريف في الجنة . ورواه ابن حبان والحاكم بنحوه .

قوله : في خرافة الجنة ، بكسر الخاء المعجمة ، أي في اجتناء ثمر الجنة . يقال : خرفت الجنة ، أخرفها ، فشبه ما يحوزه عائد المريض من الثواب ، بما يحوزه المحترف من الثمر كما قال ابن النباري .

وروى الامام مالك بلاغاً ، والامام أحمد مسنداً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها ، قال : قال رسول الله ﷺ : من عاد مريضاً لم يزل يخوض في الرحمة حتى يجلس ، فإذا جلس اغتمس فيها . ورواه السبزار وابن حبان في « صحيحه » وكذا رواه الطبراني من حديث أبي هريرة بنحوه ، ورواته ثقات . وروى الامام أحمد باسناد حسن ، والطبراني في « الكبير » و « الاوسط » عن كعب بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من عاد مريضاً خاض في الرحمة ، فإذا جلس عنده استنقع فيها .

ورواه الطبراني أيضاً فيها من حديث عمرو بن حزم رضي الله عنه . وزاد ؛ وإذا قام من عنده فلا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث خرج . واسناده الى الحسن أقرب ، والله الموفق .

قال جابر رضي الله عنه (وقد أغمى علي) الواو للحال ، والجملة حالية ، (فلم أكلمه) صلى الله عليه وسلم لعدم شعوري به .

وفي رواية في «الصحيحين» عن جابر رضي الله عنه قال : عادني رسول الله ﷺ ، وأبو بكر في بني سلمة عشيان ، فوجدني لا أعقل . زاد في رواية الكشميهني من «صحيح البخاري» شيئاً . ففي هذا مشروعية عيادة المريض ولو كان لا يدرك شيئاً لشدة المرض . والاعماء : هو غشي يصيب الانسان فتعطل معه قوته الحساسة . وقد ترجم البخاري له في «صحيحه» باب : عيادة المغمى عليه . قال ابن المنير : فائدة الترجمة : أن لا يعتقد أن عيادة المغمى عليه ساقطة الفائدة لكونه لا يعلم بعائده . لكن ليس في حديث جابر التصريح بأنها علما أنه مغمى عليه قبل عيادته ، فلم يوافق حضورهما . واستظهر في «الفتح» من السياق ، وقوع ذلك حال مجيئها ، وقبل دخولها عليه ، ومجرد علم المريض بعائده لا توقف مشروعية العيادة عليه ، لان وراء ذلك جبر خاطر أهله ، وما يرجي من بركة دعاء العائد ووضع يده على المريض ، والمسح على جسده ، والنفث عليه عند التعميد ، الى غير ذلك من المصالح (فتوضأ) النبي ﷺ (فصبه) أي صب الماء الذي توضأ به ﷺ (فأفقت) من اغمائي ، وهو من أفاق يفيق ، اذا انتعش من مرضه ، أو صحا من اغماؤه ، أو ثاب اليه عقله من بعد أن كان غير ذي عقل ، أو انتبه من نومه . ومنه في حديث موسى عليه السلام : فلا أدري أفاق قبلي أم أفاق من غشيتي . وفي لفظ : ثم رش علي ، أي من الماء الذي توضأ به ، وقد صرح في «الاعتصام» من «صحيح البخاري» بأنه صب عليه نفس الماء الذي توضأ به . وفي عيادة المريض : فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم صب وضوءه علي ، وفي لفظ عند أبي داود : فنفخ في وجهي فأفقت .

وهذا يدل على أن الماء المستعمل في رفع الحدث طاهر ، وهو قول الجمهور ، وقال أصحاب أبي حنيفة : نجس . ولنا على طهارته حديث جابر هذا ، وهو متفق عليه .

ومنها حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه ، قال : ذهبت بي خالتي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ! ان ابن اخي وجع ، فمسح رأسي ، ودعاني بالبركة ، ثم توضأ فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره فنظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة . متفق عليه أيضاً .

ومنها عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه ، ذكر في حديث صلح الحديبية ، قال : فوالله ما يتنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه . رواه البخاري .
ومنها عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال : أتيت النبي ﷺ بالابطاح وهو في قبة له ، فخرج بلال بفضل وضوئه فبين ناضح ونائل ، رواه الامام أحمد واللفظ له .

ورواه البخاري ومسلم من حديث شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت أبا جحيفة يقول : توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل الناس يأخذون فضل وضوئه .

قلت : وطهارة الماء المستعمل في رفع الحدث لا يكاد يسوغ فيها خلاف ، لأنه مما تتوفر الدواعي اليه ، فلو كان نجساً لما ساغ عدم بيانه .

وفي بعض روايات حديث جابر كما في « المسند » و « الصحيحين » قال : جاء رسول الله ﷺ يعودني وأنا مريض لا أعقل ، فتوضأ وصب وضوءه عليّ فمقلت (فقلت : يا رسول الله كيف أصنع في مالي ؟) وفي لفظ : ما تأمرني أن أصنع في مالي ؟ وفي رواية شعبة في « الصحيحين » وغيرها : لمن الميراث ؟ إنما يرثي كلاله (ولي أخوات) سبع ، أو تسع كما في « الصحيح » وغيره ، قال في « الفتح » : ولم أقف على تسميتهن (قال) جابر رضي الله عنه : فلم يرد عليّ شيئاً ،

(فنزلت) وفي لفظ في « الصحيحين » وغيرها . حتى نزلت (آية الميراث) وهي قوله تعالى : « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » (١) ، وفي لفظ ، فقلت : يا رسول الله ! إنما يرثني كلاله ، فنزلت آية الميراث . قال شعبة : فقلت لمحمد بن المنكدر : « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » (١) هكذا أنزلت .

وأما ما في « الصحيحين » : فنزلت « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » (٢) كما في رواية ابن خديج ، فقد قيل : انه وهم في ذلك ، وان الصواب أن الآية التي نزلت في قصة جابر هذه الآية الأخيرة من النساء وهي : « يستفتونك » الآية ؛ لأن جابراً (كان) يومئذ (ليس له ولد) ولا والد (و) إنما (له أخوات) والكلالة : من لا ولد له ولا والد . وقد ذكر البخاري في بعض طرقه ما يشعر بأن قوله : فنزلت « يوصيكم الله في أولادكم » مدرجة من كلام ابن عيينة . قال في « الفتح » : وقد أخرجه الامام أحمد ، عن ابن عيينة ، وزاد في آخره . كان ليس له ولد وله أخوات . قال : وهذا من كلام ابن عيينة أيضاً . قال في « الفتح » : وقد اضطرب في تعيين الآية ، فأخرجه ابن خزيمة بلفظ : حتى نزلت آية الميراث : « ان أمروؤ هلك ليس له ولد » (١) وقال مرة : حتى نزلت آية الكلالة . وأخرجه عبد بن حميد ، والترمذي ، حتى نزلت : « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » (٢) .

قال في « الفتح » : وأما قوله تعالى : (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) (١) فمن آخر ما نزل ، وان الكلالة لما كانت مجملة في آية الميراث ، استفتوا عنها فنزلت الآية الأخيرة .

(١) سورة النساء ، الآية : ١٧٦

(٢) سورة النساء ، الآية : ١١

ومعنى يستفتونك ؛ أي يطلبون الفتيا والفتوى ؛ فيها معنى واحد ، أي جواب السؤال عن الحادثة التي تشكل على السائل . وهي مشتقة من الفتى ، ومنه الفتى وهو الشاب القوي . والكلالة : من لم يرثه أب ولا ابن ، وهذا قول أبي بكر الصديق كما أخرجه ابن أبي شيبة عنه ، وهو قول جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، قال عمرو بن شرحبيل : ما رأيتم إلا تواطؤوا على ذلك . وعمرو بن شرحبيل هو أبو ميسرة من كبار التابعين ، وشهرته بكنيته أكثر من اسمه . وفي الكلالة أقوال ، وما ذكرناه هو الصحيح وبالله التوفيق .

تمة في ذكر شيء من آداب عيادة المريض

ينبغي أن تكون من أول المرض ، لحديث : إذا مرض فعده . وقيل : بعد ثلاثة أيام ، لفعله عليه الصلاة والسلام . رواه ابن ماجه بأسناد ضعيف من حديث أنس ، ورواه البيهقي أيضاً ، ولفظه : كان النبي ﷺ لا يعود مريضاً إلا بعد ثلاث ، وهو حديث ضعيف تفرد به سلمة بن علي وهو متروك ، وقال أبو حاتم : حديث باطل ، والطبراني في « الأوسط » عن ابن عباس مرفوعاً ؛ العيادة بعد ثلاث سنة ، وقال الأعمش : كنا نقعد في المجلس فإذا فقدنا الرجل ثلاثة أيام سألنا عنه ، فإن كان مريضاً عدناه .

وأما حديث أبي هريرة مرفوعاً ؛ لا يعاد المريض إلا بعد ثلاث ، فذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، واعترض عليه السيوطي بأن ما ذكرنا من الشواهد ينفي عنه الوضع .

وينبغي أن تكون طرفي النهار بكرة وعشياً ، وتكره وسط النهار ، قال الامام أحمد عن قرب وسط النهار : ليس هذا وقت عيادة ، ونص على أنها تكون في رمضان ليلاً ، لأنه ربما رأى من المريض ما يضره ، ولأنه أرفق

بالعائد ، ومن الغريب ما نقله ابن الصلاح عن بعض العلماء أن العيادة تستحب في الشتاء ليلاً وفي الصيف نهاراً ، ولعل الحكمة في ذلك أن المريض يتضرر بطول الليل في الشتاء ويطول النهار في الصيف ، فيحصل له بالعيادة نوع استرواح ، ولم أر ذلك في كلام علمائنا .

وتكون غبا ، يوماً ويوماً ، قال في « الاقناع » قال جماعة : وينبغي بها ، وجزم بها في « المنتهى » ، وفي « الفروع » مثله ، ثم قال : وظاهر اطلاق جماعة خلافه ، ويتوجه اختلافه باختلاف الناس ، والعمل بالقرائن وظاهر الحال ، ومرادهم في الجملة ، وهي تشبه الزيارة ، وهذا اختيار الناظم ، لكن قال الحسن : الغب في الزيارة في كل اسبوع مرة ؛ زر غبا تزدد حباً . انتهى .

وحديث : زر غبا تزدد حباً ، رواه البزار والبيهقي من حديث أبي ذر ، وهما والطبراني من حديث أبي هريرة ، والطبراني والحاكم في « المستدرک » من طريق حبيب بن مسلم الفهري ، والطبراني عن ابن عمر ، وابن عمـرو ، والدارقطني من حديث عائشة رضي الله عنهم ، وكثرة طرقه تكسبه قوة يبلغ بها درجة الحسن .

وفي حديث : اغبوا في عيادة المريض . أي لا تعودوه في كل يوم لما يجد من ثقل العواد . ذكره ابن الأثير في « النهاية » . وفي « الفروع » ذكر ابن الصيرفي الحراني في « نوادره » الشعر المشهور :

لا تضجرن عليّ في مسألة	إن العيادة يوم بين يومين
بل سله عن حاله وادعوا إليه	واجلس بقدر فواق بين حليين
من زار غبا أخاً دامت مودته	وكان ذاك صلاحاً للخليين

قال في « الفروع » : ويتوجه اختلافه باختلاف الناس ، فإن من المرضى من يؤثر تطويل بعض الناس عنده ، ويجب تخفيف بعضهم ، ومنهم من يؤثر

التخفيف مطلقاً ، ومنهم من يؤثر التطويل ، فعلى العائد أن يراعي حال المريض ،
فيفعل الذي يحبه ويؤثره ، فإن كان يؤثر تطويله عنده وزيارته له كل يوم فلا
يكره له ذلك ، بل يندب والله أعلم .

وينبغي أن يضع يده على المريض ، ويدعو له بالصلاح والعافية ، قالت
عائشة رضي الله عنها : كان صلى الله عليه وسلم إذا عاد مريضاً مسح يمينه وقال : أذهب
البأس رب الناس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر
سقماً . متفق عليه .

والامام أحمد ، وأبي داود وغيرهما ، عن ابن عباس مرفوعاً : ما من مسلم
يعود مريضاً لم يحضر أجله ، فيقول سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش
العظيم أن يشفيك ، إلا عوفي .

وفي « فنون ابن عقيل » رحمه الله تعالى ، إن سألك وضع يدك على رأسه
للتشفي ، فجدد توبه ، لعله يتحقق ظنه فيك . وقبيح تعاطيك ما ليس لك ، وإهمال
هذا وأمثاله يعمي القلوب ، ويخمر العيوب ، ويعود بالرياء .

وفي « المسند » و « سنن الترمذي » ، و « شعب البيهقي » من حديث أبي
أمامة ، والطبراني من حديث أبي هريرة ، وابن ماجه من حديث عائشة ،
والبيهقي من حديث جابر ؛ أن من تمام العيادة أن تضع يدك على المريض . ولم
يصب ابن الجوزي في ذكره له في « الموضوعات » .

وفي خبر ضعيف : إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في أجله . وفي آخر
من رواية ميمون بن مهران ، عن عمر ، ولم يدركه ، مرفوعاً : سلوه الدعاء ،
فإن دعاءه كدعاء الملائكة . رواه ابن ماجه وغيره .

قال الامام أحمد رضي الله عنه : الامراض تمحيص الذنوب ، وقال لمريض
تمائل : بهنيك الطهور .

وقد روي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : داووا مرضاكم بالصدقة ، وحصنوا أموالكم بالزكاة ، وأعدوا للبلاء الدعاء . والحديث وإن كان في سنده من رمي بالكذب ، فقد عمل به جماعة من علمائنا وغيرهم ، وهو حسن ومعناه صحيح . والله الموفق .

الحديث الرابع عشر

٢٩ - ثنا سفيان ، قال : سمعت ابن المنكدر غير مرة يقول : عن جابر ، وكأني سمعته مرة يقول : أخبرني من سمع جابراً ، فظننته سمعه من عبد الله بن محمد بن عقيل بن المنكدر ، وعبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر : أن النبي ﷺ أكل لحماً مشوياً ثم صلى ولم يتوضأ ، وإن أبا بكر أكل لحماً ثم صلى ولم يتوضأ ، وإن عمر أكل لحماً ثم صلى ولم يتوضأ .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) بن عيينة (قال سمعت) محمد (بن المنكدر غير مرة) واحدة ، بل مرات متعددة (يقول عن جابر) بن عبد الله رضي الله عنها ، قال سفيان : (وكأني سمعته مرة) واحدة (يقول : أخبرني من سمع جابراً) رضي الله عنه ، فشك سفيان أن محمد بن المنكدر اثبت بينه وبين جابر واسطة مرة واحدة في تحديثه له بهذا الحديث ، قال سفيان رحمه الله ورضي عنه : (فظننته) الضمير يعود على محمد بن المنكدر (سمعه) أي الحديث الآتي : (من عبد الله بن محمد بن عقيل بن المنكدر ، وعبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر)

رضي الله عنه ، وحاصله ، ان محمد بن المنكدر حدث به ، تارة عن سماعة من جابر
بلا واسطة ، وتارة اثبت الواسطة ، وكان الشيخين لم يخرجوا هذا الحديث من هذا
الوجه لهذا الاضطراب ؛ مع انه غير قادح في صحة الحديث (ان النبي ﷺ أكل
لحماً) مشوياً ومطبوخاً (ثم صلى) بعد أكله من اللحم (ولم يتوضأ) من أكله
للحم الذي مسته النار (وان أبا بكر) الصديق خليفته على التحقيق (أكل لحماً
ثم صلى ولم يتوضأ) من ذلك (وان عمر) الفاروق ، أمير المؤمنين ، مؤدي
الحقوق (أكل لحماً ثم صلى ولم يتوضأ) .

وروى الامام أحمد أيضاً ، من حديث جابر رضي الله عنه أيضاً ، قال :
أكلت مع النبي ﷺ ، ومع أبي بكر وعمر خبزاً ولحماً ، فصلوا ولم يتوضؤوا .
وعن جابر رضي الله عنه أيضاً قال : كان آخر الأمرين من رسول الله
ﷺ ترك الوضوء مما مسته النار . رواه أبو داود والنسائي وغيرهما ، وهو
حديث صحيح .

وفي « البخاري » : أكل أبو بكر وعمر وعثمان لحماً ولم يتوضؤوا .
وفي « الصحيحين » ، وغيرهما ، عن ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها ،
قالت : أكل النبي ﷺ كتف شاة ، ثم قام فصلى ولم يتوضأ .
وفيها عن عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه ، قال : رأيت رسول الله
ﷺ يحتز من كتف شاة ؛ فأكل منها ، فدعي الى الصلاة ، فقام وطرح
السكين وصلى ولم يتوضأ . وقال البخاري : من كتف شاة ، فألقاها وألقى السكين .
وفي « مسلم » عن أبي رافع رضي الله عنه ، قال : أشهد لكنت أشوي
لرسول الله ﷺ بطن الشاة ، ثم صلى ولم يتوضأ .

وفي « الصحيحين » ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله
ﷺ أكل كتف شاة ثم صلى ولم يتوضأ . زاد مسلم في طريق آخر ؛ ولم يمس

ماء . وفي بعض ألفاظ هذا الحديث ؛ تعرق رسول الله ﷺ كتفا ، وفي آخر
انتشل النبي ﷺ عرقا من قدر .

وفيهما عنه ؛ أن رسول الله ﷺ ، جمع ثيابه ، ثم خرج الى الصلاة ،
فأتى بهدية خبز ولحم ، فأكل ثلاث لقم ، ثم صلى بالناس وما مس ماء . ولفظ
البخاري : ولم يتوضأ .

وأخرج عن جابر رضي الله عنه ؛ أنه سأله سعد بن الحارث عن الوضوء
مما مست النار ، فقال : لا ، قد كنا زمان رسول الله ﷺ لا نجد مثل ذلك من
الطعام إلا قليلا ، فإذا نحن وجدناه ، لم تكن لنا مناديل ، إلا أكفنا وسواعدنا
وأقدامنا ، ثم نصلي ولم نتوضأ .

وقد ورد الأمر بالوضوء مما مسته النار ، فروى الامام أحمد ، ومسلم ،
والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ
يقول : توضؤوا مما مست النار .

وعن زيد بن ثابت مثله مرفوعاً ، رواه أيضاً ولفظه : الوضوء مما
مست النار .

ومثل حديث أبي هريرة ، روي عن عائشة ؛ رواه الامام أحمد ، ومسلم ،
وغيرهما .

فذهب الجمهور من السلف ، عدم نقض الوضوء ، ووجوب الطهارة ؛
بأكل ما مسته النار ، وهذا مذهب أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبدالله
ابن مسعود ، وأبي الدراء ، وابن عباس ، وابن عمر ، وأنس بن مالك ، وجابر ابن
عبد الله ، وابن سمرة ، وزيد بن ثابت ، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ،
وذهب اليه جماهير التابعين ، وهو مذهب الأئمة الأربعة ، وإسحاق بن راهوية ،
وأبي ثور ، وأبي خيثمة ، وغيرهم .

وذهبت طائفة الى وجوب الوضوء الشرعي ، بأكل ما مسته النار ، وهو مروي عن عمر بن عبد العزيز ، والحسن البصري ، والزهري ، وأبي قلابة ، وأبي مجاز ، واحتجوا بما تقدم من الأحاديث . وحجة الجمهور ، ما قدمنا من الأحاديث بترك الوضوء مما مسته النار . وأجابوا عما تعلقوا به من الأحاديث بجوابين :

أحدهما : أنه منسوخ ، والدليل على نسخه حديث جابر رضي الله عنه ، كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ، ترك الوضوء مما مسته النار . وهو صحيح صريح في المقصود .

الثاني : أن المراد بالوضوء هنا ؛ غسل القدم والكفين . ثم إن هذا الخلاف كان في الصدر الأول ، وأما الآن فقد أجمع العلماء على عدم الوجوب . وبالله التوفيق .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : لم يجزىء الوضوء في كلام النبي ﷺ إلا والمراد به الوضوء الشرعي ، ولم يرد لفظ الوضوء بمعنى غسل اليد والقدم ؛ إلا في لغة اليهود . كما روي ؛ أن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، قال للنبي ﷺ : إنا نجد في التوراة ؛ أن من بركة الطعام الوضوء قبله ، فقال ﷺ : من بركة الطعام الوضوء قبله ، والوضوء بعده .

فروع : معتمد مذهب الامام أحمد رضي الله عنه ، نقض الوضوء بأكل لحم الابل ولو نيئاً ، خلافاً لثلاثة ، والحجة في ذلك لنا ؛ حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه ، أن رجلاً سأل النبي ﷺ : أنتوضأ من لحوم الغنم ؟ قال : لا ، قال : أنتوضأ من لحوم الابل ؟ قال : نعم . رواه الامام أحمد ، ومسلم .

وحديث البراء بن عازب رضي الله عنهما ، قال : سئل رسول الله ﷺ

عن الوضوء من لحوم الابل . فقال : توضؤوا منها ، رواه الامام أحمد ، وأبو داود ،
والترمذي ، وابن ماجه :

قال الامام إسحاق بن راهوية : صح في هذا الباب حديثان عن رسول الله
ﷺ ؛ حديث جابر بن سمرة ، وحديث البراء .

وكذا روي عن الامام أحمد رضي الله عنه ؛ أنه قال : فيه حديثان
صحيحان ؛ حديث البراء ، وجابر بن سمرة .

وقال ابن خزيمة . لم نر خلافا بين علماء الحديث ؛ ان هذا الخبر صحيح
من جهة النقل ، لمدالة ناقله .

وروي من حديث أسيد بن حضير ؛ أن رسول الله ﷺ قال : توضؤوا
من لحوم الابل ، ولا تتوضؤوا من لحوم الغنم . وصلوا في مرائب الغنم ، ولا تصلوا
في مبارك الابل . رواه الامام أحمد ، وابن ماجه .

وروى عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ذي الغرة ، قال : عرض أعرابي
لرسول الله ﷺ وهو يسير ، فقال : يا رسول الله ! تدر كنا الصلاة ؛ ونحن في
أعطان الابل ، فنصلي فيها ، فقال رسول الله ﷺ : لا ، قال : افنتوضأ من
لحومها ؛ قال : نعم . رواه عبد الله بن الامام أحمد في «الزوائد» .

قال بمض العلماء : ذو الغرة لا يدري من هو . وقال ابن أبي حاتم :
ذو الغرة الطائي له صحبة . وقال العباس الدوري : سمعت يحيى بن معين يقول :
ذو الغرة من أصحاب رسول الله ﷺ .

وأما ما رواه الدراقطني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ؛ أن رسول الله
ﷺ قال : الوضوء مما يخرج ، وليس مما يدخل . ففي سنده شعبة مولى ابن
عباس ، قال مالك والنسائي : إنه ليس بثقة ، وقال يحيى بن معين : لا يكتب

حديثه . وفي إسناده أيضاً الفضل بن المختار ، قال أبو حاتم الرازي : إنه مجهول ،
وأحاديثه منكرة ، يحدث بالباطيل ، وقال ابن عدي : لعل البلاء في هذا الحديث
من الفضل ، لا من شعبة ؛ لأن له أحاديث منكرة ، وكذا ما يرويه بعض من
لا يعرف في علم الحديث ؛ لا وضوء من طعام أحله الله . وهذا لا يعرف .
فلا يلتفت إليه .

وذهب الى القول ؛ بانتقاص الوضوء بأكل لحم الابل ، كذهب الامام أحمد
الامام اسحق ابن راهويه ، ويحيى بن يحيى ، وابن المنذر ، وابن خزيمة ، واختاره الحافظ
أبو بكر البيهقي ، وحكي عن أصحاب الحديث مطلقاً ، وعن جماعة من الصحابة
وهو أقوى دليلاً من مقابله .

وقد احتج من لم يقل بالنقض بأنه منسوخ بحديث جابر المتقدم : كان آخر
الامر من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما مست النار . ولا يخفى ما فيه ، فانه عام ،
وحديث الوضوء من لحوم الابل خاص ، والخاص مقدم على العام . وفي إجابته
ﷺ : الوضوء من لحوم الابل دون لحوم الغنم ، ما يرد زعم الزاعم النسخ ، فانه
صحيح صريح لا يحتمل التأويل . وبالله التوفيق .

الحديث الخامس عشر

٣٠ - ثنا سفيان ، ثنا ابن المكندر ، قال : سمعت جابراً يقول :

جاء رسول الله ﷺ رجل من الأعراب ، فأسلم ، فبايعه على
الهجرة ، فلم يلبث أن حم ، جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ،
فقال : أقلي . فقال : لا أقيلك ، ثم أتاه فقال : أقلي . قال :

لا أقيلك ، ثم أتاه فقال : أقلني . قال : لا أقيلك ، ففَرَ ، فقال
النبي صلى الله عليه وسلم : المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيها .

قال رضي الله عنه (ثنا سفيان) بن عيينة (ثنا) محمد (بن المنكدر
قال : سمعت جابراً) رضي الله عنه (يقول : جاء الى رسول الله ﷺ رجل من
الاعراب) لم أر من نبه على اسمه ، وبيض ابن البلقيني له في محلين من كتابه في
«الافهام لما في البخاري من الابهام» (فاسلم) ذلك الاعرابي (فبايعه) النبي ﷺ
(على الهجرة) ، وفي لفظ في «الصحيحين» ، وغيرها ، فبايعه على الاسلام (فلم
يلبث) ، أي لم يبطئ . ولم يتأخر ، يقال : لبث يلبث لبثاً بسكون الموحدة ، وقد
تفتح قليلاً على القياس . وقيل : اللبث بالسكون ، الاسم ، وبالضم : المصدر (أن
حم) ، أي اعترته الحمى ، وفي رواية في «الصحيحين» : فأصاب الأعرابي وعك
بالمدينة ، والوعك : الحمى ، وقيل : أولها ، يقال : وعكه المرض وعكا فهو موعوك ،
كما في «النهاية» .

وفي رواية في «الصحيحين» ، أيضاً ، فجاء من الغد محموا (جاء) الاعرابي
بعد أن حم (الى النبي ﷺ فقال :) له (أقلني) من الهجرة التي بايعتك عليها
(فقال) له النبي ﷺ (لا أقيلك) منها ، (ثم أتاه) الاعرابي ثانياً ، (فقال :
أقلني . قال : لا أقيلك ، ثم أتاه) ثالثاً (فقال : أقلني . قال :) ﷺ (لا أقيلك) .
الاقالة : ابطال ما عاقد وبايع عليه ، قال ابن سيدة : الاقالة في البيع : نقضه
وإبطاله ، وقال ابن فارس : معنى الاقالة : انك رددت ما أخذت منه ، ورد عليك
ما أخذ منك والأفصح : أقاله إقالة ، ويقال : قاله ، بغير الف ، حكاه أبو عبيد ،
وابن القطاع ، والفواد ، وقطرب ، قال : وأهل الحجاز يقولون : قلته ، فهو
مقبول ومقبل ، وهو أجود ، ذكره في «المطلع» ، وحكى اللغتين في

« القاموس » وقال : أقلته ، فسخته . واستقاله ؛ طلب اليه أن يقله ، وأقال الله عثرتك وأقالها .

قال في السيرة الشامية المسماة بـ « سبل الهدى والرشاد » : المراد بالاقالة هنا ، الاقالة من الاسلام ، وقيل : من الهجرة ، وإلا لكان صار مرتداً وساغ قتله . ولفظ « الصحيحين » : فقال : أقلني يبيعتي ، فأبى ، ثم جاء فأبى ، ثم جاء فقال : أقلني يبيعتي فأبى (ففر) ، أي هرب . ولفظ « الصحيحين » : فخرج الأعرابي (فقال النبي ﷺ : المدينة) يعني مدينته ﷺ ، وصار هذا الاسم علماً عليها ، ولفظ « الصحيحين » : إما المدينة (كالكير) بكسر الكاف وسكون التحتية ، وفيه لغة أخرى ؛ كور بضم الكاف ، والمشهور بين الناس أنه الزق الذي ينفخ فيه ، لكن أكثر أهل اللغة قالوا : ان المراد بالكير : كانون الحداد والصائع ، وقيل : الكير هو الزق ، والكانون هو الكور . هكذا في « سبل الهدى » .

وقال في « النهاية » : الكير بالكسر : كير الحداد ، وهو المبني من الطين ، وقيل : الزق الذي ينفخ به النار ، والمبني : الكور (تنفي) بقاء مخففة ، وروي بقاف مشددة من التنقية (حبها) بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة والشاء المثلثة . وروي بضم الخاء وسكون الموحدة ؛ هو خلاف الطيب ، والمراد هنا ؛ مالا يليق بها ، ولا يصلح لسكنائها (وينصع) بنون وصاد مهملتين وعين ، أي يخلص ويتميز (طيبها) بفتح الطاء المهملة ، وتشديد الباء المثناة التحتية ، وفتح الموحدة ، وبكسر الطاء وسكون التحتية . والنصوع الخلوص ، والمعنى : ان المدينة اذا نفت الخبث ، تميز الطيب واستقر بها . وروي الاكثر طيبها بالنصب على المفعولية على وجهي تشديد التحتية وتخفيفها ، وبالناء الفوقانية . وفي بعض روايات « الصحيح » ينصع بالتحثانية ، كرواية الامام ، ورفع طيبها على الفاعلية ، بل هذه الرواية هي التي عليها المعول ، وان كانت الاخرى صحيحة .

قال القاضي عياض : كان هذا مختص بزمانه ، لأنه لم يكن يصبر على الهجرة والمقام معه بها الا من ثبت إيمانه . قال النووي : ليس هذا بظاهر ؛ لان عند مسلم : « لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد » وهذا والله أعلم زمن الدجال .

قال الحافظ ابن حجر : ويحتمل أن يكون المراد كلاً من الزمنين ، وكان الامر في حياته ﷺ للسبب المذكور ، ويؤيده قصة الاعرابي حيث استقاله ، فانه ﷺ ذكر هذا الحديث معللاً به خروج الاعرابي وسؤاله الاقالة عن البيعة ، ثم يكون ذلك في آخر الزمان عندما ينزل الدجال السبخة ؛ فترجف بأهلها ، فلا يبقى منافق ولا كافر إلا خرج اليه .

قال السيد : قد أبعد الله عنها أرباب الخبث الكامل ، وهم الكفار ، وأما غيرهم فقد يكون إبعاده إن مات بها بنقل الملائكة ، أشار اليه بعض العلماء ، أو المراد أهل الخبث الكامل فقط ، وهم أهل الشقاء لعدم قبولهم الشفاعة ، أو المراد فيما عدا قصة الاعرابي والدجال أنها تخلص النفوس من شرها وظلمات ذنوبها بما فيها من اللاؤاء أو المشقات ومضاعفة المثوبات ؛ إذ الحسنات يذهبن السيئات ، أو المراد من كان في قلبه خبث وفساد ميزته عن القلوب الصادقة ، وأظهرت ما يخفى من عقيدتهم كما هو مشاهد بها ، ويؤيده قوله ﷺ عند رجوع المنافقين في غزوة أحد : « المدينة كالكير » . ولفظ « الصحيحين » والترمذي من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه ، قال : قال النبي ﷺ : « إنما طيبة تنفي الرجال كما ينفي الكير خبث الحديد » .

قال في « سبل الهدى » : والذي يظهر لي أنها تنفي خبثها بالمعاني الاربعة ، وفي حديث عن جابر ، وأبي هريرة وغيرهما عند الامام أحمد وغيره وفي آخره : « والذي نفسي بيده لا يخرج أحد منهم رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه »

(١) لفظ « الصحيحين » المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد .

ألا ان المدينة كالكير يخرج الخبث ، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما
ينفي الكير خبث الحديد .

قال بعض العلماء : المراد به الخارجون من المدينة رغبة عنها كارهين لها ، وأما
من خرج لحاجة و تجارة أو جهاد أو نحو ذلك ؛ فليس بداخل في معنى الحديث .
وفي الحديث دليل على فضل المدينة النبوية ؛ لنفيها أهل الخبث وعدم
قبولها لهم .

وفي فضائلها عدة أحاديث في أنواع من الفضائل والمناقب ؛ ففي « مسلم »
عن أبي سعيد مولى المهدي : أنهم أصابهم بالمدينة جهد وشدة ، وأنه أتى أبا سعيد
فقال له : إني كثير العيال ، وقد أصابتنا شدة ، فأردت أن أنقل عيالي الى بعض
الريف فقال أبو سعيد رضي الله عنه : لا تفعل ، الزم المدينة . الحديث .

وفيه أنه ﷺ قال : اللهم إن ابراهيم حرم مكة فجعلها حراماً ، وإني
حرمت المدينة فجعلتها ^(١) حراماً ما بين مأزمها : أن لا يهراق فيها دم ، ولا يحمل
فيها سلاح ، لقتال ، ولا تجبط فيها شجرة إلا لعلف ، اللهم بارك لنا في مدينتنا ،
اللهم بارك لنا في صاعنا ، اللهم بارك لنا في مدنا ، اللهم اجعل مع البركة بركتين «
ثم قال ﷺ : « والذي نفسي بيده ما من المدينة شعب ولا نقب ، الا عليه
ملكاً يحرسانها » . الحديث .

وفي رواية : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يصبر أحد على لأوائها ،
يعني المدينة ، إلا كنت له شفيماً أو شهيداً يوم القيامة ، إذا كان مسلماً ، ولا يريد
أحد أهل المدينة بسوء ، إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص ، أو ذوب
الملح في الماء » .

(١) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها .

وفي « مسلم » عن زيد بن ثابت رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
« إنها ، أي المدينة طيبة تنفي الذنوب ، كما تنفي النار خبث الفضة » . رواه
البخاري أيضاً ، واللفظ له .

وفي « موطأ الإمام مالك » .. و « صحيح البخاري » .. عن أم المؤمنين
حفصة بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنها ، قالت : قال عمر رضي
الله عنه : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك ، فقلت :
أتى يكون هذا ؟ قال : يأتيني به الله إذا شاء .

وروى الامام أحمد والشيخان عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما قدم
رسول الله ﷺ وعك أبو بكر وبلال وفي لفظ : قدمها وهي أوبأ أرض من
الحمى ، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم ، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ .
قالت : فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موابيا أبي بكر في بيت واحد ،
فاستأذنت رسول الله ﷺ في عيادتهم ، فأذن لي ، فدخلت اليهم أعودهم ، وذلك
قبل أن يضرب علينا الحجاب ، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك ، فدنوت من
أبي بكر فقلت : كيف تجددك يا أبت ، فقال :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله
قالت : فقلت : والله ما يدري أبي ما يقول ، ثم دنوت الى عامر بن فهيرة
فقلت : كيف تجددك يا عامر ؟ فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه
كل امرئ مجاهد بطوقه .

فقلت : والله ما يدري عامر ما يقول . قالت : وكان بلال اذا أدر كتفه
الحمى اضطجع بفناء البيت ثم يرفع عقيرته ويقول :
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه بحنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة : فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته وقلت : إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى ، فنظر الى السماء وقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم وصحبها ، وبارك لنا في مدنها وصاعها ، وانقل حماتها فاجعلها بالجنة » . وزاد في رواية بعد بقي بلال من قوله : « اللهم العن شيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأمية بن خاف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء .

وفي « الصحيحين » وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وغيره من الصحابة رضي الله عنهم ، أن رسول الله ﷺ قال : « على ألقاب المدينة ملائكة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » .

وفي « الصحيحين » وغيرهما من حديث أبي هريرة وغيره من الصحابة رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام » . وفي لفظ « خير » وفي آخر : « فان رسول الله ﷺ آخر الأنبياء ، وإن مسجده آخر المساجد » وفي آخر أنه ﷺ قال : « فاني آخر الانبياء ، وإن مسجدي آخر المساجد » .

وفي « الصحيحين » أيضاً من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » . وفيها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « ما بين منبري وبيتني روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي » . وقد وقع في رواية ابن عساكر : « ما بين قبري » بدل « بيتي » قال في « الفتح » وهو خطأ ، ثم قال : نعم وقع في حديث سعد بن أبي وقاص عند البزار بسند رجاله ثقات ، وعند الطبراني من حديث ابن عمر بلفظ : « القبر » فعلى هذا المراد بالبيت أحد بيوته لا كلها ، وهو

بيت عائشة - رضي الله عنها - الذي صار فيه قبره . وقد ورد الحديث بلفظ :
« ما بين المنبر وبيت عائشة روضة من رياض الجنة » . أخرجه الطبراني في
« الأوسط » والمراد أنه كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول
السعادة ، بما يحصل من ملازمة خلق الذكر والقرآن ، ولا سيما في عهده عليه
الصلاة والسلام ، والأظهر أنه على ظاهره حقيقة ، بأن ينقل ذلك الموضع بعينه
في الآخرة الى الجنة . وسيأتي ذكر ذلك ، في آخر الثلاثيات ، والله الموفق .

الحديث السادس عشر

٣١ - ثنا سفيان ، قال : سمع ابن المكندر جابراً يقول :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو جاء مال البحرين لقد
أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا ، فلما جاء مال البحرين بعد
وفاة رسول الله ﷺ . قال أبو بكر : من كان له عند رسول
الله ﷺ دين أو عدة ؛ فليأتنا . قال : فجئت ، فقلت : إن
رسول الله ﷺ قال :

لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا ثلاثاً .
قال : فخذ ، قال : فأخذت . قال بعض من سمعه : فوجدتها
خمسمائة ، ثم أتيتهم فلم يعطني ، ثم أتيتهم الثالثة فلم يعطني . قلت :

إما أن تعطيني ، وإما أن تبخل عني . قال : أقلت : تبخل عني ،
أقلت : تبخل عني ؛ وأي داء أدوا من البخل ؛ ما سألتني مرة
إلا وأردت أن أعطيك .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) ابن عيينة (قال :) أي سفيان (سمع)
محمد (ابن المنكر جابراً) رضي الله عنه (يقول : قال رسول الله ﷺ) لي
(لو) كلمة يؤتى بها للربط لتعليق ماضٍ بماضٍ ، كقولك : لو زرتني لأكرمك .
وقوله ﷺ : (جاء مال البحرين لقد أعطيتك) ضمير الخطاب لجابر رضي الله
عنه ، ولهذا لم تجزم لو إذا دخلت على مضارع ، لأن « لو » وضع للماضي لفظاً
ومعنى ، ، كقولك : لو يزورني زيد لأكرمه ؛ فهي في الشرط نظير إن في الربط
بين الجملتين ، لا في العمل ولا في الاستقبال . وأنكر تاج الدين الكندي كون
« لو » حرف شرط ، وغلط الزمخشري في عدها في أدوات الشرط .

قال الاندلسي في « شرح المفصل » فحكيت ذلك لشيخنا أبي البقاء ،
فقال : غلط تاج الدين في هذا ، فإن لو تربط شيئاً بشيء كما تفعل إن .

قال الامام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » : النزاع لفظي ، فإن أريد
بالشرط الربط المعنوي الحكمي ؛ فالصواب ما قاله أبو البقاء والزمخشري ، وإن
أريد بالشرط ما يعمل في الجزئين فليست من أدوات الشرط ، والبحرين . بلفظ
التثنية : بلاد معروفة باليمن ، وهو عمل فيه مدن بها متاجر .

قال في « شرح مشارق الانوار » والبحرين موضع معروف ، يسلك اليه
من البصرة ، وكان هذا الحامل لبعض المؤرخين . على قوله : هو ناحية من
البصرة ، بها مغاص الأولو .

وقال الجوهري في « صحاحه » : البحرين بلد ، والنسبة اليها بحراني .
 وقال الأزهري : إنما سمي البحرين ؛ لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الأحساء
 وقرى هجر ، بينها وبين البحر الأعظم الأخضر عشرة فراسخ ، وقدرت البحيرة
 ثلاثة أميال في مثلها ، ولا يفيض ماؤها وهو راكد زعاق^(١) ، وهذه النواحي كلها
 بلاد العرب ، وهي وراء البصرة ، تتصل بأطراف الحجاز ، وهي على ساحل
 البحر المتصل باليمن والهند ، بالقرب من جزيرة قيس بن عمية ، وهي التي تسميها
 العامة : كبش ، ومن قرى البحرين جنابة : بفتح الجيم وتشديد النون ، فألف
 فوحدة ، فهاء تأنيث : بلدة من أعمال فارس ، متصلة بالبحرين عند سيراف ، ومنها
 نبع أول القرامطة ، ومن قرى : البحرين الأحساء ؛ بفتح الهمة وسكون
 الحاء المهمل ، وبعدها سين مهمل ، ثم همزة ممدودة ، وهي كورة في تلك الناحية ،
 فيها بلاد كثيرة ، منها جنابة المذكورة ، وهجر ، والقطيف ، وكان بدو القرامطة
 سنة ست وثمانين ومائتين ، فظهر أبو سعيد الجنابي بالبحرين ، واجتمع اليه جماعة
 من الأعراب والقرامطة وقوي أمره ، فقتل من حوله من أهل تلك القرى ،
 وقربوا من نواحي البصرة ، فجهز اليهم الخليفة المعتضد بالله جيشاً يقاتلهم ،
 مقدمهم العباس بن عمرو الفنوي ، فتواقموا وقعة شديدة ، فانهزم أصحاب العباس
 وأسروا ، وذلك سنة سبع وثمانين ومائتين بالبصرة والبحرين ، وقتل أبو سعيد
 الأسرى وأحرقهم ، واستبقى العباس ثم أطلقه بعد أيام ، وقال له : امض الى
 صاحبك وعرفه مارأيت ، فدخل بغداد وحضر بين يدي الخليفة المعتضد ، فخلع
 عليه . ثم إن القرامطة دخلوا بلاد الشام في سنة تسع وثمانين ومائتين ، وجرت
 بين الطائفتين وقعات يطول شرحها ، ثم قتل أبو سعيد المذكور في سنة إحدى
 وثلاثمائة ، قتله خادم له في الحمام ، وقام مقامه ولده أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد
 ولما قتل أبو سعيد كان قد استولى على هجر والقطيف وسائر بلاد البحرين ، ومنها

(١) الزعاق ، كفراب : الماء المر الغليظ لا يطاق شربه .

قصد أبو طاهر وعسكره البصرة وملكوها بغير قتال ، بل صدوا اليها ليلاً
بسلام الشعر ، فلما حصلوا بها وأحسوا بهم ، ثاروا اليهم فقتلوا متولي البلد ،
ووضعوا السيف في الناس فهربوا منهم ، وأقام أبو طاهر ستة عشر يوماً يحمل
منها الاموال ، ثم عاد الى بلده ، ولم يزلوا يعيشون في الارض ويكثرون في البلاد
الفساد من القتل والسي والنهب والحريق الى سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، فخرج
الناس وسلموا في طريقهم ، ثم وافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية ، فهبوا
أموال الحجاج وقتلوه حتى في المسجد الحرام ، وقلع الحجر الاسود وأنفذه الى
هجر ؛ فخرج اليه أمير مكة في جماعة من الاشراف ؛ فقاتلوه فقتلهم أجمعين .
وقلع باب الكعبة وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب ؛ فسقط الرجل فمات ، وطرح القتلى
في بشر زمزم ، ودفن الباقيين في المسجد الحرام من غير كفن ولا غسل ولا صلاة
على أحد منهم ، وأخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه ، ونهب دور أهل مكة ،
فلما بلغ ذلك المهدي عبيد الله صاحب افريقية جد الفاطميين الذين ملكوا مصر
بعد ذلك ؛ كتب اليه ينكر عليه ويلومه ويلعنه ، ويقول له : حققت على شيعتنا
ودعاة دولتنا الكفر واسم الاتحاد لما قد فعلت ، وان لم ترد على أهل مكة وعلى
الحجاج ما أخذت منهم ، وترد الحجر الاسود الى مكانه ، وترد كسوة البيت ،
وإلا فانا برئ منك في الدنيا والآخرة ، فلما وصله الكتاب أعاد الحجر وما أمكنه
من أموال أهل مكة . وقال : أخذناه بأمرٍ وردناه بأمر ، وكان قد بذل في رده
خمسين الف دينار ، فلم يردوه وردوه بأمر عبيد الله المهدي مجاناً ، وذكروا أنه
تفسخ تحته ثلاث جمال قوية من ثقله ، ولما ردوه أعادوه على جمل واحد ضعيف
فوصل به سالماً ، ولما أرادوا رده حملوه الى الكوفة وعلقوه بحامعها حتى رآه
الناس ، ثم حملوه الى مكة وكان مكثه عندهم اثنين وعشرين سنة .

ولفظ «الصحيحين» لو قد جاء مال البحرين ؛ لقد أعطيتك (هكذا وهكذا وهكذا) يبسط يديه ﷺ ثلاث مرات .

(قال) جابر رضي الله عنه (فلما جاء مال البحرين) من قبل العلاء ابن الحضرمي - بكسر القاف - أي من جهته . والعلاء بالمد ، وابن الحضرمي عبد الله ، كان عاملاً لرسول الله ﷺ على البحرين ، وأقره الشيخان : أبو بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، عليها ؛ إلى أن مات سنة أربع عشرة (بعد وفاة رسول الله ﷺ) متعلق بجاء . ولفظ «الصحيحين» فقبض النبي ﷺ قبل أن يحمي مال البحرين ، فقدم على أبي بكر رضي الله عنه بعده (قال أبو بكر) وفي لفظ في «الصحيحين» : فأمر ، أي أبو بكر رضي الله عنه منادياً فنادى : (من كان له عند رسول الله ﷺ) (دين أو عِدَّة) من الوعد والوعيد ، فالوعد يستعمل في الخير والشر . يقال : وعدته خيراً ؛ ووعدته شراً ، فإذا أسقطوا الخير والشر ؛ قالوا في الخير : الوعد والعدة ، وفي الشر : الإبعاد والوعيد ، وقد أوعده يوعده (فليأتنا) لنقضي دينه الذي كان له على رسول الله ﷺ ، ولنوفي بعِدَّة النبي ﷺ التي كان قد وعده بها .

(قال) جابر رضي الله عنه (فجئت فقلت) لأبي بكر رضي الله عنه : (ان رسول الله ﷺ قال) لي : (لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا) وقال بيديه جميعاً (ثلاثاً . قال) أبو بكر رضي الله عنه : (فخذ) ولم يسأل الصديق رضي الله عنه جابراً البينة على ما ادعاه على رسول الله ﷺ من العدة ؛ لأنه لم يكن شيئاً ادعاه في ذمة رسول الله ﷺ ، وإنما ادعاه شيئاً من بيت المال ، والفبيء ذلك موكل إلى اجتهاد الامام .

قال الكرماني : الوعد كالشهادة على نفسه . قال المهلب : انجاز الوعد مأثور به ، مندوب إليه عند الجميع ، وليس بفرض لا تقاومهم ؛ على أن الموعد

لا يضرب له بما وعده مع الغرماء ، ولا خلاف في ذلك . أنه مستحسن ، وقد أثنى الله تعالى على من صدق وعده ووفى بوعده ، وذلك من مكارم الأخلاق .

ولما كان الشارع ﷺ أمر الناس بها ، وندبهم إليها ؛ أدى ذلك عنه خليفته الصديق ، وقام فيه مقامه . ومذهب مالك : إن ارتبط الوعد بسبب ؛ وجب الوفاء به ، وإلا فلا . فمن قال لآخر : تزوج ولك كذا ، فتزوج لذلك ؛ وجب الوفاء به ، وكذا : إحلف لا تشتمني ، ولك كذا .

وفي « الفروع » : لا يلزم الوفاء بالوعد ، نص عليه الامام أحمد ، وفاقا لأبي حنيفة والشافعي ، إلا أنه يحرم بلا استثناء ؛ لقوله تعالى : « ولا تقولن شيئا » (١) الآية ؛ ولأنه في معنى الهبة قبل القبض . قال : وذكر شيخنا ، يعني شيخ الاسلام ابن تيمية وجهاً : يلزم ، واختاره . قال : ويتوجه أنه رواية من تأجيل العارية والصلح عن عوض المتلف بمؤجل ، ولما قيل للامام أحمد : بم يعرف الكذابون ؟ قال : بخلف المواعيد ، وهذا متجه ، وقاله من الفقهاء ابن شبرمة .

وقال ابن العربي المالكي : أجل من قاله عمر بن عبد العزيز ؛ لقوله تعالى : « كبر مقتا » (١) الآية ، ولخبر « آية المنافق ثلاث : إذا وعد أخلف » الحديث . متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وحسباً على وعد واجب ، ولما روى ابو نعيم في « الحلية » من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « العدة عطية » قال في « الفروع » : إسناده حسن . وفي « أوسط الطبراني » من حديث علي وابن مسعود رضي الله عنها مرفوعاً : « العدة دين »

(١) سورة الكهف ، الآية : ٢٣ ، والاية بتمامها « ولا تقولن شيئا اني فاعل ذلك غداً الا أن يشاء الله » .

(١) سورة الصف ، الآية : ٣ والاية بتمامها « كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون »

في إسناده جهالة . وروى ابن عساكر ، والديلي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً
«العدة دين، ويل لمن وعد ثم أخلف، ويل لمن وعد ثم أخلف، ويل لمن وعد ثم خلف،
في إسناده ضعف : وذكر أبو مسعود الدمشقي ، والبرقاني أن مسلماً روى : « ولا يعد
الرجل صلته ثم يخلفه » . ورواه ابن ماجه من حديث ابن مسعود بإسناد حسن : « ثم
لا يفي له ؛ فإن الكذب يهدي الى الفجور » وفيه : « والسميد من وعظ بغيره »
وفي سنده عبيد بن ميمون ، روى عنه غير واحد ، ووثقه ابن حبان ، وقال
أبو حاتم : مجهول .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : « لا تمار أخاك ولا تمارجه ،
ولا تعده ثم تخلفه » . رواه الترمذي وغيره ، وقال : غريب . وروى أبو داود ،
والترمذي من حديث ابن أرقم رضي الله عنه مرفوعاً : « اذا وعد الرجل أخاه
ومن نيته أن يفي فلم يفي ، ولم يجيء له العمد ؛ فلا إثم عليه » . قال الترمذي : غريب
وقال غيره : إسناده ليس بالقوي .

(قال) جابر رضي الله عنه : (فأخذت) مائة (قال بعض من سمعه) :
فعدتها (فوجدتها) أي تلك الأخذة (خمسمائة) درهم .

وفي لفظ في « الصحيحين » : « فحسني أبو بكر مرة ثم قال لي : عدها ،
فعدتها ، فإذا هي خمسمائة ، فقال : خذ مثلها » . وفي بعض ألفاظ البخاري :
« فعد في يدي خمسمائة ، ثم خمسمائة ، ثم خمسمائة » . وفي بعض طرق البخاري ؛
كما في لفظ الامام هنا : (ثم أتيت) - أي أبا بكر بعد أن أعطاني الحفنة الاولى ،
وقدرها خمسمائة - ثانياً (فلم يعطيني ثم أتيت) المرة (الثالثة فلم يعطيني) .

(قلت) له بعد مجيء المرة الثالثة ولم يعطيني : (إما أن تعطيني) كمال عدتي
(وإما أن تبخل عني) بأن تقول : لا أعطيك بعد المرة الأولى شيئاً فستريحني من
تعليق أملي بالشيء ، فإنه أحد الراجحتين . ولفظ البخاري : « فقلت له : قد أتيتك

فلم تعطني ، ثم أتيتك فلم تعطني ، ثم أتيتك فلم تعطني ، فاما أن تعطيني ، وإما أن تبخل عني . (قال) أبو بكر رضي الله عنه : (أقلت) بالاستفهام الإنكاري (تبخل عني ، أقلت : تبخل عني ؟) كرره مبالغة في الإنكار لما نسبته الى الصديق الأعظم من البخل ، ثم قال أبو بكر رضوان الله عليه : (وأي داء أدوأ من البخل) ولفظ البخاري : « أي داء أدوأ من البخل » قالها ثلاثاً (ما سألتني مرة إلا وأردت أن أعطيك) ولفظ البخاري : « ما منعتك من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك ، أي كمال عدتك ، ولكن أنشغل عنك ، ثم أعطاه عدته ، فكسل له ألفاً وخمسمائة ؛ لأنه لما عد المرة الاولى فوجدها خمسمائة صار باقي العدة معلوماً . وفي إنكار الصديق الأعظم نسبة البخل اليه مع قوله : « أي داء أدوأ من البخل » أي لا داء أدوأ منه ، يريد التنفير عنه . والتحذير منه .

والبخل مقابل للوجود ، والشح مقابل للسخاء . قال ابن عقيل : البخل يورث التمسك بالوجود ، والمنع من اخراجه لآلم يجده ، والشح يفوت النفس كل لذة ، ويجرعها كل غصة . انتهى .

وظاهر كلام أبي بكر الآجري والقاضي أبي يعلى ، أن البخل والشح مترادفان ، وقد ورد في الحديث : أن الشح يحمل على البخل ، عن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنها^(١) قال : « خطب رسول الله ﷺ ، فقال : إياكم والشح ، إنما أهلك من كان قبلكم الشح ، أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا » . رواه الامام أحمد ، وأبو داود والنسائي والحاكم .

قال الخطابي : الشح أعم من البخل ، فكان الشح جنس ، والبخل نوع . قال المناوي : الشح قلة الافضال بالمسال ، فهو رديف البخل أو أشده .

(١) في الاصل عبد الله بن عمرو بن العاص ، والتصحيح من « الترغيب والترهيب »

وفي « آداب ابن مفلح » : أكثر ما يقال : البخل في افراد الأمور ،
والشح عام كالوصف اللازم وما هو من قبل الطبع . قال النووي : الشح أشد
من البخل وأبلغ في المنع من البخل . وقيل : هو البخل مع الحرص . وقيل :
البخل بالمال خاصة ، والشح بالمال والمعروف . وقيل : الشح الحرص على ما ليس
عنده ، والبخل بما عنده .

وفي « آداب ابن مفلح » ما ملخصه : اختلف في تعريف البخل ، فقيل :
من منع الزكاة ، روي ذلك عن ابن عمر ؛ فانه قال : من أدى زكاة ماله
فليس ببخل .

الثاني : من منع الواجبات من الزكاة والنفقة فهو بخل ، فلو أخرج الزكاة
فقط كان بخيلاً .

الثالث : الواجبات والمكرمات ، فلو أدخل بالثاني كان بخيلاً ، وهذا قول
أبي بكر من علمائنا ، وحكاه عن القاضي . روى أبو بكر عن أنس رضي الله
عنه ، أن النبي ﷺ قال : « برىء من الشح من أدى الزكاة ، وقرى الضيف ،
وأعطى في النائة » فلم ينف عنه وصف الشح إلا عند الأوصاف الثلاثة ، رواه
أبو يعلى الموصلي ، والطبراني ، والحافظ الضياء . قال القاضي أبو يعلى : ولأن
هذا حده في اللغة .

تمة : قد جاء في ذم البخل والشح والتنفير منها ، وفي مدح الجود
والسخاء والحث على الانفاق بهما عدة أحاديث . وقد استعاذ النبي ﷺ من
البخل ؛ كما في مسلم وغيره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي
ﷺ كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل ، وأرذل العمر ،
وعذاب القبر ، وفتنة الحيا والمات » وفي مسلم من حديث جابر رضي الله عنه ،
أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا

الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم . وفي « سنن أبي داود » و « صحيح ابن حبان » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « شر ما في الرجل شح هالع ، وجبن خالع » .

قوله : شح هالع : ، أي مخزن ، والهلع أشد الفزع .
وقوله : و « جبن خالع » الجبن : شدة الخوف وعدم الاقدام ، ومعناه أنه يخلع قلبه من شدة تمكنه منه . وفي « سنن النسائي » و « صحيح ابن حبان » و « الحاكم » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً ، ولا يجتمع شح وإيمان في قلب عبد أبداً » .

وفي « أوسط الطبراني » عن نافع مولى ابن عمر ، قال : سمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً يقول : « الشحيح أعذر من الظالم ، فقال ابن عمر : كذبت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الشحيح لا يدخل الجنة » . وروى الترمذي وقال : غريب من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل » .

الخب بفتح الخاء المعجمة وبكسر ها : هو الخداع الخبيث . وفي « كبير الطبراني » و « الأوسط » وأحد إسناده جيد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : خلق الله الجنة عدن بيده ، ودلى فيها ثمارها ، وشق فيها أنهارها ، ثم نظر اليها فقال لها : « تكلمي » ، فقالت : قد أفلح المؤمنون . فقال : وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل » ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة من حديث أنس رضي الله عنه .

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « ثلاث مهلكات : شح

مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه . الحديث رواه الطبراني في
« الأوسط » .

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه : « ثلاثة يبغضهم الله : الشيخ الزاني ،
والبخيل ، والمتكبر » . رواه ابن حبان في « صحيحه » ، وفي حديث أبي سعيد
الخدري مرفوعاً : خصلتان لا يجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق » رواه
الترمذي وغيره .

وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً : « السخي قريب من الله ، قريب من
الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من
الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار . ولجاهل سخي أحب الى الله من عابد
بخيل » رواه الترمذي . وروي عن أبي هريرة مرفوعاً : « ألا إن كل جواد في
الجنة ، حتم على الله وأنا به كفيل ، ألا وإن كل بخيل في النار ، حتم على الله وأنا
به كفيل » . قالوا يا رسول الله : من الجواد ومن البخيل ؟ قال : الجواد من جاد
بحقوق الله في ماله ، والبخيل من منع حقوق الله وبخل على ربه ، وليس الجواد
من أخذ حراماً وأنفق إسرافاً . رواه الاصبهاني في « الترغيب والترهيب » .

وروى الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « إذا كانت أمراؤكم
خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم ، وأموركم شورى بينكم ؛ فظهر الأرض خير لكم من
بطنها ، وإذا كانت أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم ، وأموركم الى نساءكم ؛
فبطن الأرض خير لكم من ظهرها » .

وروي عن ابن مسعود مرفوعاً : « تجافوا عن ذنب السخي ؛ فإن الله أخذ
بيده ما عثر » . رواه ابن أبي الدنيا ، والاصبهاني .

قال ابن مفلح في أواخر « الآداب » : قيل للاحنف بن قيس : ما الجود ؟

قال : بذل الندي ، وكف الأذى . قيل : فما البخل ؟ قال : طلب اليسير ،
ومنع القليل .

وسئل الحسن عن البخل ، فقال : هو أن يرى الرجل ما ينفقّه تلفاً ،
وما يحسكه شرفاً .

قال أبو العتاهية :

وان امرء لم يرتج الناس نفعه ولم يأمنوا منه الأذى للثم
وان امرء لم يجعل البر كنزه ولو كانت الدنيا له لعميم
وبالله التوفيق .

الحديث السابع عشر

٣٢ - ثنا سفيان ، قال عمرو : سمعت جابراً يقول :

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل نكحت ؟ قلت :
نعم ، قال : أبكراً أم ثيباً ؟ قلت : ثيب ، قال : فهلاً بكراً
تلاعبها وتلاعبك ؟ قلت : يارسول الله ! قتل أبي يوم أحد ،
وترك تسع بنات ، فكرهت أن أجمع إليهن خرقاء مثلهن ، ولكن
امراًة تمشطهن وتقيم عليهن . قال : أصبت .

قال رضي الله عنه لم (ثنا سفيان) ابن عيينة (قال عمرو) ابن دينار
تقدمت ترجمته في الحديث الحادي عشر من أحاديث ابن عمر رضي الله عنهما
(سمعت جابراً) رضي الله عنه (يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل

نكحت؟) أي تزوجت يا جابر (قلت: نعم) نكحت (قال: أبكراً أم ثيباً) أي نكحت
 بكراً أم ثيباً (قلت: ثيب) كذا بالرفع خبر مبتدأ محذوف تقديره التي تزوجتها
 ثيب، هكذا وقع عند الامام أحمد، وكذا عند مسلم من طريق عطاء عن جابر،
 ووقع في «الصحيحين» من طريق شعبة عن محارب عن جابر رضي الله عنه
 قال: قال لي رسول الله ﷺ: ما تزوجت؟ قلت: تزوجت، وفي لفظ عندهما:
 هل تزوجت؟ قلت: نعم. قال: أبكراً أم ثيباً؟ قلت: «ثيباً» بالنصب
 بفعل محذوف تقديره تزوجت ثيباً كما هو موجود في بعض روايات البخاري،
 بهذا اللفظ: تزوجت ثيباً، وفي لفظ في «مسلم» عن عمرو بن دينار عن جابر ابن
 عبد الله رضي الله عنهما أن عبد الله «هلك» أي مات، يعني استشهد يوم أحد
 وترك تسع بنات، أو قال سبعة، فتزوجت امرأة ثيباً، فقال لي رسول الله ﷺ:
 يا جابر تزوجت؟ قال: قلت: نعم، قال: يبكر أم ثيب؟ قال: قلت: بل ثيب
 (قال) ﷺ: (فهلاً) تزوجت جارية (بكراً)، وفي رواية: أفلا جارية
 بالنصب (تلاعبها وتلاعبك) زاد في رواية في «الصحيحين»: وتضاحكها
 وتضاحكك، وفي بعض روايات «مسلم»: تضاحكك وتضاحكها وتلاعبك
 وتلاعبها، وهو مما يؤيد أنه من اللعب، ووقع عند الطبراني من حديث بن عجرة
 وفيه: وتعضها وتعضك، ووقع في رواية لأبي عبيد: تداعبها وتداعبك «بالذال
 المعجمة بدل اللام كذا في «فتح الباري»، قلت: والذي يظهر أنه بالذال المهملة
 من المداعبة وهي المازحة والملاعبة، يقال: داعبه مازحه كما في القاموس،
 وداعب لاعب، وأما بالذال المعجمة فيقال: تدعبته الجن: أفزعته، واندعب الماء:
 سال واتصل جريانه، قال في «المطالع»: المداعبة الملاعبة، كما جاء في الحديث
 تلاعبها وتداعبها، والدعابة المزح، ووقع في رواية محارب بن ثثار عن جابر كما
 في الصحيحين: «مالك وللعذارى؟» ولفظ مسلم: «فأين أنت من العذارى

ولعابها « فضبط للاكثر بكسر اللام، وهو مصدر من الملاعبة يقال : لاعب لاعبا وملاعبة ، مثل قاتل قتالا^(١) ومقاتلة ، ووقع في رواية المستملي « بضم اللام » والمراد به الريق ، وفيه اشارة الى مص لسانها ، ورشف شفقتها ، وذلك يقع عند الملاعبة والتقبيل ، وليس هو بيبعد كما قال القرطبي . ويؤيد أنه معنى آخر غير المعنى الأول قول شعبية : انه عرض ذلك على عمرو بن دينار ، فقال اللفظ الموافق للجاعة ، وفي رواية مسلم التلويع بانكار عمرو رواية محارب بهذا اللفظ ، ولفظه : انما قال جابر تلاعبها وتلاعبك ، فلو كانت الروايتان متحدتين في المعنى لما أنكر عمرو ذلك ، لأنه كان ممن يحيز الرواية بالمعنى (قلت : يا رسول الله قتل أبي) شهيداً (يوم) غزوة (أحد) وكانت في الثالثة من الهجرة (وترك تسع بنات) وفي رواية : وترك سبع بنات ، أو تسع بنات وهي في « الصحيحين » (فكرهت أن أجمع اليهن) جارية (خرقاء) « بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء بعدها قاف » وهي التي لا تحسن العمل بيدها ، وهي تأنيث الأخرق وهو الجاهل بمصلحة نفسه وغيره ، وقيل : الذي لا رفق له ولا سياسة عنده (مثلهن) لأنهن لا يحسن العمل (ولكن) تزوجت (امرأة) ثيبا (تمسطن) أي تسرح شعورهن (وتقيم عليهن) وفي لفظ : تقوم عليهن ، أي في غير ذلك من مصالحهن وهو من العام بعد الخاص (قال) صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه (أصبت) أي بتزويجك امرأة ثيبا قد احتنكت الأمور ومارست الخدمة ، لتقوم على مصالح اخواتك وتجمعهن .

قال في « الفتح » : ولم أقف على تسميتهن ، وأما امرأة جابر المذكورة فاسمها : « سهلة بنت مسعود بن أوس بن مالك الأنصارية الأوسية » ذكره ابن سعد .

(١) في الاصل : مقاتلا . ولعله تصحيف من الناسخ .

تفہیمات

الأول : الثيب من النساء من أزيلت بكارتها ، وقد تطلق على البالغة وإن كانت بكرًا مجازاً واتساعاً ، والمراد هنا الأول . والبكر العذراء ، وهي الباقية العذرة ، والعذرة ما للبكر من الالتحام قبل الافتضاخ . فالبكر : التي لم توطأ واستمرت على حالتها الأولى .

الثاني : دل الحديث على فضيلة تزويج البكر على الثيب ، والحث على ذلك ، وقد ورد بأصح من ذلك عند ابن ماجة من طريق عبد الرحمن بن سالم بن عتبة ابن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده بلفظ : « عليكم بالأبكار فانهن أعذب أفواهاً وأنتق أرحاماً ، أي أكثر حركة ، والتقى بنون ومثناة الحركة ، ويقال أيضاً للدمى ، ولعله أراد أنها كثيرة الأولاد . وأخرج الطبراني من حديث ابن مسعود نحوه وزاد : و « ارضى باليسير » ولا يعارضه حديث : « عليكم بالولود » من جهة كونها بكرًا ، فلا يعرف كونها كثيرة الأولاد ، فإن الجواب عن ذلك أن البكر مظنة كونها ولوداً ، فيكون المراد بالولود : إما من هي كثيرة الولادة بالتجربة ، وإما بالمظنة ، وإما من كانت نساؤها كثيرة الولادة ، وإما من جربت فظهرت عقيماً ، وكذا الآيسة ، فالخبران متفقان على مرجوحيتها .

الثالث : يؤخذ من الحديث : أنه إذا تراحت مصلحتان ؛ قدم أهمها ، فإن جابرًا رضي الله عنه قدم مصلحة أخواته لشقيقته عليهن ورحمته لهن على حفظ نفسه وآثرهن على تمام لذته وقضاء وطره ، والنبي ﷺ صوب فعله ، ودعى له لأجل ذلك ، فقال : بارك الله لك ، أصبت .

ويؤخذ منه الدعاء لمن فعل خيراً وإن لم يتعلق بالداعي . وفيه سؤال

الامام أصحابه عن أمورهم وتفقدته أحوالهم ، وإرشاده الى مصالحهم ، وتنبيههم على وجه المصلحة ، ولو كان في باب النكاح وفيما يستحیی من ذكره .
 وفيه مشروعية خدمة المرأة زوجها ، ومن كان منه بسبيل من ولد وأخ وعائلة ، وأنه لا حرج على الرجل في قصده ذلك من امرأته وإن كان ذلك لا يجب عليها ، لكن يؤخذ منه أن العادة جارية بذلك ، فلذلك لم ينكره النبي ﷺ ، قال علماءنا وغيرهم : ليس على المرأة خدمة زوجها في عجن وخبز وطحن وطبخ ونحوه ، نص عليه الامام أحمد لكن الأولى لها فعل ما جرت العادة بقيامها به . وأوجب شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه المعروف من مثلها لمثلها ، وأما خدمة نفسها في ذلك فعلها الا أن يكون مثلها لا تخدم نفسها ، وقال أبو ثور : على الزوجة أن تخدم الزوج في كل شيء . وقال ابن حبيب في «الواضحة» : أن النبي ﷺ حكم على فاطمة عليها السلام بخدمة البيت كلها . وفي الفروع ليس عليها عجن وخبز وطبخ ونحوه ، نص عليه خلافاً للجوزجاني والجوزجاني من أئمة علمائنا وبالله التوفيق .

الحديث الثامن عشر

٣٣ — ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمعه من جابر : كان معاذ يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرجع فيؤمنا . وقال مرة : ثم يرجع فيصلّي بقومه ، فأخر النبي صلى الله عليه وسلم ليلة ، قال مرة الصلاة ، وقال مرة العشاء ، فصلّي معاذ مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء يؤم قومه ، فقرأ البقرة ، فاعتزل

رجل من القوم فصلي ، فقبل له : أنا فقت يافلان ؟ قال : مانافقت :
فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن معاذاً يصلي معك ثم
يرجع إلينا فيؤمنا ، يارسول الله إنما نحن أصحاب نواضح ، ونعمل
بأيدينا ، وإنه جاء يؤمنا فقرأ سورة البقرة ، فقال : يامعاذ ،
أفتان أنت ؟ أفتان أنت ؟ إقرأ بكذا وكذا . قال أبو الزبير :
بسبح اسم ربك الأعلى ، والليل إذا يغشي . فذكرنا لعمر
فقال : أراه قد ذكره :

قال رضي الله عنه (ثنا سفيان) هو ابن عيينة (عن عمرو) هو ابن
دينار (سمعه) أي الحديث الآتي (من جابر) بن عبد الله رضي الله عنها
قال : (كان معاذ) « بالذال المعجمة » بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي
الأنصاري أبو عبد الرحمن ، أسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة ،
وشهد بدرأ والمشاهد كلها ، وهو أحد الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وهم أربعة : معاذ ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ،
وأبو زيد « متفق عليه » . روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : والله يامعاذ
إني أحبك ، قال : والله وأنا أحبك يارسول الله ، قال : فلا تدع أن تقول دبر كل
صلاة : « اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » . مات سيدنا معاذ بن
جبل رضي الله عنه بناحية الأردن في طاعون عمواس ، وعمواس « بفتح العين المهملة والميم »
قرية بين الرملة وبيت المقدس ، نسب الطاعون إليها لأنه أول ما بدا منها ، وكانت
وفاته سنة ثمان عشرة ، وقيل سبع عشرة ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، وقيل

ثلاث ، ورجحه النووي ، وقيل أربع ، وقيل غير ذلك ، وكان قد أرسله عمر رضي الله عنهما على الشام بعد أبي عبيدة بن الجراح « قاله البرماوي » وقبره شرقي غور بيسان قاطع نهر الاردن في السفح وهو مشهور ، وفد زرناء مراراً . وهو أحد السبعة الذين شهدوا العقبة ، وبعشه النبي ﷺ الى اليمن قاضياً ومعلماً ، وجعل اليه قبض الصدقات من العمال الذين في اليمن ، روى عنه عمر وابن عمر ، وابن عباس ، وأنس وغيرهم ، روي له عن رسول الله ﷺ مائة وسبعة وخمسون حديثاً ، اتفق الشيخان على حديثين ، وانفرد البخاري بثلاثة ، ومسلم بحديث . ومن مناجاته في الليل اذا تهجد : « اللهم قد نامت العيون ، وغارت النجوم ، وأنت حي قيوم ، اللهم طلي الجنة بطيء وهرابي من النار ضعيف ، اللهم اجعل لي عندك هدى تؤده الي يوم القيامة ، انك لا تخلف الميعاد » . وهو سيد الفقهاء ، فقد قال ﷺ : « أعلم امتي بالحلل والحرام معاذ بن جبل » . رواه أبو نعيم في « الحلية » من حديث أبي سعيد ، ولفظه : « معاذ بن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه » ، وروى الطبراني في « الكبير » ، وأبو نعيم في « الحلية » ، عن محمد بن كعب مرسل ان النبي ﷺ قال : « معاذ بن جبل امام العلماء يوم القيامة برتوة » ، وهي بفتح الراء وسكون المثناة الفوقية ، أي : « رمية سهم » ، وقيل بميل ، وقيل بمد البصر ، وقيل بخطوة ، ، وقيل بدرجة ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه « ان معاذ بن جبل كان أمة قانتا لله حنيفا ، ف قيل له : « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا » فقال : ما نسيت ، هل تدري ما الأمة ؟ وما القانت ؟ الأمة الذي يعلم الناس الخير ، والقانت المطيع ، وكان معاذ بن جبل يعلم الناس الخير ، وكان مطيعاً لله ولرسوله ، وقال شهر بن حوشب : كان أصحاب رسول الله ﷺ اذا تحدثوا وفيهم معاذ ، نظروا اليه همية له .

ومن كلام معاذ رضي الله عنه : اذا صليت ؟ فصل صلاة مودع ، لا تظن

انك تعود اليها . وقال : لاغى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنت الى نصيبك من الآخرة افقر ، فأثر نصيبك من الآخرة ، على نصيبك من الدنيا ، حتى ينتظم لك وتزول به معك ، ايما زلت . وقال : أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء ؛ اذا استورن الذهب ، ولبسن رباط الشام ، وعصب اليمن ، فأتعن الغني ، وكلفن الفقير ما لا يجد .

قال في « صفوة الصفوة » : لما أصيب أبو عبيدة رضي الله عنه ، في طاعون عمواس استخلف معاذ بن جبل رضي الله عنه ، واشتد الوجع ، فقال الناس لمعاذ : ادع الله أن يرفع هذا الرجز عنا . قال : انه ليس برجز ، ولكنه دعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ، وشهادة يختص الله بها من يشاء (يصلي مع رسول الله ﷺ) زاد مسلم من رواية « منصور » عن عمرو بن دينار عشاء الآخرة (ثم يرجع) أي معاذ (فيؤمنا) وفي لفظ فيؤم قومه ، وفي رواية « منصور » المذكورة . فيصلي بهم تلك الصلاة (وقال) جابر رضي الله عنه : (مرة ثم يرجع فيصلي بقومه) وفي رواية : فيصلي بهم الصلاة . أي المذكورة (فأخر النبي ﷺ ليلة ، قال مرة) فأخر (الصلاة وقال مرة) أخرى فأخر (العشاء) أي صلاة العشاء معينا لها .

وفي رواية « الحميدي » عن سفيان بن عيينة : فصلى ليلة مع النبي ﷺ العشاء (فصلى معاذ) رضي الله عنه (مع النبي ﷺ) وفي رواية « الحميدي » عن ابن عيينة : فصلى ليلة مع النبي ﷺ العشاء . كما في معظم الروايات (ثم جاء) معاذ رضي الله عنه (يؤم قومه) بني سلمة . وفي رواية « الحميدي » عن ابن عيينة : ثم يرجع إلى بني سلمة فيصليها بهم ، وقوم معاذ هم « بنو سلمة » منسوبون إلى سلمة - بكسر اللام - بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة - بالسين المهملة والراء والذال المهملة فهما تأنيث بن يزيد^(١) بفتح المثناة فوق ، بن جشم بن الخزرج والنسبة

(١) في الاصابة : يزيد .

اليه ء سلمى بفتح السين المهملة وفتح اللام — قياساً على نظائره ، هرباً من توالي
الكسرات ، وأكثر أصحاب الحديث يكسرون اللام في النسب ، مثلها قبل
النسب . وفي رواية الشافعي ، ثم يرجع فيصليها بقومه في بني سلمة (فقرأ) معاذ
في أول ركعة من صلاته بقومه ، بعد فاتحة الكتاب (البقرة) استدل به على من
يكروه أن يقول: البقرة ، بل يقول سورة البقرة ، أو السورة التي تذكر فيها
البقرة ، لكن في رواية : فقرأ سورة البقرة . كما في « مسلم » وغيره ، وللبخاري
في « الادب » فقرأ بهم البقرة ، واستظهر في « الفتح » أن ذلك من تصرف الرواة ،
والمراد أنه ابتداء في قراءتها ، وبه صرح مسلم ، ولفظه : « فافتتح سورة البقرة »
وفي رواية محارب بن دثار عن جابر : « فقرأ بسورة البقرة أو النساء على الشك »
وللسراج من رواية مسمر عن محارب : « فقرأ البقرة والنساء » بالواو ، فإن كان
مضبوطاً ، احتمل أن يكون : قرأ في الأولى بالبقرة ، وفي الثانية بالنساء ، ووقع
عند الامام أحمد من حديث بريدة ، باسناد قوي : « فقرأ اقتربت الساعة » وهي
شاذة ، إلا أن يحمل على التعدد .

(فاعتزل رجل من القوم) أي انصرف واحد من الرجال ، ووقع في رواية
الاسماعيلي : « فقام رجل فانصرف » وفي رواية : « فتجوز رجل فصلى صلاة
خفيفة » وغالب الروايات ، بل كلها ، إلا النذر منها ، لم يقع فيها تسمية هذا الرجل
نعم روى ابو داود الطيالسي في « مسنده » والبخاري من طريقه ، عن غالب ابن
حبيب ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه قال : « مر حزم بن أبي كعب بمعاذ
ابن جبل . وهو يصلي بقومه صلاة ... القصصة ، فافتتح بسورة طويلة ، ومع حزم
ناضح له ... الحديث » قال البخاري : لا نعلم أحداً سماه عن جابر ، إلا
ابن جابر « انتهى » .

وقد رواه ابو داود في « السنن » من وجه آخر : عن طالب فجعله عن ابن جابر

عن حزم صاحب القصة ، وابن جابر لم يدرك حزما . وزواه ابن لهيعة ، عن أبي الزبير عن جابر فسماه حازما وكأنه صحفه ، وروى الامام أحمد من حديث عن أنس رضي الله عنه قال : كان معاذ يؤم قومه ، فدخل حرام ، وهو يريد أن يسقي نخله... الحديث . وحرام « بالحاء المهملة والراء » بن ملحان خال أنس بن مالك واسم ملحان « بكسر الميم » مالك بن خالد ، هكذا ذكره غير واحد ، ويأتي في الثاني والثلاثين من مسند أنس رضي الله عنه . وفي « الفتح » بعد ذكر حديث أنس عند الامام أحمد ، ظن بعضهم ؛ أنه حرام بن ملحان خال أنس ، وبذلك حزم الخطيب في المبهمات ، قال الحافظ ابن حجر : لكن لم اره منسوبا في الرواية ، ويحتمل أن يكون مصحفا من حزم ، فتجمع الروايات ، كما يرمى اليه صنيع ابن عبد البر ، وقيل اسم الرجل المنصرف ؛ سليم ، كما رواه الامام أحمد . اي ابن الحارث من بني سلمه . ووقع عند ابن حزم ان اسمه سلم « بفتح أوله وسكون اللام » ، وكأنه تصحيف . وقد جمع بعضهم بتعدد القصة ، فان لم نقل بالتعدد ، فأقوى ما تنسب القصة لسليم بن الحارث من بني سلمه . والله أعلم .

وفيه دليل على جواز مفارقة المأموم للامام لعذر ، قال علماءنا : وان أحرم مأموما ، ثم نوى الانفراد لعذر يبيح ترك الجماعة ، كتطويل امام ومرض وغلبة نعاس أو شئ يفسد صلاته ، أو خوف على أهل ، أو مال أو فوات رفقة ، ونحو ذلك ، صح ان استفاد بمفارقتها تعجيل لحوقه لحاجته ؛ قبل فراغ إمامه ، فان كان الامام يعجل ؛ ولا يتميز انفراده عنه بنوع تعجيل لم يحذف ان زال العذر ، وهو في الصلاة ؛ فله الدخول مع الامام ، كما في « الاقناع » وغيره من كتب المذهب .

وكذا استدلل الرافعي من الشافعية في « شرح مسند » الامام الشافعي بالحديث على أن للمأموم أن يقطع القدوة ، ويتم صلاته منفردا ، ونازع النووي في

ذلك ؛ بأنه لا دلالة في الحديث عليه . لأنه جاء مصرحاً ، في روايته عند مسلم
فانحرف رجل ، فسلم ؛ ثم صلى وحده ، وهو ظاهر في أنه قطع الصلاة . لكن
ذكر الامام الحافظ البيهقي ؛ أن محمد بن عباد شيخ مسلم ، تفرد عن ابن عيينة
بقوله « سلم » ، وان الحافظ من أصحاب بن عيينة ، وكذا من أصحاب شيخه
عمرو بن دينار ، وكذا من أصحاب جابر ، لم يذكروا السلام . وكأنه فهم أن
هذه اللفظة ؛ تدل على أن الرجل قطع الصلاة ، لأن السلام يتحلل به من الصلاة ،
وسائر الروايات ؛ تدل على أنه إنما قطع القدوة فقط ، ولم يخرج من الصلاة ، بل
استمر فيها منفرداً ، فهذا يبطل قول النووي ، ان فيه دليلاً على قطع الصلاة من
أصلها ، وابطالها لعذر ، لأنه إنما قطع القدوة بما رضي الله عنه . (فصل) أي أتم
صلاته منفرداً . وعند أبي حنيفة لا يجوز أن ينفرد المأموم بحال ، فإن فعل ؛ بطلت
صلاته ، وفي هذا الحديث ؛ وفي صلاته صلى الله عليه وسلم بهم ركعة في الخوف ،
ثم انتظروهم حتى اتوا لانفسهم ما يرد ذلك .

(فقيـل له) أي لذلك الرجل (أنافقت يا فلان ؟) « باثبات
همزة الاستفهام ، وفي بعض النسخ بحذفها » وفي « الصحيحين »
وغيرها : فكان معاذ يتناول منه ، وفي بعض الروايات فكان « بالهمز وتشديد
النون ، معاذ تناول منه ، أو نال منه . وفي بعض الروايات : فبلغ ذلك معاذاً ،
فقال انه منافق (قال) الرجل : لا والله (مانافقت) من التفاق ، وهو اسم
إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وهو الذي يستتر كفره ، ويظهر
إيمانه ، وإن كان أصله في اللغة معروفًا يقال : نافق ينافق منافقة ، ونفاقاً وهو
مأخوذ من النفاق . أحد ججرة^(١) اليربوع ، اذا طلب من واحد هرب الى
الآخر ، وخرج منه . وقيل هو من النفق ، وهو السرب الذي يستتر فيه ،
استتره كفره ، وربما أطلقوا التفاق على الرياء . ومنه حديث : « أكثر منافقي

(١) في الاصل : أججرة ، وفي القاموس : ججرة جمع ججر .

هذه الأمة قرأوها » فانه أراد بالنفاق هنا الرياء ؛ لاجتماعها في اظهار ما في الباطن خلافه . (فأتى) ذلك الرجل (النبي ﷺ) وفي لفظ فقال : « لا والله ، أي ما نافقت ، ولأتين رسول الله ﷺ فلا أخبرنّه ، وكان معاذ قال ذلك أولاً ، ثم قاله أصحاب معاذ للرجل ، وفي رواية عند النسائي فقال معاذ : لئن أصبحت لاذكرن ذلك لرسول الله ﷺ ، فذكر ذلك له فأرسل اليه فقال : « ما حملك على الذي صنعت ؟ » (فقال) يا رسول الله : (ان معاذاً يصلي معك ثم يرجع) من عندك (فيؤمنا) أي يصلي بنا تلك الصلاة التي صلاها معك إماماً (يا رسول الله إنما نحن أصحاب نواضح) وهي الابل التي يستقي عليها واحدها ناضح (ونعمل) أعمالنا وما نحتاج من أشغالنا (بأيدينا) لأنه لاخدم لنا (وانه) أي معاذ (جاء يؤمنا فقرأ) بعد فاتحة الكتاب (سورة البقرة ، فقال) النبي ﷺ : (يا معاذ أفنان أنت أفنان أنت ؟) زاد محارب : ثلاثاً ، وهو « بالرفع » مبتدأ وخبر ، وفي رواية : أفاناً « بالنصب » على أنه خبر لكان المقدره . وفي رواية أبي الزبير : « تريد أن تكون فائناً ؟ » . وفي رواية عند الامام أحمد رضي الله عنه من حديث معاذ بن رفاعه ، عن رجل من بني سلمة يقال له سليم أنه أتى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله انا نضل في أعمالنا فنأتي حين نمسي فنصلي ، فيأتي معاذ بن جبل فينادي بالصلاة فنأتيه ، فيطول علينا... الحديث . وفيه : يا معاذ لا تكن فائناً . زاد في حديث أنس « لا تطول بهم » . ومعنى الفتنة هنا ان التطويل يكون سبباً لخروجهم من الصلاة ، وللتكره للصلاة في الجماعة .

وروى البيهقي في « شعب الايمان » باسناد صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال : « لا تبغضوا الله الى عباده ، يكون أحدكم إماماً فيطيل على القوم الصلاة حتى يبغض اليهم ما هم فيه » . قال الداودي : يحتمل ان يريد بقوله

فتأن ، أي معذب لأنه عذبهم بالثبويل . ومنه قوله تعالى : ﴿ إن الذين قتلوا
المؤمنين ،^(١) قيل معناه عذبوهم .

(اقرأ بكذا وكذا قال أبو الزبير) محمد بن مسلم الأسدي الذي تقدمت
ترجمته في الاول من أحاديث جابر رضي الله عنه (بسم الله اسم ربك الاعلى والليل
إذا يغشى) قال سفیان بن عیینة : (فذكرنا) ما قاله أبو الزبير (عمرو) بن
دينار (فقال) عمرو (أراه) بضم الهمزة أي أظنه يعني عمرا (قد ذكره) كما
قال أبو الزبير ، وكذا في مسلم ولفظه . قال ابن عیینة : فقلت لعمرو : ان
أبا الزبير حدثنا عن جابر انه قال : « اقرأ بالشمس وضحاها ، والليل اذا يغشى ،
وسبح اسم ربك الاعلى » فقال عمرو نحو هذا ، وجزم بذلك محارب في حديثه
عن جابر ، وفي « الصحيحين » من رواية عمرو بن دينار عن جابر : « وأمره
بسورتين من أوسط المفصل » ، قال عمرو لا أحفظها . وفي رواية الليث عن أبي
الزبير عند مسلم مع الثلاثة المتقدم ذكرها « باسم ربك » زاد ابن جريج عن أبي
الزبير : « والضحي » أخرجه عبد الرزاق . وفي رواية الحميدي عن ابن عیینة مع الثلاثة
الأول « والسماء ذات البروج ، والسماء والطارق » وفي « المفصل » أقوال أصحابها
أنه من أول قاف الى آخر القرآن .

واستدل بهذا الحديث على صحة اقتداء المفترض بالمتنفل ، بناءً على أن
معاذاً كان ينوي بالاولى الفرض ، وبالثانية النفل ، ويدل عليه ما رواه عبد الرزاق
الصنعاني والامام الشافعي وابو جعفر الطحاوي والدارقطني وغيرهم ، من طريق
ابن جريج عن عمرو بن دينار عن جابر في هذا الحديث زاد « وهي له تطوع ولهم
فريضة » وهو حديث صحيح ، رجاله رجال « الصحيحين » ، وقد خرج ابن
جريج في رواية عبد الرزاق بسامعه منه فانتفت تهمته تدليسه ، فقول الامام الحافظ

(١) سورة البروج ، الآية : ١٠

ابن الجوزي: انه لا يصح مردود ، وتعليق أبي جعفر الطحاوي له بان ابن عيينة ساقه عن عمرو أتم من سياق ابن جريج ، ولم يذكر هذه الزيادة ليس بقادح في صحته ، لان ابن جريج اسن وأجل من ابن عيينة وأقدم أخذاً عن عمرو منه ولو لم يكن كذلك فهي زيادة من ثقة حافظ ليست منافية لرواية من هو أحفظ منه ولا أكثر عدداً ، فلا معنى للتوقف في الحكم بصحتها . وأما رد الطحاوي لها باحتمال أن تكون مدرجة ، فجوابه: ان الأصل عدم الادراج حتى يثبت التفصيل ، فمما كان مضموماً الى الحديث فهو منه ، ولا سيما اذا روي من وجهين . والأمر هنا كذلك ، فان الشافعي أخرجها من وجه آخر عن جابر متابعا لعمرو بن دينار عنه ، وقول الطحاوي هو ظن من جابر مردود ، لان جابر أكان فيمن يصلي مع معاذ ، فهو محمول على أنه سمع ذلك منه ، ولا يظن في جابر أنه يخبر عن شخص بامر غير مشاهد الا بان يكون ذلك الشخص أطلعه عليه .

واعلم أن هذه المسألة وهي اقتداء المفترض بالمتنفل من مسائل الخلاف ، وقد روي عن الامام أحمد فيها روايتان ، فروى صحة ذلك عنه أبو داود صاحب «السنن» ، واسماعيل بن سعيد . قال الامام الموفق « وهو أصح » ونقل عنه حنبل وأبو الحارث « أنه لا يصح » اختاره الاكثر من علماء المذهب ، وهو قول الزهري ومذهب أبي حنيفة ومالك وغيرهما ، واحتجوا بحديث : « إنما جعل الامام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه » رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم . قلت : لا دلالة في هذا الحديث على عدم جواز ائتمام المفترض بالمتنفل ، لأن المراد به عدم الاختلاف في الافعال لانه انما ذكر في الحديث الافعال فقال : « اذا سجد فاسجدوا » ولهذا صح ائتمام المتنفل بالمفترض ، وأجابوا عن حديث جابر المذكور : بأنه قضية في عين ، فيحتمل أن يكون معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يصلي مع رسول الله ﷺ نافلة .

قال المجتهد في « المنتقى » في قوله صلى الله عليه وسلم لما ذ: « يا معاذ لا تكن فتانا ، إما أن تصلي معي ، وإما أن تخفف على قومك » رواه الامام أحمد . احتج به من منع اقتداء المفترض بالمتنفل ، لانه يدل على أنه متى صلى معه امتنعت امامته ، وبالإجماع لا يمتنع بصلاة النفل معه ، فعمله أنه أراد بهذا القول صلاة الفرض ، وإن الذي كان يصلي معه كان ينويه نفلاً ، كذا قال ، وهذا بعيد ، لانه لا يظن بمعاذ أن يترك فضيلة الفرض خلف أفضل الأئمة في مسجده الذي هو من أفضل المساجد ، فإنه قيل من الجائز أن يكون ذلك بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، فالجواب هو مع بعده يردده قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة . » رواه الامام أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربع ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي رواية للامام أحمد : « فلا صلاة الا التي اقيمت . » ولهذا قال ابن حزم عن المانعين الفرض خلف النفل : هم لا يجيزون لمن عليه فرض ، إذا أقيم أن يصلي به متطوعاً ، فكيف ينسبون الى معاذ ما لا يجوز عندهم ؟! وقد يجاب عن هذا بأن أصحابنا لا يمنعون النفل مطلقاً ، وإنما يمنعون النفل اذا اقيمت الصلاة التي يريد أن يصلي فرضه مع إمامها .

قال أبو جعفر الطحاوي منتصراً لعدم صحة الفرض خلف النفل : لا حجة في قصة معاذ رضي الله عنه لأنها لم تكن بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ولا تقريره ، كذا قال ، وجوابه أنهم أي الحنفية وكذا أصحابنا لا يختلفون أن رأي الصحابي الذي لم يخالفه غيره حجة . والواقع هنا كذلك ، فإن الذين كان يصلي بهم معاذ كلهم صحابة ، وفيهم ثلاثون عقيباً ، وأربعون بدرية ، قاله ابن حزم ، قال : ولا يحفظ عن غيرهم امتناع ذلك ، وقال معهم بالجواز عمر وابن عمر وأبو الدرداء وأنس وغيرهم .

قال الطحاوي : لو سلمنا جميع ذلك لم يكن فيه حجة ، لاحتمال أن ذلك

كان في الوقت الذي كانت الفريضة فيه تصلى مرتين ، أي فيكون منسوخا .
 وتعقبه ابن دقيق العيد : بأنه يتضمن اثبات النسخ بالاحتمال وهو لا يسوغ
 وبأنه يلزمه إقامة الدليل على ما ادعاه من إعادة الفريضة . انتهى .
 وكان ابن دقيق العيد لم يطلع على كتاب الطحاوي ، فإنه قد ساق فيه ذلك
 من حديث ابن عمر رفعه : « لا تصلوا الصلاة في اليوم مرتين . » ومن وجه
 آخر مرسل : « ان أهل العالية كانوا يصلون في بيوتهم ، ثم يصلون مع النبي
 ﷺ فبلغه ذلك فنهاهم . »

وقد نظر الحافظ ابن حجر في « الفتح » في الاستدلال بذلك على تقدير
 صحته ، لاحتمال أن يكون النهي عن ان يصلوها مرتين على أنها فريضة ، وبذلك
 جزم البيهقي جمعا بين الحديثين .

قال في « الفتح » : بل لو قال قائل : هذا النهي منسوخ بحديث معاذ ، لم
 يكن بعيدا ولا يقال : القصة قديمة ، لان صاحبها استشهد بأحد ، لانا نقول :
 كانت أحد في أواخر الثالثة فلا منع أن يكون النهي في الأولى ، والأذن في
 الثانية . كذا قال ، ولا يخفى أنه يرد عليه في ذلك بأولى ما رد كلام الطحاوي .
 ويشعر كلام البيهقي بأنهم كانوا يصلون الفرض مرتين ، على أنه في المرتين
 فرض وهو اثبات لما ادعاه الطحاوي ، كما لا يخفى على من أنعم النظر . وفي « السنن »
 أنه ﷺ قال للرجلين اللذين لم يصليا معه : « اذا صليتما في رحالكما ثم أتيتما
 مسجد جماعة فصليا معهم فانها لكما نافلة . » أخرجه من حديث يزيد بن الاسود
 الغامدي ، وصححه ابن خزيمة وغيره . وكان ذلك في حجة الوداع في أواخر حياة
 النبي ﷺ ويدل على الجواز أمره ﷺ لمن أدرك الأئمة الذين يأتون بعده ويؤخرون
 الصلاة عن ميقاتها ، ان صلوا في بيوتكم في الوقت ثم اجعلوها معهم نافلة .
 ومذهب الامام الشافعي وأبي ثور وابن المنذر صحة الفرض خلف النقل ،

وهو رواية عن الامام أحمد ، وصحح هذا موفق الدين ، وهو قول عطاء
والاوزاعي واختاره جمع من علمائنا . قال في « الفروع » اختاره في « النصيحة »
« والتبصرة » ، وشيخنا يعني شيخ الاسلام ابن تيمية وغيرهم .

وفي الحديث استحباب تخفيف الصلاة ، قال علماؤنا: يسن تخفيف الصلاة
مع اتمامها ما لم يؤثر المأموم التطويل ، فان آثروا كلهم استحباب ، واستشكل عليه
بان الامام قد لا يعلم حال من يأتي فيأتي به بعد دخوله في الصلاة ، فلا أولى إطلاق
الكرهية إلا إذا كان إمام قوم محصورين راضين ، في مكان لا يدخله غيرهم .

وفيه دليل على وجوب صلاة الجماعة ولا ينافي ذلك جواز الصلاة منفرداً ،
ولا ريب أن صلاة الجماعة من أوكد العبادات وأجل الطاعات وأعظم شعائر
الاسلام ، وقد حض النبي صلى الله عليه وسلم عليها ، وندب أمته اليها . فهي
واجبة على الأعيان على معتمد مذهب الامام أحمد ، والمعتمد أن من صلى وحده
لغير عذر تصح صلاته مع إثمه بالترك ، وهذا هو المأثور عن الامام أحمد وأكثر
أصحابه ، وحملوا قوله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل في الجماعة تفضل عن صلاته وحده
بخمسة وعشرين درجة ، وروي بسبع وعشرين درجة » . على غير المعذور ،
لأن المعذور يكتب له أجره لو كان صحيحاً مقيماً . وجعلوه حجة على صحة
صلاة المنفرد مع ما في حديث قصة معاذ من انفراد الرجل بالصلاة ، وعدم أمر
النبي صلى الله عليه وسلم له بفعلها ثانياً ، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت
الحاجة .

وقالت طائفة من قدماء أصحاب الامام أحمد وبعض متأخريهم ، وطائفة
من السلف : لا تصح حيث لا عذر ، وحملوا حديث التفضيل على المعذور ،
قالوا : وليس كل معذور يكتب له ما كان يعمل ، بل إنما يكتب لمن كان نيته
لولا العذر أن يعمل ومن عادته ذلك ، فهذا الذي يكتب له ما كان يعمل . فلما

من لم يكن له نية ولا عادة فكيف يكتب له ما لم يكن من عادته العمل به .
وقيل ان صلاة الجماعة فرض كفاية ، وقيل سنة مؤكدة . وهذا
المعروف من أصحاب أبي حنيفة ، وأكثر أصحاب مالك ، وكثير من أصحاب
الشافعي .

وقد قال بوجوب الجماعة على الأعيان : عطاء والأوزاعي وجماعة من محدثي
الشافعية وغيرهم ، كابن خزيمة وابن المنذر وابن حبان ، وبالحق داود ومن تبعه
فجعلها شرطاً لصحة الصلاة ، وقد بينت أدلة وجوبه في « شرح العمدة » ،
وبالله التوفيق .

الحديث التاسع عشر

٣٤ - ثنا سفيان ، قال : سمع عمرو جابر بن عبد الله ،
وقال مرة : عمرو سمعه من جابر يقول : قال رسول الله ﷺ :
الحرب خدعة .

قال رضي الله عنه (ثنا سفيان) بن عيينة (قال) : (سمع عمرو) بن دينار
(جابر بن عبد الله) رضي الله عنهما (وقال) سفيان (مرة عمرو) ابن دينار
(سمعه) أي الحديث الآتي (من جابر) رضي الله عنه (يقول : قال رسول الله
ﷺ : الحرب خدعة) .

ضبط الاصل خدعة ، بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة ، وعن يونس
ضم الخاء وفتح الدال ، وعن عياض فتحها ، وقال القزاز بفتح الخاء وسكون
الدال لغة النبي صلى الله عليه وسلم ولغته أفصح اللغات . وقالوا : الخدعة : المرة

الواحدة من الخداع ، فمعناه أن من خدع فيها مرة واحدة عطب وهلك ولا عودة له .

قال الجلال السيوطي : خدعه بضم الخاء وفتحها مع سكون الدال ، وبضمها مع فتح الدال ، فالفتح مع سكون الدال معناه : أن الحرب ينقضي أمرها بخدعة واحدة من الخداع ، يعني أن المقاتل إذا خدع مرة واحدة لم يكن لها إقالة ، وهو أفصح الروايات وأصحها . ومعنى الضم مع الاسكان : أنه اسم من الخداع . ومعنى ضم الأول وفتح الثاني أن الحرب تخدع الرجال وتمنيهم ولا تفي لهم ، كما يقال فلان لعبة وضحكة ، للذي يكثر اللعب والضحك . انتهى .

قال الحافظ ابن حجر والامام النووي : اتفق على أن فتح الخاء وسكون الدال أفصح ، حتى قال ثعلب : بلغنا أنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبذلك جزم أبو ذر الهروي والقزاز ، قال أبو بكر بن طلحة : أراد ثعلب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعمل هذه البنية كثيراً لوجازة لفظها ، ولكونها تعطي معنى البنيتين الآخرين . انتهى .

قال في الفتح : وأصل الخدع : اظهار أمر واضمار خلافه . قال السيوطي أمر باستعمال الحيلة معها أمكن . وقال ابن المنير : معناه الحرب الكاملة في مقصودها البالغة إنما هي الخداعة لا المواجهة ، وحصول الظفر مع الخداعة بغير خطر . وفيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب والندب الى خداع الكفار ، وإن لم يتيقظ الى ذلك لم يأمن أن ينمكس الأمر عليه . قال النووي : واتفقوا على جواز الخداع ، أي مخادعة الكفار في الحرب كيفما أمكن ، إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز .

قال ابن العربي : الخداع في الحرب ، بل الاحتياج اليه أكد من الشجاعة ، قال ويكون بالتورية ، ويكون بالكمين ، ويكون بخلف الوعد ، وذلك من

المستثنى الجائز المخصوص من المحرم ، قال : والكذب حرام بالاجماع ، جائز في مواطن بالاجماع ، أصلها الحرب الذي أذن الله فيه وفي أمثاله رفقا بالعباد لضعفهم ، وليس للعقل في تحريمه ولا في تحليله أثر ، إنما هو الى الشرع ، ولو كانت تحريم الكذب كما يقوله المبتدعون عقلا ، والتحريم صفة نفسية كما يزعمون ؛ ما انقلب حلالاً أبداً ، والمسألة ليست معقولة ، فتستحق جواباً ، وخفي هذا على علمائنا . انتهى .

قال العلامة ابن مفلح في « الآداب الكبرى » : يحرم الكذب لغير إصلاح وحرب وزوجة ، ويحرم المدح والذم بالباطل كذا قال في « الرعاية » .

قال ابن الجوزي : وضابطه ان كل مقصود محمود لا يمكن التوصل اليه إلا بالكذب فهو مباح ان كان ذلك المقصود مباحاً ، وإن كان واجباً فهو واجب ، قال : وهو مراد الأصحاب ، ومرادهم هنا لغير حاجة وضرورة ، فانه يجب الكذب إذا كان فيه عصمة مسلم من القتل . وعند أبي الخطاب : يحرم أيضاً ، لكن يسلك أدنى المفسدين لدفع أعلاهما . وذكر ابن عقيل أنه - أي الكذب - حسن حيث جاز لا اثم فيه ، وهو قول أكثر العلماء .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : المسألة مبنية على القبح العقلي فمن نفاه وقال : لا حكم إلا لله فان الكذب يختلف بحسب مكانه ، ومن أثبتته وقال الاحكام لذات الفعل قبحه لذاته . انتهى .

قال الطبري : إنما يجوز في المعارض دون حقيقة الكذب فانه لا محل . قال النووي : الظاهر إباحة حقيقة الكذب لكن الاقتضاء على التمريض أفضل . وفي « الآداب الكبرى » : مما أمكن المعارض حرم الكذب . وهو ظاهر كلام غير واحد ، وصرح به آخرون لعدم الحاجة إذن . وظاهر كلام أبي الخطاب أنه يجوز ولو أمكن المعارض ، قال : والظاهر أنه مراد .

وفي « الهدي » ، للإمام ابن القيم : يجوز كذب الانسان على نفسه وعلى غيره ، إذا لم يتضمن ضرر ذلك الغير إذا كان يتوصل بالكذب الى حقه ، كما كذب الحجاج بن علاط على المسلمين حتى أخذ ماله من مكة من غير مضرة لحقت بالمسلمين من ذلك الكذب ، وأما ما نال من بمكة من المسلمين من الأذى والحزن فمفسدة يسيرة في جنب المصلحة التي حصلت بالكذب ، ولا سيما تكميل الفرح وزيادة الايمان الذي حصل بالخبر الصادق بعد هذا الكذب ، وكان الكذب سبباً في حصول المصلحة الراجعة .

قال : ونظير هذا الامام والحاكم يوم الخصم خلاف الحق ليتوصل بذلك الى استعمال الحق ، كما أوهم سليمان بن داود عليها السلام إحدى المراتين بشق الولد نصفين حتى يتوصل بذلك الى معرفة عين أمه .

قال في « الآداب » : تباح المعارض ، وقيد ابن الجوزي الجواز عند الحاجة ، وقدم في « الرعاية » عند الحاجة وغيرها ، وتكره من غير حاجة ، والمراد بعدم تحريم المعارض لغير الظالم ، وفي الخبر : « ان في المعارض لمنذوحة عن الكذب » وهذا ثابت عن ابراهيم النخعي . وقد روي مرفوعاً ، ولكنه ليس في مسند الامام أحمد ولا في الصحاح والسنن ، وإنما رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب « المعارض » من حديث عمران بن حصين مرفوعاً . وقد ذكر الامام موفق في « المغني » هذا الخبر تعليقاً بصيغة الجزم محتجاً به ولم يعزه الى كتاب .

قال في « الآداب الكبرى » : قال الامام أحمد رضي الله عنه : « الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ، قال حنبل : فقلت له فقول النبي ﷺ : الا ان يكون يصلح بين اثنين ، أو رجل لامرأته يريد بذلك رضاها ، وفي الحرب كذلك ،

قال : ابتداء الكذب منهى عنه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :
الحرب خدعة .

قال أبو طالب ، قال أبو عبد الله رضي الله عنه : لا بأس أن يكذب لينجو
« يعني الأسير » . وذكر حديث : الحرب خدعة ، قال : « وكان النبي صلى الله
عليه وسلم إذا أراد غزوة ورئى بغيرها » ، فلم ير الامام أحمد بذلك بأساً
في الحرب .

فاما الكذب بعمينه ؛ فقال النبي ﷺ : « الكذب مجانب الايمان » . وفي
« مسند » الامام أحمد من حديث أسماء بنت يزيد مرفوعاً : « كل الكذب يكتب على
بني آدم ، إلا ثلاث خصال : إلا رجل كذب لامرأته ليرضيها ، أو رجل كذب
في خديعة حرب ، أو رجل كذب ما بين امرأتين مسلمين ليصلح بينهما » ورواه
الترمذي بلفظ : لا يحل الكذب ، وفي رواية لا يصلح الكذب .

قال في « الآداب الكبرى » ، وظاهر كلام الامام أحمد والاصحاب ، جواز
الكذب في الصلح ، بين كافرين . كما هو ظاهر الاخبار ، وأما رواية : بين
مسلمين فظاهره غير مراد ، لأنه يجوز بين مسلم وكافر لحق المسلم كالحكم بينهما ،
ثم هو مفهوم اسم ، وفيه خلاف ، ويحتمل اختصاص جواز الكذب في الصلح
بين المسلمين لظاهر الخبر ، واستظهره في « الآداب الكبرى » لأن الكذب إنما
جاز لمصلحة شرعية ، والقول بأن الصلح بين أهل الكتاب والتأليف بينهم
مصلحة شرعية يفتقر الى دليل ، والاصل عدمه ، ثم يقال : لو كان مصلحة
شرعية ؛ لجاز دفع الزكاة في الغرم فيه كالصلح بين المسلمين .

وقال المهلب : الخداع في الحرب جائز كيفما كان ؛ إلا بالايمان واليهود
والتصريح بالايمان فلا يحل شيء من ذلك .

الحديث العشرون

٣٥ - ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابراً : دخل رجل يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب ، فقال له : صليت ؟ قال : لا . قال : صل ركعتين .

قال رضي الله عنه (ثنا سفيان) هو ابن عيينة (عن عمرو) هو ابن دينار أنه (سمع جابراً) هو ابن عبد الله الانصاري رضي الله عنها يقول : (دخل رجل) قال الامام النووي في « المبهمات » : هو سليك الغطفاني ، وقيل النعمان بن قوقل ، وكذا ابن البلقيني في « الافهام » والخطيب في « مبهماته » وغيرهم ، وقال البرماوي في « مبهمات العمدة » هو سليك « بضم السين المهملة وفتح الهمزة وآخره كاف » بن عمرو ، وقيل بن هدية « بضم الهاء وسكون الدال المهملة وفتح الموحدة » الغطفاني « بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة وبالفاء » نسبة الى غطفان بن سعد بن قيس عيلان « بالعين المهملة » بطن كبير ، وهكذا جاء مصرحاً به في رواية لمسلم ولفظها « جاء سليك الغطفاني » (يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب) فقال له : يا سليك قم فصل ركعتين وتجاوز فيها ... الحديث ، وقال ابن بشكوال : بعد أن حكى ذلك عن صحيح مسلم ، ومسنده الحميدي ، وقيل ابن هدية ، وقال الخطيب : قيل إنه النعمان بن قوقل ، والاصح الاول . قال ابن الامير سليك بن عمرو : (فقال له) النبي ﷺ . أي قال للرجل الذي دخل ، والنبي يخطب ، وذلك بعد ما جلس : (صليت) هكذا بغير همزة الاستفهام ، وهي مقدرة (قال لا) أي ما صليت (قال) ﷺ له : (صل ركعتين) وفي لفظ قم . وفي رواية عند مسلم : « يا سليك قم

فأركع ركعتين تحية المسجد ، ولفظ فأركع ركعتين في الصحيحين ، وغيرها ، وكذا فصل ركعتين ، وبمدلول هذا الحديث ، أخذ الامام أحمد ، والامام الشافعي ، وأكثروا أصحاب الحديث .

قال في « شرح المقنع » ، ومن دخل والامام يخطب لم يجلس حتى يركع ركعتين يوجز فيهما . وبه قال الحسن ، وابن عيينة ، والشافعي ، وإسحاق ، وأبو ثور ، وابن المنذر .

وقد روى الامام أحمد ، ومسلم ، وأبو داود من حديث جابر رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : إذا جاء أحدكم يوم الجمعة ، والامام يخطب فليركع ركعتين ، وليتجوز فيهما ، فإن جلس قبل أن يركع ، استحب له أن يقوم فيركع » .

وروى الامام أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله ﷺ على المنبر ، فأمره أن يصلي ركعتين ، ولفظ الترمذي وصححه : « أن رجلا جاء يوم الجمعة في هيئة بدنة والنبي ﷺ يخطب » .

قال الامام مجد الدين بن تيمية في « منتقى الاحكام » (١) هذا تصريح يضعف ما روي : انه ﷺ أمسك عن خطبته ، حتى فرغ من الركعتين ، ولم يقل بما دل عليه هذا الحديث شريح وابن سيرين والنخعي وقتادة والثوري ومالك والليث وأبو حنيفة ، بل قالوا : يكره أن يركع ، لأن النبي ﷺ قال الذي جاء يتخطى رقاب الناس « اجلس فقد آذيت » ، رواه أبو داود والنسائي من حديث عبد الله ابن بشر . ورواه الامام أحمد والنسائي وزادا : وآذيت « بعد الهمة وبعد هاتون فمناة تحية ، أي اخرت المحي . وآذيت بتخطيك رقاب الناس » ، وعند ابن خزيمة : فقد آذيت وأوذيت . قالوا ولأن الركوع يشغله عن استماع الخطبة ، فكره كثير

(١) وهو المعروف بـ « المنتقى من أخبار المصطفى » .

الداخل ، ولأنه ﷺ قال : « اذا قلت لصاحبك والامام يخطب أنصت ، فقد لغوت » ، رواه الامام أحمد والشيخان وغيرهم من حديث أبي هريرة ، وروى الامام أحمد وأبو داود من حديث علي رضوان الله عليه قال : « من دنا من الامام فلغا ، ولم يستمع ، ولم ينصت ، كان عليه كفل من الوزر ، ومن قال : صه ، فقد لغا ، ومن لغا فلا جمعة له » ، ثم قال : هكذا سمعت نبيكم ﷺ ، وروى الامام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب ؛ فهو كمثل الجمار يحمل أسفارا ، والذي يقول له أنصت ليس له جمعة » .

قالوا : اذا منع من هذه الكلمة ، مع كونها أمرا بمعروف ، ونهيا عن منكر في زمن يسير ، فلأن يمنع من الركعتين مع كونها مسنونتين في زمن طويل أولى ، واعتذروا عن الحديث بوجوه ضعيفة ، فمن مشهورها : ان هذا مخصوص بذلك الرجل المعين ، الذي هو سليك الغطفاني ، قالوا : وإنما خص بذلك لأنه كان فقيرا فأريد قيامه لأجل أن يشاهد فيصدق عليه ، ولا يخفى بعد هذا الحمل مع ما عرف ان التخصيص خلاف الاصل ، ولا سيما مع قوله ﷺ : « إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والامام يخطب ... الحديث » فانه تعميم مزيل لتوهم التخصيص بالرجل المذكور ، ولهذا قال النووي عن التأويل الذي ذكره هو تأويل باطل ، وصريح قوله ﷺ : « إذا جاء أحدكم ... الحديث » هذا بين لا يتطرق اليه تأويل ، قال : « ولا أظن عالماً يبلغه هذا اللفظ صحيحاً فيخافه » .

وفي الحديث جواز الكلام في الخطبة لحاجة ، وللخطيب وللمن يكلمه الخطيب ، وفيه الأمر بالمعروف ، والارشاد الى المصالح في كل حال وموطن ، وأن تحية المسجد ركعتان ، وأنها لا تفوت بمجرد الجلوس ، وأنها لا تسقط في وقت النهي هنا ، ومن جوز ذات السبب يحتاج بهذا السبب ذات سبب ، ولكن علماؤنا

خصوا هاتين الركعتين لورود النص فيها ، وأبقوا النهي على عمومهما فيما عداها ،
وما عدا ركعتي الطواف لورود الاذن فيها ايضاً ، وبالله التوفيق .

الحديث الحادي والعشرون

٣٦ — ثنا سفيان ، قال : قلت لعمر ، سمعت جابراً
يقول : مر رجل في المسجد معه سهام ؟ فقال له النبي ﷺ :
أمسك بنصائها . قال : نعم .

قال رضي الله عنه (ثنا سفيان) ابن عيينة (قال) أي سفيان (قلت
لعمر) ابن دينار (سمعت) بالاستفهام المقدر ، أي أسمعت (جابراً) يعني ابن عبد الله
الانصاري رضي الله عنها (يقول : مر رجل في المسجد) قال الحافظ ابن حجر
في « الفتح » : « لم أقف على اسمه . انتهى » ، ولم يذكره النووي في « المباهات » ،
وبيض له ابن البلقيني (معه) أي مع ذلك الرجل (سهام) جمع سهم وهو القدح
وواحد النبال ، والنبال بفتح النون وسكون الموحدة بعدها لام ، « السهام العربية
وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها . وفي لفظ في « الصحيحين » : أن رجلاً مر
في المسجد بأسهم قد أبدى نصولها (فقال له ﷺ أمسك بنصائها) جمع نصل
ويجمع أيضاً على نصول ، والنصل حديد السهم (قال) عمرو بن دينار (نعم)
سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنها . قال ذلك فبان بقوله نعم إسناد
الحديث ، وقد أخرجه الشيخان من طريق سفيان وغيره .

وفي رواية أنه ﷺ : أمر أن يأخذ بنصولها كي لا تخدش مسلماً . فأفادت
هذه الرواية بيان علة الامر بذلك ، وروي أيضاً من طريق أبي الزبير عن جابر

رضي الله عنه : ان المار المذكور كان يتصدق بالنبل في المسجد ، وروي من حديث أبي موسى الاشعري رضي الله عنه أيضاً ولفظه : قال رسول الله ﷺ : « اذا مر أحدكم في مسجدنا أو سوقنا ومعه نبل ، فليمسك على نصالها بكفه لا يعقر مسلماً ، رواه مسلم والبخاري وأبو داود وابن ماجه .

قوله : « في مسجدنا أو سوقنا هو تنويع من الشارع ، وليس شكاً من الراوي ، وقوله : لا يعقر ، أي لا يجرح وهو مجزوم نظراً الى أنه جواب الامر ، ويمحوز الرفع . قال النووي فيه من الادب : الامساك على النصال عند ارادة المرور بين الناس في مسجد أو سوق أو غيرها « انتهى » .

والمطلوب انه يستحب لمن معه نبل باد ان يمسك على نصالها ، وفي الحديث اشارة الى تعظيم كثير الدم وقليله ، وتأكيده حرمة المسلم ، وجواز ادخال المسجد السلاح ، وقد روى الطبراني من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله ﷺ عن تقليب السلاح في المسجد ، والمعنى فيه ما تقدم ، كيلا يجرح مسلماً ، وفي رواية : « اذا مر أحدكم في مسجدنا ... الحديث فليأخذ بنصالها ، لفظ مسلم : « فليأخذ بنصالها ، فليأخذ بنصالها ، فليأخذ بنصالها ، كرره لاجل التأكيد في الاحتراز . والله أعلم .

الحديث الثاني والعشرون

٣٧ — ثنا سفيان ، عن عمرو : سمع جابراً : باع النبي ﷺ مدبراً ، فاشتراه ابن النخام عبداً قبطياً ، مات عام الأول في بدء إمرة ابن الزبير . دبره رجل من الانصار ولم يكن له مال غيره .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفیان) بن عیینة (عن عمرو) ابن دينار أنه (سمع جابرًا) رضي الله عنه يقول : (باع النبي ﷺ مدبرًا) « بضم الميم وفتح الدال المهملة والباء الموحدة مشددة » فراء ، من التدبير ، وهو مصدر دبر العبد والأمة ، تدبيرا اذا علّق عتقه بموته ، لانه يعتق بعد ما يدبر سيده ، والمبات دبر الحياة ، يقال عتق عن دبر أي بعد الموت ، ولا يستعمل في كل شيء بعد الموت من وصية ووقف وغيره ، بل هو لفظ خص به العتق بعد الموت ، والحديث في « الصحيحين » وغيرهما . ولفظ « الصحيحين » : « عن جابر رضي الله عنه قال دبّر ، وفي لفظ أعتق رجل من الانصار »

قال النووي : يقال له ابو مذكور ، ونقله ابن بشكوال عن رواية مسلم ، وكذا ابن البلقيني في « الافهام » والبرماوي في « مبهمات العمدة » غلاما له وفي لفظ : « بلغ النبي ﷺ ان رجلا من أصحابه اعتق غلاما له عن دبر لم يكن له مال غيره ، فقال النبي ﷺ من يشتريه مني (فاشتره) أي الغلام (ابن النجّام) كذا في النسخ . وكذا وقع في رواية عند البخاري وغيره ، قال القاضي عياض : والصواب النجّام باسقاط ابن ، وهو نعيم بن عبد الله القرشي العدوي ، من أفاضل الصحابة (١) ، وانما قيل له النجّام « بفتح النون وتشديد الحاء المهملة فألف فميم ، لأن النبي ﷺ قال : « دخلت الجنة فسمعت نعمة من نعيم ، والنعمة بفتح النون وسكون الحاء المهملة وفتح الميم ، صوت يخرج من الجوف وهي السعلة ، وقيل النعنة (عبداً) بالنصب بدل من الضمير في اشتراه (قبطياً) منسوباً الى

(١) اسلم قديماً ، يقال : إنه اسلم بعد عشرة انفس قبل اسلام عمر بن الخطاب رضي الله

عنه ، وكان يكتّم اسلامه ومنعه قومه لشرفه فيهم ، لانه كان ينفق على ارامل بني عدي واشباههم ويموّنهم ، فقالوا أقم عندنا على أي دين شئت ، واقم في ربك واكفنا ما انت كاف من أمر أراملنا ، فوالله لا يتعرض لك أحدا لا ذهب انفسنا جميعاً دونك ، وزعموا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له حين قدم عليه : « قومك يا نعيم كانوا خيراً لك من قومي -

القبط من أهل مصر ، واسم الغلام « يعقوب القبطي » ، (مات) الغلام (عام الاول) أي في العام الذي قبل عام تحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها بحديثه هذا (في يد إمرة) عبد الله (بن الزبير) رضي الله عنها ، هو أبو بكر عبد الله ابن الزبير بن العوام الاسدي القرشي ، وقد تقدم نسبه عند ذكر أبيه في الحديث الثاني عشر .

كناء النبي ﷺ بكنية جده لأمه أبي بكر الصديق ، وسماه باسمه ، وهو أول مولود ولد في الاسلام للمهاجرين بالمدينة ، أول سنة من الهجرة ، ولدت له أمه أسماء بقاء ، وأتت به النبي ﷺ فوضعت في حجره فدعا بتمر فمضغها ، ثم تغل في فيه وحشكه ، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ، ثم دعا له وبرك عليه . وكان أطلس لا شعر له في وجهه ولا لحيته ، وكان كثير الصيام والصلاة ، شها ذا أنفة شديد البأس ، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي بمكة ، وصلبه يوم الثلاثاء لسبع خلعت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين ، وقيل اثنين وسبعين ، وكان يبيع له بالخلافة سنة أربع وستين ، وكان قبل ذلك لا يخاطب بالخلافة ، واجتمع على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وغير ذلك ما عدا الشام أو بعضه . وحج بالناس ثمانى حجج ، وجدد عمارة الكعبة ، فجعل لها بابين على قواعد إبراهيم ، وادخل فيها ستة أذرع من الحجر ، لما حدثته خالته أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها عن النبي ﷺ .

وكانت بيعة ابن الزبير بعد موت يزيد بن معاوية ، وكان ابن الزبير لم يبايع

لي ، قال بل قومك خير يا رسول الله ، قومك أخرجوك الى الهجرة ، وقومي حبسوني عنها ، وكانت هجرة نعيم عام خيبر ، وقيل أيام الحديبية ، وقيل اقام بمكة الى يوم الفتح . واستشهد باجنادين سنة ثلاثة عشر في آخر خلافة الصديق ، وقيل يوم اليرموك ، في رجب سنة خمس عشرة في خلافة عمر رضي الله عنهم اجمعين .

يزيداً فوجد عليه وجدا شديداً ، فلما مات يزيد بويع لابن الزبير بالخلافة ، ولم يبق خارجاً عنه إلا الشام ومصر ، فانه بويع بها لمعاوية بن يزيد ، فلم تستمر مدته ، فلما مات أطاع أهلها ابن الزبير أيضاً ، ثم خرج مروان ابن الحنك فغلب على الشام ثم مصر واستمر الى أن مات سنة خمس وستين ، وقد عهد الى ابنه عبد الملك .

والأصح كما قال الذهبي : ان مروان لا يمد من امراء المؤمنين ، بل هو باغ خارج على ابن الزبير ، فانه أقام بمكة خليفة الى أن تغلب عبد الملك فجهز اقتاله الحجاج في أربعين ألفاً ، فحصره بمكة شهراً ، ورمى عليه بالمنجنيق ، فخذل ابن الزبير أصحابه ، وتسلموا الى الحجاج فظفر به ثم قتله وصلبه في التاريخ المار . وكان ابن الزبير فارس قریش في زمانه ، له المواقف المشهورة . وقد أخرج أبو يعلى الموصلي في « مسنده » عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنها قال : « احتجم النبي ﷺ فلما فرغ قال لعبد الله : اذهب بهذا الدم فارقه حيث لا يراك أحد ، فلما ذهب به شربه ، فلما رجع قال : ما صنعت بالدم ؟ قال : عمدت الى أخفى موضع علمته فجعلته فيه . قال : لعلك شربته ؟ قال نعم . قال : ويل للناس منك ، وويل لك من الناس . فكانوا يرون ان القوة التي به من ذلك .

قال عمرو بن دينار : ما رأيت مصلياً أحسن صلاة من ابن الزبير ، وقال البكالي : اني لأجد في الكتاب المنزل ان ابن الزبير فارس الخلفاء ، وكان ابن الزبير يصلي في الحجر والمنجنيق يصيب طرف ثوبه فما يلتفت اليه . وقال مجاهد : « ما كان باب في الصلاة يعجز الناس عنه إلا تكلفه ابن الزبير » .

ولقد جاء سبل طبق البيت فجعل يطوف سباحة ، وكان صوماً قوياً ، طوّل الصلاة ، مواصلاً للرحم ، شجاعاً ، قسم الدهر ثلاث ليال ، ليلة يصلي قائماً حتى الصباح^(١) ، وكان لا ينزع في ثلاث : شجاعة وبلاغة وعبادة ، وكان صيماً اذا

(١) كذا في الاصل ، لم يذكر بقية الاقسام الثلاث .

خطب ، تجاوبت الجبلان ، وهو أول من كسى الكعبة الديباج ، وكانت كسوتها المسوح والانطاع ، وكان لابن الزبير مائة غلام يكلم كل غلام منهم بلغة اخرى ، وكنت اذا نظرت الى ابن الزبير في أمر دنياه قلت هذا رجل لم يرد الله طرفه عين ، واذا نظرت اليه في أمر دينه قلت هذا رجل لم يرد الدنيا طرفه عين . وأخرج ابن عساكر عن هشام ابن عروة بن الزبير قال : كان أول ما أفصح به عمي عبد الله بن الزبير وهو صغير السيف ، فكان لا يضعه من فيه ، وكان أبوه اذا سمع ذلك منه يقول : أما والله ليكونن لك منه يوم ويوم وأيام .

وأخرج عبد الرزاق عن الزهري قال : « لم يحمل الى رسول الله ﷺ رأس قط الى المدينة ، ولا يوم بدر ، وحمل الى أبي بكر رأس ، فكره ذلك » . وأول من حملت اليه الرؤوس عبد الله بن الزبير . كذا قال ، والذي في «الشامية» وغيرها من السير : ان أول رأس حمل في الاسلام رأس عذو الله أبي جهل ، وحمل اليه أيضاً ﷺ رأس سفيان بن خالد الهذلي ، حملة عبد الله بن أنيس ، وحمل اليه أيضاً رأس كعب بن الأشرف ، ورأس أبي عزة ، ورأس مرحب اليهودي ، كما رواه الامام أحمد ، وكذا رأس العنسي الكذاب ، كما ذكره بعضهم ، وعصماء بنت مروان ، ورفاعة ابن قيس ، أو قيس بن رفاعه ، وأول مسلم حمل رأسه عمرو بن الحمق الخزاعي رضي الله عنه ، وهذا يرد ما رواه أبو داود في مراسيله عن الزهري ، وبالله التوفيق .

وروي لابن الزبير رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ ثلاثة وثلاثون حديثاً ، وروي عنه أخوه عروة ، وابن أبي مليكة ، وعباس بن سهل ، وثابت ابن سهل البناني ، وعطاء وعبيدة السلماني ، وخلائق آخرون .

وفي أيامه كان خروج المختار الكذاب الذي ادعى النبوة ، فجهز ابن الزبير لقتاله ، الى ان ظفر به سنة سبع وستين فقتله . ومناقب ابن الزبير كثيرة وما أثره

عزيرة ، وفيما ذكرنا كفاية (دبره) أي دبر يعقوب القبطي (رجل من الأنصار) وهو أبو مذكور المتقدم ذكره (ولم) أي والحال انه لم (يكن له) أي لأبي مذكور (مال غيره) أي غير يعقوب القبطي ، فباعه عليه السلام لنعيم بن عبدالله رضي الله عنه بثمانمائة درهم ، الظاهر بالدراهم البغلية أو الطبرية ، لأن الدراهم كانت مختلفة ، بغلنية منسوبة الى ملك يقال له رأس البغل ، كل درهم ثمانية دنانير ، وطبرية منسوبة الى طبرية الشام ، كل درهم أربعة دنانير ، فلما كان في زمن بني أمية ، وقيل زمن عمر ، والاول أشهر ، جمعوا الوزنين : وهما اثنا عشر دانقاً وقسموها . فجاء الدرهم ستة دنانير ، وأجمع أهل العصر الاول على هذا ، ثم أرسل النبي عليه السلام ثمن العبد الذي دبره أبو مذكور وهو ثمانمائة درهم اليه .

تنبيهات

الأول : قال بمضمون هذا الحديث الامام أحمد ، والامام الشافعي ، ومن وافقهما ، فصحبوا بيع المدبر ولو أمة ، ولو في غير دين ، وله هبته ووقفه ، وسواء كان التدبير مقيداً ، كأن مات من مرضي هذا فانت حراً ، أو مطلقاً . وقال أبو حنيفة : لا يصح بيعه اذا كان التدبير مطلقاً ، وان كان مقيداً من سفر أو مرض بعينه فبيعه جائز .

وقال مالك : لا يجوز بيعه في حال الحياة ، ويجوز بيعه بعد الموت ، ان كان على السيد دين ، وان لم يكن عليه ، وكان يخرج من الثلث ؛ عتق جميعه ، وان لم يحتمله الثلث ؛ عتق ما احتمله ، ولا فرق عند مالك بين المطلق والمقيد .

الثاني : يعتبر خروج المدبر من الثلث بعد الديون ، ومؤن التجهيز يوم موت السيد ، سواء دبره في الصحة أو في المرض ، فان لم يف الثلث بها وبولدها اقرع بينهما ، فايها خرجت له القرعة عتق ان احتمله الثلث ، وإلا عتق منه بقدره ،

فإن فضل من التلث بعد عتقه شيء كمل من الآخر ، وإن اجتمع العتق والتدبير في المرض قدم العتق .

الثالث : لو باع المذبر أو زال ملكه عنه بنحو هبة مثلاً ، ثم عاد إلى ملكه عاد التدبير ، لأنه علق العتق بصفة فلم يبطل هذا التعليق بالبيع حيث عاد إلى ملكه ، كالتعليق بدخول الدار ، وعند الشافعية : لا يعود التدبير بعوده إلى ملكه والله الموفق .

الحديث الثالث والعشرون

٣٨ - ثنا سفيان عن عمرو ، عن جابر ، عن النبي

ﷺ : يُخرج الله من النار قوماً فيدخلهم الجنة .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) ابن عيينة (عن عمرو) ابن دينار (عن جابر) ابن عبد الله رضي الله عنهما (عن النبي ﷺ : يخرج) بضم الياء المثناة من تحت من أخرج (الله) بالرفع فاعل (من النار) متعلق بيخرج (قوماً) مفعول به (فيدخلهم) الله جل وعلا (الجنة) دار النعيم المقيم ، بعد إخراجهم من نار الجحيم .

وأخرجه الشيخان من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أيضاً بلفظ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة ، فيدخلهم الجنة » . وأخرج البخاري عن عمران بن حصين ، عن النبي ﷺ قال : « يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ ، ويدخلون الجنة » ، يسمون الجهنميين . وأخرج الطبراني عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي

بيده إني لسيد الناس يوم القيامة بغير فخر ، وما من الناس الا وهو تحت لوائي
يوم القيامة ، ينتظر الفرج ، وان معي لواء الحمد ، أمشي ويمشي الناس حتى آتي
باب الجنة ، فاستفتح ، فيقال : من هذا ؟ فأقول : محمد ، فيقول : مرحبا بمحمد ، فإذا
رأيت ربي خررت له ساجداً شكراً ، فيقال : ارفع رأسك قل تعط ، واشفع تشفع ،
فيخرج من قد أجرم برحمة الله وشفاعتي ، وأخرج أبو داود والترمذي والحاكم
والبيهقي ، وصححه من حديث أنس رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ :
« شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » ، وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله
عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » .

قال ابن عباس : السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد
يدخل الجنة برحمة الله ، والظالم لنفسه وأهل الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة
محمد ﷺ ، وأخرج الترمذي والحاكم والبيهقي عن جابر رضي الله عنه ، قال :
قال رسول الله ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » ، قال جابر رضي الله
عنه : « من زادت حسناته على سيئاته ، فذاك الذي يدخل الجنة بغير حساب ،
ومن استوت حسناته وسيئاته فذاك الذي يحاسب حساباً يسيراً ، ثم يدخل
الجنة ، وإنما شفاعة رسول الله ﷺ لمن أوبق نفسه ، وأطبق ظهره » .

وأخرج الامام أحمد والطبراني ، واللفظ له واسناده جيد ، من حديث
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « خيرت بين الشفاعة أو
يدخل نصف أمتي الجنة ، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفي ، أما انها ليست
للمؤمنين المتقين ، ولكنهم المذنبين الخاطئين المتلوثين » ورواه ابن ماجه من
حديث أبي موسى الأشعري بنحوه .

إذا علمت هذا فاعلم أن اخراج من أدخل النار من عصاة هذه الامة منها ،
وادخلهم الجنة برحمة أرحم الراحمين ، أو شفاعة خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ،

أو شفاعته غيره من النبيين والصدّيقين ، والعلماء العاملين ، والشهداء والمقربين
أو نحو ذلك ، أصل من أصول أهل السنة ، يجب اعتقاده ، وأنه صحيح واقع
للنصوص الصريحة ، والأخبار الصحيحة ، وخالف في ذلك الخوارج والمعتزلة ،
فقالوا : من دخل النار لا يخرج منها أبداً ، بل عندهم كل من دخلها لا يخرج
منها أبداً الآباد .

قال الإمام ابن القيم في كتابه « حادي الأرواح إلى منازل الأفراح » :
السنة المستفيضة أخبرت بخروج من في قلبه مثقال ذرّة من إيمان ، دون الكفار ،
وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار ،
وان هذا حكم مختص بهم دون الكفار ، وهي التي ينكرها أهل الابتداع
ويكذبون بها .

وفي « البخاري » عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب فقال :
انه سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالرجم وبالذبال ، ويكذبون بطلوع
الشمس من مغربها ، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا . وفي
حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : « من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها »
رواه سعيد بن منصور والبيهقي وغيرها . وروى البيهقي عنه أنه قيل له : « إن
قوماً يكذبون بالشفاعة » قال : لا تجالسوا أولئك ، وأخرج البيهقي عن أنس
رضي الله عنه أيضاً قال : يخرج قوم من النار ، ولا نكذب بها كما يكذب بها
أهل حروراء ، « أي الخوارج » .

وهذا أصل ثابت ، والأحاديث فيه متضافرة ، والأخبار متواترة ،
والإيمان به واجب ، والتكذيب به بدعة مضلة ، عافانا الله تعالى من البدع والفتن
ما ظهر منها وما بطن ، وبالله التوفيق .

الحديث الرابع والعشرون

٣٩ - ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابراً قال : كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فقال لنا رسول الله ﷺ : أنتم اليوم خير أهل الأرض .

قال رضى الله عنه : (ثنا سفيان) بن عيينة (عن عمرو) بن دينار أنه (سمع جابراً) رضى الله عنه (قال كنا) معشر الصحابة الذين مع النبي ﷺ (يوم الحديبية) - بحاء مهملة مضمومة ، فдал مهملة مفتوحة ، فثناة تحتية ساكنة ، فموحدة مكسورة ، فتحتية مفتوحة مخففة - عند أهل اللغة وبعض أهل الحديث ، وقال أكثر أهل الحديث : مشددة ، قال النووي : وهما وجهان مشهوران ، قال في «المطالع» ضبطنا التخفيف عن المتقين ، وأما عامة الفقهاء والمحدثين فيشدّدونها ، وقال البكري : أهل العراق يشددون ، وأهل الحجاز يخففون ، وقال النحاس : سألت كل من لقيت ، فمن أثق به وبعلمه عن الحديبية فلم يختلفوا على قراءتها مخففة ، قال أحمد بن يحيى : لا يجوز فيها غيره ، ونص في «البارع» على التخفيف ، وحكى التشديد ابن سيدة في «الحكم» ، قال في «تهذيب المطالع» ولم أره غيره ، وأشار بعضهم إلى أن التثقيل لم يسمع من فصيح ، وذلك أن المنسوب ، بابه يكون في المنسوب إليه ، نحو الاسكندرية ، وأما الحديبية فلا تعقل فيها النسبة ، وباء النسب في غير المنسوب قليلا ، ومع قلته موقوف على السماع .

والحديبية : مكان يسمى بيئر كانت هناك ثم عرف المسكان كله بذلك ، وهو قريب من مكة ، أكثره في الحرم وبينه وبين مكة نحو مرحلة واحدة ، ومن

المدينة تسع مراحل ، وكانت غزوة الحديبية سنة ست في ذي القعدة على الصحيح .
(ألفاً) واحدة (وأربعمائة) ورواه البخاري ومسلم وغيرها عن عمرو بن دينار
أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنها ... الحديث .

وفي « الصحيحين » وغيرها من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال : « كان
أصحاب الشجرة ألفاً وثلثمائة » ، وأخرج مسلم والترمذي والنسائي من حديث
أبي الزبير أنه سمع جابراً رضي الله عنه يسأل : كم كانوا يوم الحديبية ؟ قال :
« كنا أربع عشرة مائة ، فبايعناه ﷺ ، وعمر رضي الله عنه أخذ بيده ، تحت
الشجرة وهي سمرة ، وكذا في حديث معقل في « صحيح » مسلم ولفظه : « لقد
رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس ، وأنا رافع غصناً من أغصانها عن
رأسه ، ونحن أربع عشرة مائة » .

واختلفت الروايات في عدة من كان مع رسول الله ﷺ يومئذ ، فقليل
ألف وثلثمائة ، وقيل ألف وأربعمائة ، وقيل ألف وخمسمائة .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا
أكثر من ألف وأربعمائة ، فمن قال : إنهم ألف وخمسمائة جبر الكسر ، ومن قال :
هم ألف وأربعمائة ألغاه ، ويؤيد هذا قول البراء في رواية عنه : كنا ألفاً وأربعمائة
أو أكثر ، واعتمد على هذا الجمع النووي ، وأما البيهقي فمال إلى الترجيح ، وقال :
إن رواية من قال ألفاً وأربعمائة أرجح ، ووقع في رواية معقل بن يسار عن
سلمة بن الأكوع عند ابن سعد : زهاء ألف وأربعمائة ، وهو ظاهر في عدم
التحديد ، وأما قول عبد الله بن أبي أوفى : كنا ألفاً وثلثمائة كما رواه البخاري
ومسلم فيحمل على ما اطلع عليه ، واطلع غيره على زيادة ناس لم يطلع هو عليهم ،
وزيادة الثقة مقبولة ، أو العدد الذي ذكره عدد المقاتلة ، والزيادة عليها من الاتباع

من الخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ، وأما قول ابن اسحق : انهم كانوا سبعمائة ، فلم يوافق عليه .

قال الامام ابن القيم في « الهدي » : ما ذكره ابن اسحق غلط بـيـن ، وما استدلل به من أنهم نَحَرُوا سَبْعِينَ بَدَنَةً ، البدنة جاء إجزاؤها عن سبعة وعن عشرة لا يدل على ما قاله ، فانه قد صرح : أن البدنة في هذه العمرة عن سبعة ، فلو كانت السبعين عن جميعهم كانوا أربعمائة وتسعين رجلاً ، وقد قال جابر في تمام الحديث الذي استدلل به ابن اسحق بعينه : انهم كانوا ألفاً وأربعمائة ، هذا وقد جزم ابن عقبة : بأنهم كانوا ألفاً وستمائة ، وفي حديث سلمة بن الأكوع عند ابن أبي شيبه ألفاً وسبعمائة ، وحكى ابن سعد أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين ، وهذا إن ثبت تحديده بالتحديد ، ورواه ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنها ، وفيه رد على ابن دحية ، حيث زعم : أن سبب الاختلاف في عددهم ، أن الذي ذكر عددهم لم يقصد التحديد ، وإنما ذكره بالحدس والتخمين .

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه (فقال لنا) : معشر من كان معه في الحديبية من أصحابه (رسول الله ﷺ) أنتم اليوم خير أهل الأرض) يعني : أهل بيعة الرضوان .

وقد أخرج الامام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها ، ومسلم عن أم بشر رضي عنها أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة » ، وروى الامام أحمد بسند رجاله ثقات ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « لما كان يوم الحديبية ؛ قال رسول الله ﷺ : لا توقدوا ناراً بالليل ، فلما كان بعد ذلك قال : أوقدوا واصطنعوا ، فانه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم » .

وكان أول من بايع النبي ﷺ يومئذ أبو سنان الأسدي ، فقال للنبي

ﷺ : « ابسط يدك أبياعك . فقال النبي ﷺ : علام تباعني ؟ قال : على ما في نفسك » ، زاد ابن عمر قال : وما في نفسي قال : اضرب بسيفي بين يديك حتى يظهر لك الله أو أقتل . فباعه وباعه الخناس علىبيعة أبي سنان .

وأخرج البيهقي عن أنس ، وابن اسحق عن ابن عمر رضي الله عنهم قال : لما أمر رسول الله ﷺ بببيعة الرضوان ، كان عثمان رسول رسول الله ﷺ الى أهل مكة ، فباع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم إن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك » فضرب باحدى يديه على الأخرى ، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم . فلما نظر سهيل بن عمرو ، وحويط بن عبد العزى ، ومكرز بن حفص ، ومن كان معهم من عيون قريش من سرعة الناس الى البيعة ، وتشميرهم الى الحرب ، اشتد رعبهم وخوفهم ، وأسرعوا الى القضية ، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه : أن المشركين من أهل مكة قد قتلوه لا أصل له ، بل هو طيب (١) ، فسادن قريشاً يومئذ .

وفي « صحيح » مسلم والترمذي والنسائي من حديث جابر رضي الله عنه قال : فباعناه « يعني النبي ﷺ » غير جد بن قيس الانصاري ، اختفى تحت بطن بعيره ، وعند ابن اسحاق قال جابر رضي الله عنه : « فكأنني أنظر اليه لاصقاً بابط ناقتة ، قد ضبأ اليها » ، وهو بفتح الضاد المعجمة والموحدة مهموز بمعنى اختفى بها ، يستتر بها من الناس ، فهذا مستثنى فليس له فضيلة ، وكان يرمى بالنفاق ، وقد عده الحافظ ابن الجوزي في كتابه « منتخب المنتخب » في المنافقين ، ونزل في حقه في غزوة تبوك ما يشعر بذلك ، وهو ابن عمه البراء بن معرور ، وكان سيد بني سلمة ، بكسر اللام في الجاهلية .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لبني سلمة : من سيدكم ؟ قالوا : الجد

(١) كذا في الاصل ويقصد : حي .

ابن قيس على بخل فيه ، قال : وأي داء أدوأ من البخل ! ثم قال : بل سيدكم عمرو بن الجحوح . وقيل : انهم قالوا : يا رسول الله : من سيدنا ؟ قال : سيدكم بشر بن البراء بن معرور . ومال اليه ابن عبد البر ، ويدل للأول قول شاعر الانصار :

وقال رسول الله والحق قوله	لمن قال منا من تسموه سيداً ؟
فقالوا له : جد بن قيس على التي	يبخله فيها ، وإن كان أسودا
فتى ما تخطى خطوة لدنية	ولا مد يوماً ما الى سوءة يدا
فسود عمرو بن الجحوح لجوده	وحق لعمر بن الندي أن يسودا
إذا جاءه السؤال أنهب ماله	وقال خذوه انه عائد غدا
ولو كنت يا جد بن قيس على التي	على مثلها عمرو ، لكنت المسودا

قال ابن الأثير في « جامع الأصول » : أبو عبد الله الجد بن اقيس بن صخر الانصاري السامي هو خال جابر بن عبد الله ، يقال : انه مات في خلافة عثمان . والله أعلم .

تنبيهه : قال ابن عبد البر : ليس في غزوات النبي ﷺ ما يعدل بدرأ ، أو يقرب منها إلا غزوة الحديبية ، وهذا هو الراجح عندنا ، وأما متكلموا الاشاعرة فقدّموا غزوة أحد في الفضيلة على الحديبية ، فزعموا أن غزوة أحد هي التي تلي غزوة بدر في الفضيلة ، والأول أولى ، والله أعلم .

الحديث الخامس والعشرون

٤٠ — ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابراً يقول : قال رجل يوم أحد : إن قتلت فأين أنا ؟ قال في الجنة ، فألقى

تمرات كن في يده فقاتل حتى قتل ، وقال غير عمرو :
تخلّى من طعام الدنيا .

قال رضي الله عنه (ثنا سفيان) ابن عيينة (عن عمرو) ابن دينار أنه
(سمع جابرأ) رضي الله عنه (يقول : قال رجل) قال الخطيب : هو عمير بن
الحمام - بضم الحاء المهملة والميم المخففة فألف فميم - الأنصاري ، ذكره الامام
النووي في « مبهاته » (يوم) غزوة جبل (أحد) المتقدم ذكره في الحديث العاشر
من أحاديث جابر رضي الله عنه ، وهو بقرب المدينة الشريفة ، قال النووي في
« تهذيبه » : على نحو ميلين . وفي الحديث : « ان أحدأ على ترعة من ترع الجنة »
وفي لفظ : « على باب من أبواب الجنة » ، ويقال : ان فيه قبر هارون أخي
موسى بن عمران عليها السلام ، قلت : وهذا ليس بشيء ، وإنما كان عليه السلام
يكثر ذكره في التشبيه به ، كحديث : « من صلى على جنازة وحضرها ، كان له
قيراطان ، أدناهما مثل أحد ، مع أن في الأرض من الجبال ما هو أكبر منه ،
لأنه عليه السلام كان يحبه كما سبق ، وقيل : لأنه يتصل في امتداده واتساعه الى الارض
السابعة السفلى .

تنبيه : عمير بن الحمام الأنصاري ، الذي ذكره الخطيب أنه الرجل
المبهم في هذا الحديث ، استشهد يوم بدر ، ولهذا قال النووي تبعاً للخطيب :
وكانت قصته يوم بدر لا يوم أحد . قال ابن البلقيني في « الألفهام » : قيل : ان هذا
الرجل يعني المبهم في الحديث ، هو عمير بن الحمام . كذا قاله ابن بشكوال ، قال
لكنه ساق ما لا حجة فيه ، فأخرج ما يقتضي ان ذلك كان في بدر ، من
طريق مسلم عن أنس رضي الله عنه ، وساق فيه : أن عمير بن الحمام
بعد الوعد بالجنة ، أخرج تمرات ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال : « لئن حيت

حتى آكل تمراتي هذه ، انها لحياة طويلة ، ثم قاتل حتى قتل . قال ابن بشكوال :
ووقع في حديث جابر ان هذا كان يوم أحد . وفي حديث أنس : ان ذلك كان يوم
بدر ، والله أعلم أي ذلك كان .

وفي « أسد الغابة » أن عمير بن الحمام قتل ببدر ، وهو أول قتيل من
الأنصار في الاسلام في حرب ، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بينه وبين عبدة
بن الحارث ، فقتلا يوم بدر جميعاً ، قتله خالد بن الأعم ، فعلى هذا يكون تفسير
ما في قصة جابر بغير عمير بن الحمام فليطلب انتهى .

وفي « الشامية » قال ابن إسحق وغيره : ثم تراحم الناس ؛ يعني يوم بدر ،
ودنا بعضهم من بعض ، فخرج رسول الله ﷺ الى الناس فحرضهم ، فقال :
« قوموا الى جنة عرضها السموات والارض ، والذي نفسي بيده ، لا يقاتلهم اليوم
رجل ، فيقتل صابراً محتسباً ، قبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة » فقال - كما
في « صحيح مسلم » وغيره من حديث أنس - عمير بن الحمام ، أخو بني سلمة ،
وفي يده تمرات يأكلهن : « بخ بخ يا رسول الله ! عرضها السموات والارض ؟ !
قال : نعم . قال : أفما بيني وبين ان أدخل الجنة ، إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ ! . وفي رواية
قال : لئن حبيت الى أن آكل تمراتي هذه ، انها لحياة طويلة ، ثم قذف التمرات
من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل .

وذكر ابن جرير ان عميراً قاتل وهو يقول :

ركضا الى الله بغير زاد	إلا التقى وعمل المماد
والصبر في الله على الجهاد	وكل زاد عرضة التّفاد
غير التقى والبرّ والرشاد	

قال ابن عتبة : فكان أول قتيل قتل من المسلمين ، وقال ابن سعد : أول
قتيل قتل : مهجع مولى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، والجمع ما أشرنا اليه :

ان أول قتيل من الانصار عمير ، واما أول قتيل مطلقا فمجمع .

(إن قتلت) شهيداً في يومي هذا (فأين أنا ؟) أي الى أي الدارين أصير ؟
(قال) ﷺ : ان قتلت مقبلاً غير مدبر ، صابراً محتسباً : فأنت (في الجنة)
المهودة التي عرضها السموات والارض (فألقى) الرجل (تمرات) قليلة (كن
في يده) يأكل منها . وقال : « بخ بخ ، جنة عرضها السموات والارض ، ما بيني
وبين أن أدخلها إلا أن يقتلني هؤلاء » (فقاتل) في سبيل الله ، لاعلاء كلمة الله
(حتى قتل) « بالبناء للمجهول » أي حتى قتله اعداء الله صابراً محتسباً ، مقبلاً
غير مدبر ، مصداقاً بوعده الله ورسوله ﷺ . وهذا أعني حديث جابر باللفظ
المذكور في « الصحيحين » وسنن النسائي وغيرهما .

(وقال غير عمرو) بن دينار عن جابر رضي الله عنه : (تخلى) ذلك الرجل أي
تفرغ (من طعام الدنيا) يقال : « تخلى منه وعنه » إذا أتركه رغبة عنه ، لأنه
بالنسبة الى طعام الجنة لا يعد ، وإن كان هو في نفس الامر شهياً ، لذيق الحلاوته ،
فطعام الجنة أشهى وألذ : « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا : هذا الذي رزقنا
من قبل وأتوا به متشابهاً » (١) .

وفي الحديث : « ان من قتل في سبيل الله فهو في الجنة » قال الله تعالى : « إن
الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله ،
فيقتلون ويقتلون ، وعداً عليه حقا » (٢) وقال تعالى : « يا أيها الذين امنوا هل
أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في
سبيل الله ، بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم
ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ، ومسكن طيبة في جنات
عُددن ، ذلك الفوز العظيم » (٣) الى قوله : وبشر المؤمنين . قال ابن عباس

(١) سورة البقرة ، الاية ٢٥ . (٢) سورة التوبة ، الاية : ١١١ ، وفي الاصل :
زيادة : « إلى قوله : « وبشر المؤمنين » ، وهو خطأ لأن هذه الزيادة في سورة الصف .

(٣) سورة الصف ، الايات : ١٠ - ١٢ .

رضي الله عنها : انهم قالوا : لو نعلم أحب الأعمال الى الله لعملناها ، فنزلت هذه الآية .

وفي « الصحيحين » و « السنن » من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . قال : قيل : يا رسول الله أي الناس أفضل ؟ فقال ﷺ : « مؤمن مجاهد في سبيل الله بنفسه وماله ، قالوا : ثم من ؟ قال : مؤمن في شعب من الشعاب ، يتقي الله ، ويدع الناس من شره » وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مثل المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة » وفي رواية « إن توفاه ، بأن الشرطية لا المصدرية ، رواه البخاري ومسلم وغيرها .

وقد قال المغيرة بن شعبه رضي الله عنه : أخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا : « من قتل منا صار الى الجنة » رواه البخاري وغيره . وفي حديث المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه » رواه ابن ماجه ، والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح غريب . والاحاديث في هذا الباب كثيرة جداً .

الحديث السادس والعشرون

٤١ - ثنا سفيان ، قال : سمع عمرو جابراً يقول : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة راكب ، أميرنا

أبو عبيدة بن الجراح ، فأقمنا على الساحل حتى فني زادنا ، حتى
أكلنا الخبط ، ثم إن البحر ألقى دابة يقال لها : العنبر ، فأكلنا
منه نصف شهر حتى صلحت أجسامنا ، فأخذ أبو عبيدة ضلعاً
من أضلاعه فنصبه ، ونظر الى أطول بعير ، فجاز تحته ، وكان
رجل نحر ثلاث جزر ، ثم ثلاث جزر ، ثم ثلاث جزر ، فنهاه
أبو عبيدة .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) بن عيينة (قال :) أي سفيان (سمع
عمرو) بن دينار (جابراً) رضي الله عنه (يقول : بعثنا) أي أرسلنا ، يقال : بعثه
كمنه إذا أرسله (رسول الله ﷺ في ثلثمائة راكب) من المهاجرين والانصار ،
فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين (أميرنا) أمين الأمة (أبو عبيدة)
عامر بن عبد الله (ابن الجراح) رضي الله عنه .

تقدمت ترجمته في الحديث الاول من « مسند » جابر بن عبد الله رضي الله
عنها ، وتقدم شرح هذا الحديث هناك ، ولكن أحلنا هناك على تمام الكلام عليه
هنا ، وتقدم هناك ذكر الخلاف في كون هذه السرية ، كانت في الثامنة من
الهجرة ، وفي كونها كانت في شهر رجب من السنة المذكورة .

(فأقمنا على الساحل) أي سيف البحر وشاطئه ، سمي بذلك لأن الماء سحله ،
وكان القياس مسحولاً ، ومعناه ذو ساحل من الماء إذا ارتفع المد ثم جزر ، فحذف
ما عليه (حتى) أي الى أن (فني) كرضي وسمي فانعدم (زادنا) الذي تزودناه
لسفرنا من الطعام ، فانتهى الحال بنا والمجاعة (حتى أكلنا الخبط) « بفتح الخاء

المعجمة ، ما يسقط من ورق الشجر ، اذا خبط بالمصى لتعلمه الابل ، قال في
« المطالع » : الخبط هو ورق السمر ، ومنه دقيقاً ، وخبطاً ، واختبط ، ضرب
بالمصا ليسقط ، فيلبسونه بالماء فيأكلونه ، كما في رواية ، وكنا نضرب بمصينا الخبط ،
ثم نبله بالماء فنأكله . انتهى .

قال جابر رضي الله عنه (ثم) بعد إقامتنا بالساحل خمسة عشر يوماً (ان
البحر القي) منه (دابة) وهو حوت قذفه البحر (يقال لها) أي لتلك الدابة
(العنبر) قال في « النهاية » : هي سمكة بحرية يتخذ من جلدها التراس ، ويقال
للتراس : عنبر .

تتمة في ذكر العنبر وهو الطيب المعروف ، جاء في الحديث عن ابن عباس
رضي الله عنهما : سئل عن زكاة العنبر فقال : « إنما هو شيء دسر به البحر » أي
دفعه ورمى به . وفي الحديث : « العنبر ليس بركاز فلا زكاة فيه » خلافاً للحسن ،
لأن الذي يستخرج من البحر لا يسمى ركازاً ، لفسة ، ولا عرفاً ، بل هو لمن
وجده ، وهو شيء يقذفه البحر بالساحل ، وهو نبات يخلقه الله في قعره وجنباته
أو نبع عين فيه ، أو شجر ينبت في البحر ، فينكسر فليقيه الموج الى الساحل ،
أو روث دابة بحرية ، ذكر ذلك بعض أهل العلم .

وقال القزويني : زعموا ان بقرأ تطلع من البحر ، ترعى الزرع ، روئها
العنبر ، والله أعلم بصحة ذلك ، فان الناس ذكروا ان العنبر ينبت في قعر البحر ،
فان صح ما قالوه ، فروث هذا الحيوان ، ينفع الدماغ والحواس والقلب .

قال داود الانطاكي في « تذكرته » : الصحيح ان العنبر عيون بقعر البحر ،
تقذف دهنيته ، فاذا فارت وصارت على وجه الماء جمدت ، فيلقها البحر على
الساحل ، وقيل : طل يقع على البحر ثم يجتمع ، وقيل : روث سمك . قال :

وهذا خرافات ، لأن السمك يبلغه فيموت ، ويقذف السمك في أجوافه .
انتهى .

قال الامام ابن القيم : والعنبر أفخر أنواع الطيب بعد المسك ، وأخطأ من قدمه عليه ، قال : وضروبه كثيرة ، وألوانه شتى : أبيض ، وأشهب ، وأصفر ، وأحمر ، وأخضر ، وأزرق ، وأسود وهو الأجود .

قال : ومن منافعه : انه يقوي القلب والحواس والدماغ . أخرجه ابن النجار في «تاريخه» ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها . انتهى . وفي «تذكرة» داود : أجوده الاشهب العطر ، يليه : الازرق ، فالاصفر ، فالفسنقي . قال : والذي يمضغ ويمط ولم يقطع خالص . وغيره رديء ، ويعش بالخص ، والادن ، والشمع ، ولا يعرف تركيبه إلا الحذاق . وموضعه بحر عمان ، والمندب ، وساحل الخليج المغربي ، وكثيراً ما يقذف بنيسان . وتبلغ القطعة منه الف مثقال ، وخالصه يوجد فيه أظفار الطيور ، لانها تنزل عليه فيجذبها .

قال : وهو حار في الثانية ، يابس في الاولى ، ينفع سائر امراض الدماغ الباردة طبعاً ، وغيرها خاصة ، ومن الجنون ، والشقيقة ، والنزلات ، وأمراض الاذن ، والانف ، وعلل الصدر ، والسعال ، والربو ، والغثي ، والخفقان ، وقروح الرئة ، وضعف المعدة ، والكبد ، والاستسقاء ، واليرقان ، والطحال ، وأمراض الكلى ، والرياح الغليظة ، والفالج ، واللقوة ، والمفاصل ، والنساء ، شماً وأكلًا . وكيف كان فهو أجمل المفردات فيما ذكر ، شديد التفريح ، خصوصاً بعثله بنفسج ونصفه صمغ ، ويحفظ الارواح ، وينعش القوى ، ويعيد ما أذهبه الدواء والجماع ، ويهيج الشهوتين ، وإن لوزم بماء العسل أعاد الشهوة بعد اليأس ، وكذا ان مزج^(١) به مع الغالية .

ومن خواصه : ان الطلاء به عند الفعل ، يجدد اللذة مالا يمكن بمده

(١) في الاصل : مزوج ، ، والتصحيح من « التذكرة » .

المفارقة ، وذخانه يطرد الهوام ، ويصلح الهواء ، ويمنع الوباء . والمبلوغ منه سهك ردي . وشربته دافق وهو يحدث الما شري في الحرور ، ويصلحه الكافور ، ويضر المعى ويصلحه الصمغ ، وهو بادزهر^(١) السموم مطلقاً ، وإذا خلي عنه المعجون ضعف مطلقاً . والله أعلم .

قال جابر رضي الله عنه : (فأكلنا منه) أي من الحوت الذي يقال له العنبر الذي القاه البحر (نصف شهر) تقدم الكلام على هذا ، واختلاف الروايات فيه ، وطريق الجمع بينها في الحديث الاول من مسند جابر (حتى صلحت أجسامنا) وسمناً (فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه^(٢) فنصبه) أي أقامه (ونظر الى أطول بعير) فاركبه أطول رجل في الركب ، قيل : هو قيس بن سعد بن عبادة (فجاز تحته) ما يطأ طيء رأسه . قال جابر رضي الله عنه : (وكان رجل) وهو قيس بن سعد بن عبادة ، ابن دليم الأنصاري الخزرجي ، الجواد بن الجواد (نحر ثلاث جزر) ، وفي لفظ : ثلاث جزائر . والجزائر والجزر جمع جزور ، وفيه نظر ، فان جزائر جمع جزيرة ، والجزور إنما يجمع على جزر « بضمين » فلهذا جمع الجمع كما في « الفتح » (ثم) نحر (ثلاث جزر ثم) نحر (ثلاث جزر فنهاه أبو عبيدة) ابن الجراح . وكان قيس بن سعد رضي الله عنهما اشترى الجزر من اعرابي جهني ، كل جزور بوسق من تمر ، يوفيه إياه في المدينة .

وفي « الغيلانيات » : لما رأى قيس بن سعد ما بالناس من الجهد قال : من يشتري مني تمرأ بجزر أنحرها ههنا وأوفيه التمر بالمدينة ؟ فجمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : واعجباه لهذا الغلام ! لآمال له يدان في مال غيره . فوجد قيس رجلاً من جهينة ، فقال قيس : بعني جزراً وأوفيك شقة تمرأ بالمدينة ، قال

(١) في الاصل : بازهر ، والتصحيح من « تذكرة داود » .

(٢) وعلى هامش الاصل : والضلع بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام ، وسكنتها تميم ، مؤنثة ، وجمعها اضلاع وضلوع ، وهي عظام الجنين .

الجهني : والله ما أعرفني بنسبك ، أما انه يبني وبين سعد خلة ، سيد أهل يثرب ، فابتاع منه خمس جزائر ، كل جزور بوسق ، من تمر يشترط عليه البدوي ، تمر ذخرة مصلبة من تمر آل دليم ، فيقول قيس : نعم .

قال الجهني : فأشهد لي ، فأشهد له نفرأ من الانصار ، ومعهم نفر من المهاجرين ، فقال عمر : لا أشهد هذا يدان ولا مال له ، إنما المال لأبيه ، فقال الجهني : والله ما كان سعد يحنى^(١) بابنه في شقة « بكسر الشين المعجمة » الشظية والقطعة من تمر . قال : وأرى وجهاً حسناً ، وفعلاً شريفاً ، فأخذ قيس الجزر فنحرها لهم في موطن ثلاث ، كل يوم جزوراً ، والاصح ما في « الصحيحين » : كل يوم ثلاث جزر ، فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره وقال : تريد أن تحفر ذمتك ولا مال لك .

وفي رواية من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه ، أن أبا عبيدة رضي الله عنه قال لقيس : عزمت عليك أن لا تنحر ، أتريد أن تحفر ذمتك ولا مال لك؟ فقال قيس رضي الله عنه : يا أبا عبيدة ، أترى أبا ثابت وهو يقضي ديون الناس ، ويحمل الكل^١ ويطعم في المجاعة ، لا يقضي عني شقة من تمر تقوّم مجاهدين في سبيل الله؟! فكاد أبو عبيدة يلين له ويتركه ، حتى جعل عمر يقول له : اعزم عليه ، فعزم عليه ، وأبى عليه أن ينحر ، فبقيت جزوران معه ، فقدم المدينة بهما يتعاقبون عليهما ، وبلغ سعد بن عباد ما كان أصاب الناس من المجاعة ، فقال رضي الله عنه : ان يكن قيس كما أعرف ، فسوف ينحر للقوم ، فلما قدم قيس بن سعد بن عباد لقيه أبوه ، فقال ما صنعت في مجاعة القوم حيث أصابهم؟ قال : نحرت . قال : أصبت ، ثم ماذا؟ قال : نحرت . قال : أصبت ، ثم ماذا؟ قال : نهيت . فقال من نهاك؟ قال أبو عبيدة

(١) وعلى هامش الاصل: قوله يحنى عليه وهو بفتح التحتية وسكون الحاء المعجمة، بمعنى يسلمه.

ابن الجراح ، قال : ولم ؟ قال : انه لا مال لي ، وانما المال لأبيك ، قال : فلك أربعة حوائط ، أدنى حائط منها يجذّ خمسين وسقا ، وكتب بذلك كتابا ، واشهد أبا عبيدة وغيره ، وقدم الجهني مع قيس فأوفاه شقته ، وحمله وكساه .
وعند ابن خزيمة عن جابر قال : بلغ رسول الله ﷺ فعل قيس فقال : « ان الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت » ولما بلغ سعد بن عباد ما قال عمر وسؤال أبا عبيدة بالغمز على قيس أن لا ينجر ، جاء الى رسول الله ﷺ فقال : من يذرني من ابن الخطاب ؟ ييخل عليّ ابني . وتقدم الكلام على فقه هذا الحديث ، وبالله التوفيق .

الحديث السابع والعشرون

٤٢ — ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله ، قال : لما نزلت : قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ، قال رسول الله ﷺ : أعوذ بوجهك ، فلما نزلت : ومن تحت أرجلكم قال رسول الله ﷺ : أعوذ بوجهك ، فلما نزلت : أو يلبسكم ... الى بعض . قال : هذه أهون وأيسر .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) ابن عيينة (عن عمرو) بن دينار أنه (سمع جابر بن عبد الله) الانصاري رضي الله عنها (قال : لما نزلت) هذه الآية الكريمة من سورة الانعام (قل هو القادر على أن يبعث عليكم) معشر أمة محمد ﷺ (عذابا من فوقكم)^(١) من الصيحة والريح والحجارة والطوفان ، كما د

(١) سورة الانعام ، الآية : ٦٥

وتمود ، وقوم لوط ، وقوم نوح ، وأصحاب الفيل ، (قال رسول الله ﷺ : أعوذ بوجهك) زاد في رواية : الكريم (فلما نزلت) الآية الثانية وهي قوله تعالى : (ومن تحت أرجلكم)^(١) من الخسف والرجفة ، كقارون وقوم شعيب (قال رسول الله ﷺ : أعوذ بوجهك) الكريم (فلما نزلت : أو يلبسكم الى... بعض)^(٢) أي يلبسكم شيئا أي يخلطكم فرقا مختلفين ، قال أبو عبيدة : شيئا « فرقا » واحدها « شيعه » وقال ابن عباس رضي الله عنها في قوله شيئا : الالهواء المختلفة ، ويذيق بعضكم بأس بعض ، بالحرب والقتل في الفتنة (قال) ﷺ : (هذه أهون وأيسر) وفي رواية في « الصحيحين » : « هذا أهون ، أو هذا أيسر » الشك من الراوي ، والضمير يعود على الكلام الأخير ، وفي كتاب « الاعتصام » من صحيح البخاري : « هاتان أهون أو أيسر ، أي خصلة اللباس ، وخصلة اذاقة بعضهم بأس بعض .

وقد روى ابن مردويه ، من حديث ابن عباس رضي الله عنها ، ما يفسر به حديث جابر رضي الله عنه ، ولفظه : « عن النبي ﷺ قال : دعوت الله أن يرفع عن أمي أربعة ، فرفع عنهم اثنتين ، وأبي أن يرفع عنهم اثنتين ، دعوت الله أن يرفع عنهم الرجم من السماء ، والخسف من الأرض ، وإن لا يلبسهم شيئا ، وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض ، فرفع عنهم الخسف والرجم ، وأبي أن يرفع عنهم الآخرين . »

فيستفاد من هذه الرواية المراد بقوله : من فوقكم ، ومن تحت أرجلكم ، ويستأنس له أيضاً بقوله تعالى : « أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر ، أو يرسل عليكم حاصبا »^(٣) ووقع أصرح من ذلك عند ابن مردويه ، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه ، قال في قوله تعالى : « عذابا من فوقكم » قال : الرجم « أو من تحت أرجلكم ، الخسف .

(١) سورة الانعام ، الآية : ٦٥

(٢) سورة الاسراء ، الآية : ٦٨

ويروى ان المراد بالفوق أئمة السوء ، وبالتحت خدم السوء ، رواه
السدي عن ابن عباس ، وقيل المراد بالفوق : حبس المطر ، وبالتحت : منع الثمرات ،
والاول هو المعتمد .

وفي الحديث دليل على أن الحسب والرجم لا يقعان في هذه الأمة ، وفيه
نظر ، فقد روى الامام أحمد ، والطبري ، من حديث أبي بن كعب في هذه الآية
« قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم » (١) قال : « هن أربع ، وكلهن
واقع لا محالة ، فمضت اثنتان بعد وفاة نبيهم بخمس وعشرين سنة ، لبسوا شيئا ،
وذاق بعضهم بأس بعض ، وبقيت اثنتان ، واقعتان لا محالة : الحسب والرجم .
وقد أعل هذا الحديث : بأن أبي بن كعب لم يدرك سنة خمس وعشرين
من الوفاة النبوية ، فكان حديثه انتهى عند قوله : لا محالة ، والباقي كلام بعض
الرواة . وأعل أيضاً : بانه مخالف لحديث جابر وغيره .

وأجيب بان طريق الجمع : ان الاعادة المذكورة في حديث جابر وغيره ،
مقيدة بزمان مخصوص ، وهو وجود الصحابة ، والقرون الفاضلة ، وأما بعد
ذلك فيجوز وقوع ذلك فيهم .

وقد روى الامام أحمد ، والترمذي من حديث سعيد بن أبي وقاص رضي
الله عنه ، قال : سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية : قل هو القادر الى
آخرها ، فقال : « أما إنها كائنة ، ولم يأت تأويلها بعد » وهذا يحتمل أن لا يخالف
حديث جابر : بأن المراد تأويلها : ما يتعلق بالفتن ونحوها ، وعند الامام أحمد
أيضاً باسناد صحيح ، من حديث صحار « بالمهملتين أوله مضموم مع التخفيف ،
العبدى رفعه » قال : « لا تقوم الساعة حتى يحسف بقباثل » ... الحديث .

وللترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « يكون في آخر
الامة خسف ، ومسح ، وقذف » ، « ولابن أبي خيثمة من طريق هشام بن الغازي

(١) سورة الانعام ، الآية : ٦٥

ابن ربيعة الجرشي ، عن أبيه ، عن جده ، رفعه : « يكون في أمي الخسف والقذف ، والمسوخ ، وذكر فيه أيضاً عن علي عند الترمذي ، وعن عثمان ، وعن أبي هريرة ، وعن ابن مسعود ، وابن عمر ، وابن عمرو ، وسهل ابن سعد ، عند ابن ماجه . وعن أبي أمامة ، عند الامام أحمد . وعن قتادة ، عند ولده . وعن أنس عند البزار . وعن عبد الله بن بسر ، وسعيد بن أبي راشد ، عند الطبراني . وعن ابن عباس ، وأبي سعيد ، عنده في «الصغير» . وفي أسانيدھا مقال غالباً ، كما في «الفتح» . لكن يدل مجموعها : على أن لذلك أصلاً ، ويحتمل في طريق الجمع أيضاً ، أن يكون المراد : ان ذلك لا يقع لجميعهم ، وان وقع لا افراد منهم ، غير مقيد بزمان ، كما في خصلتي العدو الكافر ، والسنة العامة ، فانه ثبت في «صحيح» مسلم ، من حديث ثوبان رفعه في حديث أوله : « إن الله زوى لي مشارق الارض ومغاربها ، وسيدبلغ ملك أمي ما زوى لي منها » . الحديث وفيه : « واني سألت ربي أن لا يهلك أمي بسنة عامة ، وان لا يسلط عليهم عدواً من غير أنفسهم ، وان لا يلبسهم شيعاً ، ويذيق بعضهم بأس بعض ، فقال يا محمد : اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، واني أعطيتك لامتك ان لا أهلكهم بسنة عامة ، وان لا أسلط عليهم عدواً من غيرهم ، فيستبيح بيضتهم ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً .

وأخرج الطبري من حديث شداد نحوه ، باسناد صحيح : « فلما كان تسليط العدو الكافر قد يقع على بعض المؤمنين ، لكنه لا يقع عموماً . كذلك الخسف والقذف ، ويؤيد هذا الجمع ، ما روى الطبري من مرسل الحسن قال : « لما نزلت قل هو القادر » (١) الآية ، سأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه ، فبسط جبريل فقال : يا محمد : انك سألت ربك أربعاً ، فأعطاك اثنتين ، ومنمك اثنتين : أن يأتيهم عذاب من فوقهم ، أو من تحت أرجلهم فيستأصلهم ، كما استأصل الأمم الذين كذبوا أنبياءهم ، ولكنه يلبسهم شيعاً ، ويذيق بعضهم بأس بعض ، وهذان

(١) سورة الانعام ، الآية : ٦٥

عذابان لأهل الإقرار بالكتب ، والتصديق بالأنبياء . انتهى .
وقد وردت الاستعاذة من خصال أخرى : منها عن ابن عباس ، عند ابن
مردويه مرفوعاً ، « سألت ربي لأمتي أربعا ، فأعطاني اثنين ، ومنعني اثنين ،
سألته : أن يرفع عنهم الرجم من السماء ، والفرق من الأرض ، فرفعها ... الحديث .
ومنها حديث سعد بن أبي وقاص ، عند مسلم مرفوعاً : « سألت ربي أن لا يهلك
أمتي بالفرق ، فأعطانيها ؛ وسألته أن لا يهلكهم بالسنة فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل
بأسهم بينهم فمنعنيها » وعند الطبري ، من حديث جابر بن سمرة نحوه ، لكن بلفظ :
« أن لا يهلكوا جوعاً » .

وهذا أيضاً مما يقوي الجمع المذكور ، فإن الفرق والجوع ، قد يقع لبعض
دون بعض ، لكن الذي حصل منه الأمان : ان يقع عاما . وعند الترمذي ، وابن
مردويه ، من حديث خباب نحوه ، وفيه : « أن لا يهلكنا بما أهلك الأمم قبلنا »
وكذا في حديث نافع بن خالد الخزازي ، عن أبيه ، عند الطبري ، وعند الإمام
أحمد ، من حديث أبي بصرة نحوه . لكن قال : بدل خصلة الأهلاك : « أن
لا يجمعهم على ضلالة » وكذا الطبري من مرسل الحسن ، ولا بن أبي حاتم ، من
حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه : « سألت ربي لأمتي أربعا ، فأعطاني ثلاثا ،
ومنعني واحدة ، سألته أن لا يكفر أمتي جملة فأعطانيها ، وسألته أن لا يظهر
عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الأمم قبلهم
فأعطانيها . وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » وللطبري من طريق السدي
مرسلا نحوه .

ودخل في قوله : بما عذب به الأمم قبلهم ، الفرق كقوم نوح وفرعون ،
والهلاك بالريح كعاد ، والخسف كقوم لوط وقارون ، والصيحة كعمود ،

وأصحاب مدين ، والرجم كأصحاب الفيل ، وغير ذلك مما عذبت به الامم
عموماً .

واذا جمعت الخصال المستعاذ منها ، من هذه الاحاديث التي سقناها ، بلغت
نحو العشرة ، وفهم من الحديث ، ومما سقناه من الاحاديث ، من كونه عليه السلام : سأل
رفع الخصلتين الاخيرتين ، فأخبر بأن ذلك قد قدر من قضاء الله ، وأنه لا يردان
القضاء والقدر . لاراد لمحتومه . وأما ما زاده الطبراني ، من طريق ابي الزبير عن
جابر ، في حديثه بعد قوله : « هذا أيسر » قال : « ولو استعاذه لأعاده » فمحمول
على أن جابراً لم يسمع بقية الحديث ، وحفظه سعد بن أبي وقاص وغيره ،
ويحتمل أن يكون قائل : ولو استعاذه من بعض رواته ، دون جابر رضي الله عنه
والله أعلم .

الحديث الثامن والعشرون

٤٣ - ثنا سفيان ، عن عمرو ، ذكروا الرجل يهل
بعمرة فيحل ، هل له أن يأتي قبل أن يطوف بالصفاء والمروة ؟ فسألت
جابر بن عبد الله فقال : لا حتى يطوف بين الصفا والمروة ،
وسألت ابن عمر ، فقال : قدم رسول الله عليه السلام ، فطاف بالبيت
سبعاً ، وصلى خلف المقام ركعتين ، وسعى بين الصفا والمروة ،
ثم قال : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) بن عيينة (عن عمرو) بن دينار
 (ذكروا الرجل) اذا أحرم (يَهْلُ) أي يرفع صوته محرماً ملبياً (بممرة فيحل)
 بأن يطوف بالبيت (هل له أن يأتي) يعني امرأته (قبل أن يطوف) أي يسمى
 (بالصفاء والمروة ؟) أي بينها ، قال عمرو بن دينار (فسألت جابر بن عبد الله)
 رضي الله عنهما عن ذلك : (فقال) جابر : (لا) يأتي امرأته (حتى يطوف)
 يعني يسمى (بين الصفا والمروة) سبعة أشواط ، لأنه لا يفرغ من عمرته إلا
 بالطواف بالبيت سبعة ، وبالسعي بين الصفا والمروة سبعة ، ثم يحلق أو يقصر ،
 فيحل له كل شيء كان قد منع منه باحرامه ، لأنه قد حل منه ، قال عمرو بن
 دينار (وسألت) أبا عبد الرحمن عبد الله (بن عمر) رضي الله عنهما عن ذلك (فقال)
 ابن عمر رضي الله عنه : (قدم رسول الله ﷺ) مكة المشرفة (فطاف بالبيت
 سبعة وصلى خلف المقام) يعني مقام إبراهيم (ركعتين ، وسعى بين الصفا
 والمروة) سبعة أشواط (ثم قال) ابن عمر رضي الله عنهما : (لقد كان لكم في
 رسول الله أسوة حسنة) وتقدم شرح هذا الحديث في الثاني عشر من أحاديث
 ابن عمر رضي الله عنهما .

الحديث التاسع والعشرون

٤٤ — ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن جابر : كنا
 نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) ابن عيينة (عن عمرو) بن دينار (عن

جابر (بن عبد الله رضي الله عنها^(١)) قال : (كنا) معشر الصحابة (نازل) أي نزع بعد الايلاج ، لننزل خارج الفرج ، (على عهد رسول الله ﷺ) أي في زمنه ، وهو بين أظارهم (والقرآن ينزل) عليه ، ووقع في رواية « الكشميهني » من « صحيح » البخاري : كان يعزل « بضم أوله ، وفتح الزاي ، على البناء المجهول ، وكان ابن عيينة حدث به مرتين ، وأسقط في رواية : « على عهد رسول الله » واقتصر على قوله : « كنا نازل ، والقرآن ينزل » قال سفيان حين روى هذا الحديث : « ولو كان شيئاً ينهى عنه ، انما ناهى عنه القرآن » قد أخرج هذه الزيادة مسلم عن إسحاق بن راهوية ، عن سفيان ولفظه : كنا نازل والقرآن ينزل ، قال سفيان : لو كان شيئاً ينهى عنه الخ . فهذا ظاهر في أن سفيان قاله استنباطاً ، وأوم كلام الامام الحافظ أبي عبد الله عبد الغني المقدسي في « عمدته » ومن تبعه ان الزيادة المذكورة من نفس الحديث ، فأدرجها فيه ، وليس الأمر كذلك ، كما بينت ذلك في « شرح العمدة » واذا قال الصحابي : كنا نفعل الشيء الفلاني ، في زمن النبي ﷺ كان له حكم الرفع عند الأكثر ، لأن الظاهر اطلاع النبي ﷺ على ذلك ، وإقراره عليه ، لتوفر دواعيهم على سؤالهم إياه عن الاحكام . وأما اذا لم يصفه لزمن النبي ﷺ ففيه خلاف : فعند قوم له حكم الرفع أيضاً ، وما هنا

(١) وعلى هامش الاصل : هكذا وقع في « المسند » في النسخ المتأخرة والذي في « الصحيحين » وغيرهما قال عمرو بن دينار واخبرني عطاء : انه سمع جابراً فهو من الاحاديث التي نزل فيها عمرو بن دينار ، فانه سمع الكثير من جابر نفسه ، ثم ادخل بينها في هذا واسطة ، وهو عطاء ، وقد تواردت الروايات من اصحاب سفيان على ذلك الا ما وقع في « مسند الامام احمد » في النسخ المتأخرة ، فانه ليس في الاسناد عطاء ، لكن اخرجه ابو نعيم من طريق « المسند » باثباته وهو المعتمد ، فيكون هذا الحديث بهذا الاعتبار رابعياً ، لا من الثلاثيات فتنبه له ، ويحتمل ان يكون رواه عمرو بن دينار اولاً بواسطة عطاء ، ثم سمعه من جابر وبالعكس ، فحدث به مرة هكذا ، ومرة هكذا وعلى كل حال هو من مزيد الاسانيد والله أعلم .

من الأول ، فإن جابر أ رضي الله عنه صرح بوقوعه في عهده ﷺ ، وقد وردت عدة طرق تصرح باطلاعه على ذلك ، ولهذا قال جابر : « والقرآن ينزل ، أي فعلناه في زمن التشريع ، ولو كان حراماً لم يقر عليه ، وإلى هذا يشير كلام ابن عمر رضي الله عنهما : « كنا نتقي الكلام والانبساط إلى نساءنا ، هية أن ينزل فينا شيء على عهد رسول الله ﷺ ، فلما مات النبي ﷺ تكلمنا وانبسطنا » أخرجه البخاري .

وأخرج مسلم ، من طريق أبي الزبير ، عن جابر رضي الله عنه قال : « كنا نمنزل في عهد رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك نبي الله فلم ينهنا » ومن وجه آخر عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال : « إن لي جارية وأنا أطوف عليها ، وأنا أكره أن تحمل ، فقال : اعزل عنها إن شئت ، فانه سيأتها ما قدر لها ، فلبث الرجل ، ثم أتاه فقال : ان الجارية قد حبلى ، قال : قد أخبرتك . ووقعت هذه القصة عنده من طريق سفيان بن عيينة بإسناد له آخر إلى جابر ، وفي آخره فقال : « أنا عبد الله ورسوله » وأخرجه الإمام أحمد ، وابن ماجه ، وابن أبي شيبة بسند آخر ، على شرط الشيخين بمعناه ، ففي هذه الطريق من التصريح ببلوغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، واطلاعه عليه ، ما أغنى عن الاستنباط ، ولا سيما بالاذن في بعض الطرق بفعله ، وإن أشعر السياق بأنه خلاف الأولى .

وفي « الصحيحين » وغيرها من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة بني المصطلق ، فسينا كرائم العرب ، فطالت علينا العزبة ، ورغبنا في الفداء ، فاردنا أن نستمتع ونمنزل ، فقلنا : نفعل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا لانسأله ، فسألنا رسول الله ﷺ فقال : « لا عليكم أن لاتفعلوا ، ما كتب الله عز وجل خلق نسيمة هي كائنة إلى يوم القيامة ، إلا

ستكون . وفي لفظ قال لنا : « وانكم لتفعلون ، وانكم لتفعلون ، ما من نسمة كائنة الى يوم القيامة إلا هي كائنة » . وفي آخر : « لاعليكم ان لاتفعلوا ذلك فانما هو القدر ، أو إنكم لتفعلون ، لاعليكم أن لاتفعلوا » .

وأخرج مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال : « كنا نغزل على عهد رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلم ينهنا » . وقد أخرج الامام احمد ؛ والبخاري ؛ وصححه ابن حبان ؛ من حديث انس بن مالك رضي الله عنه : « ان رجلا سأل عن العزل ؛ فقال النبي ﷺ : « لو ان الماء الذي يكون منه الولد أهرقه على صخرة ؛ لأخرج الله منها ولداً » . وله شاهدان في « الكبير » للطبراني .

وقد اختلف السلف في حكم العزل ؛ قال ابن عبد البر : لا خلاف بين العلماء أنه لا يعزل عن الزوجة الحرة إلا باذنها ؛ لأن الجماع من حقها ؛ ولها المطالبة به ؛ وليس الجماع إلا مالا يلحقه عزل . ووافقه في نقل هذا الاجماع ابن هبيرة من علمائنا ؛ وعبارته : واجمعوا على ان المالك العزل عن أمته ؛ وان لم يستأذنها ؛ واجمعوا على أنه ليس له العزل عن الحرة إلا باذنها . انتهى .

وتعقب بأن المعروف عند الشافعية : ان المرأة لاحق لها في الجماع أصلا ، ثم في خصوص هذه المسألة عند الشافعية خلاف مشهور في جواز العزل عن الحرة بغير اذنها . قال الغزالي وغيره : يجوز وهو المصحح عند المتأخرين ؛ واحتج الجمهور لذلك بحديث عن عمر ؛ اخرج الامام أحمد ؛ وابن ماجة بلفظ : « نهى عن العزل عن الحرة إلا باذنها » . وفي اسناده ابن لهيعة . والوجه الآخر للشافعية : الجزم بالمنع اذا امتنع . وفيما اذا رضيت وجهان : أصحها الجواز . هذا في الحرة . وأما الأمة ؛ فان كانت زوجة فهي مرتبة على الحرة ؛ ان جاز فيها ؛ ففي الأمة أولى ؛ وان امتنع فوجهان : أصحها الجواز تحرزاً من إرقاق الولد . وان كانت

سرية جاز بلا خلاف عندم إلا في وجه حكاه الروياني منهم في المنع مطلقاً ؛ كذهب ابن حزم . وان كانت السرية مستولدة ؛ فالراجح الجواز فيها مطلقاً ، لأنها ليست راسخة في الفراش . هذا تحرير مذهبهم كما ذكره الحافظ ابن حجر في « الفتح » . واتفقت المذاهب الثلاثة : على ان الحرة لا يعزل عنها إلا باذنها ؛ وان الأمة يعزل عنها بغير اذنها ؛ واختلفوا في المزوجة : فعند المالكية كذهبنا يحتاج الى اذن سيدها ؛ وهو قول أبي حنيفة أيضاً ؛ وقال أبو يوسف ومحمد : الاذن لها . وهي رواية عن الامام أحمد . وعنه باذنها .

قال الامام العلامة ابن مفلح في « فروعه » : ويحرم العزل بلا اذن حرة ، وسيدة أمة ، وقيل واذنها ، وقيل يباح مطلقاً ، وقيل عكسه ، ولا اذن لسريته . وفي ام الولد وجهان : قلت : المعتمد هي سرية فله العزل عنها . قال علماؤنا : واذا عن له أن ينزع قبل الانزال ، لا على قصد الانزال خارج الفرج ، لم يحرم في السكك .

تنبيهات

الأول : يجب عليه العزل عن السكك بدار حرب ، ولو بلا اذن لئلا يستولى على ولده . كما في « الاقناع » وفي « المنتهى » يسن . قال العلامة مرعي ^(١) في « غاية » : يكون العزل في دار الحرب وجوباً ، إن حرم ابتداء النكاح . وأما ان جاز ابتداء النكاح فيسن العزل ، وكذا في « شرح المنتهى » لمرض .

الثاني : أنكر بعض علماء الشافعية التفصيل بين حرمة العزل عن الحرة إلا باذنها ، وعدم الحرمة عن السرية . وقال : أتى هذا والجواب : ان عند عبد الرزاق ، بسند صحيح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال : تستأمر المرأة

(١) في الاصل : قال العلامة : م ع .

في العزل ، ولا تستأمر الأئمة السرية ، فإن كانت أمة تحت حر ، فعليه أن يستأمرها
وهذا نص في المسألة . فلو كان مرفوعا ، لم يحجز العدول عنه .

الثالث : اختلف في الوطاء : هل للمرأة حق فيه أولا ؟ فذهبنا لها حق
في الوطاء . وقد استنكر ابن العربي من المالكية القول بمنع العزل عمن يقول
بان المرأة لا حق لها في الوطاء . ونقل عن مالك : ان لها حق المطالبة به ؛ اذا
قصد بتركه إضرارها ، وعن الشافعي وأبي حنيفة : لا حق لها فيه ؛ إلا في وطئة
واحدة ، يستقر بها المهر . قال : فاذا كان الامر كذلك ، فكيف يكون لها حق
في العزل ؟ فان خصوه بالوطئة الاولى فيمكن ، وإلا فلا يسوغ فيما بعد ذلك إلا
على مذهب مالك . بالشرط المذكور . « انتهى » .

قال في « الفتح » : وما نقله عن الشافعي غريب ، والمعروف عند أصحابه
ان لا حق لها أصلا . نعم جزم ابن حزم بوجوب الوطاء ، وبتحريم العزل ،
واستند الى حديث جدامة (١) بنت وهب (٢) ان النبي ﷺ سئل عن العزل .
فقال : « ذلك الوأد الخفي » أخرجه مسلم . وهذا معارض بحديثين : أحدهما
أخرجه النسائي ، والترمذي ، وصححه من طريق معمر ، عن يحيى بن أبي كثير
عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان ، عن جابر رضي الله عنه . قال : « كانت لنا
حواري ، وكنا نمزل ، فقالت اليهود : ان تلك المؤودة الصغرى ، فسئل رسول الله
ﷺ عن ذلك . فقال : كذبت اليهود : لو أراد الله خلقه لم يستطع رده »
وأخرجه النسائي من طريق هشام ، وعلي بن المبارك وغيرهما ، عن يحيى ، عن

(١) وعلى هامش الاصل : « بضم الجيم وبالدال المهملة ، ويروى بالدال المعجمة ايضا ،
وقال الدارقطني هو يعني بالمعجمة ، تصحيف » .

(٢) وعلى هامش الاصل : وكانت تحت انيس بن قتادة من بني عمرو بن عوف روت عنها
عائشة . رضي الله عنها

محمد بن عبد الرحمن ، عن أبي مطيع ابن رفاعه ، عن أبي سعيد نحوه ، وعن أبي هريرة نحوه أيضاً ، والحديث الثاني في النسائي ، من وجه آخر ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة . وهذه طرق يقوى بعضها ببعض . ويجمع بينها وبين حديث جدامة ، بحمل حديث جدامة في التنزيه ، وهذه طريقة البهقي .

ومنهم من ضعف حديث جدامة بأنه معارض ، بما هو أكثر طرقاته ؛ وكيف يصرح بتكذيب اليهود في ذلك ، ثم يثبت ؛ وهذا دفع للأحاديث الصحيحة بالتوهم . والحديث صحيح لا ريب فيه ، والجمع ممكن .

ومنهم من ادعى أنه منسوخ ، ورد بعدم معرفة التاريخ :

وقال الطحاوي : يحتمل أن يكون حديث جدامة على وفق ما كان عليه الأمر أولاً من موافقة أهل الكتاب ؛ لأنه كان صلى الله عليه وسلم يجب موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه ، ثم أعلمه الله بالحكم ، فكذب اليهود فيما كانوا يقولونه . وتعقبه ابن رشد ، ثم ابن العربي ، بأنه لا يجزم بشيء تبعاً لليهود ، ثم يصرح بتكذيبهم فيه .

ومنهم من رجح حديث جدامة لثبوته في « الصحيح » وضعف مقابله بأنه حديث واحد اختلف في إسناده ، فاضطرب ، ورد بأن الاختلاف إنما يقدر حيث لا يقوى بعض الوجوه ، فمضى قويا بعضها عمل به ، وهو هنا كذلك ، والجمع ممكن .

ورجح ابن حزم العمل بحديث جدامة بأن أحاديث غيرها موافق أصل الإباحة ، وحديثها يدل على المنع . قال : فمن ادعى أنه أبيح بعد أن منع ؛ فعليه البيان .

وتعقب بأن حديثها ليس صريحاً في المنع ؛ إذ لا يلزم من تسميته وأداً

خفياً على طريق التشبيه أن يكون حراماً ، وخصه بعضهم بالعزل عن الحامل ؛ لزوال المعنى الذي كان يحذره الذي يعزل من حصول الحمل ، لكن فيه تضييع للحمل ؛ لأنه يغذوه ، فقد يؤدي العزل الى موته ، أو الى ضعفه المفضي الى موته ، فيكون وأداً خفياً ، وجموا أيضاً بين تكذيب اليهود في قولهم : المؤودة الصغرى ، وبين إثبات كونه وأداً خفياً في حديث جدامة بأن قولهم : المؤودة الصغرى يقتضي أنه وأد ظاهر ، لكنه صغير بالنسبة الى دفن المولود بعد وضعه حياً ، فلا يعارض قوله : إن العزل وأد خفي ؛ فانه يدل على أنه ليس في حكم الظاهر أصلاً ، فلا يترتب عليه حكمه ، وإنما جعله وأداً من جهة اشتراكها في قطع الولادة .

وقال بعضهم : قوله : الواد الخفي ، ورد على طريق التشبيه ، لأنه قطع طريق الولادة قبل مجيئه ، فأشبهه قتل الولد بعد مجيئه .

وقال الامام ابن القيم : الذي كذبت فيه اليهود ، زعمهم أن العزل لا يتصور معه الحمل أصلاً ، وجعلوه بمنزلة قطع النسل بالواد ، فأكذبهم وأخبر أنه لا يمنع الحمل إذا شاء الله خلقه ، وإذا لم يرد خلقه لم يكن وأداً حقيقة ، وإنما سماه وأداً خفياً في حديث جدامة ؛ لأن الرجل إنما يعزل هرباً من الحمل ، فأجرى قصده لذلك مجرى الواد ، لكن الفرق بينهما ؛ أن الواد ظاهر بالمباشرة ، اجتمع فيه القصد والفعل . والعزل يتعلق بالقصد صرفاً ، فلذلك وصفه بكونه خفياً ؛ فهذه عدة أجوبة أشار اليها في « الفتح » .

الرابع : اختلفوا في علة النهي عن العزل ، ف قيل : لتفويت حق المرأة ، وقيل : لمائدة القدر ، وهذا هو الذي يقتضيه معظم الأخبار الواردة في ذلك ،

والأول مبني على صحة الخبر ، المفرق بين الحرية والأمة ؛ وقد علل علماؤنا تحريم العزل ، لأن لها في الولد حقاً ، وعليها في العزل ضرر ، فلم يجوز إلا باذنها ، وقاسوا على ذلك سيد الأمة واستوجه في « الغاية » أن العزل عن الأمة مع ضررها ، يحرم بلا إذنها . والله أعلم .

الحديث الثلاثون

٤٥ — ثنا سفيان ، عن عمرو وابن المنكدر ، سمعا جابراً يزيد أحدهما على الآخر ، قال : قال رسول الله ﷺ : دخلت الجنة ، فرأيت فيها قصرأ أو دارأ ، فسمعت فيها صوتأ ، فقلت : لمن هذا ؟ فقيل : لعمر ، فأردت أن أدخلها ، فذكرت غيرتك يا أبا حفص ، فبكى عمر ، وقال مرة : فأخبر بها عمر ، فقال : يا رسول الله ، وعليك يغار ؟

قال سفيان : سمعته ، ابن المنكدر وعمرو سمعا جابراً .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) بن عيينة (عن عمرو) بن دينار (و) محمد (بن المنكدر) أنها (سمعا جابراً) رضي الله عنه (يزيد أحدهما على الآخر . قال) جابر رضي الله عنه (قال رسول الله ﷺ : دخلت الجنة) يحتمل أن يكون دخوله لها يقظة أو مناما ، وقد جاء الحديث بهذا اللفظ في « الصحيحين » وغيرها ، وجاء فيها كغيرهما . قال رسول الله ﷺ : رأيتني دخلت الجنة . وفي لفظ :

بينما أنا نائم ، رأيتني في الجنة . وهذا يعين أحد الاحتمالين في اللفظ الذي أخرجه الامام هنا ، بأنه كان مناماً (فرأيت فيها) أي الجنة (قصرأ) زاد في رواية في « الصحيحين » من ذهب (أو دارأ) وفي رواية فيها : دخلت الجنة ، ورأيت فيها دارأ أو قصرأ . والقصر : المنزل أو كل بيت من حجر ، والحصن (فسمعت فيها) أي الجنة (صوتاً) وفي لفظ خشفة — بفتح الخاء والشين المعجمتين والفاء ، فهاء تأنيث — صوت حركة ايس بالشديد ، قاله أبو عبيد .

وقال الفراء : الواحد بتحريك الشين المعجمة الحركة ، كما في « المطالع » وفي « القاموس » : الخشف والخشفة ويحرك : الصوت والحركة والحس الخفي ، أو الخشفة : صوت ديب الحيات ، وصوت الضبع ، وقد غلب عليه السهولة .

قال رسول الله ﷺ : لما سمع الصوت ، فقلت : من هذا ، فقال : هذا بلال... الحديث ، وفيه : (فقلت لمن هذا) القصر . قال الملقمي في « حاشية الجامع الصغير » الظاهر أن المخاطب له بذلك جبريل أو غيره من الملائكة . انتهى . قلت : وكأنه لم يستحضر حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند ابن أبي الدنيا مرفوعاً : دخلت الجنة فاذا فيها قصر أبيض ، قال : قلت لجبريل : لمن هذا القصر ؟ قال لرجل من قريش ، فرجوت أن أكون أنا ، فقلت : لأي قرشي (فقيل) أي قال جبريل عليه السلام : هو (لعمر) بن الخطاب رضي الله عنه ، ولا ينافي حديث أنس هذا حديثه في « الصحيحين » : أنه ﷺ قال : دخلت الجنة فاذا أنا بقصر من ذهب ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا لشاب من قريش ، فظننت أي أنا هو ، فقلت : ومن هو ؟ قالوا : لعمر بن الخطاب .

وفي « الصحيحين » من حديث جابر رضي الله عنه : فأيت على قصر مربع مشرف من ذهب .

قال الامام الحق ابن القيم في كتابه « حادي الأرواح الى منازل الافراح »

وهذا أي حديث أنس الذي عند ابن أبي الدنيا إن كان محفوظاً ، فبياضه : نوره وإشراقه وضياؤه .

وقال الحسن : قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي ، أو صديق ، أو شهيد ، أو حكم عدل ، يرفع بها صوته .

وقال الاعمش عن مالك ابن الحارث عن أبي سمي ، قال : ان في الجنة قصوراً من ذهب ، وقصوراً من فضة ، وقصوراً من لؤلؤ ، وقصوراً من ياقوت ، وقصوراً من زبرجد (فأردت أن أدخلها) أي تلك الدار .

وفي لفظ في « الصحيحين » وغيرها ، فأردت أن أدخله فأنظر اليه ، أي القصر (فذكرت غيرتك يا أبا حفص) الغيرة — بفتح الغين المعجمة وسكون التحتية بعدها راء — قال القاضي عياض وغيره : هي مشتقة من تغير القلب ، وهيجان الغضب ، بسبب المشاركة فيما به الاختصاص ، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين ، هذا في حق الآدمي . وأما في حق الله تعالى . فقال الخطابي : أحسن ما يفسر به في حديث أبي هريرة ، وهو قوله ﷺ : وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه .

قال عياض : ويحتمل أن تكون الغيرة في حق الله تعالى الإشارة إلى تغيير حال فاعل ذلك ، وقيل : الغيرة في الأصل الحمية والانفسة ، وهو تفسير بلازم التفسير ، فرجع إلى الغضب ، وقد نسب سبحانه وتعالى إلى نفسه في كتابه العزيز الغضب والرضى .

قال ابن العربي : التغير محال على الله بالدلالة القطعية ، فيؤول بالوعيد ، أو العقوبة بالفاعل ، ونحو ذلك .

ومذهب السلف : الإيمان بما أخبر بالمعنى الذي أراد ، لا كما يخطر في عقول البشر ، ومن أشرف وجوه غيرته تعالى اختصاصه قوماً بمعصيته ، يعني فمن ادعى شيئاً من ذلك لنفسه ، عاقبه تعالى .

وأشدّ الآدميين غيرة رسول الله ﷺ ؛ لأنه كان يفارقه ولدينه ، ولهذا كان لا ينتقم لنفسه (فبكى عمر) بن الخطاب رضي الله عنه .

وروي من حديث أنس ، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنهما ، ولفظ حديث أبي هريرة : قال رسول الله ﷺ : بينا أنا نائم رأيتني في الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلت : لمن هذا ؟ قالوا : لعمر ، فذكرت غيرته فوليت مدبراً ، فبكى عمر رضي الله عنه .

(وقال) جابر رضي الله عنه (مرة ، فأخبر) بالبناء لما لم يسم فاعله (بها) أي بالرؤيا (عمر) بالرفع نائب الفاعل (فقال) عمر رضي الله عنه (يا رسول الله وعليك يفار ؟) برفع المثناة ، مبنياً لما لم يسم فاعله .

وفي لفظ حديث أبي هريرة في « الصحيحين » ، وقال : عليك أغار يا رسول الله ؟ بالبناء للمعلوم . وفي رواية : قال أبو هريرة : فبكى عمر ونحن جميعاً في ذلك المجلس مع رسول الله ﷺ . قال عمر : بأبي أنت يا رسول الله ، أعليك أغار ؟ بالتصريح بأداة الاستفهام الانكاري ، أخرجه البخاري ومسلم .

وفي « الصحيحين » ، من حديث جابر رضي الله عنه ، فقال عمر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أعليك أغار ؟ بالتصريح بأداة الاستفهام أيضاً . (قال سفيان) بن عيينة (سمعته) أي الحديث المتقدم ذكره من محمد (بن المنكدر ، و) من (عمرو) بن دينار ، وهما (سمعا جابراً) رضي الله عنه صرح بذلك ، لنفي توهم التدليس بالنعنة .

تنبيهات

الأول : في هذا الحديث دليل على منقبة سيدنا عمر رضي الله عنه ، وفيه أن من علم من صاحبه خلقاً لا ينبغي أن يتعرض لما ينافره ، وفيه أن رسول الله ﷺ كان يعلم أن عمر كان شديد الغيرة .

واعلم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، هو عمر الفاروق
ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن
عدي بن كعب بن لؤي بن غالب ، كما تقدم في نسب ابنه عبد الله رضي الله عنها ،
القرشي العدوي وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
ويعرف هاشم بندي الرحمن .

قال الامير ابن ما كولا : ومن قال فيه : بنت هشام فقد أخطأ .

أسلم سيدنا عمر رضي الله عنه سنة ست من النبوة ، وقيل : سنة خمس
بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة ، ويقال : به تمت الأربعون ، وظهر
الاسلام يوم إسلامه ، وسمي الفاروق لذلك ، وشهد المشاهد كلها مع النبي
صلى الله عليه وسلم .

وهو أول خليفة دعي بأمر المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ للمسلمين
وأول من جمع القرآن في الصحف ، والصحيح الصحيح ، وأول من جمع الناس
على قيام رمضان ، وكان أبيض تعلوه حمرة ، وقيل : آدم طوالاً أصلع ، شديد
حمرة العينين ، في عارضه خفة ، أعسر يسر^(١) ، يخضب بالحناء والكتم ، قام بالأمر
بعد موت الصديق بعهد إليه ، ونصه عليه .

وفي « الترمذي » من حديث جابر رضي الله عنه ، قال : قال عمر رضي الله
عنه لأبي بكر رضي الله عنه : يا خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، فقال
أبو بكر : أما إنك إن قلت ذلك ، فلقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما طلعت
الشمس على رجل خير من عمر .

وقال ﷺ كما في حديث ابن عمر عند الترمذي : اللهم أعز الاسلام بأحب
هذين إليك ، بأبي جهل ، أو بعمر بن الخطاب . قال : فكان أحبها إليه عمر .
قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(١) أي يعمل بكنا يديه .

وأخرج الترمذي من حديث ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قال : إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه .

قال ابن عمر : ما نزل بالناس أمر قط ، فقالوا فيه ، وقال فيه عمر ، أو قال : ابن الخطاب ، شك خارجة إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وأخرج أبو داود من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : وضع الحق على لسان عمر يقول به ، وروى الترمذي من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً : لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب ، وقال : حديث حسن غريب .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس محدثون ، من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن في أمي أحد ، فإنه عمر .

قال ابن وهب تفسير محدثون : ملهمون ، وأخرجهم مسلم من حديث عائشة ، والترمذي ، وقال : حسن صحيح . وقال ابن عيينة : محدثون : مفهمون . وأخرج البخاري ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : مازلنا أعزة منذ أسلم عمر .

وفي « الصحيحين » و « سنن الترمذي » و « النسائي » من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول بيننا أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليهم (١) قصص ، فمنها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، وعرض عليّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يحجره ، قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : الدين .

(١) كذا في الاصل : وفي « صحيح مسلم » يعرضون وعليهم قصص .

وفي « الصحيحين » والترمذي أن رسول الله ﷺ قال : بيننا أنا نائم أتيت بقدح لبن ، فشربت منه حتى لاني لأرى الري يخرج من أظفاري ، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب قال من حوله ، فما أولته يا رسول الله ؟ قال : العلم . وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بيننا أنا نائم رأيتني على قليب وعليها دلو ، فنزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ، ذنوباً أو ذنوبين . وفي نزعه ضعف ، والله يغفر له ، ثم استحالت غربة^(١) فأخذها عمر بن الخطاب ، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر ، حتى ضرب الناس بمطن ، وأخرجاه من حديث ابن عمر .

قال في « النهاية » عبقرى القوم : سيدهم وكبيرهم وقويمهم ، والاصل في العبقرى فيما قيل : إن عبقر قرية يسكنها الجن فيما يزعمون ، فكلما رأوا شيئاً فائقاً غريباً مما يصعب عمله ويدق ، أو شيئاً عظيماً في نفسه ؛ نسبوه اليها ، فقالوا : عبقرى ، ثم اتسع فيه حتى سمي به السيد والكبير .

وقوله : يفري فريته^(٢) ، أي يعمل عمله ويقطع قطعه . ويروى : يفري فريه ، بسكون الراء والتخفيف ، ويحكى عن الخليل أنه أنكر الثقيل ، وغلط قائله وأصل الفري : القطع ، يقال : فريت الشيء أفريه فرياً ، إذا شققته وقطعته للاصلاح ، فهو مفري ، وأفريته إذا شققته على جهة الافساد .

والعطن : مبرك الابل حول الماء ، يقال : عطنت الابل فهي عاطنة ، وعواطن ، اذا سقيت وبركت عند الحياض لتقاد الى الشرب مرة اخرى ، وأعطنت الابل اذا فعلت بها ذلك مثلاً ، لاتساع الناس في زمن عمر رضي الله عنه ومافتح عليهم من الامصار .

(١) الغرب : الدلو العظيمة .

(٢) لقد نقل المؤلف رواية مسلم ، وشرح هنا ما في رواية البخاري ، وهو قوله : فاستحالت غرباً فلم أر عبقرياً يفري فريه .

وفي الترمذي من حديث بريدة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه ، فلما انصرف جاءت جويرة سوداء ، فقالت : إني كنت نذرت إن ردك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدف ، وأتقي ، فقال لها : إن كنت نذرت فاضربني وإلا فلا ، فقالت : نذرت ، فجعلت تضرب ، وزاد رزين : وتقول :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ثم اتفقاً ، فدخل أبو بكر رضي الله عنه وهي تضرب ، ثم دخل علي رضي الله عنه وهي تضرب ، ثم دخل عثمان رضي الله عنه وهي تضرب ؛ ثم دخل عمر رضي الله عنه فألقت الدف تحت استها وقعدت عليه ، فقال رسول الله ﷺ : إن الشيطان ليخاف منك يا عمر ، إني كنت جالساً وهي تضرب ، فدخل أبو بكر وهي تضرب ، ثم دخل علي وهي تضرب ، ثم دخل عثمان وهي تضرب ، فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف وجلست عليه . قال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب .

وفي « الصحيحين » من حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما ليك الشيطان سالماً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك ، وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة أيضاً .

والاحاديث في فضله كثيرة ، ومناقبه ومزاياه غزيرة ، وقد كناه النبي ﷺ أبا حفص ، وذلك لما قال ﷺ في أسارى الكفار بيد : إن رجلاً من بني هاشم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي أحداً من بني هاشم فلا يقتله . قال أبو حذيفة : أنقتل أبانا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس ، والله لئن لقيته لأجمنه السيف ، فبلغ النبي ﷺ ذلك ، فقال : يا أبا حفص يضرب وجه عم النبي ﷺ بالسيف ، فقال عمر : والله أنه لأول يوم كنانني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص رواه ابن الجوزي وغيره .

والحفص في اللغة ولد الأسد، ويلقب بالفاروق، لأن الله فرق به بين الحق والباطل، ولما هاجر عمر رضي الله عنه إلى المدينة هاجر جهرًا، وقال لمشري قريش: من أراد أن تشكله أمه، ويستم ولده، ويرمل زوجته فليلقي وراء هذا الوادي، فما تبعه منهم أحد، وذلك بعد ما تقلد سيفه وتنكب قوسه، وطاف بالكعبة سبعًا، ثم صلى ركعتين عند المقام، ثم أتى حلق المشركين من قريش واحدة واحدة، فقال: شأهت الوجوه، من أراد أن تشكله أمه الخ. أخرجه ابن عساکر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: ما علمت أحدًا هاجر إلا مختفيًا، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه... الخبر.

قال الامام النووي وغيره: شهد عمر رضي الله عنه مع النبي ﷺ المشاهد كلها.

وأخرج ابن سعد والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه. قال: كان إسلام عمر فتحًا، وكانت هجرته نصرًا. وأخرج ابن سعد والحاكم عن حذيفة رضي الله عنه قال: لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قربًا، فلما قتل عمر كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعدًا.

وأخرج ابن سعد عن صهيب رضي الله عنه قال: لما أسلم عمر ظهر الإسلام ودعا إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقًا، وطفنا بالبيت واتصفنا بمن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به.

وكان رضي الله عنه شديدًا على الكفار والمنافقين، ووافق ربه في أحكام معروفة مأثورة.

ولي رضي الله عنه بعد أبي بكر رضي الله عنه باستخلافه إياه عشر سنين وستة أشهر ونصف شهر، ففتح الله به الفتوح، ودون الدواوين، ورتب الناس في ذلك، وحج بالناس عشر سنين متوالية، وحج في آخرهن بأهات المؤمنين،

وهو أول من نور المساجد لصلاة التراويح ، وأول قاض في الإسلام ، فإن
الصدّيق ولاء القضاء في خلافته .

قتل عمر رضي الله عنه شهيداً سنة ثلاث وعشرين من الهجرة . طعنه
أبو لؤلؤة ، فيروز غلام المغيرة بن شعبه في صلاة الصبح ست طعنات ، فمكث
ثلاث ليال ومات يوم الاربعاء اثنا ليال بقين من ذي الحجة ، وهو ابن ثلاث
وستين سنة .

روي له عن رسول الله ﷺ خمسة وتسعة وثلاثون حديثاً . اتفق
« الشيخان » على تسعة وعشرين ، وانفرد البخاري بأربع وثلاثين ، ومسلم
بأحد وعشرين .

وفي « جامع الاصول » : إن أبا لؤلؤة لعنه الله طعن سيدنا عمر رضي الله
عنه مصدر الحاج بالمدينة يوم الاربعاء لأربع بقين من ذي الحجة ، سنة ثلاث
وعشرين ، ودفن يوم الاحد غرة المحرم ، سنة أربع وعشرين ، وصلى عليه صهيب ،
ودفن الى جانب أبي بكر الصدّيق رضي الله عنها في الحجرة الشريفة عند النبي
صلى الله عليه وسلم .

روى عنه أبو بكر وباقي العشرة رضي الله عنهم ، وابنه عبد الله وأبو هريرة
وابن عباس وابن الزبير وأنس بن مالك وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ، ومن
التابعين علقمة بن وقاص الليثي ، ومالك بن أوس ، الحدثنان ، وهما معدودان
من الصحابة .

ونفيل في نسبه ، بضم النون وفتح الفاء ، ورياح بكسر الراء وبالياء التحتية
والحاء المهملة ، وقرط ، بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة ، ورزاح تقدم
ضبطه في ترجمة ابنه عبد الله ، وتقدم ضبط بعض هذه الاسماء ، والله أعلم .

الثاني : قال الخطابي رحمه الله تعالى في قوله ﷺ ، كما في « الصحيحين »

وغيرهما من حديث أبي هريرة : رأيتني في الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ الى جانب قصر : ان هذه اللفظة تصحيف ، وعزا القرطبي هذا لابن قتيبة ، وارتضاه ابن بطال . قال لان الحور طاهرات لا وضوء عليهن ، وكذا كل من دخل الجنة ، لا يلزمه طهارة ، وقد استدلل الداوودي بهذا الحديث على أن الحور في الجنة يتوضآن ويصلين .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : ولا يلزم من كون الجنة لا تكليف فيها بالعبادة أن لا يصدر من أحد من العباد باختياره ما شاء من أنواع العبادة .
الثالث : دل على أن الجنة موجودة الآن ، وكذا الحور العين ، وهذا الحق الذي لا محيد عنه .

قال الامام ابن القيم في كتابه « حادي الارواح » : لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ ، والتابعون وتابعوهم ، وأهل السنة والحديث قاطبة ، وفقهاء الاسلام ، وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته ، مستندين في ذلك الى نصوص الكتاب والسنة ، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم الى آخرهم ، فانهم دعوا الأمم اليها ، وأخبروا بها الى أن نبعت نابعة من القدرية والمعتزلة ، فأنكرت أن تكون الآن مخلوقة ، وقالت بل الله ينشئها يوم المعاد ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله ، وانه ينبغي أن يفعل كذا ، ولا ينبغي له أن يفعل كذا ، وقاسوه سبحانه على خلقه في أفعاله ، فهم مشبهة في الأفعال ، ودخل التجهم فيهم ، فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات ، وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث ، فانها تصير معطلة مدداً متطاولة ، ليس فيها سكانها .

قالوا : ومن المعلوم أن ملكاً لو اتخذ داراً وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح ، وعطّلها من الناس ، ولم يمكنهم من دخولها قروناً متطاولة لم

يكن ما فعله واقعاً على وجه الحكمة ، ووجد العقلاء سبيلاً الى الاعتراض عليه .
قال ابن القيم : فحججوا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة ،
وشبهوا أفعاله بأفعالهم ، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي
وضعوها للرب ، وحرّفوها عن مواضعها ، وضلّوا ، وبدّعوا من خالفهم فيها ،
والترّموا لها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء .

ولهذا صار السلف يذكرون في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان ،
ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة
لا يختلفون فيها .

قال أبو الحسن الأشعري في كتابه «مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين»
جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة ، الاقرار بالله وملائكته وكتبه
ورسله ، وما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، لا يردّون من ذلك شيئاً . قال فيه : ويقرّون أن الجنة والنار مخلوقتان ،
وقد قال تعالى : « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى » (١)
وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ، ورأى عندها الجنة ، كما في « الصحيحين »
من حديث أنس رضي الله عنه في صفة الاسراء ، وفي آخره ، ثم انطلق بي
جبريل حتى أتى سدرة المنتهى ، فغشيها ألوان لا أدري ما هي . قال : ثم دخلت
الجنة ، فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك .

قال في « المطالع » فسّروا الجنابذ بالقباب ، واحدها جنبذة بالضم ، والجنبذة
ما ارتفع من البناء .

وفي « صحيح مسلم » عن عائشة رضي الله عنها في حديث الكسوف ، وفيه :
ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً ، حين رأيتموني تأخرت .

(١) سورة النجم ، الآيات : ١٤-١٦

وفي « الصحيحين » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . قال : انخفضت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث وفيه ، فقالوا : يا رسول الله ، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ، ثم رأيناك تكلمت ، فقال : إني رأيت الجنة ، وتناولت عنقوداً ، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر منظراً كالיום قط أفظع ، ورأيت أكثر أهائها النساء . قالوا : بم يا رسول الله . قال : بكفرنهن . قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأيت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط .

وفي « البخاري » عن أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما في حديث الكسوف . قال ﷺ : دنت مني الجنة حتى لو اجتزأت عليها لجتكم بقطاف من قطافها . . . الحديث ، وروى مسلم من حديث جابر نحوه ، وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من حديث بن عمر نحوه .

وقد ذكر الله قصة خلق آدم وإسكانه الجنة وإهباطه له منها ، وكرر ذلك في كتابه العزيز ، وعلى كل حال فالحق الذي عليه أهل السنة والجماعة ، أن الجنة والنار موجودتان الآن .

وقد قال سيدنا الإمام أحمد رضي الله عنه في كتابه الذي يرد فيه على الجهمية والزنادقة . قال رضي الله عنه : هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر ، وأهل السنة المتمسكين بمروياتها ، المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلى يومنا هذا .

قال : وأدركت من أدركت ، من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف هذه المذاهب ، أو طعن فيها ، أو عاب قائلها ؛ فهو مخالف مبتدع ، خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق ، وساق رضي الله

عنه أقوالهم ، الى أن قال : وقد خلقت الجنة وما فيها ، وخلقت النار وما فيها ، خلقتها الله عز وجل ، وخلق الخلق لهما ، لا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً . فان احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل : « كل شيء هالك إلا وجهه » (١) ونحو هذا من متشابه القرآن ، قيل له : كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقتا للبقاء ، لا للفناء ولا للهلاك ، وهما من الآخرة ، لا من الدنيا ، والخور العين لا يمتن عند قيام الساعة ، ولا عند النفخة ولا أبداً ، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ، ولم يكتب عليهن الموت ، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ، وقد ضل عن سواء السبيل .

وقال في رواية أبي جعفر الطائي محمد بن عوف ابن سفيان الحمصي - قال الخلال عنه : إنه حافظ ، إمام في زمانه ، معروف بالتقدم في العلم والمعرفة ، وكان الامام أحمد رضي الله عنه يعرف له ذلك - فمن زعم أنها لم يخلقا ، فهو مكذب برسول الله ﷺ وبالقرآن ، كافر بالجنة والنار ، يستتاب ، فان تاب وإلا قتل . وقال الامام أحمد في رواية عبدوس بن مالك العطار ، وذكر رسالته في السنة ، قال فيها : والجنة والنار مخلوقتان ، كما جاء عن رسول الله ﷺ : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا ، فمن زعم أنها لم تخلق ؛ فهو مكذب بالقرآن ، وأحاديث رسول الله ﷺ ، قال : ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار » الى غير ذلك من النقول عن الأئمة والرسول . وبالله التوفيق .

(١) سورة القصص ، الآية : ٨٨

مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْإِنصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

خَادِمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَعِدَّةُ الْأَحَادِيثِ الثَّلَاثِيَّاتِ الْوَاقِعَةِ فِي مُسْنَدِ

سَيِّدِنَا الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مِنْ مُسْنَدِ

سَيِّدِنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مِائَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَسِتُونَ حَدِيثًا

وَنَبْدَأُ أَوَّلًا بِتَرْجُمَةِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَنَقُولُ :

هو أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، بن النضر - بالضاد المعجمة - بن ضمضم - بفتح
المعجمتين - ابن زيد ، بن حرام - بالحاء والراء المهملتين - الأنصاري ، الخزرجي ؛
- بالحاء المعجمة والزاي فراء بعدها جيم - النجاري - بالنون والجيم المشددة
والراء ، لأنه من ولد النجار ، وهو تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج .
قيل : سمي به لأنه اختتن بقدم ، وقيل : لأنه ضرب رجلاً بقدم ، والخزرج
هذا هو الخزرج الأكبر ، وهو أخو الأوس ، والأنصار كلهم من أولاد الأوس
والخزرج ، من الأزد . سماهم الله تعالى بذلك لما نصروا رسول الله ﷺ وآووه ،
وعم جمع نصير ، كإشراف وشريف ، ونسب إليه بلفظ الجمع على غير قياس ،
لخروجه مخرج العلم عليهم . قال ابن الأثير : الأكثر والأعرف أن واحد
الأنصار مرفوض ، وأنه كواحد مسمى الجمع ، فنسب إليه على لفظه قطعاً ،
كنسبتهم إلى مدائن : مدائن .

ولما قدم النبي ﷺ المدينة ، كان عمر أنس رضي الله عنه عشر سنين ،
أو تسعاً أو ثمانية على خلاف في ذلك ، فخدم النبي ﷺ مدة إقامته بالمدينة ، وهي

عشر سنين ، وقيل تسع سنين ، وكان أنس رضي الله عنه يعرف بخادم رسول الله ﷺ ، وكان هو يسمى بذلك ، ويفتخر به ، وكناه رسول الله ﷺ : أبا حمزة - بالحاء المهملة والزاى - بقلة حريفة ، تسمى حمزة . ويقال فيها حموضة ، ويكنى أيضاً ؛ أبا ثمامة - بضم المثناة وتخفيف الميم - نعله ابن عساكر ، وابن الاثير .

وأمه أم سليم بنت ملحان - بكسر الميم وبالحاء المهملة - وفي « البخاري ومسلم » وغيرهما عن أنس رضي الله عنه . قالت أم سليم رضي الله عنها : يا رسول الله خادمك أنس ، ادع الله له . فقال : « اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك له فيما أعطيته » ، وللبخاري : دخل النبي ﷺ على أم سليم ، فاتته بتمر وسمن ، فقال : « أعيديا سمنكم في سقائه ، وتمركم في وعائه » ، ثم قام الى ناحية البيت فصلى غير المكتوبة ، فدعا لأم سليم وأهل بيتها ، فقالت أم سليم : يا رسول الله إن لي خويصة . قال : ما هي . قالت : خادمك أنس . قال : فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا به . اللهم ارزقه مالا وولداً ، وبارك له ، فاني لمن أكثر الانصار مالا . وحدثني ابنتي أمية : أنه دفن أصلي الى مقدم الحجاج البصرة ، بضع وعشرون ومائة . ويروى : خويصتك أنس ، ومعنى الخويصة : ما يختص به ، وأصله خاصة ، فصغره لصغره سنه يومئذ . وروى الترمذي عن أبي خلدة قال : قلت لأبي العالية سمع أنس من رسول الله ﷺ ؟ قال : خدمه عشر سنين ، ودعا له النبي ﷺ وكان له بستان يحمل في السنة الفا كهة مرتين ؛ وكان فيها ريحان يجي منه ريح المسك ، واسم أبي خلدة خالد بن دينار ، وهو ثقة عند أهل الحديث ، وأدرك أنس بن مالك وروى عنه .

وحمل أنس رضي الله عنه حديثاً كثيراً ، فروى له الفا حديث ومائتان وستة وثمانون حديثاً ، اتفق الشيخان على مائة وثمانية وستين . وانفرد البخاري

بثلاثة وثمانين ، ومسلم بأحد وستين ، فهو أحد المكثرين .
مات رضي الله عنه بالبصرة ، في موضع يعرف بقصر أنس خارجها ، على
فرسخ ونصف منها ، وهو آخر من مات بها من الصحابة رضي الله عنهم ، سنة
إحدى وتسعين أو اثنين أو ثلاث . وعمره مائة وثلاث سنين ، أو سنة أو سنتان
روى عنه الزهري ، وابن سيرين ، وقتادة ، وثابت ، وحيد ، وجماعة من أولاده
وأولاد أولاده ، وخلق كثير من التابعين رضي الله عنه .

الحديث الاول

٤٦ - حدثنا اسماعيل ، يعني ابن ابراهيم بن علي ، ثنا
عبد العزيز ، يعني ابن صهيب ، عن أنس بن مالك أن النبي
ﷺ رأى صبيانا ونساء مقبلين ، قال عبد العزيز : حسبت أنه
قال : من عرس ، فقام نبي الله ﷺ ممثلاً ، فقال : اللهم أنتم
من أحب الناس إليّ ، اللهم أنتم من أحب الناس إليّ ، اللهم
أنتم من أحب الناس إليّ ، يعني الانصار .

قال الامام أحمد رضي الله عنه : (حدثنا) ابو بشر (اسماعيل يعني ابن
ابراهيم) بن مقسم الأسدي ، مولاهم من أسد خزيمه ويعرف بـ (ابن عليّة)
بضم العين المهملة وفتح اللام ، وتشديد الياء تحتها نقطتان ، وهي أمه ، الحافظ الثبت
المتقن . روى عن عبد العزيز بن صهيب ، وأيوب السختياني ، وابن عون ، وسليمان
التيمي ، وحيد الطويل ، وعنه ابن جريج ، وشعبة ، وحصاد بن زيد ، وابن

مهدي ، والامام أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلي بن المديني ، واسحاق ابن راهويه ، وبندار ، ومسدد ، ويعقوب الدوري وغيرهم .

قال شعبة : ابن علية سيد الحديثين ، ورخصة الفقهاء . وقال الامام أحمد : اليه المنتهى في الثبوت بالبصرة . وقال غندر : ليس أحد مقدم عليه في الحديث . وقال ابن معين : كان ثقة ، مأموناً ، صدوقاً ، ورعاً ، تقياً . وقال قتيبة : كانوا يقولون : الحفاظ أربعة ؛ ابن علية ، وعبد الوارث ، ويزيد بن فديع ، ووهب . وقال أبو داود : ما أحد من الحديثين إلا قد أخطأ إلا ابن علية ، وبشر ابن المفضل . وقال ابن المديني : كان ثقة في الحديث حجة . ولد سنة عشرين ومائة ، ومات ببغداد ، سنة ثلاث وتسعين ومائة . (ثنا عبد العزيز يعني ابن صهيب) هو أبو حمزة البصري البناي ، بضم الباء الموحدة وبالنونين بينهما ألف ، وبنانة بطن من قریش كما في «الكرمانی» وقال ابن الأثير في «جامع الأصول» : المنسوبون الى بنانة وهم ولد سعد بن لؤي ، وأم سعد اسمها بنانة ، وقيل : بل هي أمّة لسعد ، كانت حضنت بنيه ، وقيل : بنانة أم بني سعد بن ضبيعة بن نزار . قال : ومن ينسب اليهم ثابت البناي وغيره . فأما عبد العزيز بن صهيب البناي فليس منسوباً الى القبيلة ؛ وإنما قيل له البناي لأنه كان ينزل سكة بنانة بالبصرة . انتهى . وقال ابن قتيبة : عبد العزيز وأبوه كانا مملوكين ؛ وأجاز إياس بن معاوية شهادة عبد العزيز وحده .

(عن أنس) ابن مالك رضي الله عنه (ان النبي ﷺ رأى صبيانا) جمع صبي ، ويجمع أيضاً على صبيان ، وعلى صبوة وصبية ، والواو القياس ، وان كانت الياء أكثر استعمالاً ، والصبي من لم يفطم بعد ، والمراد هنا : رأى غلماناً مراهقين (ونساء) جمع امرأة من غير لفظها ، ويجمع أيضاً على نسوة ، بالكسر والضم ، ونسوان ونسون كنساء بالكسر لا غير . (مقبلين) حال من الصبيان والنساء ،

وغلِبَ المذكور لشرفه ، ولأنه الاصل . (قال عبد العزيز) بن صهيب (حسب) بفتح الحاء وكسر السين المهملتين ، أي ظننت (أنه) أي أنس بن مالك رضي الله عنه (قال) مقبلين ضد مدبرين (من عرس) لهم (فقام النبي ﷺ) لما رآهم مقبلين (ممثلاً) بضم أوله وسكون الميم الثانية ، بعدها مثلثة . وضبط أيضاً بفتح الميم الثانية وتشديد المثلثة . ويروى بكسر التاء المثلثة وفتحها ، أي منتصباً قائماً . هكذا شرح . قال في « النهاية » : وفيه نظر من جهة التصريف . وفي رواية فمثل قائماً^(١) ، ولا يرد حديث : « من سره أن يمثل له الناس قياماً ، فليتبوأ مقعده من النار » أي يقومون له قياماً ، وهو جالس ، يقال : مثل الرجل يمثل مثولاً إذا انتصب قائماً ، لأنه بمنزل عن هذا ؛ لأن قيامه صلى الله عليه وسلم انما هو لسروره بهم . وأما المنهي عنه : انما هو زي الاعاجم وهو أن يجلس الرئيس ويتمثل الرجال بين يديه قياماً ، على أتم خضوع وأدب ، والحامل عليه الكبر وإذلال الناس . (فقال) النبي ﷺ : (اللهم) الميم عوض من النداء ولهذا لا يجتمعان الا ضرورة ، كقول الشاعر :

أقول : يا اللهم يا اللهم .

ولا تستعمل الا في الطلب ، فلا يقال : اللهم غفور رحيم ، بل يقال : اغفر لي وارحمي . واختلف في الميم المشددة من آخر الاسم ، فقال سيديويه : زيدت عوضاً من حرف النداء . ويسمى

(١) وعلى هامش الاصل : وفي « البخاري » : ممتنا بضم الميم ، بعدها ميم ساكنة ومثناة مفتوحة ، فنون ثقيلة ، بعدها الف ، أي : قام قياماً قوياً مأخوذ من المنة ، بضم الميم وهي القوة ، أي قام اليهم مسرعاً مشتداً في ذلك ، فرحاً بهم ، وقال ابومروان بن سراج ، ورجعه القرطبي : انه من الامتنان ، لان من قام له النبي صلى الله عليه وسلم واكرمه بذلك ، فقد امتن عليه بشيء لا أعظم منه . ونقل ابن بطال عن القابسي قال : قوله ممتناً ، يعني متفضلاً عليهم بذلك ، فكأنه قال : يمتن عليهم بمحبة . ووقع في رواية اخرى : متينا ، بوزن عظيم ، أي قام قياماً مستوياً ، منتصباً طويلاً . وفي رواية : قام لهم مثيلاً بوزن عظيم ايضاً ، وهو فعيل من مائل .

ما كان من هذا الضرب عوضاً ؛ إذ هو في غير محل المحذوف ، فان كان في محله سمي بدلاً ؛ كالألف في قام وباع ، فانها بدل عن الواو والياء ، ولا يجوز عند سيبويه أن يوصف هذا الاسم أيضاً ، فلا يقال : اللهم الرحمن الرحيم ارحمني ، والضممة التي على الهاء ضمة الاسم المنادى المفرد ، فان التقدير : يا الله ، وفتحت الميم لسكونها ، وسكون الميم التي قبلها . وهذا من خصائص هذا الاسم الكريم . كما اختص بالتالي القسم ، وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف . وبقطع همزة وصله في النداء ، وتفخيم لاهمه وجوباً غير مسبوقه بحرف إطباق . وقيل : الميم عوض عن جملة محذوفة ، والتقدير : يا الله آميناً بخير ، أي اقصدنا ، ثم حذف الجار والمجرور ، وحذف المفعول ، فبقي التقدير : يا الله أم ، ثم حذفوا الهمزة لكثرة دوران هذا الاسم في الدعاء على ألسنتهم فبقي يا اللهم ، وهذا قول الفراء ، وهو يجوز دخول ياء عليه ، واحتج بقول الشاعر :

أقول يا اللهم يا الله أردد علينا شيخنا مسلماً
ويقول الآخر :

اني إذا ما حَدَّثْتُ أُمَّيَا أقول يا اللهم يا الله
والمشهور الأول .

(أنتم) معشر الأنصار (من أحب الناس إلي) من هنا للتبعية ، ووقع في صحيح مسلم ، من طريق ابن عليّة ، عن عبد العزيز : اللهم انهم ، أي الانصار . وتقديم لفظ اللهم للتبرك ، أو للاستشهاد بالله في صدقه ، كما في «الفتح» . (اللهم أنتم من أحب الناس إلي ، اللهم أنتم من أحب الناس إلي) كرهه ثلاثاً لمزيد التأكيد ، وفي «مسلم» : كررها مرتين . وفي رواية ابن عليّة ، عن عبد العزيز عنده : أعادها ثلاث مرات . (يعني) بقوله ﷺ : أنتم من أحب الناس إلي (الأنصار) وهم : الأوس والخزرج رضي الله عنهم . جمع ناصر ،

كأصحاب جمع صاحب ، أو جمع نصير ، كأشراف وشريف . واللام للعهد ، الى
 أنصار رسول الله ﷺ . وكانوا قبل ذلك يعرفون : بابني قيلة ، اسم امرأة ، بقاف
 مفتوحة ، وياء تحتانية ساكنة . وهي الأم التي تجمع القبيلتين ، فسماهم النبي ﷺ
 الأنصار ، فصار ذلك علماً عليهم ، وأطلق ذلك على أولادهم وحلفائهم
 ومواليهم . وخصوا بهذه المنقبة العظمى ؛ لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من
 إيواء النبي ﷺ ومن معه ، والقيام بأمرهم ، ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم ،
 وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم . فكان صنيعهم ذلك موجباً
 لمفاداتهم جميع الفرق الموجودين من عرب وعجم ، والمداوة تجر البغض ، ثم
 كان ما اختصوا به مما ذكر موجباً للحسد ، والحسد يحجر البغض ، فلهذا جاء
 الحث على حبهم ، والتحذير من بغضهم ، حتى جعل ذلك آية الايمان والنفاق ، كما
 في « الصحيحين » وغيرها ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال
 رسول الله ﷺ : « آية الايمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار »
 وفي « الترمذي » ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ
 قال : « لا يبغض الأنصار أحد يؤمن بالله واليوم الآخر » قال الترمذي :
 حديث حسن صحيح . ورواه مسلم أيضاً ، من حديث أبي سعيد الخدري ومن
 حديث أبي هريرة رضي الله عنهما ، قال في « الفتح » : قوله : آية الايمان ، هو
 بهمزة ممدودة ، وياء تحتانية مفتوحة ، وهاء تأنيث ، والايمان مجرور بالاضافة ،
 هذا هو المعتمد في ضبط هذه الكلمة في جميع الروايات ، في « الصحيحين » ،
 و « السنن » و « المستخرجات » ، و « المسانيد » . والآية : العلامة ، ووقع في
 « إعراب الحديث » لأبي البقاء المكي : انه الايمان ، بهمزة مكسورة ، ونون
 مشددة ، وهاء والايمان مرفوع خبر إن ، قال والتقدير : أن الشأن الايمان حب
 الأنصار ، وهذا تصحيف منه .

وفي « الصحيحين » وغيرهما ، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في الانصار : « لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ؛ ومن أبغضهم أبغضه الله ، فعلم أنه لا يقع حب الانصار إلا للمؤمن . فان قيل : هل يكون من أبغضهم منافقاً ؛ وإن صدق بالله وكتابه ورسوله ؛ واعترف بأن ما جاء به الرسول حق من عند الله ؛ فالجواب : من أبغض الانصار من جهة كونهم آووا الرسول ومن معه ونصروه ؛ أثر ذلك في تصديقه ؛ ودل ذلك على دسيسة باطنية ، وعلة كفرية ، في صميم قلبه ، وسويداء لبه . ويقرب هذا الحمل زيادة أبي نعيم في « المستخرج » في حديث البراء : « من أحب الانصار فبحي أحبهم ؛ ومن أبغض الانصار فببغض يبغضهم » وقد يقال : اللفظ خرج على معنى التحذير والترهيب . فلا يراد ظاهره ، ومن ثم لم يقابل الايمان بالكفر الذي هو ضده ؛ بل قابله بالنفاق ، إشارة الى أن الترغيب والترهيب إنما خوطب به من يظهر الايمان ، أما من يظهر الكفر فلا ، لانه مرتكب ما هو أشد من ذلك ، فجعل رسول الله ﷺ حب الانصار آية الايمان ، وبغضهم آية النفاق ، تنويهاً بعظيم فضلهم ، وتنبيهاً على كريم فعلهم ، وان كان من شاركهم في معنى ذلك مشاركا لهم في الفضل المذكور ، كل بقسطه . وقد ثبت في « صحيح مسلم » ، عن علي رضوان الله عليه ، ان النبي ﷺ قال له : « لا يحبك الا مؤمن ، ولا يبغضك الا منافق » وهذا جار باطراد في أعيان الصحابة رضي الله عنهم ، لتحقق مشترك الالتزام ، لما لهم من حسن الغناء في الدين .

قال صاحب « المفهم » : وأما الحروب الواقعة بينهم ؛ فان وقع من بعضهم بغض لبعض ؛ فذاك من غير هذه الجهة ؛ بل للأمر الطارئ الذي اقتضى المخالفة ، ولذلك لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق ، وانما كان حالهم في ذلك حال

المجاهدين في الاحكام ، للمصيب اجران ، وللمخطيء اجر واحد .

وفي «الصحيحين» وغيرها ، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ : «اللهم اغفر للانصار ، ولأبناء الانصار ، ولأبناء أبناء الانصار» ورواه الترمذي ، وزاد : «ولنساء الانصار» وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه . وفي رواية البخاري ، عن عبد الله بن الفضل ، أنه سمع أنس بن مالك يقول : حزنت على من أصيب من أهلي بالحرّة ؛ فكتب الى زيد بن أرقم ، وبلغه شدة حزني ، يذكر أنه سمع النبي ﷺ يقول : «اللهم اغفر للانصار» فذكره ، فسأل أنساً بعض من كان عنده ، عن زيد فقال : هو الذي يقول له رسول الله ﷺ : «هذا الذي أوفى الله له بأذنه» وفي الترمذي : ان زيد بن أرقم ، كتب الى أنس بن مالك يعزيه فيمن أصيب من أهله وبني عمه يوم الحرّة ، فكتب اليه : اني أبشرك بيشري من الله ، اني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «اللهم اغفر للانصار ، ولذراري الانصار ، ولذراري ذراريهم» وقال هذا حديث حسن صحيح . وفي مسلم ، عن أنس رضي الله عنه ، ان رسول الله استغفر للانصار وأحسبه قال : «ولذراري الانصار ، ولموالي الانصار» لا أشك فيه .

وفي «الصحيحين» و«سنن الترمذي» من حديث أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «ان الانصار كبريتي وعييتي ، وان الناس سيكثرون ويقولون فاقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئتهم» . وفي لفظ : «واعفوا عن مسيئتهم» وفي الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وحسنه أن رسول الله ﷺ قال : «ألا إن عييتي التي آوي اليها أهل بيتي ، وان كبريتي الانصار ، فاعفوا عن مسيئتهم ، واقبلوا من محسنهم» .

قوله : عييتي بفتح العين المهملة ، وسكون المثناة تحت ، فهو حدة مفتوحة : زنبيل من آدم ، وما يجعل فيه الثياب ، ومن الرجل موضع سرّه ، كما في

« القاموس » . وفي « النهاية » قوله : عيبتي أي : خاصتي ، وموضع سرِّي ، والعرب
تكني عن القلوب والصدور بالعياب ، لأنها مستودع السرائر ، كما أن العياب
مستودع الثياب . وقال في قوله : كرشي وعييتي : أراد انهم بطانته ، وموضع سرِّه
وأمانته ، والذين يعتمد عليهم في أموره . واستعار الكرش والعيبة لذلك ، لأن
المجتر يجمع علفه في كرشه ؛ والرجل يضع ثيابه في عييته ، وقيل : أراد
بالكرش الجماعة ، أي جماعتي وصحابتي . يقال : عليه كرش من الناس ، أي
جماعة . وبالله التوفيق .

الحديث الثاني

٤٧ — ثنا اسماعيل ، ثنا سليمان التيمي ، ثنا أنس ، قال : عطس
رجلان عند النبي ﷺ ، فشمت أو قال : فسمت — أحدهما
وترك الآخر ، فقيل : هما رجلان عطسا ، فشمت — أو قال :
فسمت — أحدهما وتركت الآخر ؟ فقال : إن هذا حمد الله
عز وجل ، وإن هذا لم يحمد الله ، قال سليمان : أراه نحواً
من هذا .

قال رضي الله عنه : (ثنا) ابو بشر (اسماعيل) بن ابراهيم بن عليّة قال :
(ثنا) ابو المعتمر (سليمان) بن طرخان بفتح الطاء المهملة والراء وبالخاء المعجمة
فنون (التيمي) نسبه الى بني تيم ، وكان مولى لبني مرة ، ونازلاً بينهم ، فلما
تكلم باثبات القدر أخرجوه فقبله بنوا تيم وقدّموه ، فصار إمامهم ، ونسب اليهم .

سمع أنس بن مالك رضي الله عنه ، والحسن البصري ، وأبا عثمان النهدي ، وأبا نضرة . روى عنه ابنه المعتمر ، والثوري ، وشعبة ، قال في « جامع الاصول » عنه : كان اماماً ربانياً ، زاهداً ورعاً عالماً . قال يحيى بن سعيد : ما جلست الى أحد كان أخوف لله منه . قال رقية بن مصقلة : رأيت رب العزة في المنام ، فقال : وعزتي وجلالي ؛ لأكرم من مثوى سليمان التيمي ، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة . قال الحافظ ابن الجوزي في « صفوة الصفوة » : كان سليمان التيمي من العبّاد المجتهدين ، يصلي المداة بوضوء العشاء الآخرة ، وكان هو وابنه المعتمر ؛ يدوران بالليل في المساجد ، فيصليان مرة في هذا ، ومرة في هذا ، حتى يصبحا . قال المعتمر : مكث أبي أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ويصلي الصبح بوضوء العشاء . وقال حماد بن زيد : ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يطاع الله فيها الا وجدناه مطيعاً ، ان كان في ساعة صلاة وجدناه مصلياً ؛ وان لم تكن ساعة صلاة وجدناه إما متوضئاً ، أو عائداً لمريض ، أو مشيعاً لجنازة ، أو قاعداً يسبح في المسجد ، وكنا نرى انه لا يعصي الله . وقال المعتمر : قال لي أبي حين حضره الموت : يا معتمر حدثني بالرخص ؛ لعلي ألقى الله وأنا حسن الظن به . وقال رقية : رأيت سليمان التيمي في المنام ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي ، وأدنانني وقربني وغلفني ، وقال : هكذا أفعل بآباء ثلاث وثمانين رحمه الله ورضي عنه .

قال سليمان التيمي (ثنا أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال عطس) بفتح الطاء المهملة في الماضي ، وبكسرها وضمها في المضارع (رجلان) قال في « الفتح » في حديث أبي هريرة ، عند النجاري في « الأدب المفرد » وصححه ابن حبان ، أحدهما أشرف من الآخر ، وان الشريف لم يحمّد ، وللطبراني من حديث سهل ابن سعد : انها عامر بن الطفيلي وابن أخيه (عند النبي صلى الله عليه وسلم ،

فُشمت (بفتح الفاء والشين المعجمة والميم المشددة : قال ابن مفلح في « الآداب الكبرى » : التسميت بالمعجمة هي الفصحى ، ومعناها أبعادك الله عن الشهادة ، قال ابن الانباري : كل داع بخير فهو مشمت ؛ (أو قال : فسمت) بالسين المهملة قال في « الفتح » : وقع في رواية الامام احمد ، عن سليمان التيمي ، فشمت أو سمت ، بالشك في المعجمة والمهملة ، وهو من التسميت . قال الخليل وأبو عبيد وغيرهما : يقال : بالمعجمة والمهملة . قال ابن الانباري : والعرب تجعل الشين والسين في اللفظ الواحد بمعنى . انتهى .

قال في « الفتح » : وهذا ليس مطرداً ، بل هو في مواضع معدودة ، قال : وقد جمعها شيخنا مجد الدين صاحب « القاموس » في جزء لطيف . وقال ثعلب : الاختيار انه بالمهملة ، لأنه مأخوذ من سمت ، وهو القصد والطريق القويم . ورجحه ابن دقيق العيد . وقال القزّاز : التسميت : التبريك ، والعرب تقول : سمته : اذا دعا له بالبركة ، وسمت عليه : اذا برك عليه ، وفي الحديث : في قصة تزويج علي بفاطمة : سمت عليها ، أي دعا لها بالبركة . ونقل ابن التين ، عن أبي عبد الملك قال : التسميت بالمهملة أفصح ، وهو من سمت الابل في المرعى اذا جمعت فمعناه على هذا : جمع الله شملك ، وتعقبه : بأن سمت الابل انما هو بالمعجمة ، وكذا نقله غير واحد انه بالمعجمة ، فيكون معنى سمته : دعا له بأن يجمع شمله . وقيل : بالمعجمة من الشهادة ، وهي فرح الشخص بما يسوء عدوه ، فكأنه دعا له أن لا يكون في حال من يشمت به ، أو أنه إذا حمد الله أدخل على الشيطان ما يسوؤه ، فشمت هو بالشيطان . وقيل : هو من الشوامت جمع شامته ، وهي القائمة ، يقال : لترك الله له شامته ، أي قائمة .

وقال ابن العربي في « شرح الـترمذي » : تكلم أهل اللغة على اشتقاق اللفظين ولم يبينوا المعنى فيه ، وهو بدیع . وذلك ان العاطس ينحل كل عضو في

رأسه ، وما يتصل به من العنق ونحوه ، فكأنه اذا قيل له يرحمك الله ؛ كان معناه أعطاك الله رحمة يرجع بها بدنك الى حاله قبل العطاس ، ويقوم على حاله من غير تغيير . فان كان التسميت بالمهملة ؛ فمعناه : رجع كل عضو الى سمته الذي كان عليه . وان كان بالمعجمة ؛ فمعناه : صان الله شوامته ، أي قوائمه التي بها قوام بدنه عن خروجها عن الاعتدال . قال : وشوامت كل شيء قوائمه التي بها قوامه ، فقوام الدابة بسلامة قوائمها التي ينتفع بها اذا سلت ، وقوام الآدمي بسلامة قوائمه التي بها قوامه وهو رأسه ، وما يتصل به من عنق وصدر كما في « الفتح » وفي « مفتاح دار السعادة » للامام ابن القيم روح الله روحه : التسميت بالمهملة : تفعل من السميت الذي يراد به حسن الهيئـة والوقار ، فيقال : لفلان سميت حسن ، فمعنى سميت العاطس ؛ وقبرته وأكرمه وتأدبت معه بأدب الله ورسوله في الدعاء له ، وقيل : سميته ، دعا له أن يعيده الله الى سمته قبل العطاس من السكون والوقار وطمأنينة الاعضاء ، فان في العطاس من ازعاج الاعضاء واضطرابها ، ما يخرج العاطس عن سمته ، فاذا قال له السامع يرحمك الله ، فقد دعا له ان يعيده الله الى سمته وهيئته . وأما بالمعجمة فقال ابن السكيت وجمع : إنه بمعنى التسميت وانها لغتان ، ذكره في كتاب « القلب والابدال » ولم يذكر أيها الأصل ، ولا أيها البدل . وقال أبو علي الفارسي : المهمة الأصل في الكلمة ، وعكس تلميذه ابن جني . ثم قال في « مفتاح دار السعادة » : وما كان في الجاهلية يتطيرون به ويتشاءمون منه ؛ العطاس ، كما يتشاءمون البوارح والسوانح . قال رؤبة بن العجاج يصف فلاة :

قطعتها ولا أهاب العطاسا .

وقال امرؤ القيس :

وقد اعتدى قبل العطاس بهيكل شديد مسد الجيب نعم المنطق

أراد : أنه تنبه للصيد قبل أن ينتبه الناس من نومهم ، ثم لا يسمع عطاساً

فيتشأم به . وكانوا اذا عطش من يجبونه قالوا له : عمرأ وشباباً ، واذا عطش من يكرهونه قالوا له : ورياً وقحاباً . والوري كالرمي داء يصيب الكبد فيفسدها ، والقحاب كالسعال وزناً ومعنى ، فكان الرجل اذا سمع عطاساً ، فتشأم به ، يقول : بك لابي ، أي أسأل الله أن يجعل شؤم عطاسك بك لابي ، وكان تشأومهم بالعطسة الشديدة أشد . فلما جاء الله بالاسلام ؛ وأبطل برسوله ﷺ ما كان عليه الجاهلية الطغام من الضلال والبهتان والآثام ، نهى أمته عن التشأوم والتطير ، وشرع لهم أن يجعلوا مكان الدعاء على العاطس بالمكروه ، دعاء له بالرحمة . ولما كان الدعاء على العاطس نوعاً من الظلم والبغي ، جعل الدعاء له بلفظ الرحمة المنافي للظلم ، وأمر العاطس أن يدعو لسامعه ومشتمه بالمغفرة والهداية وإصلاح البال . فيقول : يغفر الله لنا ولكم ، ويهديكم الله ويصلح بالكم . فالدعاء بالهداية لأنه اهتدى الى طاعة الرسول ، ورغب عما كانت عليه الجاهلية ، فدعا له أن يثبت الله عليها ، ويهديه اليها ، وكذلك الدعاء بإصلاح البال ، وهي كلمة جامعة . وأما الدعاء بالمغفرة ، فجاء بلفظ يشمل العاطس والمشتم ، فيقول : يغفر الله لنا ولكم ، ليتحصل من مجموع دعوتي العاطس والمشتم لهما المغفرة والرحمة معاً ، فصولات الله وسلامه على المبعوث بصلاح الدنيا والآخرة . انتهى ملخصاً . وقد ذكرت في كتابي : « غذاء الالباب لشرح منظومة الآداب » من ذلك طرفاً صالحاً من راجعه وفهمه ظفر بما يريد والله أعلم .

(أحدهما) ﷺ (وترك الآخر) فلم يشتمه (فقيل) بالبناء للمجهول ، والسائل عن ذلك هو العاطس الذي لم يحمّد ، وقع كذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في « الأدب المفرد » للبخاري ولفظه : فسأله الشريف . وكذا في رواية عند البخاري عن أنس رضي الله عنه : عطس رجلان عند النبي ﷺ فشمت أحدهما ، ولم يشمت الآخر ، فقال الرجل : شمت هذا ولم تشمتني . قال في

« الفتح » : وهذا قد يعكر على ما في حديث سهل بن سعد أن الشريف المذكور ، هو عامر بن الطفيل ، فانه كان كافراً ، ومات على كفره ، فيبعد أن يخاطب النبي ﷺ بقوله : يا رسول الله كما في رواية ، ويحتمل أن تكون القصة لعامر بن الطفيل غير المذكور ، ففي الصحابة عامر بن الطفيل الأسلمي ، له ذكر في الصحابة ، وحديث رواه عنه عبد الله بن بريدة الأسلمي . حدثني عمي عامر بن الطفيل ، وفي الصحابة أيضاً عامر بن الطفيل الأزدي ، ذكره وثيمة في كتاب « الردة » وأورد له مرثية في النبي ﷺ ، فإن لم يكن في حديث سهل بن سعد ما يدل على أنه العامري المشهور ؛ احتتمل أن يكون أحد هذين .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : ثم راجعت « معجم الطبراني » فوجدت سياق حديث سهل بن سعد ، الدلالة الظاهرة على أنه عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب ، الفارس المشهور ، وكان قدم المدينة وجرى بينه وبين ثابت بن قيس بحضرة النبي ﷺ كلام ، ثم عطس ابن أخيه فحمد فسمته النبي ﷺ ثم عطس عامر فلم يحمد فلم يسمته فسأله . (هما) أي العاطسان (رجلان عطسا) أي كل واحد منهما قد عطس (فشمت أو قال فسمت) بالمججمة أو المهملة (أحدهما وتركت الآخر) فلم تشمته ، أي فلا شيء فعلت هذا ؟ (فقال) ﷺ (ان هذا) الذي شمته (حمد الله عز وجل) فاستحق بحمده لربه أن يشمت (وان هذا) الذي لم أشمته (لم يحمد الله) عز وجل عقب عطاسه فاستحق أن لا يشمت (قال سليمان) التيمي رحمه الله ورضي عنه (أراه) بضم الهمزة وفتح الراء والهاء بعد الألف ، أي أظنه يعني الحديث الذي سمعته من أنس بن مالك رضي الله عنه (نحواً) بالنصب مفعول ثان لأرى ، والأول : الضمير في أراه (من هذا) الحديث الذي سقته إن لم يكن عنه . وفي « الأدب المفرد » للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « ان هذا ذكر الله فذكرته ، وأنت نسيت الله

فُنسِيتُكَ ، ، وقد يطلق النسيان ويراد به الـتـرك . قال الحليبي : الحكمة في مشروعية الحمد للعاطس أن العطاس يدفع الأذى من الدماغ الذي فيه قوة الفكر ، ومنه منشأ الأعصاب التي هي معدن الحس ، وبسلامته تسلم الأعضاء ، فيظهر بهذا أنها نعمة جليلة ، يناسب أن تقابل بالحمد لما فيه من الإقرار لله بالخلق والقدرة ، وإضافة الخلق إليه سبحانه لا إلى الطبائع .

وفي الحديث دليل على أن التشميت إنما يشرع لمن حمد الله تعالى ، قال ابن العربي : وهو مجمع عليه ، وفي « صحيح مسلم » ، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً : « إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمته ، وإن لم يحمد الله فلا تشمته » . قال النووي : ومقتضى هذا الحديث أن من لم يحمد الله لم يشمت . قال في « الفتح » : هو منطوقه ، لكن هل النهي فيه للتحريم أو التنزيه ؟ الجمهور على الثاني . قال يحيى بن أبي كثير عن بعضهم : حق على الرجل إذا عطس أن يحمد الله تعالى ، وأن يرفع صوته ، وأن يسمع من عنده ، وحق عليهم أن يشمتوه . انتهى . فإن شمت من لم يحمد كره . ويؤخذ من الأحاديث : أن العطاس لو أتى بلفظ آخر غير الحمد لا يشمت ، كما في « صحيح البخاري » وغيره : « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فإذا قال له : يرحمك الله ؛ فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم ، فإن زاد : ويدخلكم الجنة عرفها لكم ، فلا بأس به ، لانه روي عن الحسن أنه قاله ، كما ذكر في « الآداب » لابن مفلح . وظاهر الأحاديث وجوب الحمد على العطاس ، لثبوت الأمر الصريح به . ولكن نقل النووي الاتفاق على استحبابه .

وأما لفظه : فنقل ابن بطال وغيره ، عن طائفة أن لا يزيد على الحمد لله ، وعن طائفة يقول : الحمد لله على كل حال ، كما جاء عن ابن عمر ، وقال : هكذا علمنا رسول الله ﷺ ، أخرجه البزار والطبراني ، وأصله في الترمذي ، وعند

الطبراني من حديث أبي مالك الأشعري رفعه : إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله على كل حال ، ومثله عند أبي داود . والامام أحمد والنسائي من حديث سالم ابن عبيد رفعه : « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال ، أو الحمد لله رب العالمين » وعن طائفة يقول : الحمد لله رب العالمين . كما ورد في حديث ابن مسعود ، رواه البخاري في « الأدب المفرد » والطبراني . وورد الجمع بين اللفظتين ، فعند البخاري في « الأدب المفرد » عن علي رضوان الله عليه قال : « من قال عند عطسة سمعها الحمد لله رب العالمين على كل حال ، لم يجد وجع الضرس ولا الأذن أبداً » وهو موقوف ، رجاله ثقات . ومثله لا يقال من قبل الرأي ، فله حكم الرفع . وقد أخرجه الطبراني من وجه آخر عن علي مرفوعاً بلفظ : « من بادر العاطس بالحمد ؛ عوفي من وجع الخاصرة ؛ ولم يشك ضرسه أبداً » وسنده ضعيف . وللبخاري في « الأدب المفرد » والطبراني بسند لا بأس به ، عن ابن عباس قال : « إذا عطس الرجل فقال : الحمد لله . قال الملك : رب العالمين ، فإن قال : رب العالمين . قال الملك : يرحمك الله » وعن طائفة ما زاد من الثناء فيما يتعلق بالحمد كأن حسناً . فقد أخرج أبو جعفر في « التهذيب » بسند لا بأس به ، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : « عطس رجل عند النبي ﷺ فقال الحمد لله ، فقال له النبي ﷺ : يرحمك الله ، وعطس آخر فقال : الحمد لله رب العالمين ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، فقال : ارتفع هذا على هذا تسع عشرة درجة » وأخرج ابن السني بسند ضعيف ، عن أبي رافع قال : « كنت مع رسول الله ﷺ . فعطس فخطى يدي ، ثم قام فقال شيئاً لم أفهمه ، فسأله فقال : اتاني جبريل فقال : إذا أنت عطست فقل : الحمد لله لكرمه ، الحمد لله لعزته جلالة ، فإن الله عز وجل يقول : صدق عبدي ثلاثاً ، مغفور له » .

ولأصل لما اعتاده كثير من الناس من استكمال قراءة الفاتحة بعد قوله الحمد لله رب العالمين ، وكذا المدول عن الحمد الى أشهد أن لا إله إلا الله ، أو تقديمها على الحمد ، فهو مكروه . وفي « الأدب المفرد » للبخاري عن مجاهد ، ان ابن عمر رضي الله عنها سمع ابنه عطس ، فقال : أب فقال وما أب ؟ ان الشيطان جعلها بين العطسة والحمد » وأخرجه ابن أبي شيبة بلفظ : اش بدل أب ، ونقل ابن بطل عن الطبراني : ان العاطس يتخير بين أن يقول الحمد لله ؛ أو يزيد رب العالمين ، أو على كل حال ، والذي يتحرر من الأدلة أن كل ذلك مجزئ ، لكن ما كان أكثر ثناء ؛ كان أفضل بشرط أن يكون مأثوراً .

وأما التسميت ، فمداره على عدة الفاظ : يرحمك الله ، ويهديكم الله ، ويصلح بالكم ، وبدون زيادة : ويصلح بالكم ، وبزيادة : ويدخلكم الجنة عرفها لكم ، ويغفر الله لنا ولكم . وكان ابن عمر اذا عطس فقبل له : يرحمك الله ، قال : يرحمنا الله وإياكم ، ويغفر لنا ولكم ، وقال الامام أحمد : التسميت يهديكم الله ويصلح بالكم ، وقال : هذا عن النبي ﷺ من وجوه . وذكر القاضي : أنه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظان : أحدهما يهديكم الله ، والثاني يرحمكم الله . كذا قال . وصوب شيخ الاسلام ابن تيمية ، ويغفر الله لكم . قال القاضي : ويختار أصحابنا ، يهديكم الله ، لأن معناه يديم هدايتكم . واختار بعض العلماء : يغفر الله لنا ولكم . وقال مالك والشافعي : يخير بين هذا ؛ وبين يهديكم الله ويصلح بالكم . وفي « الأدب المفرد » للبخاري بسند صحيح ، عن أبي حمزة الجهمي : سمعت ابن عباس رضي الله عنها اذا شمت يقول : عافانا الله وإياكم من النار ، ويرحمكم الله . وفي « الموطأ » عن نافع ، عن ابن عمر : أنه كان اذا عطس فقبل له : يرحمك الله ، قال : يرحمنا الله وإياكم ، ويغفر لنا ولكم . قال ابن دقيق العيد : ظاهر الحديث أن السنة لا تتأدى إلا بالمخاطبة . وأما ما اعتاده كثير من الناس من قولهم للرئيس : يرحم الله سيدنا

فخلاف السنة . قال : وبلغني عن بعض الفضلاء ، انه اذا شمت رئيساً فقال له :
يرحمك الله ياسيدنا ، فجمع بين الأمرين وهو حسن .

(فروع) :

الأول : تسميت عاطس مسلم حمد ، واجابته فرض . ومن جمع كفاية ،
وقيل : فرض عين مطلقاً ، وقال به ابن مزين من المالكية ، وجمهور أهل الظاهر ،
وقال ابن أبي حمزة : قال جماعة من علمائنا : إنه فرض عين ، وقواه الامام ابن القيم
في « حواشي السنن » فقال : جاء بلفظ الوجوب الصريح ، ولفظ الحق الدال
عليه ، ولفظ على الظاهرة فيه ، وبصيغة الأمر التي هي حقيقة فيه ، وبقول
الصحابي : أمرنا رسول الله ﷺ قال : ولا ريب أن الفقهاء اثبتوا وجوب أشياء
كثيرة بدون مجموع هذه الأشياء ، وذهب عبد الوهاب من المالكية الى أنه
مستحب ، ويجزى الواحد عن الجماعة ، وهو قول الشافعية ، والراجح أنه فرض
كفاية ، وهو مذهب معظم الحنابلة والحنفية والمالكية . والله أعلم .

ومن آداب العاطس : أنه اذا عطس خمر وجهه ، وغض صوته ، ولا يلتفت
يميناً وشمالاً ، وحمد الله جهراً ؛ بحيث يسمع جليسه ليشمته .

الثاني : اذا نسي العاطس الحمد لم يذكره جليسه ، لكن يعلم الصغير أن
يحمد الله ، وكذا حديث عهد باسلام ونحوه . ذكره علماؤنا وهو ظاهر قوله
عليه السلام : « واذا لم يحمد فلا تشمتوه » وقال الامام النووي من الشافعية : يستحب
للمن حضر من عطس فلم يحمد أن يذكره الحمد ، ليحمد فيشمته ، وقد ثبت ذلك
عن ابراهيم النخعي ، وهو من باب النصيحة ، والامر بالمعروف . وزعم ابن
العربي : انه جهل من فاعله ، وخطأه النووي واستنصوب الاستحباب . قالوا : ولو

جمع بينها فقال : الحمد لله ، يرحمك الله ، جمع جهاتين : إلزامه نفسه مالا يلزمها ، وإيقاعه التشميت قبل وجود الحمد من العاطس .

وحكي أن رجلا عطس عند الأوزاعي فلم يحمد ، فقال له : كيف يقول من عطس ؟ فقال : الحمد لله ، فقال يرحمك الله . وروى عن النبي ﷺ أنه قال : « من سبق العاطس بالحمد ، أمن من الشوص واللوص والعلوص ، وهذه أوجاع تختلف في بعضها ، ذكره ابن الأثير في « النهاية » وغيره ، قال في « التمييز » وغيره . والحديث ضعيف . وقد نظمه بعضهم في قوله :

من يستبق عاطساً بالحمد يأمن من شوص ولوص وعلوص كذا وردا
عنيت بالشوص ذا الرأس ثم بما يليه ذا البطن والضرس اتبع رشدا
وفي بعض الكتب : وهو أولى

فالداء في الضرس شوص ، ثم في أذن

لوص وفي البطن علوص كذا وجدا

قال في « القاموس » : الشوص : وجع الضرس والبطن ، وقال في العلوص كسنور التخمرة ووجع في البطن ، وقال في اللوص : وجع الاذن أو البحر ، ومثل ذلك في « النهاية » .

الثالث : لا يجب تشميت جماعة ، منهم الذي ، فلا يجب ولا يستحب ، فان قيل له : يهديكم الله جاز . فقد أخرج أبو داود وصححه الحاكم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : « كانت اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ رجاء أن يقول : يرحمكم الله ، فكان يقول يهديكم الله ويصلح بالكم » .
وممنهم : الصبي اذا عطس ؛ فانه يدعى له بأن يقال : بورك فيك وجبرك الله .

ومنهم : الشاب فلا تشمت الاجنبي ولا يشمتها .

ومنهم المزكوم فانه يشتمه ثلاث مرات ، وفي « الادب المفرد للبخاري »
عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : « شتمه واحدة ، وثنتين ، وثلاثاً ، فما كان بعد
ذلك فهو زكام » هكذا اخرج موقوفاً ، واخرجه ابو داود كذلك ، ولفظه :
« شمت أخاك » ورفع غير واحد ، والاحاديث بذلك متضاربة ، ويدعو له بعد
الرابعة بالمافية .

فائدتان :

الاولى : قال ابن هبيرة ، قال الرازي من الأطباء : العطاس لا يكون أول
مرض أبداً ، إلا أن يكون زكمة ، قال : فاذا عطس الانسان استدل بذلك
من نفسه على صحة بدنه ، وجودة هضمه ، واستقامة قوته ، فينبغي له أن يحمد
الله ، ولذلك أمره رسول الله ﷺ أن يحمد الله تعالى .

الثانية : ذكر الحافظ ابن حجر في « الفتح » : ان ابن عبد البر قد
أخرج بسند جيد عن ابي داود ، وهو سليمان ابن الاشعث السجستاني ، الامام
الحافظ من أصحاب الامام أحمد ، وأحد نقلة مذهبه وهو صاحب « السنن »
انه كان في سفينة ، فسمع عاطساً على الشط حمد ، فاكثرى قارباً بدرهم ، حتى جاء
إلى العاطس فشتمه ثم رجع فسئل عن ذلك ، فقال : لعله يكون مجاب الدعوة
فلما رقدوا سمعوا قائلاً يقول في أهل السفينة : إن أباداود اشترى الجنة من الله
بدرهم ، رحمه الله ورضى عنه آمين .

الحديث الثالث

٤٨ - ثنا هشيم ؛ قال أنا حميد ، عن أنس بن مالك قال :
أن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتنتطق به في حاجتها .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم) بن بشر السلمي الواسطي الامام الحافظ ،
تقدمت ترجمته في أول الحديث الأول ، من مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
(قال : أنا) أبو عبيدة (حميد) بن أبي حميد ، واسم أبي حميد ، يختلف فيه ،
ف قيل : عبد الرحمن ، وقيل : طرخان ، وقيل : مهران الخزاعي البصري ، مولى
طلحة الطلحات المعروف بالطويل . قال الأصمعي : رأيت حميداً ؛ فلم يكن بالطويل ؛
ولكن كان في جيرانه رجل يعرف بحميد القصير ، ف قيل له : حميد الطويل ،
ليعرف من الآخر . وقيل : كان طويل اليدين ، تابعي . سمع أنس بن مالك ، وثابت
البناني ، والحسن ، وعكرمة ، ونافع وعنه : ابن علية ، وهشيم ، والحامدان ، وزهير
ابن معاوية ، والسفيانان ، وشعبة . قال أبو حاتم : أكبر أصحاب الحسن قتادة
وحميد ، وقال حماد بن سلمة : لم يدع حميد لثابت علماً إلا ووعاه وسمعه منه .
وقال ابن الأثير في « جامع الاصول » : هو كثير الحديث ، واسع الرواية . روى
عنه حماد بن سلمة ، وابن المبارك ، والانساري . وقال : ولد سنة ثمان وستين ،
ومات سنة ثلاث وأربعين ومائة . وقال الجلال السيوطي في « طبقات الحفاظ » : مات
حميد وهو قائم يصلي ، في جماد الاولى ، سنة أربعين ومائة ، وقيل : اثنتين وأربعين
وقيل : ثلاث (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه انه (قال : أن) بفتح الهمزة

وسكون النون، أي لأن (كانت) وحينئذ تكون اللام في جواب قسم مقدر ، أو
بلا تقدير اللام ، وأن مخففة من الثقيلة (الأمة) بفتح الهمزة والميم المخففة ، خلاف
الحرّة ، والجمع إماء وآم . قال الشاعر :

محلة سوء أهلك الدهر أهلها فلم يبق فيها غير آم خوالف

والنسبة إليها اموي ، وتصغيرها أمية . وفي «المسند» و«صحيح البخاري» :
كانت الأمة . زاد البخاري : والعبد (من أهل المدينة) ، ولفظ البخاري : من إماء
أهل المدينة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ، فاللام فيها للعبد ، وهي علم على
مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بالقلبة لا بالوضع ، ولا يجوز نزع « الـ »
منها إلا في نداء أو إضافة ، وجمعها : مدن ومُدن ومدائن بالهمز ودونه ، فمن جعلها
فميلة من قولهم : مدن بالمكان إذا أقام ؛ همز ؛ ومن جعلها مفعلة من دين إذا
ملك ، لم يهمز ، كما لم يهمز معايش (لتأخذ) الأمة وكذا العبد (بيد رسول الله
ﷺ فتنتلق) أي فتذهب (به) أي برسول الله ﷺ (في حاجتها) ولفظ
البخاري : « فتنتلق به حيث شئت » . وفي لفظ : « فما ينزع يده من يدها حتى
تذهب به حيث شئت » . وفي « صحيح مسلم » من حديث أنس رضي الله عنه :
« ان امرأة كان في عقلها شيء ، فقالت يا رسول الله : ان لي اليك حاجة ؛
فقال : يا أم فلان ، انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك ، فخلا
معه في بعض الطرق ، حتى فرغت من حاجتها » ، والسكك جمع سكة بالكسر :
الطريق المستوي .

وهذا الحديث يدل على حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم ، ومكارم
أخلاقه ، وتواضعه ، وعلى تعظيمه لأهل المدينة ، وتوقيرهم واحتشامهم ، أما
تعظيمه لأهل المدينة وتوقيره لهم فهم من الأنصار ، وتقدم طرف صالح في مناقبهم ،
وما نوه به رسول الله ﷺ من فضائلهم ، والحث على حبهم ، والتحذير من

بعضهم . وأما مكارم أخلاق رسول الله ﷺ وحسن خلقه وتواضعه ، فهو معلوم عند ذوي الفهم ، لأنه منبع الاحسان والمكارم ، وينبوع المعارف والمراحم ، فكل مكرمة وجدت ، فهي من بعض مكارمه ، وكل رحمة حدثت ، فهي من طرف مراحمه .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : من تأمل تدبير النبي ﷺ أمرَ مواطن الخلق وظواهرهم ، وسياسة الخاصة والعامة ، مع عجب شأئه ، وبدائع سيره ، فضلاً عما أفاضه من العلم ، وقرره من الشرع ، دون تعلم سبق ، ولا ممارسة تقدمت ، ولا مطالعة للكتب ، لم يمتز في رجحان عقله ، وثقوب فهمه لأول وهلة . وقد روى داود بن المخبر عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه : « أفضل الناس أعقل الناس » . قال ابن عباس : وذلك نبينا صلى الله عليه وسلم . ونقل ابن قتيبة في « العوارف » عن بعض الأكابر قال : اللب والعقل مائة جزء ، تسعة وتسعون في النبي ﷺ ، وجزء في سائر الناس . انتهى . وما بالاك بمن يقول الله جل ثناؤه فيه : « وإنك لعلی خلق عظیم » (١) . ولما سئلت عائشة الصديقة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ ؛ قالت : « كان خلقه القرآن ، يرضى لرضاه ، ويغضب لغضبه ، لم يكن فاحشاً ولا متفاحشاً » (٢) الحديث رواه مسلم ، والترمذي والنسائي وغيرهم . وروى الامام أحمد والخرائطي وأبو يعلى الموصلي ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم الأخلاق » ، وفي لفظ : « لأتمم حسن الأخلاق » ، ورواه البزار بلفظ : « لأتمم مكارم الأخلاق » ، وروى أبو داود عن أنس رضي الله عنه قال : « ما رأيت رجلاً اتقى رسول الله ﷺ فنحى رأسه عنه ؛ حتى يكون الرجل هو الذي ينزع ، وما رأيت رجلاً أخذ بيد رسول الله ﷺ فنزع يده ؛ حتى يكون الرجل هو الذي ينزع » . ويدخل في حسن الخلق : التحرز من

(١) سورة القلم ، الآية : ٤

(٢) في « مسلم والترمذي » : لم يكن فاحشاً ولا متفاحشاً .

الشح والبخل والكذب ، وغير ذلك من الاخلاق المذمومة . ويستعمل في حسن الخلق : التجنب الى الناس في القول والفعل ، والبذل وطلاقة الوجه مع الأقارب والأجانب ، والتساهل في جميع الأمور ، والتسامح فيما يلزم من الحقوق ، وترك التقاطع والتهاجر ، واحتمال الاذى من الاعلى والاُذنى ، مع إدامة البشر ، وحسن التلقي . فهذه الخصال تجمع محاسن الاخلاق ، ومكارم الشيم . ولقد كان جميع ذلك في رسول الله ﷺ ، فلهذا وصفه الله تعالى بقوله : « وإنك لعلی خلق عظیم » (١) فهو مستولٍ على هذه الاخلاق ، ومستعملٍ عليها ، لفظه على مقتضية ذلك . قال الجنيد رحمه الله : إنما كان خلقه ﷺ عظيماً ؛ لأنه لم يكن همّه سوى الله تعالى . وقال الحلبي : إنما وصف خلقه بالعظم ؛ مع أن الغالب وصف الخلق بالكرم ؛ لأن كرم الخلق يراد به السباحة والدماثة ؛ ولم يكن ﷺ مقصوراً على ذلك ، بل كان رحيماً بالمؤمنين ، رفيقاً بهم ، شديداً على الكفار ، غليظاً عليهم ، مهيباً في صدور الأعداء ، منصوراً بالرعب منهم مسيرة شهر ، فكان وصف خلقه بالعظم يشمل الانعام والانتقام . وقيل : إنما وصف بالعظم ، لاجتماع مكارم الاخلاق فيه . والله تعالى الموفق .

الحديث الرابع

٤٩ — ثنا هشيم ، قال : أنا عبد العزيز بن صهيب وإسماعيل ، أنبأنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم قال : أنا عبد العزيز بن صهيب ، و)

(١) سورة : القلم ، الآية : ٤

حدثنا (إسماعيل) بن عليّة قال : (أنبأنا عبد العزيز) بن صهيب ، فلامام أحمد شيخان في هذا الحديث ، كل منهما يروي عن عبد العزيز (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : من كذب علي متعمداً) للكذب عليّ (فليتبوأ مقعده من النار) أي ينزل منزله منها ويتخذة ، قيل : على طريق الدعاء ، أي بواه الله ذلك ، وخرج مخرج الأمر . وقيل : بل هو على الخبر ، وانه استحق ذلك واستوجبه ، وتقدم الكلام عليه في الحديث الثاني من مسند جابر ابن عبد الله رضي الله عنه .

الحديث الخامس

٥٠ - ثنا هشيم ، قال : أنا حميد ، عن أنس بن مالك ، قال : لما دخل النبي ﷺ زينب بنت جحش ، أولم فأطعمنا خبزاً ولحماً .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم قال : أنا حميد) الطويل (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال) أنس : (لما دخل النبي ﷺ ب) أم المؤمنين (زينب بنت جحش) بن رئاب بكسر الراء ، وبعدها همزة ، وبالباء الموحدة ، ابن يعمر ، بفتح المثناة التحتيّة والميم ، ابن صبرة ، بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة ، بن مرة ، بن كبير ، ضد صغير ، بن غنم بفتح العين المعجمة وسكون النون ، ابن دودان ، بضم الدال المهملة الاولى ، ابن أسد بن خزيمه الأسدية وأما أميمة بنت عبد المطلب ، عمة النبي ﷺ ، وكانت زينب رضي الله عنها قبل دخول النبي ﷺ بها ، عند مولاه زيد بن حارثة ، فطلقها زيد رضي الله

عنه ، فزوجها الله سبحانه لنبيه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سموات ، وأنزل عليه في محكم كتابه العزيز : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها » (١) فقام فدخل عليها بلا استئذان ، وكانت تفخر بذلك على سائر أزواجه صلى الله عليه وسلم ، تقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سمواته . وفي صحيح مسلم من حديثها رضي الله عنها ، أنها لما انقضت عدتها ، قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة : اذهب فاذكرني لها ، فقالت : ما كنت لأحدث شيئاً حتى أوامر ربي ، وقامت الى مسجد لها فأنزل الله على نبيه : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها » (١) فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن . وحديث افتخارها بذلك في البخاري وغيره . قال الحافظ ابن الجوزي في « المنتخب » : دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث من الهجرة ، وتوفيت بالمدينة سنة عشرين ، ودفنت بالبقيع .

(أولم) هذا محله الجزم جواباً لما ، أي لما دخل ﷺ بزَيْنَب بنت جحش رضي الله عنها أولم عليها بشاء ، والوليمة : اسم لطعام العرس خاصة ، لا تقع على غيره ، وقال بعض الفقهاء : انها تقع على كل طعام ، والأول : قول أهل اللغة وهم أعرف بلسان العرب وموضوعاته . وفي « المستوعب » : وليمة الشيء كماله وجمعه ، وسميت دعوة العرس وليمة لاجتماع الزوجين كما في « المطلع » . وفي « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنه قال : « ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه ما أولم على زينب ، أولم بشاة » ولفظ مسلم : ما أولم على امرأة من نسائه أكثر وأفضل مما أولم على زينب » فقال ثابت البناني بهم أولم؟ قال : (فـ) قد (أطمعنا) معشر أصحابه (خبزاً ولحماً) ولفظ مسلم قال : « أطمعهم خبزاً ولحماً حتى

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٣٧

ترگوه « وترجم لهذا البخاري : « باب من أولم على بعض نسائه أكثر من بعض » وأشار ابن بطال الى أن ذلك لم يقع قصداً لتفضيل بعض النساء على بعض ، بل باعتبار ما اتفق ، وأنه لو وجد الشاة في كل منهن لا ولم بها ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس ، ولكن لا يبالغ فيما يتملق بأمور الدنيا في التأنق . وقال بعضهم : لعله صلى الله عليه وسلم فاضل بين ولائم نسائه لبيان الجواز . وقال الكرمانى : لعل السبب في تفضيل زينب في الوليمة على غيرها ، كان للشكر لله على ما أنعم به عليه من تزويجه اياها بالوحي .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : ونفي أنس أن يكون لم يؤلم على غير زينب بأكثر مما أولم عليها ، محمول على ما انتهى اليه علمه ؛ أو لما وقع من البركة في وليمتها ، حيث اشبع المسلمين لحماً وخبزاً من الشاة الواحدة ، واستظهر أن يكون صلى الله عليه وسلم أولم على ميمونة بنت الحارث بأكثر من ذلك ، لأنه لما تزوجها في عمرة القضاء (١) بمكة ، طلب من أهل مكة أن يحضروا وليمتها فامتنعوا ، يقتضي أن يكون ما أولم به عليها أكثر من شاة ، لوجود التوسعة عليه في تلك الحالة ، لان ذلك كان بعد فتح خيبر ، وقد وسع الله على المسلمين منذ فتحها عليهم . كذا قال . قلت : من الممكن أن يكون صلى الله عليه وسلم إنما طلب حضور أهل مكة لوليمة ليقدّم لهم طعاماً قليلاً ، فتظهر فيه البركة حتى لا يمكن نفاد وفراغه معجزة له أيؤمنوا به ، ويصدقوه ولم ار ذلك منقولاً .

(فروع) :

الأول : وليمة العرس سنة مؤكدة ، وأخرج الطبراني من حديث وحشي ابن حرب رضي الله عنه رفعه : « الوليمة حق » وفي مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « شر الطعام طعام الوليمة ، يمنعها من يأتيها ، ويدعى

(١) وتسمى : عمرة القضاء .

اليها من يأبأها ، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله ، وكان أبو هريرة يقول كما في صحيح مسلم : « بئس الطعام طعام الوليمة ، يدعى لها الأغنياء ، ويترك المساكين ، ومن لم يأت الدعوة فقد عصى الله ورسوله » .

وروى الامام أحمد من حديث بريدة قال : لما خطب علي فاطمة رضوان الله عليهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه لا بد للعروس من الوليمة » وسنده لا بأس به . قال ابن بطل : قوله صلى الله عليه وسلم : « الوليمة حق » ليست بباطل ، بل يندب اليها ، وهي سنة فضيلة ، وليس المراد بالحق الوجوب ، ثم قال ابن بطل : لا أعلم أحداً أوجبها . كذا قال . وغفل عن رواية في مذهبه بوجوبها نقلها القرطبي ، وقال : مشهور المذهب انها مندوبة ، ونقل ابن التين رواية بالوجوب في مذهب الامام أحمد ، والذي في « المغني » للامام الموفق : انها سنة ، بل وافق ابن بطل في نفي الخلاف بين أهل العلم في ذلك ، قال : وقال بعض الشافعية : هي واجبة ، لان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بها عبد الرحمن بن عوف ، ولان الاجابة اليها واجبة ، فكانت واجبة . وأجاب بأنه طعام لسرور حادث ، فأشبهه سائر الأطعمة ، والأمر محمول على الاستحباب بدليل ما ذكرناه ، ولكونه أمره بشاة ، وهي غير واجبة اتفاقاً . قال في « الفتح » : ولبعض الذي أشار اليه ، يعني الموفق ، وجه معروف عندهم . وقد جزم به سليم الرازي وقال : إنه ظاهر نص الامام ، ونقله عن النص ايضاً أبو إسحاق في « المذهب » وهو قول أهل الظاهر كما صرح به ابن حزم .

الثاني : يجزى في الوليمة الشيء اليسير ، كدنين من شعير ، ويسن أن لا تنقص عن شاة ، والأولى الزيادة عليها ، كما في « الصحيحين » وغيرهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما تزوج : « أولم ولو بشاة » فيستفاد من السياق طلب تكثير الوليمة من

يُقدر ، قال عياض : أجمعوا على أن لا حد لكثرها ، وأما أقلها فكذلك . ومهما
تيسر أجزاء ، والمستحب أنها على قدر حال الزوج ، ولولا ثبوت أنه صلى الله عليه وسلم أولم
على بعض نسائه بأقل من الشاة ؛ لكان يمكن أن يستدل بحديث أنس في قصة
عبد الرحمن رضي الله عنها على أن الشاة أقل ما يجزىء عن المومس . وفي
« الصحيح » : « أنه صلى الله عليه وسلم أولم على بعض نسائه بمدّين من شمير » . وروى الإمام
أحمد ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه في قصة صفية : « أنه صلى الله عليه
وسلم حمل وليمتها النمر والاقط والسمن » .

الثالث : تستحب الوليمة بالدخول ، وجرت العادة قبله بيسير . وقد
اختلف السلف في وقتها : هل هو عند العقد ؛ أو عقبه ، أو عند الدخول ؛ أو
عقبه ، أو موسع من ابتداء العقد الى انتهاء الدخول ، على أقوال ، معتمد مذهبنا
ما ذكرناه . وحكى القاضي عياض : أن الأصح عن المالكية استحبابه بعد
الدخول . وعن جماعة منهم : أنه عند العقد . وعن ابن حبيب عند العقد وبعد
الدخول . وعند الشافعية : عند الدخول . واستحب بعض المالكية أن تكون
عند البناء ، ويقع الدخول عقبها . وعليه عمل الناس . كما نقلناه عن مذهبنا .
والله أعلم .

الرابع : الإجابة الى وليمة العرس واجبة ، وقد نقل ابن عبد البر ، ثم
عياض ، ثم النووي وغيرهم : الاتفاق على القول بوجوب الإجابة لوليمة العرس .
وفيه نظر : نعم المشهور من أقوال العلماء الوجوب ، وصرح جمهور علمائنا كالشافعية
بأنها فرض عين ، ونص عليه مالك ، وعن بعض الحنابلة والشافعية أنها مستحبة .
وذكر الشيخ المالكي : أن ذلك مذهبهم . وكلام صاحب « الهداية » من الحنفية
تقتضي الوجوب ، مع تصريحه بأنها سنة ، فكأنه أراد أنها وجبت بالسنة ، وليست
فرضا كما هو المعروف من قواعدهم . وعن بعض الحنابلة والشافعية أنها فرض

كفاية ، وإنما تجب الإجابة على معتمد المذهب . إذا عينه داع مسلم يحرم هجره ،
ومكسبه طيب في اليوم الاول ، وهي حق الداعي ، تسقط بعقوه ، وقدم في
« الترغيب » : لا يلزم القاضي حضور وليمة عرس . ومنع ابن الجوزي في « المنهاج »
من إجابة ظالم وفاسق ومبتدع ، ومفاخر بها ، أو فيها مبتدع يتكلم ببدعة إلا
لرأى عليه . وكذا إن كان فيه مضحك بفحش أو كذب ، وإلا أبيع إذا كان
قليلاً . وإن كان المدعو مريضاً أو معذوراً لم تجب عليه الإجابة ، كعبد لم يأذن
له سيده ، وإلا وجبت لما تقدم من الأحاديث . وفي حديث ابن عمر مرفوعاً :
« احيوا هذه الدعوة إذا دعيت لها » . وكان ابن عمر يأتي الدعوة في العرس وغير
العرس ، ويأتيها وهو صائم . متفق عليه . ورواه أبو داود وزاد : « فإن كان مفطراً
فليطعم ، وإن كان صائماً فليدع » وفي « مسلم » : « من دعي إلى وليمة عرس
فليجيب » وفي « مسند الإمام أحمد » و « صحيح مسلم » و « سنن أبي داود » و « ابن
ماجة » من حديث جابر مرفوعاً : « إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجيب ، فإن شاء
طعم وإن شاء ترك » .

الخامس : قد علم أن الإجابة لوليمة العرس واجبة إن عينه أول مرة ؛ قال
في « الفروع » : وتستحب ثاني مرة ، وتكره في الثالثة . ونقل حنبل عن الإمام
رضي الله عنه : إن أحب أجاب ، ولا يجيب في الثالث . واستحب سيدنا الشيخ
عبد القادر في « الفنية » إجابة وليمة عرس ، وكره حضور غيرها ؛ إن كان كما
وصف عليه السلام يمنع المحتاج ، ويحضر الغني . واستدل من عين لإجابة الوليمة وقتاً
وهم الحنابلة والشافعية بما روى أبو داود والنسائي من حديث قتادة عن عبد الله
ابن عثمان الثقفي ، عن رجل من ثقيف . كان يبنى عنه . قال البخاري عن قتادة :
إن لم يكن اسمه زهير بن عثمان ، فلا أدري ما اسمه ، قال البخاري : ولا تصح
لزهير صحبة ، وفي « جامع الأصول » : زهير بن عثمان الأعور الثقفي عداده في أهل

البصرة ، قال ابن عبد البر : روى عن النبي ﷺ حديث الوائمة وليس له غيره ، وفي استناده نظر ، يقال : إنه مرسل . انتهى - أن النبي ﷺ قال : « الوائمة أول يوم حق ، والثاني معروف ، والثالث رياء وسمة ، وهو ضعيف . ولكن له شواهد منها : عن أبي هريرة رضي الله عنه مثله ، أخرجه ابن ماجه ، ومنها عن أنس رضي الله عنه مثله ، أخرجه ابن عدي ، والبيهقي . ومنها : عن ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ : « طعام أول يوم حق ، وطعام يوم الثاني سنة ، وطعام يوم الثالث سمة ، ومن سمع سمع الله به » ، وهذه كلها مرفوعة . ومنها عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : « طعام في العرس يوم سنة ، وطعام يومين فضل ، وطعام ثلاثة أيام رياء وسمة » أخرجه الطبراني . وهذه الأحاديث وإن كان كل منها لا يخلو عن مقال ؛ فإن مجموعها يدل على أن للحديث أصلاً ، وقد وقع في أثناء حديث أبي داود والدارمي ، قال قتادة : « بلغني عن سعيد بن المسيب أنه دعي أول يوم فأجاب ، ودعي ثاني يوم فأجاب ، ودعي ثالث يوم فلم يجب ، وقال : هذا رياء وسمة ، واعلم أن أصحابنا أطلقوا الكراهة في اليوم الثالث ، وقال بعض العلماء : إنما يكره إذا كان المدعو في الثالث هو المدعو في الاول ، وكذا صوره الروياني من الشافعية ، واستبعده بعض متأخري فقهاءهم . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » وليس ببعيد .

الحديث السادس

٥١ - ثنا هشيم ، عن حميد ، عن أنس : أن النبي

صلى الله عليه وسلم صلى في بُرْدِ حَبْرَةٍ ، قال : أحسبه عقد بين طرفيها .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم) بن بشير السلمي (عن) أبي عبيدة (حميد)
 ابن أبي حميد (عن) أبي حمزة (أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن النبي ﷺ
 في برد) — بضم الموحدة وسكون الراء ، بعدها دال مهملة — قال الجوهري :
 هو كساء مربع فيه صغر ، يلبسه الأعراب ، والجمع برود . وفي « القاموس »
 البرد — بالضم — : ثوب مخطط ، والجمع أبراد وبرود ، واكسية يلتحف بها ،
 الواحدة بهاء . انتهى (حبرة) قال الجوهري : الحبرة بوزن عنبة : برد يمانى . قال
 الهروي : موشاة ^(١) مخططة . وقال الداودي : لونها أخضر ، لأنها لباس أهل الجنة .
 كذا قال . وقال ابن بطال : هي من برود اليمن ، يصنع من قطن ، وكانت أشرف
 الثياب عندهم . وقال القرطبي : سميت حبرة : لأنها تحبر ، أي تزين ، والتجبير
 التزيين والتحسين . وفي « المطالع » ، البرد الحبر : المزين ، ومنه حلة حبرة ، وبرد
 حبرة ، وهي عصب اليمن ، وذكركلام الداودي أن الحبرة ثوب أخضر . انتهى .
 (قال) أنس رضي الله عنه : (أحسبه) يعني النبي ﷺ ، أي أظنه (عقْد
 بين طرفيها) أنها : إما باعتبار كونها بردة ؛ أو لأجل لفظ حبرة ، فإنه مؤنث .
 وإنما عقْد بين طرفي برده ﷺ لأنه لم يكن عليه سراويلات ؛ فعقد بين طرفي
 البردة ليكون أستر .

والظاهر من سياق هذا الحديث : أنه لم يكن عليه سوى البرد . فدل على
 صحة الصلاة في ثوب واحد . وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله
 عنه ، أن سائلاً سأل رسول الله ﷺ عن الصلاة في الثوب الواحد فقال : « أو
 لاكم ثوبان » زاد البخاري : ثم سأل رجل عمر فقال : « إذا وسع الله عليكم
 فأوسعوا ، يجمع الرجل عليه ثيابه ؛ يصلي الرجل في إزار ورداء ، في إزار و قميص ؛
 في إزار وقباء ، وسراويل ورداء ، في سراويل و قميص ، في سراويل وقباء ، في
 ثوبان وقباء ، في ثوبان و قميص . قال : وأحسبه قال : في ثوبان ورداء ، وفي

(١) في الاصل : موشية .

«الصحيحين» عن أبي الزبير المكي ، أنه رأى جابر بن عبد الله رضي الله عنها يصلي في ثوب متوشح به ، وعنده ثيابه ، قال جابر : انه رأى رسول الله ﷺ يصنع ذلك : ولفظ البخاري : ملتحفا بدل متوشحا . قال الزهري : الملتحف هو المتوشح ، وهو المخالف بين طرفيه ، وهو الاشتغال على منكبيه . وفي بعض طرقه عن محمد بن المنكدر ، قال : صلى جابر بن عبد الله في إزار قد عقده من قبل قفاه ، وثيابه موضوعة على المشجب . وهو - بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الجيم بعدها موحدة - : عيدان تظم رؤوسها ، ويفرج بين قوائمها ، توضع عليها الثياب وغيرها . وقال ابن سيدة : المشجب والشجاب : خشبات ثلاث يعلق عليها الراعي دلوه وسقاه : ويقال في المثل : كان كالمشجب من أين قصده وجدته . انتهى . فقال له قائل : تصلي في إزار واحد ؟ قال : إنما صنعت ذلك ليراني أحق مثلك ، وأينا كان له ثوبان على عهد رسول الله ﷺ . وفي طريق آخر : رأيت النبي ﷺ يصلي كذا ، زاد البخاري قوله : قد عقده من قبل قفاه ، وأينا كان له ثوبان إلى آخره . قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» : كان الخلاف في منع جواز الصلاة في الثوب الواحد قديماً . روى ابن أبي شعبة ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لا تصلين في ثوب واحد ، قال : ثم استقر الأمر على الجواز . وفي «سنن» أبي داود والنسائي ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه سأل أخته أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها : هل كان رسول الله ﷺ يصلي في الثوب الذي يجامع فيه ؟ قالت : نعم إذا لم يرفيه أذى .

وفي الحديث إشارة إلى وجوب ستر العورة في الصلاة . وقد ذهب الجمهور إلى أن ستر العورة من شروط الصلاة ، وعن بعض المالكية : التفرقة بين الذكور والناسي ، ومنهم من أطلق كونه سنة لا يبطل تركها الصلاة ، واحتج

بأنه لو كان شرطاً في الصلاة لاختص بها ، ولافتقر الى النية ، وكان المأجز
العريان كالمأجز عن القيام ، ينتقل الى القعود والجواب عن الأول النقص
بالإيمان ، فهو شرط في الصلاة ، ولا يختص بها ، وعن الثاني : باستقبال القبلة فإنه
لا يفتقر للنية . وعن الثالث على ما فيه : بالمأجز عن القراءة ، ثم التسبيح ، فإنه
يصلي ساكناً . قال النووي : ذهب أكثر أهل العلم : ان الفخذ عورة . وعن
الامام مالك ، وكذا عن الامام أحمد ، في رواية : ان العورة القبل والدبر فقط ،
وبه قال أهل الظاهر ، وابن جرير ، والاصطخري . ونظر في « الفتح » في
ثبوت ذلك عن أبي جرير ، لانه ذكر المسألة في « تهذيبه » ورد على من زعم أن
الفخذ ليست بعورة . وبالله التوفيق .

تنبيهات

الأول : هذا الحديث مما ألحقه وزاده الحافظ ضياء الدين المقدسي رحمه
الله تعالى ورضي عنه ، من ثلاثيات « مسند الامام أحمد » رضي الله عنه ماخرجه
الحب اسماعيل بن عمر المقدسي رحمه الله تعالى . ولم أر هذا الحديث في « الصحيحين »
مع أنه على شرطها . نعم حميد الطويل مدلس ، والبخاري يخرج له ما صرح فيه
بالتحديث ، وهنا لم يصرح بالتحديث . بل قال عن أنس ، والمنعنة مظنة الدلسة .
والله أعلم .

الثاني : ورد في الحديث عن جابر بن سمرة رضي الله عنه انه قال : « رأيت
رسول الله ﷺ وعليه حلة حمراء ، فجملت انظر اليه والى القمر ، فلهو عندي
أحسن من القمر » رواه الترمذي ، وابن الجوزي وغيرهما . وفي « الصحيحين »
من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما : « كان رسول الله ﷺ مربوعاً ،
ورأيت في حلة حمراء ما رأيت شيئاً أحسن منه » وفي أبي داود ، من حديث
هلال بن عامر عن أبيه : « رأيت النبي ﷺ يخطب بمنى على بعير ، وعليه برد

احمر ، اسفاده حسن . ورواه الطبراني باسناد حسن عن طارق الحاربي ، لكن قال : بسوق ذي الحجاز . قال الامام المحقق ابن القيم في « الهدي » : وقد غلط من ظن ان الحلة كانت حمراء بحثا لا يخالطها غيرها ؛ وانما الحلة الحمراء : ردان يمانيان ، منسوجان بخطوط حمراء مع الأسود ، كسائر البرود اليمنية ، وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط ؛ وإلا فالاحمر البحت نهى عنه أشد النهي . انتهى .

وقد تلخص من أقوال السلف في لبس الثوب الأحمر سبعة أقوال :
الأول : الجواز مطلقاً . جاء عن علي وطلحة وعبد الله بن جعفر والبراء وغير واحد من الصحابة . وعن سعيد ابن المسيب والنخعي والشعبي وأبي قلابة وأبي وائل وطائفة من التابعين .

الثاني : المنع مطلقاً . لما أخرج ابن ماجة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : نهى رسول الله ﷺ عن المقدم ، وهو بالفاء وتشديد الدال المهمل : المشيع بالصفرة . فسره في الحديث . وعن عمر رضي الله عنه : انه اذا رأى على الرجل ثوباً مصفراً ضربه وقال له : دعوا هذا للنساء . أخرجه الطبري . وأخرج ابن أبي شيبة ، من مرسل الحسن : « الحمرة من زينة الشيطان ، والشيطان يحب الحمرة » ووصله أبو علي ابن السكن ، وأبو أحمد بن عدي ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » من رواية أبي بكر الهذلي . وهو ضعيف ، عن الحسن ، عن رافع بن زيد الثقفي ، رفعه : « ان الشيطان يحب الحمرة ، فاياكم والحمرة ، وكل ثوب ذي شهرة » ، وأخرجه ابن مندة . والحديث ضعيف . وقال ابن الجوزي قاضي : إنه باطل . وأخرج أبو داود ، والترمذي وحسنه ، والبراز من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « مر على رسول الله ﷺ رجل ، وعليه ثوبان أحمران ، فسلم عليه ، فلم يرد عليه النبي ﷺ » ، وأخرج أبو داود عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال : « خرجنا

مع رسول الله ﷺ في سفر ، فرأى على رءوسنا أكسية فيها خطوط عهد حمير فقال : ألا أرى هذه الحمرة قد غلبتكم ؟! قال : فقمنا سراعاً فزغناها حتى نفر بعض إبلنا ، وفي سند هذا الحديث راوٍ لم يسم .

الثالث : يكره لبس الثوب المشيع بالحمرة دون ما كان صبغه خفيفاً ، جاء ذلك عن عطاء وطاووس ومجاهد ، وكان الحجّة فيه حديث ابن عمر رضي الله عنهما في المقدم .

الرابع : يكره لبس الأحمر مطلقاً لقصد الزينة والشهرة ، وتجوز في البيوت والمهنة . جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما . وهذا يشبه قول الامام مالك في ترخيصه في المعصفر والمزعفر في البيوت ، وكراهته لها في الحافل .

الخامس : يجوز لبس ما كان صبغ غزله ثم نسج ، ويمنع ما صبغ بعد النسج . جنح اليه الخطابي ، واحتج بأن الحلة الواردة في الاخبار في إسمه ﷺ ، الحلة الحمراء إحدى حلل اليمن ، وكذلك البرد الأحمر ، وبرود اليمن يصبغ غزلها ثم ينسج .

السادس : اختصاص النهي بما يصبغ بالمعصفر لورود النهي عنه ، ولا يمنع ما صبغ بغيره من الاصباغ ، ويعكّر عليه حديث المغيرة في حديث الاسدية قالت : كنت عند زينب أم المؤمنين ونحن نصبغ ثياباً لها بمغرة ، اذ طلع النبي ﷺ ، فلما رأى المغيرة رجع ، فلما رأت زينب ذلك غسلت ثيابها ، ووارت كل حمرة ، فجاء فدخل ، أخرجه أبو داود . وفي سنده ضعف .

السابع : تخصيص المنع بالثوب الذي يصبغ كله . وأما ما فيه لون آخر غير الأحمر ، من بياض وسواد وغيرهما فلا . وعلى ذلك تحمل الأحاديث الواردة في الحلة الحمراء ، فإن الحلل اليمانية غالباً تكون ذات خطوط حمرة وغيرها . قال الامام ابن القيم : كان بعض العلماء يلبس ثوباً مشيعاً بالحمرة ، ويرى أنه يتبع السنة ،

وهو غلط ، فإن الحلة الحمراء من برود اليمن ، والبرود لا تصبغ أحمر صرفاً .
وقال الطبري : الذي أراه جواز لبس الثياب المصبغة بكل لون ، إلا أنني لأحب
لبس ما كان مشبعاً بالحبرة ، ولا لبس الأحمر مطلقاً ظاهراً فوق الثياب ، لكونه
ليس من لباس أهل المروءة في زماننا ، فإن مراعاة زي الزمان من المروءة ما لم
يكن إثمًا ، وفي مخالفة الزي ضرب من الشهرة ، وبالله التوفيق .

الحديث السابع

٥٢ - ثنا هشيم ، عن حميد ، عن أنس : أن النبي
صلى الله عليه وسلم ، كان يطوف على جميع نسائه في ليلة
بغسل واحد .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك
رضي الله عنه (أن النبي ﷺ كان يطوف على جميع نسائه) كفى بالطواف عن
الجماع على عادته بالتكنية عن الأمور المستفظة . ولفظ مسلم : « كان يطوف على
نسائه بغسل واحد » . وقال البخاري عن قتادة ، عن أنس : « كان النبي ﷺ
يدور على نسائه في الساعه الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة » ، قال
قتادة : قلت لأنس أو كان يطيقه ؟ قال : كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين (في
ليلة) وفي لفظ للبخاري : « كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة ، وله يومئذ
تسع نسوة (بغسل واحد) لم يذكر في صحيح مسلم عدد النسوة ، ولا ذكر
البخاري الغسل . وذكر البخاري في « الترجمة » : في غسل واحد ، إشارة إلى
ما ذكرناه في هذا الحديث ، وإن لم يكن منصوباً فيما أخرجه البخاري . كما

جرت به عادته ، ولما كان من لازم جماعهن في الساعة الواحدة ، أو الليلة الواحدة ، عود الجماع بلا غسل ، صلح أن يقول : في غسل واحد ، والمراد بالساعة الواحدة ، قدر من الزمان ، لا ما اصطلاح عليه أهل الهيئة . وقال الامام ابن القيم في كتابه : « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » : ربما كان صلى الله عليه وسلم يطوف عليهن بغسل واحد ، وربما كان يغتسل عند كل واحدة منهن .

وقوله : في عدد نسائه صلى الله عليه وسلم وهن إحدى عشرة ، وفي الرواية الاخرى : تسع نسوة . وجمع ابن حبان في « صحيحه » بين الروايتين : بأن حمل ذلك على حالتين ، لكنه وهم في قوله : ان الأولى كانت في أول قدومه المدينة ، حيث كان تحته تسع نسوة ، والحالة الثانية في آخر الامر ، حيث اجتمع عنده إحدى عشرة امرأة ، كما في « الفتح » . وموضع الوهم منه : أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يكن تحته امرأة سوى سودة ، ثم دخل على عائشة بالمدينة ، ثم تزوج ام سلمة ، وحفصة ، وزينب بنت خزيمة ، في الثالثة والرابعة ، ثم تزوج زينب بنت جحش في الخامسة ، وتقدم عن « منتخب » الحافظ ابن الجوزي ، انه صلى الله عليه وسلم تزوج بها بعد سنة ثلاث من الهجرة . وكذا قال البرماوي : انه تزوجها في الرابعة ، ثم جويرية في الخامسة ، ثم صفية وام حبيبة ، وميمونة - على ما في الملقمي وغيره - في السابعة^(١) ، وهو لأن جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة على المشهور . واختلف في ريحانة ، وكانت من سبي بني قريظة : فجزم ابن اسحق : بأنه عرض عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ، فاختارت البقاء في ملكه . والاكثر على انها ماتت قبله في سنة عشر ، وكذا ماتت زينب بنت خزيمة بعد دخولها عليه بقليل . قال ابن عبد البر : مكثت عنده شهرين أو ثلاثة ، فعلى هذا لم يجتمع عنده من الزوجات اكثر من تسع ، مع ان سودة كانت وهبت يومها لعائشة ،

(١) وعلى هامش الأصل : والذي يظهر أن تزويجه صلى الله عليه وسلم بأُم حبيبة كان قبل السابعة كما نعلم من السير .

فلهذا رجحت رواية التسع على الاحدى عشرة . لكن تحمل رواية الاحدى عشرة على ضم مارية وريحانة الى الزوجات ، وأطلق عليهن لفظ نسائه تغليبا . وقد ذكر الحافظ الدمياطي في « سيرته » : ان جميع من اطلع عليه من ازواجه عليه السلام ، ممن دخل بها ، أو عقد عليها فقط ، أو طلقها قبل الدخول ، أو خطبها ولم يعقد عليها ، فبلغت ثلاثين . وانكره الامام ابن القيم عليه . وقد جاء عن أنس رضي الله عنه : انه عليه السلام تزوج خمس عشرة ، دخل منهن باحدى عشرة ، ومات عن تسع : وهن سودة وعائشة وحفصة وام سلمة وزينب بنت جحش وام حبيبة وجويرة وصفية وميمونة ، فهؤلاء مات عليه السلام وهن في عصمته . وكان عليه السلام يقسم لثمان منهن ، وأما سودة رضي الله عنها فلم يكن يقسم لها ، فانها وهبت نوبتها لعائشة رضي الله عنها . تبتغي بذلك رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة .

وفي الحديث دليل على فضيلة الجماع وقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك ، وانه أعطي قوة ثلاثين رجلا . وفي رواية : أربعين بدل ثلاثين في الجماع . وفي « صفة الجنة » لأبي نعيم من طريق مجاهد : من رجال أهل الجنة . وروي من حديث عبد الله بن عمرو رفعه : « أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع » وأخرج الامام أحمد والنسائي وصححه الحاكم ، من حديث زيد بن أرقم رفعه : « إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة ، في الأكل والشرب والجماع والشهوة » . وفي « سنن الترمذي » من حديث قتادة عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع ، قيل : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يطبق ذلك ؟ قال : يعطى قوة مائة » هذا حديث صحيح . وبهذا يعلم أن قوة نبينا صلى الله عليه وسلم في الجماع ؛ تزيد على قوة سليمان بن داود عليها السلام ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم يكون قد أعطي قوة ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف رجل من أهل الدنيا في الجماع . وفي

« الصحيح » « أن سليمان عليه السلام طاف في ليلة واحدة على تسعين امرأة . قال القاضي عياض في « الشفاء » : لم تزل العرب والحكماء تتمدح بقلة الغداء من الأكل والشرب والنوم ؛ وتذم بكثرة ذلك ؛ لأن كثرة الأكل والشرب ؛ دليل على النهم والحرص والشرة . وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة ، جالب لادواء الجسد ، وخسارة النفس (١) وامتلاء الدماغ ، وقلته دليل على القناعة ، وملك النفس . وقع الشهوة . مسبب للصحة ، وصفاء الخاطر ، وحدة الذهن . كما أن كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف . ثم قال : وما اتفق على التمدح بكثرته ووفوره ؛ النكاح ؛ فإنه متفق عليه شرعاً وعادة ، فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية ، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة ، والتماذج به سيرة ماضية . وفي حديث أنس رضي الله عنه ، أنه ﷺ قال : « فضلت على الناس بأربع : بالسخاء والشجاعة ، وكثرة الجماع ، وقوة البطاش » قال في « الشفاء » : وإنما كانت العرب تتمدح بكثرة النكاح لدلالته على الرجولية ؛ وفيه دليل على كثرة النساء لمن قدر على العدل بينهما . وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : أفضل هذه الأمة أكثرها نساء . وفي لفظ : خير هذه الأمة أكثرها نساء . قال في « الفتح » : قيد بهذه الأمة ليخرج مثل سليمان عليه السلام ، فإنه كان أكثر نساء . وكذلك أبوه داود . ووقع عند الطبراني ، من طريق سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : « تزوجوا فإن خيركم ما كان أكثر نساء » قيل : المعنى خير أمة محمد من كان أكثر نساء من غيره ، ممن يتساوى معه فيما عدا ذلك من الفضائل ، والذي يظهر أن مراد ابن عباس بالخير ؛ النبي ﷺ ، وبالأمة أخصاء أصحابه ، وكأنه أشار إلى أن ترك التزويج مرجوح ؛ إذ لو كان راجحاً ما آثر النبي ﷺ عليه غيره ، وكان - مع كونه أخشى الناس لله ؛ واعلمهم به - يكثر التزويج لمصلحة

(١) في القاموس : خثرت نفسه : غثت واختلطت .

تبليغ الاحكام التي لا يطلع عليها الرجال . ولاظهار المعجزة البالغة في خرق العادة ،
لكونه كان لا يجد ما يشبع به من القوت غالباً ، وإن وجد فكان يؤثر بأكثره ،
ويصوم كثيراً ويواصل ، ومع ذلك فكان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة ،
ولا يطاق ذلك إلا مع قوة البدن ؛ وقوة البدن تابعة لما يقوم به من استعمال
المقويات ، من مأكول ومشروب ، وهي عنده نادرة أو معدومة .

وفيه دليل على أن القسم لم يكن واجباً عليه ﷺ . وهو قول طوائف
من العلماء ، منهم : الامام الحافظ ابن الجوزي من علمائنا ، والاصطخري من
الشافعية ، وفي « الاقناع » : ظاهر كلامهم أنه ﷺ في وجوب القسم والتسوية بين
الزوجات كغيره . وظاهر كلام ابن الجوزي : انه غير واجب . انتهى . والمشهور
عند علمائنا كالشافعية ، والأكثر الوجوب . والجواب عن الحديث ، بأن ذلك
كان باستطاعتهم ، أو كان الدوران في يوم القرعة للقسم ، قبل أن يقرع بينهما ،
أو كان من خصائصه ، وأن الله خصه بمجواز دورانهم عليهن في ساعة ، أو كان الدوران
بعد العصر . قال ابن العربي : إن الله خص نبيه بأشياء ، منها : انه أعطاه ساعة في كل
يوم ، لا يكون لازواجه فيها حق ، يدخل فيها على جميعهن فيفعل ما يريد ، ثم
يستقر عند من لها النوبة . وكانت تلك الساعة بعد العصر ، فان اشتغل عنها كانت
بعد المغرب . وفي حديث عائشة في « الصحيح » : « كان رسول الله ﷺ اذا
انصرف من العصر دخل على نسائه ، فيدنو من إحداهن ، فدخل على حفصة
فاحتبس أكثر ما كان يحتبس » الحديث . وفيه : انه ﷺ خص بالزيادة على
نكاح الأربعة . قال علماءنا كغيرهم : وأبيح له ﷺ أن يتزوج بأي عدد شاء .
وفي « الرعاية » : كان له أن يتزوج بأي عدد شاء ، الى أن نزل قوله تعالى :
« لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج » ^(١) انتهى . قال في
« الاقناع » ثم نسخ يعني عدم الحل والتبدل ؛ لتكون المنة لرسول الله ﷺ

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٥٢ . وقد وردت في الاصل : لا تحل . وهي قراءة
أبو عمرو ويعقوب .

بترك الزوج عليهن . فقال تعالى : «إنا أحللتنا لك أزواجك السَّلاتي آتيت أجورهن ، (١) الآية . لكن الواقع انه ﷺ لم يتجدد له تزوج امرأة بعد القصة المذكورة ، وهي قوله تعالى «لا يحل لك النساء من بعد» (٢) قال ابن عباس ومن وافقه : «ان ذلك وقع مجازاة لهن على اختيارهن إياه ، لكن روى الترمذي ، والنسائي ، عن عائشة رضي الله عنها : «ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء» وأخرج ابن أبي حاتم ؛ عن أم سلمة مثله . فهذا يدل على نسخ المتع . وبالله التوفيق .

الحديث الثامن

٥٣ - ثنا هشيم ؛ عن عبد العزيز ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا دخل الخلاء قال : اللهم إني أعوذ بك من الخُبثِ والخبائث .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم عن عبد العزيز) بن صهيب (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (ان رسول الله ﷺ كان) تفيد تكرار هذا القول منه ﷺ مع تكرار الفعل ، كما هو الغالب على دلالة كان . وقد تفيد مجرد وقوع مدخولها من غير تكرار ، وهو من غير الغالب (إذا دخل الخلاء) أي أراد أن يدخل المكان المعد لقضاء الحاجة . وفي «الأدب المفرد» للبخاري : عن أنس رضي الله عنه ، كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يدخل

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٥٠

(٢) سورة الاحزاب ، الآية : ٥٢

الخلاء ، والخلاء ممدود المكان الذي يتوضأ فيه ، سمي بذلك لكونه يتخلل ، أي ينفرد فيه . قاله الجوهري . وقال أبو عبيد : يقال لموضع الغائط : الخلاء ، والمذهب ، والمرفق ، والمرحاض . وفي رواية في « الصحيحين » أيضاً : « كان إذا دخل الكنيف ، وهو بمعنى الخلاء ، سمي بذلك ؛ لأنه يكنف من دخله ، أي يستتره . قال في « القاموس » الكنيف كأمير : المرحاض (قال : اللهم) تقدم ان الميم عوض عن ياء النداء ولهذا لا يجمع بينهما في اختيار الكلام (إني أعوذ) أي أتحرز وأتحصن .

قال الامام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » : أعلم ان لفظة عاذ وما تصرف منها ، تدل على التحرز والتحصن والاتجاء ، وحقيقة معناها الهروب من شيء تخافه الى من يعصمك منه ، ولهذا يسمى المستعاذ به معاذاً ، كما يسمى ملجأً ، وفي الحديث : « لما دخل النبي ﷺ على ابنة الجون ، فوضع يده عليها قالت : أعوذ بالله منك ، فقال : لقد عدت بمعاذ ، الحق بأهلك » فمعنى أعوذ : التجأ واعتصم وأتحرز . وفي أصله قولان : أحدهما مأخوذ من الستر ، لان العرب تقول للبيت الذي في أصل الشجرة ؛ قد استتر بها : « عوذ » بضم العين المهملة وتشديد الواو مفتوحة . فكأنه لما عاذ بالشجرة ، واستتر بأصلها وظلها ، سمي عوداً ، فكذا العائد قد استتر من عدوه بمن استعاذ به . الثاني : أنه مأخوذ من اللزوم والمجاورة ، لأن العرب تقول للحجم اذا لصق بالعظم فلم يتخلص منه : عوذ ، لأنه اعتصم به ، واستمسك بالمعاذ به ، واعتصم ولزمه (بك) يا الله لا بغيرك ، وأجرى عليه ضمير الخطاب لاستشماره قربه منه ^(١) ، وانه معه بعلمه وحفظه له جل شأنه (من الخبث) قال الحافظ عبد الغني المقدسي الجماعلي : في « عمدة الاحكام » بضم الخاء المعجمة ، والباء الموحدة فثلاثة ، جمع خبيث (والخبائث) جمع خبيثة . قال الخطابي : لا يجوز غيره ، وغلط من سكن الباء

(١) في الاصل : ومنه .

الموحدة ، وتعقب : بأنه يجوز الأسكان ؛ كما في نظائره مما جاء على هذا الوجه ، ككتب ورسل وسبل ، فعلى هذا يكون قد استعاذ من ذكران الشياطين وإناتهم ، وإنما كان ﷺ يستعيز مع العصمة والحفظ والعناية الحاصلة له من الباري جل وعلا اظهارة للعبودية ، ويجهر بذلك للتشريع والتعليم . وقد روى هذا الحديث المعمري من طريق عبد العزيز بن المختار ، عن عبد العزيز بن سهيب بلفظ الامر ، قال : « اذا دخلتم الخلاء فقولوا : بسم الله ، أعوذ بالله من الخبث والخبائث » واسناده على شرط مسلم ، وفيه زيادة التسمية . قال الحافظ ابن حنبل : ولم أرها في غير هذه الرواية . انتهى . قلت : لعله أراد : لم يرها في الحديث المذكور ، وهو حديث أنس بن مالك ، والا فقد روى ابن ماجة والترمذي ، من حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ستر ما بين الجن وعورات بني آدم « اذا دخل أحدكم الخلاء أن يقول : بسم الله » وروى سعيد بن منصور حديث أنس ، فذكر « بسم الله ، أعوذ بالله من الخبث والخبائث » قال الامام أحمد رضي الله عنه : ما دخلت المتوضأ ولم أقلها إلا أصابني ما أكره . وروى أبو داود وابن ماجة من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن هذه الحشوش محتضرة ، فاذا دخل أحدكم فليقل : اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث ، الحشوش جمع حش ، وهي في الأصل : البساتين ، كانوا يقضون الحاجة فيها ، ثم سمي به موضع قضاء الحاجة . والمحتضرة : التي تحضرها الشياطين ولذلك أمر بذكر الله والاستعاذة قبل دخولها ، ليكون ذلك حصناً ومعاداً منها .

ويستحب أن يقدم رجله اليسرى دخولا ، واليمنى خروجاً ، لأن اليمين لما شرف ، واليسرى لما خبت ، والخروج من محل الخبث يمن في الجملة ، عكس مسجد ومنزل ، وروى ابن ماجة من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً :

« لا يعجز أحدكم إذا دخل مرفقه أن يقول : اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس ، ، الخبث الخبث ، الشيطان الرجيم » قال في « المطلع » : الرجس : القذر ، والنجس اسم فاعل من نجس بنجس فهو نجس ، كفرح يفرح فهو فرح . وقال الفراء : إذا قالوه مع الرجس أتبعوه إياه فقالوا : رجس نجس بكسر النون وسكون الجيم ، وهو من عطف الخاص على العام ، فإن الرجس النجس : الشيطان الرجيم ، قد دخل في الخبث والخبائث ، لأن المراد بهم الشياطين .

تنبيهات

الأول : حديث أنس هذا رواه الجماعة .

الثاني : ضبط لفظ الخبث والخبائث الذي ذكرناه عن الحافظ عبد الغني في « عمدته » وصوبه الخطابي ، صرح جماعة من الأئمة وأهل المعرفة : بأن الباء في الخبث ساكنة ، منهم أبو عبيد ، إلا أنه يقال : إن ترك التخفيف أولاً خطأ يشتبه بالمصدر . قال في « الفتح » : وقع في نسخة ابن عساكر ، يعني من « صحيح البخاري » قال أبو عبد الله ، يعني البخاري : ويقال : الخبث باسكان الموحدة ، فإن كانت مخففة من الحركة ؛ فقد تقدم توجيهه ، يعني أنه جمع خبيث لذكران الشياطين ، وإن كان بمعنى المفرد فمعناه كما قال ابن الأعرابي : المكروه ؛ قال : فإن كان من الكلام فهو الشتم ؛ وإن كان من الملل فهو الكفر ؛ وإن كان من الشراب فهو الضار ؛ وعلى هذا فالمراد بالخبائث : المعاصي ، أو مطلق الافعال المذمومة ؛ ليحصل التناسب . قال : ولهذا وقع في رواية الترمذي وغيره : « أعوذ بالله من الخبث والخبيث ، أو الخبث والخبائث » هكذا على الشك الأول بالاسكان مع الافراد ، والثاني بالتحريك مع الجمع ، أي من الشيء المكروه ، ومن الشيء المذموم ، أو ذكران الشياطين وإناءهم . انتهى . وقال في « المطلع » : الخبث باسكان الباء ،

قال أبو عبيد : هو الشر ، وقال ابن الأنباري : هو الكفر ، والخبائث : الشياطين .
وقال الداودي : الخبث الشيطان ، والخبائث المعاصي ، قال : وقيل : الخبائث إناث
الجن ، والخبث بضم الباء ذكورهم جمع خبيث . وقيل : استعاذ من الخبث نفسه
الذي هو الكفر ، ومن الخبائث التي هي الاخلاق الخبيثة .

الثالث : يسن المتخلى اذا خرج أن يخرج برجله اليمنى ويقول : غفرانك ،
الحمد لله الذي أذهب عني الازى وعافاني ؛ لما روت عائشة رضي الله عنها قالت :
كان رسول الله ﷺ اذا خرج من الخلاء قال : غفرانك ، رواه الامام أحمد ،
وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه . قال الترمذي : انه حديث حسن غريب .
وروى ابن ماجه ، من حديث أنس رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ
اذا خرج من الخلاء قال : الحمد لله الذي أذهب عني الازى وعافاني ، وذكره
الامام أحمد .

وكان نوح عليه السلام يقول : الحمد لله الذي أذاقني لذته ، وأبقى في منفعته ،
وأذهب عني آذاه .

الرابع : المراد بالخلاء : محل قضاء الحاجة ، حتى لو بال أو تنوط في
نحو إناء ، لكن إن كان قضاء الحاجة في الأمكنة المعدة لذلك قال الذكر
المشروع عند إرادة دخولها ، وإلا فيقوله عند الشروع في ذلك ، كرفع ثيابه .
وبالله التوفيق .

الحديث التاسع

٥٤ - ثنا هشيم قال : أنا عبيد الله بن أبي بكر ، بن

أنس ، عن جده أنس بن مالك ، قال : قال : رسول الله ﷺ :
إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم قال : أنا عبيد الله بن أبي بكر ، بن أنس)
بن مالك الأنصاري النجاري ، ثقة ثبت من رجال « الصحيحين » (عن جده
أنس بن مالك) وفي « البخاري » حدثنا أنس بن مالك يعني جده رضي الله عنه
(قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا سلم عليكم) معشر المسلمين
(أهل الكتاب) من اليهود والنصارى (فقولوا) في الرد عليهم (وعليكم)
كذا رواه عبيد الله عن جده مختصراً ، ورواه قتادة عن أنس أتم منه ، أخرجه
مسلم ، وأبو داود والنسائي من طريق شعبة عنه بلفظ : « ان أصحاب النبي ﷺ
قالوا : إن أهل الكتاب يسلمون علينا ، فكيف نرد عليهم ؟ قال : قولوا : وعليكم »
وتقدم هذا الحديث والكلام عليه في الرابع من مسند ابن عمر رضي الله عنهما ،
لكن بلفظ : « إذا سلم عليكم اليهودي فأنما يقول : السام عليك » ... الحديث .

الحديث العاشر

٥٥ - ثنا هشيم قال : قال عبيد الله بن أبي بكر ،
أخبرنا أنس ويونس ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله ﷺ :
« أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . قيل : يا رسول الله !
هذا نصرته مظلوماً ، فكيف أنصره ظالماً ؟ ! قال : تحجزه ،
تمنعه ، فان ذلك نصره . »

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم قال : قال عبيد الله بن أبي بكر) بن أنس
ابن مالك رضي الله عنه (أخبرنا أنس) بن مالك يعني جده رضي الله عنه ، قال
هشيم (و) قال (يونس) هو : ابن عبيد بن دينار البصري ، أحد الأعلام
قال في « الوافي بالوفيات » : رأى أنس بن مالك ، وروى عن إبراهيم التيمي ،
والحسن البصري ، وابن سيرين ، وحמיד بن هلال ، وزباد بن جبير ، وعمرو
بن سعيد الثقفي ، وثابت البناني ، ونافع ، وعدة . هو ثقة حافظ ثبت ، ورع رأس
في العلم والعمل ، له مناقب كثيرة . توفي سنة تسع وثلاثين ومائة . روى له
الجماعة ، وروى عنه الثوري وشعبة والجمادان والسفيانان وهشيم وغيرهم . وقد
قال أبو حاتم في يونس : هو أكبر من سليمان التيمي ، ولا يبلغ التيمي منزلة
يونس ، وقال سعيد بن عامر : ما رأيت رجلاً قط أفضل من يونس بن عبيد
رحمه الله تعالى (عن) أبي سعيد (الحسن) بن أبي الحسن ، واسم أبي الحسن
يسار البصري ، من بني ميسان ، مولى زيد بن ثابت . ولد لستين بقينا من
خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المدينة ، وقدم البصرة بعد مقتل عثمان
ابن عفان رضي الله عنه ، ورأى عثمان ، وقيل : إنه لقي علياً بالمدينة ، وأما
بالبصرة فلم تصح رؤياه له ؛ لأنه كان في وادي القرى ، متوجهاً نحو البصرة
حين قدم علي رضي الله عنه البصرة . ويقال : إن الحسن لقي طلحة ، وعائشة ،
ولم يصح له منها سماع . وروى عن غيرهما من الصحابة مثل أبي بكر الثقفي ،
وأنس بن مالك ، وسمرة بن جندب ، وابن عمر ، وقيس بن عاصم ، وجندب
ابن عبد الله ، ومقل بن يسار ، وعمرو بن تغلب ، بالثناة والفين المعجمة
وكسر اللام . وعبد الرحمن بن سمرة ، وأبي برزة الأسلمي ، وعمران بن
الحصين ، وعبد الله بن مغفل وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم . قال الفضيل
بن عياض : سألت هشام بن حسان ، كم أدرك الحسن من الصحابة ؟ قال :

مائة وثلاثين . وعن الحسن قال : غزونا غزوة الى خراسان معنا فيها ثلاث مائة من أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد روى الحسن عن أمه أم سلمة رضي الله عنها ، في غسل بول الغلام ، في كتاب الطهارة من « سنن أبي داود » وقد حضر يوم الدار ، وعمره أربع عشرة سنة . وتقدم أن أباه يسار : بفتح المثناة تحت ، وبعدها سين مهملة ، من سبي ميسان : بفتح الميم ، وسكون التحتية . وبالسين المهملة ؛ قال السمعاني : هي بليدة بأسفل البصرة . وكان المغيرة بن شعبه رضي الله عنه افتتحها ، قال بن سعد : خيرة^(١) فدفع الى المدينة ، فاشترته الربيع . بالتصغير . بنت النضر ، بالضاد المعجمة ، عممة أنس بن مالك فأعتقته ، ويروى عن الحسن أنه قال : كان أبواي لرجل من بني النجار ، فتزوج امرأة من بني سلمة ، فساقتها إليها من مهرها فأعتقتها . كذا قال . لكن المشهور أن أمه واسمها خيرة ، بالخاء المعجمة المفتوحة ، وبعدها مثناة من تحت ساكنة ، كانت مولاة لأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، زوج النبي ﷺ ، قالوا : فربما خرجت أمه في شغل فيبيكي ، فتمطيه أم سلمة تديها فيدر عليه ، فيرون أن تلك الفصاحة والحكم من بركة ذلك . قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصري ، ومن الحجاج بن يوسف الثقفي . ف قيل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال : الحسن . ونشأ بوادي القرى ، وكان أجمل أهل البصرة . وحكى الأصمعي ، عن أبيه قال : ما رأيت أعرض زنداً من الحسن ، كان عرض زنده شبراً .

تنبيه : أكثر العلماء والحفاظ من أئمة هذا الشأن ، أنكر سماع الحسن البصري من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وتمسك به من الأئمة المتأخرين والحفاظ المعتبرين جماعة ، منهم شيخ الاسلام ابن تيمية ، وأئنته جماعة من الحفاظ أيضاً ، منهم الامام الحافظ ضياء الدين المقدسي الحنبلي في « المختارة » . فانه قال : الحسن روى عن علي رضي الله عنه . وقيل : لم يسمع

(١) أي : أمه خيرة .

منه . وثبته على هذه العبارة : الحافظ بن حجر في « أطراف المختارة » . وقد علمت أن الحسن ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه باتفاق ، وكانت أمه خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنها ، فكانت تخرجه الى الصحابة يباركون عليه ، وأخرجته الى عمر رضي الله عنه ، فدعاه بقوله : اللهم فقهه في الدين ، وحبيه الى الناس . ذكره الحافظ جمال الدين المزي في « التهذيب » ، وأخرجه العسكري في « كتاب المواعظ » بسنده ، وتقدم أنه حضر يوم الدار وله أربع عشرة سنة ، كما ذكره المزي وغيره . ومن المعلوم أنه من حين بلغ سبع سنين أمر بالصلاة ، فكان يحضر الجمعة والجماعة ، فكيف يستنكر سماع الحسن من علي ؟! مع اجتماعه بالصحابة كل يوم في المسجد خمس مرات من حين ميّز الى أن بلغ أربع عشرة سنة ؛ مع أن أمير المؤمنين كان يزور أمهات المؤمنين ، ومنهن أم سلمة رضي الله عنها ، والحسن في بيتها هو وأمه . وأيضاً فقد ورد عن الحسن البصري ما يدل على سماعه من علي رضي الله عنه ، فقد أورد المزي في « التهذيب » من طريق أبي نعيم ، عن يونس بن عبيد قال : سألت الحسن ، قلت : يا أبا سعيد : إنك تقول : قال رسول الله ﷺ وإنك لم تدريه ؟ قال : يا ابن أخي لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك ، ولولا منزلتك مني ما أخبرتك ، إني في زمان كما ترى ، وكنت في عمل الحجاج ، كل شيء سمعته أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو عن علي بن أبي طالب ، غير أنني في زمان لا أستطيع أن اذكر عليّاً .

وقد روى الامام أحمد في « المسند » : ثنا هشيم ، ثنا يوسف ، عن الحسن ، عن علي رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : رفع القلم عن ثلاثة : عن الصغير حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المصاب حتى يكشف عنه » . وأخرجه الترمذي وحسنه ، والنسائي والحاكم ، وصححه الضياء

المقدسي في « المختارة » : قال الحافظ زين الدين العراقي في « شرح الترمذي » :
قال علي بن المديني : الحسن رأى علياً بالمدينة وهو غلام . وقال أبو زرعة : كان
الحسن يوم بويج لعلي ابن أربع عشرة سنة ، ورأى علياً بالمدينة ، ثم خرج الى
الكوفة والبصرة ، ولم يلقه الحسن بعد ذلك . وقال الحسن : رأيت الزبير يبايع
علياً . انتهى كلام العراقي .

وقد روى الدارقطني عدة أحاديث عن الحسن عن علي ، وكذلك النسائي
روى عن الحسن عن علي ، وروى الطحاوي من أحاديث الحسن عن علي قال :
« ليس في مس الذكر وضوء » ، وقد روى جماعة من المصنفين عدة أحاديث عن
الحسن عن علي رضوان الله عليه ، قال الحافظ ابن حجر في « تهذيب التهذيب » :
قال يحيى بن معين : لم يسمع الحسن من علي بن أبي طالب . قيل : ألم يسمع من
عثمان ؟ قال : يقولون عنه : رأيت عثمان قام خطيباً . وقال غير واحد : لم يسمع من
علي . وقد روى عنه غير حديث ، وكان علي لما خرج بعد قتل عثمان ، كان
الحسن بالمدينة ، ثم قدم البصرة فسكنها الى أن مات .

قال الحافظ ابن حجر : ووقع في « مسند » أبي يعلى الموصلي قال : حدثنا
جوهر بن اسير قال : أخبرنا عقبة بن أبي الصهباء الباهلي قال : سمعت الحسن
يقول : سمعت علياً قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل أمي مثل المطر » ... الحديث .
قال محمد بن الحسن بن الصيرفي : هذا نص صريح في سماع الحسن من علي
رضي الله عنه ، ورجاله ثقة ، جوهرية وثقه ابن حبان ، وعقبة وثقه الامام أحمد
وابن معين .

وجلالة الحسن البصري وإمامته ، وزهده وورعه مالا يخفى ، ومناقبه
ومآثره لا تحصى . قال ابن خلكان كغيره : كان الحسن من سادات التابعين
وكبرائهم وجمع كل فن ، من علم وزهد ، وورع وعبادة . قال أبو بردة : أدركت

الصحابه فما رأيت أحداً أشبه بهم من الحسن . وقال خالد بن رباح الهذلي :
سئل أنس ابن مالك رضي الله عنه عن مسألة فقال : سلوا مولانا الحسن ، فقيل له في
ذلك ، فقال : انه قد سمع وسمعنا ، فحفظ الحفظ ونسينا . وقال سليمان التيمي :
الحسن شيخ أهل البصرة . وقال ابراهيم بن عيسى : مارأيت أطول حزناً من
الحسن ، ومارأيت قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة . وقال غيره : لو رأيت
الحسن لقلت : قد بث عليه حزن الخلائق . وقال يزيد بن حوشب : مارأيت
أخوف من الحسن ، وعمر ابن عبد العزيز ، كأن النار لم تخلق إلا لهما . وقال
ابن أسباط : مكث الحسن ثلاثين سنة لم يضحك ، وأربعين سنة لم يمزح .
ومن كلامه : نضحك ولعل الله قد اطلع على بمض أعمالنا ! فقال : لا أقبل
منكم شيئاً . وقال : ماسمع الخلائق بيوم قط أكثر عورة بادية ، وعيناً باكية ،
من يوم القيامة ، المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته ، لا يأمّن شيئاً حتى
يلبغ الله .

ومن كلامه : يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحها جميعاً ، ولا تبع آخرتك
بدنياك فتخسرهما جميعاً . وقال : حادثوا هذه القلوب فانها سريعة الدور ،
واقعدوا^(١) هذه النفوس فانها طلمة ، ان هذا الحق جهد الناس ، وحال بينهم وبين
شهواتهم ، وانما صبر على الحق من عرف فضله ، ورجا عاقبته .

وماثر الحسن البصري كثيرة جداً ، رحمه الله ورضي عنه . توفي بالبصرة
مستهل رجب سنة عشر ومائة ، وكانت جنازته مشهودة . قال حميد الطويل :
توفي الحسن عشية الخميس ، وأصبحنا يوم الجمعة ففرغنا من أمره ، وحملناه بعد
صلاة الجمعة ودفناه ، فتبع الناس كلهم جنازته ، واشتغلوا به فلم تقم صلاة العصر
بالجامع ، قال : ولا أعلم أنها تركت مذ كان الاسلام إلا يومئذ ، لأنه لم يبق في

(١) وعلى هامش الاصل : قوله : واقعدوا ، قدعه كمنعه كفه ، وقدع فرسه : كبجه .

المسجد من يصلي العصر . وكان أعمي على الحسن قبيل موته ثم آفاق فقال : لقد نهتموني من جنات و عيون ومقام كريم . وقال رجل قبل موت الحسن لابن سيرين : رأيت كأن طائراً أخذ أحسن حصاة بالمسجد ؟ فقال : إن صدقت رؤياك مات الحسن . فلم يكن إلا قليلا حتى مات الحسن ، ولم يحضر ابن سيرين جنازته لشيء كان بينها . ثم توفي ابن سيرين بعده بمائة يوم . والله أعلم .

(قالوا) يعني أنس بن مالك رضي الله عنه ، والحسن البصري رحمه الله : فارسله الحسن ، لكنه متصل الاسناد مرفوع ، من حديث أنس رضي الله عنه ، ورواه البخاري في « صحيحه » : ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا هشيم ، أخبرنا عبيد الله بن أبي بكر بن أنس ، وحميد الطويل سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : (قال رسول الله ﷺ : انصر أخاك) وأخرجه أبو نعيم في « المستخرج » من الوجه الذي أخرجه البخاري ، من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعا بلفظ : « أنصر أخاك » ، أي في الدين ، والنصرة الاعانة ، يقال : نصره ينصره نصراً ، اذا أعانه على عدوه ، وشد منته حال كونه الأخ المحتاج الى النصرة (ظالماً) بأن تمنحه من الظلم ، من تسمية الشيء بما يؤول اليه (أو مظلوماً) بأن تعينه على ظلمه ، وتخلصه منه (قيل) وفي « البخاري » : قالوا . وفي لفظ عند البخاري : فقال رجل . وبعضهم فسره بأنس (يارسول الله هذا) إشارة الى ما في الذهن من الرجل الذي أمر ﷺ بنصرته (نصرته) في حال كونه (مظلوماً) بالاعانة والخلاص من ظلمه (فكيف أنصره) حال كونه (ظالماً ؟) يارسول الله (قال) ﷺ (تحجزه) بفتح التاء المثناة من فوق ، من حجزه يحجزه حجزاً وحجزة : أي منعه وكفه ، فالحجز أي (تمنعه) من ظلمه ، وتحول بينه وبينه ، ولفظ البخاري : « تأخذ فوق يديه » . قال شراحه : أي تمنعه من الظلم ، قالوا : ولفظة فوق مقحمة ، أو ذكرت إشارة الى الاخذ بالاستعلاء والقوة . وفي رواية

الاسماعيلي من حديث حميد عن أنس رضي الله عنه قال : « تكفه عن الظلم فذاك نصره إياه » ورواه الترمذي أيضاً . وفي بعض ألفاظه عند البخاري والترمذي فقال : « فقال رجل يارسول الله انصره اذا كان مظلوماً ، أفرأيت ان كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال : تحجزه أو تمنعه عن الظلم (فان ذلك نصره) . ورواه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً ، إن كان ظالماً فليمنه ؛ فانه له نصرة ، وإن كان مظلوماً فلينصره » . وقال ابن بطال : النصر عند العرب الاعانة . وتفسيره لنصر الظالم بمنعه من الظلم ، من تسمية الشيء بما يؤول اليه ، وهو من وجيز البلاغة . وقال البيهقي : معناه ان الظالم مظلوم في نفسه ، فيدخل فيه ردع المؤمن عن ظلمه لنفسه حساً ومعنى ، فلو رأى إنساناً يريد أن يجب نفسه ، لظنه ان ذلك يزيل مفسدة ظلمه لازماً مثلاً ؛ منعه من ذلك ؛ وكان ذلك نصراً له ، واتحد في هذه الصورة الظالم والمظلوم .

تنبيهات

الأول : أصل الظلم الجور ، ومجاوزة الحد ، ومعناه الشرعي : وضع الشيء في غير موضعه الشرعي . وقيل : التصرف في ملك الغير بغير إذنه . وقد نقل هذا عن أبياس بن معاوية ، والظلم نوعان :

أحدهما : ظلم النفس ، وأعظمه الشرك كما قال تعالى : « إن الشرك لظلم عظيم » (١) فان المشرك جعل المخلوق بمنزلة الخالق ، فعبدته وتألّهه ، فوضع الاشياء في غير موضعها ، واكثر ما ذكر في القرآن من وعيد الظالمين ؛ إنما أريد به المشركون ،

(١) سورة لقمان ، الآية : ١٣

كما قال تعالى : « والكافرون هم الظالمون » (١) . ثم يليه المعاصي على اختلاف
أجناسها من كبائر الذنوب وصغائرهما .

الثاني : ظلم العبد لغيره ، وفي الحديث القدسي الذي رواه أبو ذر عن
النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل انه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم على
نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » ، رواه الامام أحمد ، ومسلم ، والترمذي ،
وابن ماجه . وقد قال ﷺ في خطبته في حجة الوداع : « إن دماءكم وأموالكم
وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا » .
وفي رواية : ثم قال : « اسمعوا متى تعيشوا ، ألا لا تظالموا ، ألا لا تظالموا ، ألا لا تظالموا ،
إنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه » . وفي « الصحيحين » ، من حديث ابن
عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « الظلم ظلمات يوم القيامة » ورواه
الامام أحمد ، والطبراني في « الكبير » والبيهقي في « شعب الإيمان » بلفظ : « اتقوا
الظلم » . وفي لفظ : « يا أيها الناس اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » .
ورواه الامام أحمد أيضاً ، والبخاري في « الأدب المفرد » ومسلم في « صحيحه » ،
من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً ، وفي « الصحيحين » عن أبي
موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ انه قال : « ان الله ليملي للظالم
حتى إذا أخذه لم يفلته » ، ثم قرأ : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي
ظالمة » (٢) .

الثاني : الظالم : هو المعتدي ، والمظلوم : المعتدى عليه . وعلى الظالم أن
يتزع عن ظلمه ، ويدفع المظلوم ظلامته ان كانت مالية ، لا مكان المعاضة عنها ، أو

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٤

(٢) سورة هود ، الآية : ١٠٢

يتحلله من تلك الظلامة . وفي « صحيح البخاري » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ انه قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحللها منها ، فانه ليس ثم دينار ولا درهم ، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته ، فان لم تكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرح عليه » . قال في « الآداب الكبرى » . اذا اغتاب إنساناً ؛ إن علم به المظلوم استحله ؛ وإلا دعا له واستغفر ولم يعلمه . وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية : انه قول الاكثرين . قال في « الآداب » : ذكر غير واحد : ان تاب من قذف انسان أو غيبته قبل علمه به ، هل يشترط لتوبته إعلامه والتحلل منه ؟ على روايتين . واختار القاضي أبو يعلى : أنه لا يلزمه ، لما روى الخلال بإسناده ، عن أنس مرفوعاً : « كفارة من اغتاب ، أن يستغفر له » ولأن في إعلامه ادخال غم عليه . قال القاضي : فلم يحز ذلك ، وكذا قال الشيخ عبد القادر قدس الله سره : إن كفارة الاغتياب ما روى أنس... الحديث . وخبر أنس المذكور ، ذكره ابن الجوزي في « الموضوعات » مع أنه ذكره في « الحقائق » وقال : إنه لا يذكر فيها إلا الحديث الصحيح . وقال ابن عبد البر في كتاب « بهجة المجالس » : قال حذيفة رضي الله عنه : « كفارة من اغتبه ان تستغفر له » وقال عبد الله بن المبارك لسفيان ابن عيينة : التوبة من الغيبة أن تستغفر لمن اغتبه ، فقال سفيان ابن عيينة : بل تستغفره مما قلت فيه ، فقال ابن المبارك : لا تؤذه مرتين . ومثل قول ابن المبارك ، اختار شيخ الاسلام ابن تيمية ، وابن الصلاح من الشافعية في فتاويه ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية بعد أن ذكر الروايتين في المسألة المذكورة ، قال : كل مظلمة في العرض ، من اغتياب صادق ، وبهت كاذب ، فهو في معنى القذف ، اذ القذف قد يكون صادقاً فيه ، فيكون في المغيب غيبة ، وقد يكون كاذباً فيكون بهتاً ، قال : واختار أصحابنا انه لا يعلمه ، بل يدعو له دعاء يكون إحساناً اليه في مقابلة مظلمته . قال في « الآداب » : وهذا أحسن من

إعلامه ، فإن في إعلامه زيادة إيذاء له . فإن تضرر الانسان بما علمه من شتمه أبلغ من تضرره بما لا يعلم ، ثم قد يكون ذلك سبب العدوان على الظالم أولاً ، إذ النفوس لا تقف غالباً عند الانصاف والعدل ، فيضر هذا ، ففي إعلامه هذان الفسادان ، مع زوال ما بينهما من كمال الألفة والمحبة ، أو تجدد القطيعة والبغضة ، مع أن الله أمر بالجماعة ، ونهى عن الفرقة ، وليس في إعلامه فائدة إلا تمكينه من استيفاء حقه ، كما لو علم فإن له أن يعاقب ، إما بالمثل إن أمكن ، أو بالتعزير ، أو بالحد ، وإذا كان في الإيفاء من الجنس مفسدة ، عدل الى غير الجنس كما في « القذف » وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : سئلت عن نظير هذه المسألة ، وهو أن رجلاً تعرض لامرأة غيره ؛ فزنى بها ، ثم تاب من ذلك ، وسأله زوجها عن ذلك فأنكر ، فطلب استحلافه ، فإن حلف على نفي الفعل ؛ كانت يمينه غموساً ، وإن لم يحلف قويت التهمة ، وإن أقر جرى عليه وعليها من الشر أمر عظيم ، قال : فافتيته أنه يضم الى التوبة فيما بينه وبين الله تعالى الاحسان الى الزوج بالدعاء والاستغفار ، أو الصدقة عنه ، ونحو ذلك مما يكون بازاء إيذاؤه في أهله ، فإن بازائها تعلق حق الله ، وحق زوجها من جنس حقه في عرضه ، وليس هو مما يجبر بالمثل كالدماء والاموال ، بل هو من جنس القذف الذي جزاؤه من غير جنسه ، فتكون توبة هذا ، كتوبة القاذف ، وتعريضه كتعريضه ، وحلفه على التعريض كحلفه ، وأما لو ظلمه في دم أو مال ؛ فإنه لا بد من إيفاء الحق ؛ فإن له بدلاً . وقد نص الامام أحمد رضي الله عنه على الفرق بين توبة القاتل ، وتوبة القاذف . قال : وهذا الباب ونحوه ، فيه خلاص عظيم ، وتفريج كربات النفوس ، من آثار المعاصي والمظالم ، فإن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله عز وجل ، ولا يجرحهم على معاصي الله تعالى ، وجميع النفوس تذنّب ، فتعريضها بما يخلصها من الذنوب

بالتوبة ، والحسنات الماحيات ، كالكفارات والعقوبات ؛ من أعظم فوائد الشريعة .
وبالله التوفيق .

الثالث : نصر المظلوم فرض كفاية ، وتتمين فرضيته على السلطان ، وقد دل الحديث على أن المؤمن مأمور أن ينصر أخاه ، والمسلم أخو المسلم في الدين ، وكل شيئين بينهما اتفاق يطلق عليها اسم الاخوة ، ويتناول قوله ﷺ : - أنصر أخاك - كل مسلم من ذكر وأنثى وحر وعبد وبائع ومميز .

وأخرج أبو داود من حديث أبي طلحة الانصاري ، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم ، عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من إمريء مسلم يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمة ، وينتقص فيه من عرضه ، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من إمريء ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمة ، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته » .

وأخرج الامام احمد من حديث أبي أمامة بن سهل عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره ؛ أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة » .

وأخرج البزار من حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : « من نصر أخاه بالغيب وهو يستطيع نصره ؛ نصره الله في الدنيا والآخرة » .
ومن ذلك كذب المسلم لأخيه ، فلا يحل له أن يحدّثه فيكذبه ، بل لا يحدّثه إلا صدقاً .

وروى أبو الشيخ في « كتاب التوبخ » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « أمر بعبد من عباد الله يضرب في قبره مائة جلدة ، فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة ، فأمتلأ قبره عليه ناراً ، فلما ارتفع عنه وأفاق ؛ قال علام جلدتموني ؟ قالوا : إنك صليت صلاة بغير طهور ، ومررت

على مظلوم فلم تنصره . وروى أبو الشيخ أيضاً من حديث ابن عباس رضي الله عنها مرفوعاً ، قال الله تبارك وتعالى : « وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله ، ولأنتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم يفعل » .

الرابع : جاء في عدة أحاديث إجابة دعوة المظلوم ؛ ففي « الصحيحين » وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً الى اليمن ، فقال : « اتق دعوة المظلوم ؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » .

وأخرج الامام أحمد ، والترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحهما » وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا ترد دعوتهم ، الصائم حتى يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : « وعزتي لأنصرك ولو بعد حين » .

وروى الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنها ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا دعوة المظلوم ؛ فإنها تصعد الى السماء كأنها شرارة » قال الحاكم : رواه متفق عليهم ، إلا عاصم بن كليب ، فاحتج به مسلم وحده .

وروى الامام أحمد باسناد حسن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « دعوة المظلوم مستجابة ، وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه » . وروى الامام أحمد أيضاً عن أبي عبد الله الأسدي قال : سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : « دعوة المظلوم ولو كافراً ليس دونها حجاب » .

وروي الطبراني في « الصغير » و « الأوسط » عن أمير المؤمنين علي بن

أبي طالب رضوان الله عليه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله : اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرًا غيري » والله تعالى الموفق .

الحديث الحادي عشر

٥٦ - ثنا هشيم ، قال : أنا عبد العزيز ، وإسماعيل ، عن

عبد العزيز ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : تسحّروا فان في السحور بركة .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم) بن بشير الواسطي (قال أنا عبد العزيز) بن صهيب (و) قال الامام أحمد : حدثنا (إسماعيل) هو ابن عليّة ، وقد تقدمت ترجمته في الحديث الأول من « مسند أنس رضي الله عنه » (عن عبد العزيز) المذكور (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه قال : (قال رسول الله ﷺ : تسحّروا فان في السحور بركة) ورواه الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه ، كلهم من حديث أنس . ورواه النسائي أيضاً من حديث أبي هريرة ، وحديث بن مسعود رضي الله عنها ، ورواه الامام أحمد أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

قال ابن الاثير في « نهايته » السحور بالفتح : اسم لما يتسحر به من الطعام والشراب ، وبالضم : المصدر ، أي الفعل نفسه ، وأكثر ما يروى بالفتح ، وقيل : إن الصواب بالضم ، لانه بالفتح الطعام المأكول في السحر . والبركة والاجر والثواب في الفعل لا في الطعام . انتهى .

وفي « المطلع » و « المطالع » : السحور بالفتح : اسم ما يؤكل في السحر ،

وبالضم : اسم الفعل ، وأجاز بعضهم أن يكون اسم الفعل بالوجهين ، والأول أشهر . انتهى .

قال الحافظ بن حجر : هو بفتح السين وبضمها ، لأن المراد بالبركة : الأجر والثواب ، فيناسب الضم ، لأنه مصدر بمعنى التسحر ، أو البركة لكونه يقوي على الصوم ، وينشط له ويخفف المشقة فيه ، فيناسب بالفتح ، لأنه ما يتسحر به ، وقيل : البركة ما يتضمن من الاستيقاظ والدعاء في السحر .

والأولى أن البركة في السحور تحصل بجهات متعددة ، وهي اتباع السنة ، ومخالفة أهل الكتاب ، والتقوي به على العبادة ، والزيادة في النشاط ، والتسبب بالصدقة على من يسأل إذ ذاك ، أو يجتمع معه على الأكل ، والتسبب المذكور والدعاء ، وفيه فطنة الإجابة وتدارك نية الصوم لمن أغفلها قبل أن ينام .

وقال ابن دقيق العيد : هذه البركة يجوز أن تعود إلى الأمور الأخروية ، فإن إقامة السنة توجب الأجر وزيادته ، ويحتمل أن تعود إلى الأمور الدنيوية ، كقوة البدن على الصوم ، وتيسره من غير إضرار بالصائم .

قال : وما يعلل به استحباب السحور ، المخالفة لأهل الكتاب ، لأنه ممتنع عندهم ، وهذه أحد الوجوه المقتضية للزيادة في الأجور الأخروية وقال أيضاً : وقع للمتصوفة في مسألة السحور كلام من جهة اعتبار حكمة الصوم ، وهو كسر شهوة البطن والفرج ، والسحور قد يباين ذلك .

قال : والصواب أن يقال : ما زاد في المقدار حتى يعدم هذه الحكمة بالكلية ، فليس بمستحب ، كالذي يضعه المترفون من التأنق في المأكل وكثرة الاستعداد لها ، وما عدا ذلك تختلف مراتبه .

(فروع) :

الاول : قال علماؤنا كالشافعية : يدخل وقت السحور بنصف الليل ،

وفيه نظر ، لأنه مضاف الى السحر ، وهو قبيل الصبح ، ومن ثم خصه بعضهم بالسدس الأخير ، والمراد : الأكل والشرب في ذلك الوقت ، لأن التسحر تفعل من السحر الذي هو قبيل الفجر ، فهو مصوغ من لفظه ، فانه من معاني تفعل كتنفدنى اذا أكل في الغدوة ، وتعشى اذا أكل عشية .

الثاني : تحصل فضيلة السحور بأكل أو شرب ؛ لحديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً : « ولو أن يجرع جرعة من ماء » وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، ضعيف ، رواه الامام أحمد وغيره .

وروى الامام أحمد ايضاً من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « من أراد أن يصوم فليتسحر ولو بشيء » .

وكال فضيلة السحور تحصل بالأكل ؛ لحديث عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعاً : « إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر » رواه احمد ومسلم وغيرهما ، والأمر به للنسب .

قال في « الفروع » : ولا يجب السحور ، حكاية ابن المنذر وغيره إجماعاً ، ويدل على كونه للنسب قوله صلى الله عليه وسلم : « فان في السحور بركة » وعند الطبراني عن أبي أمامة مرفوعاً : « ولو بتمرة ، ولو بحبات زبيب » . وفي حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في « الفردوس » : « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد ، أكلة السحر ، وما أفطر عليه ، وما أكل مع الاخوان .

الثالث : يسن تأخير السحور ما لم يخش طلوع الفجر الثاني ، ويكره تأخير الجماع مع الشك في طلوع الفجر ، أي يكره الجماع وقتئذ لا الأكل والشرب .

قال الامام احمد : إذا شك في الفجر يأكل حتى يستيقن طلوعه . قال الآجري وغيره : ولو قال لعالمين : أرقبا الفجر ، فقال أحدهما : طلع ، وقال

الآخر : لم يطلع ؛ أكل حتى يتفقا . قال في « الفروع » : يسن تأخير السجود إجماعاً ما لم يخش طلوع الفجر اتفاقاً .

الرابع : « يسن تعجيل الفطر ، وفي « الصحيحين » عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » . وروى الامام أحمد ، والترمذي وحسنه ، وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحهما » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : إن أحب عبادي اليّ أعجلهم فطراً » والله اعلم .

الحديث الثاني عشر

٥٧ — ثنا هشيم ، عن حميد الطويل قال : سمعت أنس بن مالك يقول : رأيت خاتم النبي ﷺ من فضة .

قال رضي الله عنه (ثنا هشيم عن حميد الطويل) المتقدمة ترجمته في الحديث الثالث من « مسند أنس » (قال) أي حميد (سمعت أنس بن مالك) رضي الله عنه (يقول : رأيت خاتم النبي ﷺ) الذي كان متختماً به ، ويقال : خاتم ، بوزن ساباط ، ويجوز بفتح تاء خاتم وكسرها ، وفي لغة رابعة وهي : خيتام ، بوزن بيطار ، وزاد صاحب « القاموس » خامسة ، وهي الختم محرّكة ، وسادسة وهي : الخاتيام ، وزاد بعضهم سابعة ، وهي : خنام ، وثامنة وهي : خيتوم .

ونظمها الحافظ ابن حجر في « الفتح » قال :

خذ نظم عدّ لغات الخاتم انتظمت ثمانية ما حواها قط نظام
خاتم خاتم ختم خاتم وخنام م خاتيام وخيتوم وخيتام

ثم زاد بيتاً ثالثاً :

وهمز مفتوح تاء تاسع وإذا ساغ القياس أتم العشر خاتماً
واقصر كثير من العلماء على أربعة ، والحق أن الختم والختم مختص بما
يختم به ، وجمع الخاتم خواتم وخواتيم ، وكان خاتم النبي ﷺ الذي رآه أنس
بن مالك رضي الله عنه (من فضة) لا من ذهب ، فيباح خاتم الفضة ولو زادت
زنته على مثقال .

قال ابن حمدان من علمائنا في « رعايته » : ويسن دون مثقال ، وظاهر
كلام الامام أحمد والاصحاب : لا بأس بأكثر من ذلك ، لضعف خبر بريدة ،
وهو أن النبي ﷺ سئل عن الخاتم ، من أي شيء اتخذ ؟ قال : « من فضة
ولا تنمة مثقالاً » ، رواه الامام أحمد وأصحاب « السنن » . قال الامام أحمد :
حديث منكر .

قال في « الفروع » : والمراد ما لم يخرج عن المادة ، وإلا حرم ، لأن
الأصل التحريم ، خرج المعتاد لفعله ﷺ وفعل الصحابة رضي الله عنهم .
قال في « الفروع » : قال الامام أحمد رضي الله عنه في خاتم الفضة للرجل :
ليس به بأس اتفاقاً ، واحتج بأن عمر رضي الله عنهما كان له خاتم ، وهذا رواه
أبو داود وغيره ، وأنه كان في اليسرى ، ورواه عن النبي ﷺ ، وسواء كان
ذا سلطان أو لا ؛ لضعف خبر أبي ریحانة ، وهو ما رواه الامام أحمد في « المسند » ،
ثنا يحيى بن غيلان ، ثنا الفضل بن فضالة ، ثنا عياش بن عباس ، عن أبي الحصين
الهيثم بن شقي أنه سمعه يقول : خرجت أنا وصاحب لي يسمى أبا عامر ، رجل
من المعافر انصلي بآبلياء ، وكان قاضهم رجلاً من الأزد يقال له : أبو ریحانة من
الصحابة رضي الله عنهم . قال أبو الحصين : فسبقتني صاحبي الى المسجد ، ثم
أدركته فجلست الى جنبه ، فسألني هل أدركت قصص أبي ریحانة ؟ فقلت : لا ،
فقال : سمعته يقول :

نهى رسول الله ﷺ عن عشرة : عن الوشر^(١) والوشم ، والتتف ، وعن مكامة^(٢) الرجل الرجل بغير شمار ، ومكامة المرأة المرأة بغير شمار ، وأن يجعل الرجل في أسفل ثوبه حريراً مثل الأعاجم ، وأن يجعل على منكبه حريراً مثل الأعاجم ، وعن النهى ، وعن ركوب النمر ، ولبوس الخاتم إلا لذي سلطان . ورواه أبو داود والنسائي .

قال في « الفروع » : حديث جيد حسن ، لم يضعفه ابن الجوزي في « جامع المسانيد » ، ولما بلغ الامام أحمد في حديث أبي ربحانة الخاتم إلا لذي سلطان ، تبسم كالمتعجب وقدم في « الرعاية » أن التخم بالخاتم مستحب ، وجزم ابن تميم من علمائنا : أنه يكره بقصد الزينة ، وذكره في « الرعاية » قولاً واحداً .

تنبيهات

الأول : في « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان خاتم رسول الله ﷺ من ورق ، وكان فصه حبشياً ، كذا في « مسلم » ، وقال البخاري : وكان فصه منه ، ولم يقل : حبشياً .

وفي « الصحيحين » من حديث أنس أيضاً : أنه رأى في يد رسول الله ﷺ خاتماً من ورق ، وفيها عنه : كان خاتم رسول الله ﷺ في هذه ، وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى ، ولم يقل البخاري : من يده اليسرى .

وفي « مسلم » : أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من فضة في يمينه ، فيه فص حبشي ، كان يجعل فصه مما يلي كفه . وفي رواية من حديث أنس : كان

(١) الوشر : تحديد المرأة أسنانها وترقيقها .

(٢) المكامة : أن يضاجع الرجل الرجل لا ستر بينهما .

خاتمته من فضة ، وفي رواية أبي داود من طريق زهير بن معاوية عن حميد : من فضة كله . فهذا نص في أنه كله من فضة .

وأما ما أخرجه أبو داود والنسائي ، من طريق أياس بن الحارث بن معيقب عن جده قال : كان خاتم النبي ﷺ من حديد ملوياً ، عليه فضة ، فربما كان في يدي . قال : وكان معيقب على خاتم النبي ﷺ ، يعني كان أميناً عليه ، فيحمل على التعدد .

وقد أخرج له ابن سعد شاهداً مرسلين عن مكحول : أن خاتم رسول الله ﷺ كان من حديد ملوي ، عليه فضة ، غير أن فسه بادٍ ، وآخر مرسلين عن إبراهيم النخعي مثله ، دون ما في آخره ، وثالثاً من رواية سعيد بن عمرو بن سعيد ابن العاص : أن خالد بن سعيد ، يعني ابن العاص ، أتى وفي يده خاتم ، فقال رسول الله : ما هذا ؟ اطرحه ، فطرحه ، فاذا خاتم من حديد ملوي ، عليه فضة . قال : فما نقشه ؟ قال : محمد رسول الله . قال : فأخذه فلبسه . ومن وجه آخر عن سعيد بن عمرو المذكور أن ذلك جرى لعمر بن سعيد أخي خالد بن سعيد وقد قال النقاشي في « كتاب الأحجار » : خاتم الفولاذ مطردة للشيطان ، إذا لوى عليه فضة ، كذا في « الفتح » . وقد نص علماءنا على كراهية خاتم الحديد . قال في « الفروع » : يكره للرجل والمرأة خاتم الحديد ، وصفر ، ونحاس ، وورصاص . نص عليه الإمام أحمد في رواية جماعة ، ونقل مهنا عنه رضي الله عنه : أكره خاتم الحديد لأنه حلقة أهل النار ، وسأله الأثرم عن خاتم الحديد ، فذكر خبر عمرو بن شعيب : أن النبي ﷺ قال لرجل : « هذه حلقة أهل النار » . وابن مسعود قال : لبسة أهل النار . وابن عمر رضي الله عنهما قال : ما طهرت كف فيها خاتم من حديد .

وروى الإمام أحمد في « المسند » : ثنا يحيى ، عن ابن عجلان ، عن عمرو

بن شعيب ، عن أبيه عن جده : أن النبي ﷺ رأى على رجل من أصحابه خاتماً من ذهب ، فأعرض عنه ، فألقاه واتخذ خاتماً من حديد ، فقال : « هذا شر ، هذا حلية أهل النار » . فألقاه واتخذ خاتماً من ورق ، فسكت عنه ، حديث حسن . ورواه الامام أحمد أيضاً من طريق أخرى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولم يقل فيه : حلية أهل النار ، ومن لم يقل بكراهة خاتم الحديد كالشافعية ، استدلل للإباحة بقوله ﷺ : « التمس ولو خاتماً من حديد » . ولا دلالة فيه على الإباحة ؛ إذ لا يلزم من الاتخاذ الاستعمال ، إذ ليس كل ما جاز اتخاذه جاز استعماله كما لا يخفى ، والله سبحانه وتعالى الموفق .

الثاني : يحرم خاتم الذهب على الذكور اتفاقاً ، كما في « الفروع » قال : وذكره بعضهم إجماعاً ، ويباح للنساء إجماعاً .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل ، فنزعه فطرحه ، وقال : « يعمد أحدكم إلى حجرة من نار جهنم فيجعلها في يده » . فقيل للرجل بعد أن ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك انتفع به ، فقال : لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ . ورواه الشيخان أيضاً من حديث البراء ، ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وروى الامام أحمد ، والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً : « من مات من أمتي وهو يلبس الذهب حرم الله عليه ذهب الجنة » .

وفي « سنن أبي داود » و « النسائي » من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، قال : رأيت رسول الله ﷺ أخذ حريراً ، فجعله في يمينه ، وذهباً فجعله في شماله ، ثم قال : « إن هذين حرام على ذكور أمتي » . وفي « سنن النسائي » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رجلاً قدم من نجران

الى رسول الله ﷺ وعليه خاتم من ذهب ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال :
« إنك جئتني وفي يدك حجرة من نار » .

الثالث : قال أكثر العلماء : يباح التختم بالعقيق ، وقيل : يستحب ،
ومشى عليه في « المستوعب » و « التلخيص » وابن تميم ، وقدمه في « الرعاية »
و « الآداب » و « الفروع » ، وجزم به في « المنتهى » واختيار ابن الجوزي
الاباحة .

قال الحافظ ابن رجب في « كتاب الخواتم » : ظاهر كلام الاكثر :
لا يستحب ، قال : وهو ظاهر كلام الامام أحمد رضي الله عنه في رواية مهنا ،
وقد سأله ما السنة ، يعني في التختم ، قال : لم تكن خواتم القوم إلا فضة . قال
العقيلي : لا يصح في التختم بالعقيق عن النبي ﷺ شيء ، وقد ذكر الحافظ ابن
رجب جل الاحاديث الواردة في ذلك في « كتابه » وأعلها ، وكذا ما روي في
« الياقوت والعقيق » كأمر (١) .

قال في « القاموس » . خرز أحمر يكون باليمن وبسواحل بحر
رومية ، منه جنس كدر كما يجري من اللحم المملح ، وقال : من تختم به سكنت
روعته عند الخصام ، وانقطع عنه الدم من أي موضع كان .

تمة : استحب علماءنا لبس الخاتم في خنصر يده اليسرى اقتداءً
بالنبي ﷺ . قال الدارقطني وغيره : المحفوظ أنه ﷺ كان يتختم في يساره ، وفي
« الانصاف » من كتب المذهب : لا فضل في لبسه في اليسرى على اليمنى كما كسه ،
قدمه في « الرعاية الكبرى » وتابعه في « الفروع » و « الآداب الكبرى »
و « الوسطى » ثم قال : والصحيح من المذهب : أن التختم في اليسار أفضل .
نص عليه الامام أحمد في رواية صالح ، والفضل بن زياد . قال الامام أحمد
رضي الله عنه : هو أقر وأثبت ، وأحب إلي .

(١) أي عبق على وزن أمير .

قال الحافظ ابن رجب : وقد أشار بمض أصحابنا الى أن التختم في اليسار كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ، والله أعلم .

الحديث الثالث عشر

٥٨ - ثنا هشيم : عن حميد قال : ثنا أنس بن مالك ، قال : لما اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية ، أقام عندها ثلاثاً ، وكانت ثيباً .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم) بن بشير (عن حميد) الطويل (قال : ثنا أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : لما اتخذ رسول الله ﷺ صفية) بنت حبي ، بضم الحاء المهملة ، وفتح المثناة تحت ، بعدها مثلها مشدودة ، تصغير حي ، ويجوز كسر الحاء أيضاً ، ابن أخطب ، بفتح الهمزة وسكون الحاء المعجمة ، ابن سمية بفتح السين وسكون الميم المهملين وفتح المثناة تحت ، من بني إسرائيل ، من سبط هارون بن عمران ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، ومفعول اتخذ محذوف تقديره : زوجة ، يعني لما أعتقها ﷺ وجعل عتقها صداقها كما يأتي قريباً ، فهي إحدى أمهات المؤمنين ، وكانت قبله عند سلام بن مشكم ، وكان شاعراً ، ففارقها ، ثم تزوجها كنانة بن أبي الحقيق ، فقتل يوم خيبر ، فتزوجها سيد المرسلين ، وخير العالمين ، نبيه الأمين ﷺ على عمر الأيام والشهور والسنين ، (أقام) صلى الله عليه وسلم (عندها) أي عند صفية دون سائر نسائه (ثلاثاً) من الليالي بأيامها أيام الزفاف .

قال أنس رضي الله عنه : (وكانت) صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها ، لما تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم (ثيباً) لأنها كانت مع كنانة بن أبي الحقيق ، فقتل يوم خيبر ، فسباها النبي ﷺ ، ولما تزوج النبي ﷺ أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية ، أقام عندها ثلاثة أيام ، وقال : إنه ليس بك هوان على أهلك ، فإن شئت سمعت لك ، وإن سمعت لك سمعت لنسائي . رواه الامام أحمد ، ومسلم ، وأبو داود وابن ماجه . ورواه الدارقطني وألفظه : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها حين دخل بها : ليس بك هوان على أهلك ، ان شئت أقت عندك ثلاثاً خالصة لك ، وإن شئت سمعت لك وسمعت لنسائي . قالت : تقيم معي ثلاثاً خالصة . وفي رواية : أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يخرج أخذت أم سلمة بثوبه ، فقالت : « إن شئت زدتك وحاسبتك به ، للبكر سبع ، وللثيب ثلاث » ، رواه مسلم .

وفي « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنه قال : من السنّة إذا تزوج البكر على الثيب ، أقام عندها سبعة وقسم ، وإذا تزوج الثيب على البكر ، أقام عندها ثلاثاً وقسم ، قال أبو قلابة : لو شئت لقلت : إن أنساً رفعه الى النبي ﷺ . وقد صرح برفعه ابن خزيمة ، وابن حبان ، والدارمي ، والدارقطني .

قال الامام ابن القيم في « الهدي » : وهذا الذي قاله أبو قلابة ، قد جاء به مصرحاً عن أنس ، كما رواه البرار في « مسنده » : من طريق أيوب السخيتاني عن أبي قلابة ، عن أنس : أن النبي ﷺ جعل للبكر سبعة ، وللثيب ثلاثاً ، وكذا رواه غيره . انتهى .

وفي هذا حجة على الكوفيين في تسويتهم بين البكر والثيب في الثلاثة فقط ، وعلى الأوزاعي في قوله : للبكر ثلاث ، وللثيب يومان . وفيه حديث مرفوع عن عائشة رضي الله عنها ، أخرجه الدارقطني بسند ضعيف جداً ، وخص

من عموم الحديث ما لو أرادت الثيب أن يكمل لها السبع ؛ فإنه إذا أجابها سقط
حقها من الثلاث ، وقضى السبع لغيرها .

قال علماؤنا ومن وافقهم : ويقم عند الثيب ثلاثاً ، وإن شاءت - وقيل : أو
هو - سبعا ؛ فعل وقضى الكل ؛ لحديث أم سلمة رضي الله عنها .

تنبيه : قد تكلم بعض العلماء في حكمة اختصاص البكر بسبع ، والثيب
بثلاث ، فقيل : هو حق المرأة على الزوج لأجل إيناسها به ، وإزالة الحشمة
عنها لتجده ، ولهذا لما كانت البكر أشد نفوراً ، وأبعد إيناساً ؛ زيدت على
الثيب لتقدم ارتياضها وألفها للرجال في الجملة .

وفي « شرح الوجيز » من متأخري علماؤنا : إنما خصت البكر بالزيادة ؛
لأن حيائها أكثر ، والثلاث مدة معتبرة في الشرع ، والسبع لأنها أيام الدنيا ،
وما زاد عليها متكرر ، وحينئذ يقطع الدور . انتهى .

وقيل : حق للزوج على المرأة ، وليس بشيء ، وأفرط بعض المالكية
فجعل مقامه عندها عذراً في إسقاط الجمعة .

وقال ابن دقيق العيد : وهو ساقط مناف للقواعد .

وفي « القنح » للحافظ ابن حجر : يكره أن يتأخر في السبع أو
الثلاث عن صلاة الجماعة وسائر أعمال البر التي كان يفعلها . نص عليه الشافعي .
وقال الرافعي : وهذا في النهار ، وأما في الليل فلا ، لأن المندوب لا يترك له
الواجب ، فعدوا هذا من الأعذار في ترك الجماعة ، وهذا على أصلهم ومذهبهم ،
من كون الجماعة سنة أو فرض كفاية على الخلاف ، وأما على قواعد مذهبنا ؛
فليس هذا عذراً في ترك جمعة ولا جماعة ، اللهم إلا أن تخاف عليها ضرراً ،
والله الموفق .

الحديث الرابع عشر

٥٩ - ثنا هشيم ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق صفية بنت حيي ، وجعل عتقها صداقها .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ أعتق صفية بنت حيي) بن أخطب لما سباها يوم خيبر في أول السابعة من الهجرة (وجعل عتقها) من الرق (صداقها) أخذ بهذا الامام أحمد رضي الله عنه .

قال الامام ابن القيم في « المدهي » : ثبت عنه ﷺ أنه أعتق صفية ، وجعل عتقها صداقها ، قيل لانس بن مالك : ما أصدقها ؟ قال : أصدقها نفسها ، وقد ذهب الى جواز ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفعله أنس رضي الله عنه ، وهو مذهب أعلم التابعين وسيدهم سعيد بن المسيب ، وأبي سلمة عبد الرحمن ، والحسن البصري ، والزهري ، واسحق . انتهى .

وفي « الفتح » للحافظ ابن حجر : انه ذهب الى القول بصحة ذلك أيضاً ابراهيم النخعي ، وطاووس ، ومن فقهاء الاثمصار النووي ، وأبو يوسف ، فكل هؤلاء قال : إذا أعتق أمتته وجعل عتقها صداقها ، صح العتق والمقد والمهر على ظاهر الحديث .

وفي قول أنس رضي الله تعالى عنه : مهرها نفسها ما يدفع وم المتوهمين ؛

فانه أخبر أن المجهول مهرأ هو نفس العتق ، ففي « البخاري » و « مسلم »
« والنسائي » و « ابن ماجه » ، عن أنس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ أعتق
صفية ثم تزوجها ، فقال له ثابت : ما أصدقها ؟ قال : نفسها ، أعتقها وتزوجها .
وفي رواية عبد العزيز بن صهيب ، سمعت أنساً قال : سبى النبي ﷺ صفية ،
فأعتقها وتزوجها ، فقال ثابت لأنس : ما أصدقها ؟ قال : نفسها ، فأعتقها .
هكذا أخرجه البخاري في المغازي من « صحيحه » . وفي رواية حماد بن ثابت ،
وعبد العزيز ، عن أنس في حديث قال : وصارت صفية لرسول الله ﷺ ، ثم
تزوجها وجعل عتقها صداقها ، فقال عبد العزيز لثابت : يا أبا محمد أنت سألت
أنساً ما أمهرها ؟ قال : أمهرها نفسها ، فتبسم ؛ فهذا ظاهر جداً في أن المجهول
مهرأ هو نفس العتق .

وأجاب من لم يقل بمقتضى هذا الحديث بأجوبة ، منها : بأنه أعتقها بشرط
أن يتزوجها ؛ فوجب له عليها قيمتها ، وكانت معلومة فتزوجها بها .
ومنها : أن نفس العتق هو المهر ، ولكن هذا من خصائصه ، وجزم بذلك
الماوردي من الشافعية .

وقال آخرون : قوله : أعتقها وتزوجها ، معناه أعتقها ثم تزوجها ، فلما لم
يعلم أنس أنه ساق لها مهرأ ، قال : أصدقها نفسها ، أي لم يصدقها شيئاً فيما أعلم ،
ولم ينف أصل الصداق .

ومن ثم قال أبو الطيب الطبري من الشافعية ، وابن المرباط من المالكية ،
ومن تبعهما : إن أنساً قال ما قاله ظناً من قبل نفسه ، ولم يرفعه ، وربما تملأوا بما
أخرجه البيهقي ، من حديث أميمة ، ويقال : أمة الله بنت رزينة ، عن أمها ، أن
النبي صلى الله عليه وسلم أعتق صفية ، وخطبها وتزوجها ، وأمهرها رزينة ، وكان
أتى بها سبيبة من قريظة والنضير ، وهذا لا تقوم به حجة ؛ لضعف إسناده

وبعارضة ما أخرجه الطبراني ، وأبو الشيخ ، من حديث صفية نفسها قالت :
أعتقني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل عتقي صداقي ، ورواه الأثرم أيضاً ،
وهذا موافق لحديث أنس ، وفيه رد على من قال : إن أنساً قال ذلك بناءً
على ما ظنه .

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » : وقد خالف البيهقي في هذا
الحديث ما عليه كافة أهل السير ، من أن صفية من سبي أهل خير ، لا من سبي
قريظة والنضير .

قال في « الفتح » : ومن قال بقول الإمام أحمد من الشافعية : ابن حبان ،
صرح بذلك في « صحيحه » ، قال ابن دقيق العيد : الظاهر مع الإمام أحمد ومن
وافقه ، والقياس مع الآخرين ، فيتردد الحال بين ظن نشأ عن قياس ، وبين ظن
نشأ عن ظاهر الخبر ، مع كون ما تحتمله الواقعة من الخصوصية ، وهي وإن
كانت على خلاف الأصل ، لكن يتقوى ذلك بكثرة خصائص النبي صلى الله عليه
وسلم في التكاح .

ومن جزم بأن ذلك كان من خصائصه ﷺ ، يحیی ابن أكرم ، أخرجه
البيهقي ، وكذا نقله المزني عن الشافعي . قلت : ولقد أكثروا الكراكية (١) ،
وأجلبوا بخيلهم ورجلهم ، على رد هذا الحديث الصحيح بأقيسة جولية ، وتخيلات
فكرية لا طائل تحتها ، ومادل عليه الصحيح هو الصحيح ، وما صنعه الشارع ثم
خادمه من بعده ، وهو أنس بن مالك راوي الحديث ، هو معناه الصريح ، ولهذا
قال ابن القيم : هذا هو الموافق للسنة ، وأقوال الصحابة والقياس ؛ فانه كان يملك
رقبتها ومنفعتها ، فأزال ملكه عن رقبته ، وأبقى ملك المنفعة بعقد التكاح ؛ فهو
أولى بالجواز مما لو أعتقها واستثنى خدمتها .

(١) لعله يقصد بذلك الضجة .

تنبيهات

الأول : معتمد مذهب الامام أحمد رضي الله عنه أنه اذا قال لأمتيه القن ، أو المدبرة ، أو المكاتبه ، أو أم ولده أو المعلق عتقها على صفة بشرط كونها تحمل له ، إذن أعتقتك وجعلت عتقك صداقك ، أو جعلت عتق أمتي صداقها ، أو صداق أمتي عتقها ، أو قد أعتقتها وجعلت عتقها صداقها ، أو أعتقتها على أن عتقها صداقها ، أو أعتقتك على أن أتزوجك ، وعتقتك صداقك ؛ صح بشرط كونه متصلاً ، نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه ، وأن يكون بحضرة شاهدين ؛ نص عليه أيضاً .

الثاني : الصداق المذكور في قوله : وجعل عتقها صداقها ؛ هو الموضع المسمى في عقد النكاح ، وما قام مقامه ، وفيه خمس لغات : فتح الصاد المهملة وكسرها ، وصدقة : بفتح الصاد المهملة وضم الدال المهملتين ، وصدقة : بسكون الدال مع ضم الصاد وفتحها كما في « المطلع » وله ثمانية أسماء : الصداق ؛ والمهر ؛ والنحلة ، والفريضة ؛ والأجر ؛ والعقر بضم العين المهملة وسكون القاف ؛ والحباء بكسر الحاء المهملة ممدوداً ؛ والعلائق ؛ ونظمها صاحب « المطلع » في قوله :

صداق ومهر نحلة وفريضة حباء وأجر ثم عقر علائق

والأصل في مشروعية الصداق : الكتاب ، حيث قال تعالى : « وأحل لكم ماوراء ذلكم أن تبغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين »^(١) وقوله : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة »^(٢) « وآتوهن أجورهن فريضة »^(٣) والسنة كما في قوله

(١) سورة النساء ، الآية : ٢٤

(٢) سورة النساء ، الآية : ٤

(٣) سورة النساء ، الآية : ٢٤

صلى الله عليه وسلم : « الشمس ولو خاتماً من حديد » ، وقد أجمع المسلمون على مشروعيته .

الثالث : لا يتقدر الصداق على الصحيح ، وقد حكى ابن عبد البر الاجماع على ذلك ؛ لقوله تعالى : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » (١) قال أبو صالح : القنطار مائة رطل ، وهو عرف الناس الآن ، وقال أبو سعيد الخدري : ملء مسك ثور ذهباً ، وعن مجاهد : سبعون ألف مثقال ، ويروى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : خرجت وأنا أريد أن أنهي عن كثرة الصداق ، فذكرت هذه الآية ، وروى أبو حفص باسناده أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أصدق أم كلثوم ابنة عليٍّ من فاطمة الزهراء رضوان الله عليهم أربعين ألفاً ، وقد نقل القاضي عياض الاجماع على أن مثل الشيء الذي لا يتمول ولا له قيمة لا يكون صداقاً ، وقد خرق هذا الاجماع أبو محمد بن حزم ، فقال : يصح بكل ما يسمى شيئاً ولو حبة من شعير ، وأقل ما ورد من الصداق ، ما عند الدارقطني من حديث أبي سعيد في المهر ولو على سواك من أراك ، وأقوى شيء ورد في ذلك حديث جابر عنده مسلم : كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله ﷺ ، حتى نهى عنها عمر .

قال البيهقي : إنما نهى عمر عن النكاح إلى أجل ، لا عن قدر الصداق .

قال في « الفتح » : وهو كما قال . قلت : الذي اعتمده علماؤنا كالشافعية : كل ما صح ثمناً أو أجرة ، صح أن يكون مهراً ، وإن قل من عين أو دين ومؤجل ومنفعة معلومة ، كمرعاة غنمها مدة معلومة ، وخياطة ثوب ، لأمالاً يتمول عادة ، كحبة حنطة وشعير .

نعم ، قال في « الاقناع » : يجب أن يكون له نصف يتمول عادة ، ويبدل

(١) سورة النساء ، الآية : ٢٠

البعض في مثله عرفاً ، والمراد نصف القيمة ، لانصف عين الصداق .
وفي « شرح الوجيز » : ظاهر إطلاق الامام أحمد وعامة علمائنا أنه لا فرق
بين أن يكون له نصف متموّل ، أولاً ، وشرط الخرق أن يكون له نصف
يحصل ، وتبعه على ذلك الامام الموفق في « المغني » .

قال الامام ابن القيم « في المهدي » : ثبت في « صحيح مسلم » عن عائشة
رضي الله عنها : كان صداق النبي ﷺ لأزواجه ثنتي عشر أوقية ونشأ ، قالت :
أندري ما النش ؟ قال أبو سلمة : لا . قالت : نصف أوقية ؛ فذلك خمسمائة
درهم ، ورواه الامام احمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما علمت رسول الله
ﷺ نكح شيئاً من نسائه ، ولا أنكح شيئاً من بناته على أكثر من ثنتي عشر
أوقية . قال الترمذي : حديث حسن صحيح . والأوقية أربعون درهماً .

وفي « الصحيح » من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن
النبي ﷺ قال لرجل : « تزوج ولو بخاتم من حديد » وفي « مسند الامام احمد »
من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ : إن أعظم النكاح بركة أيسره
مؤنة . وأما أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها فأمرها النجاشي أربعة آلاف ،
ومهرها من عنده ، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة ، ولم يبعث رسول الله ﷺ
بشيء كما في « مسند الامام احمد » و « سنن النسائي » وغيرها ، فكل هذه
الأحاديث وأضعافها مما لم نذكره ؛ يدل على عدم اعتبار تحديد الصداق .

وقال الامام مالك : لا يكون المهر أقل من ربع دينار ، أو ثلاثة دراهم ،
أو قيمتها ، ومذهب أبي حنيفة : أن أقله عشرة دراهم . وقال بعضهم : أقله خمسة
دراهم ، ولا دلائل على هذه الأقوال ، من كتاب ، ولا سنة ، ولا إجماع ، ولا
قياس ، ولا قول صحابي . وهذا سيد التابعين سعيد بن المسيب زوج ابنته على

درهمين ، ولم ينكر عليه أحد ، بل عد ذلك في مناقبه وفضائله ، ولا سبيل الى إثبات المقادير إلا من جهة صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم . انتهى كلام « الهدي » ملخصاً .

قال المازري : قاسه مالك على القطع في السرقة . قال القاضي عياض : تفرد بهذا مالك عن الحجازيين ، لكن مستنده الالتفات الى قوله تعالى : « أن تبغوا بأموالكم » (١) وبقوله : « ومن لم يستطع منكم طولا » (٢) فانه يدل على أن المراد ماله بال* من المال ، وأقله ما استبيح به قطع العضو المحترم .

قال القاضي : وأجازه الكافة بما تراضى عليه الزوجان ، أو من العقد اليه بما فيه منفعة . كالسوط والنعل ، وإن كانت قيمته أقل من درهم ، قال : وبه قال يحيى بن سعيد الانصاري ، وأبو الزناد ، وربيعة ، وابن أبي ذئب وغيرهم من أهل المدينة غير مالك ومن تبعه ، وابن جريج ، ومسلم بن خالد من أهل مكة ، والاوزاعي في أهل الشام ، والليث في أهل مصر ، والثوري ، وابن أبي ليلى وغيرهما من العراقيين ، غير أبي حنيفة ومن تبعه ، والشافعي ، وداود ، وفقهاء أصحاب الحديث ، وابن وهب من المالكية .

قال القرطبي : استدل من قاسه بنصاب السرقة بأنه عضو آدمي محترم فلا يستباح بأقل من كذا ، قياساً على يد السارق ، وتعقبه الجمهور بأنه قياس في مقابلة نص ، فلا يلتفت اليه ، وبأن اليد تقطع وتبين ، ولا كذلك الفرج ، وبأن القدر المسروق يجب على السارق رده مع القطع عند الجمهور ، ولا كذلك الصداق ، وقد ضعف جماعة من المالكية هذا القياس ، فقال أبو الحسن اللخمي : قياس قدر الصداق بنصاب السرقة ليس بالبيّن ، لأن اليد إنما قطعت في ربع دينار ،

(١) سورة النساء ، الآية : ٢٥

(٢) سورة النساء ، الآية : ٢٤

نسكالا للمعصية ، والنكاح مستباح بوجه جائز ، ونحوه لأبي عبد الله ابن الفخار
منهم وغيره . والله أعلم .

الحديث الخامس عشر

٥٥ - ثنا هشيم ، قال : أنا علي بن زيد ، عن أنس بن
مالك قال : سمعته يحدث ، قال : شهدت وليمتين من نساء
رسول الله ﷺ ، فما أطعمنا فيها خبزاً ولا لحماً ، قال : قلت :
فيه ؟ قال : الحليس ، يعني التمر والأقط ، والسمن .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم قال : أنا) أبو الحسن (علي بن زيد) بن
جدعان القرشي التيمي البصري ، يعد في تابعي البصريين ، وهو مكي ، نزل
البصرة ، وكان مكفوفاً ، روى عن أنس بن مالك ، وأبي عثمان النهدي ، وسعيد
بن المسيب . وروى عنه شعبة ، والسفيانان ، والحمدان ، وهشيم وغيرهم . ولد
أعمى ، وكان من أوعية العلم ، وفيه تشيع . قال البخاري وأبو حاتم : لا يحتج
به ، وضعفه الامام أحمد ، وابن عيينة وغيرهما . وقال أبو زرعة : ليس بقوي ،
وقال يحيى : ليس بشيء ، وروى عنه أنه قال : ليس بذاك القوي ، وقال أحمد
المجلي : كان يتشيع ، وليس بالقوي . وقال الدارقطني : لا يزال عندي فيه لين .
وقال الترمذي : صدوق ، وصحح له حديثاً في السلام ، وحسن له غير ما حديث ،
وقال : ربما رفع الموقوف ، توفي سنة تسع وعشرين ومائة (عن) أبي حمزة
(أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال :) أي علي بن زيد المذكور (سمعته) أي

أنس بن مالك رضي الله عنه (يحدث ، قال : شهدت وليمتين من) ولائهم (نساء رسول الله ﷺ ، فما أطعمنا) رسول الله ﷺ (فيها) أي الوليمة ، يعني كل واحدة منها ، والمعنى شهد وليمة امرأتين من نساء النبي ﷺ (خبزاً ولا لحماً) يعني أنه شهد وليمتين موصوفتين بهذه الصفة ؛ فلا ينافي أنه شهد وليمة زينب كاتقدم ، ولا وليمة ميمونة بنت الحارث (قال) علي بن زيد (قلت) لأنس بن مالك رضي الله عنه : حيث أنه ﷺ ما أطعمكم في وليمة خبزاً ولا لحماً (فله) الفاء رابطة لتضمن الكلام شرطاً مقدراً ، وما حرف استفهام ، حذفت ألفه لالتيان بهاء السكت ، أي فما أطعمكم في الوليمة حيث لا خبز ولا لحم ؟ (قال :) أطعمنا (الحيس) قال أهل اللغة : الحيس : يؤخذ التمر فينزع نواه ، ويخلط بالآقط أو الدقيق أو السويق ، وإذا جعل فيه السمن لم يخرج عن كونه حيساً ، ولهذا قال مفسراً للحيس : (يعني التمر) المزروع النوى (والآقط) وفي « المطالع » الحيس خليط بالتمر والسمن ، وقال بعضهم : ربما جعلت فيه خميرة . وقال ابن وضاح : هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق ، والاول أعرف . انتهى كلام « المطالع » ، قال في « المطالع » ، ذكر ابن سيدة في « محكمه » في الآقط أربع لفات : سكون القاف مع فتح الهمزة ، وضمها ، وكسرها ، وكسر القاف مع فتح الهمزة ، قال : وهو شيء يعمل من اللبن الخيض . وقال ابن الاعرابي : يعمل من ألبان الابل خاصة (والسمن) المعروف .

تنبيهات

الأول : إحدى الوليتمين المذكورتين في هذا الحديث ؛ وليمة صفية بنت حيي بن أخطب ، إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ؛ ففي « مسند الامام أحمد » و « صحيح مسلم » من حديث أنس رضي الله عنه في قصة صفية : أن النبي ﷺ

جمل وليمتها التمر والأقط والسمن وفي رواية : « أن النبي ﷺ أقام بين خيبر
والمدينة ثلاث ليال يبي بصفية ، فدعوت المسلمين الى وليمته ، ما كان فيها خبز
ولا لحم ، وما كان فيها إلا أن أمر بالانطاع فبسطت ، ثم ألقى عليها التمر والأقط
والسمن ؛ فقال المسلمون : إحدى أمهات المؤمنين ، أو ما ملكت يمينه ، فقالوا :
إن حجبتها فهي إحدى أمهات المؤمنين ، وإن لم يحجبها ، فهي بما ملكت يمينه ، فلما
ارتحل وطأ لها خلفه ، ومد الحجاب ، متفق عليه .

وأما الثانية : فيحتمل أن تكون وليمة أم سلمة رضي الله عنها ؛ فقد أخرج الطبراني
في « الاوسط » من طريق شريك ، عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال : أولم
رسول الله ﷺ على أم سلمة بتمر وسمن ، فلو صح هذا لكان صريحاً في المقصود ،
ولكنه وهم من شريك . لأنه كان سبي الحفظ ، أو من الراوي عن شريك ،
وهو جندل بن ولف ؛ فإن مسلماً ، والبرار ضعفاء ، وقواه أبو حاتم الرازي ،
والبسقي ، وإنما المحفوظ من حديث حميد عن أنس : أن ذلك في قصة صفية
بنت حبي .

وفي « المسند » و « سنن أبي داود » و « الترمذي » و « ابن ماجه » عن
أنس رضي الله عنه قال : إن النبي ﷺ أولم على صفية بتمر وسويق .

الثاني : هذا الحديث وإن كان من هذا الطريق لا ينهض الى رتبة الصحة ؛
فقد ذكرنا ما رواه الامام أحمد في « المسند » ، وما في « الصحيحين » من قصة
صفية ما يعضده ، والله أعلم .

الحديث السادس عشر

٥٦ - ثنا هشيم ، قال : أنبأنا حميد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال نبي الله ﷺ : دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي ، فإذا هي النميصاء ابنة ملحان ، أم أنس بن مالك .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم ، قال : أنبأنا حميد) الطويل (عن أنس ابن مالك) رضي الله عنه (قال : قال نبي الله ﷺ : دخلت الجنة) أي رأيت أنني دخلت الجنة ، ويحتمل أن يكون دخوله لها يقظة : كما تقدم نظيره في الحديث الثلاثين من « مسند جابر بن عبد الله » رضي الله عنها (فسمعت خشفة بين يدي) أي أمامي .

والخشفة : بفتح الخاء وسكون الشين المعجمتين ففاء ، وتحرك الشين أيضاً كما في « القاموس » .

قال في « المطالع » : الخشف والخشفة : صوت حركة ليس بالشديد . وقال الفراء : هو الصوت . وفي « القاموس » : الخشف والخشفة ويحرك : الصوت والحركة والحس الخفي ، أو الخشفة : صوت ديب الحيات ، وصوت الضبع ، وقد غلب عليه السهولة (فإذا هي) أي تلك الخشفة التي سمعتها (النميصاء) بضم النين المعجمة ، وفتح الميم ، وبالصاد المهملة والمد (ابنة ملحان) بكسر الميم ، وسكون اللام ، وبالحاء المهملة ، واسم ملحان : مالك بن خالد بن زيد بن حرام ابن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار .

وقد اختلف في اسمها ؛ ف قيل : سهلة ، وقيل : رُميلة ، وقيل : مليكة ،
وقيل : ان اسمها الغميصاء ، وقيل : الرميضاء بضم الراء بدل العين المعجمة ،
وقيل : غير ذلك . وقد روي في الحديث ؛ فاذا هي الرميضاء . والرمص والغمص
متقارب . قيل : انها من رمص العين ، والغميصاء : من انكسار العين .

وفي « النهاية » : غمضت عينه ، مثل رمضت ، وقيل : الغمص : اليابس
منه ، والرمص : الجاري . والغميصاء : تصغير الغمصاء ، وبه سميت أم سليم ،
وهي (أم أنس بن مالك) رضي الله عنها ، تزوجها مالك بن النضر أبو أنس بن
مالك ، فولدت له أنساً ، ثم قتل عنها مشركاً ، وأسلمت ، فخطبها أبو طلحة وهو
مشرك ، فأبت ودعته الى الاسلام فأسلم ، فقالت : إني أتزوجك ولا آخذ منك
صداقاً لاسلامك ، فتزوجها أبو طلحة ، فولدت له عبد الله ، وأبا عمير الذي كان
يقول له النبي ﷺ : يا أبا عمير ما فعل النغير .

وفي « سنن النسائي » : أن أبا طلحة خطب أم سليم ، فقالت : والله
ما مثلك يا أبا طلحة يرد ، ولكنك رجل كافر ، وأنا امرأة مسلمة ، ولا يحل لي
أن أتزوجك ، فان أسلم فذاك مهري ، ولا أسألك غيره ، فأسلم فكان
ذلك مهرها .

قال ثابت : فما سمعنا بامرأة قد كانت أكرم مهراً من أم سليم ،
فدخلت به .

تنبيهان

الاول : حديث أنس هذا أخرجه الامام أحمد ، ومسلم ولفظه : دخلت
الجنة فسمعت خشفة . قلت : من هذا ؟ قالوا : هذه الغميصاء بنت ملحان أم
أنس بن مالك .

وفي « الصحيحين » من حديث جابر رضي الله عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رأيتني دخلت الجنة ، فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة » .

وفي « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان لا يدخل في المدينة بيت امرأة غير بيت أم سليم ، إلا على أزواجه ، ف قيل له ؛ فقال : إني أرحمها ، قتل معي أخوها . وفي رواية قال : كان رسول الله ﷺ لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه ، إلا أم سليم ؛ فانه كان يدخل عليها ، ف قيل له في ذلك ، ف ذكر الحديث ، وكأنه أراد على الدوام والاقامة : كان صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام ، وهي خالة أنس كما في « الصحيحين » .

الثاني : قد علم من الحديث أن الغميصاء ، وهي أم سليم أنها أم أنس ابن مالك ، وهذا لا خلاف فيه بين أهل النقل والحديث .

وأما ما وقع في بعض كتب الشافعية « كوسيط الامام الغزالي ، تبعاً للامام الصيدلاني منهم ، ومحمد بن يحيى ، وصاحب البحر من أنها جدة أنس ؛ فغلط كما قاله الامام النووي وغيره من أهل العلم والاتقان ، وبالله التوفيق .

شهدت أم سليم أحداً وحنيناً ، روى عنها ابنها أنس وعائشة ، وأم سلمة ، وخولة بنت حكيم ، وأبو أمامة بن سهل وغيرهم . روي لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر حديثاً ؛ اتفقاً على حديث ، وانفرد البخاري بآخر ، ومسلم باثنين ، والله أعلم .

الحديث السابع عشر

٥٧ — ثنا هشيم ، قال : أنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك : أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحدٍ وشُجَّ في جبهته

حتى سال الدم على وجهه ، فقال : كيف يفلح قوم فعلوا هذا
بنبيهم وهو يدعوهم الى ربهم عز وجل ، فنزلت هذه الآية :
ليس لك^(١) : الآية .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم ، قال : أنا حميد الطويل ، عن أنس بن
مالك) رضي الله عنه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت) بضم الكاف
وكسر السين المهملة مبنياً للمجهول (رباعيته) بتخفيف الراء . وزن ثمانية ،
وهي السن التي تلي الناب من الأسنان . قال ابن سينا : لا يجتمع في حيوان
ناب وقرن معاً .

قال في «المطالع» : الرباعية من الأسنان هي السن التي بين الثانية والثاب ،
وهي أربعة محيطات بالثنايا : اثنان من فوق ، واثنان من أسفل ، والذي كسر
رباعية النبي صلى الله عليه وسلم عتبة بن أبي وقاص لعنه الله ، فانه رمى النبي ﷺ
بأربعة أحجار ، فكسر حجر منها رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته
السفلى .

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» : والمراد بكسر الرباعية وهي السن
التي بين الثانية والثاب ، أنها كسرت ، فذهب منها فرقة ولم تقلع من أصلها ،
وذلك (يوم) وقعة (أحد) وكانت في شوال ، سنة ثلاث باتفاق الجمهور .
قال ابن إسحق كما رواه الطبراني بسند رجاله ثقات : خرج رسول الله
ﷺ من المدينة يوم الجمعة ؛ فأصبح بالشعب من أحد فالتقوا يوم السبت في
النصف من شوال ، وفي «الفتح» عنه : أن الوقعة كانت لاحدى عشرة ليلة
خلت منه .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨

وأحد - بضم الهمزة والحاء وباللاد المهملة - جبل أحمر ، بينه وبين المدينة أقل من فرسخ ، وهو في شمالها (وشج) صلى الله عليه وسلم يومئذ (في جبهته) .
والشجّة : الجراحة في الرأس ، أو الوجه خاصة . قال في «المطلع» : الشجّة المرة ؛ من شجّه يشجّه فهو مشجوج وشجيج ، إذا جرحه في رأسه أو وجهه ، وقد يستعمل في غير ذلك من الأعضاء . والجهة : موضع السجود من الوجه ، أو مستوى ما بين الحاجبين إلى الناحية (حتى سال الدم) من شجته (على وجهه) الشريف صلى الله عليه وسلم ، والذي شجّه عليه الصلاة والسلام ، عبد الله بن شهاب الزهري ، وأسلم بعد ذلك ، ورماه يؤمئذ عبد الله بن قنّة - بفتح القاف وكسر الميم وبمدها همزة - فشج وجنته الشريفة ، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته صلى الله عليه وسلم ، وعلاه بالسيف وكان عليه درعان ، فوق صلى الله عليه وسلم في حفرة أمامه على جنبه ، وهي من الحفر التي عملها أبو عامر الفاسق ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ، فأغمي عليه صلى الله عليه وسلم ، كما رواه ابن جرير عن قتادة ، فأخذه علي بن طالب رضوان الله عليه ، ورفع له طلحة رضي الله عنه حتى استوى قائماً ؛ فجحشت^(١) ركبته ، ولم يصنع سيف بن قنّة شيئاً إلا وهن الضربة وثقل السيف ، وقد مكث صلى الله عليه وسلم يجد وهن الضربة على عاتقه شهراً أو أكثر من شهر ، ودثه ، أي رماه جماعة كثيرة من المشركين بالحجارة حتى وقع لشقه . روى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه أن ابن قنّة لما رمى النبي صلى الله عليه وسلم قال : خذها وأنا ابن قنّة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أقمأك^(٢) الله » فسلط الله تعالى عليه تيس الجبل ، فلم يزل ينطحه حتى قطمه قطعة قطعة .

وروى أبو نعيم عن نافع بن عاصم قال : الذي أدمى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الجحش : سجع الجلد ونشره من شيء يصيبه ، كالخدش .

(٢) أي أذله الله وصغره .

عبد الله بن قثم ، رجل من هذيل ، فسلط الله عليه تيساً فنطحه حتى قتله .
وروى عبد الرزاق في « تفسيره » : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا
على عتبة بن أبي وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه ، فقال : « اللهم لا يحل
عليه الحول حتى يموت كافراً ، فما حال عليه الحول حتى مات كافراً
الى النار » .

ورواه أبو نعيم من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وروى
الحاكم عن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه أنه لما رأى ما فعل عتبة بن أبي
وقاص برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله ! من الذي فعل بك هذا ؟
قال : عتبة بن أبي وقاص . قلت : أين توجه ؟ فأشار الى حيث توجه ، فمضيت
حتى ظفرت به ، فضربته بالسيف فطرح رأسه ، فنزلت فأخذت رأسه
وسيفه ، وجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : رضي الله
عنك ، مرتين .

وروى الخطيب في « تاريخ بغداد » عن الحافظ محمد بن يوسف القرياني
قال : بلغني أن الذين كسروا رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يولد لهم
صبي فنبت له رباعية .

قال السهيلي : ولم يولد من نسل عتبة ولد يبلغ الحلم إلا وهو أتهم أبخر^(١)
يعرف ذلك في عقبه .

قال الامام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » : قال بعض العلماء
بالأخبار : إنه استقرى نسله ، فلا يبلغ أحد منهم الحلم إلا أبخر أو أتهم ، يعرف
ذلك فيهم . قال : وهو من شؤم الآباء على الأبناء .

قال : واختلف فيما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم من هذا ونحوه ، فقيل :

(١) يقال : أتهم فاه يهتمة : ألقى مقدم أسنانه ، والبخر : نتن الفم .

هو قبل نزول قوله تعالى : « والله يعصمك من الناس »^(١) ، وقيل : المصمة الموعود بها عصمة النفس من القتل ، لا عصمة من أذاها بالكلية ، بل أبقى الله تعالى لرسوله ثواب ذلك الأذى ، ولائحته حسن التأسي به ، إذا أؤذي أحدهم ؛ ذكر ما جرى عليه صلى الله عليه وسلم ، فتأسى وصبر ، وللمؤذين الأشقياء الأخذة الراهية . (فقال) صلى الله عليه وسلم ، وهو يسلمت^(٢) الدم عن وجهه الشريف (كيف يفلح) من الفلاح ، وهو الفوز بالبقاء ، والخلود في النعم المقيم . ويقال للفائز : مفلح ، ولكل من أصاب خيراً : مفلح ، فهي من الكلمات الجامعة لخيري الدنيا والآخرة ، كالعافية ، والسعادة (قوم فعلوا هذا بنبيهم) وقد أخرج الامام أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت ربايعيته يوم أحد ، وشج في رأسه ، فجعل يسلمت الدم عن وجهه ويقول : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ، وكسروا ربايعيته .

قال ابن الأثير في « جامع الأصول » : سلمت الدم عن الجرح إذا مسحه (وهو) الواو للحال ، أي والحال أنه ، أي نبيهم (يدعوم الى) طاعة (ربهم عز وجل) ودينه القويم ، وصراطه المستقيم الذي به يحصل الفوز والفلاح ، والرضى والنجاح ، والخلد والنعم والبقاء في جوار الكريم ، فيأبون إلا شركاً وكفراً ، وقطيعة وغدراً ، وعكوفاً على الاصنام وارتكاباً للجرائم والآثام ، (فنزلت هذه الآية) الكريمة . وهي قوله تعالى : (ليس لك الآية)^(٣) . وفي « المسند » و « صحيح مسلم » و « سنن الترمذي » فأنزل الله عز وجل :

(١) سورة المائدة ، الآية : ٦٧

(٢) أي يسلم . (٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨

« ليس لك من الامر شيء » أو يتوب عليهم ،^(١) الآية . أي أو يعذبهم فانهم ظالمون ، أي فهم وان استحقوا العذاب بفعلهم القبيح ، وارتكابهم الخطأ الصريح ، والكفر الفضيح ؛ فحملنا يسعهم ، وأنت عبد مأمور ، ورسول مرشد الى الايمان ومكارم الاخلاق ومعالي الأمور .

والمعنى أن الله مالك أمرهم ، فاما أن يهلكهم ويكتبهم ، أو يتوب عليهم إن أسلموا ، أو يعذبهم إن أصروا ، وأنت عبد مأمور بانذارهم وجهادهم . وقيل : المعنى ليس لك من أمرهم شيء ، إلا أن يتوب عليهم فتسر بذلك ، أو يعذبهم فتستفي منهم .

وأخرج الامام أحمد ، وابن أبي شيبة ، من حديث أنس نحو ما تقدم ، وفيه : فهم عليه السلام أن يدعو عليهم ، فنزات ، فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء عليهم .

وعلق البخاري حديث أنس ولم يسنده ، إنما قال : وقال حميد وثابت ، عن أنس : شج النبي صلى الله عليه وسلم : يوم أحد ، فقال : « كيف يفلح قو شجوا نبينهم » فنزلت « ليس لك من الامر شيء »^(١) .

وأخرج الامام أحمد ، والبخاري ، والترمذي والنسائي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً » وقد سماهم الامام أحمد ، والترمذي ، وكذا البخاري في رواية مرسلة ، وهم : صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، فنزلت . وزاد الامام أحمد ، والترمذي في آخر الحديث ؛ فتيب عليهم كلهم ، وأشار الى قوله في بقية الآية : « أو يتوب عليهم »^(١) .

وللامام أحمد أيضاً من طريق محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر :

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨

كان رسول الله ﷺ يدعو على أربعة ، فنزلت . قال : وهداهم الله للإسلام ، وكان الرابع : عمرو بن العاص ، فقد غزاه السهلي لرواية الترمذي ، لكن قال في « الفتح » : لم أراه في الترمذي .

وفي « السيرة الشامية » : ان الرابع أبو سفيان بن حرب ، ويحتاج نقله هنا الى تحرير .

وفي « الشفاء » للقاضي عياض : أن النبي ﷺ لما كسرت ربايته وشج وجهه يوم أحد ، شق ذلك على أصحابه شديداً ، وقالوا : لو دعوت عليهم ، فقال : « إني لم أبعث لماناً ، ولكني بعثت داعياً ورحمة ، اللهم إهد قومي فانهم لا يعلمون » .

قال القاضي : أنظر ما في هذا القول من جماع الفضل ، ودرجات الاحسان وحسن الخلق ، وكرم النفس ، وغاية الصبر والحلم ، إذ لم يقتصر ﷺ على السكوت عنهم حتى عفا ، ثم أشفق عليهم ورحمهم ، ودعا وشفع لهم فقال : « اللهم اغفر واهد » ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله : « لقومي » ، ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال : « فانهم لا يعلمون » .

تمت

الأولى : كان السبب في غزوة أحد أنه لما أصيب من أصيب من كفار قريش أصحاب القليب ورجع فلهم^(١) الى مكة ، مشى عبدالله بن أبي ربيعة ، وعكرمة ابن ابي جهل ، وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب آبائهم وأبنائهم وإخوانهم يوم بدر ، وكلموا أبا سفيان بن حرب أن يخرج بهم ، لعلمهم أن يدركوا ثأرهم ، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحاديثها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة ، فخرجوا وأبو سفيان قائدهم ، ومعه زوجته

(١) أي المنهزم منهم .

هند بنت عتبة بن ربيعة ، وفيهم ظمائن ونساء منهم ، وهم ثلاثة آلاف ، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ، وعلى الميمنة خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة ابن أبي جهل ، وعلى الخيل صفوان بن أمية ، وقيل : عمرو بن العاص ، وعلى الرماة عبد الله بن ربيعة ، وكانوا مائة ، وفيهم سبعمائة دارع ، وخمس عشرة طعينة .
 وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه ، ونزل على أحد ، ورجع عنه عبد الله ابن أبي بن سلول في ثلثمائة ، فبقي صلى الله عليه وسلم في سبعمائة .

قال الواقدي : وكان فيهم مائة دارع ، وأمر صلى الله عليه وسلم على الرماة - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير ؛ بضم الجيم وفتح الموحدة ، بن النعمان بن أمية ، بن امرئ القيس ، واسمه البرك بن ثعلبة بن عمرو بن عوف الانصاري ، شهد العقبة ، ثم شهد بدرًا ، واستشهد يوم أحد .

قال ابن عبد البر : لا أعلم له رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم .
 وكان صلى الله عليه وسلم لما يسمع بنزول المشركين قرب أحد ؛ قال لأصحابه : داني والله رأيت خيراً ، رأيت بقرأ تذبج ، ورأيت في ذبابة سبني ثلماً ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، فأما البقر فهم ناس من أصحابي يقتلون ، وأما الثلم فهو رجل من أهل بيتي يقتل ، والدرع الحصينة أو ثلم المدينة ، فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتتركوهم حيث نزلوا ، فان أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها . وقال عبد الله بن أبي : والله ما جاءنا عدو قط فخرجنا اليهم ، إلا أصابوا منا ، ولادخلوا علينا إلا أصابنا منهم ، وكان في المسلمين أناس لم يشهدوا بدرًا يحبون لقاء العدو ؛ ويرغبون في الشهادة فقالوا : يا رسول الله أخرج بنا اليهم لئلا يظنوا أنا خفناهم ، أو أصابنا جبن ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلبس لأمية حربه وخرج عليهم ، فندموا وقالوا : استكرهناك يا رسول الله ، ولم يكن لنا ذلك ،

فأن شئت فاقمد بالبلد ، فقال ﷺ : « ما ينبغي لني إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل ، وكان ﷺ أمر الرماة أن لا يبرحوا من مكانهم الذي جعلهم فيه حتى يرسل لهم وإن انهزم القوم ، فلما التقى الجمعان ؛ هزم المسلمون المشركين . فقال الرماة لما رأوا ذلك : الغنيمة الغنيمة ، فقد ظهر أصحابكم ، فما تنتظرون ؟ فقال أميرهم عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : والله لنأتين الناس فلننصيب الغنيمة ، فلما أتوهم صرفت وجوههم ، فاقبلوا منهزمين ، فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم ، فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر ، وصار أصحاب رسول الله ﷺ ثلاثة فرق ، فرقة قتلوا ، وفرقة جرحى ، وفرقة هزموا .

الثانية : اختلف في عدة من ثبت معه ﷺ ، فقيل : اثني عشر رجلاً ، كافي البخاري ، وغيره عن البراء بن عازب رضي الله عنهما .
وفي « البخاري » ، وأبي نعيم ، والاسماعيلي ، عن معتمر بن سليمان التيمي ، عن أبيه قال : سمعت أبا عثمان النهدي يقول : لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الايام كمن التي يقاتل فيها غير طلحة وسعد .
قال سليمان : قلت : وما علمك بذلك ؟ قال : عن حديثها ، يعني ان سعداً وطلحة خبرا أبا عثمان بذلك .

قال في « الفتح » : ويمكر على هذا ماورد أن المقداد كان ممن بقي معه .
وفي « صحيح مسلم » : عن أنس قال : أفرد رسول الله ﷺ يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش ، وهذا أيضاً محمول على بعض المقامات والأحوال ؛ لجولانهم في القتال ، وعند محمد بن سعد أنه ثبت معه أربعة عشر رجلاً : سبعة من المهاجرين : فيهم أبو بكر الصديق .
وقال البلاذري : ثبت معه من المهاجرين أبو بكر ، وعمر ، وعلي ،

وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وأبو عبيدة بن الجراح . ومن الأنصار : الحباب بن المنذر ، وأبودجانة ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، والحارث بن الصمة ، وأسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ . وقيل : وسهل بن حنيف . انتهى .

وكذا أبو طلحة لما في « الصحيحين » ، عن أنس رضي الله عنه قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن رسول الله ﷺ ، وأبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ مجوَّب عليه بحجفته^(١) .

وكان أبو طلحة : رجلاً رامياً ، شديد الرمي ، فنثر كنانته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يزل يرمي بها ، وكسر يومئذ قوسين أو ثلاثة ، وكان الرجل يمر بالجمعة من النبل ، فيقول صلى الله عليه وسلم : انثرها لأبي طلحة ... القصة ، فهؤلاء ستة عشر رجلاً : ثمانية من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار رضي الله عنهم أجمعين ، ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وبالله التوفيق .

الثالثة : روى أبو داود والطيالسي ، وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال : ذلك اليوم كله لطلحة ، ثم أنشأ يحدث . قال : كنت ممن فاء إلى رسول الله ﷺ يوم أحد ، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ دونه . قال : أراه قال : يحميه . قال : قلت : كن طلحة حيث فاتني ما فاتني ، فقلت : يكون رجل من قومي أحب إليّ وبيني وبين رسول الله ﷺ رجل لا أعرفه ، وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه ، وهو يخطف المشي خطفاً لا أخطفه ، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح ، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته وشج وجهه ، وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر . فقال رسول الله ﷺ : « عليكما صاحبكما » يعني طلحة ،

(١) في الاصل : يجوب عنه بحجفته ، وما أثبتناه في « صحيح البخاري » . والحجفة :

الترس إذا كان من جلد ليس فيه خشب ولا عقب .

وقد نَزَفَ الدم ، فتركناه ، وذهبت لأنزع ذلك من وجه رسول الله ﷺ .
فقال أبو عبيدة : أقسمت عليك بحقي لما تركتني ، فتركته ، وكره أن يتناولها
بيده فيؤذي رسول الله ﷺ ، فأزم عليه بفيه ، فاستخرج إحدى الحلقتين ،
ووقعت ثنيته مع الحلقة ، وذهبت لأصنع ما صنع ، فقال : أقسمت عليك بحقي
لما تركتني ، ففعل كما فعل في المرة الأولى ، فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة ،
فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتماً (١) . قال : فأصلحنا من شأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الحفائر ، فاذا به بضع
وسبعون - أو أقل أو أكثر - من طعنة وضربة ورمية ، وإذا هو قد قطعت
أصبعه ، فأصلحنا من شأنه .

وروي أن طلحة رضي الله عنه أصيب يومئذ في رأسه ، فنزف الدم حتى
غشي عليه ، فنضح أبو بكر الماء في وجهه حتى أفاق ، فقال : ما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم . قال : خيراً ، هو أرسلني إليك . قال : الحمد لله ، كل مصيبة
بعده جليل .

وروي أن الدم نَزَفَ من وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع
الحلقتان ، فجعل مالك بن سنان يأخذ الدم بفيه ويمججه ويزدرد (٢) منه ، فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتشرب الدم ؟ قال : نعم يا رسول الله . فقال
صلى الله عليه وسلم : « من مس دمه دمي لم تصبه النار » . وفي « مستدرك
الحاكم » : من حديث عائشة بنت سعد عن أبيها رضي الله عنها ، قال : لما جال
الناس يوم أحد تلك الجولة تنحيت ، فقلت : أذود عن نفسي ، فاما أنجو ، وإما
أن أستشهد ، فاذا رجل مخمّر وجهه قد كاد المشركون أن يركبوه ، فملاً يده

(١) الهتم : إنكسار الثنايا من أصلها .

(٢) أي يبتلع منه .

من الحصى ، فرماهم به ، وإذا بيني وبينه المقداد ، فأردت أن أسأله عن الرجل ، فقال لي : يا سعد ، هذا رسول الله يدعوك ، فقممت ولكن أنه لم يصبني شيء من الأذى ، فأتيته . فقال : أين كنت اليوم يا سعد ؟ فقلت : يا رسول الله حيث رأيت ، فأجلسني أمامه ، فجعلت أرمي وأقول : اللهم سهمك فارم به عدوك ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد لسعد رميته ، إيه سعد ، فذاك أبي وأمي ، وبهذا ونحوه تعلم الخلاف في ذكر عدد من ثبت معه ، وأنه بحسب المقامات والأماكن ، والكر والفر ، وأن كل من رجع إلى الرسول وآب إليه وانضم عليه قبل انفضاض القتال وخلوص المعركة ؛ فهو ممن ثبت معه ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ثبت مسكانه لم يزل عنه .

فقد روى البيهقي من حديث المقداد رضي الله عنه ، وذكر حديثاً طويلاً في يوم أحد ، فقال : فأوجعوا والله فينا قتلاً ذريعاً ، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نالوا ، لا والذي بعثه بالحق إن زال رسول الله صلى الله عليه وسلم شبراً واحداً ، وإنه أفي وجه العدو ، وتفي إليه طائفة من أصحابه مرة ، وتفترق مرة عنه ، فربما رأيته قائماً يرمي عن قوسه ، ويرمي بالحجر ، وثبتت معه طائفة . ويقال : إنه ثبت معه ثلاثون رجلاً كلهم يقول : وجهي دون وجهك ، ونفسي دون نفسك ، وعليك السلام غير مودع . وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما ابن مسعود رضي الله عنه ، ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ .

الرابعة : لما اختل نظام الرماة ، وتحولوا من المكان الذي أمرهم بالمقام به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصرفت وجوههم ، وهبت الريح الدبور بعد أن كانت صبا ، صرخ الشيطان لعنه الله تعالى : أي عباد الله أخراكم ، فرجعت أولى المسلمين فاجتلدت هي وأخراهم ، وهم يظنون أنهم من العدو ، وكان

عَرَضَ إبليس اللعين أن يقتل المسلمون بعضهم بعضاً ، وصرخ اللعين عند جبل عيين من قرب أحد - وقد تصور في صورة جمال (١) بن سراقه رضي الله عنه - إن محمداً قد قتل ثلاث مرات ، فلم يشك فيه أنه حق ، والحال أن جمال إلى جنب أبي بردة يقاتل أشد القتال ، فكان ذلك سبب ذهول المسلمين ، وعدم ثباتهم ، فلما تبين كذب اللعين ، وعرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقبلوا إليه ، ولما رأوه سالماً فرحوا فرحاً شديداً ، وكانهم لم يصبهم شيء حين رأوه سالماً ، ونهضوا به ونهض معهم نحو الشعب ومعه أبو بكر وعمر وعلي ومن تقدم ذكرهم . وقال صلى الله عليه وسلم لهم : « إني أخشى أن يأتي أبي بن خلف من خلفي ، فإذا رأيتموه فآذنوني به » . وكان صلى الله عليه وسلم لا يلتفت في القتال وراءه ، فلما أسند في الشعب أدركه وهو مقنع في الحديد يركض فرسه ، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوت إن نجبا ، فاستقبله مصعب بن عمير بقي رسول الله بنفسه ، فقتل مصعباً رضي الله عنه ، فأراد بعض الصحابة أن يعترض له ، فقال صلى الله عليه وسلم : « دعوه وخلوا طريقه » . فلما دنا من الرسول قال الخبيث : يا كذاب ؛ أين تفر ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ، ويقال : من الزبير بن العوام ، فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتفض بها انتفاضة تطاير عنه أصحابه تطاير الذباب عن البعير إذا انتفض ، ولم يكن أحداً يشبه رسول الله ﷺ إذا جد الجد ، ثم استقبله بها ، فطمنه في عنقه . وفي لفظ : في رقوته من فرجة سائفة البيضة والدرع ، فتدأداً منها مراراً عن فرسه ، أي مال ، وجعل يخور ، أي يصوت كما يخور الثور ، فرجع إلى قومه . فقال : قتلني والله محمد ، فقالوا : ذهب

(١) كذا الأصل ، وفي « القاموس » وكزير : ابن سراقه الضمري ، وجعل

الاشجعي : صحابيان .

والله فؤادك ، والله إن بك بأس ، ما أجزعك ؟! وفي لفظ : أنه ﷺ خدشه في عنقه خدشاً غير كبير ، فاحتمقن الدم ، فلما قال أبي لقومه ما قال ، وأجابوه بما أجابوه ، وقالوا : إنما هو خدش ، ولو كان هذا الذي بك بعين أحدنا ما ضره . فقال : لا ، واللات والعزى ، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي الحجاز ، أي وهو سوق عند عرفة . وفي لفظ : بريعة ومضر لما توارا أجمون ، إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك ؛ فوالله لو بصق علي لقتلني ، فمات عدو الله بسرف وهم قافلون . وقال ﷺ يومئذ : « اشتد غضب الله عز وجل على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله » متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وفي « البخاري » من حديث ابن عباس رضي الله عنها قال : « اشتد غضب الله على من قتله النبي في سبيل الله » وفي لفظ : « اشتد غضب الله على من قتله نبي » هكذا أخرجهما البخاري موقوفين .

وروى محمد بن عمر الواقدي ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنها قال : مات أبي بن خلف ببطن رابغ ، فاني لأسير بعد هدوء من الليل . إذا نار تأجج لي ، فبهتها ، فاذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها ، يصيح : العطش العطش ، وإذا رجل يقول : لائسقه ، فإن هذا قتيل رسول الله ﷺ أبي بن خلف ، وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه في ذلك :

لقد ورث الضلالة عن أبيه	أبي يوم بارزه الرسول
أتيت إليه تحملاً رم عظم	وتوعده وأنت به جهول
وقد قتلت بنوا النجار منكم	أمية إذ يغوث يا عقيل
وتب ابن بريعة إذ أطاعا	أبا جهل لأمها الهبول
وأفلت حارث لما اشتغلنا	بأسر القوم ، أسرته قليل

وقال حسان أيضاً :

ألا من مبلغ عني أيتها	لقد أقيت في سحق السعير
تمنى بالضلالة من بعيد	وتقسم أن قدرت مع الذنور
تمنيك الأمان من بعيد	وقول الكفر يرجع في غرور
فقد لاقتك طعنة ذي حفاظ	كريم البيت ليس بذئ فجور
له فضل على الأجيال طراً	إذا نابت ملهات الأمور

الغامسة : جملة من أكرمه الله عز وجل بالشهادة من الصحابة الكرام يوم أحد سبعة شهداء ، وكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة ، سبعة أسيراً ، وسبعة قتلاً ، فقتل من المهاجرين في أحد ، ستة ، وأربعة من الأنصار .

وقد روى ابن أبي شيبة ، والترمذي وحسنه ، والنسائي ، وابن سعد ، وابن جرير ، وابن حبان ، والبيهقي وغيرهم ، عن علي رضي الله عنه قال : جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، إن الله تعالى قد كره ما صنع قومك في أخذهم فداء الأسرى ، يعني أسرى بدر ، وقد أمرك أن تخيّرهم بين أمرين : إما أن يقدموا فتضرب أعناقهم ، وبين أن يأخذوا منهم الفداء ، على أن يقتل منهم عدتهم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، فذكر لهم ذلك ، فقالوا : يا رسول الله ، عشارنا وإخواننا فأخذ منهم الفداء ، فنتقوى به على قتال عدونا ، ويستشهد منا عدتهم ؛ فليس في ذلك ما نكره ، وبالله التوفيق .

الحديث الثامن عشر

٦٣ — ثنا هشيم : أنبأنا يحيى بن أبي إسحاق وعبد العزيز

بن صهيب وحيد الطويل : عن أنس بن مالك أنهم سمعوه يقول :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يلبي بالحج
وبالعمرة جميعاً .

قال رضي الله عنه (ثنا هشيم ، أنبأنا) كل واحد من هؤلاء الثلاثة ، وم :
(يحيى بن أبي إسحاق ، وعبد العزيز بن صهيب ، وحيد الطويل ، عن أنس
بن مالك) رضي الله عنه (أنهم) أي الثلاثة المتقدم ذكرهم (سمعوه) أي أنس
بن مالك رضي الله عنه (يقول : سمعت رسول الله ﷺ يلبي) من التلبية ، وهي
قولك لمن دعاك : لبيك ، يقال : لبي بغير همز ، وهو الاصل ، ولأباً بالهمز : لغة
(بالحج) بفتح الحاء المهملة وكسر ها ، لغتان مشهورتان ، وهو لغة : عبارة عن
القصد ، وحكي عن الخليل أنه كثرة القصد الى من تعظمه ، ثم تعورف استعماله
في القصد الى مكة المشرفة للنسك ؛ فهو اسم لأفعال مخصوصة (و) بـ (العمرة)
وهي لغة الزيارة ، وشرعاً : زيارة البيت بأفعالها مخصوصة (جميعاً) بأن يقول :
لبيك اللهم بالحج والعمرة ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك
والملك ، لا شريك لك .

وعلى ظاهر هذا الحديث يكون ﷺ حج قارناً ، وهو الصحيح الذي
لا شك فيه ، ولا وهم يمتريه .

قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه : لا أشك أن النبي ﷺ
كان قارناً : والتمتع أحب إلي ، أي لمن لم يسق الهدي ، فإنه لم يختلف قوله
رضي الله عنه : أن من جمع الحج والعمرة في سفرة واحدة ، وقدم في أشهر الحج
ولم يسق الهدي ، ان التمتع أفضل ، بل هو المسنون ؛ لأمر النبي ﷺ
أصحابه بذلك .

وأما من ساق الهدى ، فهل القران أفضل له أم التمتع ؟ فعنه في ذلك روايتان .

وأما من أفردهما في سافرتين ، أو اعتمر قبل أشهر الحج وأقام الى الحج ؛ فهذا أفضل من التمتع ، وهو قول الخلفاء الراشدين ، وقول الامام أحمد وغيره ، وبعض أصحاب مالك ، والشافعي ، وغيرهم .
واعلم ان معتمد مذهب الامام أحمد أن أفضل الانساك : التمتع ، ثم الافراد ثم القران .

قال رضي الله عنه : الذي نختاره المتعة ؛ لأنه آخر ما أمر به النبي ﷺ وهو يعمل لكل واحد منها ، أي الحج والعمرة على حدة ، هكذا في رواية صالح .

وقال أبو داود : سمعته يقول : نرى التمتع أفضل ، وسمعته قال للرجل أراد ان يحج عن أمه : تمتع أحب الي .

وقال إسحاق بن إبراهيم : كان اختيار أبي عبد الله الدخول بعمرة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى ، ولا حملت معكم » قال : وسمعته يقول : العمرة كانت آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعند الحنفية : القران أفضل . وعند المالكية والشافعية : الافراد أفضل . قال الحنفية : ما اختاره الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فهو أفضل . قلنا : هذا صحيح ، لولا ما يمارضه من أمره لأصحابه بالتمتع ، والتأسف على سوقه الهدى في قوله صلى الله عليه وسلم : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى ، ولا حملت معكم » .

والحاصل انه صلى الله عليه وسلم حج قارنا ، وبالله التوفيق .

تفسيحات

الأول : هذا الحديث صحيح متفق عليه ، ولفظه :

قال أنس : سمعت النبي ﷺ يلبي بالحج والعمرة جميعاً ، يقول : « لبيك عمرة وحجاً ، . وعن أنس رضي الله عنه أيضاً قال : خرجنا فصرخ بالحج ، فلما قدمنا مكة أمرنا رسول الله ﷺ أن نجعلها عمرة ، وقال : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت لجعلتها عمرة ، لكنني سقت الهدي وقرنت بين الحج والعمرة » رواه الامام أحمد .

وفي « المسند » و « صحيح البخاري » ، و « سنن أبي داود » و « ابن ماجه » : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو بوادي العقيق يقول : « أتاني آت من ربي فقال : صل في هذا الوادي المبارك ، وقل : عمرة في حجة » ، وفي رواية للبخاري : « وقل عمرة وحجة » .

الثاني : التلبية سنة عند الامام أحمد ، والشافعي . قال في « الفروع » : لا أن الحج عبادة بدنية ، ليس في آخرها نطق واجب ، فكذا أولها ، كصوم ، بخلاف الصلاة .

قال : ويتوجه احتمال وجوب التلبية ، والاعتبار بما نواه ، لا بما سبق به لسانه ، وعند الامام الشافعي : انها واجبة في وجهه ، حكاه الماوردي عن ابن خيران ، وابن أبي هريرة ، وأنه يجب بتركها دم .

وقال الحنفية : إذا اقتصر على النية ولم يلب لا ينعقد إحرامه ، لأن الحج تضمن أشياء مختلفة فعلاً وتركاً ، فأشبهه الصلاة ، فلا يحصل إلا بالذكر في أوله . وقال المالكية : لا ينعقد الإحرام إلا بنية مقرونة بقول أو فعل متعلقين به ، كالتلبية والتوجه الى الطريق ، فلا ينعقد بمجرد النية ، وقيل : ينعقد ، قاله سند ، وصفة تلبيته صلى الله عليه وسلم كما تقدم : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك

لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ، ، وهو مروي عن الامام مالك .

قال في « الفروع » : الاحرام لا ينقذ إلا بنية ، وللشافعي قول ضعيف ينقذ بالتلبية ، ونية النسك كافية ، نص عليه ، يعني الامام أحمد ، وفاقاً لمالك والشافعي .

وفي « الانتصار » رواية : مع تلبية أو سوق هدي ، وفاقاً لأبي حنيفة . قال : واختارها شيخنا ، يعني شيخ الاسلام ابن تيمية ، وقاله جماعة من المالكية ، وحكى قولاً للشافعي ، وبعضهم حكى قولاً : يجب ، وحكى عن مالك وجماعة من الشافعية : يعتبر مع النية التلبية .

والمعتمد أن التلبية سنة لا واجبة ، ويسن ابتداؤها عقب إحرامه ، وذكر نسكه فيها ، وذكر العمرة قبل الحج للقصارن - فيقول : لبيك عمرة وحجاً - والاكثر منها ، ورفع الصوت بها .

ويسن الدعاء بعدها ، فيسأل الله الجنة ، ويعوذ به من النار ، ويدعو بما أحب ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

ومعتمد المذهب جواز الزيادة على تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقد روي الاثرم ، وابن المنذر ، وابن أبي شيبه : أنه كان من تلبية عمر رضي عنه : لبيك ذا النعماء والفضل الحسن ، لبيك مرغوباً ومرهوباً اليك .

الثالث : التمتع : أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج ويفرغ منها ، ثم يحرم بالحج من مكة أو قريب منها ، وسمي تمتعاً لتمتع صاحبه بمحظورات الاحرام بين النسكين ، وهذا الافضل عند الامام أحمد .

وعند الامام أبي حنيفة القرآن أفضل . وصفته : أن يحرم بالحج والعمرة معاً ، أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها

الحج قبل الشروع في طوافها ، إلا لمن معه الهدي ؛ فيصح ولو بعد السعي ويصير
قارناً ، ولا يعتبر لصحة إدخال الحج على العمرة الاحرام به في أشهره .

وعند الامام مالك والشافعي الافراد أفضل .
وصفته : أن يحرم بالحج مفرداً ، فإذا فرغ منه اعتمر عمرة الاسلام إن
كانت باقية عليه .

الرابع : اختلف الفقهاء في القارن ، هل يطوف طوافين ويسعى سعيين ،
أم يكفيه طواف واحد ؟

مذهب الائمة الثلاثة : يكفيه طواف واحد وسعي واحد ، وعمل العمرة
دخل في الحج ، كما يدخل الوضوء في الغسل .

ومذهب الامام أبي حنيفة : أنه يطوف طوافين ويسعى سعيين ، فيطوف
ويسعى للعمرة أولاً ، ثم يطوف ويسعى للحج ثانياً ، وإذا فعل القارن محظوراً
فعليه فديتان .

وقد روي مثل هذا عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما ، لكن الاحاديث
الصحيحة والأخبار الصريحة تبين أن سيد العالم صلى الله عليه وسلم إنما طاف
طوافاً واحداً وسعى سعيّاً واحداً .

كما في « الصحيحين » من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من كان معه هدي فليهل بالحج مع
العمرة ، ثم لا يحل منها جميعاً » . وقالت فيه : فطاف الذين كانوا أهلوا بالعمرة
بالبيت ، وبين الصفا والمروة ، ثم طافوا طوافاً آخر بعد أن رجعوا من منى
لحجهم . قالت : وأما الذين جمعوا الحج والعمرة ؛ فأنما طافوا طوافاً واحداً .

وفي « مسلم » عنها ، أنه قال لها رسول الله ﷺ : « يسعك طواف لحجك
وعمرتك » .

وفي « الصحيحين » أنه ﷺ قال لها: « يسمك لحجك وعمرتك ، يكفيك طوافك لحجك وعمرتك ، قد حملت من حجك وعمرتك جميعاً ... » الحديث .
وقد صح عنه ﷺ أنه قال : « دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة »
وإذا دخلت في الحج لم تحتج الى عمل زائد على عمله ، كما إذا دخل الوضوء في الغسل ، والله علم .

الحديث التاسع عشر

٦٤ — ثنا هشيم قال : أنبأنا حميد ، عن ثابت ، عن أنس ، واظنني قد سمعته من أنس أن رسول الله ﷺ مرَّ برجل يسوق بدنة فقال : اركبها ، قال : إنها بدنة . قال : اركبها ، مرتين أو ثلاثاً .

قال رضي الله عنه (ثنا هشيم قال : أنبأنا حميد) الطويل (عن) أبي محمد (ثابت) البناني ، بن أسلم ، تابعي ، من أعلام البصرة وثقاتهم ، اشتهر بالرواية عن أنس بن مالك ، وصحبه أربعين سنة .

وروى عن ابن عمر ، وابن الزبير ، وأبي بردة الأسدي ، وعمر بن أبي سلمة وغيرهم .

وروى عنه شعبة ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، وحميد الطويل وغيرهم .
وكان محدثاً إماماً ثقة حافظاً مأموناً صحيح الحديث .

قال أبو حاتم : أثبت أصحاب أنس ، الزهري ، ثم ثابت ، ثم قتادة .

قال بكر بن عبد الله المزني : من أراد أن ينظر الى أعبد أهل زمانه ،
فليُنظر الى ثابت البناني ، فما أدركنا الذي هو أعبد منه .
وقال ثابت قدس الله روحه : كابدت الصلاة عشرين سنة ، وتعمت بها
عشرين سنة .

وكان يصلي في كل ليلة ثلاثمائة ركعة ، فإذا أصبح ضمدت قدماه ، فبأخذها
بيده فيمصرها ثم يقول : مضى العابدون ، وقطع بي ، والنفاه .
وكان يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ، ويصوم الدهر .
وقال له أنس بن مالك رضي الله عنه : ما أشبه عينيك بعيني رسول الله ﷺ ،
فما زال يبكي حتى عمشت عيناه . واشتكى ثابت عينه ، فقال له الطبيب : اضمن لي
حصلة تبرأ عينك . قال : لا تبك . قال : وما خير عين لا تبكي ؟ وكان يقول :
ما شيء أجده في قلبي ألذّ عندي من قيام الليل . وقال ابنه : ذهبت ألقين أبي
وهو في الموت ، فقلت : يا أبة ! قل : لا إله إلا الله ، فقال : يا بني خل عني ، فاني في
وردي السادس أو السابع . وقال جسر : أنا - والله الذي لا إله إلا هو - أدخلت ثابتاً
البناني لحده ومعي حميد الطويل ، فلما سويّنا عليه سقطت لَبِنَةٌ ، وإذا أنا به يصلي
في قبره ، فقلت للذي معي : ألا ترى ؟ فقال : اسكت ، فلما فرغنا أتينا ابنته ،
فقلنا لها : ما كان عمل ثابت . قالت : ما رأيتم ، فأخبرناها . قالت : كان يقوم
الليل خمسين سنة ، فإذا كان السحر قل في دعائه : « اللهم إن كنت أعطيت أحداً
من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها .

مات ثابت سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وقيل : سبع وعشرين ، وله ست
وثمانون سنة (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه ، وهذا الحديث بهذا السند على
هذا النمط ليس هو من الثلاثيات ، وإنما يكون من الثلاثيات باعتبار قول حميد
الطويل (وأظني قد سمعته) أي الحديث الآتي ذكره (من أنس) بن مالك من

غير واسطة ثابت النباني رحمه الله تعالى (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ
برجل) .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : لم أقف على تسميته ، ولم يتعرض له
البرماوي في « مهبات العمدة » ، وبيض له جلال الدين البلقيني في « مهبات
البخاري » من حديث أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما (يسوق بدنة) زاد
مسلم : مقلدة بقلادة في عنقها . قال الجوهري : التقليد أن يعلق في العنق شيء
ليعلم أنها هدي .

والبدنة تقع على الجمل والناقة ، والبقرة وهي بالابل أشبه ، وكثير استعمالها
فيما كان هدياً .

وفي « المطلع » : قال كثير من أهل اللغة : البدنة تطلق على البعير والبقرة .
وقال الأزهري : تكون من الابل والبقر والغنم .
وقال صاحب « المطالع » ، وغيره : البدنة والبدن ، هذا الاسم يختص بالابل
لعظم أجسامها .

وللمفسرين في قوله تعالى : والبدن جعلناها لكم ،^(١) ثلاثة أقوال :

أحدها . أنها الابل ، وهو قول الجمهور .

الثاني : أنها الابل والبقر ، قاله جابر وعطاء .

الثالث : أنها الابل والبقر والغنم .

ومعتمد مذهب الامام أحمد أنه إذا نذر بدنة وأطلق أجزأته بقرة . وإن
نوى شيئاً لزمه مانواه ، ولا بد في أجزاء البدنة الواجبة من الابل أن تكون تم
لها خمس سنين ودخلت في السادسة ، وأن تكون بصفة ما يجزىء في الأضحية ،
ومن البقر حيث أجزأت عن البدنة أن تكون تم لها سنتان وطعنت في الثالثة .

(١) سورة الحج ، الآية : ٣٦

(فقال) صلى الله عليه وسلم للرجل الذي يسوقها : (اركبها) لتخالف
بركوبك لها الجاهلية في ترك الانتفاع بالسائبة ، والوصيلة ، والحام .
واوجب بعضهم ركوبها لهذا المعنى عملاً بظاهر الأمر ، وحمله الجمهور على
الارشاد لمصلحة دنيوية ، واستدلوا بأنه صلى الله عليه وسلم أهدي ولم يركب ،
ولم يأمر جميع الناس بركوب الهدايا ، وجزم علماءنا أن له الركوب لحاجة فقط
بلا ضرر ، ويضمن نقصها إن نقصت .

قال في « الفروع » : وله ركوبه ، أي الهدى لحاجة ، وعنه ، أي عن الامام
أحمد مطلقاً ، أي لحاجة وغيرها . قطع به في « المستوعب » و « الترغيب » وغيرهما
بلا ضرر ، ويضمن نقصه . قال : فظاهر « الفصول » وغيره إن ركبه بمعد
الضرورة ونقص . انتهى .

وجزم النووي من الشافعية في « الروضة » كأصلها بجواز الركوب مطلقاً ،
ونقله في « المجموع » عن القفال والماوردي ، ونقل فيه عن أبي حامد وغيره
تقييده بالحاجة ، كعمد مذهبنا ، ودليله ما أخرجه الامام أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ،
والنسائي من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « اركبها بالمعروف إذا أُلحيت
إليها حتى تجد ظهراً » ، فهذا خبر صحيح مقيد ، والمقيد يقضي على المطلق ، ولأنه
شبه خرج عنه لله فلا يرجع فيه ، ولو أبيع النفع لغير ضرورة أبيع استئجاره ،
ولا يجوز ذلك اتفاقاً .

(قال) : وفي لفظ : فقال الرجل : (إنها بدنة) أي هدي (قال) : وفي
لفظ : فقال ، زيادة الفاء : (اركبها) كرر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، يعني
أمر الرجل بركوب بدنته (مرتين أو ثلاثاً) من المرات ، كذا في « صحيح مسلم »
بالشك . وقال البخاري : ثلاثاً من غير شك ، وفي آخرها قال : اركبها ، ويملك ،
قالها في الثانية أو الثالثة .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما رجل يسوق بدنة مقلدة ، قال له رسول الله ﷺ : « ويلك اركبها » . فقال : بدنة يارسول الله ؟ قال : « ويلك اركبها ، ويلك اركبها » .

قال أبو هريرة رضي الله عنه كما في « البخاري » : فلقد رأيته راكبها يسائر النبي ﷺ .

قوله ﷺ للرجل : « ويلك » بالنصب على الفعل المطلق بفعل من معناه محذوف وجوباً ، أي ألزمه الله ويلا ، وهي كلمة تقال لمن وقع في الهلاك ، أو لمن يستحقه ، أو هي بمعنى الهلاك ، أو المشقة من الحزن أو العذاب ، أو وادٍ في جهنم أو بشر فيها ، أو باب لها ، أقوال .

وإنما دعا بها النبي ﷺ على الرجل ، لعدم مبادرته وامتنال أمره ، تأديباً لأجل مراجعته له مع عدم خفاء الحال عليه ، ويحتمل أنها إنما جرت على لسانه ﷺ على ما اعتيد في لغة العرب في مخاطبة بعضهم بعضاً من غير قصد لموضوعها ، كما في : « تربت يداك » ونظائرها .

وقيل : إن الرجل كان قد أشرف على الهلاك من الجهد ، وكلمة ويل تقال لمن أشرف على الهلاك أو وقع في هلكة ، فالمعنى : أشرفت على الهلاك فاركب ، فهي على هذا إخبار .

وفي حديث أنس أيضاً عند الامام أحمد ، والنسائي : أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة ، وقد أجهد المشي . فقال : « اركبها » ، قال : إنها بدنة ، قال : « اركبها » ، قال : إنها بدنة ، فقال له ﷺ في الثالثة أو الرابعة : « اركبها ويحك أو ويلك » ، رواه الترمذي ، وهو في « البخاري » في باب هل ينتفع الواقف بوقفه ، كذلك ، والله أعلم .

الحديث العشرون

٦٥ — ثنا معتمر بن سليمان قال : قال أبي : حدثنا أنس ، حسبته قال : عطس عند النبي ﷺ رجلان ، فشمت أحدهما ، أو قال : سممت ، وترك الآخر ، فقليل : رجلان عطس أحدهما فشمت ولم يُشمت الآخر . فقال : إن هذا حمد الله .

قال رضي الله عنه : (ثنا معتمر بن سليمان) بن طرخان التيمي البصري
الامام القدوة الحافظ .

روى عن أبيه ، وخالد الحذاء ، وعبد الملك بن عمير ، ومنصور بن المعتمر .
وروى عنه الامام احمد بن حنبل ، وإسحق بن راهويه ، وعلي بن المديني ،
والقنبي ، ويحيى بن معين ، وخلق .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وثمانين ومائة .

(قال) المعتمر (قال أبي) سليمان بن طرخان ، بفتح الطاء المهملة والراء
وبالخاء المعجمة فنون قبلها ألف ، وتقدم ترجمته في الحديث الثاني من « مسند
أنس » رضي الله عنه .

(حدثنا أنس) بن مالك رضي الله عنه (حسبته) وفي رواية شعبية ، عن
سليمان التيمي هذا ، قال : سممت أنساً (قال : عطس) بفتح الطاء المهملة في الماضي
وبكسرها وضمها في المضارع (عند النبي صلى عليه وسلم رجلان) تقدم أنهما
عامر بن الطفيل وابن أخيه (فشمت) النبي ﷺ (أحدهما) بالشين المعجمة (أو
قال : سممت) أحدهما بالسين المهملة (وترك الآخر) لم يشمته .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري في «الأدب المفرد»
 وصححه ابن حبان ، أحدهما أشرف من الآخر ؛ وإن الشريف لم يحمده (فقيلا)
 أي قال العاطس الذي لم يحمده ، كما وقع في حديث أبي هريرة المذكور ، ولفظه :
 فسأله الشريف ، هما (رجلا : عطس أحدهما فشمت) بضم الشين المعجمة ،
 وكسر الميم المشددة مبنياً لما لم يسم فاعله (ولم يُشمت) بضم الياء المثناة تحت
 وفتح الشين المعجمة والميم مبنياً للمجهول (الآخر) بالرفع نائب الفاعل ، أي إنك
 شمت أحداً دون الآخر ، يعني دوني ، يعني ما السبب الحامل على هذا الفرق
 بيننا ؟ (فقال) ﷺ : (إن هذا) الذي شتمته (حمد الله) تعالى عقب أن عطس ،
 فشتمته ، وهذا لم يحمده فلم أشتمته .

وتقدم الكلام على هذا الحديث في الحديث الثاني من «مسند أنس»
 ابن مالك رضي الله عنه ، وإنما أعاده هنا لاختلاف شيخه فيه ، فشيخ الإمام أحمد
 رضي الله عنه في الحديث المذكور أولاً ، إسماعيل بن عليّه ، وشيخه في هذا
 معتمر بن سليمان ، والله الموفق .

الحديث الحادي والعشرون

٦٦ - ثنا معتمر ، عن حميد ، عن أنس ، قال : كان
 رسول الله ﷺ ، يحب أن يليه المهاجرون والانصار في
 الصلاة .

قال رضي الله عنه ، (ثنا معتمر) بن سليمان التيمي (عن حميد) الطويل
 (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : كان رسول الله ﷺ يحب أن

يليه) أي يقرب منه (المهاجرون والأنصار في الصلاة) وتام الحديث عن
الامام أحمد ، وابن ماجه ، والحاكم : « ليأخذوا عنه » . وفي بعض ألفاظه :
« ليحفظوا عنه » أي فروضها وأبماضها وهيأتها ، فيرشدون به الجاهل ، وينبهون
الغافل ، وحببه ﷺ للشيء ، إما باخباره للصحابي انه يحبه ، وهذا الظاهر ، أو علم
الصحابه رضي الله عنهم محبته لذلك بقريته .

وقد روى الامام احمد ، ومسلم ، وأصحاب « السنن » من حديث ابن
مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « ليلني منكم أولو الاحلام والنهي ،
ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، وإياكم وهيئات الاسواق » .

وروى الامام أحمد ، ومسلم والنسائي ، وابن ماجه عن ابن مسعود أيضاً
رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسبح مناكبنا في الصلاة ويقول :
« استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، ليلني منكم أولو الاحلام والنهي ، ثم
الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

قوله ﷺ : « ليلني » هو بكسر اللامين بينهما ياء مشاة تحت مفتوحة ، ثم
نون مخففة من غير ياء قبل النون ، ويجوز إثبات الياء مع تشديد النون للتأكيد
ومن حق هذا اللفظ أن يحذف منه الياء ؛ لانه على صيغة الامر ، وقد وجد
بإثبات الياء وسكونها في سائر كتب الحديث ، والظاهر أنه غلط .

وأولو الاحلام : هم العقلاء البالغون .
والنهي بضم النون : جمع نهية بالضم العقل ، سمي بذلك لأنه ينهى عن
القبائح .

قال ابن سيد الناس : الاحلام والنهي : بمعنى واحد ، وهي العقول . وقال
بعضهم : المراد بأولي الاحلام البالغون ، وبأولي النهي العقلاء .
وفي « النهاية » ، أي ذوو الالباب ، واحدها حلم بالكسر ، كأنه من

الحسلم الذي هو الأثانة والتثبت في الأمور ، وذلك من شعار العقلاء ، والنهي :
العقول .

وقوله : ثم الذين يلونهم ، أي يقربون منهم في هذا الوصف ، كالمراهمين ،
ثم الصبيان المميزين .

وقوله : وإياكم وهبشات الاسواق ، هو بفتح الهاء وسكون التحتية
وإعجام الشين .

والأسواق جمع سوق ، أي اختلاطها ، والمنازعة فيها والخصومات واللغط
فيها ، والفتن التي تقع فيها ، وارتفاع الأصوات من أهلها .

وقال الخطابي : هي ما يكون في الاسواق من الجلبة ، وارتفاع الاصوات ،
وما يحدث فيها من الفتن ، وأصله من الهوش ، وهو الاختلاط .

وقوله : ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم . قال في « النهاية » : أي اذا تقدم
بعضهم على بعض في الصف ؛ تأثرت قلوبهم ، ونشأ الخلف ، أي عن التواد
والألفة . الى التباغض والعداوة .

وروى مسلم وأصحاب « السنن » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ،
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في أصحابه تأخراً ، فقال لهم : « تقدموا
فأتموا بي ، وليأتم بكم من وراءكم ، ولا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله
عز وجل » .

وروى أبو داود في « سننه » من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ،
وصححه الحاكم وابن خزيمة ، أن رسول الله ﷺ قال : « أقيموا الصفوف ،
وحاذوا بين المناكب ، وسدوا الخلل ، ولا تذروا فرجات للشيطان ،
ومن وصل صفاً وصله الله ، ومن قطع صفاً قطعه الله » ، ورواه الامام أحمد
والطبراني وغيرهم .

(فروع) :

الأول : إذا اجتمع في الصلاة أنواع ، سن تقديم رجال أحرار ، ثم عبيد ، الأفضل فالأفضل ، ثم صبيان كذلك ، ثم خنثى كذلك ، ثم نساء .
وان وقفت المرأة مع رجال ، لم تبطل صلاة من يليها ومن خلفها ، خلافاً للحنفية . وفي رواية تبطل . وقيل : وصلاة من هو أمامها ، ولا تبطل صلاتها اتفاقاً . وعند الحنفية لما أمر الرجل قصداً بتأخيرها ، فترك الفرض ؛ بطلت صلاته ، ولما أمرت هي ضمناً ؛ أثمت فقط .

قال في « الفروع » : فزادوا على الكتاب فرضاً بخبر واحد ، واعتذروا بأنه مشهور ؛ فيلزمهم فرضية الفاتحة والطمأنينة وغير ذلك ، والصف التام من النساء ، لا يمنع اقتداء من خلفهن من الرجال ، خلافاً للحنفية ؛ فتبطل صلاتهم عندهم ، ولو كانوا مائة صف لتأكد إساءتهم في الموقف ، بخلاف امرأة في صف رجال ، فإن أبا يوسف ومحمداً أبطلا صلاة اثنين عن جنبيهما ، وثالث خلفها يحاذيها .

وفي « مسند الإمام أحمد » : كان صلى الله عليه وسلم يجعل الرجال قدام الغلمان ، والغلمان خلفهم ، والنساء خلف الغلمان .

ولأبي داود عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه : ألا أحدثكم بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : فأقام الصلām ، وصف الرجال ، وصف خلفهم الغلمان ، ثم صلى بهم ، فذكر صلاته .

الثاني : يسن للإمام أن يسوي الصفوف بمحاذاة المناكب والأكتف ، دون أطراف الأصابع ، فإلتفت عن يمينه قائلاً : اعتدلوا وسووا صفوفكم .
وفي « المغني » ، للإمام الموفق وغيره : يقول : استووا رحمكم الله تعالى ، وعن يساره كذلك ؛ لأن تسوية الصف من تمام الصلاة .

قال الامام أحمد رضي الله عنه : ينبغي أن تقام الصفوف قبل أن يدخل الامام ، ويسن أن يكمل الأول فالأول ، وتراص المأمومين ، وسد خلل الصفوف ، فلو ترك القادر الصف الأول فالأول ، كره ، وظاهر كلام علمائنا يحافظ على الصف الأول وإن فاته ركعة ، لا إن خاف فوت الجماعة ، وكلما قرب من الامام فهو أفضل ، وكذا قرب الأفضل ، وقرب الصف من الامام أفضل ، وللافضل تأخير المفضول ، كالصبي لا البالغ ، والصلاة مكانه ، لأن أبيتاً رضي الله عنه نحى قيس بن عباد وقام مكانه ؛ فلما صلى قال : يا بني لا يسوؤك الله ، فاني لم آتتك الذي أتيت بجمالة ، ولكن رسول الله ﷺ قال : « كونوا في الصف الذي يليني » . وإني نظرت في وجوه القوم فمرقتهم غيرك ، رواه الامام أحمد ، والنسائي بإسناد جيد .

الثالث : الصف الأول ما يقطعه المنبر وفقاً ، يعني أول صف يلي الامام سواء قطعه المنبر أو لا ، وقيل : أول صف قام يلي الامام لا ما تخلله شيء فقطعه ، كمنبر ومقصورة ، وقيل : المراد به من يسبق إلى الصلاة ، ولو صلى آخر الصفوف ، قاله ابن عبد البر .

قال النووي : القول الأول هو الصحيح ، وبه صرح المحققون ، والقولان الأخيران غلط صريح . انتهى .

قال العلماء في الحظ على الصف الأول : المسارعة إلى خلاص الذمة ، والسبق لدخول المسجد ، والقرب من الامام ، واستماع قراءته ، والتعلم منه ، والفتح عليه ، والتبليغ عنه ، والسلامة من اختراق المارة بين يديه ، وسلامة البال من رؤية من يكون قدأمه ، وسلامة موضع سجوده من أذيال المصلين . وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعلم الناس ما في النداء والصف الاول ، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا » .

وروى الامام أحمد باسناد لا بأس به ، والطبراني وغيره ، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله وملائكته يصلون على الصف الاول » . قالوا : يا رسول الله ، وعلى الثاني ؟ قال : « إن الله وملائكته يصلون على الصف الاول » . قالوا : يا رسول الله ، وعلى الثاني ؟ قال : وعلى الثاني . وقال صلى الله عليه وسلم : « سوا صفوفكم ، وحاذوا بين مناكبكم ، واينوا في أيدي إخوانكم ، وسدوا الخلل ، فإن الشيطان يدخل فيما بينكم بمنزلة الحذف » . يعني أولاد الضأن الصغار .

والحذف : بالحاء المهملة والذال المعجمة مفتوحين وبمدهما فاء .

وفي « ابن ماجه » و « النسائي » و « صحيح ابن خزيمة » و « الحاكم وصححه » ، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : كان يستغفر للصف المقدم ثلاثاً ، ولثاني مرة .

ولفظ النسائي ، كابن حبان : كان يصلي على الصف الاول مرتين . وفي لفظ : كان يصلي على الصف المقدم ثلاثاً ، وعلى الثاني واحدة .

وروى الامام أحمد باسناد جيد ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنها ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله وملائكته يصلون على الصف الاول ، أو الصفوف الأول » .

الرابع : تسوية الصف من تمام الصلاة ، كما في « الصحيحين » من حديث أنس مرفوعاً ، ولفظه : قال صلى الله عليه وسلم : « سوا صفوفكم ، فإن تسوية الصف من تمام الصلاة » .

وفي رواية البخاري : « فأت تسوية الصفوف من إقامة الصلاة » . وقد ترجم البخاري في « صحيحه » باب إثم من لم يتم الصفوف . قال ابن رشد المالكي : أورد فيه حديث أنس : ما أنكرت شيئاً إلا أنكم لا تقيمون الصفوف ، يشير إلى حديث بشير بن يسار ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قدم المدينة . فقال له : ما أنكرت منا منذ يوم عهدت رسول الله ﷺ ؟ قال : ما أنكرت شيئاً إلا أنكم لا تقيمون الصفوف ، أخرجه البخاري ، وتعقب بأن الإنكار قد يقع على ترك السنة ، فلا يدل ذلك على حصول الإثم .

والمراد بإقامة الصفوف وتسويتها ؛ اعتدال القائمين بها على سمت واحد ، ويراد بها أيضاً سدّد الخلل الذي في الصف ، وقد أوجبها بعضهم ، ومع القول بأن التسوية واجبة ؛ فصلاة من خالف ولم يستو صحيحه ؛ لاختلاف الجهتين ، ويؤيد ذلك أن أنساً مع إنكاره عليهم لم يأمرهم بإعادة الصلاة ، وأفرط ابن حزم الظاهري فجزم بالبطلان ، ورد عليه بأنه خرق للاجماع ؛ فقد نقل بعضهم الاجماع على عدم الوجوب ، ونوزع مدعي الاجماع بما صح عن عمر أنه ضرب قدم أبي عثمان النهدي لإقامة الصف ، وبما صح عن سويد بن عقلة قال : كان بلال يسوي منا كبنا ، ويضرب أقدامنا في الصلاة ، وبأن عمر وبلالاً ما كانا يضربان أحداً على ترك غير الواجب ، وفيه نظر ؛ لجواز أنها كانا يريان التعزير على ترك السنة ، والله أعلم .

الحديث الثاني والعشرون

٦٧ — ثنا معتمر ، عن حميد عن أنس قال : لم يكن في رأس رسول الله ﷺ ولحيته عشرون شعرة بيضاء ، وخضب أبو بكر بالحناء والكم ، وخضب عمر بالحناء .

قال رضي الله عنه : (ثنا معتمر) بن سليمان التيمي (عن حميد) الطويل
(عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : لم يكن في) شعر (رأس رسول الله
صلى الله عليه وسلم و) شعر (لحيته) الشريفة (عشرون شعرة بيضاء) .

اعلم ان الناس تكلموا على شبيهه صلى الله عليه وسلم ، ويدينوا ما هو الصحيح
من ذلك ، وقد ورد في ذلك عدة أخبار . فأخرج الترمذي في « الشمائل النبوية »
عن ابن أمير المؤمنين عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنها ، قال : كان
شبيهه صلى الله عليه وسلم نحو عشرين شعرة بيضاء في مقدمه . ورواه ابن ماجه
في « سننه » .

وفي رواية ابن سعد : لم يبلغ ما في لحيته ﷺ من الشيب عشرين شعرة .
وفي « مسلم » من حديث أنس رضي الله عنه ، وقد سئل ، هل خضب
رسول الله ﷺ ؟ إنه لم ير من الشيب إلا قليلاً . وفي رواية : لم يبلغ ما يخضب ،
وذلك لأن المادة أن القليل من الشعر الأبيض إذا بدا في اللحية لم يبادر الى
خضبه حتى يكثر ، ومرجع الكثرة والقلة في ذلك الى العرف .

وفي « مسلم » عن عاصم الأحول ، عن ابن سيرين ، عن أنس رضي الله
عنه ، هل كان رسول الله ﷺ خضب ؟ قال : لم يبلغ الخضب ، كان في لحيته
شعرات بيض .

وفيه عن ثابت البناني قال : سئل أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن
خضاب رسول الله ﷺ ، فقال : لو شئت أن أعد شمطات ^(١) كن في رأسه
فعلت . قال : ولم يخضب . ورواه في « البخاري » وقال : في لحيته بدل رأسه .
وفي « مسلم » عنه : إنما كان البياض في عنقه ^(٢) ، وفي الصدغين ،

(١) الشمط : بفتحين ، بياض شعر الرأس يخاطله سواد ، والرجل أشط .

(٢) العنفة : شعرات بين الشفة السفلى والذقن .

والرأس نبذ (١) . ورواه « البخاري » إلا أنه لم يذكر العنفة من حديث أنس ، ولا ذكر النبذ .

وفي « مسلم » أيضاً ، عن أبي جحيفة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه منه بيضاء ، ووضع بعض أصابعه على عنفته . وجاء في رواية : كان شبيهه صلى الله عليه وسلم لا يزيد على عشر شعرات . وفي رواية : أربع عشرة شعرة . وفي أخرى عشر .

وأخرج البخاري في « صحيحه » عن جرير بن عثمان أنه سأل عبد الله ابن بسر صاحب النبي ﷺ ، قال : رأيت النبي ﷺ كان شيخاً ؟ قال : كان في عنفته شعرات بيض . فمقتضى حديث عبد الله هذا أن شبيهه ﷺ كان لا يزيد على عشر شعرات ؛ لا يراده بصيغة القلة . وأوماً حميد في روايته الى عنفته سبع عشرة . وروي أيضاً عن ثابت ، عن أنس قال : ما كان في رأس رسول الله ﷺ ولحيته إلا سبع عشرة ، أو ثمان عشرة . وروي ابن خيثمة عن أنس قال : لم يكن في لحية رسول الله ﷺ عشرون شعرة بيضاء . قال حميد : كن سبع عشرة . وروي الحاكم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن أنس قال : لو عددت ما أقبل من شبيهه ﷺ في رأسه ولحيته ، ما كنت أزيدهن على إحدى عشرة . وقد جمع البدر العيني في « شرح البخاري » بين الروايات بأنها تدل على أن شعراته البيض لم تبلغ عشرين شعرة . والرواية الأخرى توضح أن ما دون العشرين كان سبع عشرة ، فتكون العشرة على عنفته والزائد عليها في بقية لحيته لأنه قال : لم يكن في لحية رسول الله ﷺ عشرون شعرة بيضاء ، واللحية : تشمل العنفة وغيرها . وكون العشرة على العنفة ؛ بحديث عبد الله بن بسر ، والبقية بالأحاديث الأخرى في بقية لحيته . وحاصل ما اعتمده - غيره - أنها سبع عشرة شعرة ، منها

(١) أي شيء يسير من الشيب .

عشرة على العنقفة، وسبعة في بقية لحيته . وإذا كان شبيهه صلى الله عليه وسلم هذا قدره ؛ لم يخضب ، لأن العادة أن الشيب القليل لا يبادر الى خضبه حتى يكثر ، ومرجع الكثرة والقلة في ذلك الى العرف .

(و) لكن (خضب أبو بكر) الصديق رضي الله عنه (بالحناء) - بالمد والتشديد شجر معروف - وهو جمع ، واحده حنأة ، وقال الفراء : جمع الحناء : حنآن - بالكسر - يقال : حنأت رأسي - مهموزاً - وحنأه تحنيئاً وتحنئة .

واليرثأ - بضم التحتية وفتح الراء ممدودة - يقال : يرثأ ، أي صبغ باليرثأ ؛ وهو الحناء ، وهو نبت كالسدر ببلاد العرب - بالعين المهملة - وهو كثير معروف ببلاد مصر وغيرها ، ورقه شبيه بورق الآس ، يؤخذ في كل عام مرتين ، وأصله يسمى البلند - كسمند - ونوره أبيض . وإذا أطلقت الفاغية ، فالمراد زهره ، والحناء ، فورقه ، وليس لميدانه نفع . وأجوده الخالص الحديث ، وتبطل قوته بعد أربع سنين . ولا يمكن سحقه بدون الرمل ، فينبغي ترويقه عند استعماله ، وليس في الخضبات أكثر سريناً منه ؛ إذا خضبت به الرجل أو اليد اشتدت حمرة البول بعد عشرة درج ، فبذلك يطرد الحرارة ، ويفتح السدد ، وهو يصلح الشعر خصوصاً بالكسفرة (١) والزفت .

فائدة : نقل الامام ابن القيم في «الهدى» وابن مفلح في «الآداب الكهري» وسبط ابن الموصفي في «الروضة الغناء في منافع الحناء» وغيرهم : ان الحناء إذا خضب به أسفل الرجلين أول خروج الجدرى ؛ أمن على العيين منه . وقال داود الانطاكي في «تذكرته في الطب» : إن الحناء إذا جعل بماء الورد ويسير المصفر والزعفران ، ولطخ به أسفل الرجلين عند مبادئ الجدرى ؛ حفظ العين منه . (والكنم) بفتح الكاف والتاء المشددة ، والمشهور التخفيف كما في «نهاية ابن الأثير» - وهو : نبت يخلط مع الوسمه ويصبغ به الشعر ، وقيل : هو الوسمه . (١) كذا في الاصل وفي «القاموس» : الكزبرة : من الابازير ، والكسبرة : نبات الجملجان .

قال في « النهاية » : ويشبه أن يقال : استعمال الكتم مفرداً من الحناء ، قال : لأن الحناء إذا خضب به مع الكتم جاء أسود ، وقد صح النهي عن السواد . قال : فعمل الحديث بالحناء أو الكتم على التأخير ، ولكن الروايات على اختلافها بالحناء والكتم . انتهى .

وفي « القاموس » : الكتم محرّكة - والكتمان - بالضم - نبت يخلط بالحناء ، ويخضب به الشعر ، فيبقى لونه . قال : وأصله إذا طبخ بالماء كان منه مداداً للكتابة . وفي « لغة الاقناع » للشيخ موسى الحجاوي : الكتم - بفتحين - نبت فيه حمرة ، يخلط بالوسمة ويخضب به للسواد ، وقد قيل : هو الوسمة . وفي « كتب الطب » : انه نبات الجبال ، ورقه كورق الآس ، يخضب به مدقوقاً ، وله ثمر قدر الفلفل ويسود إذا نصح ، وقد يعتصر منه دهن يستصبح به في البوادي . انتهى . وفي هذا ما يدل على خلاف ما في « النهاية » كما هو مشاهد معلوم ؛ فالصديق الأعظم كان يخضب بالحناء والكتم معاً . قال في « الفتح » : والكتم نبات باليمن يخرج الصبغ ، أسود يميل الى الحمرة ، وصبغ الحناء أحمر ، فالصبغ بهما معاً يخرج بين السواد والحمرة . انتهى .

(وخضب) أمير المؤمنين (عمر) بن الخطاب رضي الله عنه (بالحناء) وحده من غير كتم . وفي « صحيح مسلم » من حديث أنس رضي الله عنه قال : اختضب أبو بكر بالحناء والكتم ، واختضب عمر بالحناء بحتاً ، قال في « الفتح » قوله : بحتاً - بموحدة مفتوحة وحاء مهملة ساكنة بعدها مثناة - أي صرفاً . فهذا يشعر بأن أبا بكر كان يجمع بين الحناء والكتم دائماً .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أنس أيضاً قال : قدم النبي ﷺ المدينة وليس في أصحابه أشمط غير أبي بكر ، فغلفها بالحناء والكتم . زاد في حديث آخر : حتى قنأ لونها . وقال فيه : فكان أسن أصحابه أبو بكر

قوله: أشمط: أي شعره بياض وسواد، وثوب أشمط: ملون بالبياض والسواد. وقول أنس في الحديث الذي تقدم آنفاً: لو شئت أن أعد شمطات لحيته، يعني النبي صلى الله عليه وسلم، أي لفعلت. المراد بالشمطات: الشعرات التي ظهر فيهن البياض، فكان الشعر البياض مع ما يجاورها من شعرة سوداء ثوب أشمط.

وقوله: حتى قنا لونها، أي احمر. يقال: قنا لونها يقنوا قنوا وهو أحمر قانيء، قال في «القاموس»: صوابه بالهمز، وهم الجوهر في جملة إياه من المقصور. يقال: قنا - كمنع - قنوا، اشتدت حمرة.

تنبيهان

الأول: اختلف العلماء في خضابه صلى الله عليه وسلم وعدمه؛ لا اختلاف الأحاديث الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم؛ ففي «الصحاحين» عن أنس رضي الله عنه وقد سأله ابن سيرين أخضب النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: لم يبلغ من الشيب إلا قليلاً. وفي رواية: لم يبلغ ما يخضب. وفي لفظ عند الترمذي في «المعجم»: لم يبلغ ذلك إنما كان شيباً. وفي لفظ: شيئاً، أي يسيراً في صدغيه. وفي لفظ في «الصحاحين» من حديثه أيضاً: لو شئت أن أعد شمطات لحيته، أي لفعلت، أو لعدتها. زاد مسلم: ولم يخضب صلى الله عليه وسلم. وفي «البخاري ومسلم» أيضاً، عن أنس أيضاً رضي الله عنه قال: يكره أن ينتف الرجل الشعر البياض من رأسه ولحيته. قال: ولم يخضب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إنما كان البياض في عنقه، وفي الصدغين، وفي الرأس نبذ^(١). ولم يذكر البخاري العنفة من حديث أنس، ولا النبذ. وفي «مسلم» عن أنس أيضاً: وسئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ما شأنه الله ببيضاء؛ المنفي البياض المؤدي إلى الشين: المستفاد من قوله: ما شأنه الله، أي بلحية بيضاء ونحوه، أي لم يغير شيبه شيئاً من حسنه. وفي لفظ: ما شأنه الشيب. وفي آخر: بالشيب.

(١) أي شيء يسير من الشيب.

فهذه الاخبار تدل صريحاً وظاهراً ومفهوماً على أنه ﷺ لم يخضب .
وروى الترمذي في « الشائل النبوية » من حديث أبي رمنة رضي الله عنه :
ورأيت الشيب - أي من لحية رسول الله ﷺ - أحمر . فيحتمل ان احمراره
لقربه من البياض ؛ فان الشعر اذا قرب شيبه ضرب الى الحمرة ، أو بسبب
الخضاب ، وهو المناسب لذكره في باب الخضاب . قال الترمذي : هذا أحسن شيء
روي في هذا الباب ، وأفسر ، أي أكشف وأبين ، لأن الروايات الصحيحة أن
النبي ﷺ لم يبلغ الشيب انتهى كلام الترمذي . وروي في « الشائل » أيضاً :
سئل أبو هريرة رضي الله عنه : هل خضب رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . قال
الترمذي : وروى أبو عوانة عن أم سلمة - قلت : وكأن الترمذي أشار بهذا الى
ما في « الصحيحين » وغيرهما من حديث عبد الله بن موهب - قال : « دخلت على أم
سلمة رضي الله عنها ، فأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ مخضوباً » . هذا
لفظ البخاري . وزاد ابن ماجه والامام أحمد : بالحناء والكتم . وفي رواية : كان
مع أم سلمة من شعر لحية النبي ﷺ مخضوباً . وفي لفظ : إن أم سلمة أرتته شعر
رسول الله ﷺ أحمر . وهو في « الصحيحين » وغيرهما . عن عثمان بن عبد الله
ابن موهب قال : أرسلني أهلي الى أم سلمة بقدر من ماء فيه شعر من شعر النبي ﷺ
وكان اذا أصاب الانسان عين أو شيء بعث اليها الخضبة ، يعني إناء من الألوان .
قال : فاطلمت في الجللجل - أي بجيمين مضمومتين بينها لام وآخره أخرى :
شبيه شبه الجرس - قال : فرأيت شعرات حمراً . وفي رواية : مخضوباً . قال
الاسماعيلي : ليس في هذا أن النبي ﷺ هو الذي خضبه ؛ بل يحتمل أن يكون
احمر بعده لما خالطه من طيب فيه صفرة ، فغلقت به الصفرة . قال : فان كان
كذلك ، وإلا فحديث أنس أن النبي ﷺ لم يخضب أصح . كذا قال . والذي
أبداه احتمالاً ؛ رواه مسلم موصولاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه : بأن شعر
النبي صلى الله عليه وسلم إنما احمر من الطيب .

قال في « الفتح » : وكثير من الشعور التي تنفصل عن الجسد ، اذا طال العهد يؤول سوادها الى الحمرة . وما جنح الاسماعيلي اليه من الترجيح خلاف ما جمع به الطبري ، وحاصله : ان من جزم بأنه خضب ، كما في ظاهر حديث أم سلمة وحديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه خضب بالصفرة ، وحديث أبي هريرة المتقدم ، وكذا ما رواه الترمذي في « الشائل » من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : رأيت شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوباً . حكى مشاهده ، وكان ذلك في بعض الاحيان ، ومن نفى ذلك - كأنس فيما تقدم - فهو محمول على الأكثر الأغلب من حاله صلى الله عليه وسلم .

وقد أخرج الامام أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : ما كان في رأس النبي صلى الله عليه وسلم ولحيته من الشيب إلا شعرات ، كان إذا ادهن واراهن الدهن . قال في « الفتح » : فيحتمل أن يكون الذين أثبتوا الخضاب شاهدوا الشعر الابيض ، ثم لما واراها الدهن ظنوا انه خضبه . ولا يخفى أن رواية « الشائل » عن أنس أنه رأى شعر النبي صلى الله عليه وسلم مخضوباً ، تخالف بظاهرها ما في « الصحيحين » وغيرهما . وما تقدمه في « الشائل » بأنه صلى الله عليه وسلم لم يخضب ، فاما أن يحكم بشذوذها أو تحمل على ما رواه الدارقطني في : « رجال مالك وغيرائه » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : لما مات النبي صلى الله عليه وسلم ، خضب من كان عنده شيء من شعره ليكون أبقى لها . فيحمل على أن شعراته المطهرة كانت عند أبي طلحة ، أو أم أنس أم سليم رضي الله عنهم ، خضبها أبو طلحة أو زوجته ، فرآه أنس كذلك ، هذا ، وقد أنكر الامام أحمد رضي الله عنه إنكار أنس رضي الله عنه أنه خضب ، وذكر حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند أبي داود والنسائي : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلبس النعال السبتية ، ويصفر

لحيته بالورس والزعفران . قال نافع : وكان ابن عمر يفعل ذلك . قال ابن مفلح :
حديث حسن . وقال أبو مالك الأشجعي عن أبيه : كان خضابنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالورس والزعفران . رواه الامام احمد .

وروى الامام أحمد من حديث أبي رمثة رضي الله عنه قال : كان النبي
صلى الله عليه وسلم يخضب بالحناء والكم ، وكان شعره يبلغ كتفيه أو منكبيه .
وفي لفظ للامام احمد والنسائي وأبي داود : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع
أبي وله لمة بها ردع من حناء ، قوله : ردع — بالعين المهملة — أي لطخ ، يقال :
به ردع من دم أو زعفران ، كذا في « منتقى الأحكام » للامام مجد الدين بن تيمية .
وفي رواية ذكرها الترمذي في « الشمائل » : ردغ — بفتح الراء وسكون
الدال المهملة فعين معجمة — وفي « القاموس » : إنه جمع ردغة — بالتحريك أو
التسكين — وهو الوحل الشديد . وروى : ردع — بالمهملة — قال القاري في
« شرح الشمائل » : هو لطخ من الزعفران أو أثر الطيب ، كما في « القاموس » .
وقال جماعة : هو بالمهملة الصبغ ، وبالمعجمة الطيب الكثير . قال : وفي بعض نسخ
« الشمائل » المصححة : من حناء — بالمد — . والشك الواقع في « الشمائل » بين
المعجمة والمهملة ، من إبراهيم بن هارون شيخ الترمذي ، ووافق الامام مالك
أنساً في إنكار الخضاب .

قال الامام النووي : والمختار انه صلى الله عليه وسلم خضب في وقت ؛ لما دلت عليه
الاحاديث ولا يمكن تركها ولا تأويلها ، وتركه صلى الله عليه وسلم في معظم الاوقات ؛ فأخبر
كل بما رأى وهو صادق .

الثاني : اختلف أهل العلم سلفاً وخلفاً في الخضاب ، هل هو مستنون
مندوب اليه ، أولا ؟

قال علماؤنا : يسن خضاب الشيب بالحناء والكم ، ولا بأس بورس

وزعفران ، ويكره بسواد . فإن حصل بالخضاب تدليس في بيع أو نكاح ، حرم . قال في « الفروع » : ويختضب . ونقل ابن هاني عن الامام أحمد : كأنه فرض . وقال الامام أحمد : اختضب ولو مره ، وقال : ما أحب لأحد إلا أن يغير الشيب ، ولا يتشبه بأهل الكتاب . وقال الامام المجد في « المحرر » ، وغيره : خضابه بغير سواد من حمرة وصفرة سنة ، نص عليه الامام أحمد وفقاً للامام الشافعي . ويكره بسواد وفقاً ، نص عليه . وفي « المستوعب » للسامري ، و « الغنية » للشيخ عبد القادر ، و « التلخيص » وغيرها : في غير حرب ، ولا يحرم . وظاهر كلام أبي المعالي : يحرم ، وهو متجه ، وللشافعية خلاف .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : من العلماء من رخص في الخضاب بالسواد في الجهاد ، ومنهم من رخص فيه مطلقاً ، قال : والأولى كراهته ، وجنح النووي الى أنها كراهية تحريم ، قال : وقد رخص فيه طائفة من السلف ، منهم : سعد بن أبي وقاص ، وعقبة بن عامر ، والحسن والحسين ، وجابر ، وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم ، واختاره ابن أبي عاصم في كتاب « الخضاب » له . قلت : وكذا الحافظ ابن الجوزي . وأجاب ابن أبي عاصم عن حديث ابن عباس - رفعه : « يكون قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام ، لا يجدون ريح الجنة » وفي لفظ : « لا يريحون رائحة الجنة » رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن حبان في « صحيحه » ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد . قال في « الآداب » اسناده جيد - بأنه لادلالة فيه على كراهة الخضاب بالسواد ، بل فيه الاخبار عن قوم هذه صفتهم . وعن حديث جابر : وجنبوه السواد . بأنه في حق من صار شيب رأسه مستشعماً ، ولا يطرد ذلك في حق كل أحد . انتهى .

قال في « الفتح » : ويشهد لما قاله ابن أبي عاصم ، ما أخرجه عن ابن شهاب

أنه قال : كُنَّا نَخْضِبُ بالسَّوَادِ إِذَا كَانَ الْوَجْهَ جَدِيداً ، فَلَمَّا نَفَضَ الْوَجْهَ وَالْأَسْنَانَ
تَرَكَنَاهُ . قَوْلُهُ : نَفَضَ . أَيِ تَغَيَّرَ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ عِثْمَانَ : سَلَسَ بُولِي وَنَفَضْتُ
أَسْنَانِي . أَيِ قَلَقْتُ وَتَحَرَّكْتُ . وَأَصْلُ النِّفْضِ الْحَرَكَةُ ، يُقَالُ : نَفَضَ رَأْسَهُ ، إِذَا
تَحَرَّكَ ، وَأَنْفَضَهُ ، إِذَا حَرَّكَه .

وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ فَرَّقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ ؛ فَأَجَازَهُ لَهَا دُونَ الرَّجُلِ ،
وَاخْتَارَهُ الْحَلِيمِيُّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ . وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « إِنْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبِغُونَ فَخَالِفُوهُمْ » .
وَلِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَشِيخَةٍ مِنَ الْإِنصَارِ بِيضَ لِحَامٍ ، فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْإِنصَارِ !
حَمِّرُوا أَوْ صَفِّرُوا وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ » . وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي « الْاَوْسَطِ »
نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ . وَفِي « كَبِيرِ الطَّبْرَانِيِّ » مِنْ حَدِيثِ عَتَبَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ بِتَغْيِيرِ الشَّعْرِ مَخَالِفَةً لِلْعَاجِمِ . وَفِي
« النَّسَائِيِّ » مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَفَعَهُ : « غَيِّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشْبَهُوا
بِالْيَهُودِ » وَرَجَالَهُ ثِقَاتٌ ، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي « الْاَوْسَطِ » مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ ،
وَزَادَ : « وَالنَّصَارَى » وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ « السُّنَنِ » مِنْ حَدِيثِ
أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ أَحْسَنَ مَا غَيَّرْتُمْ بِهِ
الشَّيْبَ الْحَنَاءَ وَالْكُتْمَ » وَقَدْ قِيلَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا نَسْتَحِي نَخْضِبُ
فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! سَنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَإِنِّي لَأَرَى الشَّيْخَ الْخَضُوبَ فَأَفْرَحُ
بِهِ . وَفِي « الْفَتْحِ » لِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ : نَقَلَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ - أَيِ الْخَضَابِ -
يَجِبُ . وَعَنْهُ : يَجِبُ وَلَوْ مَرَّةً . وَعَنْهُ : لَا أَحَبُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرَكَ الْخَضَابَ وَيَتَشَبَّهَ
بَأَهْلِ الْكِتَابِ . انْتَهَى . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

الحديث الثالث والعشرون

٦٨ - ثنا معتمر ، عن حميد ، عن أنس عن النبي ﷺ قال : إذا سقطت لقمة أحدكم ، فليأخذها فليمسح ما بها من الأذى ، ولا يدعها للشيطان .

قال رضي الله عنه : (ثنا معتمر) بن سليمان التيمي (عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (عن النبي ﷺ) أنه (قال : إذا سقطت لقمة أحدكم) معشر الأمة (فليأخذها) من الموضع الذي سقطت اللقمة فيه ؛ إذا لم تقع على موضع نجس ؛ فإنها تتنجس إذا كان ثم رطوبة ، وحينئذ لا بد من غسلها . بما يزيل النجاسة عنها ، إن أمكن . فإن تعذر ؛ أطعمها نحو هرة (فليمسح) — بفتح الفاء ، وسكون اللام ، وفتح الياء المثناة من تحت فميم ساكنه — من مسح . وفي رواية : فليُمسح — بضم الياء — أي ينحى (ما) را (بها) أي بتلك اللقمة (من الأذى) من نحو تراب ، وليأكلها (ولا يدعها) أي يتركها (للشيطان) كأنه لما تركها أطاع الشيطان في ذلك ، وأضاع نعمة الله .

والقصد بذلك ؛ ذم حال التارك ، وتنبيهه على تحصيل نقيض غرض الشيطان واستحقاره . والحديث رواه الامام أحمد ، ومسلم ، والنسائي ، وابن ماجه ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها ، وزاد فيه : « ولا يمسح يده بالمنديل ، حتى يلعقها أو يلعقها ؛ فإنه لا يدري في أي طعامه البركة » قوله : يلعقها الاولى — بفتح المثناة التحتية — من لعق ، والثانية — بضمها — من ألعق ، أي يلعقها غيره . وزاد فيه النسائي من هذا الوجه : « ولا يرفع الصحيفة حتى يلعقها أو يلعقها » .

والامام أحمد من حديث ابن عمر نحوه بسند صحيح . ولمسلم نحوه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، لكن رواه عن محمد بن حاتم وأبي بكر بن نافع العبدى ، قالوا : حدثنا بهز ، حدثنا حماد بن سلمة ، ثنا ثابت ، عن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعاماً لعق أصابعه الثلاث . قال : وقال : « إذا سقطت لقمة أحدكم فليمسكها بها ولا يلقها على الأرض ولا يدعها للشيطان » . وأمرنا أن نسلت (١) القصعة ؛ قال : « فانكم لا تدرون في أي طعامكم البركة » ، وأخرجه مسلم أيضاً بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قال ابن دقيق العيد : جاءت علة هذا - أي أخذ اللقمة وعدم تركها للشيطان - مبينة في بعض الروايات : انه لا يدري في أي طعامه البركة . وقال عياض : إنما أمر بذلك لئلا يتهاون بقليل الطعام . قال النووي : معنى قوله : في أي طعامه البركة . أن الطعام الذي يحضر الانسان فيه بركة ، لا يدري أن تلك البركة فيما أكل ، أو فيما بقي على أصابعه ، أو فيما بقي في أسفل القصعة ، أو في اللقمة الساقطة ؛ فينبغي أن يحافظ على هذا كله ، لتحصيل البركة . وقد وقع عند مسلم في رواية أبي سفيان عن جابر في أول الحديث : « إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه ، حتى يحضره عند طعامه . فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمسكها بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان » .

(قوله) في حديث مسلم : وأمرنا أن نسلت القصعة . قال الخطابي : السلت : تتبع ما يبقى في القصعة ، وهي الصحفة ، والمراد الاناء الذي فيه الطعام . قال النووي : والمراد بالبركة ما يحصل به التغذية ، وتسلم عاقبته من الأذى ، ويقوي على الطاعة ، والعلم عند الله . وفي الحديث : المحافظة على عدم إهمال شيء من فضل الله ، كالأكل والمشرب وإن كان تافهاً حقيراً في العرف . وفي حديث مسلم ، رد على من كره لعق الأصابع استقذاراً . نعم ،

(١) أي تمسح .

يحصل ذلك لو فعله في أثناء الأكل ، لأنه يعيد أصابعه في الطعام وعليها أثر ريقه .
 قال الخطابي : عاب قوم أفسد عقولهم الترفه ، فزعموا أن لعق الأصابع مستقبح ،
 كأنهم لم يعلموا أن الطعام الذي لعق بالأصابع أو الصحيفة جزء من أجزاء
 ما أكلوه ، وإذا لم يكن سائر أجزائه مستقذراً ؛ لم يكن الجزء اليسير منه
 مستقذراً ، وليس في ذلك أكثر من مصيه أصابعه بباطن شفثيه . ولا يشك عاقل
 في : أن لا بأس بذلك ؛ فقد يعضض الانسان فيدخل أصبعه في فيه ، فيدلك أسنانه
 وباطن فمه ، ثم لم يقل أحد : ان ذلك قذارة أو سوء أدب . وقال ابن القيم في
 « الهدي » : كان النبي ﷺ إذا فرغ من طعامه لعق أصابعه ، ولم تكن لهم
 مناديل يمسحون بها أيديهم . قال : ولم تكن عادتهم غسل أيديهم كلما أكلوا .
 قال : ولا عبرة بكراهة الجهال للعق الأصابع استقذاراً . نعم ، لو كان
 ذلك في أثناء الأكل فينبغي اجتنابه ، لأنه يعيد أصابعه ، وعليها أثر ريقه . انتهى .
 فائدة : وقع في حديث كعب بن عجرة عند الطبراني في « الأوسط »
 صفة لعق الأصابع ، ولفظه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه
 الثلاث : بالإبهام ، والتي تليها ، والوسطى . ثم رأيت يلعق أصابعه الثلاث قبل أن
 يمسحها : الوسطى ، ثم التي تليها ، ثم الإبهام . قال الزين العراقي في « شرح
 الترمذي » : كأن السر فيه أن الوسطى أكثر تلويثاً ؛ لأنها أطول ، فيبقى فيها
 من الطعام أكثر من غيرها ، ولأنها لطولها أول ما ينزل في الطعام . ويحتمل أن
 الذي يلعق يكون بطن كفه الى جهة وجهه ؛ فإذا ابتدأ بالوسطى انتقل الى
 السبابة على جهة يمينه ، وكذلك الإبهام . انتهى . وفي هذا الأخير تأمل لا يخفى .
 تمة : روى ابن ماجه في « سننه » والحكيم الترمذي عن أم المؤمنين
 عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول الله ﷺ البيت ، فرأى
 كسرة ملقاة ، فأخذها فمسحها ، ثم أكلها وقال : « يا عائشة ! أجسني جوار نعم
 الله فانها ما نفرت عن قوم فعادت إليهم » .

الحديث الرابع والعشرون

٦٩ - ثنا معتمر ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، قال :
حجم أبو طيبة رسول الله ﷺ ، وأعطاه صاعاً من طعام ،
وكلم أهله فخففوا عنه .

قال رضي الله عنه : (ثنا معتمر) بن سليمان التيمي (عن حميد) الطويل
(عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : حجم أبو طيبة) - بفتح الطاء ،
وسكون الياء التحتية ، وبالباء الموحدة - اسمه نافع الحجام مولى محيصة -
بضم الميم ، وفتح الحاء المهملة ، وتشديد الياء التحتية مسكورة ، فصاد مهملة -
ابن مسعود الأنصاري ، صحابي معروف . وقيل : اسمه دينار ، وقيل : ميسرة ،
(رسول الله ﷺ) - بالنصب مفعول حجم - وفي رواية في « الصحيحين »
عن أنس : أنه سئل عن أجر الحجام فقال : احتجم رسول الله ﷺ ، حجمه
أبو طيبة (وأعطاه) رسول الله ﷺ (صاعاً) . وفي « الصحيحين » : فأمر له
بصاعين (من طعام) ، وفي بعض طرق البخاري : بصاع . وفيها عن أنس
رضي الله عنه قال : دعا رسول الله ﷺ غلاماً لنا حجاماً ، فحجمه ، فأمر له
بصاع ، أو مد ، أو مدين ، والمراد بالطعام في هذا الحديث : التمر .

والحجامة - بالكسر - مشتقة من الحجم وهو المص ، والحجام : المصاص ،
والحجم والمحجمة - بكسر الميم - الآلة التي يحجم بها ، والحجامة - ككتابة -
الحرفة .

وقد احتجهم عليه السلام مراراً ، وكان اختلاف الروايات في القدر المدفوع للحجامة بحسب تعدد الحجامة ؛ فتارة كان يأمر له بصاعين ، وأخرى بصاع ، وأخرى بمد ، وأخرى بمدين ، بحسب مقتضى الحال . وعند البخاري من طريق شعبة عن حميد : فأمر له بصاع ، أو صاعين ، أو مدين . قال في « الفتح » : الشك من شعبة . وأخرج البخاري أيضاً من طريق مالك عن حميد بلفظ : فأمر له بصاع من تمر ، ولم يشك ، وأفاد تعيين ما في الصاع من الطعام .

(وكلم) عليه السلام (أهله) أي مواليه ، كما في رواية البخاري . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : مواليه : بنو حارثة على الصحيح ، ومولاه منهم محبصة ابن مسعود . وإنما جمع الموالي وكذا الأهل مجازاً ، كما يقال : بنو فلان قتلوا رجلاً ، ويكون القاتل منهم واحداً ، مع أنه لا يبعد أن يكون مشتركاً بين جماعة ، أو المراد مولاه وأتباعه . (خففوا عنه) من خراجه - بفتح الخاء المعجمة - وهو ما يوظف على المملوك كل يوم ، وكان مقداره صاعين أو ثلاثة .

ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند الترمذي في « الثمائل » : أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا حججاً - أي وهو أبو طيبة - فحججه ، فسأله عليه السلام : « كم خراجك » ؟ فقال : ثلاثة أصع ، فوضع عنه صاعاً ، وأعطاه أجره . وفي رواية قال : صاعان . قال في « شرح الثمائل » : وهذا هو السبب في الشك الماضي في قدر المدفوع . قال في « الفتح » : في حديث ابن عمر عند شيبان : خراجه كان ثلاثة أصع ، وكذا لأبي يعلى عن جابر . فإن صح ؛ جمع بينها بأنه كان صاعين وزيادة ، فمن قال : صاعين ؛ النقص ، ومن قال : ثلاثة ؛ جبره .

تتمت

في حديث أنس المذكور الأولى : زيادة على ما هنا : وقال صلى الله عليه وسلم : « إن أفضل ما تداويتم به الحجامة ، أو هو من أمثل دوائكم » . انتهى . وفي « موطأ » مالك : بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن كان دواء يبلغ الداء ؛

فإن الحجامة تبلغه . وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « إن كان في شيء مما تدأوتم به خير فالحجامة » . وأخرج النسائي من حديث أنس : « خير ما تدأوتم به الحجامة » . ومن طريق معتمر عن حميد بلفظ : « أفضل » .

قال في « الفتح » : قال أهل المعرفة : الخطاب بذلك لأهل الحجاز ؛ ومن في معنهم من أهل البلاد الحارة ؛ لأن دمائم رقيقة ، وتميل إلى ظاهر الأبدان ؛ لجذب الحرارة الخارجة لها إلى سطح البدن . ويؤخذ من هذا أن الخطاب أيضاً لغير الشيوخ ؛ لقلة الحرارة في أبدانهم . وأخرج الطبري بسند صحيح عن ابن سيرين ، قال : إذا بلغ الرجل أربعين سنة لم يحتجم . قال : وذلك أنه يصير من حينئذ في انتقاص من عمره ، وانحلال من قوى جسده ، فلا ينبغي أن يزيده وهنا باخراج الدم . انتهى . قال في « الفتح » : وهو محمول على من لم تتمين حاجته إليه ، وعلى من لم يعتده ، قال ابن سينا في « أرجوزته » :

ومن يكن تعود الفصادة فلا يكن يقطع تلك العادة

ثم أشار إلى أنه يقلل ذلك بالتدريج إلى أن ينقطع حكمه في عشر الثمانين . انتهى . وفي « شرح الشرائع للقاري » ، قال : وفصل بعض أهل الفضل هنا تفصيلاً فقال : إنما واطب النبي ﷺ على الاحتجام ، وأمر به وبين فضله ، ولم يقتصد ولم يأمر به ، مع أن التفصد ركن عظيم في حفظ الصحة الموجودة ، ورد الصحة المفقودة ؛ لأن مزاج بلده يقتضي ذلك ؛ من حيث أن البلاد الحارة تغير المزاج تغيراً عجيباً ، كبلاد الزنج والحبشة ؛ فانها في غاية الحرارة ، فلهذا تسخن المزاج وتجففه ، وتحرق سائر البدن . وبهذه العلة تجعل الوان أهلها سوداء ، وشعورهم إلى الجمودة ، وتدقق أسافل أبدانهم ، وتطيل وجوههم ، وتكبر أنوفهم ، وتجحظ

أعينهم ، أي تخرج مقلة العين ، أو تعظمها ، كما « القاموس » . فيخرج مزاج أدمغتهم عن الاعتدال ، فتظهر أفعال النفس الناطقة فيهم من الفرح والطرب وصفاء الأصوات ، والغالب عليهم البلادة لفساد أدمغتهم . قال : وفي مقابلة هذه البلاد في المزاج بلاد الترك فانها باردة رطبة ، تبرد المزاج وترطبه ، وتجعل ظاهر البدن حاراً شديداً لالتهاب ؛ لأن الحرارة تميل من ظاهر البدن الى الباطن هرباً من ضدها التي هي برودة الهواء ، كالحال في زمن الشتاء ، فان الحرارة الغريزية تميل الى باطن البدن لبرودة الهواء ، فتجود بذلك الهضم ، وتقل الأمراض ، ولهذا العلة قال بقراط : الأجواف في الشتاء أسخن ماتكون بالطبع ، والنوم أطول مايكون . وقال أيضاً : أسهل مايكون إحمال الطعام على الأبدان في الشتاء ، فلماذا صار الغذاء الغليظ يسهل انهضامه ، كالهرائس ، واللحوم الغلاظ ، والخبز الفطير ، وهذه كلها في الصيف على عكس ما ذكر في الشتاء ، لأن الحار الغريزي المصحح للغذاء مائل الى ظاهر البدن بالمجانسة ميل الجنس الى الجنس ؛ فلذلك يفسد الهضم ، وتكثر الامراض . والقصد من هذا أن بلاد الحجاز لما كانت حارة يابسة ، فالحرارة الغريزية بالضرورة تميل الى ظاهر البدن بالمناسبة التي بين مزاجها ومزاج الهواء المحيط بالابدان ، فتبرد بواطن الابدان ، وبهذا السبب يذمنون أكل العسل والتمر واللحوم في حرارة القيظ ، ولا يضرهم لبرد أجوافهم ، وكثرة التحلل . واذا كانت الحرارة مائلة من باطن البدن الى ظاهره ، لم يحتمل البدن الى الفصد ، لأنه إنما يجذب الدم من أعماق العروق وبواطن الأعضاء ، وإنما تمس الحاجة الى الاحتجام ، لأن الحجمة تجذب الدم من ظاهر البدن فحسب . فافهم هذه الدقيقة التي أشار اليها صاحب الشرع عليه السلام بنور النبوة . وقال الموفق البغدادي الطبيب : الحجمة : تنقي سطح البدن أكثر من الفصد ، والفصد لأعماق البدن ، والحجمة للصبيان والبلاد الحارة أولى من الفصد ، وآمن

غائلة . ولهذا وردت الاحاديث بذكرها دون الفصد ، ولأن العرب غالباً ما كانت تعرف إلا الحجامة .

وقال الامام المحقق في « الهدي » : التحقيق في أمر الفصد والحجامة أنهما يختلفان باختلاف الزمان والمكان والمزاج ؛ فالحجامة في الازمان الحارة والاماكن الحارة التي دم أصحابها في غاية النضج أنفع ، والفصد بالعكس ، ولهذا كانت الحجامة أنفع للصبيان ، ولمن لا يقوى على الفصد . ولهذا قال فقهاؤنا : الحجامة أنفع من الفصد في بلد حار ، وما في معنى الحجامة ، كالتشريط ، والفصد بالعكس والله أعلم .

الثانية : متى تكون الحجامة ؟

قال علماؤنا : كره الامام أحمد رضي الله عنه الحجامة يوم السبت والاربعاء ، وتوقف في الجمعة ، نقله حرب وأبو طالب . قال في « الفروع » : وفيه خبر متكلم فيه . انتهى . والخبر الذي أشار اليه هو حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند ابن ماجة رفعه في أثناء حديث ، وفيه : « فاحتجموا على بركة الله تعالى يوم الخميس ، واحتجموا يوم الاثنين والثلاثاء ، واجتنبوا الحجامة يوم الاربعاء والجمعة والسبت والاحد » . أخرجه من طريقين ضعيفين ، وله طريق ثالثة ضعيفة أيضاً عند الدارقطني في « الافراد » ، وأخرجه بسند جيد عن ابن عمر موقوفاً ، قاله في « الفتح » . وقال : نقل الخلال عن الامام أحمد انه كره الحجامة في الايام المذكورة ، وإن كان الحديث لم يثبت ، وحكي أن رجلاً احتجم يوم الاربعاء فأصابه برص لكونه تهاون بالحديث .

وأخرج أبو داود من حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه كان يكره الحجامة يوم الثلاثاء ، وقال : إن رسول الله ﷺ قال : « يوم الثلاثاء يوم الدم ، وفيه ساعة لا يرقأ فيها الدم » . وورد في عدد من الشهر أحاديث : منها ما أخرجه

أبو داود من حديث أبي هريرة رفعه : « من احتجم لسبع عشرة ، وتسع عشرة ، وإحدى وعشرين ، كان شفاءً من كل داء » وهو من رواية سعيد بن عبد الرحمن الجمحي عن سهيل بن أبي صالح ؛ وسعيد وثقه الأكثر ؛ وإينه بعضهم من قبل حفظه ؛ وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنها عند الامام أحمد والترمذي ، ورجاله ثقات ، لكنه معلول . وشاهد آخر من حديث أنس عند ابن ماجه ، وسنده ضعيف . وهو عند الترمذي من وجه آخر عن أنس ؛ لكن من فضله صلى الله عليه وسلم .

قال في « الفتح » : ولكون هذه لم يصح منها شيء ؛ قال حنبل بن إسحاق : كان الامام أحمد يحتجم ؛ أي وقت حاج به الدم ؛ وأي ساعة كانت . وعند الأطباء إن أنفع الحجامة ما يقع في الساعة الثانية أو الثالثة ، وأن لا يقع عقب استفراغ من حمام ، أو جماع أو غيرهما ، ولا عقب شبع ولا جوع ، قال في « الفتح » : وقد اتفق الأطباء على أن الحجامة في النصف الثاني من الشهر ، ثم في الربع الثالث من أرباعه ، أنفع من الحجامة في أوله وآخره . قال الموفق البغدادي : وذلك أن الأخلاط في أول الشهر وفي آخره تسكن ، فأولى ما يكون الاستفراغ في أثنائه .
الثالثة : في الموضوع الذي يحتجم الانسان فيه من البدن ؛ وقد احتجم صلى الله عليه وسلم في عدة مواضع من بدنه الشريف .

وقد ورد في فضل الحجامة في الرأس حديث ضعيف أخرجه ابن عدي من طريق عمر بن رباح ، عن عبد الله بن طاووس ، عن أبيه ، عن ابن عباس رضي الله عنها رفعه : « الحجامة في الرأس تنفع من سبع : من الجنون ، والجذام ، والبرص ، والنعاس ، والصداع ، ووجع الضرس ، والعين » . وعمر متروك ، رماه الفلاس وغيره بالكذب ؛ لكن قال الأطباء : إن الحجامة وسط الرأس نافعة جداً ، وثبت أنه صلى الله عليه وسلم فعلها . وفي « الصحيحين » من حديث عبد الله بن بجمينه رضي الله عنه أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم احتجهم بـلَحْنِي جمل من طريق مكة وهو محرم في وسط رأسه قال البخاري ، وقال الانصاري : أخبرنا هشام بن حسان ، حدثنا عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجهم في رأسه . قوله : بـلَحْنِي جمل من طريق مكة ، وقع في بعض الروايات بثنية لَحْنِي جمل ، وفي بعضها بالافراد ، واللام مفتوحة ، ويجوز كسرهما ، وفتح جيم جمل : اسم موضع بطريق مكة ، ذكره البغوي في « معجمه » في اسم العقيق وقال : هي بشر جمل التي وردت في حديث أبي جهم في التيمم . قال ابن وضاح وغيره : هي بقعة معروفة ، وهي عقبة الجحفة على سبعة أميال من السقيا ، وزعم بعضهم أن المراد بـلَحْنِي جمل : الآلة التي احتجهم بها ، أي احتجهم بمظلم جمل ، وهو وهم ، والأول المعتمد .

وقوله : في وسط رأسه . وهو بفتح السين المهملة . ويجوز تسكينها ، أي متوسطه ، وهو ما فوق اليافوخ فيما بين أعلا القرنين . قال الليث : كانت هذه الحجامة في فأس الرأس ، وأما التي أعلاه فلا ؛ لأنها ربعا أعمت . وأخرج ابن سعد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . أنه وضع يده على المكان الناقئ من الرأس فوق اليافوخ فقال : هذا موضع محجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي « شرح الشماثل للقاري » : روي في الحجامة في الحبل الذي إذا استلقى الانسان أصابته الأرض من رأسه ، أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إنها شفاء من سبعين داء » .

وقال ابن سينا : إن الحجامة في القفا تورث النسيان حقاً . ونقله حديثاً ولفظه : « مؤخر الدماغ موضع الحفظ وتضعفه الحجامة » . قال بعض العلماء : إن ثبت هذا الحديث ؛ فهي إنما تضعفه إذا كانت لغير ضرورة ، أما لعلبة الدم فهي نافعة طبياً وشرعاً ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم احتجهم في عدة أماكن بحسب

الحاجة . وقد أخرج الامام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم ثلاثاً : واحدة على كاهله ، واثنتين على الأذنين . والكاهل - بكسر الهماء - ما بين الكتفين ، وهو مقدم الظهر مما يلي العنق . والاختدان : عرقان في جانبي العنق .

وروى ابن ماجه عن علي رضوان الله عليه قال : نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم بحجامة الاختدين والكاهل . وروى أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم احتجم في وركه .

قال أهل الطب : حجامة الاختدين تنفع من أمراض الرأس والوجه ؛ كالآذنين ، والعينين ، والاسنان ، والانف ، والحلق ، وتنوب عن فصد العرق المسمى بالقيفال النافع من علل الرأس والرقبة إذا كثرت الدم أو فسد . قالوا : والحجامة على الكاهل تنفع من وجع المنكب ، وتنوب عن فصد الباسليق النافع فصد من حرارة الكبد ، والطحال ، والرئة ، والشوصة ، وذات الجنب ، وسائر الامراض الدموية العارضة من أسفل الركبة الى الورك ، والله تعالى أعلم .

الحديث الخامس والعشرون

٧٠ - ثنا معتمر ، عن حميد ، عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ من أتم الناس صلاة وأجزم .

قال رضي الله عنه : (ثنا معتمر) بن سليمان التيمي (عن حميد) الطويل (عن أنس) ابن مالك رضي الله عنه (قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتم الناس) أي أتم الناس (صلاة وأجزم) صلاة مع الإتمام

والإيجاز : الخفة مع الاقتصاد ، وكلام وجيز : أي خفيف مقتصد .

وفي « الصحيحين » من حديث مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه :
إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوجز في الصلاة ويتم . وفي رواية عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أخف الناس صلاة في تمام . وعنه ، كما في
« مسلم » وغيره : ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ، ولا أتم صلاة من رسول
الله صلى الله عليه وسلم . وروى ابن أبي شيبه من طريق أبي مجاز ، قال : كانوا
أي الصحابة رضي الله عنهم ، يتمون ويوجزون ، ويبادرون الوسوسة . فبين
العله في تخفيفهم ، وأما تخفيف النبي صلى الله عليه وسلم فلم يكن لهذه العله ؛
لعصمته صلى الله عليه وسلم من الوسوسة ، بل كان تخفيفه لحدوث أمر يقتضيه ،
من بكاء صبي ، ومراعاة حال المأموم .

قال ابن دقيق العيد : التطويل والتخفيف من الأمور الإضافية ، فقد
يكون الشيء خفيفاً بالنسبة إلى عادة قوم ، طويلاً بالنسبة لعادة آخرين .

قال في « الفتح » : وأولى ما أخذ حد التخفيف من الحديث الذي أخرجه
أبو داود ، والنسائي ، عن عثمان بن أبي العاص : أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال له : « أنت إمام قومك ، وأقدر القوم بأضعفهم » . إسناده حسن ، وأصله في
« مسلم » ولفظه عند مسلم : « أم قومك . فمن أم قوماً فليخفف ؛ فإن فيهم
الكبير ، وإن فيهم الضعيف ، وإن فيهم المريض ، وإن فيهم ذا الحاجة . وإذا صلى
أحدكم وحده فليصل كيف شاء » . وفي « مسلم » أيضاً ، عن عثمان بن أبي
العاص أيضاً رضي الله عنه قال : « آخر ما عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم
« إذا أمتت قوماً فأخف بهم الصلاة » وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا أم أحدكم الناس فليخفف ؛
فإن فيهم الصغير والكبير ، والضعيف ، والمريض . وإذا صلى وحده فليصل كيف

شاء . زاد مسلم في رواية : « وذا الحاجة » وفي أخرى : « الضعيف والسقيم » ولم يقل البخاري الصغير . وفي « الصحيحين » عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ما صليت خلف أحد أوجز صلاة من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام ، كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقاربة . زاد مسلم : وكانت صلاة أبي بكر متقاربة . فلما كان عمر بن الخطاب مد في صلاة الفجر . قال العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا صلى أحدكم للناس فليخفف » وفي لفظ من حديث أبي هريرة مرفوعاً عند البخاري ومسلم وغيرهما : « إذا أم أحدكم الناس فليخفف » أي على المأمومين ؛ فلا يطيل القيام لطول القراءة ، بل يخفف القراءة والأذكار ، بحيث لا يقتصر على الأقل ، ولا يستوفي الاكمل المستحب للمنفرد ؛ من طوال المفصل وأوساطه ، وأذكار الركوع والسجود .

وقال الكرماني في « شرح البخاري » : التخفيف هو بحيث لا يفوته شيء من الواجبات ، كذا قال . وفي « الفروع » عن شيخ الاسلام ابن تيمية : ليس للإمام أن يزيد على القدر المشروع ، وينبغي أن يفعل غالباً ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله غالباً ، ويزيد وينقص للمصلحة ، كما كان صلى الله عليه وسلم يزيد وينقص أحياناً . انتهى .

وربما كان صلى الله عليه وسلم يطيل الصلاة جداً ، كما في « صحيح مسلم » عن قزعة ، قال : أتيت أبا سعيد الخدري وهو مكثور (١) عليه . فلما تفرق الناس عنه قلت : إني لا أسألك عما سألك هؤلاء عنه ، أسألك عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : مالك في ذلك من خير ! فأعادها عليه ؛ فقال : كانت صلاة الظهر تقام ، فينطلق أحدنا إلى البقيع فيقضي حاجته ، فيتوضأ ثم يرجع إلى المسجد . ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعة الأولى .

(١) المكثور : المغلوب ، أو الذي كثر عليه الناس فقهروه .

الحديث السادس والعشرون

٧١ — ثنا عباد بن عباد ، وغسان بن مضر ، عن سعيد

بن يزيد بن مسلمة قال : قلت لأنس ابن مالك : أكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعليه ؟ قال : نعم .

قال رضي الله عنه : (ثنا عباد بن عباد) بن حبيب بن المهلب الأزدي
أبو معاوية البصري .

روى عن أبي حمزة الضبيعي ، وهشام بن عروة ، وعاصم الأحمول ،
وسعيد بن يزيد ، وطائفة .

وروى عنه الامام احمد ، وقتيبة ، ومسلم ، ومسدد ، ويحيى بن معين ،
وجماعة ، آخرهم ابن عرفة .

قال الامام أحمد : ليس به بأس ، وكان رجلاً عاقلاً أديباً . قال ابن سعد :
كان معروفاً بالطلب ، حسن الهيئة ، ولم يكن بالقوي في الحديث . وقال يحيى ابن
معين : ثقة ، واحتج به جماعة . مات سنة إحدى وثمانين ومائة . ولكونه ليس
من أهل الضبط والاتقان ، قرنه الامام أحمد رضي الله عنه بغسان ؛ فقال :
(وغسان) — بفتح الغين المعجمة ، وتشديد السين المهملة — فألف فنون (بن مضر)
— بضم الميم ، وفتح الصاد المعجمة — كلاهما (عن) أبي مسلمة (سعيد بن يزيد
بن مسلمة) الأزدي البصري ، ويقال : الطاحي — بفتح الطاء مشددة ، فألف
وكسر الحاء المهملتين — القصير .

سمع أنس بن مالك رضي الله عنه ، وأبا نضرة ، ونقرأ من التابعين .

تقع منه شعبة ، وحماد بن زيد، وغيرهما (قال) أبو مسلمة المذكور : (قلت) لأنس ابن مالك (رضي الله عنه) : (أكان رسول الله ﷺ يصلي في نعليه ؟) تثنية نعل ، وهي مونة .

قال ابن الأثير : هي التي تسمى الآن تاسومة .

وقال ابن العربي : لباس الأنبياء ، وإنما اتخذ الناس غيرها لما في أرضهم من الطين ، وقد تطلق النعل على كل ما بقي القدم . قال صاحب « المحكم » : النعل والنلة : ما وقيت به القدم .

(قال) : أي أنس بن مالك رضي الله عنه (نعم) أي كان صلى الله عليه وسلم يصلي في نعليه ، قال ابن بطال : هو محمول على ما إذا لم يكن فيها نجاسة ، ثم هي من الرخص ، كما قال ابن دقيق العيد ، لا من المستحبات ، لأن ذلك لا يدخل في معنى المطلوب من الصلاة ، وهو وإن كان من الملابس المستحبات ، إلا أن ذلك لا يدخل في معنى المطلوب من الصلاة ، وهو وإن كان من ملابس الزينة ، إلا أن ملابسة الأرض التي تكثر فيها النجاسات قد تقصر به عن هذه المرتبة . وإذا تعارضت مصلحة مراعاة التحسين ، ومراعاة إزالة النجاسة ، قدمت الثانية ؛ لأنها من باب دفع المفاسد ، والأخرى من باب جلب المصالح .

قال : إلا أن يرد دليل بالحاقه بما يتحمل به ؛ فيرجع اليه ويترك هذا النظر . انتهى .

وقد روى أبو داود والحاكم من طريق شداد ابن أوس مرفوعاً : « خالفوا اليهود فانهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم » . وفي لفظ : « إن اليهود لا يصلون في نعالهم فخالفوهم » .

قال شيخ الاسلام في « فتاويه المصرية » : الصلاة في النعلين ، وكذلك سائر ما يلبس من حذاء وجمعهم ، وزربول ، وخف ، وغير ذلك ؛ جائز .

قال : وفي « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنهما : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعليه ، فمن استحب الصلاة في النعلين ؛ فلاجل قصد مخالفة اليهود .

وفي « السنن » أيضاً : أنه صلى الله عليه وسلم صلى في نعليه ، وصلى أصحابه في نعالهم ، فخلع نعليه فخلعوا نعالهم ، فلما سلم قال : « لم خلعت نعالكم ؟ » قالوا : رأيناك خلعت نعليك فخلعنا نعالنا . فقال : « إن جبريل أتاني فأخبرني أن فيها أذى ، فإذا أتى أحدكم المسجد فليتنظر في نعليه ، فإن كان فيها أذى ؛ فليدلكهما بالتراب ، فإن التراب لهما طهور » .

فعند شيخ الاسلام ابن تيمية الصلاة في النعال سنة . وقال الناطم محمد ابن عبد القوي شيخه (١) . الاولى الصلاة حافيا ، وذكر في « الآداب الكبرى » عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : « اذا خلع نعليه في الصلاة خلعه الله تعالى من ذنوبه حتى يلقاه كهبيته يوم ولدته أمه » رواه أبو محمد الخلال .

قال القاضي أبو يعلى : هذا يدل على فضل خلع النعل في الصلاة ، ويحتمل أن يكون قال ذلك في خلع نعل كان فيها أذى .

قال في « الفروع » : ذكر القاضي الاستحباب ، وعدمه ؛ للخبرين . وقد روى الخلال ، وابن عدي في « الكامل » وابن مردويه في « تفسيره » من حديث أبي هريرة ، والعقيلي من حديث أنس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قال : « خذوا زينة الصلاة » قلنا : يا رسول الله ، وما زينة الصلاة ؟ قال : « البسوا نعالكم وصلوا فيها » . وهذا الحديث ضعيف جدا .

قال العلامة ابن مفلح في « الآداب الكبرى » : « واليونيني في « مختصرها »

(١) اي شيخ ابن تيمية ، فقد درس عليه العربية .

بعد إيراد حديث أبي هريرة : هذا يدل على أنه تستحب الصلاة في النعال ، كقول الشيخ ابن تيمية قدس الله روحه .

وفي « صحيح مسلم » عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : في غزوة غزوناها : استكثروا من النعال ؛ فإن الرجل لا يزال راكباً ما انتعل ، يعني أنه شبيه بالراكب في خفة المشقة ، وقلة التعب ، وسلامة الرجل من أذى الطريق ، قاله النووي .

وقال القرطبي : هذا كلام بليغ ، ولفظ فصيح ، بحيث لا ينسج على منواله ، ولا يؤتى بمثاله ، وهو إرشاد إلى المصلحة ، وتنبيه على ما يخفف المشقة ، فإن الحافي المديم للمشي يلقي من الآلام والمشقة بالعثار وغيره ما يقطعه عن المشي ، ويمنعه من الوصول إلى مقصوده ، بخلاف المتنعل ؛ فإنه لا يمنعه عن إدامة المشي فيصل إلى مقصوده كالراكب ؛ فلذلك شبهه به حتى إنه ﷺ أمر المتنعل أن يوسع للحافي عن جادة الطريق .

فقد روى الخلال من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً : ليوسع المتنعل للحافي عن جادة الطريق ؛ فإن المتنعل بمنزلة الراكب ، وإلى هذا أشار ابن عبد القوي في « منظومة الآداب » بقوله :

ويحسن الاسترجاع في قطع ششمه وتخصيص حافٍ بالطريق الممهد
يعني أنه يستحب المتنعل أن يفسح لأخيه الحافي في الطريق ، ويخصه بالمشي فيها ، ويعدل هو عنها لأجل أخيه رافة منه ولطفاً ومودة ، وحرصاً على إيصال النفع لأخيه المسلم ، ودفع الضرر عنه ، وامثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ويحسن الاسترجاع ، يقرأ الاسترجاع في عبارته بالنقل للوزن ، والاسترجاع : حكاية قول المصاب : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد روى أبو محمد الخلال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا انقطع شسع أحدكم فليسترجع فانها مصيبة » ، ورواه البزار وابن عدي . وفي « صحيح مسلم » عن أبي سعيد ، وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما يصيب المؤمن من وصب ، ولا نصب ، ولا سقم ، ولا حزن حتى ألهم يمه ، إلا كفر الله به من سيئاته » .

والوضب والنصب : التعب ، وقد ورد عن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم : « إن من أصيب بمصيبة فذكرها ولو بعد مدة طويلة ، فجدد لها استرجاعاً وصبراً ؛ جدد الله له ثواباً وأجرأ » .

فروى الامام أحمد في « المسند » عن سيدنا الحسين بن الامام علي رضوان الله عليهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها ، وإن طال عهدها ، فيحدث لذلك استرجاعاً ، إلا جدد الله له عند ذلك ، فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب بها . ورواه ابن ماجة بنحوه .

وشسع النعل - بكسر الشين المعجمة ، وسكون المهملة - أحد سيوره ، وهو الذي يدخل بين الأصبعين ، ويدخل طرفه في الثقب الذي في طرف النعل المشدود في الزمام ، وهو السير الذي يعقد فيه الشسع ، والجمع شسوع ، مثل : حمل وحمول .

قال الحافظ ابن حجر في قول أنس رضي الله عنها ، كما في « صحيح البخاري » : إن نعل النبي صلى الله عليه وسلم كان لها قبالة . القبال - بكسر القاف وبالموحدة - زمام النعل ، وهو سيرها الذي يكون بين الأصبعين الوسطى والتي تليها ، وشراك النعل الذي على ظهر القدم .

قال المسقلاني : القبال هو الزمام الذي يعقد فيه الشسع الذي يكون بين أصبعي الرجل ، وذكر الجزري أنه كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

سيران ، يضع أحدهما بين إبهام رجله والتي تليها ، ويضع الآخر بين الوسطى والتي تليها ، ويجمع السيرين الى السير الذي على وجه قدمه صلى الله عليه وسلم ، وهو الشراك .

وأخرج الترمذي في « الشمائل » ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالة ، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، قال : وأول من عقد عقداً واحداً عثمان رضي الله عنه ، أي اتخذ قبالةً واحداً ، إشارة الى بيان الجواز ، وأن لبسه صلى الله عليه وسلم كان على وجه المعتاد لا على قصد العبادة للعباد ، وذلك لما تقرر في الأصول أن أفعاله صلى الله عليه وسلم ثلاثة : مباح ، ومستحب ، وواجب . فلو لم يبين ذلك لعثمان رضي الله عنه لتوهم كراهة الاقتصار على قبالة واحد ، أو أنه خلاف الأولى ؛ لأنه خلاف ما كان صلى الله عليه وسلم عليه وصاحبه ، وبه علم أن ترك لبس النعلين ولبس غيرها غير مكروه ، كما بين ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية ، وأن الصحابة رضي الله عنهم لما تفرقوا في البلاد ؛ كان يلبس كل واحد من زي بلده الذي هو فيه ، والله سبحانه وتعالى الموفق .

الحديث السابع والعشرون

٧٢ — ثنا زياد بن الربيع أبو خدّاش اليمامي ، قال : سمعت أبا عمران الجوني يقول : سمعت أنس بن مالك يقول : ما أعرف اليوم شيئاً مما كنا عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فقلنا : فأين الصلاة ؟ قال : أولم تصنعوا في الصلاة ما قد علمتم ؟

قال رضي الله عنه : (ثنا زياد بن الربيع) وكنية زياد (أبو خدّاش)
 - بفتح الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة ، فألف فشين معجمة - (اليعمدي)
 - بفتح المثناة التحتية ، وسكون الخاء المهملة ، وضم الميم - (قال : سمعت
 أبا عمران الجوني) - بفتح الجيم ، وسكون الواو وبالنون - منسوب الى الجون
 بطن من كندة (يقول : سمعت أنس بن مالك) رضي الله عنه (يقول : ما أعرف)
 قد يراد بالمعرفة العلم ، ومنه قوله تعالى : « بما عرفوا من الحق » (١) أي علموا ،
 وهي من حيث أنها علم مستحدث ، أو انكشاف بعد لبس أخص من العلم ؛ لأنه
 يشمل غير المستحدث ، وهو علم الله تعالى ، ويشمل المستحدث ، وهو علم
 العباد ، ومن حيث أن المعرفة يقين وظن أعم من العلم ؛ لاختصاصه حقيقة باليقين .
 وقال جمع : إن المعرفة مرادفة للعلم .

قال في « شرح التحرير » : فاما أن يكون مرادهم غير علم الله تعالى ، وإما
 أن يكون مرادهم بالمعرفة أنها تطلق على القديم ، ولا تطلق على المستحدث ، والأول
 أولى . انتهى .

وتطلق المعرفة على مجرد التصور الذي لا حكم معه ، فتقابل العلم ، ومن
 حيث كون المعرفة انكشاف بعد لبس ، يعني أنها مسبقة بجهل ؛ امتنع إطلاقها
 على الله تعالى ؛ فلا يوصف بأنه عارف .

قال ابن حمدان في « نهاية المبتدئين » : علم الله تعالى لا يسمى معرفة ، حكاة
 القاضي اجماعاً . انتهى . (اليوم شيئاً مما كنا عليه) من العبادات وسلامة الصدر ،
 وأراد نفي الصفات ، لا نفي الذوات من العبادات (على عهد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم) أي الزمن الذي كان فيه عليه الصلاة والسلام .

وسبب قول أنس ذلك ؛ ما أخرجه ابن سعد في « الطبقات » عن ثابت

(١) سورة المائدة ، الآية : ٨٣

البناني قال : كنا مع أنس ابن مالك رضي الله عنه ، فأخر الحجاج الصلاة ، فقام أنس يريد أن يكلمه ، فنهاه إخوانه شفقة عليه منه ، فركب دابته ؛ فقال في سيره ذلك . والله ما أعرف شيئاً مما كنا عليه على عهد رسول الله ﷺ إلا شهادة أن لا إله إلا الله .

(قال) ابو عمران الجوني : (فقلنا) لأنس بن مالك لما قال ذلك : (فأين الصلاة) . وفي رواية ، قيل : الصلاة ؟ . أي فأنها شيء مما كان على عهده ﷺ وهي باقية ، فكيف يصح هذا السلب العام ؟ .

فأجاب أنس رضي الله عنه عن هذا بقوله ، حيث (قال : أولم تصنعوا في الصلاة ما قد علمتم ؟) فانهم غيروها أيضاً بأن أخرجوها عن الوقت ، والذي قال لأنس ذلك ؛ رجل يقال له : أبو رافع ، بينه الامام أحمد رضي الله عنه في روايته لهذا الحديث ، عن روح ، عن عثمان بن سعيد ، عن أنس : فذكر نحوه ، فقال : أبو رافع ، : يا أبا حمزة ، ولا الصلاة ؟ فقال له أنس : قد علم ما صنع الحجاج في الصلاة .

وفي الرواية التي أخرجها ابن سعد : لقد جعلتم الظهر عند المغرب ، أفنلك كانت صلاة رسول الله ﷺ ؟ .

وأخرج البخاري عن الزهري ، قال : دخلت على أنس بن مالك رضي الله عنه بدمشق وهو يبكي ، فقلت ما يبكيك ؟ قال : لا أعرف شيئاً مما أدركت ، أي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذه الصلاة ، وهذه الصلاة قد ضيعت . قال المهلب : المراد بتضييعها تأخيرها عن وقتها المستحب ، لا أنهم أخرجوها عن الوقت ، كذا قال .

قال في « الفتح » : قد صح أن الحجاج وأميره الوليد وغيرهما ، كانوا يؤخرون الصلاة عن وقتها ، والآثار في ذلك مشهورة ، منها ما رواه عبد الرزاق

عن ابن جريج ، عن عطاء قال : أخر الوليد الجمعة حتى أمسى ، فجئت فصليت الظهر قبل أن أجلس ، ثم صليت العصر وأنا جالس ، أي وهو يخطب ، وإنما فعل عطاء ذلك خوفاً على نفسه من القتل .

فوائد :

الاولى : كان قدوم أنس بن مالك رضي الله عنه دمشق الشام في إمارة الحجاج على العراق ، قدمها شاكياً من الحجاج للخليفة ، وهو إذ ذاك الوليد بن عبد الملك ، وإطلاق أنس رضي الله عنه في قوله : ما أعرف اليوم شيئاً مما كنا عليه على عهد رسول الله ﷺ ؛ محمول على ما شاهدته من أمر الشام والبصرة خاصة ، وإلا فقد قدم المدينة المنورة ، كما في « البخاري » وغيره ، وعمر ابن عبد العزيز أميرها حينئذ ، وكان على طريقة أهل بيته من بني أمية في تضييع الصلاة عن وقتها ، حتى أخبره عروة ، عن بشير بن أبي مسعود ، وعن أبيه بالنص على الاوقات ، فكان يحافظ بعد ذلك على عدم إخراج الصلاة عن وقتها ، ومع ذلك كان يراعي الأمر معهم ، فيؤخر الظهر الى آخر وقتها ، وقد أنكر أنس رضي الله عنه ذلك أيضاً .

قلت : والذي أنكره عروة على عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه ، إنما هو تأخير صلاة العصر ، لا الظهر ، كما في « الفتح » وغيره ، لأن تأخير صلاة الظهر الى آخر وقتها لا كراهة فيه ، بخلاف وقت العصر .

الثانية : قد جاءت الاخبار ، وصحت الآثار ، عن النبي المختار ﷺ وعن أصحابه الاخبار بالنهي عن تأخير الصلاة عن وقتها .

ففي « صحيح مسلم » وغيره عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال لي رسول

الله ﷺ : « كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها ،
أو يمتنون الصلاة عن وقتها . قال : قلت : فما تأمرني ؟ قال : صل الصلاة لوقتها ،
فإن أدركتها معهم فصل ، فإنها لك نافلة » .

وفي لفظ آخر : يا أبا ذر ، إنه سيكون بعدي أمراء يمتنون الصلاة ، فصل
الصلاة لوقتها ... الحديث .

وفي « المسند » و « الصحيحين » وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه
قال : كان رسول الله ﷺ يصلي العصر والشمس مرتفعة حية ، فيذهب الذهاب
إلى العوالي ، فيأتيهم والشمس مرتفعة .

وللبخاري : وبعد العوالي من المدينة على أربعة أميال أو نحوه ، وكذلك
للإمام أحمد وأبي داود معنى ذلك .

وفي « مسلم » عن أنس رضي الله عنه قال : صلى رسول الله ﷺ بنا
العصر ، فأتاه رجل من بني سلمة ، فقال يا رسول الله : إنا نريد أن ننحر جزوراً
لنا ، وإنا نحب أن تحضرها . قال : نعم ، فانطلق وانطلقنا معه ، فوجدنا
الجزور لم تنحر ، فنحرت ، ثم قطعت ، ثم طبخ منها ، ثم أكلنا قبل أن
تغيب الشمس .

وفي « المسند » و « الصحيحين » عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال :
كنا نصلي العصر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ننحر الجزور فتقسم
عشر قسم ، ثم تطبخ ، فنأكل لحماً نضيحاً قبل مغيب الشمس .

وفي « مسند الإمام أحمد » و « وسنن ابن ماجه » من حديث بريدة الأسلمي
رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بكروا بالصلاة في
يوم الغيم . فإن من فاتته صلاة العصر حبط عمله » .

الثالثة : لما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز ، أمر بالصلاة في أوقاتها ، وملا الأرض عدلاً ، ورد المظالم ، وأحيا السنن . وقد قال زيد بن أسلم رضي الله عنه : ما صليت وراء إمام بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة رسول الله ﷺ من هذا الفقي ، يعني عمر بن عبد العزيز ؛ فكان يتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود . وقد سئل محمد بن علي بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز ، فقال : هو نجيب بني أمية ، وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده ، وكان العلماء مع عمر ابن عبد العزيز تلامذة .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر ، وكان يقول أيضاً رضي الله عنه : يولد من ولدي رجل بوجهه شجرة ، يملأ الأرض عدلاً . أخرجه الترمذي .
وعمر بن الخطاب جد عمر بن عبد العزيز من قبل أمه ، فإن أم عمر ابن عبد العزيز أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، والشجرة التي كانت بوجه عمر بن عبد العزيز ضربة دابة في وجهه وهو غلام ، فجعل أبوه عبد العزيز يمسح الدم عن وجهه ويقول : إن كنت أشج بني أمية إنك لسعيد . وقد قال الثوري : الخلفاء خمسة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز . أخرجه أبو داود .

ولما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز ، كتب إلى سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم يكتب إليه بسيرة عمر بن الخطاب بالصدقات : وكتب إليه : إنك إن عملت بمثل عمل عمر في زمانه ورجاله في مثل زمانك ورجالك ؛ كنت عند الله خيراً من عمر .

وعن المغيرة أن عمر بن عبد العزيز لما استخلف جمع بني مروان ، فقال : إن رسول الله ﷺ كانت له فذك ينفق منها على صغير بني هاشم ، ويزوج منها أيتهم ،

وإن فاطمة سألته أن يجعلها لها ، فأبى ، فكانت كذلك حياة أبي بكر ، ثم أقطعها مروان ، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز ، فرأيت أن أمراً منعه رسول الله ﷺ فاطمة ؛ ليس لي بحق ، وإني أشهدكم أنني قد رددتها على ما كانت عليه زمن رسول الله ﷺ .

ولد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بجلوان ، قرية بمصر ، وأبوه أميناً عليها ، سنة إحدى وستين ، وقيل : ثلاث وستين ، وبويع بالخلافة بعهد من سليمان ابن عبد الملك في صفر ، سنة تسع وتسعين ، فمكث خليفة ستين وخمسة أشهر ، نحو خلافة الصديق الأعظم رضي الله عنه ، وتوفي بدير سمعان - بكسر السين المهملة - من أعمال حمص لعشر بقين من شهر رجب ، سنة إحدى ومائة ، وله تسع وثلاثون سنة وستة أشهر ، وكانت وفاته بالسم لما تبرم بنو أمية منه لتشديده عليهم ، وانتزاع الأموال من أيديهم مما اغتصبوه واستولوا عليه من المظالم بغير حق ، وكان قد أهمل التحرز ، فرحمه الله ورضي عنه آمين .

الحديث الثامن والعشرون

٧٣ - ثنا اسماعيل بن إبراهيم ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍ نزل به ، فإن كان ولا بد متمنياً الموت فليقل : اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي .

قال رضي الله عنه (ثنا اسماعيل بن ابراهيم) المعروف بابن عليّة (ثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: لا يتمنين) فلا ناهية، ويتمنين: مجزوم، والنون للتأكيّد لمزيد النهي. وفي رواية: لا يتمنى، وهذه الرواية للاكثر من الرواة، في «الصحيحين» وغيرها. فقيل: المراد بلا: نافية لفظاً، وهي على معنى النهي، وقيل: بل هي ناهية، وأشعبت الفتحة. وفي رواية: لا يتمنّ (أحدكم) معشر الأمة (الموت) أي لا يدعُ به من قبل أن يأتيه، إشارة الى الزجر عن كراهته إذا حضر أملاً يدخل فيمن كره لقاء الله.

وحكمة النهي عن ذلك أن في طلب الموت قبل حلوله نوع اعتراض ومراغمة للقدر، وإن كانت الآجال لا تزيد ولا تنقص، فإن تمني الموت لا يؤثر في زيادتها ولا نقصها، ولكنه لما دل على تبرمه وانزعاجه، وعدم صبره واحتماله للموارض الدنيوية، نهى الشارع عنه، ومن ثم قال معللاً للنهي: (لضر نزل به) من فاقة أو محنة بعدوٍ، ونحوه من مشاق الدنيا.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: الصبر على المصائب واجب باتفاق أئمة الدين، وإنما اختلفوا في وجوب الرضى. انتهى.

فيتأكد في حق من ابتلي بمصيبة، أو ضرر في بدنه، أو ماله، أو ولده، ونحو ذلك - الصبر، وحبس النفس عن الانزعاج، وكف اللسان عن التبرم والاعوجاج، فإن الامور بيد عالم السر وأخفى، وهو الحكيم القادر، لا اراد لما قضى، ولا مانع لما أعطى، فإن الله كتب السعادة والشقاء، والآجال والارزاق في بطون الأمهات، فلا زيادة ولا نقص، ولا تقديم ولا تأخير، فمن صبر واحتسب فاز، ومن جزع ولم يصبر أثم ولم يحصل على حقيقة ولا مجاز.

وفي «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما،

عن النبي ﷺ أنه قال : « ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياها » .
فان خاف ضرراً أو فتنة في دينه فلا كراهة في تمني الموت حينئذ ؛ لمفهوم هذا الحديث ،
وقد فعله أئمة من السلف .

لذلك نقل العلامة ابن مفلح في « الآداب الكبرى » : قال المروزي : قال
أبو عبد الله : يعني الامام أحمد رضي الله عنه ، كأنك بالموت وقد فرق بيننا ،
ما عدل بالفقر شيئاً ، أنا أفرح اذا لم يكن عندي شيء ، إني لأتمنى الموت صباحاً
ومساءً ، أخاف أن أفتن في الدنيا . قال مسروق : إنما تحفة المؤمن قبره .

وقد روى الطبراني ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنها قال : قال
رسول ﷺ : « تحفة المؤمن الموت » . وفي حديث آخر : « الموت ريحانة المؤمن »
وفي آخر : « الموت غنيمة المؤمن » . وفي آخر : « الموت تحفة لكل مسلم » .
وروى الامام أحمد ، وابن أبي شيبه ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أنه
قيل له : ما تحب لمن تحب ؟ قال : الموت .

وروى ابن أبي شيبه ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، قال : أتمنى
لحبيبي أن يعجل موته . وعن مسروق : ما من شيء خير للمؤمن من لحد قد
استراح فيه من هموم الدنيا ، وأمن من عذاب الله .

قال الخطابي : انشدنا بعض أصحابنا لمنصور بن إسماعيل :

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأكثرُوا في الموت ألف فضيلة لا تعرف
منها أمان لقائه بـلقائه وفراق كل معاشر لا ينصف
وقال الخطابي أيضاً : قال الجاحظ : قد أبدع العباس بن الأحنف
في قوله :

يبكي رجال على الحياة وقد أفنى دموعي شوقي الى الأجل

أموت من قبل أن يغيرني الدهر فاني من عملي على وجل

وقال بعضهم :

جزا الله عنا الموت خيراً فإنه أبر بنا من بر أم وأرأف

بمجل تخليص النفوس من الأذى ويدني من الدار التي هي أشرف

(فان كان) أحدكم معشر الأمة ، من ذكر وأنتى غير كافٍ عن السؤال :

(ولا بد) له أن يرى (متمنياً) أي طالب (الموت ؛ فليقل) أمر إرشاد وندب : (اللهم)

أي يا الله (أحييني ما كانت الحياة) أي مدة دوام كون الحياة ، (خير ألي)

من الموت .

قال العراقي : لما كانت الحياة حاصلة وهو متصف بها ؛ حسن الاتيان بما ،

أي ما دامت الحياة متصفة بالخيرية . انتهى .

وقال الحافظ ابن رجب - في شرح حديث عمار ، المشهور : اللهم

بعلمك الغيب - ما حاصله : اعلم أن الحاجات التي يطلبها العبد من الله عز وجل

نوعان :

أحدهما : ما علم أنه خير محض ، كسؤاله خشيته وطاعته وتقواه ، وسؤاله

الجنة والاستعاذة به من النار ؛ فهذا يطلب من الله بغير تردد ولا تعليق بالمصلحة ؛

لأنه خير محض ومصلحة خالصة .

الثاني : ما لا يعلم ، هو خير للعبد ام لا ؟ كالموت والحياة والغنى والفقر

والولد والأهل وسائر حوائج الدنيا التي تجهل عواقبها ؛ فهذه لا ينبغي أن

يسأل الله منها إلا ما يعلم فيه الخير للعبد ؛ فإن العبد جاهل بعواقب الأمور ، وهو

مع هذا عاجز عن تحصيل مصالحه ودفع مضاره ؛ فيتمتعين أن يسأل حوائجه من هو

عالم قادر . ولما كان من نزل به الضر وعجز عن الصبر ، لا مندوحة له عن الدعاء ،

ليخلص بالموت من ضنك الحياة وضيق العيش ، وهو جاهل بما هو حاصل له ،

وبما يلقاه بعد موته ؛ أرشده الرسول الناصح والطبيب الرؤوف المانح الى ما هو
خير من محض تمنى الموت فقال : وليقل : (وتوفني) أي أمتني (إذا كانت
الوفاة خيراً لي) من الحياة .

والوفاة : الموت ، وتوفاه الله : قبض روحه . وأما قوله تعالى في حق عيسى
عليه السلام : « يا عيسى إني متوفيك » ^(١) قيل : متوفي أجلك ومؤخر ك الى
أجلك المسمى عندي ، عاصماً لك من قتلهم ، أو قابضك من الأرض - من توفيت
مالي - أو متوفيك نائماً ؛ إذ روي أنه رفع نائماً ، أو مماذك عن الشهوات العائقة
عن العروج الى عالم الملكوت .

قال العراقي : ولما كانت الوفاة معدومة في حال التمني ؛ لم يحسن أن يقول :
ما ، بل أتى بأذا الشرطية ، أي اذا آل الحال الى أن تكون الوفاة بهذا
الوصف . انتهى .

وفي حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه : أن النبي ﷺ كان يدعو
بهؤلاء الدعوات : « اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني ما علمت
الحياة خيراً لي ، وتوفني اذا علمت الوفاة خيراً لي .

اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الغضب
والرضى ، والقصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيماً لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع ،
وأسألك الرضى بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر الى
وجهك ، والشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة . اللهم زيننا
بزينة الايمان ، واجعلنا هداة مهتدين . رواه الامام أحمد ، والنسائي ، والحاكم .
فقد تضمن هذا الحديث النوعين معاً ، فإنه لما سأل الموت والحياة قيد ذلك

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٥٥

بما يعلم الله فيه الخير لعبده ، ولما سأل الخشية وما بعدها مما هو خير صرف ؛ جزم به ولم يقيده بشيء .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً : لا يتمنى أحدكم الموت ، إما محسناً فلم له أن يزداد ، وإما مسيئاً فلم له أن يستعيب .
ومسلم : لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه . إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله ، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً .
وزاد الامام أحمد في رواية له : إلا أن يكون قد وثق بعمله .

وله أيضاً : لا تتمنوا الموت ، فإن هول المطلاع شديد ، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله الانابة .

وأكثر الروايات إما محسناً ، بالنصب بتقدير : إما أن يكون . ووقع في رواية عبدالرزاق عند الامام أحمد بالرفع فيها ، وهي واضحة . وقوله : يستعيب ، أي يسترضي بالاقلاع والاستغفار ، والاستعتاب : طلب الاعتاب ، والهمزة للإزالة ، — أي يطلب إزالة العتاب — من عاتبه إذا لame . وأعتبه : أزال عتابه ، قال الكرماني في « شرح البخاري » : وهو مما جاء على غير القياس ، إذ الاستفعال إنما ينبني من الثلاثي لا من المزيد فيه . انتهى .

وقد علل النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن تمني الموت بأن العبد إن كان محسناً ، فحياته يرجو أن يزداد بها إحساناً ، وإن كان مسيئاً فإنه يرجو أن يستعيب ، يعني يزيل العتب عنه بالتوبة والانابة قبل الموت .

وقد جاءت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بفضيله طول العمر في الطاعة ، ففي الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم سئل : أي الناس خير ؟ قال : من طال عمره وحسن عمله ، وسئل : أي الناس شر ؟ قال : من طال عمره وساء عمله .

وفي «مسند الإمام أحمد»: أن نفرًا ثلاثة أسلموا فكانوا عند طلحة ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثًا ، فخرج فيه أحدهم فاستشهد ، ثم بعث بعثًا آخر فخرج فيه آخر فاستشهد ، ثم مات الثالث على فراشه ، قال طلحة : فرأيتهم في المنام في الجنة ، فرأيت الميت على فراشه أمامهم ، ورأيت الذي استشهد آخرًا يليه ، ورأيت الذي استشهد أولهم آخرهم . فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فقال : وما أنكرت من ذلك ؟ ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمّر في الاسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله .

وفي رواية قال : أليس قد مكث هذا بعده سنة ؟ قالوا : بلى ! قال : وأدرك رمضان فصامه ؟ قالوا : بلى ! قال : وصلى كذا وكذا سجدة في السنة ؟ قالوا : بلى ! قال : فلما بينها أبعد مما بين السماء والأرض .

وذكر الحافظ ابن رجب ؛ أنه قيل لبعض السلف : طاب الموت ، فقال : يا ابن أخي ! لا تفعل ، ساعة تعيش فيها تستغفر الله خير لك من موت الدهر . وقيل لشيخ من السلف : تحب الموت ؟ قال : لا ، قد ذهب الشباب وشبهه ، وجاء الكبر وخيره ، فاذا قتلت : بسم الله ، وإذا قعدت قلت : الحمد لله ، فأنا أحب أن يبقى لي هذا . ولهذا كان كثير من السلف يبكي عند موته تأسفًا على انقطاع أعماله الصالحة .

وفي «الترمذي» عن النبي صلى الله عليه وسلم : ما أحديموت إلا ندم إن كان محسنًا أن لا يكون ازداد ، وإن كان مسيئًا أن لا يكون قد استعقب . وقد رُئي بعض الموتى من السلف في منام فسئل عن حاله ، فقال : قد قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل ، ونعلمون ولا تعلمون ، والله لتسبيحة أو تسبيحتان ، أو ركعة أو ركعتان في نسخة عملي أحب إليّ من الدنيا وما فيها . وأما الرواية التي في «المسند» : «لا يتمنى أحدكم الموت إلاّ من وثق بعمله»

فهي تدل على أن من له عمل صالح يثق به فله أن يتمنى الموت . وقد كان كثير من السلف يتمنى الموت ، وهم أقسام :

منهم من يحمله على ذلك حسن الظن بالله حباً للقائه ، إما لما عندهم من كثرة الطاعات ، أو لما عندهم من محبة الله عز وجل ، فيحسن ظنه به ، كما قال بعض السلف : لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقاً إلى الله ، وحباً للقائه . فقليل له : أفعل ثقة أنت من عملك ؟ قال : لا ، ولكن لحبي إياه ، وحسن ظني به ، أفتراه يعذبني وأنا أحبه ؟

ومنهم من يتمناه خشية الفتنة في الدين ، فهذا جائز عند أكثر العلماء ، وقد ذكرنا كلام الامام أحمد في ذلك ، وقد تمتناه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها ، فانه قال : اللهم ! إنه قد كبرت سنّي ، ورق عظمي ، وانتشرت رعيتي ، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفتون ، فاستشهد في ذلك الشهر . وسأل عمر بن عبد العزيز من ظن به لإجابة الدعاء أن يدعو له بالموت لما ثقلت عليه الرعية ، وخشي العجز عن القيام بمقوقم .

وفي الحديث الشريف : وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون . وفي «المسند» عن محمود بن لبيد رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : اثنتان يكرهما ابن آدم؛ يكره الموت والموت خير المؤمن من الفتنة ، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب .

ومنهم من يتمناه من غير ضر ولا فتنة ، فان كان ممن وثق بعمله حباً لله وشوقاً إلى لقائه ، جاز ، وكذا تمني الموت عند حضور أسباب الشهادة اغتناماً لها ، والمنهي عنه في الحديث ان يتمنى الموت لضر نزل به ، وهذا اذا لم يثق بعمله يكون كالمستجير من الرمضاء بالنار ؛ لأنه لا يدري لعله يهجم بعد الموت على ما هو أعظم وأشد مما هو فيه . فأما إن وثق بعمله فقد تمتناه للضر بعض السلف ، وقد ورد تعليل

النهي عن تمنى الموت بأن هول المطلاع شديد ، فتمنيه من نوع تمنى وقوع البلاء قبل نزوله ، ولا ينبغي ذلك .

وقد سمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً يتمنى الموت فقال : لا تتمن الموت فانك ميت ، ولكن سل الله العافية ، فان الميت يكشف له عن هول عظيم هو هول المطلاع ، ويرى عالماً آخر لا عهد له به .

وكان الحسن البصري يقول عند موته : نفيسة ضعيفة ، وهول عظيم ، فانا لله وإنا اليه راجعون .

وقد كان كثير من السلف يتمنى الموت في صحته ، فلما نزل به كرهه لشدة ، منهم : أبو الدرداء ، وسفيان الثوري ، فما الظن بغيرهما ؟ والله تعالى الموفق .

الحديث التاسع والعشرون

٧٤ -- ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : نهى نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يتزعفر الرجل .

قال رضي الله عنه : (ثنا إسماعيل بن إبراهيم) قال : (ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك) رضي الله عنه ، (قال : نهى نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يتزعفر الرجل) وفي رواية : نهى عن التزعفر للرجال ، واللفظ الأول في «الصحيحين» و «السنن» ، واللفظ الثاني رواه شعبة ، عن ابن علية عند النسائي ، وروي مطلقاً ؛ نهى عن التزعفر ، وكأن راويه اختصره ، وإلا فقد رواه عن إسماعيل فوق العشرة من الحفاظ مقيداً بالرجل ، وعلى كل فالمطلق محمول على المقيد ،

فذهب الامام أحمد رضي الله عنه كراهة التزعفر للرجال وجهاً واحداً ؛ للنهي المتفق عليه .

قال في «الفروع» : حمل الحلال النهي عن التزعفر على بدنه في صلاته، وحمله صاحب «المحرر» على التطيب به والتخلق به ؛ لأن خير طيب الرجال ما خفي لونه ، وظهر ريحه . انتهى .

قال في «الفتح» : واختلف في النهي عن التزعفر ، هل هو لرائحته لكونه من طيب النساء ، ولهذا جاء الزجر عن الخلق ؟ أو لونه فيلتحق به كل صفرة ؟

وقد نقل البيهقي عن الشافعي أنه قال : أنهى الرجل الحلال بكل حال أن يتزعفر ، وأمره إن تزعفر أن يفسله . قال : وأرخص في المعصفر . قال : لا شيء لم أجد أحداً نهى عنه ؛ إلا ما قال علي : نهائي ، ولا أقول : نهاكم . انتهى .
وقد نص الامام أحمد في رواية عنه على عدم كراهة لبس المزعفر . وفي «نظم الآداب» :

ولا تكرهن في نصه ما صبغته من الزعفران البحت لون المورّد
والزعفران: نبت معروف، قال في «القاموس» : إذا كان في بيت؛ لا يدخله سام أبرص . وزعفر : صبغه بالزعفران ، وقوله : البحت ؛ أي المحض الذي ليس معه غيره ، ولون المصبوغ به يكون مورّداً .

ومن أسماء الزعفران : الورد ، والورد من الخيل : ما بين الكميت والأشقر ، فاللون المورّد ما كان بين الحمرة والصفرة ، ودليل هذه الرواية - يعني عدم كراهة لبس المزعفر - ما روى الامام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما ؛ أنه كان يصبغ ثيابه ويدهن بالزعفران ، ف قيل له : لم تصبغ ثيابك ، وتدهن

بالزعفران ؟ فقال : لأنني رأيته أحب الأصباغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وكان يدهن به ، ويصبغ به ثيابه .

ورواه أبو داود ، والنسائي ، وفي لفظها : ولقد كان يصبغ ثيابه به كلها ،
حق عمامته .

وفي « الآداب » : ويكره له ، أي الرجل ، المعصفر . زاد في « الرعاية » : في
الأصح . وكذا المزعفر على الأظهر ، وفيه وجه : يكره في الصلاة فقط ، وهو
ظاهر ما في « التلخيص » ، وقطع في « شرح المقنع » - للإمام شمس الدين ابن أبي
عمر رحمهما الله - بالكراهة .

وفي « الفروع » : يكره للرجل لبس المزعفر ، والمعصفر ، والأحمر
المصمت . وقيل : لا ، ونقله الأكثر في المزعفر ، وهو مذهب ابن عمر وغيره
وفاقا للإمام مالك . وذكر الآجري والقاضي وغيرهما تحريم المزعفر للرجل ،
وهو مذهب أبي حنيفة ، والشافعي - رضي الله عنها - لكن الذي استقر عليه
مذهب الإمام أحمد وأصحابه الآن كراهية لبس المزعفر ، كما جزم به في
« الاقناع » و « المنتهى » و « الغاية » وغيرها .

تنبيه : كراهية المعصفر أشد من كراهية المزعفر .

وفي « منظومة الآداب » :

وأحمر قانٍ والمعصفر فأكرهن للباس رجالٍ حسبُ في نص أحمد

فيكره للرجال لبس المعصفر في الأصح . قال في « الاقناع » : إلا في
الأحرام فلا يكره . انتهى .

ودليل الكراهة ما روى الإمام أحمد ، ومسلم في « صحيحه » : نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لباس المعصفر . روياه من حديث علي .

وفي « صحيح مسلم » عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنها - قال :
رأى النبي صلى الله عليه وسلم عليّ ثوبين معصفرين ، فقال : إن هذه من ثياب
الكفار فلا تلبسها .

وروى أبو داود عن عمران بن حصين ؛ أن نبي الله صلى الله عليه وسلم
قال : لا أركب الأثريّان ، ولا ألبس المعصفر . قال في « الفروع » : كره
الامام أحمد المعصفر للرجال كراهية شديدة . قاله اسماعيل بن سعيد .

وفي « صحيح مسلم » عن ابن عمر - رضي الله عنها - رأى النبي صلى
الله عليه وسلم عليّ ثوبين معصفرين ، فقال : أملك أمرتك بهذا ؟ ^(١) قلت :
أغسلها ؟ قال : بل أحرقها ^(٢) . قال البيهقي : لو بلغ ذلك الشافعي لقال به اتباعاً
للسنة كعادته .

وقد كره المعصفر جماعة من السلف ، ورخص فيه جماعة ، فمن قال بعدم
كراهية المعصفر ؛ الأئمة الثلاثة ، والموفق من علمائنا وغيره ، ومن قال بالكراهة
من الشافعية ، الحلبي . قال البيهقي : واتباع السنة هو الأولى . انتهى . يعني
أن الأولى الكراهة ، لهذه النصوص . وقال النووي في « شرح مسلم » : أتقن
البيهقي المسألة . انتهى .

ورخص الامام مالك في المزعفر والمعصفر في البيوت ، وكرهه في المحافل ،
والله الموفق .

(١) لم يكن الاصل واضحاً ، وما أثبتناه من « صحيح مسلم » .

(٢) الامر باحراقها - كما في « شرح مسلم » - عقوبة وتغليظ ، لجره وزجر غيره عن

مثل هذا . .

الحديث الثلاثون

٧٥ - ثنا إسماعيل ، عن عبد العزيز ، عن أنس
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دعا أحدكم فليعزم
في الدعاء ولا يقل : اللهم إن شئت فأعطني ، فإن الله
لا مستكره له .

قال رضي الله عنه : (ثنا إسماعيل) أي ابن علبسة (عن عبد العزيز) أي
ابن صهيب (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : إذا
دعا أحدكم معشر الأمة بخير محض من خيري الدنيا والآخرة (فليعزم) بلام الأمر (في
الدعاء) وفي «المسند» أيضاً ، و«الصحاحين» و«النسائي» : فليعزم المسألة بدل الدعاء ، أي
فليطلب طلباً جازماً لا شك فيه ، ويجهد في عقد قلبه على الجزم بمحصول مطلوبه ،
فإن من لوازم الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب .

وقد روى الترمذي ، والحاكم ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن
النبي ﷺ : أنه قال : ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ؛ واعلموا أن الله
لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه . قال الحاكم : مستقيم الاسناد .

وروى الامام احمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما باسناد
حسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القلوب أوعية وبعضها أوعى
من بعض ، فإذا سألت الله عز وجل أيها الناس ؛ فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة ،
فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل (ولا) يملقه بنحو مشيئة ، فلا

(يقول : اللهم ! إن شئت فأعطني) بهمزة قطع ، من أعطى يمطي ، أي لا يشترط مشيئة الله تعالى في دعائه لمعطائه ، فانه من اليقينيّات ، فلا وجه لتعليقه بشرط (فإن الله) لا يفعل إلا ما يشاء ؛ فـ (لا مستكره له) فيستحيل أن يكرهه أحد على شيء . قال ابن عبد البر : لا يجوز لأحد أن يقول : اللهم ! أعطني إن شئت ، وغير ذلك من أمور الدنيا والدين ، لأنه كلام مستحيل لا وجه له ، فحمله النهي على التحريم .

وقال النووي : النهي محمول على الكراهة . وفي رواية عند مسلم : ولكن ليعزم المسألة ، وليعظم الرغبة ، فإن الله لا يتعاظمه شيء .

وفي رواية للبخاري : إنه يفعل ما يشاء لا مكره له . والدعاء شروط وآداب كثيرة ، ومن أهمها ما ذكره ؛ فلذلك افرد به بالذكر اهتماماً بشأنه .

ومن أهمها أيضاً ؛ أن يكون في أزمّة الاجابة ، فإن الدعاء إذا كان عقب عبادة كان أرجى للقبول ؛ لأن النبي ﷺ أمر أن يكون دعاء الاستخارة عقب ركعتين يركعهما من غير الفريضة ، وقال : الدعاء لا يردّ بين الأذان والاقامة ، فإن وافق الدعاء وقتاً من أوقات الاجابة ، كالثلث الأخير من الليل ، وعند الأذان وبين الأذان والاقامة ، وادبار الصلوات ، وعند صعود الإمام المنبر يوم الجمعة حتى تقضى الصلاة ، وآخر ساعة بعد العصر منه (١) ، وصادف خشوعاً في القلب ، وانكساراً بين يدي الرب ، وتضرعاً وعزماً في الدعاء ، ورقة وخضوعاً ، واستقبال الداعي القبلة ، وكان على طهارة ، فمثل هذا الدعاء لا يردّ أبداً ، لا سيما حيث كان بالأدعية المأثورة عن سيد العالم ﷺ .

(١) أي من يوم الجمعة .

الحديث الواحد والثلاثون

٧٦ - ثنا اسماعيل ، ثنا عبد العزيز قال : سأل قتادة أنساً ، أي دعوة كان أكثر يدعوها النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كان أكثر دعوة يدعوها رسول الله ﷺ يقول : اللهم « ربنا آتنا ... » الآية ^(١) .

قال رضي الله عنه : (ثنا إسماعيل) بن عليّة (ثنا عبد العزيز) بن صهيب (قال : سأل قتادة) وهو ابن دعامة بن قتادة ، أبو الخطاب السدوسي ، الأعمى الحافظ البصري الأكمه أحد الأعلام المشهورين ^(٢) بالحفظ والاتقان ، قال بكر ابن عبد الله المزني : من أراد أن ينظر الى أحفظ أهل زمانه فليتنظر الى قتادة ، ما أدر كنا الذي هو أحفظ منه .

قال قتادة : ما سمعت أذناني شيئاً قط إلا وعاه قلبي . وقال : لا يقبل قول إلا بعمل ، فمن أحسن العمل قبل الله قوله .

روى قتادة عن عبد الله بن سرجس ، وأنس ، وأبي الطفيل ، وسعيد ابن المسيب ، والحسن ، وابن سيرين ، وخلق من الصحابة والتابعين . وروى عنه أبو حنيفة ، وأيوب ، وشعبة ، وأبو عوانة ، ومسعر ، والاوزاعي ، وحماد ابن سلمة .

قال سعيد بن المسيب : ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة . وقال الامام أحمد : كان قتادة أحفظ أهل البصرة ، لم يسمع شيئاً إلا حفظه . وقرأ عليه ^(١) سورة البقرة ، الآية ٢٠١ . ولفظ الآية : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » . ^(٢) في الاصل : المشهورة .

صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها، وكان من العلماء ، وقال غيره : كان قتادة يهتم بالقدر . ولد سنه ستين ، ومات سنة سبع عشرة ومائة بواسط ، رحمه الله تعالى ، (أنسا) مفعول سأل ، و قتادة الفاعل ، فقال قتادة لأنس رضي الله عنه (١) : (أي دعوة) من الدعوات (كان أكثر) دعوة (يدعوها النبي ﷺ) في غالب أوقاته ؟ (قال :) أنس رضي الله عنه (كان أكثر دعوة يدعوها رسول الله ﷺ) في غالب أوقاته وأكثر مهاته (يقول : اللهم ربنا) أي ياربنا (آتنا) بعد الهمزة ، أي أعطنا (الآية) (٢) بالنصب مفعول لفعل محذوف ، أي أقول الآية ، أو أتم الآية ، وبالرفع على أنها مبتدأ ، أو خبر لمبتدأ .

وفي رواية : ذكر الآية بتمامها ، كما في « الصحيحين » وغيرها ، وقد اختلفت عبارات السلف في تفسير الحسنة ، فقيل : هي العلم والعبادة في الدنيا ، وقيل : الرزق الطيب ، والعلم النافع ، وفي الآخرة الجنة ، وقيل : هي العافية في الدنيا والآخرة ، وقيل : الزوجة الصالحة ، وقيل : حسنة الدنيا الرزق الحلال الواسع ، والعمل الصالح ، وحسنة الآخرة المغفرة والثواب ، وقيل : حسنة الدنيا العلم والعمل به ، وحسنة الآخرة تيسير الحساب ودخول الجنة ، وقيل : من آتاه الله الاسلام والقرآن ، والأهل والمال والولد ، فقد آتاه الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة .

ونقل الثعلبي عن سلف الصوفية أقوالاً حاصلها : السلامة في الدنيا والآخرة ، واقتصر في « الكشف » على ما نقل الثعلبي عن علي رضوان الله عليه ؛ أنها في

(١) وعلى هامش الاصل : لا يقال : هذا ليس بثلاثي لكون عبد العزيز أسند السؤال لقتادة ؛ لأننا نقول : إن قتادة باشر سؤال أنس رضي الله عنه بحضور عبد العزيز بن صهيب كما لا يخفى ؛ فزال ما لعله يختلج في صدر من لم يتفهم . « المؤلف » .
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٠١ وتقدم لفظ الآية .

الدنيا المرأة الصالحة ، وفي الآخرة الحور ، وقوله : وقنا عذاب النار ،
المرأة السوء .

وقال ابن كثير : الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ،
ودار رحبة ، وزوجة حسنة ، وولد بارٍّ ، ورزق واسع ، وعلم نافع ، وعمل
صالح ، ومركب هنيء ، وثناء جميل ، إلى غير ذلك مما اشتملته عباراتهم ، فانها
كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا .

وأما الحسنة في الآخرة ؛ فأعلاها دخول الجنة ، وتوابعه من الأمن من
الفرع الأكبر في العرصات ، وتيسير الحساب ، وغير ذلك من أمور الآخرة .
وأما الوقاية من عذاب النار ؛ فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا ، من اجتناب
المحرم ، وترك الشهوات . انتهى كما في « الفتح » .

وقيل : الحسنة في الدنيا : الصحة ، والأمن ، والكفاية ، والولد الصالح ،
والزوجة الصالحة ، والنصرة على الأعداء ، وفي الآخرة ؛ الفوز بالثواب ، والخلاص من
العقاب (وكان أنس) بن مالك رضي الله عنه (إذا أراد أن يدعو بدعوة واحدة
(دعا بها) أي بهذه الدعوة لاشتغالها على خيري الدنيا والآخرة ، فانه إذا فسرت
حسنة الدنيا بالسلامة أو العافية أو السعادة شملت كل خير ، وإذا فسرت حسنة
الآخرة بالفوز أو الفلاح ونحوهما فكذلك (و) كان (إذا أراد أن يدعو بدعاء)
كثير أكثر من دعوة (دعا بها) أي بالدعوة المذكورة ، وهي : اللهم ربنا ! آتنا
في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار (فيه) أي في ذلك
الدعاء محافظة من أنس على المأثور عن الرسول المعصوم ، ولكونها آية محكمة من
كلام رب العالمين ، ولا يكفّر النبي ﷺ من الدعاء بها . والمداومة على ذلك منه
تشعر بمزية هذه الدعوة ، والله الموفق .

الحديث الثاني والثلاثون

٧٧ - ثنا إسماعيل ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : كان معاذ يؤم قومه ، فدخل حرام وهو يريد أن يسقي نخله ، فدخل المسجد ليصلي مع القوم ، فلما رأى معاذاً طوّلاً ؛ تجوز في صلاته ولحق بنخله ، فلما قضى معاذ الصلاة ، قيل له : إن حراماً دخل المسجد .

قال رضي الله عنه : (ثنا إسماعيل) بن عليّة (عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : كان معاذ) بن جبل سيد الفقهاء وحامل لوائهم الى الجنة ، وتقدمت ترجمته مع شرح هذا الحديث في شرح الحديث الثامن عشر من «مسند جابر» بن عبد الله رضي الله عنها (يؤم قومه) بني سلمة (فدخل حرام) هكذا في سائر الروايات غير منسوب ، فظن بعضهم أنه حرام بن ملحان خال أنس ، وبذلك جزم الخطيب في «المبهمات» . قال في «الفتح» : ولم أره منسوباً في الرواية ، قال : ويحتمل أن يكون تصحيحاً^(١) من حزم بن أبي كعب . وفي «مبهمات البرماوي» أنه حرام - بالحاء المهملة والراء - بن ملحان خال أنس بن مالك .

واسم ملحان - بكسر الميم - : مالك بن خالد بن زيد بن حرام النجاري الانصاري . شهد بدرأً وأُحداً ، واستشهد يوم بدر معونة مع المنذر بن عمرو ، وعامر بن فهيرة . قتله عامر بن الطفيل ، وكان ذلك في صفر من الرابعة^(٢) (وهو)

(١) في الاصل : تصحيح ، وهو خطأ .

(٢) وعلى هامش الاصل : أقول : الذي حررناه خلاف ذلك .

أي حرام (يريد أن يسقي نخله) أي بصدد ذلك ، والجملة حالية (فدخل المسجد) أي مسجد بني سلمة (ليصلي مع القوم) صلاة العشاء أو المغرب (فلما رأى) حرام (معاذاً طوّل) الصلاة بما ابتدأها به من قراءة سورة البقرة أو غيرها ، على ما في بعض الروايات أنها : « اقتربت » (تجوّز) حرام (في صلاته) أي فارق معاذاً و صلى لنفسه صلاة خفيفة (ولحق بنخله) ليسقيه ، أو لكونه خاف على الماء في النخل ، فانه كان قد أرسله على النخل ، فخاف عدم استيعابه ، أو عدم حصول المقصود ، أو نحو ذلك ، وهذا مما يؤيد قول من قال : إنهما واقعتان ، فما مر في حديث جابر واقعة ، وما هنا في حديث أنس واقعة أخرى ، وأيضاً الاختلاف في الصلاة ، هل هي العشاء أو المغرب ؟ والاختلاف في السورة ، هل هي البقرة أو اقتربت ؟ وبالاختلاف في عذر الرجل ، هل هو لأجل التطويل فقط ؟ أو لأنه جاء من العمل وهو تعب^(١) ؟ أو لكونه أراد أن يسقي نخله ؟ وقد استشكل هذا بأنه لا يظن بمعاذ رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم يأمره بالتخفيف ، ثم يعود الى التطويل ، ويحاج عن هذا بأنه كان قرأ أولاً بالبقرة ، فلما نهاه قرأ باقتربت ، وهي طويلة بالنسبة الى السور التي أمره أن يقرأ بها آخرأ (فلما قضى معاذ) رضي الله عنه (الصلاة قيل له) أي قال له بعض من حضره : (إن حراماً دخل المسجد) فيه طي ، تقديره : فدخل معك في الصلاة ، ثم فارقك ، وتجاوز في صلاته ولحق بنخله . فقال معاذ : إنه منافق ، أيمجل في الصلاة من أجل سقي نخله ؟ قال : فجاء حرام الى النبي ﷺ ومعاذ عنده ، فقال : يا نبي الله ! إني أردت أن أسقي نخلاً لي ، فدخلت المسجد لأصلي مع القوم ، فلما طوّل تجوّزت في صلاتي ، ولحقت بنخلي أسقيه . فزعم أني منافق . فأقبل النبي ﷺ على معاذ فقال : أفتان أنت ؟ أفتان أنت ؟ لا تطول بهم . اقرأ بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، ونحوها . هذا تمام حديث أنس . رواه الامام أحمد باسناد صحيح .

(١) في الاصل : ثعبان ، وهو خطأ . قال في « القاموس » : هو تعب ومتعب .

وروي أيضاً بأسناد صحيح أيضاً عن بريدة الأسلمي - رضي الله عنه - أن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - صلى بأصحابه المشاء فقرأ فيها : اقتربت الساعة ، فقام رجل من قبل أن يفرغ فصلى وذهب ، فقال له معاذ قولاً شديداً ، فأتى النبي ﷺ واعتذر إليه وقال : إني كنت أعمل في نخل وخفت على الماء ، فقال رسول الله ﷺ - يعني لمعاذ - : هل بالشمس وضحاها ، ونحوها - من السور ؟ .

وقول معاذ : إنه منافق ، من شدة غضبه عليه ، لظنه أنه آثر سقي نخله على الصلاة ، ولما علم النبي ﷺ بذلك لام معاذاً رضي الله عنه ، وقال له : أفتان أنت ؟ ومعنى الفتنة هنا : ان التطويل يكون سبباً لخروجهم من الصلاة ، ولتكره الصلاة في الجماعة .

وقد روى البيهقي في « الشعب » بأسناد صحيح ، عن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، أنه قال : لا تبغضوا الله الى عباده ، يكون أحدكم إماماً فيطيل على القوم الصلاة ، حتى يبغض اليهم ما هم فيه ، وبالله التوفيق .

الحديث الثالث والثلاثون

٧٨ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز ، عن أنس قال : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال : أعوذ بالله من الخُبث والخبائث .

قال رضي الله عنه : (ثنا إسماعيل) بن عليّة (ثنا عبد العزيز) بن صهيب (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال) أنس : (كان نبي الله) محمد ﷺ إذا دخل الخلاء) أي أراد أن يدخل المكان المعد لقضاء الحاجة (قال : أعوذ

بالله من الخبث) بضم الخاء المعجمة ، والباء الموحدة ، فثلاثة جمع خبيث (والخبائث) جمع خبيثة ، وتقدم هذا الحديث بعينه وشرحه في الثامن من «مسند أنس» ؛ لكن أخرجه هناك من حديث هشيم ، عن عبد العزيز ، عن أنس ، فلم يختلف من سنده إلا شيخ الامام رضي الله عنه ، فانه هناك هشيم ، وهنا إسماعيل ابن إبراهيم بن عليّة ، ولفظه هناك : اللهم إني أعوذ بك .

الحديث الرابع والثلاثون

٧٩ — ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يضحى بكبشين ، قال أنس : وأنا أضحي بكبشين .

قال رضي الله عنه : (ثنا إسماعيل) بن عليّة (ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : كان رسول الله ﷺ) تقدم ان كان هذه تفيد التكرار والدوام والكثرة (يضحى) أي يذبح أضحيته وقت الضحى ، والضحاء بالفتح والمد ، هو إذا علت الشمس الى ربع السماء فما بعده ، والضحوة ؛ ارتفاع أول النهار . والضحي بالضم والقصر ؛ فوقه ، وبه سميت صلاة الضحى . والأضحية فيها أربع لغات : ضم الهمزة ، وكسرها ، وتشديد الياء ، وضحيّة بوزن سريّة ، والجمع ضحايا ، وأضحاة . والجمع أضحي ، كأرطاة وأرطى . وقال الفراء : الاضحى يذكر ويؤنث ، تقول : دنا الأضحى ، ودنت الأضحى . والأضحى : جمع أضحية أيضاً (بكبشين) متعلق بيضحى ، والكبش : فحل الضأن في أي سن كان ، وقيل : هو كبش إذا أنثى ، وقيل : إذا أربع ، والجمع : أكبش ، وكباش . وتام الحديث كما هو عند الامام أحمد ، والبخاري ، ومسلم ،

و«السنن» ، من حديث أنس رضي الله عنه : أملحين أقرنين ، فرأيته واضعاً رجله
على صفاحهما يسمي ويكبر ، فذبجها بيده .

والأملح - بالحاء المهملة - الذي فيه سواد وبياض ، والبياض أكثر ، ويقال :
هو الأغبر ، وقال الخطابي : الأملح هو الأبيض الذي في خلل صوفه طبقات
سود . ويقال : هو الأبيض الخالص ، قاله ابن الأعرابي ، وبه تمسك علماؤنا
فقالوا : الأفضل الأشهب ، وهو الأملح وهو الأبيض ، أو ما يبيضه أكثر من
سواده ، فأصفر ، فأسود .

قال الامام احمد رضي الله عنه : يعجبني البياض ، وقال : أكره السواد .
وقيل : المراد بالأملح : الذي ينظر في سواد ، ويأكل في سواد ويمشي ، في سواد ،
ويبرك في سواد ، أي ان مواضع هذه منه سواد ، وماعدا ذلك أبيض . واختلف
في اختيار هذه الصفة ، فقيل : لحسن منظره ، وقيل : لشحمه وكثرة لحمه .
واستدل بالحديث على اعتبار العدد في الأضحية ، ومن ثم (قال أنس) بن مالك
رضي الله عنه : (وأنا أضحي بكبشين) اثنين اقتداء برسول الله ﷺ . ولهذا
قال علماؤنا ومن وافقهم : زيادة عدد في جنس أفضل من المغالة مع عدمه ،
فبدنتان بتسمة أفضل من بدنة بعشرة ، ورجح شيخ الاسلام ابن تيمية البدنة
والحالة هذه على البدنتين ، والخصي راجع على النعجة ، ورجح «الموفق» الكبش
على سائر الغنم ، وسبع شياه أفضل من بدنة .

وأفضل ذبح الأضحية أول يوم من وقته ، ثم ما يليه ، وآخره آخر اليوم
الثاني من أيام التشريق عندنا ، كالحنفية والمالكية . وقالت الشافعية : آخره آخر
الثالث من أيام التشريق . وحكى الروياني من الشافعية : أن من أراد أن يضحي
بأكثر من واحد فالمستحب له أن يفرق ذلك على أيام النحر ، قال الامام النووي :
وهذا أرفق بالمساكين ، لكنه خلاف السنة . انتهى .

وفي الحديث دليل على كون التضحية بالذَّكَر أفضل من الأنثى ، وهو قول أحمد والشافعي ، وفي « اختلاف الأئمة » لعون الدين أبي المظفر ابن هبيرة : فحول كل جنس أفضل من إنثاه . وفيه استحباب التضحية بالأقرن ، وأنه أفضل من الأجنم مع الاتفاق على جواز التضحية بالأجهم ، وهو الذي لا قرن له .
(فروع) :

الأول : أول وقت الأضحية يوم العيد بعد أسبق صلاة في البلد ، فاتت الصلوات بالزوال ؛ ضحى إذن ، أو بعد قدرها بعد حلها في حق من لا صلاة في موضعه .

وقال أبو حنيفة : لا يجوز لأهل الامصار الذبح حتى يصلي الامام العيد ، فأما أهل القرى فيجوز لهم بعد طلوع الفجر .

وقال مالك : وقت الذبح بعد الصلاة والخطبة وذبح الامام .
وقال الشافعي : وقته إذا مضى من الوقت مقدار ما يصلي فيه ركعتين ويخطب خطبتين بعدها .

واتفقوا على جواز ذبح الأضحية ليلاً ونهاراً في وقتها المشروع لها ؛ إلا مالكاً ، فانه قال : لا يجوز ذبحها ليلاً ، وأبو حنيفة يكرهه مع جوازه . قلت : وهكذا مذهبنا ، فانه يكره تنزيهاً ذبح الأضحية في ليلتي التشريق ، والله أعلم .

الثاني : لا تصح الأضحية إلا من الابل والبقر والغنم ، فلا تجزىء بالوحشي ولا بمن أحد أبويه وحشي ، وأفضلها : أسمن ، وأغلى ثمناً ، وذكر وأنثى سواء ، ولا تجزىء إلا الجذع من الضأن وهو ماله ستة أشهر ، والثني مما سواه . فثني الابل ما كمل له خمس سنين ، وبقر سنتان ، ومعز سنة . وهذا المذهب بلا ريب .
وقالت الشافعية : جذع الضأن ماتم له سنة وطعن في الثانية ، وثني المعز كالبقرة ماتم له سنتان وطعن في الثالثة .

وقال العبادي منهم : لو أجدع ولد الضأن قبل السنة ، أي سقطت أسنانه؛
أجزأ ، كما لو تمت السنة قبل أن يجدع ، ويكون ذلك كالبلوغ ، إما بالسن أو
الاحتلام . وهكذا قال البغوي : الجدع من الضأن : ما استكمل السنة أو
أجدع قبلها .

الثالث : الأضحية سنة مؤكدة ، ويكره تركها لقادر عليها ، وليست
واجبة إلا أن ينذرها . وكانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم .
وقال أبو حنيفة : هي واجبة على كل مسلم مقيم مالك لنصاب من أي
الاموال كان .

واتفق الثلاثة على كونها سنة ، إلا أن مالكا قال : الحاج الذي بمنى
لا أضحية عليه ، وماعده من المسلمين فعلى كل من قدر عليها من أهل الأمصار
والقرى والمسافرين . وقال : هي مسنونة غير مفروضة مع إيجابه لها على من ذكر .
الرابع : ليس لمن ضحى أن يأكل ثلث أضحيته الاذن ، ويهدي ثلثها
الوسط ولو لغني ، ويتصدق بثلثها الافضل ولو منذورة أو معينة . قال الامام
أحمد رضي الله عنه : وكان من شمار الصالحين تناول لقمة من الأضحية من كبدها
أو غيرها تبركا .

وأما إن كانت الأضحية ليتيم ، فلا يتصدق الولي ، ولا يهدي منها شيئا ،
بل يوفرها له .

فإن أكل المضحي كل أضحيته ، أو أهداها كلها إلا أوقية تصدق بها ،
جاز ، لأنه تجب الصدقة ببعضها نية على فقير مسلم .
وقال أبو حنيفة : له أن يأكل من أضحيته ، ويطعم الفقراء والاعنياء
ويدخر ، ويستحب أن لا ينقص الصدقة عن الثلث .

وقال مالك : يأكل منها ، ويطعم فقيراً وغنياً ، وحرراً وعبيداً ، ونيئاً ومطبوخاً ، ويكره أن يطعم منها يهودياً أو نصرانياً ، وليس لما يأكل منها ويطعم حد ، قال : والاختيار أن يأكل الأقل ، ويقسم الاكثر ، ولو قيل : يأكل الثلث ويقسم الباقي لكان حسناً . ومذهب الشافعي كمذهبنا . وقيل : عنده يأكل النصف ، ويتصدق بالنصف . والله أعلم .

تنمة : في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم سمى عند ذبح أضحيته وكبر ، أي قال : بسم الله والله أكبر ، وأنه صلى الله عليه وسلم وضع رجله الشريفـة — أي اليمنى — على صفاحها — أي الكبشين — يعني على صفحة كل واحد منها عند الذبح .

والصفاح بكسر الصاد المهملة ، وتخفيف الفاء وآخره حاء مهملة : الجوانب . والمراد الجانب الواحد من وجه الأضحية ، وإنما ثني إشارة الى أنه فعل ذلك في كل منها ، فهو من إضافة الجمع الى المثنى بارادة التوزيع .

وفي الحديث استنجاب ذبح المضحي أضحيته بيده ، ولا خلاف في مشروعية ذلك ، وإنما الخلاف في وجوبه .

وقد اتفقوا على جواز التوكيل فيها ولو للقادر ؛ نعم عند المالكية رواية بدم الاجزاء مع القدرة ، وعند اكثرهم يكره ، لكن يستحب أن يشهدها . ويجوز أن يوكل في ذبحها كتابياً مع الكراهة عند الثلاثة ، وقال مالك : لا يجوز أن يذبحها إلا مسلم .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : يستحب اذا ذبح أن يقول : وجهت وجهي الى قوله : وأنا من المسلمين . قال الامام أحمد : يسمي ويكبر حين يحرك يده بالذبح ويقول : اللهم هذا منك ولك . ولا بأس بقوله : اللهم تقبل من

فلان ، نص عليه الامام أحمد . وذكر بعضهم أنه يقول : اللهم تقبل مني كما تقبلت
من ابراهيم خليلك ، والله أعلم^(١) .

الحديث الخامس والثلاثون

٨٠ — ثنا اسماعيل ، ثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لبس الحرير في
الدنيا لم يلبسه في الآخرة .

قال رضي الله عنه (ثنا اسماعيل) بن ابراهيم (ثنا عبد العزيز) بن صهيب
(عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : من لبس
الحرير) ومثل اللبس افتراشه ، واستناده اليه ، واتسكاؤه عليه ، وتوسده ، وتعليقه ،
وستر الجدر به ، غير الكعبة المشرفة — زادها الله تشریفاً — وكلام أبي المعالي
يدل على أنه محل وفاق . وذكر في « الفروع » أن تحريم نحو الاستناد والاتكاء
خلاف الحنفية .

والحرير معروف ، وهو عربي ، وسمي بذلك لخلوّصه ، يقال لكل شيء

(١) وجدنا الحديث التالي مكتوباً على هامش بحث الاضحية من المخطوطة ، بخط آخر ،

وغير مندرج في سياق البحث :

وعن أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب الى الله من اوراق الدم ، وانها
لتأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها ، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع
من الارض ، فطيبوا بها نفساً . رواه الترمذي وابن ماجه ، وحسنه الترمذي ، والحاكم
وصححه . «المؤلف»

خالص : محرر ، وحررت الشيء خلصته من الاختلاط بغيره . وقيل : هو فارسي معرب (في) الحياة (الدنيا) من الرجال المكلفين لغير عذر ، (لم يلبسه) أي الحرير (في الآخرة) وفي رواية : ان يلبسه في الآخرة ، وزاد النسائي في رواية له : ومن لم يلبسه في الآخرة لم يدخل الجنة ، قال الله تعالى : « لباسهم فيها حرير »^(١).

وهذه الزيادة مدرجة في الخبر ، وهي موقوفة على عبد الله بن الزبير رضي الله عنها ، كما بين ذلك النسائي . وكذا أخرجه الاسماعيلي من طريق علي بن الجعد ، عن شعبة ، ولفظه : فقال ابن الزبير - من رأيه - ومن لم يلبس الحرير في الآخرة لم يدخل الجنة ، وذلك لقوله تعالى : « ولباسهم فيها حرير »^(١) وقد جاء مثل ذلك عن ابن عمر أيضاً ، أخرجه النسائي من طريق حفصة بنت سيرين ، عن خليفة ابن كعب ، قال خطبنا ابن الزبير ، فذكر الحديث المرفوع ، وزاد ، قال : فقال ابن عمر : إذا والله لا يدخل الجنة ، قال الله : « ولباسهم فيها حرير »^(١) ؛ لكن أخرج الامام أحمد ، والنسائي وصححه الحاكم ، من طريق داود السراج ، عن أبي سعيد ، فذكر الحديث وزاد : وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو . وهذا يحتمل أن يكون أيضاً مدرجاً ، وعلى تقدير ثبوته مرفوعاً ، فهو من العام المخصوص بالمكلفين من الرجال ، للأدلة الأخرى بجوازه للنساء .

وقد جاء الوعيد على لبس الحرير في عدة أحاديث : فمنها هذا الحديث الذي نحن بصدد شرحه عن أنس بن مالك ، متفق عليه .

ومنها ما في « الصحيحين » وغيرهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا تلبسوا الحرير ، فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة .

(١) سورة الحج ، الآية : ٢٣

وفي « الصحيحين » من حديث عمر رضي الله أيضاً قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنما يلبس الحرير من لا خلاق له ، زاد البخاري ، وابن ماجه وغيرهما : في الآخرة .

والامام أحمد ، والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - مرفوعاً : من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة . وفي « صحيح البخاري » عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال : نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة ، وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج ، وأن نجلس عليه .

وفي قوله : وأن نجلس عليه حجة قوية لمن قال بمنع الجلوس على الحرير ، وهو قول الجمهور ، خلافاً لابن الماجشون ، والكوفيين ، وبعض الشافعية . وأجاب بعض الحنفية بأن لفظة : نهى ليس صريحاً في التحريم ، وبعضهم باحتمال أن يكون النهي ورد عن مجموع اللبس والجلوس ، لا عن الجلوس بمفرده . هذا مع أن ابن بطال قال في « شرح البخاري » : هذا الحديث نص في تحريم الجلوس على الحرير . وقال في « الفتح » : بل هو ظاهر في التحريم وليس بنص .

وقد أخرج ابن وهب في « جامعه » من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قال : لأن أقعد على جمر الغضا أحب اليّ من أقعد على مجلس من حرير . وقد أخرج الامام أحمد ، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، مرفوعاً : لا يستمتع بالحرير من يرجو أيام الله .

وروى الامام أحمد أيضاً ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، مرفوعاً : إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا يرجو أن يلبسه في الآخرة .

قال الحسن : فما بال أقوام يبلغهم هذا عن نبيهم ، يجعلون حريراً في ثيابهم ويوتئهم ؟

وأخرج الامام أحمد أيضاً عن أبي أمامة رضي الله عنه ، مرفوعاً : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريراً ولا ذهباً .

تفصيله : أجمعت الأمة على تحريم لبس الحرير للرجال ، وإباحته للنساء واختلفت في علة تحريمه على الرجال على رأيين مختلفين : أحدهما : الخيلاء ، والثاني : كونه ثوب رفاهية وزينة ، فيليق بزي النساء دون شهامة الرجال . ويحتمل علة ثالثة وهي : التشبه بالمشركين . قال ابن دقيق العيد : وهذا قد يرجع الى الاول لانه من سمة المشركين ، والله الموفق .

الحديث السادس والثلاثون

٨١ - ثنا اسماعيل ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : لزينب تصلي ، فاذا كسلت أمسكت به . فقال : حلّوه ، ثم قال : ليصل أحدكم نشاطه ، فاذا كسل أو فتر فليقعد .

قال رضي الله عنه : (ثنا اسماعيل) ابن عليّة (ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : دخل رسول الله ﷺ المسجد) آل فيه للعهد ، أي مسجده الشريف (وحبل) وهو السبب الذي يربط به (ممدود) صفة لحبل ، والجملة حالية (بين ساريتين) من سواري المسجد . قال الجوهرى : هي الاسطوانة . والاسطوانة بالضم ، معرب استون ، أفعولة ، أو فعلوانة . والمراد :

عمودين ، من قوائم المسجد (فقال) ﷺ (ما هذا ؟) أي الجبل الممدود ،
يعني لمن هذا ؟ ولا شيء مد هذا الجبل بين هاتين الساريتين ؟ (قالوا) أي
من حضر وعلم من الصحابة رضي الله عنهم ، هذا (لزيب) أي بنت جحش ،
وتقدمت ترجمتها في الحديث الخامس من «مسند أنس» رضي الله عنها . ولابي داود ،
قالوا : لحنمة بنت جحش ، ولابن خزيمة : ليمونة بنت الحارث قال في «الفتح» :
وهي رواية شاذة ، والرواية الصحيحة الأولى كما في «المسند» و«الصحيح» ، وأبي
داود ، والنسائي ، وابن ماجه (تصلي) ما دامت نشطة (فاذا كسلت) وفي
رواية : اذا فترت بالمثناة ، بمعنى كسلت عن القيام لشدة تعبها ، وكثرة نصبها لربها
(أمسكت به) لتقوم وتستعين بذلك على طول القيام والعبادة (فقال) صلى
الله عليه وسلم : (حلوه) أي الجبل من بين الساريتين ، وفي رواية : لا ،
أي لا يكون هذا الجبل ، أولاً يحمده هذا الفعل ، هذا ان كانت لا نافية ،
ويحتمل أن تكون ناهية ، أي لا تفعلوا مثل هذا (ثم قال) صلى الله عليه وسلم
(ليصل) اللام للأمر و (أحدكم) فاعل (نشاطه) بفتح النون ، أي مدة
نشاطه ، يعني مدة خفته له ، وإيثار فعله بخفة وسرعة ورغبة من غير تكلف
ولا تخامل . قال في «القاموس» : نشط كسمع ، نشاطاً بالفتح فهو ناشط
ونشط ؛ أي طابت نفسه للعمل . أي ليصل أحدكم ما طابت نفسه للعمل من غير
تكاسل ولا ثقل (فاذا كسل) عن الصلاة (أو فتر) أي صار ذا فتور ، وهو
ضعف وانكسار ، يقال : افتر الرجل فهو مفتر : إذا ضعفت جفونه وانكسر
طرفه (فليقعد) أي ، فاذا فتر في أثناء قيامه فليقعد ويتم صلاته قاعداً ، أو إذا
فتر بعد فراغ بعض تسليماته ؛ فليأت بما بقي من نوافله قاعداً ، أو فليترك حتى
يحدث له نشاط ، فلا يصلي إذا غلبه النوم حتى يعقل ما يقول ويفعل .

وفي «الصحيحين» و«أبي داود» و«الترمذي» و«النسائي» و«ابن

ماجة ، ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس ، لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه . ولفظ النسائي : إذا نعس أحدكم وهو يصلي فلينعرف ، فلعله يدعو على نفسه وهو لا يدري .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أنس رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا نعس أحدكم في الصلاة فليغمض حتى يعلم ما يقرؤه .

وقد قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : السنة - والذي لا إله إلا هو - بين الغالي والجافي ، فاصبروا عليها رحمكم الله ، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى ، وهم أقل الناس فيما بقي ، الذين لم يذهبوا مع أهل الأتراف في أترافهم ، ولا مع أهل البدع في بدعهم ، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم . فكذلك إن شاء الله فكونوا .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : إياكم والغلو في الدين ، فانما أهلك الذين من قبلكم بالغلو في الدين ، رواه الامام أحمد ، والنسائي .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : لا تشددوا فيشدد الله عليكم ؛ فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فتلک بقاياهم في الصوامع والأديار (١) ، رهبانية ما كتبناها عليهم ، فهي رسول الله ﷺ عن التشدد في الدين ، وأخبر أن تشديد العبد على نفسه بالزيادة على المشروع ، هو السبب لتشديد الله عليه ، إما بالقدر وإما بالشرع ، فالتشديد بالشرع ؛ كما يشدد على نفسه بالنذر الثقيل ، فيلزمه الوفاء به ، وبالقدر ؛ كفعل أهل الوسوسة ، فانهم شددوا على أنفسهم فشددت عليهم بالقدر ، حتى استحکم ذلك وصار صفة لازمة لهم .

وقال أبي بن كعب : عليكم بالسبيل والسنة ، فانه ما من عبد على السبيل

(١) في الاصل : الديارات . قال في « القاموس » : الدير : جمعه أديار .

والسنة ذكر الله فاقشعر جلده من خشية الله إلا تحانت عنه خطايا كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقه ، وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة ، فاحرصوا إذا كانت أعمالكم اقتصاداً أن تكون على منهاج الأنبياء وسنتهم . وبالله التوفيق .

تنبيه : هذا الحديث وما بعده مما ذكرناه ، أصل عظيم في الاقتصاد ، وهو التوسط والعدل بين جانبي الإفراط والتفريط من الفعل والقول ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية : دين الله تعالى بين الغالي والجاني الحقيقة هي المهلكة والحسنة بين سيئتين .

وفي « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : يسِّروا ولا تمسِّروا ، وبشِّروا ولا تنفروا .

وفي « سنن أبي داود » من حديث سهل بن أبي أمامة ، أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك رضي الله عنه بالمدينة ، في زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة ، فإذا هو يصلي صلاة خفيفة ذفيفة — أي بالذال المعجمة المفتوحة ، ففائين بينها تحنانية ، فهاء تأنيث — بمعنى خفيفة لا إطالة فيها ولا تكلف ولا رياء ، كأنها صلاة مسافر ، أو قريباً منها ، فلما سلم قال : يرحمك الله ، أرأيت هذه الصلاة المكتوبة ، أو شيء تنفلته ؟ قال : إنها المكتوبة ، وإنها لصلاة رسول الله ﷺ ، ما أخطأت إلا شيئاً سهوت عنه ، ثم قال : إن رسول الله ﷺ قال : لا تشددوا ... الحديث .

وفي « الصحيحين » وغيرهما ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كانت عندي امرأة من بني أسد ، فدخل علي رسول الله ﷺ ، فقال : من هذه ؟ قلت : فلانة ، لا تنام من الليل ، تذكر من صلاتها . قال : مه ، عليكم من

الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يملّ حتى تملّوا . وكان أحب الدين ما داوم (١)
عليه صاحبه .

وفي رواية لمسلم : أن الحولاء بنت تويت مرت بها (٢) وعندها رسول الله
ﷺ ، فقلت : هذه الحولاء بنت تويت ، وزعموا أنها لا تنام الليل ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : لا تنام الليل ! خذوا من العمل ما تطيقون ، فوالله
لا يسأم الله حتى تسأموا .

وفي «الموطأ» مرسلًا ، عن إسماعيل بن أبي حكيم ، أنه بلغه أن رسول
الله ﷺ سمع امرأة من الليل تصلي ، فقال : من هذه ؟ قيل : الحولاء بنت تويت ،
لا تنام الليل ، فكره ذلك حتى عرفت الكراهية في وجهه ، ثم قال : إن الله
لا يملّ حتى تملّوا . اكلفوا من العمل ما لكم به طاقة .

قوله : الحولاء - هو بفتح الحاء المهملة ، وسكون الواو ، وبالمد . وتويت : بضم التاء
المثناة فوق ، وفتح الواو ، وسكون الياء التحتية ، فتاء فوقها نقطتان وهي الحولاء بنت
تويت ، ابن حبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، القرشية ، الأسدية . أسلمت بعد
الهجرة ، وبايعت النبي ﷺ وهاجرت إليه ، وكانت من المتهجدات في العبادة .
روت عنها عائشة رضي الله عنها ، وقالت عائشة : إن الحولاء استأذنت على النبي
ﷺ ، فأذن لها وأقبل عليها ، فقلت : يا رسول الله ! أتقبل على هذه هذا
الاقبال ؟! فقال : إنها كانت تأتينا في زمن خديجة ، وإن حفظ العهد من الإيمان ،
ويقال : إن هذا الحديث ورد في غير الحولاء والله تعالى أعلم .

وقوله : لا يملّ حتى تملّوا ، المراد بهذا الحديث : أن الله لا يملّ أبدًا ، ملّتم أو لم تملّوا ،
فجري مجرى قولهم : حتى يشيب الغراب ، ويبيض القمار ، وقيل معناه : إن الله لا

(١) في الاصل : ما دام .

(٢) أي بعائشة رضي الله عنها .

يطرحكم حتى تتركوا العمل له ، وتزهدوا في الرغبة ، فسمى الفعلين ملأ ، وكلاهما ليس بمل ، كمادة العرب في وضع الفعل اذا وافق معناه ، نحو قوله :

ثم أضحوا لعب الدهر بهم وكذلك الدهر يودي بالرجال

فجعل إهلاكه إياهم لعباً ، وقيل معناه : أن الله لا يقطع عنكم فضله ، حتى تملوا سؤاله ، فسمى فعل الله ملأ ، وليس بمل على جهة الازدواج ، كقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » ^(١) وكقوله : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » ^(٢) وهذا سائغ في العربية ، وكثير في القرآن ، ويسمى ما كان مثل هذا : مشاكلة .

وروى الترمذي ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن لكل شيء شرّة ، ولكل شرّة فترة ، فإن كان ^(٣) صاحبها سدد وقارب فارجوه ، وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدّوه .

وفي كتاب الحافظ أبي الحسن رزين بن معاوية العبدي ، عن ابن عباس رضي الله عنها ، قال : كانت مولاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، خبر عنها أنها تقوم الليل وتصوم النهار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل عامل شرّة ، ولكل شرّة فترة ، فمن صارت فترته الى سني ؛ فقد اهتدى ، ومن أخطأ فقد ضل .

وفيه أيضاً عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : لن ينجي أحدكم عمله ، قالوا : ولا أنت ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته منه ، فسددوا وقاربوا ، أغدوا وروحوا شيئاً من الدلجة ، والقصد

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٩٣

(٢) سورة الشورى ، الآية : ٤٠

(٣) لم تكن كان في الاصل ، والتصحيح من « الترغيب والترهيب » .

القصد تبلغوا . وإن أحب الاعمال ، ما داوم عليه صاحبه وإن قل ، فاكلفوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل ؛ حتى تملوا .

وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :
خير الامور أوسطها .

ومعنى هذا : إن لكل خصلة محمودة طرفين مذمومين ، مثل السخاء وسط بين البخل والتبذير ، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، والانسان مأمور أن يجتنب كل وصف مذموم ، وتجنبه بالتخلي عنه ، والبعد منه ، فكما ازداد منه بعداً ؛ ازداد منه تخلياً وتعرياً ، وأبعد الجهات والأماكن والمقادير من كل طرفين ، فانما هو وسطها ، لأن الوسط أبعد الجهات من الاطراف ، وهو غاية البعد عنها ، فاذا كان في الوسط ؛ فقد تعرى عن الاطراف المذمومة ؛ بقدر الامكان ، فلهذا كان خير الامور أوسطها . كما في « جامع الاصول » للعلامة ابن الاثير . رحمه الله تعالى .

وفي أواخر كتاب « الروح » للامام المحقق ابن القيم : الاقتصاد خلق محمود يتولد من خلقين : عدلٍ وحكمةٍ ، فبالعدل يعتدل في المنع والبذل ، وبالحكمة يضع كل واحد منها موضعه الذي يليق به ، فيتولد من بينهما الاقتصاد ، وهو وسط بين طرفين مذمومين . كما قال تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً »^(١) وقال تعالى : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً »^(٢) يعني كما أن التبذير مذموم ؛ فكذلك الشح مذموم ، وبين هذين الطرفين الجود والكرم . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٢٩

(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٦٧

الحديث السابع والثلاثون

٨٢ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك قال : أقيمت الصلاة ورسول الله ﷺ نجي لرجل في المسجد ، فما قام للصلاة حتى نام القوم .

قال رضي الله عنه : (ثنا) أبو بشر (إسماعيل) بن عليّة (ثنا عبد العزيز) ابن صهيب (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : أقيمت) - بضم الهمزة - مبنياً للمجهول (الصلاة) بالرفع نائب الفاعل ، أي صلاة العشاء كما بينه حماد ، عن ثابت عن أنس (ورسول الله ﷺ نجي لرجل) وفي لفظ : يناجي رجلاً ، والواو في قوله : ورسول الله ، واو الحال . قال في « الفتح » : لم أقف على اسم هذا الرجل ، وذكر بعض الشراح ؛ أنه كان كبيراً في قومه ، فأراد أن يتألفه على الإسلام ، قال : ولم أقف على مستند ذلك . انتهى . وتقدم الكلام على النجوى في الحديث الخامس من «مسند ابن عمر» رضي الله عنها ، فراجعه هناك .
تظفر بجملة أحكامها . وكان رسول الله ﷺ نجيّاً لذلك الرجل (في المسجد) أي في مسجده الشريف ، قال « فيه للعهد الذهني : (فما قام) ﷺ (للصلاة حتى نام القوم) وفي لفظ في « الصحيحين » : حتى نام بعض القوم ، زاد شعبة ، عن عبد العزيز : ثم قام أي البعض الذي نام فصلى . أخرجه مسلم ، وكذا هو عند البخاري في الاستئذان^(١) من «صحيحه» ، وكذا في مسند إسحاق بن راهوية ، وابن حبان من وجه آخر عن أنس ، وهو يدل على أن النوم المذكور لم يكن مستغرقاً ،

(١) أي في باب الاستئذان .

ويرشد الى كون النوم كان يسيراً ، أنه وقع بين إقامة الصلاة وبين الاحرام بها .
وفي بعض الروايات : حتى نغمس بعض القوم بين الاقامة والاحرام . وفي
الحديث جواز الفصل بين الاقامة والاحرام لحاجة ، وأما اذا كان لغير حاجة
فمكروه . قال الزين بن المنير : لفظ الخبر يشعر بأن المناجاة كانت لحاجة النبي
ﷺ ، لقول أنس : والنبي ﷺ يناجي رجلاً ، ولو كانت لحاجة الرجل ؛ لقال
أنس : ورجل يناجي النبي ﷺ . انتهى . واعترضه في « الفتح » : بأن هذا
ليس بلازم ، وفيه غفلة منه عما في « صحيح مسلم » بلفظ : أقيمت الصلاة ، فقال
رجل : لي حاجة ، فقام النبي ﷺ يناجيه .

الحديث الثامن والثلاثون

٨٣ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن
أنس بن مالك : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ،
أخذ أبو طلحة بيدي ، فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ فقال :
يا رسول الله ! إن أنساً غلام كَيْسٌ فليخدمك . قال : فخدمته
في السفر والحضر . والله ما قال لي شيء صنعت لم صنعته هذا ؟
ولا شيء لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا .

قال رضي الله عنه : (ثنا إسماعيل) بن عيسى (ثنا عبد العزيز بن صهيب ،
عن أنس بن مالك) رضي الله عنه : (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة) النبوية
مهاجراً من مكة المشرفة اليها (أخذ أبو طلحة) واسمه زيد بن سهل بن الأسود ابن

حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجّار ، الانصاري
النجاري ، مشهور بكنيته ، شهد العقبة الأخيرة مع السبعين ، ثم شهد بدرًا وما
بعدها من المشاهد ، وهو زوج أم أنس ابن مالك ، كما تقدم في ترجمة « الغميصاء »
في الحديث السادس عشر من مسند أنس وكان أبو طلحة من الرماة المذكورين ،
قال صلى الله عليه وسلم : لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فذة . وفي لفظ : خير من مائة
رجل ، وكان يسرد الصوم كثيراً ، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، يقال : إنه سرد
الصوم أربعين سنة . روى عنه ابن عباس ، وأنس بن مالك ، وزيد بن خالد ،
وغيرهم . روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم : اثنان وسبعون حديثاً ،
اتفقاً على حديثين ، وانفرد البخاري بحديث ، ومسلم بآخر . مات أبو طلحة
سنة إحدى وثلاثين ، وقيل : سنة اثنين وثلاثين ، وقيل : أربع وثلاثين ،
وهذا يخالف كونه سرد الصوم أربعين سنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أن
يقال : إنه جبر الكسر .

روي أنس أن أبا طلحة رضي الله عنها ، قرأ سورة براءة ، فأتى على
قوله تعالى : « انفروا خفافاً وثقالاً » (١) فقال : لا أرى ربنا إلا
يستنفرنا شباباً وشيوخاً ، يابني جهزوني ، فقالوا : يرحمك الله ، لقد غزوت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فدعنا ننفر عنك .
فقال : لا ، جهزوني ، فغزا البحر فمات في البحر ، فلم يجدوا له جزيرة يدفونوه
فيها إلا بعد سبعة أيام ، فدفنوه فيها وهو لم يتغير .

قال النووي : رواه البيهقي باسناد صحيح ، ورواه ابن أبي شيبة في
« مصنفه » عن الحسن ، وعطاء . وقيل : إنه مات بالمدينة وهو ابن سبعين
سنة . رحمه الله ورضي عنه « بيدي » متعلق بأخذ (فانطلق) أبو طلحة (بي

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ! إن أنساً (يعني نفسه
(غلام كتيّس)) أي عاقل كما في « النهاية » .

وقال في « المصباح » : الكيس وزان قتلّس : الظرف والفتنة ، والكيس مثقلاً :
اسم فاعل ، وجمعه أكياس ، مثل جيد وأجيد (فليخدمك) الفاء سببية ، واللام
لام الامر ، وهي من الأدنى الى الأعلى ، فتكون دعائية ، أي فاتخذك خادماً
يخدمك ، فاتخذك صلى الله عليه وسلم خادماً (قال) أنس رضي الله عنه (فخدمته)
صلى الله عليه وسلم عشر سنين . كما عند الامام احمد والبخاري وغيرهما ، وهو
كذلك في معظم الروايات .

ووقع عند « مسلم » ، من طريق إسحاق بن أبي طلحة ،
عن أنس رضي الله عنه ؛ والله لقد خدمته تسع سنين ، ولا مغايرة بينها ، لأن
ابتداء خدمته كان بعد قدومه ﷺ المدينة ، وبعد تزويج أم سليم بأبي طلحة ،
ولما تزوجت أم سليم بأبي طلحة بعد قدوم النبي ﷺ بمدة أشهر ، كما في
« الفتح » لأنها بادرت الى الاسلام ، ووالد أنس حي ، فعرف بذلك فلم يسلم ،
فخرج في حاجة له فقتله عدو له . وكان أبو طلحة قد تأخر إسلامه ، فانفق أنه
خطبها ، فاشترطت عليه أنه يسلم ، فأسلم ، كما أخرجه ابن سعد بأسناد حسن ،
فعلى هذا تكون مدة خدمة أنس تسع سنين وأشهر ، فالغى الكسر مرة وجبره
أخرى ، هكذا في « الفتح » . (في السفر والخضر) أشار بالسفر إلى ما وقع في
المغازي من البخاري وغيره عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ طلب من أبي
طلحة لما أراد الخروج الى خيبر من يخدمه ، فأحضره أنساً ، فأشكّل هذا الحديث
على الحديث الاول ؛ لأن بين قدومه المدينة وبين خروجه الى خيبر نحو ست سنين .
وأجيب بأنه طلب من أبي طلحة من يكون أسن من أنس وأقوى على الخدمة في
السفر ، فعرف أبو طلحة من أنس القوة والكفاءة على ذلك ، فأحضره ، فلهذا

قال أنس رضي الله عنه : فخدمته في الحضر والسفر (والله ما قال لي :) أف قط .
 قال الراغب : أصل الأف : كل مستقذر من وسخ ، كقلامة الظفر ،
 وما يجري مجراها ، ويقال ذلك لكل مستخف به ، ويقال أيضاً عند تكره الشيء .
 وعند التضجر من الغير ، واستعملوا منها الفعل كأففت بفلان ، وفي أف عدة
 لغات : الحركات الثلاث بغير تنوين ، وبالتنوين ، وقد وقعت هذه الرواية وهي :
 ما قال لي : أف قط في « الصحيحين » وغيرها ، لكن وقع في مسلم هنا : أفأ
 بالنصب والتنوين ، وهي موافقة لبعض القراءة الشاذة ، وهذا كله مع ضم الهمزة
 والتشديد ، وعلى ذلك اقتصر أكثر الشراح كما في « الفتح » .

قال : وذكر أبو الحسن الزناتي فيها لغات كثيرة : فبلغها تسعاً وثلاثين ،
 ونقلها ابن عطية وزاد واحدة ، فأكملها أربعين ، وملخص ذلك الستة المتقدمة
 وبالتخفيف كذلك ستة أخرى ، وبالسكون مشدداً ومخففاً ، وزيادة هاء
 ساكنة في آخره مشدداً . وأفأ ، بالامالة ، وبين بين ، وبلا إمالة : الثلاثة بلا تنوين ،
 وأفو بضم ثم سكون . وأفى بكسر ثم سكون ، فذلك اثنتان وعشرون ، وهذا
 كله مع ضم الهمزة ، ويجوز كسرهما وفتحها . فأما بكسرهما : ففي إحدى عشرة :
 كسر الفاء وضمها مشدداً مع التنوين وعدمه أربعة ، ومخففاً بالحركات الثلاث مع
 التنوين وعدمه ستة ، وأفى بالامالة والتشديد . وأفأ بفتح الهمزة فهي ست : بفتح
 الفاء وكسرهما مع التنوين وعدمه ، وبالسكون ، وبألف مع التشديد ، والتي
 زادها ابن عطية : أفاه بضم أوله وزيادة ألف وحاء ساكنة ، وقرئ من هذه
 اللغات ست : كلها بضم الهمزة ، فأكثر السبعة بكسر الفاء مشدداً بغير تنوين ،
 ونافع وحفص كذلك ، لكن بالتنوين ، وابن كثير وابن عامر بالفتح والتشديد
 بلا تنوين .

قال أنس رضي الله عنه : وما قال لي (لشيء صنعته لم) أي لأي شيء .

(صنعت هذا؟) زاد في لفظ كذا ، وفي لفظ : ما علمته ، قال لشيء صنعته لم فملت كذا وكذا؟ (ولا) قال (لشيء لم أصنعه : لم) أي لا شيء (لم تصنع هذا هكذا؟) .

وفي لفظ : لم لم تصنع هذا كذا؟ ويستفاد من هذا ترك العتاب على ما فات ، لأن هناك مندوحة عنه باستئناف الامر به اذا احتيج اليه .
وقائده : تنزيه اللسان عن الزجر والذم ، واستئلاف خاطر الخادم بترك معاقبته ، وكل ذلك من الامور التي تتعلق بحظ الانسان .
وأما الامور اللازمة شرعاً فلا يتسامح فيها ، لأنها من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وفي رواية لمسلم : ولا قال لي لشيء : لم فعلت وهلا فعلت؟ وفي رواية له أيضاً : لشيء مما يصنعه الخادم .

وهذا من مكارم أخلاق النبي ﷺ ، ومحاسن شيمه وسعة كرمه وحلمه ، وتفويض أمره لعالم سره وجهره . وملاحظة تقدير ربه وإجراء الأمر على وفق إرادة مالك أمره وكسبه ، فانه عليه الصلاة والسلام كان أحسن الناس خلقاً وخلقاً ، وأكرمهم شيماً ، وأعرقهم صدقاً ، وناهيك من شهد له بعظم خلقه العليم الحكيم بقوله سبحانه : « واثق لعل خلق عظيم » (١) .

قال الحسن البصري : حقيقة حسن الخلق بذل المعروف ، وكف الأذى ، وطلاقة الوجه .

وقال القاضي عياض : هو مخالطة الناس بالجميل .
وقال في « الفتح » : حسن الخلق : اختيار الفضائل ، واجتناب الرذائل .
وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن ، يفضى لغضبه ويرضى لرضاه .

(١) سورة القلم ، الآية : ٤

وتفصيل هذا أنه كان ﷺ يتصف بكل صفة حميدة مذكورة فيه ،
ويجتنب كل خصلة ذميمة مسطورة فيه .
وعلى كل حال رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ، وأكرمهم شيئاً
بلا محال ، والله ولي الفضال .

تفصيله : جوز الحافظ ابن حجر وغيره من الشراح أن عدم التأنيف
والعتب والاعتراض على أنس رضي الله عنه من رسول الله ﷺ أنه من كمال
أدب أنس ، وهذا بعيد جداً لأمر :

الاول : أن الحديث إنما ذكر في حسن أخلاق سيد العالم وصفوة بني
آدم ، وعظيم حلمه ، وسعة باله ﷺ .

الثاني : أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كما في « المسند » وغيره : ولا
عاب عليّ شيئاً قط ، ولا أمرني بأمر وتوانيت عنه أو ضيعته فلامني ، ولا لامني
أحد من أهله إلا قال : دعوه ، فلو قدر أو قضي كان .

وفي « صحيح مسلم » « كالمسند » عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ، فأرسلني يوماً لحاجة فقلت : والله لا
أذهب ... الحديث .

الثالث : أن أنساً يومئذ غلام صغير ، عمره نحو عشر سنين ، يبعد أن
يخدم عشر سنين مع صغر سنه ولا يقع منه ما يتوجب تأنيفه ولا لومه ولا
تعنيفه ، وبالله التوفيق .

الحديث التاسع والثلاثون

٨٤ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن
أنس بن مالك قال : اصطنع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً ،

فَقَالَ : إِيَّا قَدْ اصْطَنَعْنَا خَاتَمًا وَنَقَشْنَا فِيهِ نَقَشَنَا ، فَلَا يَنْقَشُ أَحَدٌ عَلَيْهِ .

قال رضي الله عنه (ثنا اسماعيل) هو ابن عليّة (ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : اصطنع) أي أمر (رسول الله ﷺ) أن يصنع له الصانع (خاتماً) كما يقول : كتبت ، أي أمر أن يكتب له ، والطاء بدل من تاء الافتعال لاجل الصاد ، وجزم الحافظ ابن سيد الناس أن اتخاذ الخاتم للنبي ﷺ كان في السنة السابعة ، وجزم غيره بأنه كان في السادسة ، ويجمع بأنه كان في أواخر السادسة وأوائل السابعة ؛ لأنه إنما اتخذهُ ﷺ عند إرادته مكاتبة الملوك ، وكان إرساله الكتب (١) في مدة الهدنة ، وكانت الهدنة في ذي القعدة ، سنة ست ، ورجع إلى المدينة في ذي الحجة ، ووجه الرسل في المحرم من السابعة ، وكان اتخاذ الخاتم قبل إرسال الرسل إلى الملوك (فقال) ﷺ لأصحابه : (إِيَّا قَدْ اصْطَنَعْنَا خَاتَمًا وَنَقَشْنَا) أي أمرنا الصانع أن ينقش (فيه نقشنا) وقوله اصطنعنا ونقشنا : بصيغة الجمع ، وهي للتعظيم هنا ، والمراد أني اتخذت ، والمراد نقشنا فيه اسمنا ، يعني أمرنا أن ينقش فيه : محمد رسول الله ، ثم قال ﷺ : (فَلَا يَنْقَشُ أَحَدٌ مِنْكُمْ) (عليه) أي على نقشه ؛ يعني لا ينقش أحد على خاتمه : محمد رسول الله ، وفي لفظ : فَلَا يَنْقَشُ أَحَدٌ عَلَى نَقْشِهِ ، أي مثل نقشه ؛ لئلا تفوت مصلحة نقش اسمه الشريف بوقوع الاشتراك .

وقد أخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه نقش على خاتمه عبد الله بن عمر ، وكذا أخرج عن سالم بن عبد الله بن عمر : أنه نقش اسمه على خاتمه ، وكذا القاسم بن محمد .

(١) في الاصل : وكان إرساله إلى الكتب .

وأخرج عن حذيفة وأبي عبيدة رضي الله عنهما : أنه كان نقش خاتم كل منها : الحمد لله .

وعن علي : لله الملك . وعن إبراهيم النخعي : بالله . وعن مسروق : بسم الله . وعن السبطين : لا بأس بنقش ذكر الله على الخاتم .

قال النووي : وهو قول الجمهور ، ونقل عن ابن سيرين وبعض أهل العلم كراهته . انتهى .

وقد أخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح ، عن ابن سيرين : أنه لم يكن يرى بأساً أن يكتب الرجل في خاتمه : حسبي الله ونحوها ؛ فهذا يدل على عدم ثبوت الكراهة عنه ، ويمكن الجمع بين هذا وبين ما نقله النووي عنه ، بأن الكراهة حيث يخاف عليه أن يحمله جنباً أو حائضاً ، أو في حالة الاستنجاء بالكف التي هو فيها ، والجواز حيث حصل الأمن من ذلك ؛ فلا تكون الكراهة لذاتها ، بل من جهة ما يعرض لذلك ، كما في « الفتح » ، وصرح علماؤنا بذلك .

وفي « منظومة الآداب » لابن عبد القوي :

ومن لم يضعه في الدخول إلى الخلاء فمن كتب قرآن وذكر به اصدد والمراد منع كراهة ، يعني للتنزيه .

وفي « الاقناع » و « الغاية » : يكره أن يكتب عليه يعني الخاتم ذكر الله تعالى من قرآن أو غيره . زاد في « الغاية » : وكذا على دراهم ، ولم يقيدها بدخول الخلاء .

وفي « الفروع » : نقل اسحق ، أنه ابن منصور : لا يكتب فيه ذكر الله . قال اسحق ابن راهويه : لما يدخل الخلاء فيه .

قال ابن قندس في « حواشي الفروع » : يحتمل أن تكون ما مصدرية ، يكون المعنى لدخول الخلاء فيه . انتهى .

قال في « الفروع » : ولعل الامام أحمد رضي الله عنه كرهه لذلك . قال :
وعنه ، أي عن الامام أحمد : لا يكره دخول الخلاء بذلك ، فلا كراهة نصاً .
قال في « الفروع » : ولم أجد للكراهة دليلاً ، وهي تفتقر الى دليل ،
والأصل عدمه ، ونقل هذا في « الانصاف » ، وصوب عدم الكراهة . وفي حديث
منكر أنه ﷺ كان إذا دخل الخلاء وضع خاتمه . رواه ابن ماجه ، وأبو داود
وقال : حديث منكر

وقال الامام أحمد رضي الله عنه : الخاتم إذا كان فيه اسم الله يجمله في
باطن كفه ويدخل الخلاء .
ومذهب مالك والشافعي عدم الكراهة ، والله أعلم .

تنبيهان

الأول : كان نقش خاتمه ﷺ ثلاثة أسطر : محمد سطر ، ورسول سطر ،
والله سطر .

قال الحافظ ابن حجر والبدر العيني عن الاسماعيلي : إن محمداً سطر أول ،
والسطر الثاني رسول ، والثالث الله .

قلت : وبه تعلم فساد زعم من زعم أن لفظ الجلالة في السطر الاول ،
ورسول في السطر الثاني ، ومحمد في السطر الثالث ، وأن ذلك من خصوصياته
عليه الصلاة والسلام .

الثاني : ظاهر ما في « الصحيحين » وغيرهما أنه لم يكن مكتوب على خاتمه
ﷺ سوى محمد رسول الله ، من غير زيادة على ذلك . لكن أخرج أبو الشيخ
في أخلاق النبي ﷺ ، من رواية عروة بن البرند ، بكسر الموحدة والراء
بعدها نون ساكنة ثم دال مهملة ، عن عذرة بفتح العين المهملة وسكون الزاي

بعدها راء ، ابن ثابت ، عن ثمامة ، عن أنس رضي الله عنه قال : كان فص خاتم رسول الله ﷺ حبشياً ، مكتوب عليه : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وعرعره ضعفه علي بن المديني ، وزيادته هذه شاذة ، والذي « في الصحيحين » : أصح ، وتقدم الكلام على أحكام الخاتم في الحديث الثاني عشر من « مسند أنس » رضي الله عنه ، وبالله التوفيق .

الحديث الأربعون

٨٥ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يوجز الصلاة ويكملها .

قال رضي الله عنه : (ثنا إسماعيل) بن عليّة (ثنا عبد العزيز) بن صهيب (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه : (قال : كان النبي ﷺ يوجز) أي يخفف (الصلاة) ويقصرها ، ويقتصد فيها (ويكملها) باداء أركانها وواجباتها ، ومكملاتها من السنن القولية والفعلية ، فمن سلك طريقه ﷺ في الإيجاز والانتفاء فقد أحسن . وقد روى ابن أبي شيبة من طريق أبي مجلد ، قال : كانوا - أي الصحابة رضي الله عنهم - يتمون ويوجزون ، يبادرون الوسوسة . وتقدم هذا الحديث في الخامس والعشرين عن المعتمر ، عن حميد عن أنس ، ولفظه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتم الناس صلاة ، وأوجزهم . ومر شرحه هناك .

الحديث الواحد والأربعون

٨٦ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ،
أن رسول الله ﷺ غزا خيبراً ، قال : فصلينا عندها صلاة الغداة
بغلس ، فركب رسول الله ﷺ ، وركب أبو طلحة ، وأنا
رديف أبي طلحة ، فأجرى رسول الله ﷺ ، في زقاق خيبر ،
وإن ركبتي لتمس فخذ رسول الله ﷺ ، وانحسر الأزار
عن فخذ رسول الله ﷺ ، فاني لا أرى بياض فخذ نبي الله
ﷺ ، فلما دخل القرية قال : الله أكبر ، خربت خيبر ؛
إنا إذا نزلنا ساحة قوم ، فساء صباح المنذرين ، قالها ثلاث
مرات . قال : وقد خرج القوم الى أعمالهم ، فقالوا : محمد ! قال
عبد العزيز : قال بعض أصحابنا . قال : فأصبناها عنوة ، فجمع
السبي ، قال : فجاء دحية فقال : يا نبي الله ! أعطني جارية
من السبي ، قال : اذهب فخذ جارية ، قال : فأخذ صفية بنت
حسي بن أخطب ، قال : فجاء رجل الى النبي ﷺ فقال :
يا رسول الله ! أعطيت دحية صفية بنت حسي سيدة قريظة

والنضير ، ما تصلحُ إلا لك ، قال : ادعوهُ بها ، فجاء دحيةُ بها ، فلما نظر اليها النبي ﷺ قال لدحية : خذْ لك جارية من السَّبي غيرها . ثم إنَّ النبي ﷺ أعتقها فتزوجها . قال : فقال له ثابت : يا أبا حمزة ! ما أصدَقها ؟ قال : نفسها ، أعتقها ، حتى إذا كان بالطريق جهزتها أم سليم ، فأهدتها له أم سليم من الليل ، فأصبح النبي ﷺ عروساً ، فقال : من كان عنده شيءٌ فليجئني به ، وبسطَ نطعاً ، فجعل الرجل يجيئ بالتمر ، وجعل الرجل يجيئ بالسمن ، قال : وأحسبُه قد ذكرَ السَّويق . قال : فحاسُّوا حينئذٍ ؛ فكانت وليمة رسول الله ﷺ .

قال رضي الله عنه : (ثنا إسماعيل) هو ابن إبراهيم ابن عليَّة (ثنا عبد العزيز بن صهيب) عن أنس بن مالك رضي الله عنه : (أن رسول الله ﷺ غزا) أصل الغزو قصد العدو في دارهم ؛ يقال : غزا يغزو غزواً ، والاسم الغزاة ، فهو غازٍ ، والجمع غزاة ، وغزَّى - بفتح الغين المعجمة وضمها مع التشديد - (خيراً) - بفتح الخاء المعجمة ، فتحته ساكنة ، فهو حدة مفتوحة ، فراء - وزن جعفر : اسم ولاية مشتملة على حصون ومزارع ونخل كثير ، على ثلاثة مراحل من المدينة ، على يسار الخارج من الشام . والخير بلسان اليهود : الحصن ، ولذا سميت خيبر ؛ كما في الشامية ، وقيل : إنها سميت باسم أول من نزلها ، وهو خيبر أخو يثرب ، ابنا قينان ، بن مهليل ، بن أرم ، بن عبيد ، وهو أخو عاد .

وكانت غزوة خيبر في أول السابعة ؛ كما جزم بذلك أئمة المغازي ، كابن إسحق ، وابن عتبة ، وابن القيم ، وغيرهم ، إما في محرم وإما في صفر ، والراجح أنه سار إليها في محرم من السنة السابعة ، خلافاً للإمام مالك وابن حزم ، حيث جعلاه في السادسة ، واستخلف عليه السلام على المدينة بميلة - بضم النون وفتح الميم وسكون التحتية - ابن عبد الله اللبثي ، كذا قال ابن هشام . والصحيح أنه استخلف سباع - بكسر السين المهملة - بن عرفة - بيمين مهملة فراء ساكنة ، ففاء مضمومة ، فطاء مهملة ، كما رواه الإمام أحمد ، والبخاري في « التاريخ الصغير » ، وابن خزيمة والطحاوي والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأخرج صلى الله عليه وسلم معه من نسائه أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها .

وأخرج الامامان ؛ الامام الشافعي والامام أحمد ، وابن إسحق ، والشيخان من طرق عن أنس رضي الله عنه ، قال : سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ، فأنهى إليها ليلاً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طرق قوماً لم يغر عليهم حتى يصبح ، فاذا سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً غار عليهم حين يصبح .

(قال) أنس رضي الله عنه : (فصلينا عندها) أي عند خيبر (صلاة الغداة) أي الصبح . والغداة بالضم : ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس (بغلس) - بفتح الغين المعجمة واللام فسين مهملة - أي بظلمة . قال في « النهاية » : الغلس : الظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح ، وفيه حجة لمن يرى التغليس في صلاة الفجر ، وتقديمها في أول الوقت ، ولا سيما مع ما في « الصحيحين » من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات ، متلفعات بمروطهن ، ثم يرجعن إلى بيوتهن ،

ما يعرفه أحد من الغلس « هذا مع ماورد من طول قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح ، وهذا أظهر الروايتين من مذهب الامام أحمد ، وفاقاً لما لك والشافعي . والذي استقر عليه المذهب : الأفضل التغليس ، وفي قول مرجوح عندنا : الاسفار ، وفاقاً لأبي حنيفة ، لغير حاج بمزدلفة . قال الحنفية في تعريف الاسفار ؛ بحيث يقدر على قراءة مسنونة ، وإعادتها ، وإعادة الوضوء قبل طلوع الشمس لو ظهر سهو ، ولهم في الاسفار بسنة الفجر خلاف .

ولمن قال بالتغليس - وهم الجمهور - حديث : أول الوقت رضوان الله ، وأوسط الوقت رحمة الله ، وآخر الوقت عفو الله . رواه ابن عدي والدارقطني وغيرها .

وفي « المسند » و « الصحيحين » وغيرها ، من حديث أبي برزة رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفلت من صلاة الغداة حين يعرف أحدنا جليسه .

واحتج الحنفية للاسفار بما رواه الترمذي عن رافع بن خديج رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر . ورواه الامام أحمد بلفظ : أصبحوا بالصبح فإنه أعظم لأجوركم ، أو أعظم للأجر . قال الترمذي : حديث صحيح . وهو محمول عند من قال بالتغليس على ما إذا تأخر الجيران ؛ لما روى سعيد الأموي بإسناده في « المغازي » أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً الى اليمن ، قال له : إذا كان الشتاء فصل الفجر في أول وقتها ، ثم أطل القراءة . وإذا كان في الصيف فأسفر بالصبح ، فإن الليل قصير ، والناس ينامون .

وقد روى أبو داود من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، أنه ﷺ أسفر بالصبح مرة ، ثم كانت صلاته بعد بالغلس حتى مات لم يعد الى أن يسفر .

وحمل الشافعي وغيره حديث : أسفروا بالفجر ، على أن المراد بذلك تحقق طلوع
الفجر . وحمله الطحاوي على أن المراد الأمر بتطويل القراءة فيها حتى يخرج من
الصلاة مسفراً . والله أعلم .

قال أنس رضي الله عنه : (فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعد
ما فرغ من صلاة الفجر دابته (وركب أبو طلحة) زيد بن سهل دابته ، قال
أنس : (وأنا رديف أبي طلحة) على دابته . والرديف والردف : أن يكون
راكباً خلف الراكب . وأصل الردف المعجز . ومنه أخذ ، يقال : ردفته
أردفته ؛ ركبت خلفه . وأردفته ؛ أركبته خلفي (فأجرى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في زقاق) كغراب ؛ سكة (خير) يذكر ويؤنث ، قال الاخفش والفراء :
أهل الحجاز يؤنثون الزقاق ، والطريق ، والسبيل ، والصراط ، والسوق . وتميم تذكر
ذلك كله ، والجمع أزقة ، وهي الطرق بين الدور نافذة كانت أو غير نافذة . قال
أنس : (و) الحال (إن ركبت) وهي موصل ما بين أسافل أطراف الفخذ
وأعالي الساق . كما في « القاموس » . قال في « المطلع » : الركبة معروفة ، وجمعها ركبات - بضم
الـكاف وفتحها وسكونها - وكذلك كل اسم على فعلة صحيح العين غير مشدد ؛
وقد قرئ . بالثلاث قوله تعالى : « وهم في الغرفات آمنون » ^(١) (لَتَمَسَّ) أي تلمس ،
والمس : مصدر مس الشيء إذ لمسه . قال في « القاموس » : مسسته بالكسر ،
أمسه مساً ومسيساً ، أي لمسته . وقال : لمسه يلمسه ويلمسه ، مسه يمسده ،
والجارية جامعها (فخذ رسول الله ﷺ) قال في « المطلع » : الفخذ مؤنثة ،
وهي بفتح الفاء وكسر الخاء المعجمة ، ويجوز فيها كسر الفاء ، كما بل ، ويجوز
إسكان الخاء مع فتح الفاء وكسرها ، قال ابن سيده وغيره من أهل اللغة :
وهذه اللغات الأربع جارية في كل اسم أو فعل ثلاثي عينه حرف حاق مكسور ،

(١) سورة سبأ ، الآية : ٣٧

كشده . وحروف الحلق ستة : الحاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والهمزة ، والهاء .
لا فيما لامه حرف حلق ؛ كبلع وسمع ونحوها .

وهذا يشعر بشدة القرب من أبي طلحة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ .
قال أنس رضي الله عنه : (وانحسر) أي انكشف (الازار) وهو الملحفة ،
ويؤنث . وهو المنزر ، كما في « القاموس » : المراد هنا ما يستر أسفل البدن ،
ويقابله الرداء وهو ما يستر أعلى البدن . ونقل الامام ابن القيم عن الواقدي : أن
لإزار النبي ﷺ من نسج عمان . وكان طوله أربعة أذرع وشبراً ، في ذراعين . انتهى .
قال الامام أحمد رضي الله عنه : السراويل أستر من الازار ، ولباس القوم كان
الازار ، وجمع الازار : آزرّة وازر (عن فخذ رسول الله ﷺ) لما أجرى الدابة
(فاني لأرى بياض فخذ النبي ﷺ) وفي رواية في « الصحيحين » : ثم حسر
رسول الله ﷺ الازار عن فخذته حتى إني أنظر الى بياض فخذ النبي ﷺ ،
وبه تعلم عدم ثبوت ما رواه الترمذي وابن ماجة والبيهقي بسند ضعيف عن أنس
رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ يوم خيبر على حمار مخطوم برسن من
ليف ، وتحته إكاف من ليف ، قال ابن كثير : الذي ثبت في « الصحيح » أن
رسول الله ﷺ أجرى في زقاق خيبر حتى انحسر الازار عن فخذته . فالظاهر
من هذا أنه كان يومئذ على فرس لا على حمار ، قال : ولعل هذا الحديث — إن
كان ثابتاً — محمول على أنه ركبته في بعض الايام وهو محاصرهما . انتهى .
وقد قيل : ان مدة إقامة النبي ﷺ بخيبر ستة أشهر .

روى الطبراني في « الاسط » عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله
ﷺ أقام بخيبر ستة أشهر يجمع بين الصلاتين . وروى البيهقي عنه أربعين يوماً ،
وسنده ضعيف . وعلى كل فلا يبعد أن يكون ﷺ في بعض أيامه ركب حماراً
ولاسيما بعد ما غنموا من حمير خيبر ما غنموا . (فلما دخل) ﷺ (القرية) وهي من
المساكن والأبنية : الضباع ، وقد تطلق على المدن ، ومنه حديث : أمرت بقرية

تأكل القرى : هي مدينته ﷺ ، ومعنى أكلها القرى : ما يفتح على أيدي أهلها من المدن ، ويصيبون من غنائمها .

وأول ما ابتدأ به ﷺ من حصون خيبر بأهل النطاة^(١) ، وأول حصن حاصره ﷺ من حصون النطاة حصن ناعم ، بالنون والعين المهملة ، فقاتل ﷺ يومئذ أشد القتال ، وظاهر بين درعين ، وبيضة ومغفر ، وهو على فرس له يقال له : الظرب ، وفي يده قناة وترس . وهذا يؤيد حمل حديث أنس عند الترمذي على أن ركب الحمار كان في غير حالة القتال . وأول حصن فتحه - حصن ناعم ، ثم حصن الصعب بن معاذ - من حصون النطاة ، وكان حصن الصعب أكثر حصون خيبر طعاماً وودكا وماشية ومتاعاً ، وكان فيه خمسة آلاف مقاتل ، فأقام عليه صلى الله عليه وسلم عشرة أيام ، ثم فتحه الله تعالى على نبيه ، ولما قدم صلى الله عليه وسلم على خيبر وأجرى فرسه في زقاقها (قال : الله اكبر ، خربت خيبر) تفاؤلاً واستبشاراً بما وعده ربه جل وعلا في قوله : « وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فمجل لكم هذه »^(٢) أي خيبر ، فإن هذه السورة - يعني سورة الفتح - نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها بين مكة والمدينة في قفوله من الحديبية ، فأعطاه الله تعالى فيها خيبر ، ولهذا قسم مغنمها على أهل البيعة من أهل الحديبية . ثم قال صلى الله عليه وسلم : (إنا إذا نزلنا ساحة) أي فناء (قوم) والساحة : الموضع المتسع أمام الدار ، وقال الازهري : هي فضاء بين دور الحي (فساء) أي بئس (صباح المنذرين) بفتح الذا الموحدة ، اسم مفعول . ولما كثرت الغارات في وقت الصباح ، وهجوم الأعداء ساعتئذ ، سموا الغارة نفسها صباحاً ، وإن وقعت في وقت آخر . (قالها) أي قوله : إنا إذا نزلنا ساحة قوم... الخ (ثلاث مرات) تفاؤلاً وإرهاباً للأعداء . (قال أنس) رضي الله عنه (و) كان (قد خرج القوم) من أهل خيبر . قال الواقدي : كانت يهود لا يظنون قبل ذلك أن رسول الله ﷺ يفرزهم ؛ لمنعتهم وسلاحهم وعددهم ، فلما أحسوا بخروجه ﷺ إليهم ،

(١) النطاة : علم خيبر ، وقيل : حصن بها ، واشتقاقها من النطو وهو البعد .

(٢) سورة الفتح ، الآية : ٢٠

كانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفاً، ثم يقولون : محمد يغزونا ؟ !
هيهات ! هيهات ! فكان ذلك شأنهم ، فلما نزل ﷺ بساحتهم لم يتحركوا تلك
الليلة ، ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس ، فأصبحوا وأفتتدتهم تخفق ،
وفتحوا حصونهم غادين ، معهم المساحي والكرازين والمكاتل .

والمساحي بمهملتين : جمع مسحاة ؛ آلة من آلات الحرث ، والميم زائدة ،
لأنه من السحي ، وهو الكشف والازالة . والكرازين جمع كرزن - بفتح الكاف
والزاي ، وبكسرهما ، وبالنون ، ويقال بالميم عوضاً عن النون - الفأس . والمكاتل
جمع مكئل - بكسر الميم وفتح الفوقية - القفة الكبيرة التي يحول فيها التراب وغيره ،
سميت بذلك لتكئل الشيء فيها ، والتكئل : هو تلاصق بعض الشيء ببعض .

(الى أعمالهم) على عادتهم ، فلما نظروا الى رسول الله ﷺ وأصحابه
رضي الله عنهم وأئوا هارين الى حصونهم ، فقبل لهم : مالكم ويلكم (فقالوا محمد)
نازل بساحتكم قد صبَّحكم (قال عبد العزيز) ابن صهيب (قال بعض أصحابنا)
أراد به ثابت البناني فيما يظهر ، فان مسلماً في « صحيحه » ذكره من طريق
عبد العزيز عن أنس ، فذكر قول عبد العزيز : قال بعض أصحابنا ، وأعقبه برواية
ثابت عن أنس ، قال : كنت رديف أبي طلحة يوم خيبر ، وقدمي تمس قدم رسول الله
ﷺ ، قال : فأتيناهم حين بزغت الشمس ، وقد أخرجوا مواشيهم وأخرجوا بفؤوسهم
ومكاتلهم ومرورهم ، فقالوا : محمد والخميس .

قوله : ومرورهم ، أي حبالهم ، وفي « البخاري » : هذا محمد والخميس ،
محمد والخميس ، فليجؤوا الى الحصن . وفي بعض طرقه : والله محمد . والخميس بلفظ
اسم أحد أيام الأسبوع ، يروى بفتح السين المهملة ورفعها ، فالفتح على أنه مفعول
معه ، والرفع على العطف ، والخميس : هو الجيش العظيم ، ويسمى خميساً
لانتقاسه الى مقدمة ، وساقة ، وميمنة وميسرة ويسميان الجناحين ، وقلب .

هذا هو الصحيح ، لا من أجل تخميس القيمة ، لأن ذلك إسلامي ، وقد كان
 الجيش يسمى خميساً في الجاهلية قبل الإسلام كما هو معلوم ، والله أعلم . (قال)
 أنس رضي الله عنه : (فأصبناها) أي خيبر (عنوة) - بفتح العين المهملة ،
 وسكون النون ، وفتح الواو - أي قهراً وغلبة . وقد تكرر ذكره في الحديث ،
 وهو اسم من عنا يعنو ؛ إذا ذل وخضع . والعنوة : المرة منه ، كأن المأخوذ
 بها يخضع ويذل ، فانه صلى الله عليه وسلم بعد ما أخذ حصن الصعب ، تحولت
 يهود الى حصن الزبير بن العوام رضي الله عنه ، أي الذي صار في سهمه بعد ذلك
 وهو من حصون النطاة أيضاً ، وهو في رأس قلة ، فحاصروهم رسول الله ﷺ
 ثلاثة أيام ، فجاء يهودي يدعي عزال ، فقال : يا أبا القاسم ! تؤمّنيني على أن أدلك
 على ما تستريح به من أهل النطاة ، وتخرج الى أهل الشق ، فإن أهل الشق قد
 هلكوا رعباً منك ، فأمنه صلى الله عليه وسلم على أهله وماله ، فقال اليهودي :
 لو كنت أقت شهرًا ما بالوا . لهم دبول ، وهي الأنهر الصغيرة تحت الأرض ،
 يخرجون بالليل فيشربون منها ، ثم يرجعون الى قلتهم فيمتنعون منك ، فان قطعت
 عنهم شربهم اصحروا لك ، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دبولهم
 فقطعها ، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا وقاتلوا أشد قتال ، وقتل من المسلمين
 يومئذ نفر ، وأصيب من اليهود يومئذ عشرة ، وافتتحه رسول الله ﷺ ، فكان
 آخر حصون النطاة . ثم تحول ﷺ الى الشق ، وبه حصنان : حصن أبي ،
 وحصن البراء ، ويقال له : حصن النزال ، فبدأ ﷺ بحصن أبي فأخذه ، ثم
 حصن النزال فأخذه ، فتحول يهود الى حصون الكتيبة ، بكاف فمناة فوقية ،
 وقال أبو عبيد : بناء مثلثة مكسورة ، فتحشية ساكنة ، فموحدة ، فهاء تأنيث ،
 وقيل : إنها بالتصغير ، وهي ثلاثة حصون : القموص ، والوطيح ، والسلام ،
 وأعظمها القموص ، وكان حصناً منيعاً ، وهو بالقاف المفتوحة ، فيم مضمومة ،

فواو ، فصاد مهملة ، كصبور ، وقيل : بالنين والضاد المعجمتين ، وذكر ابن عتبة :
أن رسول الله ﷺ حاصر القموص قريباً من عشرين ليلة ، ففتح الله سبحانه
وتعالى على يد سيدنا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، ومنه سببت أم المؤمنين
صفية بنت حبي بن أخطب رضي الله عنها ، كما في « الفتح » و « سيرة ابن إسحاق »
وغيرها ، وفي كلام بعض أهل السير ما يشعر أن صفية إنما سببت من السلام ،
فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد القموص حاصر الوطيط والسلام ، ويقال
له السلايم أيضاً ، وهو حصن بن أبي الحقيق ، وكان من حصون الكتيبة ،
ومكث على حصارها أربعة عشر يوماً ، وجعلوا لا يخرجون من حصونهم . قال
في « الهدي » : حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصب عليهم المنجنيق ،
وفي كلام بعضهم : أنه نصبه ولم يرم به ، فلما أيقنوا بالهلكة ، سألوه صلى الله عليه
وسلم الصلح ، فأرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله ﷺ : أنزل فأكلك ؟
فقال صلى الله عليه وسلم : نعم ، فنزل ابن أبي الحقيق ، فصالح رسول الله ﷺ
على حقن دماء المقاتلة ، وترك الذرية لهم ، ويخرجون من خيبر ونخلها وأرضها
بذراريهم ، وعلى الصفرء والبيضاء ، أي الذهب والفضة ، والكراع والحلقة ،
وعلى البرز ، إلا ثوباً على ظهر إنسان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتم تمنيون شيئاً ، فقالوا : نعم ، فصالحوه
على ذلك ، على أنهم إن كنتموه شيئاً فلا ذمة لهم ولا عهد ، فغيبوا الجلد الذي
كان فيه حلي بني النضير ، وعقود الدر والجوهر الذي حملوا به . قال في « الهدي » :
فقال رسول الله ﷺ لعلم حبي بن أخطب : ما فعل مسك - أي جلد - حبي ؟
يعني الذي جاء به من النضير ، قال : أذهبته النفقات والحروب ، قال : العهد
قريب ، والمال أكثر من ذلك ، وقال عليه الصلاة والسلام لكنانة والربيع ابني
أبي الحقيق بعد أن كتماه الكنز : إنكما إن كنتم تمني شيئاً فاطلعت عليه استحلت

به دماء كما وذراريكما؟ فقالا : نعم ، فأخبر الله عز وجل نبيه ورسوله ﷺ بموضعه ، فقال لكنانة : إنك لمغتر بأمر السماء ، فدعا صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأنصار ، فقال : اذهب إلى قداح كذا وكذا ، ثم اتت النخل فانظر نخلة عن يمينك أو عن يسارك ، فانظر نخلة مرفوعة فائتني بما فيها ، فجاءه بالآنية والأموال ، فقومت بعشرة آلاف دينار ، فضرب أعناقها ، وسبأ أهلها بالنكت الذي نكتاه . ولما جمع رسول الله ﷺ الغنائم التي غنمت قبل الصلح ، وأموال من انتقض عهدهم بالنكت ، وسبأ الذراري والنساء (فجمع) صلى الله عليه وسلم (السبي) الذي سباه من أهل خير من الذرية والنساء (قال) أنس رضي الله عنه : (فجاء دحية) - بكسر الدال ، وسكون الحاء المهملتين ، وبالتحتية - وقال ابن ماكولا : هو بفتح الدال . ابن خليفة ، بن فروة ، بن فضالة ، بن زيد ، ابن امرئ القيس ، بن الخزرج ، وابن زيد مناة ، بن عامر ، بن بكر ، بن عامر الأكبر ، بن عوف ، بن غدره ، بن زيد اللات ، بن رفيدة ، بن ثور ، بن كلب ، الكلبي ، من كبار الصحابة ، لم يشهد بدرأ ، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد ، وبعثه رسول الله ﷺ إلى قيصر في الهدنة في السادسة ، وهو الذي كان ينزل جبريل عليه السلام في صورته . نزل دحية الشام ، وبقي إلى أيام معاوية . روى عنه الشعبي ، وعبد الله بن شداد بن الهاد ، وخالد بن يزيد بن معاوية ، ومنصور وغيرهم (فقال : يا نبي الله ! أعطني جارية من السبي) وكان ﷺ لا يرد سائلاً كما تقدم (قال) له النبي ﷺ : (اذهب فخذ جارية ، قال) أنس فذهب دحية ابن خليفة الكلبي (فأخذ صفية بنت حيمي بن أخطب) قال في « الفتح » : قيل : وكان اسمها قبل ذلك زينب ، وإنما سميت صفية لأنها صارت من الصفي ، والصفى : ما كان يصطفيه رسول الله ﷺ لنفسه من الغنيمة قبل أن تقسم ، وكانت عروساً حديثة عهد بالدخول على كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وكانت قبله عند سلام

ابن مشكم فطلقها ، فتزوجها كنانة ، فقتله النبي ﷺ لنكثه (قال) أنس (فجاء رجل إلى النبي ﷺ) قلت : لم أر من سمى هذا الرجل (فقال : يارسول الله ! أعطيت دحية) الكلبي (صفية بنت حبي) ابن أخطب (سيدة) بني (قريظة و) بني (النضير) جمالاً وكالاً وشرفاً وحسباً ، والله (ما تصلح) لأحد (إلا لك) لجمالها وكالها وحسبها وأدبها (قال) ﷺ : (ادعوه) أي دحية (بها) أي بصفية بنت حبي ، فدعاه (فجاء) دحية (بها) أي بصفية (فلما نظر) أي أمعن النظر (إليها النبي ﷺ) أعجبته (فقال) لدحية : (خذ) لك (جارية من السي غيرها) وخل هذه عندك ، فأخذ دحية أخت كنانة بنت الربيع ، ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا أن يذهب بصفية إلى رحله ، فمر بها بلال وسط القنلى ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقال : أذهبت الرحمة منك يا بلال ؟ وفي رواية : أن بلالا جاء بصفية وبنت عم لها ، فمر على قتلى يهود ، فلما رأتهم بنت عم صفية ، صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله ﷺ قال : غيبيوا عني هذه الشيطانة ، وقال بلال : أنزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ ثم دفع بنت عم صفية لدحية الكلبي ، واصطفى صفية لنفسه بعد أن عرض عليها الاسلام فأسلمت (ثم إن النبي ﷺ أعتقها) أي صفية (فتزوجها) روي عنها أنها قالت : انتهيت إلى رسول الله ﷺ وما من الناس أحد أكره إليّ منه ؛ قتل أبي وزوجي وقومي ، فقال : يا صفية ! أما أنا أعذر إليك مما صنعت بقومك ، إنهم قالوا لي : كذا وكذا ، وقالوا في : كذا وكذا ، وما زال يعتذر لي حتى ذهب ذلك من نفسي ، فما قت من مقعدي ومن الناس أحد أحب إليّ منه .

قال الامام ابن القيم في كتابه « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » : دفعها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أم سليم تصنعها وتهيئها وتعتد في بيتها ، يعني

خبأها كما رواه أبو داود ولفظه : قال : وقع في سهم دحية جارية جميلة ، فأشترها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس ، ثم دفعها إلى أم سليم تصنعها وتهيئها وتعقد في بيتها ، وهي صفية بنت حبي . انتهى . قلت : ورواه مسلم في « صحيحه » بلفظ حديث أبي داود ، إلا أنه قال : وأحسبه قال : وتعقد في بيتها ، وهي صفية بنت حبي . انتهى . (١) قال له (أي لأنس بن مالك) ثابت (البناني) يا أبا حمزة (بالحاء المهملة والزاي) ، وتقدم في ترجمة أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ هو الذي كناه بذلك ؛ ببقله حريفة ، تسمى حمزة ، ويقال : إن فيها حموضة (ما أصدقها) أي شبيء أصدق صفية بنت حبي (قال) أنس ثابته : أصدقها (نفسها أعتقها) فجعل عتقها صداقها ، وتقدم الكلام على هذا مستوفى في الرابع عشر من « مسند أنس » رضي الله عنه (حتى إذا كان) رسول الله ﷺ (بالطريق) راجعاً من خير إلى المدينة (جهزتها) أي هيأت صفية ، وصنعتهما بما يصلحها (أم سليم) بنت ملحان ، وهي أم أنس رضي الله عنهم ، والجهاز بفتح الجيم : اسم للشبيء المعد ، ومنه قوله تعالى : « فلما جهزهم بجهازهم » (٢) ومنهم من أجاز كسر الجيم ، ومنهم من منعه ، وفي الحديث قام بجهازه ؛ يعني رحله ومتاع سفره . وتجهز رسول الله ﷺ : أعد جهازه للغزو ، من زاد وعدة وغير ذلك مما يصلحه ويحتاج إليه .

وفي بعض السير أنه ﷺ لما قطع سنة أميال من خير ، أراد أن يعرس بها ، فأبت ، فوجد في نفسه ، فلما وصل الصبياء مال إلى دومة هناك ، فطاوعته . فقال لها : ما حملك على إياك حين أردت في المنزل الأول ؟ قالت : يا رسول الله ! خشيت عليك قرب يهود ، وهذا المحل الذي أردت (فأهدتها له أم سليم من الليل ، فأصبح النبي ﷺ عروساً) يقال : أعرس الرجل فهو معرس ؛ إذا دخل

(١) أي عبد العزيز . كذا في الهامش .

(٢) سورة يوسف ، الآية : ٨٠ .

بأمراته عند بنائها ، قال في « النهاية » : يقال للرجل عروس ، كما يقال للمرأة .
فهو اسم لها عند دخول أحدهما بالآخر ، ولم تلحقه تاء التأنيث وإن كان مؤنثاً ؛
لقيام الحرف الرابع مقامه (فقال) ﷺ في صبيحة ذلك اليوم : (من كان) منكم
معشر الصحابة (عنده شيء) من الماء كول (فليجيء به) أي بذلك الشيء
الذي عنده من الماء كول (وبسط نطعا) قال في « القاموس » ؛ النطع بالكسر
وبالفتح وبالتحريك ، وكعب : بساط من الأديم يعني الجلد ، والجمع أنطاع ونطوع
(فجعل الرجل يجيء بالتمر ، وجعل الرجل يجيء بالسمن ، قال) عبد العزيز :
(وأحسبه) أي أحسب أنس بن مالك رضي الله عنه (قد ذكر السويق) فقال :
وجعل الرجل يجيء بالسويق ، قال في « المطلع » ، « كالمطالع » : السويق : قمح أو شعير
يقلى ثم يطحن فيتزود ، قال ابن دريد : وبنو العنبر يقولونه بالصاد ، (قال :
فحاسوا حيساً) والحيس : هو أن يؤخذ التمر فيزرع نواه ويخلط بالأقط أو
الدقيق أو السويق ، وإذا جعل فيه السمن لم يخرج عن كونه حيساً ، كما مر في الحديث
الخامس عشر من « مسند أنس » رضي الله عنه (فكانت) هذه (وليمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم) على صفية بنت حيي بن أخطب كما تقدم في الحديث المذكور .
وتقدم حكم الولىمة أيضاً في الحديث الخامس من « مسند أنس بن مالك » رضي
الله عنه ، وتقدم أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا : هل اتخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم صفية سرية أو زوجة ؟ فقالوا : إن حجبتها فهي إحدى زوجاته ،
وإلا فهي مما ملكت يمينه ، فلما ركب صلى الله عليه وسلم جعل ثوبه الذي ارتدى
به على ظهرها ووجهها ، ثم شد طرفه تحته ، فتأخروا عنه في المسير ، وعلموا أنها
إحدى نسائه . ولما قدم رسول الله ﷺ فخذه ليحملها على الرحل ، أجلته
صفية أن تضع قدمها على فخذه ، فوضعت ركبته على فخذه ثم ركبت .
وليلة بنائه ﷺ بها ، بات أبو أيوب ليلته قائماً قريباً من قبلته ﷺ ،

آخذاً بقائم السيف حتى أصبح ، فلما رأى رسول الله ﷺ كبر أبو أيوب حين
 رآه قد خرج ، فسأله : مالك يا أبا أيوب ؟ قال له : أُرقت ليلتي هذه يا رسول الله
 لما دخلت بهذه المرأة ، ذكرت أنك قتلت أباهما وزوجها ؛ وعامة عشيرتها ، فخفت
 أن تغتالك ، فضحك ﷺ وقال له معروفاً . زاد بعضهم أنه قال يومئذ : اللهم !
 احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني ، قال السهيلي : فحرس الله أبا أيوب بهذه
 الدعوة ؛ حتى صارت الروم تحرس قبره ، فانه غزا مع يزيد سنة خمسين ، فلما
 بلغوا القسطنطينية مات أبو أيوب رضي الله عنه هناك ، فأوصى يزيد أن يدفنه
 بأقرب موضع من الروم ، فركب المسلمون ومشوا به ؛ حتى وجدوا مكاناً فدفنوه
 فيه ، فسألهم الروم عن شأنهم ، فأخبروهم أن هذا من أكابر المسلمين ، من
 أصحاب النبي ﷺ ، فقالت الروم ليزيد : ما أحقك وأحق من أرسلك ! أمنت
 أن ننبيهه بعدك ؛ فنحرق عظامه ، فحلف لهم يزيد ؛ ائمن فعلوا ذلك ؛ ليهدمن
 كل كنيسة بأرض العرب ، وينبش قبور معظمتهم ، فحلفوا له بما يعظّمونه ،
 ليكرمن قبره وليحرسنّه ما استطاعوا . وقد فتح الله القسطنطينية على يد السلطان
 محمد العثماني رحمه الله . وصار قبر أبي أيوب الآن في دار ومقر سلطنة الاسلام ،
 وكنائته وبيضة الايمان ، ومقر سلطنة الدولة العثمانية معظماً مبجلًا ؛ بما لا مزيد
 عليه - ولله الحمد - والله أعلم .

الحديث الثاني والأربعون

٨٧ - ثنا محمد بن فضيل قال : أنبأنا الأعمش ، عن
 أنس ، قال : كانت درعُ النبي صلى الله عليه وسلم مرهونةً ،
 ما وجدَ ما يفكها حتى مات .

قال رضي الله عنه: (ثنا محمد بن فضيل) بضم الفاء وفتح الضاد المعجمة وسكون التحتية بن غزوان الضبي مولاهم ، هو المحدث الحافظ ، أبو عبد الرحمن الكوفي . روى عن أبيه ، وعن الأعمش ، وعطاء وإبراهيم الهجري وغيرهم . وعنه الإمام أحمد ، وإسحق والأشج وغيرهم ، وكان من علماء هذا الشأن . ذكره الحافظ الذهبي في « طبقات الحفاظ » وكذلك الجلال السيوطي . وثقه يحيى ابن معين . وقال الإمام أحمد : إنه حسن الحديث ، فيه تشيع ، وقال أبو داود : كان شيعياً . توفي سنة أربع وتسعين ومائة .

وقال ابن برداس الحنبلي في « نظم طبقات المحدثين والحفاظ » : مات سنة خمس وتسعين ومائة ، لأنه رمز بقصد لموت جماعة ، فقال : وابن فضيل هكذا يا صاحبي .

(قال) أي محمد بن فضيل (أنبأنا) سليمان بن مهران (الأعمش) الأسدي الكاهلي مولاهم - وكاهل : بطن من أسد بن خزيمة - أبو محمد الكوفي أحد أعلام الاسلام ، وأئمة هذا الشأن . ولد سنة ستين بأرض الرمي ، فجاء به حميلاً الى الكوفة ، فاشتره رجل من بني كاهل فأعتقه ، كذا في « جامع الاصول » للعلامة ابن الاثير . والذي في « وفيات الأعيان » لابن خلكان ، أن إبا الأعمش قدم الكوفة وامرأته حامل ، فولدته بها ، وإن مولده سنة ستين ، وقيل : أنه ولد يوم قتل الحسين رضي الله عنه . وذلك يوم عاشوراء ، سنة إحدى وستين . قال : فكان أبوه حاضراً قتل الحسين . وعدّه ابن قتيبة في « المعارف » في جملة من حملت به أمه سبعة أشهر . رأى أنس ابن مالك وحفظ عنه ، وأبا بكرة ، وروى عن عبيد الله بن أبي أوفى ، وزيد بن وهب ، وأبي وائل ، وزر بن حبيش ، ومجاهد ، وخلق . وروى عنه أبو حنيفة ، وأبو إسحاق السبيعي ، وشعبة ، والسفيانان . قال ابن المديني : حفظ العلم على أمة محمد ﷺ بالكوفة أبو إسحاق السبيعي ، والأعمش . وقال المجيلي : كان ثقة ، ثبتاً في الحديث ، وكان محدث أهل الكوفة في زمانه .

وقال الفلاس : كان الأعمش يسمى المصحف من صدقه . قال في « جامع الاصول » : هو أحد الأعلام المشهورين بعلم الحديث والقراءة ، وعليه مدار أكثر الكوفيين . قال صدقة ابن عبد الرحمن : ما أعلم أحداً أعلم بحديث ابن مسعود من الأعمش . قال وكيع : مكث الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفتسه التكبيرة الأولى . مات رضي الله عنه سنة ثمان وأربعمائة ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة .

قال ابن خلكان : كان الأعمش مزاحاً ، جاءه أصحاب الحديث يوماً ليسمعوا عليه ، فخرج اليهم وقال : لولا أن في منزلي من هو أبغض إليّ منكم ؛ ما خرجت إليكم . قال : وجرى بينه وبين زوجته يوماً كلام ، فدعا رجلاً ليصلح بينهما ، فقال لها الرجل : لا تنظري إلى عمش عينيه ، وحموشة ساقيه ، فإنه إمام ؛ وله قدر . فقال له الأعمش : أخزأك الله ، ما أردت إلا أن تعرفوا عيوبي . وقيل عنده يوماً : قال صلى الله عليه وسلم : من نام عن قيام الليل بال الشيطان في أذنه ، فقال : ما عمشت عيني إلا من بول الشيطان في أذني . وكانت له نوادر كثيرة . وقال أبو معاوية الضرير : بعث هشام بن عبد الملك إلى الأعمش : أن أكتب لي مناقب عثمان ومساوي علي رضي الله عنها ، فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة ، فلا كتبها ، وقال لرسوله : قل له هذا جوابك ، فقال له الرسول : إنه قد آلى أن يقتلني إن لم آت به بجوابك ، وتحمل عليه باخوانه ، فقالوا له : يا أبا محمد ! نجيّه من القتل ، فلما ألحوا عليه ، كتب : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، يا أمير المؤمنين : فلو كانت لعثمان رضي الله عنه مناقب أهل الأرض ما نفعتك ، ولو كانت لعلي رضي الله عنه مساوي أهل الأرض ما ضرّتك ، فعليك بخويصة نفسك (عن أنس) ابن مالك رضي الله عنه . قال ابن خلكان : رأى الأعمش أنس بن مالك رضي الله عنه وكله ، ولكنه لم يرزق السماع عليه .

قال : وما يرويه عن أنس ؛ فهو إرسال أخذه عن أصحاب أنس رضي الله عنه ،
قال : وروى عن عبد الله بن أبي أوفى حديثاً واحداً . انتهى .

(قال) أنس رضي الله عنه : (كانت درع النبي صلى الله عليه وسلم) ، زاد
البخاري : من حديد ، قال ابن الأثير : الدرع : الزردية (مرهونة) عند يهودي على
ثلاثين صاعاً من شعير كما في « صحيح البخاري » و « مسند الإمام أحمد » وغيرها ،
وكانت درعه هذه تسمى : بذات الفضول لطلوها ، أرسل إليه صلى الله عليه وسلم بها
سعد بن عباد حين سار إلى بدر ، واليهودي الذي كانت الدرع مرهونة عنده
اسمه أبو الشحيم بن الأوس ، واسمه كنيته .

وروى الترمذي في « سننه » والنسائي ، أنها كانت مرهونة في عشرين
صاعاً من طعام أخذه لأهله ، وجمع بينها بأنه أخذ أولاً عشرين ، ثم عشرة . وقيل :
إنه كان دون الثلاثين ، فجبر الكسر تارة ، وألغى أخرى . ووقع عند ابن حبان ،
عن أنس ، أن قيمة الطعام كانت ديناراً . وفي حديث عائشة عند البخاري : أن
النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي إلى أجل . وروى ابن حبان : أن الأجل سنة
(ما وجد) النبي صلى الله عليه وسلم (ما) أي شيئاً (يفكها) بضم الفاء وتشديد الكاف ، أي
يخلصها من رهنها ، فاستمرت مرهونة عند اليهودي على ثمن الطعام المذكور (حتى
مات) النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه إيماء إلى فضيلة الفقر ، وأن الفقير الصابر
أفضل من الغني الشاكر ، والخلاف في ذلك طويل شهير . وفيه إيماء إلى أنه
صلى الله عليه وسلم لم يختار الدنيا ، ولم يحتفل لها ، وأنه اختار الفقر مع عرض الجبال أن تكون
ذهباً له من عند المولى ، فاختر عدم ذلك ، وأنه يشبع يوماً ويجمع يوماً ، فاذا شبع
شكر ، واذا جاع صبر . وذكر في « الأقضية النبوية » : أن أبا بكر الصديق
رضي الله عنه افتكها بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن علي بن أبي طالب قضى ديونه .
وروى اسحق بن راهويه في « مسنده » عن الشعبي مرسلاً : أن أبا بكر افتك

الدرع وسلمها الى علي رضي الله عنها . وأما من أجاب بأنه صلى الله عليه وسلم افتكها قبل موته؛
فعارض بحديث أنس في «صحيح البخاري» عن مسلم بن إبراهيم، عن هشام، عن قتادة
عن أنس . ومافي «المسند» وابن ماجة وغيرها . وقد روي هذا الحديث أيضاً
من حديث عائشة وأبي هريرة وغيرهما رضي الله عنهم أجمعين .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين
المسيح» : مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخلف درهماً ولا ديناراً ، ولا شاة ولا بعيراً ، إلا
بقلته وسلاحه ، ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شحير ابتاعها لأهله .
وفي الحديث جواز معاملة الكفار فيما لا يتحقق تحريم عين المتعامل فيه ،
وعدم الاعتبار بفساد معتقدهم ، وجواز بيع السلاح ورهنه وإجارته ولو من كافر
حيث لم يستعن به علينا ، بخلافها إذا كان حربياً . وفيه ثبوت مافي أيدي أهل
الذمة لهم . وفيه ما كان صلى الله عليه وسلم متصفاً به من التواضع ، والزهد في الدنيا ،
والتقلل منها مع قدرته عليها ، والصبر على ضيق العيش ، والقناعة باليسير .

قال بعض العلماء : والحكمة في عدوله صلى الله عليه وسلم عن معاملة مياسير الصحابة
الى معاملة اليهود ؛ إما لبيان الجواز ، أو لأنهم لم يكن عندهم إذ ذاك طعام فاضل
عن حاجتهم ، أو خشى أنهم لا يأخذون منه ثمناً أو عوضاً ، فلم يرد التضيق عليهم ،
وكانه لم يطلع على ذلك مياسير أصحابه وقتئذ ، والله الموفق .

الحديث الثالث والأربعون

٨٨ - ثنا محمد بن فضيل ، عن مختار بن فلفل ، عن

أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : الكوثر
نهر في الجنة ، وعدني به ربي عز وجل .

قال رضي الله تعالى عنه : (ثنا محمد بن فضيل) الضبي (عن مختار) بضم
 اليم وسكون الخاء المعجمة ، فتاء مثناة فوقية مفتوحة ، فألف فراء (بن فلفل)
 بفاء بن مضمومتين بينهما لام ، وأخرى آخر الكلمة ، المخزومي الكوفي ، سمع من
 أنس رضي الله عنه . روى عنه الثوري وغيره (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه
 (عن النبي صلى الله عليه وسلم) أنه (قال : الكوثر) أي المذكور في قوله
 تعالى : « إنا أعطيناك الكوثر » (١) وهو فوعل من الكثرة (نهر) بفتح النون
 وسكون الهاء وتفتح : مجرى الماء ، والجمع أنهار ، ونهر بضم النون ، ونهور ،
 وأنهر . سمي به الكوثر ، لكثرة مائه وآنيته ، وعظم قدره وخيره ، وذلك النهر
 المنتصف بذلك (في الجنة) المعهودة (وعدنيه ربي عز وجل) وهو تعالى
 لا يخلف الميعاد .

وفي « البخاري » من حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال :
 « بينا أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف ، قلت : ما هذا
 يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فإذا طيبه وطينه مسك أذفر ،
 وفي لفظ آخر : لما عرج النبي ﷺ ، قال : « أتيت على نهر حافتاه اللؤلؤ المجوف
 فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر . » زاد البيهقي : الذي أعطاك ربك ،
 فأهوى الملك يده فاستخرج من طينه مسكاً أذفر . وأورده البخاري بهذه
 الزيادة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وروى مسلم في « صحيحه » من طريق المختار بن فلفل ، عن أنس رضي
 الله عنه ، قال : بينا نحن عند النبي ﷺ إذ أغفى إغفاءة . الحديث الآتي بعد
 هذا وهو :

(١) سورة الكوثر ، الآية : ١

الحديث الرابع والاربعون

٨٩ - ثنا محمد بن فضيل ، عن المختار بن فلفل ، قال :

سمعت أنس بن مالك يقول : أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
إغفاءة ، فرفع رأسه متبسماً ، إمّا قال : قال لهم ، وإمّا قالوا
له : لم ضحكك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه
أنزلت عليّ آتفاً سورة ؛ فقرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم . إنا
أعطيناك الكوثر .. » حتى ختمها . قال : هل تدرون
ما الكوثر ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هو سر أعطانيه
ربي في الجنة ، عليه خير كثير ، تردّ عليه أمتي يوم القيامة ،
آيته عدد الكواكب ، يُختلج العبد منهم ، فأقول : يا رب !
إنه من أمتي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك .

قال رضي الله عنه : (ثنا محمد بن فضيل ، عن المختار بن فلفل ، قال :
سمعت أنس بن مالك) رضي الله عنه (يقول : أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة)
قال في « النهاية » : يقال : أغفى إغفاءً وإغفاءة ؛ إذا نام ، وقلما يقال : غفا ، قال
الأزهري : اللغة الجيدة أغفيت ، ويقال أيضاً : غفوت غفوة ، أي نمت نومة
خفيفة . انتهى . (فرفع) ولفظ مسلم ثم رفع (رأسه) من نومه حال كونه

(متبسماً) وهو مبادئ الضحك، فهو من الضحك بمنزلة السينة من النوم، ومنه قوله تعالى: «فتبسّم ضاحكاً»^(١) أي شارعاً في الضحك. وفي الحديث: كان ﷺ لا يضحك إلا تبسماً. وحمل على غالب أحواله، لأنه ورد: جل ضحكك التبسم، ولما ثبت أنه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، وقد قيل: إنه ما كان ﷺ يضحك إلا في أمر الآخرة، وأما في أمر الدنيا فلم يزد على التبسم (إما قال) أنس: (قال لهم، وإما قالوا) هم، أي أصحابه (له: لم ضحكت؟) وفي «مسلم»، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:)، ولفظ مسلم قال: (إنه) أي الشأن والأمر، أو ضحكي (أُنزات)، ولفظ مسلم نزات (عليّ أنفاً) قال في «المطالع»: بالمد والقصر، قيدناه في الحديث، وقرأناه في القرآن، أي قريباً أو الساعة، وقيل: في أول وقت كنا فيه، وكله من الاستئناف والقرب (سورة) قال في «المطلع»، تهمز لشبهها بالسور الذي هو بقية الشيء، ولا تهمز لشبهها بسور المدينة. انتهى. قال في «القاموس»: السورة المنزلة من القرآن معروفة، سميت بذلك لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى (فقرأ) صلى الله عليه وسلم: (بسم الله الرحمن الرحيم، إنا أعطيناك الكوثر) واستمر في قراءتها (حتى ختمها) عليه الصلاة والسلام، وقد قرأ ابن محيصن: «إنا أنطيناك» بالنون، وكذا قرأها طلحة بن مصرف. ثم (قال) صلى الله عليه وسلم: (هل) ولفظ مسلم: أ (تدرون ما الكوثر؟ قالوا:) ولفظ مسلم: قلنا: (الله ورسوله أعلم، قال:) عليه السلام (هو) أي الكوثر (نهر أعطانيه ربي) ولفظ مسلم: قال: فانه نهر وعدنيه ربي (في الجنة، عليه خير كثير) ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما، الكوثر بالخير الكثير الذي أعطاه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، قال أبو بشير: قلت لسعيد بن جبير: فان ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، قال

(١) سورة النمل، الآية: ١٩

سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه . قال في «الفتح» :
هذا تأويل من سعيد بن جبير ، جمع بين حديثي عائشة أنه نهر في الجنة ، وابن
عباس أنه الخير الكثير . (ترد عليه) أي الكوثر (أمي) ولفظ مسلم : هو
حوض ترد عليه أمي (يوم القيامة) وفي «سنن الترمذي» ، من حديث ابن عمر
رفعه : الكوثر نهر في الجنة ، حافظه من ذهب ، ومجره على الدر والياقوت ...
الحديث ، وقال : حسن صحيح . وحاصل ما قاله سعيد بن جبير ؛ أن قول ابن
عباس رضي الله عنهما : إنه الخير الكثير ، لا يخالف قول غيره : إن المراد به نهر
في الجنة ، لأن النهر فرد من أفراد الخير الكثير . ولعل سعيد أوما إلى أن تأويل
ابن عباس أولى لعمومه ، لأنه يشمل كل خير كثير مفرط ، من علم وعمل ، وشرف
الدارين ؛ لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي ﷺ من عدة طرق عن عدد
من الصحابة ؛ فلا معدل عنه ، لثبوت ذلك وصحته عن الذي أنزل عليه الوحي .
قال في «البدور السافرة» ، للجلال السيوطي رحمه الله تعالى : ورد ذكر
الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابياً ، وهم الخلفاء الأربعة ، وأبي ابن كعب ،
وأسامة بن زيد ، وأسيد بن حضير ، وأنس ، والبراء بن عازب ، وحذيفة ،
وعائشة ، وعدّهم (٢) وساق أحاديثهم رضي الله عنهم (آيته) أي الحوض ، وهي جمع
إناء ، كسقاء وأسقية ، وجمع الآنية أواني (عدد الكواكب) جمع كوكب ،
بني النجوم . والمراد - والله أعلم - التكثر .

وفي «صحيح البخاري» : عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، أنها
سئلت عن قوله تعالى : «إنا أعطيناك الكوثر» (١) قالت : نهر أعطيه نبيكم صلى
الله عليه وسلم ، عليه در مجوف ، آيته بعدد النجوم (يختلج) أي يقطع ويحتجب
(العبد منهم) أي من أمي (فأقول : يارب ! إنه من أمي) أي فكيف يختلج ،

(١) سورة الكوثر ، الآية : ١

(٢) أي الجلال السيوطي :

ويقطع عن الورود على حوضي من بين أمي وهو منهم (فيقال) للنبي صلى الله عليه وسلم ، أي تقول له الملائكة ، أو الحق جل شأنه : (إنك لا تدري ما أحدثوا) يعني هؤلاء المختلجين (بعدك) من البدع ، وتغيير السنّة ، والطريقة الحسنة .

قال القرطبي : كل من ارتد عن دين الله ، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به ، فهو من المطرودين عن الحوض ، قال : وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين ، كالخوارج ، والروافض ، والمعتزلة ، على اختلاف فرقهم ، فهؤلاء كلهم مبدّون ، وكذا الظالمة المسرفون في الجور والظلم ، وطعن الحق ، وإذلال أهله ، والمعلنون بالكبائر ، المستخفون بالمعاصي ، وجماعة أهل الزيف والبدع . ثم الطرد قد يكون في حال ، ثم يقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الاعمال ، ولم يكن في العقائد . وقد يقال : إن أهل الكبائر يردون ويشربون ، فاذا دخلوا النار بعد ذلك لم يعذبوا بالعطش . انتهى .

وهذا على ما اختاره القرطبي من أن الحوض بعد الصراط ، والذي رجحه القاضي عياض : أن الحوض بعد الصراط ، وأن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار .

وقال الحافظ ابن حجر : ظواهر الأحاديث أن الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها ، فلو كان قبل الصراط لحالت النار بينه وبين الماء الذي ينصب من الكوثر فيه ، قال : وأما ما أورد عليه من الحديث ، أن جماعة يدفعون عن الحوض بعد أن يروه ويذهب بهم إلى النار ، فجوابه : أنهم يقربون من الحوض بحيث يرونه ويرون ، فيدفعون في النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط . انتهى .

قال القرطبي : المعنى يقتضي تقديم الحوض على الصراط ، فإن الناس

يخرجون من قبورهم عطاشاً ، فناسب تقديمه ، وقال القرطبي أيضاً : الصحيح أن للنبي ﷺ حوضين ؛ أحدهما في الموقف قبل الصراط ، والثاني في الجنة ، وكلاهما يسمى كوثراً . قال : ولا يخطر ببالك ، أو يذهب وهمك الى أن الحوض يكون على وجه هذه الارض ، وإنما يكون وجوده في الأرض المبدلة ، وهي أرض بيضاء كالفضة ، لم يسفك فيها دم ، ولم يظلم عليها أحد قط .

تنبيهات

الأول : الحوض والكوثر ثابت بالنص ، وإجماع أهل السنة والجماعة ، حتى عدّه أهل السنة في العقائد الدينية ، لأجل الرد على أهل البدع والضلال . وقد أخرج ابن أبي عاصم في السنّة ، والبيهقي ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : سيأتي قوم يكذبون بالحوض ، ويكذبون بالشفاعة ، ويكذبون بقوم يخرجون من النار .

وأخرج الحاكم ، وابن المبارك ، عن أنس رضي الله عنه ، قال : دخلت على زياد وهم يتذاكرون الحوض ، فقالوا : ما تقول في الحوض ؟ فقلت : والله ما شعرت أن أعيش حتى أرى أمثالكم يشكّون في الحوض ، لقد تركت عجائز بالمدينة ما تصلي واحدة منهن صلاة إلا سألت ربها أن يوردها حوض محمد ﷺ وفي حديث أبي برزة رضي الله عنه ، أنه قال له عبيد الله بن زياد : إنما بعثت اليك لأسألك عن الحوض ، هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر فيه شيئاً ؟ قال أبو برزة : لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثاً ولا أربعاً ولا خمساً ، فمن كذب به فلا سقاء الله منه ، ثم خرج مغضباً . أخرجه أبو داود .

الثاني : ورد عن النبي ﷺ : أن حوضه مسيرة شهر ، وزواياه سواء ،

يعني عرضه مثل طوله . أخرجه الامام أحمد ، والبخاري ، من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما ، مرفوعاً : حوضي ما بين أيلة الى صنعاء ، له ميزابان : أحدهما من ذهب ، والآخر من فضة .

وفي « الطبراني » عن أنس مرفوعاً : أن عرضه وطوله ما بين المشرق الى المغرب ، لا يشرب منه أحد فيظلم ، ولا يتوضأ منه أحد فيشعث ، لا يشربه من أخفر ذمقي ، ولا من قتل أهل بيتي .

وفي « صحيح مسلم » و « سنن الترمذي » من حديث أبي ذر مرفوعاً : والذي نفسي بيده ، لآيته - يعني حوضه صلى الله عليه وسلم - أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية ، آنية الجنة ، من شرب منها لم يظلم ، آخر ما عليه يشخب^(١) ميزابان من الجنة ، عرضه مثل طوله ، ما بين عَمَّان الى أيلة ، وماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل .

وفي « الصحيحين » و « الترمذي » ، من حديث أنس مرفوعاً : ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة . وفي رواية : مثل ما بين المدينة وعَمَّان . وفي أخرى : ما بين لابي حوضي . وفي أخرى : ترى فيه أباريق الذهب والفضة ، كعدد نجوم السماء . وفي لفظ : أكثر من عدد نجوم السماء . وفي أخرى : إن قدر حوضي ما بين أيلة وصنعاء اليمن .

وفي « الصحيحين » أيضاً ، من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه ؛ أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : حوضي ما بين صنعاء والمدينة ، فقال المستورد : ألم تسمعه قال : لا ، قال : لا ، قال المستورد : ترى فيه الآنية مثل الكواكب .

(١) الشخب : جريان اللبن في الإناء وقت الحلب .

وفي «مسلم» من حديث سمرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا إني فرطكم ^(١) على الحوض ، وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة ، كأن الأباريق فيه النجوم .

وفي «الصحيحين» من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منه لا يظمأ أبداً . وفي رواية : مسيرة شهر ، وزواياه سواء .

وفي «الصحيحين» و «أبي داود» ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : إن أمامكم حوضي ما بين جنبيه كما بين جرباء وأذرح . قال بعض الرواة : هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال. ^(٢) وفي «مسلم» عن ثوبان رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ سئل عن عرض حوضه ، فقال : من مقامي إلى عُمَمان .

وفي «الترمذي» ، عن أبي سلام الحبشي ، قال : بعث إليَّ عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد ، فلما دخلت عليه قلت : يا أمير المؤمنين ! لقد شق عليَّ مركبي البريد ، فقال : يا أبا سلام ! ما أردت أن أشق عليك ، ولكني بلغني عنك حديث تحدّثه عن ثوبان ، عن رسول الله ﷺ في الحوض ، فأحببت أن تشافيني به ، فقلت : حدثني ثوبان ، أن رسول الله ﷺ قال : حوضي مثل ما بين عدن إلى عَمَمَانَ البلقاء ، ماؤه أشدّ بياضاً من الثلج ، وأحلى من العسل ، وأكوابه بعدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً . أول الناس وفوداً عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوساً ، الدنس ثياباً ، الذين لا ينكحون المنعمات ، ولا تفتح لهم أبواب السدد . فقال عمر رضي الله عنه ^(٣) : قد أنكحت المنعمات ؛

(١) الكلمة في الأصل مطموسة ، وما أثبتناه من «الصحيح» .

(٢) قال في «القاموس» : أذرح بضم الراء ، يجنب جرباء بالشام ، وغلط من قال :

بينها ثلاثة أيام . (٣) يعني عمر بن عبد العزيز .

فاطمة بنت عبد الملك ، وفتحت إلي أبواب السدد ، لا جرم لا أغسل رأسي حتى يشمت ، ولا ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ .

الثالث : قال القرطبي : ظن بعض الناس ، أن اختلاف هذه التحديدات في الحوض اضطراب واختلاف ، وليس كذلك ، وإنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات متعددة ، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة ، مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها ، وربما قدر ذلك بالزمان ، فيقول : مسيرة شهر ، والمعنى المقصود من ذلك كله ؛ أنه حوض كبير متسع الجوانب . وكان من حضره ﷺ ممن يعرف تلك الجهات يخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها ، وبالله التوفيق .

الرابع : في « الصحيحين » من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : أنا فرطكم على الحوض ، وليرفعن إلي رجال منكم ، إذا أهويت اليهم لأناولهم اختلجوا دوني فأقول : أي رب ! أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك .

وفيها من حديث أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : يريدن على الحوض رجال ممن صاحبي ، حتى إذا رفعوا إلي اختلجوا دوني ، فلا قولن : أي رب ! أصحابي أصحابي ، فليقالن لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . زادا في رواية : فأقول : سحقاً لمن بدّل بعدي .

وفيها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي ، أو قال : من أمتي ، فيحلون (١) عن

(١) قوله : فيحلون بضم التحتية وفتح الحاء المهملة : أي يدفعون عن الماء ويطردون عن وروده ، ومن رواه بالجمع بدل الحاء فهو من الجلاء ، وهو النفي عن الوطن ، ويرجع إلى معنى الطرد أيضاً « المؤلف » .

الحوض ، فأقول : يا رب : أصحابي ، فيقول : إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك ،
إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري .

وفي « مسلم » من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : سمعت رسول الله
ﷺ يقول وهو بين ظهري أصحابه : إني على الحوض أنظر من يرد علي منكم ،
فوالله ليقطعن دوني رجال ، فلا قولن : أي رب ! مني ومن أمي ؟ فيقول : إنك
لا تدري ما أحدثوا بعدك . ما زالوا يرجعون على أعقابهم .

وفي حديث أسماء أختها ، رضي الله عنها في « الصحيحين » وغيرها :
وسئوخذ ناس دوني ؟ فأقول : يا رب ! مني ومن أمي . وفي رواية فأقول :
أصحابي ، فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك ؟ والله ما برحوا يرجعون
على أعقابهم .

وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها في « مسلم » : قال رسول الله ﷺ :
إني لكم فرط على الحوض ؛ فإياي ، ليأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال ؛
فأقول : فيم هذا ؟ فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ؛ فأقول : سحقاً .

وقد تقدم أن أهل البدع والفساد والظلم والارتداد لا يردون الحوض ،
ولا يشربون منه . ولا ريب أن كثيراً من الأعراب ، ومن بني حنيفة ، ومن
بني تميم ؛ ممن كان قد أسلم ووفد على النبي ﷺ قد ارتد لما توفي النبي ﷺ ،
فقالهم الصديق الأعظم ، فأمر خالد بن الوليد فأنكا فيهم ، فمنهم من قتل ، ومنهم
من حرق ، ومنهم من رجع إلى الإسلام ، فالحديث من أعلام النبوة ،
وبالله التوفيق .

الحديث الخامس والاربعون

٩٠ - ثنا محمد بن فضيل ، عن المختار بن فلفل ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ لِي : إِنَّ أَمَّتَكَ لَا يَزَالُونَ يَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، حَتَّى يَقُولُوا : هَذَا اللَّهُ خَلَقَ النَّاسَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ ؟**

قال رضي الله عنه : (ثنا محمد بن فضيل) الضبي (عن المختار بن فلفل ، عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : **إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ لِي : (فَيَكُونُ حَدِيثًا قَدْسِيًّا لِنَسَبَتِهِ إِلَى الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ) (إِنَّ أَمَّتَكَ)** يا محمد المحييين لك ؛ المتبعين لما جئت به من الدين القويم ، والهادي المستقيم (لا يزالون) أي لا ينفكون ولا يبرحون (يتساءلون فيما بينهم) عن غوامض المسائل ، ودقائقها ، وحقائقها ، من صحيحها وباطلها ، وقويمها وعاطلها (حتى) يتوصلوا بذلك ؛ إلى أن يسألوا عن المسائل المستحيلة في نفسها ، بأن (يقولوا : هذا الله) جل شأنه وتعالى سلطانه . الإشارة إلى المستحضر في الذهن المعلوم ؛ للمسائل والمسؤول ، أي هذا الله قد عرفناه ، وهو الذي خلق الأشياء ؛ ولهذا قال : (خلق الناس) وسائر المخلوقات ؛ من العالم العلوي والسفلي (فمن خلق الله ؟) تعالى وتنزه عن ذلك علواً كبيراً ، فانه التقديم بالذات والصفات ، وإعما يصدر مثل هذا السؤال من جاهل بالواجب والجائز والمستحيل ، فقلبه به مرض الجهل الذي لا شفاء له منه ، إلا بالسؤال والتعلم ، فان القلوب ثلاثة : صحيح سليم ، ومريض سقيم ، وميت رميم . فالسليم : هو الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أي

الله به ، كما قال جل شأنه : « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » (١) وهو الذي سلم من الشهوات والشبهات ، فليس لله فيه شريك بوجه ما ، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى إرادةً ومحبةً وتوكلًا وإثابة وإخباتًا وخشية وتقوى أيضًا ورجاء . قد أخلص عمله لله ، فإن أحب فله ، وإن أبغض ففي الله ، وإن أعطى فله ، وإن منع فله ، ولا يسلم السلامة الأبدية ، ويحمي الحياة السرمدية ، حتى يسلم من الانقياد والانفعال لكل من عدا رسول الله ﷺ . فيعقد قلبه معه عقدًا محكمًا على الاقتداء به ، وحده دون غيره ، في الأقوال والأفعال والعقائد ، فيكون الحاكم عليه في ذلك كله دقيقه وجلته ما جاء به الرسول ﷺ ، فلا يتقدم بين يديه بمقيدة ولا قول ولا عمل ، كما قال تعالى : « لا تقدموا بين يدي الله ورسوله » (٢) أي لا تقولوا حتى يقول ، ولا تفعلوا حتى يأمر ، ولهذا قال بعض السلف : ما من فعلة وإن صغرت إلا ينشر لها ديوانان : لم ؟ وكيف ؟ أي لم فعلت ؟ وكيف فعلت ؟ فالأول : سؤال عن علة الشيء وباعثه وداعيه من دفع مكروه ، أو جلب محبوب ، أم الباعث على ذلك القيام بحق العبودية ، وطلب التقرب إلى الرب سبحانه ، وابتغاء الوسيلة إليه ؟ ومحل هذا السؤال : أنه هل كان عليك أن تفعل هذا الفعل لمولائك ، أم فعلته لحظك وهواك ؟ .

والثاني : سؤال عن متابعة الرسول في ذلك التعبد ، أي هل كان ذلك العمل مما شرعته على لسان رسولي ؟ أم كان عملاً لم أشرعه ولم أرضه ؟ فالأول سؤال عن الإخلاص ، والثاني عن المتابعة ، فلا يقبل الله عملاً إلا بهما ، فتمت إخلص العمل ، وحقق المتابعة ، كان قلبه سليماً ، وسيره قوياً .

و ضد هذا القلب الميت الذي لا حياة به ، فهو لا يعرف ربه ، ولا يعبد

(١) سورة الشعراء ، الايتان : ٨٨-٨٩

(٢) سورة الحجرات ، الآية : ١

بأمره ؛ وبما يحبه الله ويرضاه ، بل هو واقف مع شهواته وإرادته ، ولو كان فيها
 سخط ربه وغضبه ، لعدم مبالاته اذا فاز بشهواته وخطوظه كيفما ما اتفق ؛
 رضي ربه أم سخط ، فهو متعبد لغير الله ؛ حباً وخوفاً ، ورضى وسخطاً وتمظيماً
 وذلك ، فهو إن أحب أحب لهواه ، وإن أبغض أبغض لهواه ، وكذلك منعه
 وإعطاؤه ، وتقريبه وإقصاؤه ، فهو أثر عنده من رضى مولاه ، فهو إنما يفكر
 في تحصيل أغراضه ، ولو كان فيها هلاكه مع أمراضه ، لأن قلبه يحب الدنيا
 والامور الدنيوية مخمور ، ولبه باقتناص العاجل دون الآجل مغمور ، فلسان حاله
 يقول : برّة منقودة ، ولا درّة مفقودة ، فاذا نادى به داعي الله ورسوله والدار
 الآخرة ؛ فمن مكان بعيد ، فلا يستمع للناصح ، ويتبع كل شيطان مريد ، فالدنيا
 تسخطه وترضيه ، والهوى يقربه ويقصيه ، فهو مع الدنيا كما قيل :

عدو لمن عادت وسلم لأهلها ومن قرّبت ليلي أحب وقرّبا

فخالطة صاحب هذا القلب سقم ، ومعاشرته سم . وبالله التوفيق .

والقلب الثالث : قلب له حياة وبه علة ، فله مادنان ؛ يمد بهذه مرة وبهذه
 أخرى ، وهو لما غلب عليه منهما ، ففيه من محبة الله والايان به ؛ والاخلاص له
 والتوكل عليه ؛ ما هو مادة حياته ، وفيه من محبة الشهوات ؛ وإيثارها والحرص
 على تحصيلها ؛ والحسد والكبر والعجب وحب الملوك في الأرض بالرئاسة ؛ ما هو
 مادة هلاكه وعطبه ، فهو ممتحن من داعيين ؛ داع يدعو الى الله ورسوله
 والدار الآخرة ، وداع يدعو الى العاجلة ، فالقلب السليم ليس بينه وبين قبول
 الحق ؛ وإيثاره سوى إدراكه ، فهو صحيح الإدراك ، تام الانقياد والقبول له ،
 والقلب الميت القاسي لا ينقاد له ولا يقبله ، والقلب المريض إن غلب عليه مرضه
 التحق بالميت القاسي ، وإن غالبت عليه صحته التحق بالسليم ، فما يليقه الشيطان
 في الأسماع والأذهان من الألفاظ ، وفي القلوب من الشبه والشكوك والظنون

والتحيلات الباطلة ، فتنة لهذين القلبين ، أعني الميت ، والمريض السقيم ، وقوة للقلب الحي السليم ، لانه يرد ذلك ويكرهه ويفضه ، ويعلم أن الحق في خلافه ، فيخبت للحق قلبه ، ويطمئن وينقاد ، ويعلم بطلان ما ألقاه الشيطان من سوء الاعتقاد ، فيزداد إيماناً بالحق محبة له ، وكفر بالباطل وكراهة له ، فهذا السائل لمثل هذه المسائل من ذوي القلبين ، لأنه إما قلبه ميت رميم ، أو مريض سقيم .

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصر عوداً عوداً ، فأبي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها ؛ نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى تعود القلوب على قلبين ؛ قلب أسود مرّ بادٍ كالكور محجبا ؛ لا يعرف معروفًا ، ولا ينكر منكراً ، إلا ما أشرب من هواه ؛ وقلب أبيض مشرق ، لا تضره فتنة ما دامت السموات والارض . فشبه عرض الفتن على القلوب شيئاً فشيئاً ، كعرض عيدان الحصر ، وهي طاقتها . وقسم القلوب عند عرضها عليها الى قسمين ؛ قلب إذا عرض عليه فتنة أشربها كما يشرب السفنج الماء ، فتنكت فيه نكتة سوداء ، فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه ، حتى يسود وينتسكس ؛ وهو معنى قوله : كالكور مجحياً ؛ أي مكبواً منكوساً ، فاذا اسود وانتسكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطران متراميان الى الهلاك : أحدهما اشتباه المعروف عليه بالمنكر ، فلا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً ، بل ربما استحکم فيه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكراً ، والمنكر معروفًا ؛ والسنة بدعة ، والبدعة سنة ؛ والحق باطلاً ، والباطل حقاً .

الثاني : تحكيمه هواه على ما جاء به الرسول ، والقيادة للهوى واتباعه له . وقلب أبيض أشرق فيه نور الايمان ، وازهر فيه مصباحه ، فاذا عرضت عليه الفتن أنكرها وردّها ، فازداد نوره وإشراقه وقوته .

والفتن التي تعرض على القلوب هي أسباب مرضها ، وهي فتن الشهوات ؛ ونحن
الشبهات ؛ فالاولى توجب فساد القصد والارادة ؛ وتثبط عن مكارم الاخلاق
وحسن العبادة ، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد ؛ وتعمد بها الى غير المراد ،
وهذا السائل القليل الضليل من هذا القبيل .

وقد صح عن حذيفة أيضاً رضي الله عنه ، أنه قال : القلوب أربعة : قلب أجرد
فيه سراج مزهر ، فذلك قلب المؤمن . وقلب أغلق فذلك قلب الكافر ، وقلب
منكوس . فذلك قلب المنافق ، عرف ثم أنكر ، وأبصر ثم عمي ، وقلب تمسده
مادتان : مادة إيمان ؛ ومادة نفاق ، فهو لما غلب عليه منها . فقوله : أجرد ؛
أي متجرد عما سوى الله سبحانه وتعالى ، ورسوله ﷺ ؛ فقد تجرد وسلم
عما سوى الحق ، وفيه سراج يزهر ، وهو مصباح الايمان ، فأشار بتجرده الى
سلامته من شبهات الباطل ، وشهوات الغي ، وبحصول السراج فيه الى إشرافه
واستنارته بنور العلم والايمان ، وأشار بالقلب الأغلف ؛ الى قلب الكافر ، لأنه
داخل في غلافه وغشائه ، فلا يصل اليه نور العلم والايمان ، كما حكى سبحانه عن
اليهود : « وقالوا قلوبنا غلف » (١) وهو جمع أغلف كأغلف وقلف ، وهي الأكنة
التي ضربها الله تعالى على قلوبهم عقوبة لهم على رد الحق ، والتكبر عن قبوله ، فهي
أكنة على القلوب ، ووقر في الاسماع ، وعمى في الابصار ، وهي الحجاب المستور
عن العيون ، في قوله تعالى : « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجاباً مستوراً ، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً » (٢)
فاذا ذكر لهذه القلوب تجريد التوحيد ، وتجريد المتابعة ، ولي أصحابها على
أدبارهم نفوراً ، وأشار بالقلب المنكوس وهو المكبوب ، إلى قلب المنافق كما قال

(١) سورة البقرة ، الآية ٨٨

(٢) سورة النساء ، الآية : ٨٨

تعالى : « فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا » (١) ، أي أنكسهم وردهم في الباطل الذي كانوا فيه ، بسبب كسبهم وأعمالهم الباطلة ، وهذا شر القلوب وأخبثها ، فإنه يعتقد الباطل حقاً ويوالي أصحابه ، والحق باطلاً ويمادي أهله ، والله المستعان . وأشار بالقلب الرابع الذي له مادتان ، إلى القلب الذي لم يتمكن فيه الإيمان ، ولم يزه فيه سراحه ليدفع شبهات الباطل ، وشهوات الغي ، كقلب هذا السائل ، فإنه من عوام الأمة ورعاعها ، لم يستبصر بنور المعرفة ، ولا استضاء بشعاعها ، بل فيه مادة من الإيمان ؛ وهو كونه يشهد لله بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة ، وإنه من أمته التابعين لظاهر شرعته ، وفيه مادة من خلافه ، وهي ظلمات الجهل ، وغيم الشبهات ، وهوى الشهوات الذي أطفأ مصباح بصيرته ، فلم يشعر بما يجب لله ، وما يجوز عليه ، ويستحيل في حقه ، حتى سأل سؤاله المستحيل الذي لو أصر عليه بعد التعريف ؛ استحلال ماله ودمه ، لردته عن سواء السبيل .

تنبيهات

الأول : حديث أنس هذا ؛ أخرجه مسلم في « صحيحه » من حديث محمد بن فضيل ، عن المختار بن فلفل ، عن أنس ، وشيخ مسلم في هذا الحديث من هذا الوجه ، عبد الله بن عامر . وأخرجه البخاري أيضاً ، ولفظه : عن أنس رضي الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : لن يبرح الناس يسألون : هذا الله خالق كل شيء ، فمن خلق الله ؟

وفي « الصحيحين » وغيرهما ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا يزال الناس يتساءلون ، حتى يقال : هذا خلق الله الخلق ،

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٨

فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً ، فليقل : آمنت بالله . وفي لفظ آخر : يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق السماء ؟ من خلق الأرض ؟ فيقول : الله . فذكر مثله ، وزاد : ورسله . وفي لفظ آخر : من خلق كذا وكذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغ ذلك ؛ فليستعذ بالله ، وإيمته . وفي لفظ آخر : يأتي العبد الشيطان .

وفي « مسلم » عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا يزال الناس يسألونكم عن العلم ، حتى يقولوا : هذا الله خلقنا ، فمن خلق الله ؟ قال وهو آخذ بيد رجل : فقال : صدق الله ورسوله ، قد سألتني اثنان ، وهذا الثالث ، أو قال : قد سألتني واحد ، وهذا الثاني . وفي لفظ : قال : قال لي رسول الله ﷺ : لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة ! حتى يقولوا : هذا الله ؟ فمن خلق الله ؟ قال : فبينما أنا في المسجد ، إذ جاءني ناس من الأعراب ، فقالوا : يا أبا هريرة ! هذا الله ، فمن خلق الله ؟ قال : فأخذ حصيً بكفه ، فرمى به ، ثم قال : قوموا ؛ صدق خليلي ﷺ . وفي لفظ : ليسألكم الناس عن كل شيء ؛ حتى يقولوا : إن الله خلق كل شيء ، فمن خلقه ؟ وفي رواية لابي داود ، والنسائي : فقولوا : « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » (١) ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً ، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم . وفي لفظ للنسائي : فليستعذ بالله منه ومن فتنه .

وأخرج الامام أحمد بإسناد جيد ، وأبو يعلى ، والبخاري ، عن عائشة رضي الله عنها ؛ أن رسول الله ﷺ قال : إن أحدكم يأتيه الشيطان . فيقول : من خلقك ؟ فيقول الله ، فيقول : من خلق الله ؟ فإذا وجد ذلك أحدكم ، فليقل : آمنت بالله ورسوله ، فإن ذلك يذهب عنه . ورواه ابن أبي الدنيا في « مكنائده »

(١) سورة الاخلاص

الشيطان» وافظه: إن الشيطان يأتي أحدكم... الحديث، ورواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، من حديث عبد الله بن عمرو، ورواه الامام أحمد أيضاً من حديث خزيمة ابن ثابت رضي الله عنه .

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ، إلى رسول الله ﷺ ، فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، قال : وقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم . قال : ذاك صريح الإيمان .

وأخرج أيضاً من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : سئل النبي ﷺ [عن الوسوسة ، فقال : تلك محض الإيمان .

وفي «الصحيح» أن أصحاب رسول الله ﷺ ، قالوا : يا رسول الله ! إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به ، قال : الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة .

وفي «سنن أبي داود» عن أبي زميل ؛ سماك بن الوليد ، قال : سألت ابن عباس رضي الله عنها فقلت : ما شبيء أجده في صدري ؟ قال : ما هو ؟ قلت : والله لا أتكلم به ، قال : فقال لي : أشيىء من شك ؟ قال : وضحك ، قال : مانجا من ذلك أحد ، قال : حتى أنزل الله عز وجل : « فان كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ، لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين »^(١) قال : فقال لي : إذا وجدت في نفسك شيئاً ، فقل : هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شبيء عليم .

وفي «مسلم» من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه ، أنه أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ؛ إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها

(١) سورة يونس ، الآية : ٩٤

عليّ، فقال رسول الله ﷺ: ذاك شيطان يقال له: خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتقل على يسارك ثلاثاً، قال: ففعلت ذلك، فأذهببه الله عني. قوله: خنزب: هو بكسر الخاء المعجمة، وسكون النون، وفتح الزاي بعدها باء موحدة.

الثاني: إن كان هذا السؤال ونحوه من آدمي؛ فيقطع بالبرهان، وهو أن الله قديم أزليّ، وهو دائم أبديّ، فالحدوث مستحيل في حقه جل وعلا، خلق الخلائق تفصيلاً وجملاً. وإن كان من إلقاء الشيطان؛ فليقل ما تقدم، وليتغفل عن يساره ثلاثاً، فإذا التجأ الإنسان إلى الملك الديان في دفع وساوس الشيطان، وما يلقيه في وهم العبد من الشبهات والبهتان، فإنه جل شأنه وتعالى سلطانه، يمنع عبده الملتجئ إليه من عدوّه المتسلط عليه، وقد قال تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستمع بالله من الشيطان الرجيم، إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ (٢)، ومعنى استمع بالله؛ امتنع به، واعتصم به، والجأ إليه. ومن كلام العرب: أطيب اللحم عوده، أي الذي عاذ بالاعظم واتصل به، فأمر سبحانه بالاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن، لأن القرآن شفاء لما في الصدور، ويذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوسواس والشبهات والشهوات والارادات الفاسدة، فهو دواء لما أثره فيها الشيطان، فأمر أن يطرد مادة الداء، ويحلي منه القلب، ليصادف الدواء محلاً خالياً فيتمكن منه، ويؤثر فيه. ولأن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب، كما أن الماء مادة النبات، فالشيطان نار يحرق النبات، فكما أحس بنبات الخير في القلب سعى في إفساده وإحراقه، فأمر أن يستعبد بالله منه لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن، ولأن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهيم بالخير ويدخل فيه، فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه

(٢) سورة النحل، الايات: ٩٨ - ١٠٠

غنه ، ويزين له الكلام الباطل ، والآراء المتهافنة ، والخيالات المتناقضة التي هي
زبالة الأذهان ، ونخالة الأفكار ، والزبد الذي تقذف به القلوب المظلمة المتخيرة
التي تعدل الحق بالباطل ، والخطأ بالصواب ، وقد تقاذفت بها أمواج الشبهات ،
ورانت عليها غيوم الخيالات ، فركبها القيل والقال ، والشك والتشكيك ،
وكثرة الجدل . ليس لها حاصل من اليقين يعول عليه ، ولا معتقد مطابق للحق
يرجع إليه . يوحى بمضمهم الى بعض زخرف القول غروراً ، فقد اتخذوا لأجل
ذلك القرآن مهجوراً ، وقالوا - من عند أنفسهم ، مما ألقاه الشيطان في قلوبهم - :
منكراً من القول وزوراً ، فهم في شكهم بعمهم ، وفي حيرتهم يتكلمون^(١) ، قد
نبدوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على
قلوبهم من^(٢) الشبهات والشهوات ، فهم اليه يتجأ كمن . قد فارقوا الدليل ،
واتبعوا من أضلهم عن سواء السبيل ، وقد قعد الشيطان للإنسان كل مقعد ،
ورصده كل مرصد ، وألقى في وهمه الشبهات ، وأطفأ نور بصيرته بدخان
الشهوات والتخيلات ، فلا راد لشهوته ، ولا كاشف لشبهته ، إلا بذكر الله
وصدق الالتجاء اليه ، والاستعاذة به والتوكل عليه ، فانه جل شأنه يدبر أمر
الممالك ، ويسلم من المخاوف والمهلك ، ويأمر وينهى ، ويخلق ويرزق ، ويميت
ويحيي ، ويقضي ويمضي ، ويعز ويذل ، ويقلب الليل والنهار ، ويداول الأيام
بين الناس ، وينشئ الدول ، فيذهب بدولة ويأتي بأخرى ، ورسد الملائكة ما بين
صاعد بالأمر ونازل به . أوامره متعاقبة ، وآياته نافذة ، فما شاء كان كما شاء ،
في الوقت الذي يشاء ، على الوجه الذي يشاء ، من غير زيادة ولا نقصان ، ولا
تقدم ولا تأخر ، وأمره وسلطانه نافذ في السموات وأقطارها ، وفي الارض وما
عليها وما تحتها ، وفي البحار والجو وسائر أجزاء العالم وذراته ، يقلبها ويصرفها

(١) المتكلمه : من يركب رأسه لا يدري أين يتوجه .

(٢) كان الكلام مطموساً في الاصل .

كيف يشاء ، ويحدث فيها ما يشاء . قد أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء
 عدداً ، ووسع كل شيء رحمة وحنانة . قد وسع سمعه الأصوات فلا تختلف
 عليه ، ولا تشببه بغيره ، بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها ، على
 تفنن حاجتها ، فلا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلظه المسائل ، ولا يتبرم بالحاج
 الملحين . وأحاط بصره بكل المراتب ، فيرى ديب النملة السوداء على
 الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، فالغيب عنده شهادة ، والسر لديه علانية ،
 يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، له الخلق والأمر ، وله الملك والحمد ، وله النعمة
 وله الفضل ، وله الثناء الحسن الجميل . شملت قدرته كل ممكن ، ووسعت رحمته
 كل شيء ، وسبغت نعمته على كل حي ، يسأله من في السموات والأرض كل يوم
 هو في شأن ، وهذه شؤون بيديها لا يبتدئها ، يفرجهما ، ويكشف غمماً ، ويجبر كسيراً ،
 ويغني فقيراً ويعلم جاهلاً ، ويهدي ضالاً ، ويرشد حيراناً ، ويغيث لهفاناً ، ويرد
 غائباً ، ويقبل تائباً ، ويستر عورة ، ويؤمن روعة ، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ،
 يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل .
 حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .
 يمينه ملائكة وكتائب يدية يمين ، لا يفيضها نفقة ، سحائب الليل والنهار ، قلوب العباد
 ونواصيهم بيده ، وأزمة الأمور معقودة بقضائه ، وقدره ، الأرض جميعاً قبضته
 يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، لا تنصره الذنوب ، ولا تنفعه الطاعات ،
 فلو أن الأشجار من حنين وجدت إلى انقضاء الدنيا أقلام ، والبحور وأضفاف
 أضفافها مداد ، فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد ، لفنيت الأقلام ونفدت
 المداد ، ولم تنفذ كلمات الله ، وكيف تفنى كلماته وهي لا بداية لها ولا نهاية ، فهو
 الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء ، والظاهر الذي
 ليس فوقه شيء ، والباطن الذي ليس دونه شيء . أحق من ذكر ، وأولى من

شكر ، وأحق من عبد ، وأحق من محمد ، وأرأف من ملك ، وأجود من سئو ،
وأعفا من قدر ، وأكرم من قصد ، وأنصف من حكم ، وأعدل من انتقم . هو
الملك لا شريك له ، والفرد فلا ند له ، والغني فلا ظهير له ، والصمد فلا ولد له
ولا صاحبة . كل شي . هالك إلا وجهه ، وكل ملك زائل إلا ملكه ، وكل فضل
منقطع إلا فضله ، لن يطاع إلا بأذنه وفضله ، ولن يعصى إلا بهله وعدله ، يطاع
فيشكر ، ويعصى فيغفر ، كل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عدل ، أقرب
شهيد ، وأدنى حفيظ ، حال دون النفوس ؛ وأخذ بالنواصي . إذا أراد شيئاً إنما
يقول له : كن فيكون . حارت العقول في قدرته ، وأذعنت الأبواب لحكمته ،
لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، فأين تقع الأوهام والظنون ؟ أم كيف تشرف
البصيرة على عموم قدرته ؛ وإرادته وحكمته وعلمه ، وهو الخالق ، وهي المخلوقة
الأسيرة ؟ فلا سلامة لمن لا يسلم ، ولا فوز ولا فلاح لمن لا يذعن ؛ وينقاد
لأوامر الملك الجواد ، فنسأله الهداية والمعونة ، والكفاية والمؤونة ، ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الثالث : في الحديث دليل على كراهة كثرة السؤال عن مثل
هذه المسائل .

وفي « مسند الامام أحمد » و « سنن أبي داود » بإسناد حسن ، عن معاوية
رضي الله عنه ؛ نهى رسول الله ﷺ عن الأغلوطات . ومثله قول ابن مسعود
رضي الله عنه ؛ وأنذرتكم صعاب المنطق .

قال الجلال السيوطي في « الدر » : الأغلوطات والغلوطات — بفتح الهمزة —
المسائل التي يغالط بها العلماء ليزلوا ، فيهبج بذلك شر وفتنة . وفي « الصحيحين »
وغيرهما ، من حديث المغيرة بن شعبه رضي الله عنه : إن الله حرم عليكم عقوق
الأمهات ، ووآد البنات ، ومنعاً وهات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة

السؤال وإضاعة المال . قيل : المراد بكثرة السؤال عن المشكلات والمعضلات من المسائل الكلامية ، والأقيسة الجدلية ، لما في ذلك من التنطع والقول بالظن ، إذ لا يخلو صاحبه من الخطأ . وقد قال تعالى : « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » (١) لكن خصوا هذه الآية بزمن نزول الوحي ، ويشير إليه حديث : أعظم الناس جرماً عند الله من سأل عن شيء لم يحرم ؛ فحرم من أجل مسألته .

وأخرج أبو داود من حديث بريدة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : إن من البيان سحراً ، وإن من العلم جهلاً . قال الحافظ ابن رجب : فسر صمصمة بن صوحان قوله : إن من العلم جهلاً ؛ أن يتكلف العالم إلى علمه ما لا يعلم ، فيجهله ذلك . قال ابن رجب : ويفسر أيضاً بأن العلم الذي يضر ولا ينفع ؛ جهل ، لأن الجهل به ؛ خير من العلم به ، فإذا كان الجهل به خيراً منه ؛ فهو شر من الجهل ، وهذا كالسحر والعلوم المضرة في الدين .

وفي « السنن » حديث مرفوع : ما ضل قوم بعد هدى ؛ إلا أوتوا الجدل ، ثم قرأ : « ما ضربوه لك إلا جدلاً ، بل هم قوم خصمون » (٢) . وقد قال بعض السلف : إذا أراد الله بعبده خيراً ؛ فتح له باب العمل ، وأغلق عنه باب الجدل ، وإذا أراد بعبده شراً أغلق عليه باب العمل ، وفتح له باب الجدل .

وقال الامام مالك : أدركت أهل هذه البلدة ؛ وإنهم ليكرهون هذا الاكثار الذي فيه الناس اليوم ، يريد المسائل ، وكان يكره الجواب في كثرة المسائل ويقول : قال الله تعالى : « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي » (٣) فلم يأتته

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٠١

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٥٨

(٣) سورة الاسراء ، الآية : ٨٥

في ذلك بجواب ، وقال : المرء في العلم يقسي القلب ، ويورث الضغن . قال الحافظ ابن رجب : وهذا سبيل الامام أحمد ؛ قال : وقد ورد النهي عن كثرة المسائل ، وعن أغلوطات المسائل .

وفي « أعلام الموقعين » للامام ابن القيم ، ذكروا المسائل عند معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنها . فقال : أتعلمون أن رسول الله ﷺ نهى عن عضل المسائل ؟

وروى ابن أبي خيثمة عن سهل ابن سعد رضي الله عنه ؛ قال : لعن رسول الله ﷺ المسائل وعابها .

وسئل الامام مالك عن قول رسول الله ﷺ : أنها كم عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ؛ فقال : أما كثرة السؤال ؛ فلا أدري ، أهو ما أنتم فيه فما أنها كم عنه من كثرة المسائل ؟ فقد كره رسول الله ﷺ المسائل وعابها ، وقال ﷺ : ذروني ما تركتكم ، فانما أهلك من قبلكم كثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم .

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ؛ ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة ؛ حتى قبض ﷺ ، كلهم في القرآن : « يسألونك عن المحيض »^(١) « يسألونك عن الشهر الحرام »^(٢) « يسألونك عن اليتامى »^(٣) ما كانوا يسألونه إلا عما ينفعهم . قال أبو عمر بن عبد البر : ليس في الحديث من الثلاث عشرة مسألة إلا ثلاث . قال ابن القيم : مراد ابن عباس رضي الله عنهما ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة ، المسائل التي حكاها الله في القرآن عنهم ، وإلا فالمسائل التي سألوه عنها ، وبين لهم أحكامها بالسنة ، لا تكاد تحصى ، ولكن إنما كانوا يسألون عن الواقعات ، ولم يكونوا يسألونه عن المقدرات ، والأغلوطات ، وعضل

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٢ (٢) سورة البقرة ، الآية : ٢١٧

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٠

المسائل ، ولم يكونوا يشتغلون بتفريع المسائل ، وتوليدها ، بل كانت همهم مقصورة على تنفيذ ما أمرهم به ، فاذا وقع بهم أمر سألوا عنه فأجابهم .

قلت : والمذموم من كثرة المسائل إنما يراد السؤال عن الكلام الباطل ، والآراء المتهافنة ، والخيالات المتناقضة التي هي زبالة الأذهان ، ونجاسة الأفكار ، لا عن المسائل الشرعية بأدلتها المرضية . ويدل على هذا كلام أئمة الدين من المتقدمين والمتأخرين ، ولهذا قال الامام مالك لابن وهب وهو ينكر كثرة المسائل والجواب عنها : يا عبد الله ! ما علمته فقل به ، ودل عليه ، وما لم تعلم فاسكت ، وإياك أن تتقلد الناس قلادة سوء .

وقد روى ابن عبد البر بسنده الى عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل ، عن أبيه رضي الله عنه ، قال :

دين النبي محمد آثار	نعم المطيعة للفقى الأخبار
لا نتخذ عن الحديث وأهله	فالرأي كليل والحديث نهار
ولربما جهل الفقى طرف الهدى	والشمس طالعة لها أنوار
والله أعلم .	

الرابع : فيما ذكرنا من الأحاديث ، وكذا نفس الحديث المشروح ؛ دليل على ذم التفكير في ذات الله تعالى . وقد ورد ذلك صريحاً ، فأخرج الطبراني في « الاوسط » وابن عدي في « الكامل » والبيهقي في « شعب الايمان » ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله . ورواه ابو الشيخ أيضاً .

وروى أبو نعيم في « الحلية » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله .

وروى أبو الشيخ في كتاب « العظمة » عن ابن عباس أيضاً رضي الله عنهما ،

مرفوعاً : تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله ، فإن بين السماء والسابعة
إلى كرسيه سبعة آلاف نور ، وهو فوق ذلك .

وأخرج أبو الشيخ أيضاً ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، مرفوعاً : تفكروا
في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا .

وقد صح عن بعض السلف أنه قال : تفكر ساعة خير من عبادة ستين
سنة . قلت : وقد روي مرفوعاً من حديث أبي هريرة ، ولا يصح رفعه ، فإن
سنده واهٍ ، بل موضوع .

قال ابن القيم في كتابه « مفتاح دار السعادة » : سأل رجل أم الدرداء عن
أبي الدرداء رضي الله عنها بعد موته ، عن عبادته ، فقالت : كان نهاره أجمع في
بادية الفكر . وقال الحسن : تفكر ساعة خير من قيام ليلة . قال الفضيل : التفكر
مرآة تريك حسناتك وسيئاتك . وقيل لأبراهيم بن آدم : إنك تطيل الفكرة ،
فقال : الفكرة مخ العقل . وقال عمر بن عبد العزيز : الفكرة في نعم الله من
أعظم العبادات . وقال بشر الحافي : لو فكر الناس في عظمة الله ماعصوه .

والحاصل أن التفكر باب التذكر ، والتذكر ثمرة التبصر ، فالتبصرة :
التعقل . والذكرى : التذكر ، والفكر باب ذلك ومدخله ؛ فإذا فكر تبصر ؛
وإذا تبصر تذكر ؛ فالتفكر والتذكر أصل الهدى والصلاح ، وهما قطبا السعادة .
قال الحسن البصري : ما زال أهل العلم يعوّدون بالتذكر على التفكر ؛
وبالتفكر على التذكر ، ويناطقون القلوب حتى نطق ؛ فإذا لها أسمع وأبصار ،
فالتفكر طلب القلب ما لم يكن يحصل من العلوم من أمر هو حاصل منها ، هذا حقيقته ،
فانه لو لم يكن سمّاً مراد يكون مورد للفكر ؛ استحالة الفكر ، لأن الفكر بغير متعلق
متفكر فيه محال ، وتلك المواد هي الأمور الحاصلة ، ولو كان المطلوب بها حصلاً

عنده لم يتفكر فيه ، فالتفكر ينتقل من المقدمات والمبادئ التي عنده الى المطلوب الذي يريده ، فاذا ظفر به ، وتحصل له ، تذكر به وأبصر مواقع الفعل والترك ، وما ينبغي إثاره ، وما ينبغي اجتنابه ، فالتذكر : هو مقصود التفكير وثمرته ، فاذا تذكر ، عاد بتذكره على تفكره فاستخرج به ما لم يكن حاصلًا عنده ، فهو لا يزال يكرر بتفكره على تذكره ، وبتذكره على تفكره مادام عاقلًا ، لأن العلم والارادة لا يقفان به على حد ، بل هو دائماً سائر بين العلم والارادة . قال تعالى : « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » (١) فاذا عرف معنى كون آيات الرب تبارك وتعالى تبصرة وذكرى يتبصر بها من عمى القلب ، ويتذكر بها من غفلته . وعلى كل حال ، أحسن ما اتفقت فيه الأنفاس ؛ التفكير في آيات الله ، وعجائب صنعه ، والانتقال منها الى تعلق القلب والهمة به دون شيء من مخلوقاته ، وبه التوفيق .

الحديث السادس والاربعون

٩١ - ثنا محمد بن فضيل ، ثنا المختار بن فلفل ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، وقد انصرف من الصلاة ، فأقبل إلينا ، فقال : يا أيها الناس ! إني إمامكم ، فلا تسبقوني بالركوع ، ولا بالسجود ، ولا بالقيام ، ولا بالقعود ، ولا بالانصراف ، فاني أراكم من

(١) سورة ق ، الآيتان : ٧ و ٨

أمامي ، ومن خلفي ، وإيم الذي نفسي بيده ، لو رأيتم ما رأيتم
لضحكتكم قليلاً ، ولبكيتكم كثيراً . قالوا : يا رسول الله ! وما
رأيت ؟ قال : رأيت الجنة والنار .

قال رضي الله عنه : (ثنا محمد بن فضيل) الضبي قال : (ثنا المختار بن فلفل)
الحزومي (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه ، (قال : قال رسول الله ﷺ
ذات يوم) قيل : لفظة ذات مقحمة ، وفأندتها دفع مجاز المشارفة ، وقيل : ذات
الشيء : نفسه وحقيقته ، والمراد بها ما أضيف إليه ، أي قال ﷺ يوماً ، فإن
العرب يستعملون ذات يوم ، وذات ليلة ، ويريدون حقيقة المضاف إليه بنفسه
في اليوم والليلة ، قال في « المطالع » : وتكون ذي صلة دعماً للكلام ، كقولهم :
ذات يوم ، وذات ليلة .

وفي « البخاري » في الحديث : ذات يوم ، وذات ليلة ، ويصلح ذات بينهم ،
فذاث الشيء ؛ نفسه وحقيقته ، أي الذي هو كذا ، إذا لم يشر إليه ، وقد
استعمل المتكلمون الذات بالألف واللام ، وغلطهم في ذلك أكثر النحاة ، لأنها
من المبهات ، وأجاز بعض النحاة قولهم : الذات ، وأنها كناية عن المعنى ، وحقيقة
الشيء ، وعن الخلق والصفات . انتهى ملخصاً . (وقد انصرف) ﷺ (من
الصلاة) الواو في قوله : وقد انصرف ، واو الحال . (فأقبل إلينا) ولفظ مسلم :
فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجه الشريف (فقال : يا أيها) وسقطت يا من
رواية مسلم (الناس ! إني إمامكم) بكسر الهمزة ، فإذا علمتم إني إمامكم ، وأنتم
مقتدون بي (فلا تسبقوني) لأن الامام إنما جعل إماماً ليقتدى به ويتبع ، ومن
شأن التابع أن لا يسبق متبوعه ، ولا يتقدم عليه في موقفه ، بل يراقب أحواله ،
ويأتي على أثره . ومقتضى ذلك أن لا يخالفه في شيء من الأحوال . قال العلماء :

متابعة الامام واجبة في الأفعال الظاهرة ، وقد نبّه النبي ﷺ عليها بقوله :
 (بالركوع) وماعطف عليه ، والجار والمجرور متعلق بلا تسبقوني .
 وفي « الصحيحين » وغيرها : فاذا ركع - أي الامام - فاركعوا ؛ فمقتضاه
 أن ركوع المأموم يكون بعد ركوع الامام ، إما بعد تمام انحناؤه ، وإما بأن
 يسبقه الامام بأوله ، فيشرع فيه بمجرد أن يشرع الامام . وزاد أبو داود من
 حديث أبي هريرة رضي الله عنه : ولا تركعوا حتى يركع ، ولا تسجدوا حتى
 يسجد . وهي زيادة حسنة ، تنفي احتمال إرادة المقارنة من مفهوم قوله ﷺ : فلا
 تسبقوني ، وكذا من قوله : إذا كبر فكبروا ، في الحديث الآخر . (ولا)
 تسبقوني (بالسجود) لأن الائتمام يقتضي متابعة المأموم لامامه ، فتنتفي المقارنة
 والمسابقة والمخالفة .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه ﷺ قال :
 وإذا سجد - أي الامام - فاسجدوا .

وفيهما من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما : وإذا رفع - يعني النبي
 ﷺ - رأسه من الركوع فقال : سمع الله لمن حمده ، لم نزل قياما حتى نراه قد
 وضع وجهه في الأرض فنتبعه . وفي لفظ : لم يحسن منا أحد ظهره حتى يقع
 النبي ﷺ .

وفي « مسند الامام أحمد » ، حتى يسجد فيسجدون . واستدل به الامام
 الحافظ ابن الجوزي على أن المأموم لا يشرع في الركن حتى يتمه الامام ، وتعقب
 بأن ليس في الحديث إلا التأخر حتى يتلبس الامام بالركن الذي ينتقل اليه ،
 بحيث يشرع المأموم بعد شروعه بالتلبس به ، وقبل فراغه منه .
 ووقع في حديث عمرو بن حريث عند مسلم : فكان لا يحني أحد منا ظهره
 حتى يستتم ساجداً .

ولابي يعلى من حديث أنس حتى يتمكن النبي ﷺ من السجود . وهذا واضح في انتفاء المقارنة (ولا) تسبقوني (بالقيام) من السجود ، ولا بالقيام من التشهد الى الركعة (ولا) تسبقوني (بالعمود) بأن يرفع أحدكم رأسه من السجدة الثانية فيقعد قبل رفع رأسي ليتشهد .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام ؛ أن يحول الله رأسه رأس حمار ، أو يجعل صورته صورة حمار . وفي لفظ آخر : وجه حمار . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : وهذه الروايات متفقة في المعنى ، لأن الوجه في الرأس ، ومعظم الصورة فيه ، وهو يطلق على الوجه أيضاً ؛ لكن رواية الرأس أكثر ، وهو أشمل ، فهي المعتمدة .

• وظاهر هذا وغيره من الأحاديث ، يقتضي تحريم الرفع قبل الامام ، لكونه توعد عليه بالمسخ ، وهو أشد العقوبات ، وبه جزم أئمة مذهبنا وغيرهم ، قال في « شرح المقنع » : من فعل ذلك عمداً أثم ، وبطلت صلاته في ظاهر كلام الامام أحمد ، فانه قال : ليس لمن سبق الامام صلاة ، لو كان له صلاة لرجي له الثواب ، ولم يخش عليه العقاب . وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أنه نظر الى من سبق الامام فقال : لا وحدك صليت ، ولا بامامك اقتديت . نعم ، إن رفع رأسه قبل إمامه ساهياً أو جاهلاً لم تبطل صلاته ، لأنه سبق يسيراً ، وأقوله ﷺ : عفي لأمتي عن الخطأ والنسيان ، وعليه أن يرجع ليمأتي به بعمده ، ليكون مؤتماً بامامه ، فإن لم يفعل عالماً عمداً بطلت صلاته ، لتركه الواجب عمداً ، خلافاً للقاضي أبي يعلى ، وهو قول جمهور العلماء ؛ أنه يأثم ولا تبطل ، وعن ابن عمر رضي الله عنها أنها تبطل ، وكذا قال أهل الظاهر ، بناء على أن النهي يقتضي الفساد .

تفسيه : حذف في « صحيح مسلم » لفظ : ولا بالقعود (ولا) تسبقوني
(بالانصراف) أي من الصلاة ، فيحرم ، وتبطل به الصلاة من غير عذر يبيح
للمأموم مفارقة إمامه ، يعني إن تعمد السلام قبل الإمام ، وكره إن وافقه فيه ،
وهذا كله في « صحيح مسلم » .

وروى البخاري من حديث أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال :
إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فلا تكبّروا حتى يكبّر ، ولا تركعوا حتى يركع ،
ولا ترفعوا حتى يرفع . وأشعر الحديث باعتبار وجوب المتابعة في الانصراف من
الصلاة ، وذلك بالسلام ، كما جاء في الحديث : تحريمها - أي الصلاة - التكبير ،
وتحليلها التسليم .

قال في « بدائع الفوائد » : تحريم الصلاة : الباب الذي يدخل منه إليها ،
وتحليلها : بابها الذي يخرج منها ، فالتكبير باب الدخول ، والتسليم باب الخروج ،
لحكمة بالغة يفهمها من عقل عن الله ، وألزم نفسه بتأمل محاسن هذا الدين العظيم ،
وسافر فكره في استخراج حكمه وأمراره وبدائمه ، وتغرّب عن عالم العادة
والآلف ، فلم يقنع بمجرد الأشباح حتى يعلم ما يقوم بها من الأرواح ، ثم ذكر
أن المصلي لما كان قد تخلّى عن الشواغل ، وقطع جميع العلائق ، وتطهر ، وأخذ
زينته ، وتهيأ للدخول على الله تعالى ومناجاته ، شرع له أن يدخل عليه دخول
العبيد على الملوك ، فيدخل بالتعظيم والاحلال ، فشرع له أبلغ لفظ يدل على هذا
المعنى ، وهو قول : الله أكبر ، فإن في هذا اللفظ من التعظيم والتخصيص
والإطلاق في جانب المحذوف المجرور بمن ؛ ما لا يوجد في غيره ، وبهذا كان الصواب
أن غير هذا اللفظ لا يقوم مقامه ، ولا يؤدي معناه ، ولا تنعقد الصلاة إلا به
كما هو مذهب أهل الحديث من أهل المدينة ، والحنابلة ، والشافعية ، فإن القلب
متى استشعر أن الله أكبر من كل ما يخطر بالبال ، استحيى منه أن يشغل قلبه

في الصلاة بغيره ، فلا يكون موفياً لمعنى الله أكبر ، ولا مؤدياً لحق هذا اللفظ : ولا أتى البيت من بابه . بل الباب عنه مسدود ، وقد أجمع السلف أن ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها ، وما أحسن ما قال الامام الحافظ ابن الجوزي في بعض مجالس وعظه : حضور القلب أول منزل من منازل الصلاة ، فإذا نزلته انتقلت الى بادية المعنى ، فإذا رحلت عنها أنخت يباب المناجاة ، فكان أول قرى ضيف اليقظة ، كشف الحجاب عن عين القلب ، فكيف يطمع في دخول سكة من لا يخرج (١) إلى البادية بعد تشعب قلبك في كل واد ، فربما تفجأك الصلاة وليس قلبك عندك ، فتبعث الرسول وراءه فلا يصادفه ، فتدخل في الصلاة بغير قلب ، والمقصود : أنه قبيح بالعبد أن يقول بلسانه : الله أكبر ، وقد امتلأ قلبه بغير الله ، فهو بلا قلبه في الصلاة . ولعله لا يحضر بين يدي ربه في شيء منها ، فلو قضى حق الله أكبر ، وأتى البيت من بابه لدخل وانصرف بأنواع التحف والخيرات ، فهذا الباب الذي يدخل منه المصلي وهو التحريم .

وأما الباب الذي يخرج منه ، فهو باب السلام المتضمن أحد الأسماء الحسنى ، فيكون مفتتحاً لصلاته باسمه تبارك وتعالى ، ومختتماً لها باسمه ، فيكون ذا كراً لاسم ربه أول الصلاة وآخرها ، فأولها باسمه ، وآخرها باسمه ، فدخل فيها باسمه ، وخرج منها باسمه ، مع ما في اسم السلام من الخاصية والحكمة المناسبة لانصراف المصلي من بين يدي الله ، فإن المصلي ما دام في صلاته بين يدي ربه ، فهو في حماه الذي لا يستطيع أحد أن يخفّره ، بل هو في حمى من جميع الآفات والشور ، فإذا انصرف من بين يديه تعالى ، ابتدرته الآفات والبلايا والمحن ، وتعرضت له من كل جانب ، وجاءه الشيطان ، بمصائده وجنده ، فناسب أن ينصرف من بين يدي الله مصحوباً بالسلام ، فلم يزل عليه حافظ من الله الى وقت (١) في الاصل : لا يخرج ، ولعله تصحيف .

الصلاة الأخرى ، فكان من تمام النعمة عليه أن يكون انصرافه من بين يدي ربه بسلام يستصحبه ، ويدوم له ، ويبقى معه ، فتدبر هذا السر الذي من تدبره حق تدبره ، وأعطاه حقه من التحقيق والتدقيق ، رقص القلب له فرحاً وسروراً ، وانشرح له الصدر بهجة وحبوراً .

وقد روى الامام أحمد وأصحاب السنن ، وصححه الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ كان يسلم عن يمينه وعن يساره ، السلام عليكم ورحمة الله ، السلام عليكم ورحمة الله ، حتى يرى بياض خده . وروى الامام أحمد ، ومسلم ، نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . ورواه أيضاً النسائي ، وابن ماجه ، ولفظه : كنت أرى النبي ﷺ ، يسلم عن يمينه وعن يساره ، حتى يرى بياض خده .

وروى أبو داود ، وابن ماجه ، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه ، قال : أمرنا رسول الله ﷺ : أن نسلم على أيماننا ، وأن نسلم بعضنا على بعض . ولفظ أبي داود : أمرنا أن نرد على الامام ، وأن نتحاب ، وأن يسلم بعضنا على بعض . والله أعلم .

تفہیم

الأول : لا بد في صلاة الفرض من تسليمين عند الامام أحمد على معتمد مذهبه ، ويخرج من صلاة النفل بتسليمة واحدة ، فالثانية في النفل سنة ، وهي في صلاة الجنازة مباحة .

وعند مالك ، والشافعي ، يخرج من الصلاة مطلقاً بتسليمة واحدة . وعند أبي حنيفة لا يعتبر التسليم ، فيخرج من الصلاة مطلقاً ولو بفعل نفسه بعد إتمام التشهد المعبر عنده ، والله أعلم .

الثاني : يجب على المأموم متابعة الامام ، ولو كبر للاحرام معه لم تنعقد الصلاة ، وفقاً للمالك ، والشافعي ، خلافاً لأبي حنيفة ، فعنده الأفضل تكبيره معه ، لأنه شريكه في الصلاة ، قال : وحقيقة المشاركة في المقارنة ، وعند أبي حنيفة : لو سلم قبل إمامه بلا عذر عمداً لم تبطل صلاته ، وقال الحنفية : معنى الائتمام الامتثال ، فمن فعل مثل ما فعل إمامه ، عدّ متمتلاً . والله أعلم . (فاني) فيه إشارة الى سبب النهي عن المسابقة ، كأنه قال : إنما قلت لكم الذي قلته ، لأنني تحققت منكم المسابقة ، وذلك لأنني (أراكم من أمامي) بفتح الهمزة : نقيض الورا (ومن خلفي) نقيض قدامي ، وفي لفظ في « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : أقيموا الركوع والسجود ، فوالله إني لأراكم من بعدي ، وربما قال : من بعد ظهري ، إذا ركعتم وسجدتم . وفي بعض طرق البخاري ، عن أنس ، أنه ﷺ قال : إني لأراكم من ورائي ، كما أراكم يعني من أمامي .

وفي « الصحيحين » أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه ﷺ قال : إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي .

وقد اختلف العلماء في معنى ذلك ، ف قيل : المراد بذلك : العلم ، وفي هذا نظر ، لأن العلم لو كان مراداً لم يقيده بقوله : من وراء ظهري . وقيل : يرى عن يمينه ، ومن عن يساره ، ممن تدركه عينه مع التفات يسير في النصار ، ويوصف من هو هناك بأنه وراء ظهره ، وهذا ظاهر التكلف ، وفيه عدول عن الظاهر بلا موجب ؛ بل المختار حمله على ظاهره ، وأن هذا الإبصار إدراك حقيقي خاص به ﷺ ، انخرقت له فيه العادة ، وعلى هذا يدل صنيع البخاري ، فإنه أخرج هذا الحديث في علامات النبوة ، وهو المنقول عن الامام أحمد وغيره ، ثم ذلك الإدراك يجوز أن يكون برؤية عينيه ، انخرقت له العادة فيه

أيضاً ، فكان يرى بها من غير مقابلة ، لأن الحق عند أهل السنة أن الرؤية لا يشترط لها - عقلاً - عضو مخصوص ، ولا مقابلة ، ولا قرب ، وإنما تلك أمور عادية ، ويجوز حصول الإدراك مع عدمها عقلاً ، ولذلك حكموا بجواز رؤية الله تعالى في الدار الآخرة ، خلافاً لأهل البدع ، لوقوفهم مع العادة ، وقيل : كانت له عين خلف ظهره يرى بها من وراءه دائماً ، وقيل : كان بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بها لا يحجبها ثوب ولا غيره ، وقيل : بل كانت صورهم تنطبع في حائط قبلته كما تنطبع في المرآة ، فيرى أمثلتهم فيها ، فيشاهد فعلهم . والمختار كما في « الفتح » : أن المراد بالرؤية : الإِ بصار . قال : وظاهر الحديث أن ذلك يختص بحالة الصلاة ، ويحتمل أن يكون ذلك واقعاً في جميع أحواله ، وقد نقل ذلك عن مجاهد . وحكى بقي ، عن مخلد ، أنه صلى الله عليه وسلم كان يبصر في الظلمة ، كما يبصر في الضوء . انتهى . قال القرطبي في « شرح مسلم » : حملها على ظاهرها أولى ، لأن فيه زيادة في كرامة النبي صلى الله عليه وسلم . قال الزين ابن المنير : لا حاجة إلى تأويلها ، لأنه في معنى تعطيل لفظ الشارع من غير ضرورة . قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » : المختار حملها على الحقيقة ، خلافاً لمن زعم أن المراد بها خلق علم ضروري له بذلك ، أو نحو ذلك ، قال : وأغرب الداودي فحمل قوله صلى الله عليه وسلم : فوالله إني لأراكم من بعدي على ما بعد الوفاة ، يعني أن أعمال الأمة تمرض عليه ، قال الحافظ : وكأنه لم يتأمل سياق حديث أبي هريرة ، حيث يسن فيه سبب هذه المقالة ، ولا شك أن حديث أنس ، وحديث أبي هريرة ، يدلان على أن القضية واحدة .

وعند الإمام أحمد : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، وفي مؤخر الصفوف رجل ، فأنبأ الصلاة . وعنده أيضاً من حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، أن بعض الصحابة تعمد المسابقة ، لينظر هل يعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لا ، فلما

قُضِيَ الصَّلَاةُ نَهَاءً عَنْ ذَلِكَ . واختلاف هذه الأسباب يُحْمَلُ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ صدر من جماعة في صلاة واحدة ، أو في صلوات ، والله أعلم .

ثم قال عليه السلام : (وأيم الذي نفسي بيده) ، لفظة وأيم بألف الوصل ، من ألفاظ القسم . قال في «القاموس» : واليمين : القسم مؤنثة ، ومن ألفاظه : أَيْمَنُ ، وإيمان ، وأَيْمَنُ الله ، وأَيْمُ الله ، ويكسر أولهما ، وأَيْمَنُ الله ، بفتح الميم والهمزة وتكسر ، وإيم : بكسر الهمزة والميم ، وقيل : ألفه ألف وصل ، وهيم الله ، بفتح الهاء ، وضم الميم ، وأم الله مثلثة الميم ، وإم الله بكسر الهمزة وضم الميم وفتحها ، ومُنِ الله بضم الميم وكسر النون ، ومُنِ الله مثلثة الميم والنون ، وفيها لغات آخر كلها ألفاظ قسم . والذي نفسه بيده هو الله جل شأنه ، وتعالى سلطانه . وأنى بالقسم عليه السلام لمزيد التأكيد ، وإن لم يكن عند السامع فيه شك ، فدل على جواز الحلف ، ولا سيما على الأمر المهم توكيده له .

قال الامام ابن القيم في كتابه «أعلام الموقعين» : يجوز للمفتي والمناظر أن يحلف على ثبوت الحكم عنده ، وإن لم يكن حلفه موجباً لثبوته عند السائل والمنازع ، ليشعر السائل والمنازع له أنه على ثقة ويقين مما قال ، وأنه غير شاك فيه ، فقد تناظر رجلان في مسألة ، فحلف أحدهما على ما يعتقده ، فقال له منازعه : لا يثبت الحكم بحلفك ، فقال : إني لم أحلف لأثبت الحكم عندك ، ولكن لأعلمك أنني على يقين وبصيرة من قولي ، وأن شهيتك لا تغير عندي في وجه يقيني بما أنا جازم به . قال : وقد أمر الله نبيه عليه السلام أن يحلف على ثبوت الحق الذي جاء به في ثلاث مواضع من كتابه : أحدها قوله : «ويستنبئونك أحق هو قل أي وربي إنه لحق» (١) ، الثاني قوله تعالى : «وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم» (٢) ، الثالث قوله : «زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لبعثن» (٣) .

(٢) سورة سبأ ، الآية : ٣

(١) سورة يونس ، الآية : ٥٣

(٣) سورة التغابن ، الآية : ٧

وقد أقسم النبي ﷺ على ما أخبر به من الحق في أكثر من ثمانين موضعاً، وهي موجودة في «الصحيح» و«السنن» و«المسانيد»، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحلفون على الفتاوى والرواية، وقد حلف الامام أحمد رضي الله عنه على عدة مسائل من فتاويه^(١)، وكذا الشافعي وغيرها من أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين. وقد قال تعالى: «فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون»^(٢)، وقال تعالى: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكيك في شجر بينهم»^(٣) الآية، وقد قال تعالى: «فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون»^(٤)، وكذلك أقسم بكلامه، كقوله: «يسن والقرآن الحكيم»^(٥)، «ق والقرآن المجيد»^(٦) «ص والقرآن ذي الذكر»^(٧)، وأما أقسامه تعالى بمخلوقاته التي هي آيات دالة عليه تعالى فكثيرة جداً، وأقسم جل شأنه بحياة نبيه المصطفى ﷺ في قوله: «لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون»^(٨) وهذه مزية وتكرمة لنبينا ﷺ عظيمة، ومنقبة جسيمة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. (لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً) هذا جواب القسم الذي أقسم به ﷺ، وهو قوله: وايم الذي نفسي بيده.

وفي «الصحيحين» من حديث أنس رضي الله عنه، قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلاً قط، فقال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، فغضى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم، لهم خنين، أي

(١) وقد قفنا بتحقيقها والتعليق عليها برسالة خاصة باسم: «المسائل التي حلف عليها الامام

أحمد» وهي الآن تحت الطبع. (٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٣

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٤ (٤) سورة الحجر، الايتان: ٩٢-٩٣

(٥) سورة يس، الآية: ١ (٦) سورة ق، الآية: ١

(٧) سورة ص، الآية: ١ (٨) سورة الحجر، الآية: ٧٢

بفتح الخاء المعجمة ، بعدها نونان ، بينهما ياء تحتية ، وهو البكاء مع غنة بانتشاق الصوت من الأنف .

وروى الحاكم وصححه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : لو تعلمون ما أعلم ، لبكيتم كثيراً ، واضحكتم قليلاً ، ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله ، لاندرون تنجون أو لاتنجون . قوله : تجأرون ، بفتح المثناة فوق ، وسكون الجيم ، بعدها همزة مفتوحة ؛ أي تضجون وتستغيثون .

وروى نحوه البخاري ، والترمذي ، من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، وفيه : والله لو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً ، وما تلذثتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله ، والله لوددت أني شجرة تعضد . قوله : الصعدات ، هو بضم الصاد والعين المهملتين : الطرقات . (قالوا) أي أصحابه ﷺ ، ورضي عنهم : (يا رسول الله ! وما رأيت ؟) استفهموا عما هو ل وخوف برؤيته (قال) ﷺ : (رأيت الجنة والنار) ، وفي رواية في « الصحيحين » وغيرهما : بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء ، فخطب فقال : عرضت علي الجنة والنار ، فلم أر كاليوم في الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه ، غطوا رؤوسهم ولهم خنين .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أنس رضي الله عنه ، قال ﷺ : لقد رأيت الآن منذ صليت لكم الجنة والنار ممثليين في قبلة هذا الجدار ، فلم أر كاليوم في الخير والشر ، أي رأيتها مصورتين في جهة هذا المسجد المقابل لوجهه في الصلاة ساعته .

وروى البيهقي من حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : يا معشر المسلمين ! ارغبوا فيما رغبكم الله فيه ، واحذروا ما حذركم الله منه ،

وخافوا مما خوفكم الله به من عذابه وعقابه وجهنم ، فانها لو كانت قطرة من الجنة
ممكن في دنياكم التي أنتم فيها حلتم لكانت قطرة من النار ممكن في
دنياكم التي أنتم فيها خبثتم عليكم .

وروى الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً : ما رأيت مثل النار نام
هاربها ، ولا مثل الجنة نام طالبها ، وأخرجه البيهقي وغيره .

وروى البزار من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنها ، مرفوعاً ، أن
رسول الله ﷺ مر بقوم وهم يضحكون ، فقال : تضحكون وذكر الجنة
والنار بين أظهركم ، قال : فما رُئي أحد منهم ضاحكاً حتى مات . قال : ونزلت :
« نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابي هو العذاب الأليم » (١)

وأخرج أبو يعلى من حديث ابن عمر رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ ،
أنه خطب فقال : لا تنسوا العظيمين : الجنة والنار ، ثم بكى حتى جرى أو بل
دموعه جانبي لحيته ، ثم قال : والذي نفس محمد بيده ، لو تعلمون ما أعلم من أمر
الآخرة ، لمشيتم إلى الصعيد ، ولحثتم على رؤوسكم التراب .

وأخرج الامام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ
أنه قال لجبريل : مالي لا أرى ميكائيل ضاحكاً ؟ قال : ما ضحك ميكائيل منذ
خلقت النار .

وأخرج مسلم والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول
الله ﷺ : يؤتى بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون
ألف ملك يجرونها . وفي الحديث إشارة إلى فضيلة البكاء من خشية الله ؛
وخوف عقابه .

(١) سورة الحجر ، الآية : ٩٠

وفي «الصحيحين» وغيرها ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال :
سمعت رسول الله ﷺ يقول : سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله :
الامام العادل ، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ،
ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات
منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه (١) .
وأخرج الحاكم وصححه من حديث أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله
ﷺ قال : من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله ، حتى يصيب الأرض من
دموعه لم يعذب يوم القيامة .

وأخرج الامام أحمد واللفظ له ، والنسائي ، والحاكم وصححه ، عن أبي
ريحانة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : حرّمت النار على عين دمت أو بكت
من خشية الله ، وحرّمت النار على عين سهرت في سبيل الله .

وأخرج الترمذي وحسنه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال :
سمعت رسول الله ﷺ يقول : عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ،
وعين باتت تحرس في سبيل الله .

وروى الاصبهاني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : كل عين
باكية يوم القيامة ، إلا عين غضت عن محارم الله ، وعين سهرت في سبيل الله ،
وعين خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله عز وجل .

وروى الترمذي وحسنه ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ
قال : ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين ، وأثرين : قطرة دموع من خشية
الله ، وقطرة دم يهراق في سبيل الله . وأما الاثران : فأثر في سبيل الله ، وأثر
في فريضة من فرائض الله .

(١) كذا في الاصل ، سقطت السابعة ، وهي قوله صلى الله عليه وسلم : «ورجل تصدق
بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» .

وأخرج أبو داود واللفظ له ، والنسائي ، وابن خزيمة ، وابن حبان في « صحيحهما » عن مطرف ، عن أبيه ، قال : رأيت رسول الله ﷺ يصلي ولصدرة أزيز كأزيز الرحى من البكاء وقال بعضهم : ولجوفه أزيز كأزيز المرجل ، أي لصدرة صوت كصوت الرحى . يقال : أزت الرحى : إذا صوتت ، والمرجل في اللفظ الآخر : القدر ، ومعناه أن لجوفه خنيماً كصوت غليان القدر إذا اشتد .

وروى الترمذي وحسنه ، وابن أبي الدنيا ، والبيهقي ، من حديث عقبة ابن عامر رضي الله عنه ، قال : قلت يا رسول الله ! ما النجاة ؟ قال : أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك .

وروى نحوه الطبراني في « الصغير » و « الأوسط » من حديث ثوبان رضي الله عنه ، ولفظه : قال رسول الله ﷺ : طوبى لمن ملك لسانه ، ووسعه بيته ، وبكى على خطيئته . وإسناده حسن .

وروى الحاكم وصححه ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » (١) تلاها رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه ، فخر فتى مغشياً عليه ، فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده فإذا هو يتحرك ، فقال رسول الله ﷺ : يا فتى : قل لا إله إلا الله ، فقلها ، فبشره بالجنة ، فقال أصحابه : يا رسول الله ! أمن بيننا ، فقال : أو ما سمعتم قوله تعالى : « ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد » (٢) والأخبار والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة ، وفيما أشرنا إليه كفاية ، والله أعلم .

(١) سورة التحريم ، الآية : ٦

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ١٤

الحديث السابع والأربعون

٩٣ - ثنا محمد بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس : أن النبي ﷺ كان يصلي ذات ليلة في حُجْرته ، فجاءه أناس فصلوا بصلاته ، فخفف ، فدخل البيت ثم خرج فعاد مراراً ، كل ذلك يصلي ، فلما أصبح قالوا : يا رسول الله ! صليت ، ونحن نحب أن أن تمدّ في صلاتك . قال : قد علمت بمكانكم ، وعمداً فعلت ذلك .

قال رضي الله عنه (ثنا محمد) بن إبراهيم (ابن عدي) البصري السلمي ، الامام الحافظ ابو عمرو ، ويقال له : القسملّي ، لنزوله في القساملة .
روي عن شعبة ، وابن عون ، وحميد الطويل ، وداود بن أبي هند ، وخاله الحذاء ، وعدة . وروى عنه الامام أحمد ، ويحيى ، وقتيبة ، وابنا أبي شيبة ، والفلاس ، وبندار ، ومحمد بن المنى . وثقه أبو حاتم الرازي وغيره .
وأخرج له مسلم ، مات بالبصرة سنة أربع وتسعين ومائة (عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن النبي ﷺ كان يصلي ذات ليلة) تقدم الكلام على لفظة ذات في صدر الحديث الذي قبل هذا (في حُجْرته) والجمع حِجْر ، بضم الحاء المهملة ، وهي البيوت ، وكل موضع حَجَر عليه بحجار فهو حِجْرَة ، والحِجَار : الحائط ، والظاهر أنها حِجْرَة عائشة رضي الله عنها ، لما في « مسند الامام أحمد » من حديثها قالت : كان الناس يصلون في المسجد في

رمضان أوزاعا ، أي فرقا ، يكون مع الرجل الشيء من القرآن فيكون معه
 النفر الخمسة أو السبعة ، أو أقل من ذلك أو أكثر ، يصلون بصلاته ،
 قالت : فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنصب له حصيراً على باب
 حجرتي ، ففعلت ، فخرج اليه بعد أن صلى عشاء الآخرة ... الحديث (بخاءه)
 بالمد (أناس فصلوا بصلاته) ولفظ حديث عائشة : فاجتمع اليه من المسجد ،
 فصلى بهم . وفي «المسند» و «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها أيضاً ،
 أن النبي ﷺ صلى في المسجد ، فصلى بصلاته ناس (فخفف) ﷺ الصلاة
 وآتمها (فدخل البيت) فهذا يدل على أن صلاته كانت على باب الحجرة ؛ حيث
 نصبت له الحصير (ثم خرج) ﷺ (فعاد) إلى دخول البيت بعد انصرافه من
 الصلاة ، فعل ذلك (مراراً ، كل ذلك) من خروجه من بيته (يصلي) فيصلّي
 بصلاته أناس ، فيخفف فيدخل البيت (فلما أصبح قالوا : يا رسول الله ! صليت)
 بنا (ونحن نحب أن تمد في صلاتك) وتطيلها ، لنصلي بصلاتك ، ونستمع لقراءتك ،
 فلم تطل الصلاة ، وبادرت لدخول بيتك (قال) ﷺ : (قد علمت بمكانكم)
 وانتظاركم خروجي لأصلي بكم (وعمداً) أي وتعمدت التخفيف ، والمبادرة
 لدخول البيت ، وعدم خروجي إليكم ، عمداً (فعلت ذلك) والذي في «المسند»
 و «الصحيحين» أنه ﷺ صلى في المسجد ، فصلى بصلاته ناس ، ثم صلى الثانية
 فكثرت الناس ، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة ، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ
 فلما أصبح قال : رأيت الذي صنعتُمْ ؛ فلم يمنعني من الخروج إليكم ، إلا أنني
 خشيت أن تفرض عليكم . قالت : وذلك في رمضان . وفي رواية . قالت : كان
 الناس يصلون في المسجد ؛ في رمضان أوزاعاً ... الحديث ، وفيه : فاجتمع اليه من في
 المسجد فصلى بهم ، وذكرت القصة ؛ بمعنى ما تقدم ، غير أن فيها ؛ أنه لم يخرج
 إليهم في الليلة الثانية . رواه الإمام أحمد .

وفي « الصحيحين » من حديث عائشة رضي الله عنها أيضاً : أن رسول الله ﷺ خرج من جوف الليل ؛ فصلى في المسجد ، فصلى رجال بصلاته ، فأصبح الناس يتحدثون بذلك ، فاجتمع أكثر منهم ، فخرج رسول الله ﷺ في الليلة الثانية ؛ فصلوا بصلاته ، فأصبح الناس يذكرون ذلك . فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج فصلوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة ؛ عجز المسجد عن أهله ، فلم يخرج اليهم رسول الله ﷺ ، فطلق رجال منهم يقولون : الصلاة ، فلا يخرج اليهم رسول الله ﷺ ، حتى خرج لصلاة الفجر ، فلما قضى الفجر ؛ أقبل على الناس ، ثم تشهد . فقال : أما بعد ، فإنه لم يخف علي شأنكم الليلة ، ولكنني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل ؛ فتعجزوا عنها . زاد البخاري ، في بعض طرق هذا الحديث ، قالت عائشة : فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك .

وخرج البخاري أيضاً ؛ عن عبد الرحمن بن عبد القاري : أنه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة من رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاع متفرقون ، يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل ؛ فيصل بصلاته الرهط ، فقال عمر رضي الله عنه : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قاريء واحد لكان أمثل ، ثم عزم . فجمعهم على أبي بن كعب رضي الله عنه . قال : ثم خرجت معه ليلة أخرى ، والناس يصلون بصلاة قارئهم ، فقال عمر : نعمت البدعة هذه ، والتي تنامون عنها أفضل من التي تقومون ، يريد بذلك آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله .

وأخرج مالك في « الموطأ » عن يزيد بن رومان ، قال : كان الناس في زمن عمر رضي الله عنه ، يقومون في رمضان ثلاث وعشرين ركعة .

تنبيهات

الاول : لم أر حديث أنس هذا في « الصحيحين » مع أن سنده على شرط مسلم ، إن لم يكن على شرطها ، فقد أخرج مسلم لأبي عدي في « صحيحه » وأخرجا جميعاً لحديث ، فالسند صحيح ، والحديث صحيح ، وقد نهنا فيما ذكرنا من حديث عائشة ما يشهد اثبوتها ، وإن كان في بعض ألفاظها تعابير يسيرة .
وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه : أن النبي ﷺ لما قام بهم ليلة ثلاث وعشرين ، وخمس وعشرين ، وسبع وعشرين ، ذكر أنه دعا أهله ونساءه ؛ ليلة سبع وعشرين خاصة ، وهذا يدل على تأكيد القيام في أواخر العشر الأخير من رمضان ، لأن ذلك أرجى لقيام ليلة القدر ، وأرجى ذلك ليلة سبع وعشرين .

الثاني : دل الحديث مع ما ذكرنا من الأحاديث على أصل مشروعية صلاة التراويح واستحبابها ، فهي سنة على الصحيح من المذاهب الأربعة ، وقيل : فرض كفاية ، وهي عشرون ركعة عند الثلاثة ، وعند مالك ست وثلاثون ركعة . قال الامام ابن تيمية قدس الله روحه : له أن يصلها بزيادة ونقصان ؛ من ست وثلاثين إلى إحدى عشرة ، كما نص عليه الامام أحمد ، لعدم التوقيت ، فيكون تكثير الركعات وتقليلها ؛ بحسب طول القيام وقصره ، ويسن فعلها جماعة مع الوتر ؛ نص على ذلك الامام أحمد رضي الله عنه ، خلافاً للامام مالك . وعن أبي حنيفة رضي الله عنه : التراويح سنة ؛ لا يجوز تركها . وفي « جوامع الفقه » للحنفية : الجماعة فيها واجبة ، لكن الأشهر عندهم ؛ أنها سنة كسائر المذاهب ، ووقتها بعد سنة العشاء . وعن الامام أحمد رواية ؛ أو بعد العشاء ، جزم به في « العمدة » لأقبلها على الصحيح من المذاهب الأربعة ، إلى الفجر الثاني ، لكن

فعلها أول الليل ؛ أفضل على الصحيح من المذاهب ، وجوزها جماعة قبل العشاء ، وأفتى به بعض متأخري علمائنا ؛ ممن كان في عصر الحافظ ابن الجوزي . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : من صلاها قبل العشاء ؛ فقد سلك سبيل المبتدعة المخالفة للسنة . وفعلها في المسجد ، أفضل . كما جزم به في « المستوعب » وغيره من علمائنا ، وفاقاً لأبي حنيفة ، والشافعي . وقيل : في البيت أفضل وفاقاً لمالك . ويسن أن يستريح بعد كل أربع ركعات على الصحيح من المذاهب الأربعة ، وبه سميت صلاة التراويح ، وقيل : لا بأس بتركه ، وقيل : بل يدعو بعد كل أربع ركعات . كما يدعو في آخر الصلاة ، وكرهه الامام ابن عقيل من علمائنا . والله أعلم .

الثالث : لا يشكل على كون صلاة التراويح سنة ، بما تقدم من قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ نعمت البدعة ، لأن إطلاقه عليها بدعة بالنظر الى أنها لم تفعل قبل ذلك على تلك الهيئة ، وإن فعلها النبي ﷺ ، حيث صلى بأصحابه ثلاث ليال كما تقدم ، لكن على غير تلك الهيئة الاجتماعية ؛ بالقصد على إمام واحد ، أقامه الامام ، وهذه سنة عمرية ، وأصلها سنة نبوية ، وقد دلت الشريعة على أن لعمر سنة متبعة كسائر الخلفاء الراشدين من أبي بكر وعثمان وعليّ رضوان الله عليهم أجمعين ، وورد : إن الحق ينطق على لسان عمر وقلبه ، وقد أخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، وقاتل هو والصدّيق أهل الردّة ، وجمع الصدّيق المصحف الشريف ، وقاتل عليّ الخوارج ، وكما زاد في حد المسكر عمر رضي الله عنه وعنهم أجمعين .

وفي الحديث : اقتدوا بالثلاثين من بعدي : أبي بكر وعمر .

وفيه : عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، وبالله التوفيق .

الحديث الثامن والاربعون

٩٣ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيها في الجاهلية ، فقال : إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما ، يوم الفطر ويوم النحر .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (ابن أبي عدي ، عن حميد) الطويل عن أنس (بن مالك رضي الله عنه) قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة (المنورة) مهاجراً من مكة إليها ، وكان ذلك في شهر ربيع الأول ، سنة ثلاث عشرة من النبوة ، فخرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين . قال الحاكم : تواترت الأخبار أن خروجه ﷺ من مكة كان يوم الاثنين ، ودخول المدينة كان يوم الاثنين ؛ إلا أن محمد بن موسى الخوارزمي قال : إن خروجه من مكة كان يوم الخميس . وجمع الحافظ ابن حجر بينهما ، بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس ، وخروجه من الفار كان ليلة الاثنين ، لأنه أقام فيه ثلاث ليالٍ (ولهم) أي لأهل المدينة من الأوس والخزرج (يومان يلعبون فيها في) زمن (الجاهلية) أي قبل إسلامهم ، واهتداهم بالنبي ﷺ ، واليومان اللذان كانوا يلعبون فيها : يوم النيروز ، أول يوم من السنة ، معرب نوروز . وقد روي أنه قدّم إلى علي رضي الله عنه شيء من الحلوى ، فسأل عنه ، فقالوا : للنيروز . فقال : نيرزونا كل يوم . وكذا يوم المهرجان ، فإنه لما جيء لعلي رضي الله عنه فيه بحلوى . قال أيضاً : مهرجوناً كل يوم .

قال أصحاب الأوائل : أول من اتخذ النوروز حمشيد الملك ، وفي زمانه بعث هود على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، الى عاد وثمود ، ثم صالح عليها السلام ، وكان الدين قد تغير ، ولما ملك حمشيد جد الدين ، وأظهر العدل ، فسمي اليوم الذي جلس فيه على سرير الملك نيروزاً ، فلما بلغ من عمره الى سبعمائة سنة ، ولم يمرض ، ولم يوجه رأسه ، تحير وطفى ، فاتخذ شكلاً على صورته وأرسلها الى الممالك ليمظموها ، فتعبدوا العوام ، واتخذوا على مثالها الأصنام ، فهجم عليه الضحاك العلواني من العماقة باليمن ، فقتله كما في التواريخ .

وأما المهرجان : فأول من اتخذهُ أفريدون لما ظهر على الضحاك العلواني المذكور آنفاً ، فان الضحاك كان أرسله ابتداءً لقتال حمشيد ، وكان الضحاك ساحراً مريداً ، وعفريتاً عنيداً ، فملك ألف سنة على ما زعم علي دده في « أوائله » وكان ظالماً يتغذى بمضرة الناس ، كثير الخيل ، صاحب مكر وخداع ، ولم يسمع بمثله في السحر ، فسمي اليوم الذي ظهر فيه أفريدون وغلب على الضحاك والمهرجان . والمهر : الوفاء ، وجان : السلطان ، معناه : سلطان الوفاء . فأقام أفريدون العدل ، وأظهر الدين الآدمي ، وقيل : بل كان على صلة إبراهيم عليه السلام ، فانه أدرك عهده ، وملك خمسمائة سنة . كما ذكره الغزالي والبيضاوي وغيرهما . وقيل : إن أول من اتخذ النيروز ازدشير ، ويمكن الجمع . والله أعلم (فقال) النبي ﷺ لأهل المدينة : دعوها ، لا تظهروها ، لأنهما من أعياد الكفار (إن الله) عز وجل (قد أبدلكم) معشر المسلمين (بهما) أي اليومين اللذين تلعبون فيهما ، وتظهرون تعظيمهما يومين (خيراً منهما) هما : (يوم الفطر ، ويوم النحر) زاد في رواية : أما يوم الفطر ؛ فصلاة وصدقة ، وأما يوم الأضحى ؛ فصلاة ونسك . يريد عيد الفطر وعيد الأضحى .

والعيد : هو موسم الفرح والسرور ، ويسمى العيد عيداً ؛ لأنه يعود

ويتكرر لأوقاته ، وقيل : لعوده بالفرح على الناس ، وقيل : سمي عيداً تفاؤلاً ليعود ثانية . قال الجوهرى : إنما جمع بالياء ، يعني انه يجمع على أعياد مع أن أصله الواو ؛ للزوم الياء في الواحد ، وقيل : للفرق بينه وبين أعواد الخشب . وأفراح المؤمنين وسرورهم ؛ إنما هو بمولاهم إذا فازوا بكل طاعته ، وحازوا ثواب أعمالهم بوثوقهم بوعده لهم عليها بفضله ومغفرته ، كما قال تعالى : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » (١) قال بعض العارفين : ما فرح أحدٌ بغير الله ؛ إلا بغفلته عن الله ، فالغافل يفرح ببلهوه وهواه ، والعاقل يفرح بسيدته ومولاه ، فأبدل الله تعالى لهذه الأمة بيومي اللعب واللهو ، يومي الذكر والشكر والمغفرة والعفو ، ففي الدنيا للمؤمنين ثلاثة أعياد : منها ؛ عيد يتكرر كل أسبوع ، وعيدان يأتيان كل عام مرة مرة .

فأما العيد الذي يتكرر كل أسبوع ؛ فيوم الجمعة ، فهو عيد الأسبوع ، وهو مترتب على إكمال الصلوات المكتوبات ، فإن الله تعالى فرض على عباده في كل يوم وليلة ؛ خمس صلوات ، وأيام الدنيا تدور على سبعة أيام ، فكلما كمل دور أسبوع من أيام الدنيا ، واستكمل المسلمون صلواتهم فيه ، شرع لهم في يوم استكمالهم . وهو اليوم الذي كمل فيه الخلق ، وفيه خلق آدم ، وأدخل الجنة وأخرج منها ، وفيه ينتهي أمر الدنيا فتزول ، وتقوم الساعة ، وفيه الاجتماع على سماع الذكر والموعظة ، وصلاة الجمعة ، فجعله تعالى لهم عيداً ، ولهذا نهى عن إفراده بالصوم . وفي شهود الجمعة شبه من الحج ، وقد روي أنه حج المساكين .

وأما العيدان اللذان لا يتكرران ، وإنما يأتي كل واحد منهما في العام مرة .

(١) سورة يونس ، الآية : ٥٨

فأحدهما : عيد الفطر من صوم ، وهو مرتب على إكمال صوم رمضان ، وهو ثالث أركان الاسلام ومبانيه ، فإذا استكمل المسلمون صيام شهرهم المفروض عليهم ، استوجبوا من الله العتق والمغفرة ، فإن صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب ، وآخره عتق من النار لمن استحقها بذنوبه : فشرع الله لهم عقب إكمالهم لصيامهم عيداً يجتمعون فيه على شكر الله ، وذكره وتكبيره على ما هدام ، وشرع لهم في ذلك العيد من الصلاة والصدقة ، وهو يوم الجوائز ؛ يستوفي فيه الصائمون أجر صيامهم ، ويرجعون من عيدهم بالمغفرة .

والثاني : عيد النحر ، وهو أكبر العيدين وأفضلهما ، وهو مرتب على إكمال الحج ، وهو رابع أركان الاسلام ومبانيه ، فإذا أكمل المسلمون حجهم غفر لهم ، وإنما يكمل بيوم عرفة ، والوقوف فيه بعرفة ، أعظم أركان الحج ، ولهذا قال ﷺ : الحج عرفة . ويوم عرفة هو يوم العتق من النار ، يعتق الله من النار ؛ من وقف بعرفة ، ومن لم يقف بها من أهل الأمصار من المسلمين ، فلذلك صار العيد اليوم الذي يليه لجميع المسلمين في جميع أمصارهم ، من شهد الموسم منهم ومن لم يشهده ، لا شترأ كههم في العتق والمغفرة يوم عرفة . وشرع سبحانه للجميع التقرب إليه بالنسك ، وهو إراقة دماء القرابين ، فأهل الموسم يرمون الجرة ، ويشرعون في التحليل من إحرامهم بعد نحر نسائهم ، ويقضون نفثهم ، ويوفون نذورهم ، ثم يطوفون بالبيت العتيق . وأهل الأمصار والقرى يجتمعون على ذكر الله تعالى ، وتكبيره ، والصلاة له ، قال عفيف بن مسلم وهو معدود من الصحابة رضي الله عنهم : الخروج يوم الفطر يعدل عمرة ، والخروج يوم الاضحية يعدل حجة . فأعياد المسلمين في الدنيا كلها عند إكمال طاعة مولاهم الملك الوهاب ، وحيازتهم لما وعدهم من الأجر والثواب . وأما أعيادهم في الجنة فهي أيام زيارتهم أربهم عز وجل ، فانهم يزورنه كل جمعة ، ويسمى يوم المزيد ،

وهذا للرجال ، دون النساء ، ويورنه في مثل يوم العيد ، فيشار كهم النساء في ذلك ، فهذا لعموم أهل الجنة ، فأما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون ربهم فيه مرتين بكرة وعشيًا ، وبالله التوفيق .

الحديث التاسع والاربعون

٩٤ — ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس قال :
دخل النبي ﷺ حائطاً من حيطان المدينة لبني النجار ، فسمع صوتاً من قبر ، فسأل عنه ، متى دفن هذا ؟ قالوا : يارسول الله ! دفن هذا في الجاهلية ، فأعجبه ذلك ، وقال : لولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يسمعكم عذاب القبر .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (ابن أبي عدي) ، عن حميد (الطويل)
(عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : دخل النبي ﷺ حائطاً) أي
بستاناً ، وأصل الحائط الجدار ، والجمع حيطان وحياط (من حيطان) كان
القياس أن يقال : حوطان ، لانه واوي ، والجمع يرد الأشياء الى أصولها ، ولكن
لما كانت الياء في مفردة لازمة ، أو نزلت منزلة اللازمة جمع بها دون الواو
(المدينة) أل في المدينة للعهد ، أي مدينة سيدنا ونبينا محمد ﷺ ، إذ صار
هذا عليها علماً بالقبلة (لبني النجار) رهط أنس رضي الله عنه ، والنجار : أحد
جدوده ، واسمه تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، سمي بالنجار ، قيل :
لأنه اختن بقدم ، وقيل : لأنه ضرب رجلاً بقدم . والخزرج هذا هو

الأكبر ، وهو أخو الأوس ، والانصار كلهم من أولاد الأوس والخزرج
 (فسمع) النبي ﷺ (صوتا من قبر) في ذلك الحائط (فسأل عنه) أي عن
 صاحب ذلك القبر (متى دفن هذا) الميت في هذا القبر؟ (قالوا : يا رسول الله !
 دفن هذا) الميت في هذا القبر (في) زمن (الجاهلية) وهي ما قبل الاسلام
 (فأعجبه ذلك) أي سرّ بكون صاحب القبر من أهل الجاهلية ، وليس هو من
 المسلمين ، لما كشف له عمّا هو فيه من العذاب والتنكال (وقال) ﷺ لأصحابه
 الكرام: (لولا) اعلم أن لو إذا دخلت على ثبوتين نفثها ، أو نفيتين أثبتتها ، أو نفي
 وثبوت أثبتت المنفي ونفت المثبت ، وذلك لأنها تدل على امتناع الشيء لا امتناع
 غيره ، وإذا امتنع النفي صار إثباتاً (أن لا تدافنوا) بحذف إحدى التاءين
 تخفيفاً ، أي أن لا تدافنوا ، أي لا يدفن بعضكم بعضاً (لدعوت الله) سبحانه
 تعالى (أن يسمعكم عذاب القبر) فامتناعي من الدعاء باسمكم لذلك ، وجود عدم
 الدفن ، لكن التدافن لا بد منه ، فامتنعت من الدعاء أن يسمعكم الله ذلك . وهذا
 الحديث رواه مسلم ، والنسائي من حديث أنس .

وأخرج مسلم ، وابن أبي شيبة ، من حديث زيد بن ثابت نحوه ، ولفظه :
 قال زيد بن ثابت رضي الله عنه : بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له
 ونحن معه ، إذ حادت به فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة ، فقال:
 من يعرف أصحاب هذه الاقبر ؟ فقال رجل : أنا ، فقال : متى مات هؤلاء ؟
 قال : ماتوا في الاشرار ، فقال : إن هذه الأمة تبثلي في قبورها ، فلولا أن لا
 تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع .

وأخرج الامام أحمد ، والبخاري ، عن جابر رضي الله عنه ، قال : دخل
 رسول الله ﷺ نجلاً لبني النجار ، فسمع أصوات رجال من بني النجار ماتوا

في الجاهلية ، يعذبون في قبورهم ، فخرج فرعاً ، فأمر أصحابه أن يتعبدوا
من عذاب القبر .

وأخرج الامام أحمد أيضاً ، من حديث أنس رضي الله عنه ، قال : بينما
رسول الله ﷺ في نخل لأبي طلحة ، وبلال عشي وراءه ، فمر بقبر ، فقال :
يا بلال ! هل تسمع ما أسمع ؟ صاحب هذا القبر يعذب ؛ فسئل عنه فوجد يهودياً .
قال النووي في قوله ﷺ : لولا أن لا تدافنوا الخ : اعلم أن مذهب أهل
السنة إثبات عذاب القبر ، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة ، قال الله
تعالى : « النار يعرضون عليها غدواً وعشيا » (١) الآية . وتظاهرت به الأحاديث
الصحيحة من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة ، ولا يمتنع في العقل
أن يعيد الله تعالى جزءاً من الجسم ويعذبه ، وإذا لم يمنعه العقل وورد الشرع به
وجب قبوله واعتقاده . والمقصود أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر
كما ذكرنا ، خلافاً للخوارج ، ومعظم المعتزلة ، وبعض المرجئة ، فانهم
نفى ذلك .

وقال الامام ابن القيم في كتابه « الروح الكبرى » : مذهب سلف الأمة
وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ،
وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحياناً
يحصل له معها النعيم والعذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الارواح
الى الأجساد ، وقاموا من قبورهم لرب العباد . ومعاد الأبدان متفق عليه بين
المسلمين واليهود والنصارى . انتهى .

قال أهل السنة من علمائنا وغيرهم : إن المعذب الجسد بعينه ، أو بعضه بعد
إعادة الروح إليه أو إلى جزء منه ، وخالف فيه محمد بن جرير ، وابن كرام ، وطائفة ،

(١) سورة غافر ، الآية : ٦٠

فقالوا : لا يشترط إعادة الروح ، والمعظم بل كل أهل السنة أفسدوا هذا القول ، لأن الآلم والاحساس إنما يكون في الحي ، وقد سئل شيخ الاسلام بن تيمية قدس الله روحه عن عذاب القبر ، هل هو على النفس والبدن أم لا ؟ فقال : بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن ، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها ، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين . قال شيخ الاسلام : وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح ؟ هذا فيسه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل الكلام ، ثم قال : وقال جماعة : عذاب القبر يجري على المؤمن من غير رد الروح الى الجسد ، قالوا : والميت يجوز أن يألم ويحس ويعلم بلا روح ، قال : وهذا قول جماعة من الكرامية ، وقال بعض المعتزلة : إن الله سبحانه يعذب الموتى في قبورهم ويحدث فيهم من الآلام وهم لا يشعرون ، فاذا حشروا وجدوا تلك الآلام وأحسوا بها ، قال : وسبيل المعذبين من الموتى سبيل السكران والمغمى عليه ؛ لو ضربوا (١) لم يجدوا الآلام ، فاذا عاد إليهم العقل أحسوا بألم الضرب ، قال : وأنكر جماعة منهم عذاب القبر رأساً ، مثل ضرار بن عمر ، ويحيى بن كامل ، وهو قول بشر المريسي . قال شيخ الاسلام : فهذه أقوال أهل الخيرة والضلال . قال ابن القيم في « الروح » : وهذا ، أي القول بثبوت عذاب القبر ، كما أنه مقتضى السنة الصحيحة فهو المتفق عليه بين أهل السنة . قال المروذي : قال أبو عبد الله -- يعني الامام أحمد رضي الله عنه -- : عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل ، وقال حنبل : قلت لأبي عبد الله في عذاب القبر فقال : هذه أحاديث صحاح تؤمن بها وتقر بها ، كل ما جاء عن النبي ﷺ باسناد جيد أقررنا به ، إذا لم نقر بما جاء به الرسول ، ودفعناه ورددناه رددنا على الله أمره ، قال تعالى : « ما أنا كم الرسول فخذوه » (٢)

(١) في الاصل : ضربه . (٢) سورة الحشر ، الآية : ٧

قلت له : وعذاب القبر حق ؟ قال : حق يعذبون في القبور . قال حنبل : وسمعت
أبا عبد الله يقول : نؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير وما يروى في عذاب القبر ،
قلت : يقولون : ليس في الحديث منكر ونكير ، قال : هو هكذا - يعني أنها
منكر ونكير - ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم : قال كثير من
المفتلة : لا يجوز تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير ، وإنما المنكر ما يبدو من تلجلج
المسؤول إذا سئل ، والنكير تقرير الملكين له ، وقال شيخ الاسلام وابن القيم :
وعما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق
للعذاب نال نصيبه منه قبر أو لم يقبر ، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار
رماداً ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر ، وصل إلى روحه وبدنه من
العذاب ما يصل إلى المقبور ، فإن قيل : نحن نشاهد الميت على حاله في قبره ، فكيف
يسأل ويقعد ويضرب بمطارق من حديد ولا يظهر لذلك أثر ؟ فالجواب أن ذلك
غير ممتنع ، بل له نظير في العادة ، فالتائم يجد لذة وآلاماً ، ولا نحس نحن شيئاً
منها ، وقد أطنب ابن القيم في الجواب عن ذلك وأجلب ، ومن جملة ما أجاب به
أن الله سبحانه جعل الدور ثلاثة : دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار ،
وجعل سبحانه لكل دار أحكاماً تختص بها ، وركب هذا الانسان من بدن
ونفس ، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها ، ولهذا جعل
أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح ، وإن أضمرت
النفوس خلافه ، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً ، فكما تبعت
الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا ، فتألمت بألمها والتذت براحتها ، وكانت هي التي
باشرت أسباب النعيم والعذاب ، تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها ،
والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم ، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح
خفية ، والأبدان كالقبور لها ، والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها ،

يجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسري إلى أبدانها نعيماً أو عذاباً ، قال :
فأخط هذا الموضع علماً ، واعرفه كما ينبغي نزول عنك كل إشكال يرد من
داخل أو خارج ، وقد أرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك النموذجاً
في الدنيا من حال النائم ، فإن ما ينعم به أو يمدب به في نومه يجري على روجه
أصلاً والبدن تبع له ، وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهداً ، فيرى النائم
في نومه أنه ضرب ، فيصبح وأثر الضرب في جسمه ، ويرى أنه قد أكل أو شرب ،
فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه ، ويذهب عنه الجوع والظمأ ،
وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه
يقظان وهو نائم لاشعور له بشيء من ذلك ، وذلك أن الحكم لا جرى على الروح
استعانت بالبدن من خارجه ، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس ، فإذا كانت الروح
تألم وتنعم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستتباع ، فهكذا في البرزخ بل أعظم ،
فإن تجرد الروح هناك أكمل وأقوى ، وهنا متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع ،
فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم ، صار الحكم والنعيم
والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً بادياً أصلاً ، فمتى أعطيت هذا الموضوع
حقه تبين لك أن كل ما أخبر به الرسول من عذاب القبر ونيمة وضيقه وسعته
وضمه ، وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة مطابق للعقل ، وأنه
حق لا مرية فيه ، وأن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه آتي ،
كما قيل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
قال : وأعجب من ذلك أنك تجد النائم في فراش واحد ، وهذا روجه
في النعيم فيستيقظ وأثر النعيم على بدنه ، وهذا روجه في العذاب ويستيقظ وأثر
العذاب على بدنه ، وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخر ؛ فأمر البرزخ أعجب
من ذلك ، وأطال في رد شبه أهل الضلال المقال ، والله ولي الفضل .

تنبهاك

الأول : ظاهر قوله عليه السلام : «لولا أن لا تدافنوا الخ...» مشكل ، لأن الصحابة رضي عنهم مؤمنون بعذاب القبر ونعيمه ، ومصدقون بأن كل ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وآله أنه حق ثابت لا مرية فيه ، فكيف مع هذا يستقيم لهذا الكلام معنى ؟ والجواب عن هذا من وجوه : الأول أن المراد : لولا أن تموتوا من سماعه ، أشدة فظاعته وعظيم بشاعته ، فتصدقون لوقتكم . الثاني : أن معناه لأنكم إذا سمعتم ذلك تركتم دفن الموتي استهانة بهم ، لكون ما لهم إلى ما سمعوا من العذاب والشكال . الثالث : أن ذلك لم يجز الأحياء عن دفن الموتي ودهشتهم بما سمعوا ، أو لخيرتهم وفزعهم وعدم قدرتهم على الدفن ، أو لئلا يحكموا على كل من اطلعوا على تعذيبه في قبره ، أنه من أهل النار ، فيتركون الترحم عليه ، وترجي العفو عنه ، أو نحو ذلك ، والله أعلم .

الثاني : أشعر الحديث بأن أهل الجاهلية يمدبون في قبورهم ، وأنهم ليسوا بناجين ، وفي ذلك خلاف مشهور .

الثالث : أشعر الحديث أيضاً بأن عذاب القبر ، ليس مختصاً بهذه الأمة وهو كذلك ، وكذلك سؤال الملكين الميت ليس مختصاً بهذه الأمة على الصحيح المعتمد ، بل يسأل عن كل نبي ، فكل نبي مع أمته كنبينا صلى الله عليه وآله مع أمته ، وهذا اختيار الامام ابن القيم في «الروح» ، والأشيبلي في «العاقبة» ، والقرطبي في «التذكرة» . وقال الحكيم الترمذي : السؤال مختص بهذه الأمة ، وقيل بالوقف ، وعليه ابن عبد البر ، والله تعالى أعلم .

الحديث المحسوس

٩٥ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دخلت الجنة ، فإذا أنا بنهر
حافتيه خيام اللؤلؤ ، فضربت يدي إلى ما يجري فيه الماء ، فإذا
مسك أذفر . قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي
أعطاك الله تعالى .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل ،
(عن أنس) رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : دخلت الجنة) إما
يقظة وإما مناماً (فإذا أنا بنهر) فيها (حافتيه) أي جانبيه ، كذا روينا بالياء ،
وقرأناه على عدة مشايخ ، وفي أكثر الأصول حافتاه - بالرفع على الابتداء -
والاول إما تبعاً لنهر ، أو منصوباً بنزع الخافض ، أي على حافتيه (خيام اللؤلؤ)
أي خيام من اللؤلؤ ، وهو الدر ، واحده بهاء (فضربت يدي إلى ما يجري فيه
الماء) الذي في النهر (فإذا) هو (مسك) - بكسر الميم وسكون السين المهملة -
قال في « المطلع » : المسك فارسي معرب ، وكانت العرب تسميه المشموم ، وهو
مذكر ، وقد جاء تأنيثه في الشعر ، وتأولوه على إرادة الرائحة ، قال في
« القاموس » : المسك - بالكسر - معروف ، والقطعة منه مسكة ، والجمع
كعنب مقول للقلب ، نافع للخفقان والرياح الغليظة في الأمعاء والسموم والسدد
(أذفر) الذفر - محرّكة - شدة ذكاء الريح كالذفرة ، يقال : ذفر وأذفر ،

ومسك أذفر ، وذفر جيد إلى الغاية (قلت : ما هذا يا جبريل ؟) وهذا يدل أنه كان أيلة الأسراء (قال : هذا الكوثر الذي أعطاك الله تعالى) في قوله : (إنا أعطيناك الكوثر)^(١) وفي « الترمذي » من حديث ابن عمر رفعه : « الكوثر نهر في الجنة ، حافته من ذهب ومجراه على الدر والياقوت ... الحديث » ، وفي « البخاري » من حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « بينا أنا أسير في الجنة ، إذا أنا بنهر حافته قباب الدر الجوف ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فإذا طيبه وطينه مسك أذفر » ، وفي الحديث : « فأهوى الملك يده فاستخرج من طينه مسكاً أذفر » ، وتقدم في الحديث الثالث والاربعين والرابع والاربعين ما أغنى عن الاعداد .

الحديث الواحد والخمسون

٩٦ - ثنا ابن أبي عدي ، ثنا حميد ، عن أنس ، قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك ، فدنا من المدينة . قال : إن بالمدينة قوماً ، ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً ، إلا كانوا معكم . قالوا : يا رسول الله ! وهم بالمدينة ؟ قال : وهم بالمدينة ، حبسهم العذر .

قال رضي الله عنه : (ثنا ابن أبي عدي) قال : (ثنا حميد ، عن أنس) رضي الله عنه (قال : لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك) - بفتح الفوقية وضم الموحدة - وهي اسم للمكان المعروف في طرف الشام من جهة القبلة ، وبينها وبين المدينة اثنتا عشرة مرحلة ، وبينها وبين دمشق كذلك ، قال

(٢) سورة الكوثر ، الآية : ١

في «الروض» تبعاً لابن قتيبة : سميت الغزوة بعين تبوك ، وكانت غزوة تبوك في رجب سنة تسع قبل حجة الوداع (فدنا) أي قرب (من المدينة) النبوية - على ساكنها الصلاة والسلام - (قال) عليه الصلاة والسلام : (إن بالمدينة المنورة) (قوماً) من أصحابي من المسلمين (ما سرتهم) معشر أصحابي الذين معي (مسيراً) من ليل ولا نهار (ولا قطعتم وادياً) ولا سلكتم شعباً (إلا كانوا معكم) . وفي لفظ من «صحيح البخاري» من حديث أنس أيضاً ، أنه ﷺ قال : «إن أقواماً بالمدينة خلفنا ، ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه» ، أي في ثوابه ، يعني أنهم شركاء في الثواب ، وفي لفظ : «إلا وهم معكم فيه» بالنية ، وفي رواية ابن حبان وأبي عوانة ، من حديث جابر رضي الله عنه : «إلا شركوكم في الأجر» بدل قوله : «إلا كانوا معكم» . (قالوا : يا رسول الله ! وهم بالمدينة ؟) استبعاداً واستعظاماً لما ذكر أنهم مع كونهم في وطنهم على فرشهم مع أهلهم ، لم يكابدوا مشقة السفر ، ومفارقة الوطن والسكن وابن العيش ، ويحصل لهم من الأجر والثواب مثل ما لنا ، وقد قطعنا الأودية ، وسلكنا الشعاب ، وتجشمتا المفاز ، واقتحمتا العقاب ، (قال) ﷺ : نعم يحصل لهم مثلكم من الأجر ، ويشركونكم في أصل الثواب (وهم بالمدينة) في وطنهم وعظمتهم ، ثم بين لهم صلى الله عليه وسلم وجه ما أشكل عليهم فقال : (حبسهم) عن المسير معكم (العذر) من المرض وعدم القدرة على السفر . وفي «مسلم» من حديث جابر : «حبسهم المرض» فدل الحديث أن من حبسه العذر عن أعمال البر مع نيته فيها أنه يكتب له أجر العامل بها ، كما قال ﷺ فيمن غلبه النوم عن صلاة الليل : «إنه يكتب له أجر صلاته» ، وكان نومه صدقة عليه . وفي «سنن أبي داود» أن النبي ﷺ قال : «لقد تركتم بالمدينة أقواماً ، ما سرتهم مسيراً ، ولا أنفقتم من نفقة» ، ولا قطعتم من وادٍ ، إلا وهم معكم ، قالوا :

يا رسول الله ! وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال : حبسهم المرض » وأنشد
في « اللطائف » وغيره :

ياسائرين الى البيت العتيق لقد سرتم جسوماً وسرنا نحن ارواحا
إنا أقننا على عذر ومن عدم ومن أقام على عذر كمن راحا
فالتخلف لمذر شريك للسائر في الأجر ، وربما سبق من سار بقلبه
وهمته وعزمه بعض السائرين بيدهم ، كما رأى بعض الصالحين في منامه عشيّة
عرفة قائلاً يقول له : ألا ترى هذا الزحام بالموقف ! ما الشأن فيمن سار بيده ،
إنما الشأن فيمن قعد بيده وسار بقلبه ، حتى سبق الركب . وفي « صحيح
البخاري » و « سنن أبي داود » من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه
قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان
يعمل مقيماً صحيحاً » .

وأخرج الامام أحمد واللفظ له ، والحاكم وقال : صحيح على شرطها ، من
حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من أحد
من الناس يصاب ببلاء في جسده إلا أمر الله عز وجل الملائكة الذين يحفظونه ؛
قال : اكتبوا لعبد في كل يوم وليلة ما كان يعمل من خير ؛ ما كان في وثاق »
وفي رواية للامام أحمد قال ﷺ : « إن العبد المسلم إذا كان على طريقة حسنة
من العبادة ثم مرض ، قيل للعالم الموكل فيه : اكتب له مثل عمله إذ كان طليقاً
حتى أطلقه أو أكفته إلي » ، وإسناد هذه الرواية حسن . قوله : أكفته إلي
- بكاف ثم فاء ثم بقاء مثناة فوق - معناه : أضمه إلي وأقبضه .

وروى الامام أحمد بسند رواه ثقات ، من حديث أنس رضي الله عنه
قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ابتلى الله عز وجل العبد المسلم ببلاء في

جسده قال الله عز وجل للملك : اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل ، وإن شفاه غسله وطهره ، وإن قبضه غفر له ورحمه .

وروى ابو يعلى وابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : ما من عبد يمرض مرضاً ؛ إلا أمر الله حافظه أن ما عمل من سيئة فلا يكتبها ، وما عمل من حسنة أن يكتبها عشر حسنات ، وأن يكتب له من العمل الصالح كما كان يعمل وهو صحيح ، وإن لم يعمل .

وروى ابن أبي الدنيا والطبراني في « الأوسط » والبخاري باختصار ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « عجب للمؤمن وجزءه من السقم ، ولو كان يعلم ما له من السقم أحب أن يكون سقياً الدهر ، ثم إن رسول الله ﷺ رفع رأسه الى السماء فضحك ، فقبل : يا رسول الله ! مم رفعت الى السماء فضحك ، فقال : عجبت من ملكين ، كانا يلتزمان عبداً في مصلى كان يصلي فيه فلم يجدها ، فرجعا فقالا : ياربنا ! عبدك فلان كنا نكتب له في يومه وليلته عمله الذي كان يعمل ، فوجدناه حبسته في جبالك ، قال الله تبارك وتعالى : اكتبوا لعبدي الذي كان يعمل في يومه وليلته ولا تنقصوا منه شيئاً ، وعلي أجره ما حبسته ، وله أجر ما كان يعمل . »

وروى الامام أحمد والطبراني في « الكبير » و « الأوسط » من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يقول : إذا ابتليت عبداً من عبادي مؤمناً فحمدني على ما ابتليته ؛ فاجروا له كما كنتم تجرون له ، وهو صحيح . وفي المعنى أحاديث كثيرة ، وفيها ذكرنا كفاية والله الموفق . »

الحديث الثاني والخمسون

٩٧ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :
كانت ناقة رسول الله ﷺ تسمى العضباء ، وكانت لا تسبق ،
فجاء أعرابي على قعود فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين ، فلما
رأى ما في وجوههم ، قالوا : سُبقت العضباء . فقال : إن
حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً في الدنيا إلا وضعه .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل ،
(عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : كانت ناقة رسول الله ﷺ)
الناقة : الأنثى من الإبل ، قال الجوهري : الناقة تقديرها فعلة - بالتحريك -
لأنها جمعت على نوق ، مثل بدنة وبدن ، وخشبة وخشب ، وفعلة - بالتسكين -
لا تجمع على ذلك ، وقد جمعت أيضاً على أنوق ، ثم استنقلوا الضمة على الواو
فقدموها فقالوا : أنوق ، حكاه يعقوب عن بعض الطائيين ، ثم عوضوا من الواو
ياء فقالوا : أينق ، جمعوها على أيانق ، وقد تجمع الناقة على نياق ، مثل ثمرة وثمار ،
إلا أن الواو صارت ياء لكسر ما قبلها . وأنشد أبو زيد :

أبعدكن الله من نياق إن لم تنجيين من الوثاق

ويقال : بعير منوق ، أي مذلل مروض ، وناقة منوقة (تسمى العضباء)
هو علم لها منقول من قولهم : ناقة عضباء ، أي مشقوقة الأذن ، ولم تكن ناقة النبي
ﷺ مشقوقة الأذن ، وقال بعضهم : إنها كانت مشقوقة الأذن ، والأول أكثر ،

وقال الرمحشري: هو منقول من قولهم: ناقة عضباء، وهي القصيرة اليد، ويقال لها: القصواء أيضاً. قال ابن التين: ضبطت القصوى - بضم القاف والقصر - وهي عند أهل اللغة بالفتح والمد. وفي «المطالع»: القصواء: هي المقطوعة ربع الأذن، وهي التي هاجر النبي ﷺ عليها، ابتاعها من الصديق الأعظم رضي الله عنه من نعم بني الحريش، وكانت شهباء. قال ابن فارس: العضباء لقب لها، وقال الكرماني في «شرح البخاري»: وأما ناقة النبي ﷺ التي كانت تسمى العضباء إنما كان ذلك لقباً لها، ولم تكن أذنهما مشقوقة (وكانت لا تسبق) - بضم الفوقية، وسكون المبهلة، وفتح الموحدة - مبنياً للمفعول، أي لا يسبقها بغير ولا ناقة، وفي لفظ: قال حميد: أو لا تكاد تسبق (فجاء أعرابي) لم أقف على من سمّاه، ويؤنس له ابن البلقيني في «الافهام لما في البخاري من الابهام» ولم يسمه (على قعود) - بفتح القاف - هو ما استحق الركوب من الابل ويقال: القعود من الابل ما يعبده الانسان للركوب والحمل، وقال الأزهري عن الليث: القعود والقعود من الابل خاصة؛ قال الأزهري: ولم أسمع قعودة بالهاء لغير الليث، ولا يكون إلا الذكر، فلا يقال للأنثى: قعودة، وفي «شرح البخاري» للبدر العيني: أخبر المنذري أنه قرأ بخط أبي الهيثم: ذكر الكسائي أنه سمع من يقول: قعودة للقلوص، وللذكر قعود، وفي «حياة الحيوان» للدميري: القعود من الابل ما اتخذ الراعي للركوب وحمل الزاد، والجمع أقعدة وأقعد وقعدان وقعائد^(١) وقيل: القعود: القلوص، وقيل: البكر قبل أن يثني، ثم هو حمل، والقلوص من النوق: الشابة، وهي بمنزلة الجارية من النساء، وجمعها: قلص وقلائص، مثل قدوم وقدام، والبكر: الفق من الابل، والأنثى بكرة، والجمع بكار

(١) قال في «القاموس»: والجمع: أقعدة، وقعد، وقعدان، وقعائد. ولم

يذكر: أقعد.

مثل فرخ وفراخ ، وقد يجمع في القلة على أبكر . قال أبو عبيدة : البكر من
 الابل . بمنزلة الفتى من الناس ، والبكرة بمنزلة الفتاة ، والبعر بمنزلة الانسان ،
 والجل بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة . قال الجوهرى في القعود والبكر :
 أقل ذلك أن يكون ابن سنتين إلى أن تدخل السادسة ؛ فيسمى جملاً (فسبقها)
 أي فسبق (ذلك) القعود المصنوء (فشق) أي صعب (ذلك) أي سبق قعود
 الاعرابي المصنوء (على المسلمين) زاد في البخاري من حديث زهير ، عن حميد ،
 عن أنس « حتى عرفه » أي حتى عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي
 كونه شق عليهم ، ويقال : حتى عرف أثر المشقة (فلما رأى) النبي صلى
 الله عليه وسلم (ما في وجوههم) من أثر المشقة و (قالوا : سبقت) - بالبناء -
 للمفعول - (المصنوء) - بالرفع - نائب الفاعل ، أي استعظم المسلمون ذلك وهاهم ،
 فقال (ﷺ) مسلماً لهم ومهيناً عليهم ما استعظموه : (إن حقاً على الله) عز وجل
 (أن لا يرفع شيئاً في) هذه (الدنيا) ولفظ البخاري : « أن لا يرفع شيء من
 الدنيا » وعند النسائي : « أن لا يرفع شيء نفسه في الدنيا » (إلا وضعه) وإذا
 كان الارتفاع في هذه الدنيا يعقبه الضعة ، والعز يخلقه الذل ؛ فخرى أن يزهد
 فيها وفي ارتفاعها ، إذ لا يرفع فيها شيء إلا ويضع . قال ابن القيم في كتابه
 « الفروسية الحمديّة » : تأمل قوله ﷺ في لفظ « أن لا يرفع شيء » ، وأن
 لا يرفع شيء من الدنيا إلا وضعه ، فحمل الوضع لما رفيع أو ارتفع ، لا لما رفعه
 سبحانه ، فانه إذا رفع عبده بطاعته وأعزه بها ، لا يضعه أبداً . انتهى . وهذا
 على هاتين الروايتين ، وأما على رواية « إن حقاً على الله تعالى أن لا يرفع شيئاً من
 أمر الدنيا إلا وضعه » رواه الامام أحمد والبخاري وأبو داود والنسائي من
 حديث أنس رضي الله عنه ، بنصب شيئاً على أنه مفعول يرفع ، والفاعل ضمير
 يعود على الله ، فلا يتأني قوله إلا بضرب من التكلف ؛ بأن يقال : قوله : من أمر

الدنيا يشعر بذلك أيضاً ، بخلاف المرتفع من أمر الدين والديانة والتقوى والأمانة ،
فهذا لا يضعه الله أبداً .

وفي الحديث دليل على المسابقة بالابل واعلم أن المسابقة بلا عوض ؛ تجوز
على الأقدام ، وبين سائر الحيوانات ، من ابل و خيل و بغال و حمير و فيلة و طيور حتى
سحّام ، وبين سفن و مزاريق ^(١) و نحوها ، و مجانيق ^(٢) و رمي أحجار بيد و مقاليع ،
و أما بعوض فلا تجوز إلا في الخيل و الابل و السهام ، وهذا يعني جواز الرهان على
هذه الأشياء الثلاثة متفق عليه في الجملة . واختلف أهل العلم في مسائل : منها
المسابقة على البغال و الحمير بعوض ؛ فقال الثلاثة : لا يجوز ذلك ، وقال أبو حنيفة :
يجوز ، وهو قول للشافعي . ومنها المسابقة على الحمام و الفيل و السفن بعوض ،
فمنعه الإمام أحمد و مالك و أكثر الشافعية ، وأجازة أصحاب أبي حنيفة ، و بعض
الشافعية ، و بعض أصحاب أحمد في الفيل و الحمام الناقلة للاخبار . ومنها المسابقة
على الأقدام بعوض ، فمنعه الثلاثة ، وأجازة الحنفية و بعض الشافعية ، وهو مخالف
لنص الإمام الشافعي . ومنها المسابقة بالسباحة ، منعه الا كثرون ، وجوزّه
بعض الحنفية و الشافعية . ومنها الصراع ، منعه — أي بعوض — الثلاثة ، وجوزّه
بعض الشافعية و الحنفية . ومنها المشابكة بالأيدي ؛ لا تجوز بعوض عند الجمهور ،
وفيها وجه للشافعية بالجواز ، و مقتضى مذهب أصحاب أبي حنيفة جوازه ، فانهم
جوزّوه في الصراع و المسابقة بالأقدام ، و المغالبة في مسائل العلم . ومنها المسابقة
بالسيف و الرمح و العمود ، منعها بعوض الامامان : مالك و أحمد ، وجوزّها أصحاب
أبي حنيفة ، و للشافعية فيها وجهان ، ومنها المسابقة بالمقاليع على عوض ، منعها

(١) قال في «القاموس» المزارق : رمح قصير ، و زرقة به : رماه .

(٢) في الاصل : مناجيق ، وهو خطأ . قال في «القاموس» : المنجنيق : جمعه منجنقات ،

و مجانيق ، و مجانيق .

الجمهور ، وللشافعية فيها وجه ، ومقتضى مذهب الحنفية الجواز . ومنها المغالبة بشيل الأتقال كاللحجار ؛ فالجمهور لا يجوزون العوض فيها ، وكذا المثاقفة (١) ؛ لا تجوز بموض عند الجمهور ، وأباحها بموض بعض الشافعية ، وهو مقتضى مذهب الحنفية . ومنها المسابقة على حفظ القرآن والحديث والفقہ ، ونحو ذلك من العلوم النافعة ، والاصابة في المسائل ، منعه بموض الثلاثة ، وجوزّه أصحاب أبي حنيفة وشيخ الاسلام ابن تيمية من أئمة علمائنا ، وحكاه ابن عبد البر عن الشافعي ، وهو أولى من الشباك والصراع والسباحة ، كما في « الفروسية المحمدية » وقد علمت أن معتمد مذهب الامام أحمد ومن وافقه من العلماء ؛ اختصاص العوض بالمسابقة على الخيل والابل والسهام ، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر » رواه الامام أحمد وأصحاب « السنن الأربعة » ولم يذكر فيه ابن ماجه : أو نصل .

ويشترط لصحة أخذ العوض والرهان خمسة شروط :

أحدها : تعيين المركوبين بالرؤية وتساويهما في ابتداء المتدو وانتهائه ، وتعيين الرماة ؛ سواء كانا اثنين أو جماعتين ، ولا يشترط تعيين الراكبين ولا القوسين ولا السهام ، ولو عينها لم تتعين .

الثاني : أن يكون المركوبان أو القوسان من نوع واحد ، فلا يصح بين عربي وهجين ، ولا بين قوس عربية وفارسية .

الثالث : تحديد المسافة والغاية ومدى الرمي بما جرت به العادة ، ويعرف ذلك بالمشاهدة أو بالذراع نحو مائة ذراع ، أو مائتي ذراع ، وما لم تجر به عادة ، وهو ما زاد في الرمي على ثلثمائة ذراع فلا يصح ، ولا يصح تناضلها على أن سبق لأبدهما رمياً على معتمد مذهب الامام أحمد والامام مالك ومن وافقهما .

(١) يقال ثاقفه : لآعبه بالسلاح ، غالبه في الخندق .

الرابع : كون العوض معلوماً بالمشاهدة ، أو بالقدر ، أو بالصفة .

الخامس : الخروج عن شبه القمار ؛ بأن لا يخرج جميعهم ، فإن كان الجمل من الامام من ماله ، أو من بيت المال ، أو من أحدهما ، أو من غيرها ؛ على أن من سبق أخذه ؛ جاز ، فإن جاء مماً فلا شيء لهما ، وتفصيل ذلك المذكور في كتب الفقه . وإن أخرج المتسابقان مماً ؛ لم يحز ، وكان قماراً ، لأن كل واحد منهما لا يخلو : إما أن يفهم أو يفهم إلا بمحلل ، وهذا مذهب أحمد والشافعي ، وعند مالك لا يكون المخرج إلا ثالث ؛ ليس أحد المتسابقين ، فإن جرى المخرج معهما فسبق ؛ فالسابق طعم لمن حضر ، وإن كانت خيل الحلبة (١) كثيرة ، وقد سبق مخرج أعطي سبقه لمن يليه ، وهو المصلح (٢) ، وعند ابن تيمية : لا يعتبر المحلل ، والله أعلم .

نكتة : ذكر الدميري في حياة الحيوان ، أن هارون الرشيد كان يحب الحمام واللهو به ، فأهدي له حمام ، وعنده أبو البخترى وهب بن وهب بن وهب القاضي ، فروى له بسنده الى أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أن النبي ﷺ قال : لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح ، فزاد : أو جناح ، وهي أفضلة وضعها الرشيد ، فأعطاه جائزة سنوية ، فلما خرج قال الرشيد : والله لقد علمت أنه كذب ، ثم إنه أمر بالحمام أن تذبح فذبحت ، فقتل له : وما ذنب الحمام ؛ قال : من أجله كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فترك العلماء حديث أبي البخترى لذلك وغيره من موضوعاته . قال ابن قتيبة : هو وهب بن وهب بن وهب ، ثلاثة أسماء على نسق ، ومثله في ملوك الفرس بهرام بن بهرام بن بهرام ، وفي العلويين : الحسن بن حسن بن حسن ، وفي غسان الحارث الأصغر ابن

(١) الحلبة : خيل تجمع للسباق من كل أوب ، أي من كل ناحية .

(٢) المصلح : تالي السابق .

الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر . وكان أبو البختري المذكور قاضي مدينة النبي ﷺ بعد بكار بن عبد الله الزبيري ، ثم ولي قضاء بغداد بعد أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ، وتوفي أبو البختري المذكور سنة مائتين في خلافة المأمون .

وقال ابن أبي خيثمة والشيخ تقي الدين القشيري في « الاقتراح » : واضع حديث الحمام غياث بن إبراهيم ، وضعه للمهدي لا للرشيد . قلت : وهذا جزم الحافظ العراقي في « شرح ألفيته » فقال : غياث بن إبراهيم وضع للمهدي في حديث : « لاسبق إلا في نصل أو خف أو حافر ، فزاد فيه : أو جناح ، وكان المهدي إذ ذاك يلعب بالحمام فتركها بعد ذلك ، وأمر بذبحها ، وقال : أنا حملته على ذلك . انتهى . وفي « تاريخ ابن خلكان » : قال الخطيب في « تاريخه » : قال إبراهيم الحربي : قيل للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : تعلم أحداً روى : لاسبق إلا في خف أو حافر أو جناح ؟ فقال : ماروى هذا إلا ذاك الكذاب ، أبو البختري . قال ابن خلكان : وأبو البختري - بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وفتح التاء المثناة الفوقية وبعدها راء - مأخوذ من البخترة التي هي من الخيلاء . وروى الخطيب أيضاً في « تاريخه » : أن هارون الرشيد لما قدم المدينة أعظم أن يرقى منبر النبي ﷺ بقاء ومنطقة ، فقال أبو البختري : حدثني جعفر بن محمد - يعني جعفر الصادق - عن أبيه قال : نزل جبريل على النبي ﷺ وعليه قباء ومنطقة مخنجر أ مخنجر . قوله : مخنجر مخنجر ، قال في « المطالع » : الخنجر - بفتح الخاء المعجمة والجيم ، وضبطه بعضهم بكسر الخاء وفتح الجيم - وهو نوع من السكاكين الكبيرة . انتهى . فقال المعافى التميمي في ذلك :

ويل وعول لأبي البختري	إذا أتوا للناس في المحشر
من قوله الزور وإعلانه	بالكذب في الناس على جعفر

والله ما جالسه ساعة للفقاه في بدو ولا مخضر
ولا رآه الناس في دهره يمر بين القبر والمنبر
يا قاتل الله ابن وهب لقد أعلن بالزور وبالمنكر
يزعم أن المصطفى أحمداً أنه جبريل التقي البري
عليه خف وقباء أسود مخجراً في الخف بالخنجر

وحكى جعفر الطيالسي أن الامام يحيى بن معين وقف على حلقة وهو يحدث بهذا الحديث عن جعفر الصادق ، فقال له : كذبت يا عدو الله على رسول الله ﷺ ، قال : فأخذني الشرط ، قال : فقلت لهم : هذا يزعم أن رسول رب العالمين نزل على النبي ﷺ وعليه قباء ، قال : فقالوا لي : هذا والله قاض كذاب ، وأفرجوا عني . وأخبار أبي البخري كثيرة ، وهو مطلي ، وكان جعفر الصادق تزوج بأمه ، واسمها عبدة بنت علي بن زيد بن ركانة بن عبد يزيد ، وأمها بنت عقيل بن أبي طالب ، والله أعلم .

الحديث الثالث والخمسون

٩٨ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :
أقيمت الصلاة ، فقام النبي ﷺ فأقبل علينا بوجهه ، فقال :
أقيموا صفوفكم وتراصوا ، فاني أراكم من وراء ظهري .

قال رضي الله عنه : (ثنا) أبو عمرو محمد (بن أبي عدي) البصري (عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : أقيمت) بضم الهمزة وكسر القاف مبنياً للمفعول (الصلاة) بالرفع نائب الفاعل (فقام النبي ﷺ)

في القبلة للصلاة (فأقبل علينا) معشر الصحابة المؤمنين به وقتئذ (بوجهه) الشريف (فقال : أقيموا) أي عدلوا ، يقال : أقام العود ، إذ عدله وسواه (صفوفكم) معشر المصلين (وراعوا) بتشديد الصاد المهملة ، أي تلاصقوا بغير خلل ، ويحتمل أن يكون تأكيداً لقوله : أقيموا ، والمراد بأقيموا : سوا كما وقع في رواية عن حميد ، عند الاسماعيلي ، بدل أقيموا : اعتدلوا . وفي الحديث دلائل على جواز الكلام بين الإقامة والدخول في الصلاة ، ومراعاة الإمام لرعيته ، والشفقة عليهم ، والحث على تسوية الصفوف . وقد جاء في ذلك عدة أحاديث :

ففي « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : سوا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة . وفي رواية للبخاري : فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة . ورواه أبو داود ؛ ولفظه : إن رسول الله ﷺ قال : راعوا صفوفكم ، وقاربوا بينها ، وحاذوا بالاعتناق ، فوالذي نفسي بيده إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصفوف كأنه ^(١) الحذف ، ورواه النسائي ، وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحهما » نحو رواية أبي داود . والخلل بفتح الخاء المعجمة واللام أيضاً - : هو ما يكون بين الاثنين من الاتساع عند عدم التراص ، والحذف بالحاء المهملة ، والذال المعجمة مفتوحين ، وبعدهما فاء : أولاد الضأن الصفار .

وأخرج الإمام أحمد ، وأبو داود ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : أقيموا الصفوف ؛ وحاذوا بسين المناكب ، وسدوا الخلل ، ولينوا بأيدي إخوانكم ، ولا تذروا فرجات الشيطان ، ومن وصل صفا وصله الله ، ومن قطع صفاً قطعه الله . الفرجات : جمع فرجة ، وهي المكان الخالي بين الاثنين (فإني أراكم من وراء ظهري) قال الحافظ ابن حجر : فيه

(١) في الأصل كأنها ، وهو خطأ ، والتصويب من « سنن أبي داود »

إشارة إلى سبب الأمر بذلك ، أي إنما أمرت بذلك لأنني تحققت منكم خلافه .
وتقدم في الحديث السادس والأربعين من « مسند أنس » رضي الله عنه ، أن
المختار حمل رؤيته ﷺ من ورائه على الحقيقة بعيني رأسه ، وقد روى الشيخان
حديث أنس هذا بلفظه المذكور . وفي رواية للبخاري : قال أنس : فكان أحدهما
يلزق منكبيه بمنكب صاحبه ، وقدمه بقدمه .

وأخرج الإمام أحمد ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي
ﷺ قال : أحسنوا إقامة الصفوف في الصلاة .

وفي « أوسط الطبراني » من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
رضوان الله عليه مرفوعاً : استموا تستو قلوبكم ، وتماسوا تراحموا . قال
شريح : تماسوا ، يعني ازدحموا في الصلاة ، وقال غيره : تماسوا ، تواصلوا .
وفيه من حديث عائشة الصديقة رضي الله عنها مرفوعاً : من سدّ فرجة ،
رفعه الله بها درجة ، وبنى له بيتاً في الجنة .

والبراز بأسناد حسن ، عن أبي جحيفة رضي الله عنه ، أن رسول الله
ﷺ قال : من سدّ فرجة في الصف غفر له . وأبو جحيفة — بضم الجيم وفتح
الحاء المهملة ، وسكون التحتية ، وبالفاء — اسمه : وهب بن عبد الله السوائي .

الحديث الرابع والخمسون

٩٩ — ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد قال : سئل أنس عن صلاة
رسول الله ﷺ من الليل ، فقال : ما كنا نشاء أن نراه من
الليل مصلياً إلا رأيناه ، وما كنا نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه ،

وكان يصوم الشهر حتى نقول : لا يفطر منه شيئاً ، ويفطر حتى
نقول : لا يصوم منه شيئاً .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (قال :
سئل) بضم السين المهملة ، وكسر الهمزة ، مبنياً للهجهول (أنس) بن مالك رضي الله
عنه ، رفع أنس نائب الفاعل (عن صلاة رسول الله ﷺ من الليل فقال) أنس
رضي الله عنه ، مجيباً لمن سأله : (ما كنا) معشر أصحابه المطلعين عليه في نومته
وخلواته (نشاء) أي يريد (أن نراه) ﷺ (من الليل مصلياً إلا رأيناه مصلياً)
إشارة إلى كثرة صلاته من الليل ﷺ ، وعدم تركه وإهماله لها (وما كنا
نشاء أن نراه) ﷺ (نائماً) من الليل (إلا رأيناه) نائماً ، يريد أنه ما كان
يحل بقيام الليل ، إلا أنه لا يقومه كله .

وفي « الترمذي » من حديث أنس رضي الله عنه : « كنت لا تشاء أن
تراه ﷺ من الليل مصلياً ، إلا رأيته مصلياً ، ولا نائماً إلا رأيته نائماً . وتقدم
الكلام على الاقتصاد في السادس والثلاثين من « مسند أنس » رضي الله عنه .
ودل هذا الحديث على قيام رسول الله ﷺ من الليل وتهجده ، وهذا
مذهب الجمهور ، ويدل عليه من الكتاب العزيز قوله تعالى : « ومن الليل فتهجد به
نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » (١) وقال تعالى : « والذين يبيتون
لربهم سجداً وقياماً » (٢) وقال تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون
ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين
جزاءاً بما كانوا يعملون » (٣) والآيات في هذا كثيرة .

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٧٩

(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٦٤

(٣) سورة السجدة ، الايتان : ١٦-١٧

والتَّهَجُّدُ : اسم لدفع النوم بالتكلف ، والهَجُودُ ؛ هو النوم . يقال : هَجَدَ إذا نام ، وتَهَجَّدَ : إذا أزال النوم . وقيل : التَّهَجُّدُ : هو صلاة التطوع بالليل . وقيل : الصلاة بعد النوم . ونقل عن الامام أحمد رضي الله عنه أنه قال : قيام الليل من المغرب الى طلوع الفجر ، يعني وأما التَّهَجُّدُ : فما كان بعد النوم والناشئة ؛ ما كان بعد رقدة لطيفة .

وفي «الصحيحين» وغيرهما ، من حديث المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ حتى تورَّمت قدماه ، فقيل له : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . قال : أفلا أكون عبداً شكوراً؟ وروى الامام أحمد ، ومسلم ، وأصحاب «السنن الأربع» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ ، أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال : الصلاة في جوف الليل . فقيل : فأَي الصيام أفضل بعد رمضان ؟ قال : شهر الله المحرم .

وروى الترمذي ؛ وصححه من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه ، أنه سمع النبي ﷺ يقول : أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر ، فإن أستطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن .

وأخرج الامام أحمد ، ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين .

وأخرج أيضاً ، وأبو داود ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قام أحدكم من الليل فليفتح صلاته بركعتين خفيفتين . وفي رواية أخرى : ثم ليطول بعدها ما شاء . »

والحكمة في تخفيفها : سرعة المبادرة الى العقدة الثالثة من العقد التي يعقدها الشيطان على قافية رأس النائم ، وهي مؤخره ، ومنه سمي آخر بيت

الشمر : قافية ، وذلك لما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « يمسك الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب على كل عقدة ، عليكم ليل طويل فارقده ، فإن استيقظ فذكر الله تعالى ، انحلَّت عقدة ، فإن تَوَضَّأَ انحلَّت عقدة ، فإن صلى انحلَّت عقده كلها ، فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » ، رواه الامام مالك ، والشيخان ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه وقال : فيصبح نشيطاً طيب النفس قد أصاب خيراً ، وإن لم يفعل أصبح كسلان خبيث النفس لم يصب خيراً . . ورواه ابن خزيمة في « صحيحه » ، وزاد في آخره : فحلوا عقد الشيطان ولو بركنين .

وأخرج الترمذي . وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه ، والحاكم وقال : على شرط الشيخين ، من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس ، أي أسرعوا اليه ومضوا كلمهم ، وهو بالجم . قال : فكنت فيمن جاءه ، فلما تأملت وجهه واستقبلته ، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب . قال : فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال : أيها الناس ! أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام .

وفي « الصحيحين » وغيرهما ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، ويصوم يوماً ، ويفطر يوماً » .

و عن أبي أمامة وسلمان الفارسي رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الآثام » ، زاد في حديث سلمان : « ومطرودة للدا عن الجسد » . رواه الترمذي ، والحاكم وصححه ، وغيرهما .

وروى الطبراني ، من حديث إياس بن معاوية المزني رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا بد من صلاة بليل ولو حلب شاة ، وما كان بعد صلاة العشاء فهو من الليل » .

وروى أبو يعلى - ورواه محتج بهم في الصحيح - من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : فذكرت قيام الليل ، فقال بعضهم : إن رسول الله ﷺ قال : نصفه ، ثلثه ، ربه ، فواق حلب ناقة ؛ فواق حلب شاة . وفواق الناقة - بضم الفاء هنا - قدر ما بين رفع يدك عن الضرع وقت الحلب وضما .

وروى الطبراني في « الكبير » و « الأوسط » عنه : أمر رسول الله ﷺ بصلاة الليل ، ورغب فيها حتى قال : « عليكم بصلاة الليل ولو ركعة » .

وفي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعاً : « شرف المؤمن قيام الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس » . رواه الطبراني في « الأوسط » ، بإسناد حسن وروى ابن أبي الدنيا ، والبيهقي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : أشرف أمتي حملة القرآن ، وأصحاب الليل .

وروى الطبراني في « الكبير » ، موقوفاً بإسناد لا بأس به ، ورفع جماعته ، عن طارق بن شهاب أنه بات عند سلمان الفارسي رضي الله عنه ، لينظر ما اجتهداه قال : فقام يصلي من آخر الليل ، فكان لم ير الذي كان يظن ، فذكر ذلك له فقال سلمان : حافظوا على هذه الصلوات الخمس ، فانهم كفارات لهذه الجراحات ما لم يصب المقتلة ، فإذا صلى الناس العشاء صعدوا على ثلاث منازل ، منهم من عليه ولا له ، ومنهم من له ولا عليه ، ومنهم من لا له ولا عليه . فرجل اغتتم ظلمة الليل وغفلة الناس ، فركب فرسه في المعاصي ، فذلك عليه ولا له ، ومنهم من له ولا عليه ، فرجل اغتتم ظلمة الليل وغفلة الناس ، فقام يصلي ؛ فذلك له ولا عليه . ومن لاله ولا عليه ، فرجل صلى ثم نام فذلك لا له ولا عليه ، إياك والحققة ، وعليك

بالقصد ودوامه . قوله : الحقيقة — بحاءين مهملتين مفتوحتين ، وقافين ، الاولى ساكنة ، والثانية مفتوحة — : هي أشد السير . وقيل : هو أن يجهد في السير ويلج فيه حتى تعطب راحلته ، أو تقف . وقيل غير ذلك .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين » . رواه أبو داود ، وابن خزيمة في « صحيحه » ، كلاهما من رواية أبي سوية ، عن أبي جحيرة ، عن عبدالله بن عمرو . وقال ابن خزيمة : إن صح الخبر فاني لا أعرف أبا سوية بمداولة ولا جرح . ورواه ابن حبان في « صحيحه » من هذه الطريق أيضاً ، إلا أنه قال : « ومن قام بمائتي آية كتب من المقنطرين » أي ممن كتب له قنطار من الأجر

وروى ابن حبان في « صحيحه » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « القنطار : اثنا عشر ألف أوقية ، الأوقية خير مما بين السماء والأرض » . قال الحافظ المنذري : من سورة : « تبارك الذي بيده الملك » (١) إلى آخر القرآن ألف آية .

قال علماؤنا : كان قيام الليل واجباً على النبي ﷺ ولم ينسخ . قالوا : ولا ينبغي أن يقوم الانسان كل الليل ، إلا ليلة عيد ، يعني وقدر ، ونحوهما . قالوا : ويكره مداومة قيامه كله ، ويستحب أن يكون له تطوعات يداوم عليها ، وإذا فاتت يقضيها .

وقد استحب الامام أحمد رضي الله عنه ، أن يكون له ركعات معلومة من الليل والنهار ، فإذا نشط طوّلها ، وإذا لم ينشط خفّفها .

قالت أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها لرجل : لا تدع قيام الليل ،

(١) سورة الملك ، الآية : ١

فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعـه ، وكان إذا مرض - أو قالت : كسل - صلى قاعداً .

وفي رواية أخرى عنها رضي الله عنها قالت : بلغني عن قوم يقولون : إذا أدبنا الفرائض لم نبالي أن لا نزداد ، ولعمري لا يسألهم الله إلا عما افترض عليهم ، ولكنهم قوم يخطئون بالليل والنهار ، وما أنتم إلا من نبيكم ، وما نبيكم إلا منكم ، والله ما ترك رسول الله ﷺ قيام الليل .

ونزعت كل آية فيها قيام الليل ، فأشارت رضي الله عنها إلى أن قيام الليل فيه فائدتان عظيمتان : الاقتداء بسنة المصطفى ﷺ ، والتأسي به . وقد قال تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » (١) ، وتكفير الذنوب والخطايا ، فإن بني آدم يخطئون بالليل والنهار ، فيحتاجون إلى الاستكثار من مكفرات الخطايا ، وقيام الليل من أعظم المكفرات ، كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : « قيام العبد في جوف الليل يكفر الخطيئة » ، ثم تلى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً » (٢) الآية ، أخرجه الامام أحمد . وقد روي أن المهجدين يدخلون الجنة بغير حساب ، روي عن شهر ابن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ قال : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء منادٍ ينادي بصوت يسمع الخلائق : سيعلم الخلق اليوم من أولى بالكرم ، ثم يرجع فينادي : أين الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، فيقومون وهم قليل ، ثم يرجع فينادي : ليقم الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء ، فيقومون وهم قليل ، ثم يرجع فينادي :

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٢١

(٢) سورة السجدة ، الآية : ١٦

ليقيم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، فيقومون وهم قليل ، ثم يحاسب سائر الناس ، : أخرجه بن أبي الدنيا وغيره .

ويروى عن ابن عباس من قوله ، ويروى أيضاً عن عقبة بن عامر رضي الله عنهم مرفوعاً وموقوفاً . ويروى نحوه عن عبادة بن الصامت ، وربيعة الجرشي ، والحسن البصري ، وكعب الأحماسي ، وغيرهم من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قال بعض السلف : قيام الليل يهون طول القيام يوم القيامة ، ويكفي المنهجين أن الله تعالى يحبهم ، ويباهي بهم الملائكة ، ويستجيب دعاءهم . وفي ذلك أحاديث كثيرة ، والله الموفق .

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : (وكان) رسول الله ﷺ (يصوم الشهر حتى نقول) معشر أصحابه : إنه (لا يفطر منه شيئاً) لكثرة صومه منه على فطره فيه (ويفطر) الشهر الآخر (حتى نقول : لا يصوم منه) أي ذلك الشهر (شيئاً) لكثرة فطره فيه على صيامه منه .

وفي « الصحيحين » و « سنن أبي داود » وغيرها ، من حديث أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول : لا يفطر ، ويفطر حتى نقول : لا يصوم ، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط ، إلا صيام رمضان ، وما رأيته في شهر أكثر صياماً منه في شعبان .

وفي رواية عند البخاري ومسلم : وكان ﷺ يقول : « خذوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله تعالى لا يعمل حتى تملاوا » .

وكان أحب الصلاة إلى النبي ﷺ ما دووم عليه وإن قلت ، وكان إذا صلى صلاة داوم عليها .

وفي « الصحيحين » وغيرها ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :
أوصاني خليلي ﷺ بثلاث : صيام ثلاث من كل شهر ، وركعتي الضحى ، وأن
أوتر قبل أن أنام . ورواه مسلم أيضاً عن أبي الدرداء مثله سواء .

وفي « الصحيحين » وغيرها ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم
الدهر كله » . وروى الامام أحمد بإسناد صحيح ، والبزار ، والطبراني ، وابن
حبان في « صحيحه » عن قرة بن إياس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر وإفطاره » .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فإنه لي
وأنا أجزي به ، والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرفث ، ولا
يصخب ، فإن سابَّه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم ، إني صائم ، والذي نفس
محمد بيده : لخلدوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وللصائم فرحتان
يفرحهما ، إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه » . وفي رواية
للبخاري : « يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي » .

قوله : لخلوف فم الصائم . الخلوف ، بضم الخاء المعجمة واللام ، وسكون
الواو ، وبمدها فاء . قال القاضي عياض : هكذا الرواية الصحيحة ، وبعض
الشيوخ يقولون بفتح الخاء . قال الخطابي : وهو خطأ . وحكى القابسي الوجوهين .
وبالغ النووي في « شرح المذهب » فقال : لا يجوز فتح الخاء . واحتج غيره لذلك ،
بأن المصادر التي جاءت على فمول - بفتح أوله - قليلة . ذكرها سيوييه وغيره ،
وليس هذا منها .

قلت : ومن قال بفتح الخاء المعجمة ، الحافظ المنذري في كتابه : « الترغيب

والتهيب ، ، وهو تغيير رائحة الفم من الصوم ، وقد سئل سفيان بن عيينة رحمه الله ورضي عنه ، عن قوله : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ؛ فإنه لي . فقال : إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عز وجل عبده ، ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم ؛ فيتحمل الله ما بقي عليه من المظالم ، ويدخله بالصوم الجنة . هذا كلامه ، واستغفره المنذري .

قال الحافظ ابن رجب في كتابه : لطائف المعارف ، : وعلى هذا فيكون المعنى : أن الصيام لله عز وجل ؛ فلا سبيل لأحد إلى أخذ أجره من الصيام ، بل أجره مدخر لصاحبه عند الله عز وجل ؛ فلا يسقط ثواب الصوم بمقاصة ولا غيرها ، بل يوفّر أجره لصاحبه حتى يدخل الجنة ، فيوفّي أجره فيها .

وأما قوله : فإنه لي ؛ فخص سبحانه الصيام بإضافته إلى نفسه دون سائر الأعمال ، وقد كثر القول في معنى ذلك من الفقهاء والصوفية وغيرهم ، وذكروا فيه وجوهاً كثيرة ، ومن أحسن ما ذكروا وجهاً :

أحدها : أن الصيام مجرد ترك حظوظ النفس ، وشهواتها الأصلية التي جبلت على الميل إليها ، لله عز وجل ، ولا يوجد ذلك في عبادة أخرى غير الصيام ، خصوصاً في نهار الصيف ، مع شدة حرّه وطوله ؛ ولهذا روي : من خصال الإيمان الصوم في الصيف .

الثاني : أن الصيام سر بين العبد وربّه ، لا يطلع عليه غيره ؛ لأنه مركب من نية باطنة لا يطلع عليها إلا الله ، وترك لتناول الشهوات التي يستخفى بتناولها في العادة ؛ ولذا قيل : لا تكتبه الحفظة . وقيل : إنه ليس فيه رياء ، كذا قاله الامام أحمد وغيره رضي الله عنه . وفي فضائل الصيام أحاديث كثيرة جداً وبالله التوفيق .

الحديث الخامس والخمسون

١٠٠ - ثنابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : كان يعجبنا أن يجيء الرجل من البادية فيسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء أعرابي فقال : يا رسول الله ! متى قيام الساعة ؟ وأقيمت الصلاة ، فصلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من صلاته قال : أين السائل عن الساعة ؟ قال : أنا يا رسول الله . قال : وما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كبير عمل صلاة ولا صيام ، إلا أني أحب الله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب . قال أنس : فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الاسلام بشيء ما فرحوا به .

قال رضي الله عنه (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه ، أنه (قال : كان يعجبنا) معشر أصحاب النبي ﷺ (أن يجيء الرجل) أي الشخص ، أي كنا نحب ذلك ونوده ونطلبه (من البادية) بغير همز كالبدو ، من بدا الرجل بدواً إذا خرج إلى البادية ، فنزلها ، وهي خلاف الحضر . والاسم : البداوة ، بفتح الباء وكسر ها ، هذا هو المشهور . وحكي : بدأ بالهمز يبدو ، وهو قليل ، كما في « المطالع » (فيسأل رسول الله ﷺ) بنصب رسول الله مفعول يسأل ، والفاعل ضمير يعود على

الرجل . قال : (فجاء أعرابي) اختلف في اسمه ، فقيل : إنه ذو الخويصرة
اليمني ، كما هو في « أفهام ابن البلقيني » . وفي بعض الفاظ « الصحيحين » وغيرها :
أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة (فقال : يا رسول الله ! متى قيام الساعة ؟)
أي الكبرى .

قال ابن بشكوال : هذا الرجل إن شاء الله هو أبو موسى الأشعري ،
أو أبو ذر ، واحتج في ذلك بحديثين لا حجة فيهما ، فلفظ حديث أبو موسى .
قلت : يا رسول الله ! المرء يجب القوم ولما يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ﷺ :
« المرء مع من أحب » . ولفظ حديث أبي ذر . قلت : يا رسول الله ! الرجل يحب
القوم ولا يستطيع أن يعمل بعملهم ؟ قال : « أنت يا أبا ذر مع من أحببت » . وأين
هذا من حديث أنس : فجاء أعرابي ، فان أبا موسى وإن جاز أن يهتم نفسه فيقول :
أتى رجل ؛ فغير جائز أن يصف نفسه بأنه أعرابي ، وكذا أبو ذر ، كما أشار
إلى ذلك في « الفتح » وذكر أنه يحتمل أن يكون صفوان بن قدامة .

فقد أخرج الطبراني ، وصححه أبو عوانة ، من حديثه قال : قلت : يا رسول
الله ! إني أحبك . قال : « المرء مع من أحب » .

وفي رواية في « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه : متى الساعة ؟
ووقع في رواية . قال : أنس : بينما أنا ورسول الله ﷺ خارجين من المسجد ،
فلقينا رجلاً عند سدة المسجد ، فقال : يا رسول الله ! متى الساعة ؟ وفي أخرى :
خرج رسول الله ﷺ ، فتعرض له أعرابي . أخرجه أبو نعيم . وله أيضاً عن
أنس : دخل رجل والنبي ﷺ يخطب .

وفي رواية عن حميد ، عن أنس : جاء رجل فقال : متى الساعة ؟ (وأقيمت)
بالبناء لهجهول (الصلاة ، صلى) وفي رواية : فقام (النبي ﷺ) إلى الصلاة ،
ثم صلى (فلما فرغ من صلاته قال : أين السائل عن الساعة ؟) وجمع بينه وبين

ما قبله ، بأنه سأل النبي ﷺ بخطب فلم يجبه حينئذ ، فلما انصرف من الصلاة وخرج من المسجد رآه فتذكر سؤاله ، أو عاوده الأعرجي في السؤال ؛ فاستفسر عن السائل عن الساعة . فـ (قال) الأعرجي : (أنا) هو (يارسول الله . قال) ﷺ له : (وما أعددت لها) أي للساعة التي تسأل عنها من العمل الصالح والكسح الناجح ، قال الكرمانى : سلك مع السائل الأسلوب الحكيم ، وهو تلقي السائل بغير ما يطلب مما يهمله ، أو هو أم . (قال) الأعرجي : (ما أعددت لها) أي للساعة (من كبير عمل صلاة ولا صيام) زاد في رواية : ولا صدقة (إلا أني أحب الله) سبحانه وتعالى (ورسوله) ﷺ . وفي لفظ : ولكني أحب الله ورسوله .

قال الحافظ ابن رجب في كتابه « استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس » : محبة الله واجبة تستلزم امتثال طاعته ، واجتناب معصيته ، وكذلك محبة الرسول ﷺ ، وأصحابه ، والتابعين لهم بإحسان ؛ فالمحبة الصحيحة لهم ، تقتضي مشاركتهم في أصل عملهم وإن عجز عن بلوغ غايته ، ولهذا قال السائل : ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ؛ فدل على أنه قد أتى من ذلك بما وجب عليه ، ولم يأت بأزيد من ذلك (فقال رسول الله ﷺ : المرء) وهو بثلاث الميم : الانسان ، أو الرجل . ولا يجمع من أفضله ، أو سمع مرؤن ، والذئب ، وهي بهاء (١) .

وفي امرئ مع ألف الوصل ثلاث لغات : فتح الراء دائماً ، وضمها دائماً ، وإعرابها دائماً (٢) . ونقول : هذا امرؤ ومرؤ ، ورأيت امرءاً ومرءأ ،

(١) لم تكن كلمة الذئب في الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها . والتصحيح من « القاموس »

(٢) وعلى هامش الاصل ، بخط الشيخ عبد القادر بدران ما نصه :

ما ذكره الشارح من قوله : وإعرابها دائماً ، إنما يتمشى على مذهب الكوفيين القائلين بأن امرءاً معرب من مكانين . وأما على مذهب البصريين ؛ فحركة الراء إتباع للآخر ، والاعراب على الآخر فقط . وأدنى طالب قرأ « الازهرية » لا يشبهه عليه ذلك ؛ فتأمل . اهـ . بدران

ومررت بأمرى وبمرى معرباً من مكانين ، كما في «القاموس» (مع من أحب) .
وفي « البخاري » : فقلنا : ونحن كذلك ؟ قال ﷺ : نعم . قال في
« الفتح » : وقد جمع أبو نعيم طرق هذا الحديث في جزء سماه : « كتاب المحبين
مع المحبوبين » ، فبلغ عدد الصحابة فيه نحو العشرين . وفي رواية أكثرهم
بهذا اللفظ .

وفي لفظ من حديث أنس في « البخاري » وغيره : « أنت مع من أحببت »
زاد ابن الصبيان ، عن ثابت ، عن أنس : « إنك مع من أحببت » ، ولك ما احتسبت
أخرجه أبو نعيم . وله مثله من طريق قرة بن خالد ، عن الحسن ، عن أنس .
وأخرج أيضاً من طريق أشعث ، عن الحسن ، عن أنس : « المرء مع من أحب » ،
وله ما اكتسب ، وفي رواية : « أنت مع من أحببت » ، وعليك ما اكتسبت ، وعلى
الله ما احتسبت :

(قال أنس) رضي الله عنه : (فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام
بشيء ما فرحوا به) أي بقوله ﷺ : « المرء مع من أحب » .
وروى هذه الزيادة مسلم ولفظه : قال أنس : فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً
أشد من قوله : « أنت مع أحببت » .
وفي رواية للبخاري ، فقلنا : ونحن كذلك ؟ قال : نعم ، ففرحنا يومئذ
بذلك فرحاً شديداً .

قال أنس رضي الله عنه : فأنا أحب الله عز وجل ، ورسول الله ﷺ ،
وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم ، وإن لم أعمل بأعمالهم . قال بعض
العارفين : يكفي للمحبين شرفاً هذه المعية .

قال عبيد بن عمير : جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله !
الرجل يحب المصلين ولا يصلي إلا قليلاً ، ويحب الصائمين ولا يصوم إلا قليلاً ،

ويحب الذين لا يذكر إلا قليلاً ، ويحب المتصدقين ولا يتصدق إلا قليلاً ،
ويحب المجاهدين ولا يجاهد إلا قليلاً ، وهو في ذلك يحب الله ورسوله ، قال : « هو
يوم القيامة مع من أحب » .

وقد قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : ابن آدم لا تغتر بقول من يقول :
المرء مع من أحب ، إنه من أحب قوماً اتبع آثارهم ، ولن تلحق بالآبرار حتى
تتبع آثارهم ، وتأخذ بهديهم ، وتقندي بسنتهم ، وتصبح وتمسي وأنت على
منهاجهم ، حريصاً على أن تكون منهم ؛ فتسلك سبيلهم ، وتأخذ طريقهم ، وإن
كنت مقصراً في العمل ؛ فاعلم أنك لا تكون على استقامة ، أما رأيت
اليهود ، والنصارى ، وأهل الأهواء المردية ، يحبون أنبياءهم وليسوا معهم ؛
لأنهم خالفوهم في القول والعمل ، وسلكوا غير طريقهم ؛ فصار موردتهم النار ،
نمود بالله من ذلك .

وقال عتبة الغلام : من عرف الله أحبه ، ومن أحبه أطاعه ، ومن أطاع الله أكرمه
الله ، ومن أكرمه الله أسكنه في جواره ، ومن أسكنه في جواره ؛ فطوباه
وطوباه وطوباه ، فلم يزل يكررها ويقول : وطوباه وطوباه ، حتى خر ساقطاً
مغشياً عليه .

وقال فرقد السنجي : قرأت في بعض الكتب : المحب لله أمير مؤمن على
الأمراء ، زمرته أول الزمر يوم القيامة ، ومجلسه أقرب المجالس فيما هناك .
خرجه والذي قبله إبراهيم بن الجنيد .

تنبيهات

الأول : محبة الله سبحانه وتعالى على درجتين :
إحداهما : فرض لازم ، وهي أن يحب الله سبحانه محبة توجب له محبة

ما فرض عليه ، وبغض ما حرمه عليه ، ومحبة رسوله المبلغ أمره ونهيه ، وتقديم محبته على النفوس والأهلين أيضاً ، والرضى بما بلغه عن الله من الدين ، وتلقي ذلك منه بالرضى والتسليم ، ومحبة الأنبياء والرسل والمتبعين لهم باحسان جملة وعموماً لله عز وجل ، وبغض الكفار والفجار جملة وعموماً لله عز وجل ؛ فهذا القدر لابد منه في تمام الايمان الواجب . ومن أخل بشيء منه ؛ فقد نقص من إيمانه الواجب بحسب ذلك . قال الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » (١) .

وكذلك ينقص من محبته الواجبة بحسب ما أخل به من ذلك ؛ فإن المحبة الواجبة تقتضي فعل الواجبات وترك المحرمات .

وروى أبو نعيم ، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إن سالماً - يعني مولى أبي حذيفة - شديد الحب لله ، لو كان لا يخاف الله ما عصاه ، يشير الى أن محبته تمنعه من أن يعصيه . وذكر أبو عبيد في « غريبه » : أن عمر رضي الله عنه قال : نعم العبد صبيب لو لم يخف الله لم يعصه .

وقال الحسن بن آدم : أحب الله يحبك الله ، واعلم أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته .

وسئل ذو النون : متى أحب ربي ؟ قال : إذا كان ما يبغضه ، عندك أمر من الصبر . وقال يحيى بن معاذ : ليس بصادق من ادعى محبة الله عز وجل ولم يحفظ حدوده .

وأخرج الترمذي من حديث معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « من أعطى الله ، ومنع الله ، وأحب الله ، وبغض الله ؛ فقد

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٥

استكمل إيمانه . وخرجه الامام أحمد وزاد فيه : وأنكح الله .
وفي لفظ له أيضاً ، أن النبي ﷺ سئل عن أفضل الايمان ؟ قال : أن
تحب الله ، وتبغض الله ، وتعمل لسانك في ذكر الله .

وأخرج نحوه أبو داود ، من حديث أبي أمامة ، وأبي ذر رضي الله عنهما .
وأخرج الامام أحمد من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما ، عن النبي
ﷺ أنه قال : « إن أوثق عرى الايمان : أن تحب في الله ، وتبغض في الله » .

وأخرج أيضاً من حديث عمرو بن الجموح رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ
قال : لا يحق العبد حق صريح الايمان ، حتى يحب الله ، ويبغض الله ، فإذا أحب
الله وأبغض الله ؛ فقد استحق الولاية من الله ، ان الله تعالى يقول (١) : « إن
أوليائي من عبادي وأحبابي من خلقي ، الذين يذكرون بذكري ، وأذكر
بذكركم » .

وروى ليث عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أحب في الله ،
وأبغض في الله ، ووال في الله ، وعاد في الله ؛ فأما تنال ولاية الله بذلك ، ان يجد
عبد طعم الايمان وإن كثرت صلاته وصومه ؛ حتى يكون كذلك . وقد صارت
عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً . أخرجه ابن
جرير الطبري ؛ فهذه الدرجة من محبة الله فرض واجب على كل مسلم ، وهي درجة
المقتصدين أصحاب اليمين .

الدرجة الثانية : درجة السابقين المقربين ، وهي أن ترتقي المحبة الى محبة
ما يحبه الله من نوافل الطاعات ، وكرامة ما يكرهه من دقائق المكروهات ، والى

(١) عبارة : إن الله تعالى يقول . لم تكن في الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها . وقد
رأينا على هامش الاصل : لعله : إن الله تعالى يقول ، ونحو ذلك .

الرضى بما يقدره ويقضيه مما يؤلم النفوس من المصيبات ، وهذا فضل مستحجب مندوب اليه .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « يقول الله عز وجل : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ؛ كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، واثمن سألتني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه » ... الحديث .

وأما من انهمك في الذنوب والمعاصي ، فماله ودعوى المحبة ؟ وما أحسن قول من قال .

تعصي الآله وأنت تزعم حبه	هذا لعمرى في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته	إن الحب لمن يحب مطيع

وكذلك محبة الرسول ﷺ على درجتين :

إحداهما : فرض لازم ، وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به من عند الله ، وتلقيه بالمحبة والتعظيم ، والرضى به والتسليم ، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية ، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه ، من تصديقه في كل ما أخبر ، وطاعته فيما أمر به من الواجبات ، والانتفاء عما نهى عنه وزجر من المحرمات ، ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة ، فهذا القدر لا بد منه ، ولا يتم الإيمان بدونه .

والدرجة الثانية : فضل ، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به ، وتحقيق الاقتداء بسنته ، في أخلاقه ، وآدابه ، ونوافله ، وتطوعاته ، وأكله ، وشربه ، ولباسه ، وحسن معاشرته لأزواجه ، وغير ذلك من آدابه الكاملة ،

وأخلاقه الطاهرة . والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه ، واهتزاز القلب عند ذكره
وتصوره ، وكثرة الصلاة عليه ؛ لما سكن في القلب من محبته ، وتعظيمه ،
وتوقيره ، ومحبة استماع كلامه . وإثاره على كلام غيره من المخلوقين . ومن أعظم
ذلك ، الاقتداء به في زهده في الدنيا ، والاجترأ باليسير منها ، ورغبته
في الآخرة .

قال سهل التستري : من علامة حب الله حب القرآن ، وعلامة حب الله
وحب القرآن حب النبي ﷺ ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة ، وعلامة
حب السنة حب الآخرة . ومن علامة حب الآخرة ، بغض الدنيا ، وعلامة بغض الدنيا
أن لا يأخذ منها إلا زاداً يبلغه الى الآخرة .

الثاني : في إعراض النبي ﷺ عن إجابة سؤال الأعرابي عن الساعة ،
الى قوله : ما أعددت لها ؟ دليل على أن من سأل عما ليس مما يهمه لا يستحق الجواب
عنه ، ويفتق بمآهمه أو هو أهم مما سأل عنه ، ويسمى هذا في البديع :
الأسلوب الحكيم .

وقد دل القرآن العظيم ، وحديث النبي الكريم ، على أن البارئ جل وعلا
انفرد بعلم مجيئ الساعة ، ومتى يكون ذلك ، فالحق جل شأنه استأثر بعلمها .
وفي حديث جبريل الذي في « الصحيحين » وغيرها ، لما سألته متى الساعة ،
أي متى تقوم الساعة ؟ والمراد يوم القيامة ؛ أي متى علم وقت الساعة ؟ يعني
جميعها . فقال ﷺ : « ما المسؤول بأعلم من السائل » . وفي لفظ : « ما المسؤول
عنها بأعلم من السائل » . وفي رواية لما قال له : متى الساعة ؟ فكس فلم يجبه ، ثم
أعاد فلم يجبه ، ثلاثاً ، ثم رفع رأسه فقال : ما المسؤول بأعلم من السائل . يعني أن
الله تعالى استأثر بعلمها ، فعلم الخلق كلهم في وقت الساعة سواء .

ولهذا قال ﷺ ، كما في حديث أبي هريرة في « الصحيحين » وغيرها ،

في : خمس لا يعلمهن إلا الله ، ثم تلى : « إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ، إن الله عليم خبير » (١) .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، فقال : سبّحان الله ، خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ؛ ثم تلى الآية .

قال النووي : يستنبط منه أن العالم إذا سئل عما لا يعلم يصرح بأنه لا يعلم ، ولا يكون في ذلك نقص من رتبته ، بل يكون ذلك دليلاً على مزيد ورعه .

قال القرطبي : مقصود هذا السؤال ، كف السامعين عن السؤال عن وقت الساعة ؛ لأنهم كانوا قد أكثروا السؤال عنها ، كما ورد في كثير من الآيات ، والأحاديث ، كقوله تعالى : « يسألونك عن الساعة أيّات مرساها ، قل إنما علمها عند ربي لا يحلّ لها لوقيتها إلا هو ، ثقلت في السموات والأرض ، لا تأتكم إلا بغتة » (٢) .

وفي حديث ابن عمر عند الإمام أحمد والبخاري ، أن النبي ﷺ قال : « مفاتيح الغيب خمس ، لا يعلمها إلا الله » ، ثم قرأ هذه الآية ، يعني : « إن الله عنده علم الساعة » (١) الآية . ولفظ الإمام أحمد : أن النبي ﷺ قال : أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس : « إن الله عنده علم الساعة » (١) .

وأخرج أيضاً عن ابن مسعود قال : أوتي نبيكم ﷺ مفاتيح كل شيء غير خمس : « إن الله عنده علم الساعة » الآية .

وقد أخرج الحميدي في « نوادره » : حدثنا سفيان ؛ حدثنا مالك بن مغول ،

(١) سورة لقمان ، الآية : ٣٤

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٦

عن اسماعيل بن رجاء ، عن الشعبي قال : سأل عيسى بن مريم جبريل عليها السلام
عن الساعة . قال : فانتفض بأجنحته وقال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل .
وقد فسر النبي ﷺ مفاتيح الغيب بالحس المذكورة في الآية .

قال في « شرح البخاري » : من ادعى علم شئ منها غير مستند إلى رسول
الله ﷺ كان كاذباً في دعواه .

قال القرطبي : وأما ظن الغيب من نحو المنجم إذا كان عن أمر عادي ؛
فليس ذلك بعلم . وقد نقل بن عبد البر الإجماع على تحريم أخذ الأجرة والجعل ،
وإعطائها في ذلك .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : التنجيم كاستدلال بالأحوال الفلكية على
الحوادث الأرضية من السحر . قال : ويحرم إجماعاً .

وفي « الاقناع » : لو أوهم قوماً بطريقته أنه يعلم الغيب ، فلامام قتلة لسميه
بالفساد . ومن كلام الامام ابن عبد البر : « وأكثر الناس ينسبها لعلي رضي الله
عنه ، وإنما هما لابن عبد البر ، كما في « الوافي بالوفيات » للصالح الصفدي :

امتنحلي النجوم أحلتهمونا على علم أدق من الهباء
علوم الأرض ما أحكمتموها فكيف بكم إلى علم السماء

الثالث : كل الأحاديث الواردة في أن مدة الدنيا من أولها إلى آخرها
سبعة آلاف سنة ، لا أصل لشئ من ذلك يصلح للاحتجاج به والاعتماد عليه ،
وإن ذكرها من العلماء من ذكرها حتى إن الحافظ السيوطي ألف جزءاً سماه :
« الكشف في مجاوزة هذه الأئمة الألف » وذكر هذه الأحاديث ، وزعم أن
أبا جعفر الطبري صحح هذا الأصل ، وعضده بآثار . انتهى .

والحال أن كل هذه الآثار ، وما ورد في ذلك من الأحاديث والأخبار ؛
أدق من هباء الغبار عند الأئمة الأخيار .

قال الحافظ ابن حجر في «الاصابة» عند حديث ابن زمل الجهني : تفرد بروايته سليمان بن عطاء القرشي الحراشي ، عن مسلمة بن عبد الله الجهني وسليمان بن عطاء .

قال الذهبي في «المغني» هالك اتهم بالوضع . وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» : منكر الحديث ، وأورده الحافظ ابن الجوزي في الأحاديث الواهية ، ووصف بعض رجاله بوضع الحديث . وقال ابن الأثير : ألفاظه مصنوعة ملفقة . وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» : إسناده ضعيف جداً ، وهذا الحديث ، هو أن ابن زمل الجهني قص على رسول الله ﷺ رؤيا قال فيها : رأيتك يارسول الله على منبر له سبع درجات ، وإلى جنبك ناقة عجفاء ، كأنك تبعها . ففسر له رسول الله ﷺ الناقة بقيام الساعة أنذر بها ، وقال في المنبر والدرجات : الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت في آخرها ألفاً ... الحديث . وقد سمي بعض العلماء ابن زمل عبد الله ، وبعضهم : الضحاك ، وبعضهم : عبد الرحمن ، وصوب الأول في «الاصابة» . روى هذا الحديث الطبراني في «الكبير» وفيه : فإذا أنا بك يارسول الله على منبر فيه سبع درجات ، وأنت في أعلاها درجة . وأخرجه البيهقي في «الدلائل» . وقد جاء في ذلك عدة أحاديث ، من حديث أبي هريرة ، وأنس بن مالك ، وابن عباس رضي الله عنهم .

قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه : «المنار المنيف»^(١) ومن العلامات التي يعرف بها الأحاديث الموضوعة ، مخالفة الحديث صريح القرآن كحديث مقدار الدنيا ، وأنها سبعة آلاف سنة ، وتجيء في الألف السابعة . قال : هذا من أبين الكذب ؛ لأنه لو كان صحيحاً لكان كل عالم يعلم أنه قد بقي للقيامة من وقتنا هذا - يعني وقت الامام ابن القيم نفسه ، وكان في المائة الثامنة ؛ فانه توفي

(١) في بيان الحديث الضعيف ، وقد طبع أخيراً باسم «المنار» فقط ، في مطبعة انصار السنة .

رضي الله عنه سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، عن اثنين وستين سنة ، رحمه الله
ورضي عنه - نحو مائتي سنة ، فيكون في عصرنا هذا ، وهو عصر ثمان وستين
ومائه وألف من الهجرة ، قد مضى من الزيادة على ما زعموا مائة وثمانية وستون
سنة ، هذا مع أن الكتب القديمة ، كالتوراة اليونانية التي يعتمد على النقل عنها
من اعتنى بأخبار الأول ، والتواريخ السالفة من علماء الاسلام ، أن من هبوط
آدم عليه السلام إلى هجرة النبي ﷺ سنة آلاف سنة ومائتان وستة عشر سنة ؛
فيكون جملة ذلك إلى عصرنا هذا ، سبعة آلاف سنة وثلاثمائة سنة وأربعة
وثمانين سنة ؛ فعلى كل حال قد بان زيف ما زخرفه ذوو المحال . والله
تعالى الموفق .

الحديث السادس والخمسون

١٠١ - ثنا ابن أبي عدي ، ثنا حميد ، عن أنس ، قال :
أقيمت الصلاة وقد كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين نسائه
شيء ، فجعل يردّ بعضهن عن بعض ، فجاء أبو بكر ،
فقال : أحت يا رسول الله في أفواههن التراب ، وأخرج
إلى الصلاة .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن
أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : أقيمت) بضم الهمزة وكسر القاف مبنيًا
لما لم يسم فاعله (الصلاة) بالرفع نائب فاعل ، والمراد صلاة العشاء ، كما هو ظاهر

حديث مسلم (وقد كان) الواو للجمال ، والجملة حالية (بين النبي ﷺ وبين نسائه) رضي الله عنهن (شبيء) اسم كان مؤخر ، وخبرها متعلق الظرف الذي هو بين ، ولفظ حديث مسلم ، عن أنس رضي الله عنه : كان للنبي ﷺ تسع نسوة ، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة إلا في تسع ، أي من الليالي والأيام ، إلا يوم وإيلة لتجيء نوبتها ، يعني وشق ذلك عليهن إذا لم يجتمعن بالنبي ﷺ ، ولم تره كل واحدة منهن إلا في كل تسع ليال ؛ فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها ، أي صاحبة النوبة ؛ فكان ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها في نوبتها ، فجاءت زينب بنت جحش رضي الله عنها ، فمد يده إليها ، فقالت ، أي عائشة : هذه ، أي التي مددت يدك إليها زينب ، وليست النوبة لها ؛ فكف النبي ﷺ يده فتناولتا ، أي صار بين عائشة الصديقة ، وزينب بنت جحش رضي الله عنها مقالة ، أي فكل واحدة منها صارت تقول وتكلم في الرد على صاحبها والانتصار لنفسها ، حتى استخبتا - بسكون السين المهملة ، وفتح المثناة الفوقية ، وفتح الخاء المعجمة أيضاً ، والباء الموحدة المفتوحة ، ثم تاء مثناة فوقية - من السخب وهو اختلاط الأصوات وارتفاعها للخصام . ويقال أيضاً : صخب بالصاد المهملة . وفي حديث كعب في التوراة في صفة النبي ﷺ : محمد عبدي ، لبس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخوب . وفي لفظ : ولا صخب في الأسواق .

قال في « النهاية » : السخب ، والصخب : الضجة واضطراب الأصوات للخصام ، افتعال وفعول وفعال للمبالغة ، ومنه حديث خديجة ، بأن لها بيتاً في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب . انتهى . والصاد تقلب سيناً إذا أعقبها في كلمتها حرف من حروف أربع : الخاء ، أو الطاء ، أو الفين ، أو القاف ، كما هو مقرر في محاله .

قال أنس رضي الله عنه : وأقيمت الصلاة ، فمر أبو بكر رضي الله عنه

على ذلك فسمع أصواتها، أي عائشة وزينب رضي الله عنها (فجعل) النبي ﷺ (يرد بعضهم عن بعض) ليسكنهن عن الصخب والضجة (فجاء أبو بكر) رضي الله عنه (فقال) للنبي ﷺ : (احث يارسول الله في أفواههن التراب واخرج إلى الصلاة) ولفظ مسلم فقال : يارسول الله ! اخرج إلى الصلاة ، واحث في أفواههن التراب ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة : الآن يقضي النبي صلى الله عليه وسلم صلاته فيجيء أبو بكر فيفعل ويفعل ، تعني أنه يهددها ويتكلم عليها ؛ لأجل ما تكلمت به في حضرة النبي ﷺ ، فلما قضى صلاته ؛ أتى أبو بكر رضي الله عنه عائشة ، فقال لها قولاً شديداً ، وقال : أتصنعين هذا؟ أي في حضرة النبي ﷺ .

قوله : احث - هو بضم المعزة والمثلثة بينها حاء مهملة ساكنة - أمر ، من حثا يحثو حثواً ، كناية عن الخيبة والحرمان ، أو المعنى قل لمن : بأفواهكن التراب ، والعرب تستعمل هذا لمن تكره ؛ إذا فعل ما يكره فعله ، وإنما قال الصديق ذلك غيرة واحتراماً لمنصبه الشريف ﷺ ، وحماية ورعاية لعلو درجة النبوة وخامة شأنها ، وأنه لا يحسن ولا يجمل من نسائه أن يصخبن وترفع أصواتهن في حضرته الشريفة ﷺ .

قوله : في أفواههن ، جمع فاه - والفاء والقوة بالضم ، والفيه بالكسر - والفم؛ سواء ، والجمع أفواه وأفهام ؛ لأن فماً أصله فوه ، حذفت منه الهاء . كما حذفت من سنة ، وبقيت الواو طرفاً متحركة ؛ فوجب إبدالها ألفاً ؛ لانفتاح ما قبلها ؛ فبقي فاً ، ولا يكون الاسم على حرفين أحدهما التنوين ؛ فأبدل مكانها حرف مشا كل لها . وهو الميم ، لأنها شفهيان^(١) ، وفي الميم هَوِيٌّ في الفم ؛ يضارع امتداد الواو ، والقوة محركة : سعة الفم ، وبئر فوهاء : واسعة الفم ، وفاه به نطق كتفوه . والتراب فيه لغات^(٢) : تراب ، وتَوْرَاب ، وتَوْرَب ، وتَرْب ، وتربة ،
(١) في الاصل : شفهيان ، والتصويب من «القاموس» (٢) في الاصل : لغتان ، وهو خطأ .

وترياء ، وجمع التراب : أربة ، وتربان . وذكر النحاس للتراب خمسة عشر اسماً .

تفہيمات

الأول . دلّ الحديث على جواز إقامة الصلاة والامام في منزله ، إذا كان يسمعها .

قال القرطبي : ظاهر الحديث أن الصلاة كانت تقام قبل أن يخرج النبي ﷺ من بيته ، وهو معارض لحديث جابر بن سمرة : أن بلالاً كان لا يقيم حتى يخرج النبي ﷺ ، ويجمع بينهما بأن بلالاً كان يراقب خروج النبي ﷺ ، فأول ما يراه يشرع في الإقامة قبل أن يراه غالب الناس ، ثم إذا رأوه قاموا ، فلا يقوم ﷺ في مقامه حتى تعتدل صفوفهم ، وهذا الجمع لا يناسب الحديث المذكور ، إلا أن يقال : إن بلالاً رأى النبي ﷺ لما قام من حجرة عائشة رضي الله عنها ، ثم عرض له ما أشغله عن المبادرة للخروج من مقاوله نسائه ، وربما كان سبب النهي عن المبادرة لقيام المصلين في حديث أبي قتادة ، وأنهم كانوا يقومون ساعة تقام الصلاة ، ولم يخرج النبي ﷺ ؛ فنهاهم عن ذلك لاحتمال أن يقع له شغل يبطئ فيه عن الخروج فيشق عليهم انتظاره ، فقال : لا تقوموا حتى تروني ، أي خرجت ، وصرح به عبد الرزاق وغيره . وفي لفظ : حتى تروني خرجت اليكم ، وتقدم في الحديث السابع والثلاثين الإشارة الى جواز الفصل بين الإقامة والاحرام لحاجة ، والله أعلم .

الثاني : قوله في حديث أنس عند مسلم : كان للنبي ﷺ تسع نسوة ، اعلم أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة لم يكن تحته امرأة سوى سودة بنت زمعة ، ثم بنى بمائشة الصديقة أول مقدمه في الأولى . قلت : وتقدم أن الذي يظهر أنه ﷺ

تزوج أم حبيبة قبل السابعة ، وتزوج جويرة في الخامسة ، ثم تزوج أم سلمة وحفصة وزينب بنت خزيمة في الثالثة والرابعة ، ثم تزوج زينب بنت جحش في الخامسة ، ثم جويرة في الخامسة أو السادسة ، ثم صفية وأم حبيبة وميمونة في السابعة ، ولم تلبث زينب بنت خزيمة عند النبي ﷺ إلا يسيراً ، شهرين أو ثلاثة ، حتى توفيت رضي الله عنها في حياته ﷺ .

فقوله : كان للنبي ﷺ تسع نسوة ، أي عند موته ، ومات عليه الصلاة والسلام وهن في عصمته ؛ فكان يقسم ثمان ، وأما سودة فوهبت نوبتها لعائشة رضي الله عنها ؛ فكان يقسم لعائشة يومها ويوم سودة ، وكان نساؤه ﷺ حزينين : عائشة وسودة وحفصة وصفية حزن ، وأم سلمة وزينب بنت جحش وأم حبيبة وميمونة وجويرة حزن ، وكان نساؤه خمسة من قریش : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلمة . وأربع من غير قریش ، وهن : صفية بنت حبي الخيرية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرة بنت الحارث المصطلقية . والله تعالى الموفق .

الحديث السابع والخمسون

١٠٢ — ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍ نزل به ولكن ليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : لا يتمنين) نهي كراهة ، والنون للتأكيد (أحكم) معشر الأمة (الموت) لما في ذلك من الاعتراض ، ومراغمة القدر (اضر نزل به) من فاقة أو محنة بعدو ، ونحوه من آفات الدنيا ومشاقها . وأما إن خاف فتنة في دينه ؛ فلا كراهة فيه ؛ لفهوم هذا الحديث (ولكن) إن كان ولا بد متمنياً الموت فـ (لم يقل) أمر إرشاد وندب : (اللهم أحيني ما كانت الحياة) أي مدة دوام كون الحياة (خيراً لي) من الموت ، أي ما دامت الحياة متصفة بالخيرية (وتوفي) أي أمتي (إذا كانت الوفاة خيراً لي) من الحياة .

قال العراقي : لما كانت الحياة حاصلة ، وهو متصف بها ؛ حسن الاتيان بما ، ولما كانت الوفاة معدومة في حال التمني ؛ لم يحسن أن يقول : ما ، بل أتى بأذا الشرطية ، أي إذا آل الحال الى أن تكون الوفاة بهذا الوصف وتقدم هذا الحديث وشرحه في الثامن والعشرين من « مسند أنس » رضي الله عنه ، لكنه رواه الامام هناك من حديث إسماعيل بن عليّة ، عن عبد العزيز بن صهيب عنه ، والله الموفق .

الحديث الثامن والخمسون

١٠٣ — ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : كان أبو طلحة يكثر الصوم على عهد النبي ﷺ ، فلما مات النبي ﷺ كان لا يفطر إلا في سفرٍ أو مرضٍ .

قال رضي الله عنه : (ثنا بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس) رضي الله عنه (قال : كان أبو طلحة) زيد بن سهل بن الأسود الأنصاري البخاري ، وهو القائل : أنا أبو طلحة ، واسمي زيد ، وكل يوم في سلاحي صيد ، وتقدمت ترجمته في الحديث الثامن والثلاثين من حديث أنس رضي الله عنهما (يكثر الصوم على عهد النبي) أي في حياة النبي (ﷺ) لما تقدم من الإشارة إلى فضل الصيام .

وفي « الصحيحين » وغيرهما ، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة باباً يقال له : الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد » ورواه الترمذي وزاد : « ومن دخله لم يظماً أبداً » . ورواه ابن خزيمة إلا أنه قال : « فإذا دخل أحدهم أغلق ، ومن دخل شرب ، ومن شرب لم يظماً أبداً » .

وأخرج الامام أحمد والبيهقي ، من حديث جابر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « الصيام جنة يستجن بها العبد من النار » . وفي حديث سلمة ابن قيسر ، أن رسول الله ﷺ قال : « من صام يوماً ابتغاء وجه الله ، باعد الله من جهنم كبعد غراب طار وهو فرخ حتى مات هرمًا » . رواه أبو يعلى والبيهقي . ورواه الطبراني فساه سلامة بزيادة الف . ورواه الامام أحمد ، والبخاري ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي إسناده رجل لم يسم .

وفي « الصحيحين » وغيرهما ، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله تعالى ، إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً » (فلما مات النبي ﷺ كان) أبو طلحة رضي الله عنه (لا يفطر) أي سرّد الصوم بعد وفاة النبي ﷺ ، فكان لا يفطر

(إلا) أن يكون (في سفر) من غزو وغيره (أو) يكون في (مرض) لقوله تعالى «فإن كنتم مرضى أو على سفر» (١).

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «اللطائف» : وممن سرد الصوم عمر ، وأبو طلحة ، وعائشة ، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ، وخلق كثير من السلف . قال ابن الأثير في «جامع الأصول» : يقال : إن أبا طلحة رضي الله عنه سرد الصوم أربعين سنة ، ثم نظر فيه ، أي لأنه إنما عاش بعد النبي ﷺ اثنين ، أو ثلاث ، أو أربع وعشرين سنة ، كما قدمنا في ترجمته رضي الله عنه .

الحديث التاسع والخمسون

١٠٤ — ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : كان النبي ﷺ إذا كان مقيماً ، اعتكف العشر الأواخر من رمضان ، فإذا سافر اعتكف من العام المقبل عشرين . قال أبو عبد الرحمن بن الإمام أحمد : قال أبي : لم أسمع هذا الحديث إلا من ابن أبي عدي عن حميد عن أنس .

قال رضي الله عنه : (ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) ابن مالك رضي الله عنه (قال : كان النبي ﷺ إذا كان) في المدينة المنورة (مقيماً) غير مسافر لغزو أو غيره (اعتكف العشر الأواخر من) شهر (رمضان) المعظم .

(١) سورة النساء ، الآية : ٤٣ وسورة المائدة ، الآية : ٦

والاعتكاف في اللغة : لزوم الشيء ، والأقبال عليه . وفي الشرع : لزوم مسجد لطاعة الله تعالى .

قال ابن سيدة : يقال : عكف يعكف ويعكف - يعني بضم الكاف وكسر ها - عكفاً وعكوفاً ، واعتكف : لزوم المكان ، والمكوف : الإقامة في المسجد .

وإنما كان صلى الله عليه وسلم يخص العشر الاواخر من رمضان بالاعتكاف ؛ لأنه العشر الذي تطلب فيه ليلة القدر ، قطعاً لاشتغاله ، وتفريغاً لباله ، وتخلياً بمناجات ربه ، وذكره ودعائه ، وكان يحتجر حصيراً يتخلى فيها عن الناس ، فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم .

ولهذا ذهب الامام أحمد رضي الله عنه إلى أن المعتكف لا تستحب له مخالطة الناس ، ولا تعليم علم ولا إقراء قرآن ، بل الأفضل له الانفراد بنفسه ، والتخلي لمناجاة ربه وذكره ودعائه .

وهذا الاعتكاف الذي على هذا الاسلوب هو الخلوة الشرعية ، وإنما تكون في المساجد لئلا يترك به الجمع والجماعات ، فإن الخلوة القاطعة عن الجمع والجماعات منهي عنها .

وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يشهد الجمعة والجماعة . قال : هو في النار ؛ فالخلوة المشروعة لهذه الأمة هي الاعتكاف في المساجد ، خصوصاً في شهر رمضان ، خصوصاً في العشر الاواخر منه ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله ؛ فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره ، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه ، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه زلفى ؛ فما بقي له هم سوى الله وما يرضيه عنه ، كما كان داود الطائي - رحمه الله تعالى - يقول في ليله :

ثمك عطل عليّ الهموم وخالف بيني وبين السهاد ، وشوقي إلى النظر إليك
أوبق مني اللذات ، وحال بيني وبين الشهوات . وأنشد :

مالي شغل سواء مالي شغل ما يصرف عن هواه قلبي عدل
ما أصنع إن جفا وخاب الأمل مني بدل ومنه مالي بدل

فمعنى الاعتكاف وحقيقته : قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق
(فإذا سافر) ﷺ لنحو غزو في العشر الآخر من رمضان في عام (اعتكف
من العام المقبل عشرين) يوماً بلياليها ، عشرأً عن العشر من العام الماضي لكونه
لم يعتكفها ، لكونه مسافراً ، وعشرأً عن عامه الذي هو فيه .

(قال) الامام الحافظ المتقن (أبو عبد الرحمن) عبدالله (ابن الامام أحمد)
ابن حنبل رضي الله عنها ، أخذ عن أبيه سائر مؤلفاته ، وروى عن يحيى بن معين ،
وخلق . وروى عنه النسائي ، وابن صاعد ، وأبو عوانة ، والطبراني ، والقطيعي ،
وأبو بكر الشافعي ، وأبو بكر النجار ، وخلق . ولم يكتب عن أحد إلا عمن
أمره أبوه أن يكتب عنه .

قال الخطيب : كان - يعني عبد الله بن الامام أحمد - ثقة ثبتاً فهماً . ولد
رضي الله عنه سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ومات سنة تسعين ومائتين .

قال عبد الله بن الامام أحمد رضي الله عنها (قال أبي) الامام أحمد بن محمد ،
ابن حنبل رضي الله عنه : (لم أسمع هذا الحديث) يعني الذي مر آنفاً (إلا من)
محمد (ابن أبي عدي ، عن حميد) الطويل ، وهو إمام ثقة ، إلا أنه مدلس (عن أنس)
ابن مالك رضي الله عنه .

قلت : وإسناده حسن ، كما رمز اليه الجلال السيوطي ، وقاله المناوي في
« شرح الجامع الصغير » : وقد رواه الترمذي ، من حديث أنس رضي الله عنه ،
ولفظه : إن رسول الله ﷺ كان يعتكف العشر الآخر من رمضان ، فلم

يعتكف عاماً ، فلما كان من العام المقبل اعتكف عشرين . قال الترمذي حديث حسن غريب صحيح . ورواه أبو داود من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه . وأخرج الشيخان وغيرهما ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان . زاد مسلم في رواية : قال نافع : وقد أراني ابن عمر المكان الذي كان يعتكف فيه رسول الله ﷺ من المسجد ، وكذا أخرجه أبو داود .

وفي « صحيح البخاري » و « سنن أبي داود » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان يعتكف من كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين .

وقد روى البيهقي ، من حديث علي بن الحسين ، عن أبيه رضي الله عنهما مرفوعاً : « من اعتكف عشراً من رمضان كان كحجتين وعمرتين » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفاً في مسجد رسول الله ﷺ فأتاه رجل ، فسلم عليه ، ثم جلس . فقال له ابن عباس : يا فلان ! أراك مكتئباً حزيناً قال : نعم يا ابن عم رسول الله ﷺ لفلان علي حق ، ولا وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه . قال ابن عباس : أفلا أكلمه فيك ؟ قال : إن أحببت . قال : فانتعل ابن عباس ، ثم خرج من المسجد ، فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه ؟ قال : لا ، ولكني سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم — والعهد به قريب ، فدممت عيناه — وهو يقول : « من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها ، كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد ما بين الخافقين . رواه الطبراني في « الأوسط » ، والبيهقي واللفظ له ، والحاكم مختصراً ، وقال : صحيح الاسناد .

تنبيهات

الأول : الاعتكاف سنة إجماعاً ، وأقله ساعة ، فلو نذر اعتكافاً وأطلق ؛ أجزأته . ويستحب أن لا ينقص عن يوم وليلة ، ويجب بنذر إجماعاً ، ولا يختص بزمان ، وآكده في رمضان ، وآكده العشر الأخير منه إجماعاً ، وإن علقه أو غيره من التطوعات بشرط ؛ فله شرطه : نحو لله علي أن أعتكف شهر رمضان ، إن كنت مقيماً أو معافى ، فلو كان فيه مريضاً أو مسافراً ، لم يلزمه شيء .

الثاني : يصح الاعتكاف بغير صوم على معتمد مذهب الامام أحمد ، وفاقاً للشافعي ؛ لأن عمر رضي الله عنه سأل النبي ﷺ : إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة . وفي لفظ لمسلم : يوماً في المسجد الحرام قال : «أوف بنذرك» ، زاد البخاري : فاعتكف ليلة . ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما : ليس على المعتكف صيام إلا أن يجعله على نفسه . رواه الدارقطني وقال : رفعه أبو بكر السوسي ، وغيره لا يرفعه .

قال الامام الحجد : هو ثقة . فيقبل رفعه وزيادته .
قال الخطيب : دخل بغداد وحدث أحاديث مستقيمة . وأما حديث عبد الله بن بديل ، أنه ﷺ قال لعمر : اعتكف وصم ، فبديل تفرد بهذه الزيادة ، وله مناكير . ورواه أبو داود وضعفه ، وضعف زيادته أبو بكر النيسابوري ، والدارقطني ، وغيرهما .

وقال أبو حنيفة ومالك : لا يصح الاعتكاف بغير صوم ، وهو رواية عن أحمد ، فعلى هذا لا يصح الاعتكاف ليلة مفردة ، ومعتمد المذهب يصح .
ويصح الاعتكاف أيضاً في أيام النهي التي لا يصح صومها . وعند أبي حنيفة

ومالك : لا يصح اعتكافها نذراً أو نفلاً ، ولا يشترط أن يصوم للاعتكاف ما لم ينذر له الصوم ، فمن نذر أن يعتكف صائماً ، أو يصوم معتكفاً ، أو باعتكاف أو يعتكف بصوم ؛ لزمه .

الثالث : يشترط لصحة الاعتكاف ستة شروط : النية ، والاسلام ، والعقل ، والتميز ، وعدم ما يوجب الغسل ، وكونه بمسجد .

ويزاد في حق من تلزمه الجماعة : أن يكون المسجد مما تقام فيه (١) .

ويبطل الاعتكاف : بالخروج من المسجد بلا عذر ، وبالوطء في الفرج ، وبالنزال بالمباشرة دون الفرج ، وبالردة ، وبالسكر .

وكذا يبطل الاعتكاف بنية الخروج منه ، أي بأن ينوي إبطاله وإن لم يخرج منه ، إلحاقاً له بالصلاة ، والصيام .

وتوهم الشيخ مرعي في « غايته » و « دليله » ، فظن أن المراد بالخروج من المسجد ، وليس كذلك ، فإن من نوى الخروج من المسجد ، لم يبطل الاعتكاف حتى يخرج ؛ لأنه فرق بين أن ينوي إبطال العادة أو ينوي فعلها مبطلاً لها ، فإن نوى إبطالها بطلت في الحال ، وإن نوى فعل مبطل لم تبطل حتى يفعله ، كما بين ذلك في « الاقتاع » وغيره بياناً شافياً لا يحتمل التأويل ، والله تعالى الموفق .

الرابع : دل الحديث على أن السنن تقضى إذا فاتت ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم قضى الاعتكاف الذي فاته من السنة الماضية في السنة المقبلة ، وفيه تحريري الزمان الفاضل ؛ لأنه كان يمكنه الاعتكاف في غير رمضان ، فأخر القضاء إليه لمزنيته على غيره ، وبالله التوفيق .

(١) أي الجماعة .

الحديث الستون

١٠٥ — ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :
مرَّ النبي ﷺ في نفرٍ من أصحابه وصبي في الطريق ؛ فلما
رأت أمه القوم ، خشيت على ولدها أن يوطأ ، فأقبلت تسعى
وتقول : ابني ! ابني ! وسعت فأخذته . فقال القوم : يا رسول
الله ! ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار . قال : فخفضهم النبي
صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا والله لا يلقي حبيبه في النار .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل
(عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : مرَّ النبي ﷺ في نفرٍ من أصحابه)
قال في « القاموس » : النفر : الناس كلهم ، وما دون العشرة من الرجال ،
والجمع : أنفار .

وفي « النهاية » في حديث أبي ذر رضي الله عنه : لو كان ههنا أحد من
أنفارنا ، أي من قومنا ، جمع نفر ، وهم رهط الانسان وعشيرته . قال : وهو
اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ، ما بين الثلاثة الى العشرة ، ولا واحد
له من لفظه (وصي) الواو للحال ، والصبي من لم يفطم بعد ، كما في « القاموس » .
ويجمع على صبوة وصبية ، والواو القياس ، وإن كانت الياء أكثر استعمالاً ، كما
في « النهاية » ، (في الطريق) وجمعه أطرقة ، كـرغيف وأرغفة . هذا على
التذكير ، فإن الطريق يذكر ويؤنث ، وجمعه على التأنيث أطرق ، كيميـن

وأعمن (فلما رأت أمه) أي أم الصبي (القوم) وهم النفر الذين مع النبي ﷺ من أصحابه رضي الله عنهم . والقوم في الأصل : مصدر قام ، ثم غلب على الرجال دون النساء ، سموا بذلك ، لأنهم قوامون على النساء بالأمور التي ليس للنساء أن يقمن بها ، كذا في « النهاية » .

وفي « القاموس » : القوم : الجماعة من الرجال والنساء معاً ، أو الرجال خاصة ، أو يدخله النساء على التبعية ، ويؤنث ، والجمع : أقوام ، وجمع الجمع : أقاوم ، وأقاويم ، وأقايم (خشيت) أي خافت (على ولدها أن يوطأ) من وطئ . بكسر الطاء المهمله مهموزاً ، أي أن تداس . يقال : وطئه يطؤه ، داسه ، كوطاه وتوطأه .

قال في « النهاية » : الوطاء في الأصل : الدوس بالقدم (فأقبلت) المرأة نحو ابنها (تسعى) من سعی - كرمى - يسعى سعيماً ، أي قصد وعمد ومشى وعدا ، وهذا المراد هنا ، يعني أن أم الصبي أقبلت تعدو نحو ابنها (وتقول) في حال سعيها : (ابني ! ابني !) ، تكرر هذا اللفظ ، يصح أن يكون مرفوعاً على أنه مبتدأ خبره محذوف ، أو خبر مبتدأ محذوف ، أي ابني هذا ، أو هذا ابني . ويصح أن يكون منصوباً ، أي اتقوا ابني ، أو انظروا ونحوه ، أو على الاغراء والخطاب لنفسها ، أي ابني يا نفس . (وسعت) أي مشت وعدت مسرعة (فأخذته) من طريق القوم ، ولم تدعه يوطأ ويداس بأقدامهم ، أو بدوابهم إن كان معهم وقتئذ دواب (فقال القوم) من أصحاب رسول الله ﷺ : (يا رسول الله ؟) والله (ما كانت هذه) المرأة (لتأتي) - اللام لام التعليل - أي لترمي (ابنها في النار) وقد رأينا حرصها وسعيها نحوه ؛ مجتهدة على استنقاذه مما هو أقل وأحق من ذلك ، وهو خوف أن يوطأ بالأقدام فيتأذى ، فبادرت تعدو حتى أخذته ، ونجته عما تخشى عليه من الأذية منه .

(قال) أنس رضي الله عنه : (خففهم النبي ﷺ) أي لين الأمر عليهم وسهله ، ومنه خفف القبول يافلات ، أي لينه وسهله ، وخفف الأمر ، أي هوته (فقال) ﷺ : (ولا والله) - سبحانه وتعالى الجواد الكريم - يفعل ذلك ، فإنه من رحمته وكرمه (لا يلقي) أي يرمي ويكب (حبيبه) وهو عبده المؤمن (في النار) .

وروى هذا الحديث أبو يعلى ، والزار بسند صحيح ، ومحبة الله تعالى لعباده صفة من صفاته ، كالغضب والرضى والرحمة ، ونحو ذلك ، وهذا قول أئمة السلف ، وعلماء الأمة ، وهي من المتشابه عند قوم . قال تعالى : « يحبهم ويحبونه » (١) وقال : « وألقيت عليك محبة مني » (٢)

وقال جمهور المتكلمين والمعتزلة : المحبة : ميل القلب الى ما يلائم الطبع ، والله منزّه عن ذلك ، وإنما يراد منها غايتها ، وهي إرادة اللطف بالعبد والاحسان اليه ، ومحبة العبد لله : هي محبة طاعته ، وخدمته ، أو يحب ثوابه وإحسانه . قال العلامة الطوفي من محققي علمائنا : ذهب طوائف من المتكلمين والفقهاء الى أن الله تعالى لا يحب ، وإنما محبته محبة طاعته وعبادته . وقالوا : هو أيضاً لا يحب عباده ، وإنما محبته إرادته الاحسان اليهم . قال : والذي دل عليه الكتاب والسنة ، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ، وجميع مشايخ الطريق : أن الله تعالى يحب ويحب لذاته ، وأما حب ثوابه فدرجة نازلة . قال : وأول من أنكر المحبة في الاسلام ، الجعد بن درهم ، أستاذ الجهم بن صفوان ، فضحى به خالد بن عبد الله القسري ، فقال : أيها الناس ! ضحوا تقبّل الله ضحاياكم ؛ فإني مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، ثم نزل فذبجه برضى علماء الاسلام .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٤

(٢) سورة طه ، الآية ٣٩

قال : وهؤلاء الذين ينكرون حقيقة محبة الرب ؛ ينكرون التلذذ بالنظر اليه ، ولهذا ظن كثير من المتفقهة والمتصوفة والمتكلمة أن الجنة ليست إلا التمتع بالخلق من الأكل والشرب واللباس والنكاح ، وسماع الأصوات الطيبة ، وشم الروائح الطيبة ، لا نعيم عندهم في الجنة غير ذلك ، ثم من هؤلاء من أنكر أن يكون المؤمنون يرون ربهم في الجنة ، كالجهمية والمعتزلة ، ومنهم من أقر بالرؤية ، إما بالرؤية التي أخبر بها النبي ﷺ ، كأهل السنة والجماعة ، وإما برؤية هي زيادة كشف أو علم ، أو بحاسة سادسة ، ونحو ذلك من الأقوال .

وأحباب الله عز وجل : أهل طاعته من عباده .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، واثني سألتني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذته .

وروى نحوه الامام أحمد ، من حديث عائشة ، والطبراني من حديثها ، وحديث أبي أمامة ، فدل هذا الحديث أنه لا طريق يوصل إلى التقرب إلى الله وولايته ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسول الله ﷺ ، من أداء الفرائض ، واجتناب المحارم ، والاهتمام بنوافل العبادات الموصلة لمحبة الله تعالى ؛ فمن أحبه الله سبحانه ؛ رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته .

وروى إبراهيم بن الجنيد في كتاب « المحبة » بإسناده عن أبي الزاهدية قال : كان داود عليه السلام يقول : اللهم اجعلني من أحبائك ؛ فانك إذا أحببت عبداً غفرت ذنبه وإن كان عظيماً ، وقبلت عمله وإن كان يسيراً .

وروى الترمذي وحسنه ، والحاكم ، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : كان من دعاء داود عليه السلام : اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك ، والعمل الذي ييلقي حبك ، اللهم اجعل حبك أحب إليّ من نفسي وأهلي ، ومن الماء البارد . قال : كان داود أعبد البشر .

وروى الترمذي وحسنه ، من حديث عبد الله الخطمي الانصاري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه : اللهم ارزقني حبك ، وحب من ينفعني حبه عندك ، اللهم مارزقني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب ، اللهم وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب .

وروي ابن أبي الدنيا وغيره ، من رواية أبي بكر بن أبي مريم ، عن الهيثم بن مالك الطائفي ، أن النبي ﷺ كان يدعو : اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إليّ ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي ، واقطع عني حاجات الدنيا بالاشوق الى لقاءك ، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فاقدر عيني من عبادتك ، وهذا مرسل .

قال بعض السلف : العمل على الخافة قد يغيره الرجاء ، والعمل على المحبة لا يدخله الفتور . وقال فرقد السنجي رحمه الله تعالى : قرأت في بعض الكتب : من أحب الله لم يكن عنده شيء آثر من هواه ، ومن أحب الدنيا لم يكن عنده شيء آثر من هوى نفسه ، والمحبة لله تعالى أمير مؤمر على الأمراء ، زمرة أول الزمر يوم القيامة ، ومجلسه أقرب المجالس فيما هنالك ، والمحبة منتهى القربة والاجتهاد ، ولن يسأم المحبون من طول اجتهادهم لله عز وجل ، يحبونه ويحبون ذكره ، ويحبونه الى خلقه ، يمشون بين عبادته بالنصائح ، ويخافون عليهم من أعمالهم يوم تبدو الفضائح ، أو أئام أولياء الله وأحباؤه ، وأهل صفوته ، أو أئام الذين لا راحة لهم دون لقاءه .

وروى ابراهيم ابن الجنيد في كتاب « المحبة » بإسناده عن صالح بن مسبار قال : بلغنا أن الله عز وجل أرسل الى سليمان بن داود عليه السلام بعد موت داود ملكاً من الملائكة ، فقال له الملك : إن ربي جل وعز أرسلني اليك لتسأله حاجة . قال سليمان بن داود عليه السلام : فاني أسأل ربي أن يجعل قلبي يحبه . كما كان قلب أبي داود يحبه ، وأسأل الله تعالى أن يجعل قلبي يخشاه ، كما كان قلب أبي داود يخشاه . فقال الرب تبارك وتعالى : أرسلت الى عبدي ليسألي حاجة ، فكانت حاجته إليّ أن أجعل قلبه يحبني ، وأجعل قلبه يخشاني ، وعزتي لا كرمته ، فوهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، ثم قال : « هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » (١) .

لطيفة : ذكر العلامة ابن خلكان في « تاريخه وفيات الاعيان » في ترجمة ابي الفضل الربيع بن يونس ، صاحب أبي جعفر المنصور ، ثاني خلفاء بني العباس ، وكان الربيع وزيره ، وكان المنصور كثير الميل اليه ، حسن الاعتماد عليه . فقال يوماً المنصور للربيع المذكور : سل حاجتك . قال : حاجتي أن تحب الفضل ابني ، فقال له : ويحك إن المحبة تقع بأسباب . فقال له : قد أمكنك الله من إيقاع تسبيها . قال : وما ذاك ؟ قال : تفضل عليه ، فانك إذا فعلت ذلك أحبك ، وإذا أحبك أحبته . قال : قد والله حببته إليّ قبل إيقاع السبب ، ولكن كيف اخترت له المحبة دون كل شيء . قال : لأنك إذا أحبته كبر عندك صغير إحسانه ، وصغر عندك كبير إساءته ، وكانت ذنوبه كذنوب الصبيان ، وحاجته اليك حاجة الشفيع العريان .

أشار بذلك الى قول الفرزدق :

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرأ
مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

(١) سورة ص ، الاية : ٣٩

وهذا البيت من جملة أبيات في عبيد الله بن الزبير رضي الله عنها في أيام ولايته على الحجاز والعراق .

وكان الفرزدق قد اختصم هو وزوجته النّوار ، فمضيا من البصرة إلى مكة ليفصل الحكم بينهما عبد الله بن الزبير رضي الله عنها ، فنزل الفرزدق عند حمزة ابن عبد الله ، ونزلت النّوار عند زوجة عبد الله ، وشفع كل واحد لنزله ، فقضى عبد الله للنّوار ، وترك الفرزدق . فقال الأبيات المذكورة ، فصار الشفيع العريان مثلاً يضرب لكل من تقبل شفاعته ، والله تعالى الموفق .

وفي الحديث دليل على سعة رحمة الله عز وجل . وقال تعالى : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً » (١) . وقال تعالى : « نبيء غبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم » (٢) . وبما ينبغي أن يعلم أن الله تعالى أرحم بعباده من الأم الشفوقة على ولدها .

وفي « الصحيحين » وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، فأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة ، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار .

وفي « الصحيحين » من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : قدم على رسول الله ﷺ سبي ، فاذا امرأة من السبي تبتغي ، إذ وجدت صبياً من السبي أخذته وألصقته ببطنها وأرضعته . فقال رسول الله ﷺ : « أنرون هذه

(١) سورة الزمر ، الآية : ٥٣

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٩٤

المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا والله، وهي تقدر على أن لا تطرحه .
فقال رسول الله ﷺ: «الله أرحم بعبده من هذه بولدها» .

وأخرج السبزار بسند صحيح، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن
النبي ﷺ كان في بعض مغازيه، فبينما هم يسرون، إذ أخذوا فرخ طائر،
فأقبل أحد أبويه حتى سقط في أيدي الذين أخذوا الفرخ . فقال رسول الله ﷺ:
«ألا تعجبون إلى هذا الطائر أخذ فرخه، فأقبل حتى سقط في أيديهم . فوالله
لله أرحم بخلقه من هذا الطير بفرخه» . ورواه محمد بن عمر الواقدي، وأبو نعيم
من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وفيه: «أتعجبون من هذا الطائر
أخذتم فرخه، فطرح نفسه رحمة لفرخه، والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر
بفرخه» . وعيننا الغزوة ذات الرقاع .

وفي «سنن أبي داود» في أوائل كتاب الجنائز، من حديث عامر
الرام أخى الخضر — بفتح الخاء وإسكان الضاد المعجمتين فراء — في الأسماء
قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل عليه كساء، وفي يده شيء
قد التف عليه . فقال: يا رسول الله! إني لما رأيته أقبلت فمررت بغيشة شجر،
فسمعت فيها أصوات فراخ طائر، فأخذتهن فوضعتن في كسائي، فجاءت أمهن
فاستدارت على رأسي، فكشفت لها عنهن، فوقعت عليهن معهن^(١)، فلفقتهن بكسائي فهن
أولاء معي^(٢) . فقال: ضعهن^(٣) عنك، فوضعتن، فأبت أمهن إلا لزومهن، فقال رسول
الله ﷺ: «أتعجبون لرحمة أم هؤلاء عليهن؟ قالوا: نعم يا رسول الله . فقال:
فوالذي بعثني بالحق، لله أرحم بعباده من أم الفراخ بفراخها، لارجع بهن حتى
تضعهن من حيث أخذتهن وأمن معهن» . فرجع بهن .

وروى أبو داود الطيالسي، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن ابن
مسعود رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في سفر، فدخل رجل

(١) في الاصل: فليث معهن، والتصحيح من «سنن أبي داود» .

(٢) » : أولاني ، » » » »

(٣) » : دعهن ، » » » »

غبيضة ، فأخرج منها بيض حمرة (١) فجاءت الجمرة ترف على رسول الله ﷺ وأصحابه . فقال رسول الله ﷺ : « أيكم فجع هذه ؟ فقال رجل : أنا يا رسول الله أخذت بيضها . وفي روايه الحاكم : فرخها . فقال رسول الله ﷺ : « رده رده رحمة لها » .

قال بعض العلماء : والحكمة في الأمر برد الفرخ ، أنه يحتمل أنهم كانوا محرمين ، أو لأنها لما استجارت به ﷺ أجارها ؛ فكان الارسال في هذه الحالة واجباً ، وإلا فقد منع الفقهاء إعتاق الطيور .

وقال ابن عقيل : لا يجوز أعتقتك في حيوان ما كول ؛ لأنه فعل الجاهلية . وفي « الفروع » : وتبعه في « الاقناع » .

وإذا أرسل صيداً أو قال : أعتقتك ؛ لم يزل ملكه عنه . وفي « حياة الحيوان » ، الدميري من الشافعية : لا يجوز عتقها ، يعني الطيور على الأصح . وقيل : يجوز ؛ لما روى الحافظ أبو نعيم ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أنه كان يشتري العصافير ويرسلها .

قال ابن الصلاح : والخلاف فيما يملك بالاصطياد ، وأما البهائم الانسية فاعتاقها من قبيل السوائب الجاهلية ، وذلك باطل قطعاً . انتهى .
والغبيضة - بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة تحت وفتح الصاد المعجمة جمعها غياض : الشجر الملتف .

وفي « صحيح مسلم » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « إن لله مائة رحمة ، قسم منها رحمة في دار الدنيا ، فمن ثم يعطف الرجل على ولده ، والطير على فراخه ، فإذا كان يوم القيامة صيرها مائة رحمة فعاد بها على الخلق .

(١) الجمرة : نوع من أنواع الطيور .

قال أيوب السخيتاني : إن رحمة الله ما هو أكثر من ذلك إن شاء الله ،
إن لله مائة رحمة ، واحدة بين الجن والانس والبهايم والحوام ؛ فيها يتعاطفون ،
وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحش على ولدها ، وأخر تسعاً وتسعين رحمة
يرحم بها عباده يوم القيامة .

وكذا رواه البخاري أيضاً بلفظ : « جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك
عنده تسعة وتسعين ، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم
الخلائق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن يصيبه » .

وأخرج مسلم من حديث سلمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة ، كل رحمة طباق ما بين
السما إلى الأرض ، فجعل منها في الأرض رحمة ، فيها تعطف الوالدة على ولدها ،
والوحش والطير بعضها على بعض ، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة » .
وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : إذا فرغ الله من القضاء بين
خلقه ، أخرج كتاباً من تحت العرش : إن رحمتي سبقت غضبي ، وأنا أرحم
الراحمين . قال : فيخرج من النار مثل أهل الجنة . قال : وأكثر ظني أنه قال :
منلي أهل الجنة ، مكتوب بين أعينهم عتقاء الله . رواه أبو القاسم .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن
النبي ﷺ قال : فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، ولم يبق
إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا
حمماً ، فيلقمهم في نهر في أفواه الجنة يقال له : نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في
حميل السيل ، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ، ما تكون إلى الشمس
أصفر وأخضر ، وما يكون منها إلى الظل تكون أبيض . قال : فيخرجون

كَاللَّوْلُؤِ، فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمَ ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، هَؤُلَاءِ عِتْقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أُدْخِلَهُمُ
الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرَ قَدَمُوهُ ... الْحَدِيثُ .

وَفِي « مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَد » ، وَالْبَزَارِ ، وَأَبِي يَعْلَى ، وَابْنِ حِبَّانَ فِي
« صَحِيحِهِ » وَهُوَ حَدِيثٌ عَظِيمٌ شَرِيفٌ ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ
عَلَيْهِ ، فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ ، ثُمَّ يَقُولُ : ادْعُوا الصِّدِّيقِينَ فَيُشْفَعُونَ ، ثُمَّ يَقَالُ :
ادْعُوا الْأَنْبِيَاءَ ، فَيُجِيبُ النَّبِيُّ مَعَهُ الْعَصَابَةُ ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الْخُمْسَةُ وَالسَّتَّةُ ، وَالنَّبِيُّ
لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ يَقَالُ : ادْعُوا الشُّهَدَاءَ ، فَيُشْفَعُونَ فَيَمْنُ أَرَادُوا ، فَإِذَا فَعَلْتَ
الشُّهَدَاءَ ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : أَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، ادْخُلُوا جَنَّتِي مِنْ كَانَ
لَا يَشْرِكُ بِي شَيْئًا ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ... الْحَدِيثُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

الْحَدِيثُ الْحَادِي وَالسُّتُونَ

١٠٦ - ثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِي ، عَنْ حَمِيدٍ ، قَالَ : سُئِلَ
أَنْسٌ : هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْفَعُ يَدَيْهِ ؟ فَقَالَ : قِيلَ لَهُ يَوْمَ
الْجُمُعَةِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَطَطَ الْمَطَرُ ، وَأَجْدَبَتِ الْأَرْضُ ، وَهَلَكَ
الْمَالُ . قَالَ : فَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِيهِ ، فَاسْتَسْقَى ؛
وَلَقَدْ رَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ سَحَابَةً ، فَمَا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ
حَتَّى إِنَّ قَرِيبَ الدَّارِ الشَّابَّ لِيَهْمُهُ الرُّجُوعُ إِلَى أَهْلِهِ . قَالَ : فَلَمَّا
كَانَتِ الْجُمُعَةُ الَّتِي تَلِيهَا ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ ،

واحتبست الركبان . فتبسم رسول الله ﷺ من سرعة ملالة
ابن آدم . فقال رسول الله ﷺ : اللهم حوالينا ولا علينا ،
فتكشطت عن المدينة .

قال رضي الله عنه (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (قال :
سئل) بضم السين المهملة وكسر الهمزة مبنياً للمجهول (أنس) هو ابن مالك
رضي الله عنه (هل كان رسول الله ﷺ يرفع يديه ؟) تثنية يد أصلها يدي ، ولم
تبن مع كونها على حرفين ؛ لأن الحرف الثالث يعود إليها في التثنية والجمع ،
كقول الشاعر :

يديان بيضاوان عند محرق

وكما في الحديث .

وقوله تعالى : « غلت أيديهم »^(١) « وأيديكم الى المرافق »^(٢) .

واليد حقيقة في اليد الى المنكب ، ثم تستعمل في غير ذلك بقرينة ؛ ففي
الوضوء خرج ما فوق المرفق بقوله تعالى : « الى المرافق »^(٢) .
وفي القطع في السرقة الى الكوع ، بقرينة قطعه ﷺ ، والمراد هنا رفع
اليدين من أصلها على الحقيقة مع بسط الكفين في الدعاء .

(فقال) أنس رضي الله عنه : (قيل) بالبناء للمجهول (له) أي النبي
صلى الله عليه وسلم .

وفي « المسند » و « الصحيحين » و « السنن » من حديث أنس رضي الله

(١) سورة المائدة ، الآية : ٦٤

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٦

عنه أن رجلاً دخل المسجد (يوم الجمعة) من باب كان نحو دار القضاء ، وكان رسول الله ﷺ قائماً ، أي يخطب على منبره .

قال في « المطالع » : دار القضاء : هي دار مروان بالمدينة ، كانت لعمر فبيعت في قضاء دينه بعد موته . قال : وغلط بعضهم في تفسيرها ، فقال : هي دار الامارة ، قال ابن قرقول : وهذا محتمل ، لأنها صارت لأهل المدينة . انتهى .

والرجل الداخل للمسجد ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب خطبة الجمعة ، هو مرة بن كعب . وذكر بعضهم أنه العباس ، وهو منكر مردود ؛ لما في بعض روايات « الصحيحين » وغيرها : جاء أعرابي . وفي بعضها أتى رجل أعرابي من أهل البدو ، والعباس لا يقال فيه ذلك ، ويبعد تعدد القضية ، على أن في بعض طرق البخاري : فقام الناس فصاحوا : يا رسول الله ! ... الحديث ويمكن الجمع بأن الرجل ابتداءً أولاً بالسؤال ، ثم تابعه الناس .

وفي « شرح البخاري » لابن التين : فقام الناس ، إن كان محفوظاً فقد تكلم الرجل ، ثم صاحوا . ويحتمل أن يعني بالناس الرجل ؛ لأنه متكلم عنهم وهم حضور ، أو لعلمهم صاحوا وتكلم عنهم . انتهى .

وفي « الصحيحين » وغيرها : أن الرجل استقبل رسول الله ﷺ قائماً ، ثم قال : (يا رسول الله قحط المطر) .

قال في « النهاية » : قحط المطر ، وقحط إذا احتبس وانقطع ، وأقحط الناس إذا لم يعطروا .

وقال في « المطالع » : قحط المطر - بفتح الحاء المهملة وكسر هاء - إذا احتبس ، عن الجوهرى . ويقال : قحط الناس - بضم القاف وفتحها - وأقحطوا - بضم الهمزة وفتحها - حكى الأربع أبو عثمان في أفعاله . انتهى .

وفي « القاموس » : القحط الضرب الشديد واحتباس المطر ، قحط العام ،

كمنع وفرح ، ثم قال : وقحطوا وأقحطوا بضمهما قليلتان . والمطر ماء السحاب ، والجمع أمطار .

(وأجذبت الأرض) - بالدال المهملة - أي أصابها الجذب ، وهو ضد الخصب .

قال في « القاموس » : الجذب : المحل . قال في « المطلع » : يقال أجذبت الأرض ، وجذبت - بفتح الدال المهملة وضمها وكسر ها ، أربع لغات ، وكلها بالدال المهملة - إذا أصابها الجذب .

قال الجوهري : وهو تقيض الخصب . وفي « المطالع » : أجذبها جذبة - أي بكسر الدال المهملة ، وجذبة بسكونها أيضاً - لا نبات فيها ، والأرض مؤنثة ، اسم جنس أو جمع بلا واحد ، ولم يسمع أرضة ، والجمع أرضات ، وأروض وأرضون ، وأراض كما في « القاموس » .

(وهلك المال) وفي لفظ في « الصحيحين » وغيرها : هلكت الاموال ، أي الحيوانية والنباتية من الجذب الناشئ عن عدم - أو قلة - المطر .

قال في « القاموس » : هلك - كضرب ومنع وعلم - هلكاً بالضم ، وهلاكاً بالفتح ، وتهلوكا وهلوكا بضمهما ، ومهلكة وتهلكة مثلثتي اللام . مات .

وأصل المال : ما ملكته من كل شيء ، والجمع أموال . وفي رواية : قال : يارسول الله ! هلكت الاموال ، وانقطعت السبل جمع سبيل ، أي الطرق ، فادع الله يغيننا كما في « الصحيحين » وغيرها .

(قال) أنس رضي الله عنه : (فرفع) رسول الله ﷺ (يديه) وبالع في رفعها (حتى رأيت بياض إبطيه) تثنية لإبط ، وهو باطن المنكب ، بفتح الهمزة وكسر ها ، وقد يؤنث كما في « القاموس » والجمع آباط (فاستسقى) رسول الله ﷺ ، استفعال من السقيا .

قال القاضي عياض : الاستسقاء : الدعاء بطلب السقيا ، فكأنه قال : دعا الله تعالى بطلب المطر .

قال أنس رضي الله عنه : (ولقد) الواو للقسم ، واللام في جوابه ، فكأنه قال : والله لقد (رفع) رسول الله ﷺ (يديه) لطلب السقيا (وما نرى في السماء سحابة) الواو للحال ، والجملة حالية ، والسحابة : الغيم ، والجمع سحاب . وسحب وسحائب .

قال أنس رضي الله عنه : (فما قضينا) أي أدبنا (الصلاة) أي صلاة الجمعة ، أي ما أتممتها وأنهيناها (حتى) أي إلى أن صار من المطر بدعاء النبي ﷺ إلى حالة هو (أن قريب الدار) من الرجال ، فضلا عن بعيدها (الشاب) فضلا عن الكهل أو الشيخ (ليهمه) أي يصعب عليه ويحزنه ويمجزه (الرجوع) أي الانقلاب (إلى أهله) من شدة المطر .

وفي الصحيحين ، وغيرهما : أنه ﷺ قال بمدر رفع يديه : اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا - بالهمز - من الاغاثة ويقال فيه : غاثه يغثه ، وهو قليل ، وإنما هو من الغيث لا الاغاثة . ومنه الحديث : فادع الله يغثنا - بفتح الياء - يقال : غاث الله البلاد يغثها ، إذا أرسل عليها المطر .

قال أنس رضي الله عنه : فلا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة^(١) وما بيننا وبين سلع^(٢) من دار ولا بيت - قال : - فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء ، انتشرت ثم أمطرت . قال : فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً .

فدل الحديث على استحباب رفع اليدين في دعاء الاستسقاء ، فمن الناس

(١) القزعة : قطع من السحاب . واحده : قزعة .

(٢) سلع : جبل في المدينة .

من خض رفع اليدين بذلك ، وتركوا رفع اليدين في سائر الأدعية ، ومنهم من عداه إلى كل دعاء ، ومنهم من فرق بين دعاء الرغبة ودعاء الزهبة ، فقال : في دعاء الرغبة يجعل باطن كفيه إلى السماء ، وظاهرهما إلى الأرض ، وفي دعاء الزهبة بالعكس . قالوا : الراغب كالمستطعم ، والراهب كالمستجير .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : والصحيح الرفع مطلقاً ، فقد تواتر في « الصحاح » : أن الطفيل قال : يا رسول الله ! إن دوساً قد عصت وأبت فادع عليهم ، فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم اهد دوساً وأت بهم .

وفي « الصحيح » أنه عليه السلام لما دعا لأبي عامر ، رفع يديه . وفي حديث عائشة رضي الله عنها لما دعا النبي ﷺ لأهل البقيع رفع يديه ثلاث مرات . رواه مسلم . وفيه : أنه صلى الله عليه وسلم رفع يديه فقال : أمتي أمتي . وفي آخره : قال الله تعالى : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك . وفي قصة بدر : لما رأى المشركين صلى الله عليه وسلم مد يديه وجعل يهتف بربه ، فما زال يهتف بربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه . وفي حديث قيس بن سعد رضي الله عنهما : فرفع يديه ﷺ وهو يقول : « اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة » وبعث جيشاً فيه علي رضي الله عنه ، فرفع يديه وقال : « اللهم لا تميتني حتى تربني علياً » وفي حديث القنوت : رفع يديه . وأما حديث أنس رضي الله عنه : كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه ؛ إلا في الاستسقاء ، متفق عليه .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : والجمع بين حديث أنس هذا وسائر الأحاديث ما قاله طوائف من العلماء ، وهو أن أنساً ذكر الرفع الشديد الذي يرى فيه بياض إبطيه ، وينحني فيه بدنه ، وهذا الذي سمعاه ابن عباس الابتهاال ، فجعل المراتب ثلاثة : الإشارة بأصبع واحدة ، كما كان يفعل يوم الجمعة

على المنبر : والثانية : المسألة ، وهو أن يجعل يديه حذو منكبيه ، كما في أكثر الأحاديث . والثالث : الابتهاال ، وهو الذي ذكره أنس ، ولهذا قال : كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه ، وهذا الرفع إذا اشتد كان بطون يديه مما يلي وجهه والأرض ، وظهورها مما يلي السماء ، ويؤيد هذا التأويل ما روى أبو داود في مراسيله ، من حديث أبي أيوب سليمان بن موسى الدمشقي رحمه الله قال : لم يحفظ من رسول الله ﷺ ؛ أنه رفع يديه الرفع كله ، إلا في ثلاثة مواطن : الاستسقاء ، والاستنصار ، وعشية عرفة ، ثم كان بعد رفعاً دون رفع .

قال : وقد يكون أنس أراد بالرفع على المنبر يوم الجمعة ، كما في « مسلم » وغيره : أنه كان لا يزيد على أن يرفع أصبعه المسمحة . قال : وفي هذه المسألة قولان ، هما وجهان في مذهب الإمام أحمد ، يعني في رفع الخطيب يديه . قيل : يستحب ، قاله ابن عقيل . وقيل : لا بل يكره . قال : وهو أصح . قال إسحاق : هو بدعة للخطاطب ، إنما كان النبي ﷺ يشير بأصبعه إذا دعا .

قال في « الاقتناع » : ويكره للإمام رفع يديه حال الدعاء في الخطبة . قال المجد : هو بدعة ، وفاقاً للمالكية والشافعية وغيرهم ، ولا بأس بأن يشير بأصبعه فيه ، ورأى عمار بن ربيعة بشر بن مروان ؛ رفع يديه في الخطبة فقال : قبَّح الله هاتين اليدين ، لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا ، وأشار بأصبعه المسمحة . رواه الإمام أحمد ومسلم .

وفي حديث الإمام أحمد : لما أتت الله هاتين اليدين ، فلمل أنساً أراد نفي رفع اليدين في الخطبة على المنبر ؛ لأن عبد الملك كان قد أحدث ذلك ، وأنس رضي الله عنه أدرك هذا العصر ، وقد أنكر على عبد الملك عصف بن الحارث ؛ فيكون أنس رضي الله عنه أخبر بالسنة التي أخبر بها غيره ، من أن النبي ﷺ

لم يكن يرفع يديه ، يعني على المنبر ، إلا في الاستسقاء ، وهذا يشهر بأن الاستسقاء مخصوص بمزيد الرفع ، وهو الابتهاال ، كما تقدم آنفاً . وحينئذ يزول الاختلاف من بين الأحاديث ، والله الحمد .

وقال العلامة أبو بكر بن داود في أدلة أوراد والده ، وهو من علمائنا : قد ذم الله تعالى قوماً بقوله : « ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم » (١) .

قال بعض المفسرين : يقبضون أيديهم . أي لا يمدونها إلينا في السؤال . وروى الحاكم في « المستدرک » من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً : رفع الأيدي من الاستسقاء التي قال الله تعالى : « فما استكانوا لرهبهم وما يتضرعون » (٢) . وروى الحاكم أيضاً وغيره ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « إن الله رحيم كريم ، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه ؛ ثم لا يضع فيهما خيراً » قال الحاكم ؛ صحيح الإسناد .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا رفع يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه .

وفي « سنن أبي داود » وابن ماجه والحاكم ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا سألكم الله فسلوه ببطون أكمكم ، ولا تسألوه بظهورها ، وامسحوا بها وجوهكم » .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية طيب الله ثراه : المطلوب في رفع اليدين أن تكون بطونهما إلى الأعلى . وقال : من ظن أنه ﷺ قصد توجيه ظهر يديه إلى السماء ؛ فقد أخطأ ، فانه قال ﷺ : « إذا سألكم الله فسلوه ببطون أكمكم » ... الحديث . وأما حديث أنس رضي الله عنه : إنما هو لشدة الرفع انحنت يده ،

(١) سورة التوبة ، الآية : ٦٧

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ٨٦

فصار كفه مما يلي السماء لشدة الرفع ، لا قصداً لذلك ، كما جاء ؛ أنه رفعها
حذاء وجهه .

وفي الحديث عن أنس أيضاً : أنه رآه صلى الله عليه وسلم يدعو بباطن كفيه وظاهرهما ،
كما بينت ذلك في « شرح العمدة » .

قال العلماء : إنما شرع رفع اليدين في الدعاء لزيادة التذلل ؛ فيجتمع
للإنسان أحوال الضراعة في مقام العبودية ، وأيضاً فإن العبد ربما عجز عن إيقاظ
قلبه من الغفلة ، وله قدرة على حركة اليد واللسان فيهما ؛ فكان ذلك وسيلة إلى
خشوع القلب . وقد قالوا : حركات الظواهر توجب بركات السرائر ، وهو نظير رفع
السبابة في تشهد الصلاة ، فيوحد الجنان^(١) ، ويترجم اللسان ، وتزكيه الأركان .
(قال) أنس رضي الله عنه : (فلما كانت الجمعة التي تليها) بعد ما مكثت
سبباً تمطر .

وفي بعض طرق « البخاري » ، قال أنس : وما خرجنا من المسجد حتى
مطرنا ، فما زلنا نمطر حتى كانت الجمعة الأخرى . وفي لفظ : لم نزل نمطر إلى
الجمعة التي تليها . وفي لفظ آخر : فرفع صلى الله عليه وسلم يديه ، وما نرى في السماء قزعة ،
فوالذي نفسي بيده ، ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن
منبره ؛ حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته . وفي لفظ : فلا والله ما رأينا الشمس
سبباً ، أي جمعة ، فلما رأوا ذلك (قالوا : يا رسول الله) وفي رواية في
« الصحيحين » و « السنن » وغيرها : ثم دخل رجل من ذلك الباب ، أي الذي
كان دخل منه الرجل في الجمعة الأولى ، فطلب الدعاء بالغيث . وفي بعض طرق
البخاري : فأتى الرجل في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب ، فاستقبله
قائماً فقال : يا رسول الله (تهدمت البيوت) الهدم — بفتح الهاء وسكون الدال

(١) الجنان : القلب

هـمـلة فـيـم - نقـض البـناء كـالـتـهـديـم ، والبـيـوت : جـمـع بـيـت ، ويـجـمـع عـلى أـيـات
أيضاً ، وجـمـع الجـمـع أبـايـت ، وبيـوتـات ، وتـصـغـير البـيـت : بـيـت ، ولا تـقـل : بـيـوت ،
وهـو الشـعـر والمـدر ، والمراد هـنـا الثـانـي ، أي تـهـدمـت الـأبـنـيـة من كـثـرة الـامـطـار ،
(واحـتـبـست الرـكـبان) من كـثـرة الـامـطـار ، فـلم تـأت بالمـيـرة والـجـلب .

وفي « الصـحـيـحـين » : هـلـكـت الـأـمـوال ، أي من كـثـرة المـطـر ؛ لـعـدم بـرـوز
الـحيـوانـات للمـرعى ، وانـقـطـعت السـبـيل ، أي لـعـدم قـدرة النـاس عـلى الخـروج . وفي
لفـظ : تـهـدمـت البـيـوت ، وانـقـطـعت السـبـيل ؛ فادع الله تعالى يمسكها . وفي لفظ :
يحبسها عنا (فتبسم رسول الله ﷺ) تعجباً (من سرعة ملالة) مصدر مللته
ومللت منه - بالكسر - ملأ وملأ وملأ وملأ ، إذا سئمته (ابن آدم) أبي البشر
عليه السلام ، فإن الملل مركز في طباعهم لما ظهر منهم من الهلع في الاستسقاء
والاستصحاء ، ونسبهم إلى الأب الأول ؛ إشارة إلى أن الملل قد عمّ النوع
الإنساني ، إلا من وقفه الله بهذيب نفسه ورياضة طبعه ، حتى انقاد بسلسلة التسليم
إلى ما قدره العليم الحكيم ، هذا مع أن حكمة الحكيم العليم اقتضت إزال المطر
بقدر الحاجة ، حتى إذا أخذت الأرض حاجتها منه أقلمه عنها ، فلو تابعه عليها بعد ذلك
لضرها ، فيعقب المطر بالصحو ؛ فيها معتقان على العالم لما فيه ، أي التعاقب من صلاحه ، أي
العالم ، ولو دام أحدهما ؛ لكان فيه فساد ، إذ لو توالى الأمطار أهلكت ما على الأرض ،
ولو زادت على الحاجة أفسدت الحبوب والثمار ، وعفنت الزروع والخضراوات ،
وأرخت الأبدان ، وحدث ضروب من الأمراض ، وفسد أكثر المأكول ،
وتقطعت المسالك والسبل ، ولو دام الصحو لجفت الأبدان ، وغيبض الماء ،
وانقطع معين العيون والآبار والأنهار ، وعظم الضرر ، واحتدم الهواء ، فبـس
ما على الأرض ، وجفت الأبدان ، وغلب اليبس ، وأحدث ذلك ضروباً من
الأمراض ؛ فاقتضت حكمة اللطيف الخبير أن عاقب بين الصحو والمطر على هذا

العالم ؛ فاعتدل الأمر ، وصح الهواء ، ودفع كل واحد منها غائلة الآخر ، فاستقام أمر العالم وصلاح .

والتبسم : مبادئ الضحك ، والضحك - بالفتح والكسر وبكسرتين ، وككتف - انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور ، فان كان بصوت مسموع ؛ فقهقهة ، وإلا فالضحك . وإن كان بلا صوت ؛ فهو التبسم .

وقد روى الترمذي وصححه ، وابن سعد عن الحارث بن جزء رضي الله عنه قال : ما رأيت أحداً كان أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ . وفي رواية : ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسماً ، فجعل التبسم من الضحك ، واستثنى منه ؛ فان التبسم من الضحك بمنزلة السنة من النوم ، ومنه قوله تعالى : « فتبسم ضاحكاً » (١) أي شارعاً في الضحك .

وروى الامام أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، وغيرهم ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى ترى لهواته (٢) إنما كان يتبسم .

قال في « النهاية » : اللهوات ، جمع لهات : هي اللحمتان في سقف أقصى الفم . وقولها : إنما كان يتبسم . وفي الحديث الذي قبله : ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسماً ، هذا الحصر يحمل على غالب أحواله ؛ لما في الحديث الآخر : كان جُلُّ ضحكته التبسم . وفي حديث آخر : ضحك ﷺ حتى بدت نواجذه . وقيل : ما كان يضحك ﷺ إلا في أمر الآخرة ، كما مر . وأما في أمر الدنيا ؛ فلم يزد على التبسم . وروي أنه ﷺ كان إذا ضحك يتلألأ في الجدر - بضم أوله - أي يشرق نوره إشراقاً كإشراق الشمس .

(١) سورة النمل ، الآية : ١٩

(٢) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق ، جمعها : لهوات .

وفي « الترمذي » ، و « البيهقي » ، من حديث هند بن أبي هالة رضي الله عنه قال : كان جدّ ضحك رسول الله ﷺ التبسّم ، ويفتر عن مثل حب الغمام . وعن عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ ضحّاكاً بسّاماً . رواه الخرائطي .

(فقال رسول الله ﷺ) بعد أن رفع يديه مستصحياً : (اللهم حوالينا) أي أنزل الغيث حوالى المدينة ، حيث مواضع النبات (ولا) تنزله (علينا) في المدينة ولا غيرها من المباني والمساكن . يقال : حوله ، وحوايه ، وحوايه ، وحواله . زاد في « الصحيحين » وغيرها : اللهم على الآكام ، والظّراب ، وبطون الأودية ، ومنابت الشجر .

قوله : على الآكام - بفتح الهمزة ممدودة - على وزن آصال ، وبكسر الهمزة بغير مد ، على وزن جبال ، فالأول جمع أكم ، ككتب . وفي « المطلع » : الأكمة : مفرد ، جمع أربع مرات : أكم بفتحتين ، وبضمتين ، وكأجبل ، وجبال ، وأجبال .

قال القاضي عياض : وهو ما غلظ من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلاً ، وكان أكثر ارتفاعاً مما حوله ، كالتلول ونحوها .

وقال مالك : هي الجبال الصغار . وقال غيره : هو ما اجتمع من التراب أكثر من الكدى ودون الجبال . وقال الخليل : هي أي الأكمة ، حجر واحد . وقيل : فوق الرابية ودون الجبل ، ونحوه في « القاموس » .

قوله : والظّراب : جمع ظرب ككتف ، ما نتأ من الحجارة ، أو الجبل المنبسط ، أو الصغير .

وفي « المطلع » : الظراب : الروابي الصغار . وقال مالك : الجبيل وبطون

الأودية : مجرى المياه منها ، ومنابت الشجر حيث قامت أصول الشجر فيه
ليحصل النفع من غير أن يؤثر ضرراً .

قال أنس رضي الله عنه : (فتكشطت) السماء من السحاب (عن) مسامة
(المدينة) المشرفة ببركة دعاء النبي ﷺ .

قال في « القاموس » : « وإذا السماء كشطت » (١) : قلعت كما يقلع السقف .
قال : والكشط : رفعك الشيء عن شيء ، قد غشاه ، ومثله القشط . يقال :
انقشطت السماء وتكشطت : أصحت .

وفي « النهاية » في حديث الاستسقاء : فتكشط السحاب ، أي تقطع
وتفرق . قال : والكشط والقشط سواء في الرفع والازالة والقلع
والكشف . انتهى .

وفي رواية في « المسند » و « الصحيحين » وغيرهما : فأقلعت ، يعني السماء
لما دعا ﷺ بالاستسقاء .

قال أنس : وخرجنا نمشي في الشمس . قال شريك ابن عبد الله بن أبي
نمر القرشي : وقال الواقدي الليثي من أنفسهم : فسألت أنساً رضي الله عنه ،
أهو ، يعني الرجل الذي سأل النبي ﷺ لما أكثر المطر الرجل الأول ، أي الذي سأل
الاستسقاء ؟ فقال أنس رضي الله عنه : لا أدري ، لكن في بعض طرق البخاري
ما يدل على أنه الأول ، كما تقدم .

تنبيهات

الأول : دلّ هذا الحديث على مشروعية الاستسقاء ، وهو على ثلاثة أضرب :
أحدها : استسقاء الامام يوم الجمعة على المنبر ، كما في هذا الحديث ، وهذا

(١) سورة التكوين ، الآية : ١١

مذهب أبي حنيفة ، وأنكر صلاة الاستسقاء مع ثبوتها في « الصحاح »
و « السنن » و « المسانيد » .

ولا ينافي مشروعية الصلاة أن يقع مجرد الدعاء في حالة أخرى . وإنما
كان هذا الذي جرى في الجمعة مجرد دعاء بطلب السقيا ، وهو مشروع إذا احتيج
إليه ، ولا ينافي مشروعية الصلاة في حالة أخرى إذا اشتدت الحاجة إليها .
وقد خالف أبا حنيفة أصحابه ، فوافقوا الجمهور ، فهذان ضربان .

والثالث : أن يدعوا الله عقب صلواتهم . وفي « الصحيحين » من حديث
أبي محمد عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ
يستسقي ، فتوجه الى القبلة يدعو ، وحوّل رداءه ، ثم صلى ركعتين جهر فيهما
بالقراءة . وفي لفظ : خرج الى المصلى .

وروى أبو داود ، من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : شكى الناس
الى رسول الله ﷺ قحوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ، ووعد
الناس يوماً يخرجون فيه . قالت عائشة : فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب
الشمس ، فقام على المنبر ، فكبّر ، وحمد الله عز وجل ، ثم قال : « إنكم
شكوتهم جذب دياركم ، واستنقحوا المطر عن إبان زمانه عنكم ، وقد أمركم الله
عز وجل أن تدعوه ، ووعدكم أن يستجيب لكم » ثم قال : « الحمد لله رب العالمين ،
الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، لا إله إلا الله يفعل ما يريد ، اللهم أنت الله ،
لا إله إلا أنت الغني عن الفقراء ، اللهم أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت لنا
قوة وبلاغاً الى حين » ، ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه ،
ثم حول الناس ظهره ، وقلب أو حوّل رداءه وهو رافع يديه ، ثم أقبل على
الناس ، ونزل فصلى ركعتين ، فأنشأ الله سبحانه ، فرعدت وبرقت ، ثم أمطرت
بإذن الله ، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول . فلما رأى صلى الله عليه وسلم

سرعتهم الى الكن ؛ ضحك حتى بدت نواجذه ، فقال : أشهد أن الله على كل شيء قدير ، وأني عبد الله ورسوله .

وروى الامام أحمد ، وابن ماجه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج نبي الله ﷺ يوماً يستسقي ، فصلى ركعتين بلا أذان ولا إقامة ؛ ثم خطبنا ودعا الله عز وجل ، وحوّل وجهه نحو القبلة رافعاً يديه ، ثم قلب رداءه فجعل الأيمن على الأيسر ، والأيسر على الأيمن .

وروى الامام أحمد ، من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ الى المصلى ، فاستسقى وحوّل رداءه حين استقبل القبلة . وبدأ بالصلاة قبل الخطبة ، ثم استقبل القبلة فدعا .

الثاني : معتمد مذهب الامام أحمد ، أن لصلاة الاستسقاء خطبة واحدة بعد الصلاة . قال أبو بكر : اتفقوا عن أبي عبد الله ، أن في صلاة الاستسقاء خطبة وصعوداً على المنبر ، والصحيح أنها بعد الصلاة . وبه قال مالك ، والشافعي ، ومحمد بن الحسن . قال ابن عبد البر : وعليه جماعة الفقهاء ؛ لقول أبي هريرة رضي الله عنه : ثم خطبنا ، ولأنها صلاة ذات تكبير ، فأشبهت صلاة العيدين . قال في « شرح المقنع » : والمشروع خطبة واحدة ، وبهذا قال عبد الرحمن بن مهدي . وقال مالك ، والشافعي : يخطب خطبتين كخطبتي العيد ، لقول ابن عباس رضي الله عنهما : صنع رسول الله ﷺ كما صنع في العيد ، ولأنها أشبهتها في صفة الصلاة ، فكذا في صفة الخطبة . ولنا قول ابن عباس رضي الله عنهما : لم يخطب النبي ﷺ خطبتكم هذه ، ولكن لم يزل في الدعاء والتكبير ، وهذا يدل على أنه مافصل بين ذلك بسكوت ولا جلوس ، ولأن كل من نقل الخطبة لم ينقل خطبتين والصحيح من حديث ابن عباس أنه قال : صلى ركعتين كما كان يصلي في العيد .

الثالث : يستحب أن يدعو بدعاء النبي ﷺ ، ومنه : « اللهم اسقنا غيثاً

مغنياً هنيئاً مريئاً غدقاً مجللاً سحاً عاماً طبقاً دائماً ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا
من القانطين ، اللهم إن بالعباد والبلاد من اللاؤاء والجهد والضنك ما لا نشكوه إلا
إليك ، اللهم أنبت لنا الزرع ، وأدرّ لنا الضرع ، واسقنا من بركات السماء ،
وأنزل علينا من بركاتك ، اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري ، واكشف عنا
من البلاء ما لا يكشفه غيرك .

ويكثر في دعائه من الاستغفار وقراءة آيات تضمنته ، وبالله التوفيق .

الحديث الثاني والستون

١٠٧ - ثنا بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :
لما سمع المسلمون النبيّ وهو ينادي على قلب بدر : يا أبا جهل !
يا عتبة بن ربيعة ! يا شيبه بن ربيعة ! يا أمية بن خلف ! هل
وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فاني وجدت ما وعدني ربي
حقاً . قالوا يا رسول الله ! تُنادي قومًا قد جيّفوا ؟ قال :
ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون
أن يجيبوا .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن
أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : لما سمع المسلمون) بمن كان حضر وقعة
بدر العظمى من الصحابة رضي الله عنهم ، وعدتهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ،

مفهم فرس واحدة لمقداد بن الأسود ، وقيل : وثانية للزبير بن العوام (النبي)
ﷺ وهو منصوب على أنه مفعول لسمع (وهو ينادي) الواو للحال ، أي في
حال ندائه (على) شفير (قليب) .

قال في « النهاية » : القليب : البئر التي لم تطو ، تذكر وتؤنث . انتهى .
وفي « السيرة الشامية » : قال الازهري : القليب عند العرب البئر العادية
القديمة ، مطوية كانت أو غير مطوية . قال : وهو مذكر .
وفي « القاموس » : القليب : البئر أو العادية القديمة منها ، ويؤنث ، والجمع
أقلبة وقلب ، باسكان اللام وضمها . انتهى .

(بدر) وهي قرية مشهورة ، ولم تزل من يومئذ بأهل الاسلام معمورة ،
وهي على نحو أربعة مراحل من المدينة النبوية . قيل : نسبت الى بدر بن مخلد بن
النضر بن كنانة . وقيل : الى بدر بن الحارث بن كلدة . وقيل : بدر : اسم البئر
التي بها سميت بذلك ، لاستدارتها ، أو لصفائها ، فكان البدر يرى فيها . وأنكر
ذلك غير واحد من شيوخ بني غفار . وقال : هي ماؤنا ومنازلنا ، وما ملكها
أحد قط يقال له : بدر ، وإنما هو علم عليها ، كغيرها من البلاد . وقال البغوي :
وهو قول الأكثر .

وكان ﷺ يقول في ندائه على شفير قليب بدر : (يا أبا جهل) واسم
عمرو بن هشام المخزومي ، وكان يكنى : أبا الحكم ، فكناه رسول الله ﷺ بأبي
جهل . قتل يوم بدر ، وكانت في رمضان في الثانية ، قتله ابنا عفراء رضي الله عنها
وقضى ﷺ بسلبه لماذ بن عمرو بن الجموح منها ، والآخر معاذ بن عفراء . وقد
أطلق عليه ﷺ بأنه فرعون هذه الأمة ، ولما التمسوا أبا جهل في القتل فلم
يوجد ، فمرف ذلك في وجه النبي ﷺ وقال : اللهم لا تمجزي فرعون هذه الأمة .
وقال ﷺ : من ينظر لنا ما صنع أبو جهل ؟ وإن خفي عليكم في القتل ؛ فانظروا

إلى أثر جرح في ركبته، فأني ازدهمت أنا وهو يوماً على مأدبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلمان، وكنت أسن منه بيسير، فدفعته فوق علي ركبته فجحشت^(١) جحشاً لم يزل أثره به، فالتمسه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، فوجده بآخر رمق. قال: فعرفته، وكان مقنعاً بالحديد، واضعاً سيفه على فخذه، ليس به جرح، ولا يستطيع أن يحرك منه عوضاً، وهو منكب ينظر إلى الأرض، فلما رآه ابن مسعود رضي الله عنه طاف حوله ليقتله، فأراد أن يضربه بسيفه، فخشي أن لا يفي سيفه شيئاً، فأناه من ورائه، فجعل ينقف^(٢) رأسه بسيفه وهو رث، فضعفت يد أبي جهل فأخذ سيفه منه وهو جيد، فرفع رأسه فقال: علي من كانت الدبرة؟ وفي لفظ: لمن الدابة؟ قال: قلت لله ورسوله ﷺ، فأخذت بلحيته وقلت: الحمد لله الذي أخزأك الله ياعدو الله. وفي لفظ: هل أخزأك الله ياعدو الله؟ قال: بماذا أخزاني؟ هل أغدر؟ وفي لفظ: هل عدا؟ وفي آخر: هل أعمد؟ أي أزيد على رجل قتله قومه، أو غير أكار قتلي؟

والأكار: الزراع، وعني بذلك الانصار رضي الله عنهم؛ لأنهم أصحاب زرع، وأشار بذلك إلى تنقيص من قتله، وقال لابن مسعود رضي الله عنه لما أراد أن يجهن عليه: لقد رقيت مرتقى صعباً يارويي الغم. قال: فرفعت سابعة البيضة عن قفاه فضربته، فوقع رأسه بين يديه. وفي رواية: فوضع رجله على عنقه وقد روى ابن عائد، عن قتادة مرسلًا: أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل أمة فرعون، وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل، قتله شر قتلة، قتله ابنا عفراء، وقتلته الملائكة، وذففه^(٣) ابن مسعود، فلما جاء ابن مسعود برأس أبي جهل إلى

(١) الجحش: سحج الجلد وقشره من شيء يصيبه، كالخدش.

(٢) النقف: كسر الهامة عن الدماغ.

(٣) أي أجهزه وأسرع في قتله.

رسول الله ﷺ ، فقال له : يا رسول الله ، هذا رأس أبي جهل فقال ﷺ : « آله الذي لا إله غيره ؟ » . قال ابن مسعود : وكانت يمين رسول الله ﷺ . قال : قلت : نعم والله الذي لا إله غيره ، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ ، فحمد الله الذي أعز الإسلام وأهله ثلاث مرات ، وخر رسول الله ﷺ ساجداً ، ثم سحب أبو جهل وأعيان قتل مشركي قريش ، وألقوا في قليب بدر ؛ إلا ما كان من أمية بن خلف ، فإنه انتفخ في درعه فملاها ، فذهبوا ليحرقوه ، فآقروه وألقوا عليه ماغيه من التراب والحجارة . وذكر السهيلي : أن الذي حفر هذه البئر ، يعني التي ألقوا فيها ، رجل من بني النار ، فكان ذلك فألا مقدماً لهم . ولما جيء بأبي جهل يُجر إلى القليب . قال رسول الله ﷺ : لو كان أبو طالب حياً لعلم أن أسيفنا قد التبست بالأُمائل . ولفظ الطبراني وغيره : ولذلك يقول أبو طالب :

كذبتم وبيت الله نبي (١) محمداً	ولما نطاعن حوله ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله	ونذهل عن أنبائنا والحلائل (٢)
وينهض قوم في الحديد إليكم	نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وحق يرى ذا الضغن يركب رده	عن الطمن فعل الأنكب المتحامل
ولما لعمر الله إن جد ما أرى	لتلتبس أسيفنا بالأُمائل

قال أهل السير : ولما أمر رسول الله ﷺ بهم أن يلقوا في القليب - كما قال ابن إسحاق وغيره - أخذ عتبة ابن ربيعة ، فسحب إلى القليب ، فنظر رسول الله ﷺ - فيما بلغني - في وجه أبي حذيفة بن عتبة ، فاذا هو كئيب قد تغير . فقال : يا أبا حذيفة : لملك قد داخلك من شأن أبيك شبيء . فقال : لا والله يا رسول الله : ما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً ؛ فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له ؛ أحزني ذلك ، فدعا

(١) أي نسلبه ونقلب عليه ، أراد : لا يبرئ ، فحذف لا من جواب القسم ، وهي مرادة .

(٢) الحلائل : الزوجات ، واحدها : حليلة .

له رسول الله ﷺ بخير ، وقال له خيراً . (يا عتبة بن ربيعة) وينادي أخاه شيبه فيقول : (يا شيبه بن ربيعة) بن عبد شمس بن عبد مناف ، وبه يتصل نسبه بنسب النبي ﷺ ؛ فربيعة أخو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وكان عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه من سادات قريش ، وعتبة هو أبو هند أم معاوية رضي الله عنه ، وينادي رسول الله ﷺ على شفير القليب : (يا أمية بن خلف) الجمحي ؛ فان خلف بن وهب ابن حذافة بن جمح ، يجتمع نسبه بنسب النبي ﷺ في كعب بن لؤي ، وكان من سادات قريش (هل وجدتم) بعد موتكم (ما وعدكم ربكم) عز وجل (حقاً) من أمر نبوتي وما وعدتم به على لساني ، من أمور الآخرة ، والخزي والنكال الممد لأهل الكفر والضلال ؛ (فاني وجدت ما وعدني ربي) من النصر والتأييد ، وإعلاء كلمة أهل الإيمان والتوحيد (حقاً) لا مرية فيه ، ولا زوال عنه ، ولا شك يعتريه .

(قالوا) ، أي الصحابة الكرام ممن كان في ذلك المقام : (يا رسول الله) كيف (تنادي قوماً قد جيّفوا) أي صاروا جثثاً مروحة لفارقها أرواحها ؛ فهم جيف منتنة ، وأجساد مروحة لا أرواح فيها ولا إدراك لها .

(قال) ﷺ : (ما أنتم) معشر الأحياء (بأسمع لما أقول) من حقيقة ما وعدهم الله ووعدني منهم ، لأن السر صار عندهم علانية ، واطلعوا من أمور الآخرة ما لا اطلعتم عليه بعد ، وإن كنتم على غاية من الإيمان والتصديق ، إلا أنه ليس الخبر كما كتمان (منهم) بل هم يسمعون كلامي كما تسمعون ، ويعلمون حقيقة ما أقول لهم في مقامي كما تعلمونه (ولكنهم لا يستطيعون) أي لا يقدرُونَ (أن يجيبوا) سؤالي وأنتم يستطيعون .

وفي « الصحيحين » من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن أبي طلحة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالمرصة ثلاث

ليال . وفي لفظ : أنه ﷺ أمر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ، فألقوا في طوى من طوى بدر خبيث مخبث ، فلما كان اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ، ثم مشى واتبه أصحابه . قالوا : ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته ، حتى قام على شفة الركي^(١) فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ، يا فلان ابن فلان يا فلان بن فلان ! أيسر كم أنكم أطعمتم الله ورسوله ؟ فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ! ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ فقال النبي ﷺ : « والذي نفس محمد بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » .

قال قتادة : أحياءهم الله عز وجل حتى أسمعههم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً ، واللفظ الذي ذكره الامام أحمد من حديث أنس ، أخرجه مسلم أيضاً بلفظه ، وفي آخره : فسمع عمر رضي الله عنه قول النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! كيف يسمعون ، أو أنى يجيبون وقد جيفوا . قال : « والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا » .

وفي « الصحيحين » وغيرها ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : وقف النبي ﷺ على قلب بدر ، فقال : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ » ثم قال : « إنهم الآن يسمعون ما أقول لهم » : فذكر لعائشة فقالت : إنما قال : « إنهم ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق » ثم قرأت : « إنك لا تسمع الموتى »^(٢) حتى قرأت الآية . وفي رواية عند الامام أحمد عن عائشة ، فقال رسول الله ﷺ : « ما أنتم بأفهم لقولي منهم » أو « لهم أفهم لقولي منكم » .

والحاصل : أن الرواية بقوله ﷺ : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم »

(١) قال في اللسان : الركي : جنس للركبة ، وهي البئر ، وجمعه ركي وركايا .

(٢) سورة النمل ، الآية : ٨٠ .

صحيحة ، والاخبار بذلك صريحة ، وقد نقلها الجم الغفير ، والجمع الكثير ، ورويت عن عدة من أصحاب البشير النذير ، فمن كان حاضراً ذلك المقام العظيم الخطير ، وصرح بالسمع كما في « السنن » و « المسند » و « الصحيح » ؛ فلا جرم هو حق صحيح ، ونبأ ثابت صريح ، ولذا قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى :
سماع موتى كلام الخلق سلمه جاءت به عندنا الآثار في الكتب

وآية النفي ، معناها سماع هدى ، لا يقبلون ولا يصنفون للأدب ، فقد اتفق عمر ، وأبو طلحة ، وابن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك رضي الله عنهم ، أن رسول الله ﷺ لما قال له المسلمون : يا رسول الله ! كيف تخاطب أمواتاً ، فقال : « والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » . واثلاثة الأول شاهدوا القصة وحضروها ، وسموا هذا الكلام من خير الأنام نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام . ولفظ ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : يسمعون كما تسمعون ، ولكن لا يجيبون . رواه الطبراني بإسناد صحيح .

قال الاسماعيلي : كان عند عائشة رضي الله عنها من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه ، لكن لا سبيل الى رد كلام الثقة إلا بنص يدل على نسخه ، أو تخصيصه ، أو استمالته ؛ فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبتته غيرها ممكن ؛ لأن قوله تعالى : « إنك لا تسمع الموتى » (١) لا ينافي قوله ﷺ : « إنهم الآن يسمعون » ، لأن الاسماع هو إبلاغ الصوت من المسمع في آذان السامع ، والله تعالى هو الذي أسمعهم ، بأن أبلغهم صوت نبيه ﷺ .

وأما روايتها : أنه ﷺ إنما قال : « إنهم ليعلمون » . فإن كانت سمعت ذلك ؛ فلا ينافي روايته : يسمعون ، بل يؤيدها .

(١) سورة النمل ، الآية : ٨٠

قال البيهقي : العلم لا يمنع من السماع ، على أن الامام أحمد ، روى بإسناد حسن ، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : إنه صلى الله عليه وسلم قال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » . ورواه ابن اسحاق في « المغازي » ، من رواية يونس بن بكير ، بإسناد جيد . فان كان محفوظاً ، فكأن عائشة رضي الله عنها رجعت عن الانكار ، لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة ؛ لكونهم شهدوا القصه دونها رضي الله عنهم .

وقال الامام المحقق ابن القيم في كتابه « الروح » : قول الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم في قتلى بدر : كيف تخاطب قوماً قد جيئوا ، مع إخباره بسماعهم كلامه . قال : فالخطاب للأرواح المتعلقة بتلك الأجساد التي قد فسدت ؛ فان الله تعالى قد رد أرواحهم إلى أجسادهم ذلك الوقت رداً يسمعون به خطابه ، والأجساد قد جيفت ؛ فالخطاب للأرواح المتعلقة بتلك الأجساد .

قال : وأما قوله تعالى : « وما أنت بمسمع من في القبور » ^(١) فسياق الآية يدل على أن المراد منها أن الكافر ميت القلب ، لا يقدر على إسماعهم كما أن من في القبر لا يقدر على إسماعهم سماعاً ينتفون به ، ولم يرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئاً البتة ، كيف وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يسمعون خفق نعال المشيمين ، وأخبر أن قتلى بدر يسمعون كلامه وخطابه ، وشرع السلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذي يسمع ، وأخبر أن من سلم على أخيه المؤمن رد عليه السلام ، وهذه الآية نظير قوله : « إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولتوا مدبرين » ^(٢) .

وقد يقال : نفي إسماع الصم مع نفي إسماع الموتى ، يدل على أن المراد عدم

(١) سورة فاطر ، الآية : ٢٢

(٢) سورة النمل ، الآية ٨٠

أهلية كل منها للسمع ، وأن قلوب هؤلاء لما كانت ميتة صماً كان إسماعها ممتنعاً ، بمنزلة خطاب الميت والأصم ، وهذا حق ، ولكن لا ينفي إسماع الأرواح بعد الموت إسماع توبيخ وتقريع بواسطة تعلقها بالأبدان في وقت ما ، فهذا غير الإسماع المنفي .

قال : وحقيقة المعنى : أنك لا تستطيع أن تسمع من لم يشأ الله أن يسمعه ، إن أنت إلا نذير ، إنما جعل الله لك الاستطاعة على الانذار الذي كلفك إياه لا على إسماع من لم يشأ الله إسماعه ، وأطال الاستدلال على مثال هذا المنوال ، والله ولي الفضال .

الحديث الثالث والستون

١٠٨ — ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : يا معشر الانصار ! ألم آتكم ضلّالاً فهذاكم الله بي ، ألم آتكم متفرقين فجمعكم الله بي ، ألم آتكم أعداء فآلف الله بين قلوبكم . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : أفلا تقولون : جئتنا خائفاً فأمنّاك ، وطريداً فأوينّاك ، ومخذولاً فنصرناك . فقالوا : بل لله المنّ علينا ولسوله .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ) لما أصاب غنائم حنين ، وقسم للمؤلفين من قریش وسائر العرب ما قسم . وفي رواية : قسم في المهاجرين

والطلاق . وفي رواية : طفق يعطي رجالاً المائة من الابل ، ولم يعط الأنصار شيئاً وجد^(١) هذا الحي من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت فيهم القالة ، فقالوا : إذا كانت الشدة فنحن ندعى ، ويعطي الغنائم غيرنا ؟ حتى قال قائلهم : يغفر الله لرسول الله ﷺ ، إن هذا هو العجب ؛ يعطي قريشاً . وفي لفظ : الطلقاء والمهاجرين ، ويتركنا تقطر سيوفنا من دماهم ! وددنا أن نعلم بمن كان هذا ؟ فان كان من أمر الله صبرنا ، وإن كان من رأي رسول الله ﷺ استعبدناه . وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند الامام أحمد وابن اسحاق : فقال رجل من الأنصار لاصحابه : لقد كنت أحدثكم أن لو استقامت الأمور لقد آثر عليكم ، فردوا عليه رداً عنيفاً .

قال أنس رضي الله عنه ، كما في « الصحيحين » و « المسند » وغيرها : فحدث رسول الله ﷺ بمقاتلهم . وفي لفظ : فبلغه ﷺ ذلك .

وفي حديث أبي سعيد : فشى سعد بن عبادَةَ الى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! إن هذا الحي من الأنصار ، قد وجدوا عليك في أنفسهم . قال : فيم ؟ قال : فيما كان من قسمك هذه الغنائم . فقال ﷺ : « فأين أنت يا سعد ؟ » فقال : ما أنا إلا امرؤٌ من قومي . فقال ﷺ : « فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة . » وفي لفظ : القبة « فاذا اجتمعوا فاعلمني » فخرج سعد يصرخ فيهم حتى جمعهم في تلك الحظيرة . وفي حديث أنس : فأرسل ﷺ إلى الأنصار ، فجمعهم في قبة من آدم ، ولم يدع غيرهم ، فجاء رجل من المهاجرين فأذن له فيهم ، فدخل ، وجاء آخرون فردهم ، حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له ، أتاه سعد فقال : يا رسول الله ! قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم ، فخرج رسول الله ﷺ اليهم ، فقال : « هل فيكم أحد من غيركم » . قالوا :

(١) أي غضب .

لا يارسول الله ! إلا ابن أختنا . قال ﷺ : « ابن أخت القوم منهم » .

قال ابن البلقيني في « مهاته » : هذا هو النعمان بن مقرن كما رواه أحمد بن منيع في « مسنده » من حديث أنس بن مالك ، قال شعبه : عن معاوية بن قرة . قال قلت له : أسمعت أنساً يحدث عن النبي ﷺ أنه قال في النعمان بن مقرن : « ابن أخت القوم منهم » ، أو من أنفسهم ؟ . قال : نعم . فقام رسول الله ﷺ خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم (قال : يا معشر الانصار) .

قال في « القاموس » : المعشر كمسكر : الجماعة ، وأهل الرجل . والانصار : جمع ناصر ، كأصحاب وصاحب ، أو جمع نصير ، كأشراف وشريف ، واللام فيه للمهد ، أي أنصار رسول الله ﷺ ، والمراد الأوس والخزرج ، وكانوا قبل ذلك يعرفون بابني قيلة ، اسم امرأة ، بقاف مفتوحة ، وياء تحتانية ساكنة ، وهي الأم التي تجمع القبيلتين ، فسماهم النبي صلى الله عليه وسلم الانصار ، فصار علماً عليهم ، وأطلق ذلك على أولادهم وحلفائهم ومواليهم ، وخصوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل ؛ من إيواء النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه ، والقيام بأمرهم ، ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم ، وإيثارهم إيائهم في كثير من الأمور على أنفسهم ؛ فكان صنعهم ذلك موجباً لمعاداتهم جميع الفرق من عرب وعجم ، وكان ما اختصوا به مما ذكر موجباً للحسد ، وهو يحجر البغض ؛ فلهذا جاء التحذير من بغضهم ، والترغيب في حبهم ، حتى جعل ذلك آية الايمان والوفاء ، كما تقدم — تنوياً بعظم فضلهم ، وتنبيهاً على كريم فعلهم — في شرح الحديث الأول من « مسند أنس » رضي الله عنه (ألم) استفهام تقرير (أنكم) في حال كونكم (ضللاً) - بضم الضاد المعجمة ، وتشديد اللام الأولى - أي بالشرك وعبادة الأوثان ، جمع ضال ، وهو الضائع ،

والضلال ضد الهدى (فهذا كم الله) سبحانه وتعالى (بي) فكنت السبب في إقناذكم من الضلال العظيم الى الهدى ، الى الصراط المستقيم . والهداية : الدلالة سواء أوصلت الى المطلوب أو لا .

قال الامام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » : الهداية أربعة أنواع : أحدها : الهداية العامة المشتركة بين الخلق ، المذكورة في قوله تعالى : « الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » (١) . أي أعطى كل شيء صورته التي لا يشتبها فيها بغيره ، وأعطى كل عضو شكله وهيئته ، وأعطى كل موجود خلقه المختص به ، ثم هداه الى ما خلقه له من الأعمال ، وهذه الهداية تعم هداية الحيوان المتحرك بآرادته ، الى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره . وكل شيء له هداية تليق به وتخصه ، من الحيوان والأعضاء وغيرها .

الثاني : هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي (٢) الخير والشر ، وطريقي النجاة والهلاك ، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام ؛ فانها سبب وشرط ، لا موجب . ولهذا ينتفي الهدى معها ، كقوله تعالى : « وأما محمود فهديناهم فاستجبوا أعمى على الهدى » (٣) ، أي بيننا لهم وأرشدناهم ودللناهم ؛ فلم يهتدوا ، ومنه قوله : « وإنك لتهدي الى صراط مستقيم » (٤) .

الثالث : هداية التوفيق والالهام ، وهي الهداية المستلزمة للاهتمام ؛ فلا يتخلف عنها ، وهي المذكورة في قوله تعالى : « يضل من يشاء ويهدي من يشاء » (٥) . وفي قوله تعالى : « إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل » (٦)

(١) سورة طه ، الآية : ٥٠

(٢) النجد : الطريق المرتفع ، ومنه قوله تعالى : « وهديناهم النجدين » أي : طريق

الخير وطريق الشر . (٣) سورة فصلت ، الآية : ١٧

(٤) سورة الشوري ، الآية : ٥٢ (٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٦

(٦) سورة النحل ، الآية : ٣٧

وفي قول النبي ﷺ : « من يهده الله فلا مضل . له » ، ومن يضلل فلا هادي له . وفي قوله تعالى : « إنك لا تهدي من أحببت » ^(١) فنفي عنه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله : « وإنك تهدي الى صراط مستقيم » ^(٢) ، ومن هذا النوع ما في الحديث .

الرابع : غاية هذه الهداية ، وهي الهداية الى الجنة والنار إذا سبق أهلها اليها . قال تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم » ^(٣) وقال أهل الجنة فيها : « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » ^(٤) انتهى ملخصاً .

قال المحققون من أهل الكلام والنظار : الهداية : الدلالة بلطف ، ولهذا تستعمل في الخير . وأما قوله تعالى : « فاهدوهم الى صراط الجحيم » ^(٥) فتهكم . وهداية الله تعالى تنوع أنواعاً لا يحصوها عد ، كما قال تعالى : « وإن تمدوا نعمته الله لا تحصوها » ^(٦) ، وبالله التوفيق . (ألم آتكم) في حال كونكم (متفرقين) يضرب بعضكم بعضاً ، ويقتل بعضكم بعضاً ، وقد كان بين هذين الحيتين : الأوس والخزرج ، من العداوة والحروب ما هو مشهور في كتب المتقدمين ، ولهم أيام مخبورة ووقعات مسطورة ، ومن ذلك يوم بُعاث ، بضم الموحدة وعين مهملة على المشهور . وحكي عن الخليل بالمعجمة ؛ وقيده الأصيلي بالوجهين ، وعند القاسبي بغين معجمة ، وآخره ثاء مثلثة بلا خلاف ، وهو موضع من المدينة على ليلتين ، وقد امتن الله على رسوله ﷺ في قوله : « هو الذي أيدك بنصره

(١) سورة القصص ، الآية : ٥٦ (٢) سورة الشورى ، الآية : ٥٢

(٣) سورة يونس ، الآية : ٩ (٤) سورة الأعراف ، الآية : ٤٣

(٥) سورة الصافات ، الآية : ٢٣ (٦) سورة ابراهيم ، الآية : ٣٤

والمؤمنين وألف بين قلوبهم» (١) مع ما فيهم من العصبية والضغائن في أقل شيء ،
 والتمالك على الانتقام ، بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ، حتى صاروا كنفس
 واحدة ، وهذا من معجزاته ﷺ وبيانه . قال الله تعالى : « لو أنفقت ما في
 الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » (٢) لتناهي عداوتهم ، والاحن والضغائن
 الكائنة بينهم ، ولكن الله ألف بينهم بقدرته البالغة ، لأنه المالك للقلوب ، يقلبها
 كيف يشاء إنه عزيز حكيم ؛ فنزلت هذه الآية الامتنان على سيد ولد عدنان في
 تأليف الله تعالى بين قلوب الأوس والخزرج ، لما كان بينهم من الاحن التي
 لا مدى لها ، والوقائع التي هلكت فيها ساداتهم ، فأنساهم الله تعالى ذلك ، وألف
 بينهم بالاسلام حتى تصادقوا وصاروا أنصاراً ؛ ولهذا قال لهم النبي ﷺ : (جمعكم
 الله) تعالى (بي) بعد الفرقة العظيمة ، ثم قال ﷺ لهم : (ألم آتكم) في حال
 كونكم (أعداء) أي بعضكم عدو لبعض ، بل بينكم من العداوة والبغضاء
 ما خرج عن حد الاحصاء (فألف الله) تعالى (بين قلوبكم) بي ، فصرتم
 كنفس واحدة ، وأضاف الفعل الى الله تعالى : لأنه الفاعل الحقيقي ، والنبي
 ﷺ سبب ذلك كله . وزاد في رواية : وعالة فأغناكم الله (قالوا : بلى يا رسول
 الله) وفي رواية : فما قال رسول الله ﷺ شيئاً إلا قالوا : الله ورسوله أمن ،
 أي أعظم منة ، وأكثر نعمة ، ثم (قال) رسول الله ﷺ لهم : (أفلا تقولون)
 أنتم (جئتنا) أنت في حال كونك (خائفاً فأمّناك) بمناصرتنا لك ، وقيامنا
 بنصرتك (و) جئتنا (طريداً) من بلدك ، قد آذاك قومك وطرودك . يقال :
 أطرده السلطان ، وطرده ، إذا أخرجه عن بلده . وحقيقته : أنه صيره طريداً ،
 وطردت فلاناً طريداً ، إذا أبعدته ؛ فهو مطرود وطريد (فآويناك) ومن معك

(١) سورة الأنفال ، الآيتان : ٦٢ و ٦٣

(٢) سورة الانفال ، الآية : ٦٣

من معك من المهاجرين ، وآثرناكم على أنفسنا وأهلينا . والايوآء ممدود : الدخول الى المسكن ، أي آويناك الى منازلنا ، وضمنا شملك بأصحابك ، فصار لكم في المدينة مواطن ومساكن تأوون إليها (و) جئتنا (مخذولاً) غير منصور . يقال : خذله خذلاً وخذلناً بالكسر ، ترك نصرته (فنصرناك) على من عاداك ووازرناك على من ناوأك ، كما قال تعالى : « والذين آووا ونصروا » (١) (فقالوا) أي قال فقهاء الأنصار ومتكلموهم للنبي ﷺ : (بل) إضراب عما قال صلى الله عليه وسلم ، وعدد من أيديهم ومنهم (لله) سبحانه وتعالى (المن) علينا (ولرسوله) صلى الله عليه وسلم ، إذ هدانا الله تعالى به الى الدين القويم ، والصراط المستقيم . والمن - بفتح الميم ، وتشديد النون - العطاء والاحسان ، ومن أسمائه تعالى : المنان ، وهو المنعم المعطي من المن الذي هو العطاء ، لا من المنة ، كما في « النهاية » وهو من أبنية المبالغة ، كاسفأك والوهتاب . والمن من غير الله مذموم ، بل هو من الكبائر ، ويبتل به الثواب ، وهو تعداد ما أحسن به وأعطاه . والمنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منته ، واعتد به على من أعطاه ، وهو مذموم ؛ لأن المنة تفسد الضيعة . وفي رواية : أن النبي ﷺ قال للأنصار : « ألا تحييون يا معشر الأنصار » قالوا : وما تقول يا رسول الله ! وبماذا نحييك ؟ المن لله تعالى ولرسوله ﷺ . قال : « والله لو شئتم لقلتم ، فصدقتم وصدقتم ، جئتنا طريداً فأويناك ، وعائلاً فأسديناك ، وخائفاً فأمنناك ، ومخذولاً فنصرناك ، ومكذباً فصدقناك » . قالوا : المن لله تعالى ولرسوله . فقال ﷺ : « ما حديث بلغني عنكم » فسكتوا ، فأعاد عليهم ذلك . فقال فقهاء الأنصار : أما رؤساؤنا فلم يقولوا شيئاً ، وأما أناس منا حديثه أسنانهم ، قالوا : يغفر الله تعالى لرسول الله ﷺ ، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟ ! فقال ﷺ : « إني

(١) سورة الانفال ، الآية : ٧٢

لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفر فأتألفهم^(١) . وفي رواية : أن قريشاً حديثوا عهد بمجاهلية ومصيبة ، وإنني أردت أن أجبرهم وأتألفهم ، أوجدتم^(٢) يا معشر الانصار في نفوسكم في لعاعة من الدنيا ألقت بها قوماً أسلموا ، ووكلتكم الى ما قسم الله لكم من الاسلام . والألماعة - بضم اللام وبمعنيين مهملتين - بقلة خضراء ناعمة ، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها في قلة بقائها ، والتألف : المداراة والايئاس ليدوموا على الاسلام رغبة فيما يصل اليهم من المال ، ثم قال ﷺ : « أفلا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس الى رحالهم بالشاة والبعير . وفي لفظ : بالدنيا ، وتذهبون برسول الله ﷺ الى رحالكم تحوزونه الى بيوتكم ، فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به ، فوالذي نفسي بيده ، لو أن الناس سلكوا شعباً ، وسلكت الانصار شعباً ؛ سلكت شعب الانصار ، أنتم الشعار والناس دثار ، الانصار كرشى وعيقي ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار ، اللهم ارحم الانصار ، وأبناء الانصار ، وأبناء أبناء الانصار ، فبكى القوم حتى أخضلوا لحامهم ، وقالوا : رضينا بالله ورسوله ؛ حظاً وقسماً : وذكر الواقدي : أن رسول الله ﷺ أراد حين دعاهم أن يكتب لهم بالبحرين يكون لهم خاصة بعده دون الناس ، وهي يومئذ أفضل ما فتح عليه من الأرض ، فأبوا وقالوا : لا حاجة لنا بالدنيا بعدك . فقال رسول الله ﷺ لهم : « إنكم ستجدون بعدي أثره شديدة ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض .

قوله : أنتم الشعار والناس دثار . الشعار - بكسر الشين الممجمة فمعين مهملة - الثوب الذي يلي الجسد . والذثار - بكسر الدال المهملة وبالثاء المثناة - ما يجمل فوق الشعار ، أي إن الانصار بطائفة وخاصته الذين يلونه ، وإلهم أحق الناس به وأقربهم اليه ، وهو تشبيهه بليغ .

(١) في الاصل ؛ فالفهم .

(٢) أي أغضبتم .

وقوله: الأَنْصار كَرشي وعييتي، أي بطاقتي وموضع سري، وتقدم شرحه في الحديث الأول من «مسند أنس»، رضي الله عنه.

وقوله: حتى أخضلوا لحامهم - بفتح الهمزة وسكون الخاء - وفتح المضاد المعجمتين - أي بلثوها بالدموع.

وقوله: سَتَجِدُونَ بَعْدِي آثَرَهُ - بفتح الهمزة، وسكون، والياء المثلثة، وبضم الهمزة وسكون المثلثة أيضاً وبفتحتين، ويجوز كسر أوله مع إسكان ثانيه - أي يستأثر عليكم بما لكم فيه حق، والمراد يعطي غيركم أكثر منكم، ويفضل غيركم عليكم.

وقوله: تلقوني على الحوض، أي يوم القيامة؛ فيحصل لكم الانتصاف ممن ظلمكم، وتظهر حينئذ مزييتكم على غيركم مع ما يحصل لكم من الثواب الجزيل على الصبر الجميل، وبالله التوفيق.

الحديث الرابع والستون

١٠٩ - ثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس،

قال: لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر، خرج فاستشار الناس، فأشار عليه أبو بكر، ثم استشارهم، فأشار عليه عمر، فسكت. فقال رجل من الأنصار: إنما يريدكم. قالوا: يا رسول الله! والله لا نكون كما قالت بنو إسرائيل لموسى، ولكن والله لو ضربت أكبادها حتى تبلغ برك الغنم لكنا معك.

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل
(عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : لما سار رسول الله ﷺ الى) غزوة
(بدر) وهي الوقعة العظمى التي أعز الله تعالى بها الاسلام ، ودمغ الكفر ، وقمع
عبدة الأوثان والأصنام .

(خرج) رسول الله ﷺ من المدينة في رمضان .

قال ابن سعد : يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت منه . وقال ابن هشام :
لثمان ، وضرب عسكره ببئر أبي عنبه - بكسر العين وفتح النون - بلفظ واحدة
العنب المأكول ، وهي على ميل من المدينة ، فعرض أصحابه ، ورد من استصغر
منهم ، ودفع لواءه الى مصعب بن عمير رضي الله عنه ، وكان أبيض ، وبين يدي
رسول الله ﷺ رايتان سوداوان .

إحدهما : مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، يقال لها : العقاب :
والأخرى : مع بعض الأنصار .

وقال ابن سعد : كان لواء المهاجرين مع مصعب ، ولواء الخزرج مع الحباب
ابن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ . وجزم بهذا الامام ابن القيم
في « الهدى » .

واستخلف رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم على الصلاة بمن في المدينة ، وكان مع
الصحابة يومئذ سبعون بغيراً يعقبونها ، وكان معهم فرسان : فرس المقداد ابن
الأسود ، وفرس للزبير بن العوام . وزاد بعضهم : ثلاثة لمرثد الغنوي .

ولما سار رسول الله ﷺ ، صام يوماً أو يومين ، ثم نادى : إني مفطر
فأفطروا ، فلما استقبل الصفراء ، تركها بيسار ، وسلك ذات اليمين ، على وادٍ يقال له :
ذفران ، ثم نزل وأتاه الخبر بمسير قريش ليمنعوا عيرهم .

(فاستشار) صلى الله عليه وسلم (الناس) أي طلب المشورة منهم ؛ إمتثالاً لقوله تعالى :
« وشاورهم في الأمر » (١) .

قال ابن الجوزي في قوله تعالى : « وشاورهم في الأمر » (١) معناه : استخرج
آراءهم واعلم ما عندهم . ويقال : إنه من شرت العسل : إذا استخرجته من
الخلية ، وأنشدوا :

وقاسمها بالله حقاً لأنتمُ
ألد من السلوى إذا ما نشورها

قال الزجاج : يقال : شورت الرجل مشاورة وشواراً ، والاسم :
المشورة ، وبعضهم يقول : الشورة . ومعنى قولهم : شورت فلاناً : أظهرت
ما عندي وما عنده ، وشرت الدابة إذا امتحنها ، فمرفت هيئتها في سيرها ، وشرت
العسل إذا أخذته من مواضع النحل ، وعسل مشار .

قال الأعشى :

كان القرنفل والزنجبيل
باتا بفها وأرياً مشاراً (٢)

والأري : العسل .

قال ابن الجوزي : اختلف العلماء ، لأي معنى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة
أصحابه رضي الله عنهم ، مع كمال رأيه وتدييره . ف قيل : ليستن به من بعده ،
قاله الحسن ، وسفيان بن عيينة . وقيل : لتطيب قلوبهم ، قاله قتادة ، والربيع ،
وابن إسحاق ، ومقاتل .

وقال الشافعي : نظير هذا قوله : البكر تستأمر في نفسها ، إنما أراد
استطابة نفسها ، فإنها لو كرهت كان للأب أن يزوجه ، وكذلك مشاورة إبراهيم
لابنه عليها السلام حين أمر بذبحه .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ (٢) في الاصل : وأري مشاراً

قال ابن الجوزي : من فوائد المشاورة أن المشاور إذا لم ينجح أمره ؛ علم أن امتناع النجاح محض قدر ؛ فلم يلم نفسه .

ومنها : أنه قد يعزم على أمر يتبين له الصواب في قول غيره ، فيعلم عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح .

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الاستشارة عين الهداية ، وقد خاطر من استغنى برأيه . والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم . وقال بعض الحكماء : ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ، ولا حصنت النعم بمثل المواساة ، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر .

واعلم أن النبي ﷺ إنما أمر بمشاورة أصحابه فيما لم يأت فيه وحي . وعمهم بالذكر ، والمقصود أرباب الفضل والتجارب منهم .

قال القاضي أبو يعلى : أمر بمشاورتهم في أمر الدنيا ، والأصح : والدين : وقرأ ابن مسعود : وشاورهم في بعض الأمر .

وذكر ابن عبد البر الخبر : المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ماشاور قوم إلا هدام الله لأرشد أمورهم » . والمروي عنه أيضاً : « لن يهلك امرؤ عن مشورة » . والخبر المشهور : « المستشار مؤتمن » . رواه الترمذي من حديث أم سلمة رضي الله عنها . ومن حديث أبي هريرة ، رواه الامام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه . قال ابن مفلح في « الآداب » : هو حديث جيد الاسناد .

قال الحسن البصري رحمه الله : إن الله لم يأمر نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه حاجة منه الى رأيهم ، ولكن أراد الله أن يعرفهم مافي المشورة من البركة . وعن النبي ﷺ قال : « من نزل به أمر فشاور فيه من هو دونه تواضعاً عزم له على الرشد » .

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : شاور في أمرك من يخاف الله عز وجل . وكان أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يقول : رأي الشيخ خير من مشهد الفـلام . ومر حارثة بن زيد بالأحنف بن قيس رضي الله عنه ، فقال : لولا أنك عجلان لساورتك في بعض الأمر . قال : يا حارثة ! أجل : كانوا لا يشاورون الجائع حتى يشبع ، والعطشان حتى ينقع^(١) ، والأسير حتى يطلق ، والمضل حتى يجد ، والراغب حتى يمنح .

وكان يقال : استشر عدوك العاقل ، ولا تستشر صديقك الأحمق ، فإن العاقل يتقي على رأيه الزلل ، كما يتقي الورع على دينه الحرج .
وكان يقال : لا تدخل في رأيك بخيلاً فيقصر فعلك ، ولا جباناً فيخوفك مالا يخاف ، ولا حريصاً فيبعدك عما ترجى .

قال الشاعر :

إن اللبيب إذا تفرق أمره فتق الأمور مناظراً ومشاوراً
وأخو الجهالة يستبد برأيه فتراه يعتسف الأمور مخاطرأ
وفي « سنن ابن ماجه » من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها مرفوعاً :
« إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه » . وفي « معجم الطبراني الصغير » من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار ، ولا عال من اقتصد » . فلايات القرآنية ، والأخبار النبوية ؛ استشار خير البرية أصحابه عند مسيره للقاء أعدائه (فأشار عليه أبو بكر) الصديق رضي الله عنه (ثم استشارهم) ثانياً (فأشار عليه) عليه السلام (عمر) الفاروق رضي الله عنه .
وفي رواية : أنه عليه السلام استشار الناس ، فتكلم المهاجرون فأحسنوا ، ثم استشارهم .

وفي رواية : فقام أبو بكر رضي الله عنه ، فقال فأحسن ، ثم قام عمر

(١) يقال : نقع الماء العطش ، أي سكنه .

ابن الخطاب رضي الله عنه فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن الأسود رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله فنحن معك ، والله ما نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا فإنا معكم مقاتلون ، عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك ، والذي بعثك بالحق : لو سرت بنا بك الغناد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فأشرق وجه رسول الله ﷺ وقال له خيراً ، ودعاه . وذكر موسى بن عقبة وابن عابد : أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله : إنها قریش وعزها ، والله ما دلت منذ عزت ، ولا آمنت منذ كفرت ، والله لتقاتلنك ، فتأهب لذلك أهبطه ، وأعد لذلك عدته (فسكت) رسول الله ﷺ ، ثم استشارهم ثالثاً (فقال رجل من الأنصار) رضي الله عنهم : (إنما يريدكم) يامعشر الأنصار . وفي رواية : ففهم الأنصار أنه يعنيهم ، وذلك أنهم عدد الناس ، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه وجزاه خيراً ، فقال : وفي رواية الإمام (قالوا) أي الأنصار ، والمراد بعضهم ، وقد فهم أنه سعد بن معاذ (يا رسول الله) كأنك تعريض بنا . قال : أجل ، وإنما عنائهم لأنهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم ، فاستشارهم ليعلم ما عندهم ، فقال سعد رضي الله عنه : يا رسول الله ! قد آمننا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ؛ فامض لما أردت ، ولعلك يا رسول الله تحشي أن تكون الأنصار ترى عليها أن لا ينصروك إلا في ديارهم ، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم ؛ فإظمن حيث شئت ، وصل جبل من شئت ، واقطع جبل من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وأعطنا ما شئت وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت ، وما أمرت فيه من أمر ، فأمرنا تبع لأمرك (والله لا نكون كما قالت بنو إسرائيل) وهو يعقوب عليه السلام (لموسى) بن عمران عليه السلام لما قال لهم : يا قوم ! ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على

أدباركم فتنقلبوا خسرين ، قالوا : ياموسى إن فيها قوماً جبّارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها فانا داخلون. قال رجلان من الذين يخافون « وهما (١) كالب ويوشع » أنعم الله عليها « بالايمن والتثبت - : « ادخلوا عليهم الباب ، فاذا دخلتموه فانكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين قالوا : ياموسى إنا لن ندخلها ، أي بيت المقدس «أبداً ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، (٢) قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله ، وعدم مبالاة بهم ، وقصة ذلك مشهورة (والكن) تقول : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون ، (والله لو ضربت أكبادها) أي الابل ، والأكباد جمع كبدة - بالفتح والكسر وككتف - مؤنثة ، وقد يذكر وهي معروفة ، وكبد كل شئ وسطه ، والجوف بكالهِ .

وفي « القاموس » : نضرب إليه أكباد الابل ، أي يرحل إليه في طلب العلم وغيره (حتى تبلغ) في سيرك (برك الغماد) زاد في رواية : من ذي يمن (لكنا معك) وفي رواية : فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان ، والله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، ولعلك خرجت لا أمر فأحدث الله غيره ، فسر بنا على بركة الله ، فنحن على يمينك وشمالك ، وبين يديك وخلفك ، فأشرق وجه رسول الله ﷺ ، وسر بقول سعد رضي الله عنه .

وبرك الغماد - بفتح الباء لاكثر الرواة ، وبعض الرواة : بكسرها ، وهو موضع في أقاصي هجر ، قاله في « المطالع » .

وقال النووي : ذكر جماعة من أهل اللغة بالكسر لا غير .

(١) في الاصل : وم ، وهو خطأ . (٢) سورة المائدة ، الايات : ٢١ - ٢٥

قال الزمخشري : هو من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل
مما يلي البحر .

والغناد - بضم الغين المعجمة وبالذال المهملة .

وفي « القاموس » بتثنية الغين ، والفتح عن الفراء^(١) : موضع في أقصى
معمور الأرض ، وغمدان ، كعثمان ، قصر في اليمن ، بناء يشترخ بأربعة
وجوه : أبيض ، وأحمر ، وأصفر ، وأخضر . وبني داخله قصراً بتسعة سقوف
بين كل سقفين^(٢) أربعون ذراعاً ، قاله في « القاموس » .

وفي « النهاية » : غمدان - بضم الغين وسكون الميم - البناء العظيم بناحية
صنعاء اليمن . قيل : هو من بناء سليمان عليه السلام .

تبيينه : وقع في « صحيح مسلم » و « سنن أبي داود » من حديث أنس
رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان . قال :
فتكلم أبو بكر ، فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر رضي الله عنه ، فأعرض عنه ، فقام
سمد بن عباد رضي الله عنه ، فقال : إيانا تريد يا رسول الله ، والذي نفسي بيده ،
لو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغناد لفعلنا ، فندب رسول الله ﷺ
الناس ، فانطلقوا حتى نزلوا بيدر ، وذكر الحديث .

قال ابن سيد الناس في « عيون الأثر » : وهذا القول إنما يعرف عن سمد
ابن معاذ ، كما رواه ابن عقبة ، وابن إسحاق ، وابن سمد ، وابن عائذ ، وغيرهم .
والصحيح عند أهل السير والمغازي : أن سمد بن عباد لم يشهد بدرأ .
قال ابن سمد : كان تهيأ للخروج ، فنهش^(٣) قبل أن يخرج ، فأقام .

وذكر الحافظ في « الفتح » نحوه ، ثم قال : ويمكن الجمع بأن النبي ﷺ

استشارهم في غزوة بدر مرتين :

(١) في الأصل : الفزار والتصحيح من « القاموس » . (٢) في الأصل : كل سقف ،
وفي « القاموس » : بين كل سقفين (٣) يقال : نهشته الحية ، أي لسعته .

الأولى : وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر المير مع أبي سفيان ، وذلك بين
في رواية مسلم.

والثانية : بعد أن خرج ، كما في حديث ابن مسعود في (الصحيح) .
وحينئذ قال سعد بن معاذ رضي الله عنه ما قال .

ووقع عند الطبراني ، أن سعد بن عبادة قال ذلك بالحديبية ، وهذا أولى
بالصواب ، والله تعالى الموفق .

الحديث الخامس والستون

١١٠ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ،
قال : دعوتُ المسلمين إلى وليمة رسول الله ﷺ صبيحة نبي
بزئب بنت جحش ، فأشبع المسلمين خبزاً ولحماً ، ثم صنع كما
كان يصنع ، فأتى حجر نسائه ، فهم عليهن ، فدعون له .
قال : ثم رجعت إلى بيته وأنا معه ، فلما انتهى إلى البيت إذا
رجلان قد جرى بينهما الحديث في ناحية البيت ، فلما بصر
بهما وليّ راجعاً ، فلما رأى الرجلان النبي ﷺ قد وليّ عن
بيته ؛ قاما مسرعين ؛ فلا أدري ، أنا أخبرته - أو آخر - به ،
ثم رجعت وأرختي الستر بينه وبينني ، وأنزلت آية الحجاب .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (ابن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) ابن مالك رضي الله عنه (قال : دعوت المسلمين) من أصحاب رسول الله ﷺ (إلى وإيعة رسول الله ﷺ صبيحة) ليلة (بنى) فيها رسول الله ﷺ أي عرس (بزینب بنت جحش) .

وفي رواية قال أنس : أنا أعلم الناس بشأن الحجاب ، وكان في مبتنى رسول الله ﷺ بزینب بنت جحش ، أصبح بها عروساً ، فدعا القوم . وفي لفظ : لما أهديت زینب بنت جحش إلى النبي ﷺ ، صنع طعاماً ، وإن أنساً هو كان الداعي إلى الطعام (فأشبع) النبي ﷺ (المسلمين خبزاً ولحماً) .

قال أنس : فكان يجيء قوم فيأكلون ويخرجون ، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون . قال : فدعوت حتى ما أجد أحداً ، فقلت : يا رسول الله ! والله ما أجد أحداً . قال : فارفعوا طعامكم . زاد الاسم اعيلي في روايته : وزینب جالسة في جانب البيت . قال : وكانت امرأة قد أعطيت جمالاً (ثم صنع) رسول الله ﷺ (كما كان يصنع) قبل ذلك ، وفسر ذلك الصنع الذي كان يصنعه بقوله : (فأتى حجر) جمع حجرة ، وهي بيوت (نسائه) رضي الله عنهن (فسلم عليهن) أي واحدة بعد واحدة (فدعون له) بالبركة في أهله .

(قال) أنس رضي الله عنه : (ثم رجع) ﷺ (إلى بيته) الذي فيه زینب بنت جحش (وأنا معه) الواو للحال وجملة المبتدأ وخبره حالية .

(فلما انتهى) ﷺ (إلى البيت) الذي فيه زینب رضي الله عنها (إذا رجلاً) من بقية الذين دعوا إلى الوليمة (قد جرى بينها الحديث) وهما (في ناحية البيت) الذي فيه زینب بنت جحش زوج النبي ﷺ . وفي رواية : وبقي في البيت ثلاثة جلسوا يتحدثون . وفي رواية أبي قلابة : أن النبي ﷺ جعل يخرج ثم يرجع ، وهم قعود يتحدثون . وفي رواية : أنه ﷺ لما أمر برفع الطعام ،

وإذا هو كأنه يتهباً للقيام ، فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، فلما قام ؛ قام من قام ، وقعد ثلاثة نفر ، ويجمع بين كونهم ثلاثة ، ورواية رجلين ، بأنه أول ما قام ﷺ ، وخرج من البيت كانوا ثلاثة ، وفي آخر ما رجع توجه واحد منهم في أثناء ذلك ؛ فصاروا اثنين ، وهذا أولى من جزم ابن التين بأن إحدى الروايتين وهم ، كما قاله في « الفتح » ، قال : ولم أقف على تسمية أحد منهم . انتهى .

(فلما بصر) رسول الله ﷺ (بهما) أي الرجلين يتحدثان في ناحية البيت (ولي راجعاً) من حيث جاء (فلما رأى الرجلان النبي ﷺ قد ولي عن بيته) فطنا لأنفسهما ، وأنهما قد غفلا عن حالهما ، وفعلنا من الثقلة ما لا يحمل (قاما) من البيت (مسرعين) وعلمنا أنهما أساءا الأدب .

قال أنس رضي الله عنه : (فلا أدري أنا أخبرته) بذهابهما (أو آخر) هو (به) .

وفي « الصحيحين » : فانطلقت فجئت ، فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا ، هكذا وقع الجزم في رواية ، واتفق عبد العزيز بن صهيب وحميد الطويل على أن أنساً كان يشك في ذلك . وفي لفظ أحدهما : فلا أدري أنا أخبرته بخروجهما ، أم أخبر وهو مبني للمجهول ، أي أخبر بالوحي (ثم رجع) النبي ﷺ (إلى منزله) فذهبت أدخل ، فدخل ﷺ (وأرخى الستر بينه وبينه) وفي رواية : فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه (وأنزلت آية الحجاب) وفي رواية : فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم » ^(١) إلى قوله : « من وراء حجاب » ^(٢) فضرب الحجاب . وفي رواية : عبد العزيز ، عن أنس : حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخلة ، وأخرى خارجه ؛ أرخى الستر بيني وبينه ، وأنزلت آية الحجاب .

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٥٣

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» : ومحصل القصة أن الذين حضروا
الوايمة جعلوا يتحدثون ، واستحى النبي ﷺ أن يأمرهم بالخروج ، قهراً للقيام
ليفطنوا لمراده فيقوموا بقيامه ، فلما ألهام الحديث عن ذلك ؛ قام وخرج ،
فخرجوا بخروجه ، إلا الثلاثة الذين لم يفطنوا لذلك ، لشدة شغل بالهم ، بما كانوا
فيه من الحديث . وفي غضون ذلك كان النبي ﷺ يريد أن يقوم من غير مواجعتهم
بالأمر لشدة حيائه ، فيطيل الغيبة عنهم بالتشاغل بالسلام على نسائه وهم في
شغل بالهم .

وكان أحدهم في أثناء ذلك أفاق من غفلته ، فخرج وبقي الاثنان ، فلما طال
ذلك ووصل النبي ﷺ إلى منزله ، فرآهما فرجع ؛ رآياه ففطنا فخرجنا ، فدخل
النبي ﷺ ، وأنزلت الآية ، فأرخصي السترينه وبين أنس خادمه أيضاً ، ولم يكن
له عهد بذلك .

وفي هذا الحديث من الفوائد : مشروعية الحجاب لأمهات المؤمنين .

قال القاضي عياض : فرض الحجاب مما اختصن به ؛ فهو فرض عليهن بلا
خلاف في الوجه والكفين ، فلا يجوز لهن كشف ذلك في شهادة ولا غيرها ، ولا
إظهار شخوصهن وإن كن مستترات ، إلا مادعت إليه ضرورة من براز ، ثم
استدل بما في «الموطأ» أن حفصة رضي الله عنها لما توفي عمر سترها النساء عن
أن يرى شخصها ، وأن زينب بنت جحش جعلت لها القبة فوق نعشها ليستتر
شخصها . انتهى .

قال في «الفتح» : وليس فيما ذكره دليل على ادعاء من فرض ذلك عليهن ،
وقد كن بعد النبي ﷺ يحجبن ويظفن ، وكان الصحابة من بعدهن يسمعون
الحديث وهن مستترات الأبدان لا الأشخاص .

قلت : والذي ذكره علماؤنا كصاحب «الاقناع» وغيره : أن من خصائصه

صلى الله عليه وسلم أن أزواجه لا يحل أن يسألن شيئاً إلا من وراء حجاب ، ويجوز أن يسأل غيرهن مشافهة ، لقوله تعالى : « وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب » (١) وقد ذكروا النزول آية الحجاب أسباباً (٢) غير هذا ، منها ما أخرجه النسائي ، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم حيساً في قعب ، فمر عمر ، فدعاه فأكل ، فأصاب أصبعه أصبعي ، فقال : حس (٣) أو أوّه لو أطاع فيمكن مارأ تكن عين ، فنزل الحجاب ، ويمكن الجمع بأن ذلك وقع قبيل قصة زينب ، فلقرها منها أطلقت نزول الحجاب بهذا السبب ، ولا مانع من تعدد الأسباب ، وبالله التوفيق .

الحديث السادس والستون

١١١ - ثنا بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : كان أبو طلحة يرمي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع رأسه من خلفه لينظر إلى مواقع نبله . قال : فيتناول أبو طلحة بصدره تقي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : نحري دون نحرك .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله (قال : كان أبو طلحة) زيد بن سهل بن الأسود

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٥٣ وكلمة : متاعاً في الآية سقطت من الاصل .

(٢) في الاصل : أسباب ، وهو خطأ . (٣) الحس : وجع يأخذ النفساء بعد الولادة .

الانصاري البخاري رضي الله عنه (يرمي) نبيله عن قوسه (بين يدي رسول الله ﷺ) لما انهزم الناس عنه يوم أحد .

ففي « الصحيحين » وغيرها ، عن أنس رضي الله عنه قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن رسول الله ﷺ ، وأبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ .
يجوب بفتح التحتية وبالجم والموحدة - أي يلف ، ويمنع الناس عنه ، وروي : مجوب ، أي مترس . وقد جاء مفسراً في حديث آخر : يترس مع النبي ﷺ .
بترس واحد ، والجوب : الترس . ورواه بعضهم : محذب - باليم والحاء والدال المهملتين ، فهو حدة - والحدب : الخنو والاشفاق ، كما في « المطالع » عنه ، بحجفة - بحاء مهملة فحيم ففاء مفتوحات الترس الصغير يطارق بين جلدين ، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديداً الرمي . وفي لفظ : النزع : فنثر كنياته بين يدي رسول الله ﷺ ، وكسر يومئذ قوسين أو ثلاثة ، وكان الرجل يمر بالجمجمة من النبل فيقول رسول الله ﷺ : انثرها لأبي طلحة (وكان رسول الله ﷺ يرفع رأسه) الشريف (من خلفه) أي من خلف أبي طلحة رضي الله عنه ؛ لأنه ﷺ كان قد تترس به ، وإنما كان يرفع رأسه (لينظر الى مواقع نبيله) أي الحال التي يقع بها نبل أبي طلحة . ولفظه في « الصحيحين » وغيرها : ويشرف رسول الله ﷺ ينظر الى القوم .

(قال) أنس رضي الله عنه : (فيتناول^(١) أبو طلحة) أي يرتفع (بصدره يقي) أي ايتي (به) أي بذلك التناول (رسول الله ﷺ) أي ليكون وقاية له من نبل الأعداء .

وفي « الصحيحين » وغيرها : فيقول أبو طلحة : يا بني الله ، بأبي أنت وأمي : لاتشرف يصبك سهم من سهام القوم (وقال) أبو طلحة رضي الله عنه : (نحري) أي عنقي وصدري (دون) أي أقرب لما يحدث ويفوق من سهام أعداء

(١) في الاصل : فيتطال .

الله ونبلهم من (نحر) الشريف ، أي أنا وقاية عنك ، أفديك بنفسي .

قال في « القاموس » : نحر الصدر : أعلاه ، أو موضع القلادة ، وهو مذكر ، والجمع : نحور . يقال : نحره - كمنعه - نحراً ونحاراً ، أصاب نحره ، وهذا يعني وقاية رسول الله ﷺ بالنفس ، وبكل ممكن لازم ، واجب على كل مسلم .

وقد بذل جماعة من الصحابة يومئذ أنفسهم دونه ﷺ . فروى الامام أحمد ومسلم ، من حديث أنس رضي الله عنه أن المشركين لما أرهقوا رسول الله ﷺ وهو في سبعة من الأنصار ، ورجلين من قريش . قال : من يردم عنا وهو رفيق في الجنة ، فجاء رجل من الأنصار ، فقاتل حتى قتل ، ثم رهقوه أيضاً فقال : « من يردم عنا وله الجنة ، أو هو رفيق في الجنة » . فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، الى أن قتل السبعة من الأنصار . فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه : « ما أنصفنا أصحابنا » . وروى نحوه الامام أحمد ، وابن أبي شعبة ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه . وفيه : أفرد رسول الله ﷺ في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش ، وهو عاشرهم ، فلما أرهقوه قال : « رحم الله رجلاً ردم عنا » فذكر نحوه . وقاتل علي رضي الله عنه من ناحية ، وأبودجانة رضي الله عنه من ناحية ، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من ناحية ، وانفرد علي رضي الله عنه بفرقة من المشركين ، فيها عكرمة بن أبي جهل ، فدخل وسطهم بالسيف يضرب به ، وقد اشتعلوا عليه حتى أقضى إلى آخرهم ، ثم كرم ثانياً حتى رجع من حيث جاء رضي الله عنه . وتقدم بعض هذا ، والله أعلم .

الحديث السابع والستون

١١٢ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم بخير دور الأنصار : دار بني النجار ، ثم دار بني عبد الأشهل ، ثم دار بني الحارث بن الخزرج ، ثم دار بني ساعدة ، وفي كل دور الأنصار خير .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ قال) وهو في مجلس عظيم من المسلمين ؛ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم : (ألا) - بفتح الهمزة وتخفيف اللام - حرف افتتاح ، معناه التنبيه (أخبركم) معشر المسلمين (بخير دور الأنصار) جمع دار ، وهو المحل الذي يجمع البناء والقبيلة ، وهو المراد هنا ، أي خير قبائل الأنصار وبطونها ، فكانهم قالوا : بلى يا رسول الله ! أخبرنا بذلك لنعلم ذلك ، فنعرف لهم فضلهم وتقدمهم على غيرهم . قال ﷺ : « خير دور الأنصار (دار بني النجار) - بفتح النون ، وتشديد الجيم ، فراء قبلها ألف - واسمه : تيم اللات بن ثعلبة ، بن عمرو ، بن الخزرج ، وإنما سمي بالنجار ، لأنه اختلن بقَدوم النجار ، وقيل : لأنه ضرب رجلاً بقَدوم (ثم) الأفضل بعد دار بني النجار (دار بني عبد الأشهل) - بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة ، فهاء مفتوحة فلام - وعبد الأشهل ، هو ابن جشم ، بن الخزرج ، بن عمرو ابن

مالك بن الأوس ، منهم أسيد بن حضير أحد النقباء ، وسيدهم سعد بن معاذ ابن النعمان ، بن امرئ القيس ، بن زيد ، بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي الأوسي رضي الله عنه وعنهم أجمعين . (ثم) الأفضل بعد دار بني عبد الأشهل (دار بني الحارث بن الخزرج) بن النبيت ، وهو عمرو بن مالك ، بن الأوس الأنصاري ، منهم البراء بن عازب وغيره (ثم) الأفضل بعد دار بني الحارث ابن الخزرج (دار بني ساعدة) بن كعب بن الخزرج ، وسيدهم بل سيد الخزرج سعد بن عبادة ، بن دليم بن حارثة ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : (وفي كل دور الأنصار خير) بحسب مسابقتهم ، وبذل مجهودهم في إعلاء كلمة الله ؛ فلكل أحد منهم نصيب من الخيرية على قدر ما رزقهم الله تعالى من النصح ، وموالاته الرسول ، وبذل الأموال والأنفس دونه ، لتكون كلمة الله العلياً .

وأخرج هذا الحديث الشيخان ، والترمذي . ولفظ الترمذي : قال صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بخير دور الأنصار . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « بنو النجار ، ثم الذين يلونهم بنو عبد الأشهل ، ثم الذين يلونهم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم الذين يلونهم بنو ساعدة » . ثم قال صلى الله عليه وسلم بيده ، فقبض أصابعه ، ثم بسطهن كالرامي بيده : قال : « وفي دور الأنصار كلها خير » . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

قال أبو عيسى الترمذي : وقد روي هذا الحديث ، عن أنس ، عن أبي أسيد الساعدي ، وهو أبو أسيد مالك بن ربيعة الساعدي الأنصاري . ورواه الشيخان والترمذي وغيرهم أيضاً ، من حديث أبي أسيد المذكور ، وفي آخره : قال سعد ، هو ابن عبادة : ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قد فضّل علينا . ف قيل : قد فضلكم على كثير . وفي رواية زاد بعد قوله : وفي كل دور الأنصار خير . قال أبو سلمة : قال أبو أسيد رضي الله عنه : أتهم أنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو

كنت كاذباً لبدأت بقومي بني ساعدة . قال : وبلغ ذلك سعد بن عباد ، فوجد في نفسه وقال . خلفنا فكنا في آخر الأربع : أسرجوا لي حماري ، أتى رسول الله ﷺ فكلمه ابن أخيه سهل بن سعد ، فقال : أتذهب لترد علي رسول الله ﷺ ، فرسول الله ﷺ أعلم ، أو أيس حسبك أن تكون رابع أربع ؟ فرجع وقال : الله ورسوله أعلم ، وأمر بحماره فحمله عنه . ورواه مسلم أيضاً ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وفي آخره : قالوا : ثم من يارسول الله ؟ قال : ثم في كل دور الأنصار خير ، فقام سعد بن عباد مغضباً ، فقال : أنحن آخر الأربع حين سمى رسول الله ﷺ دارهم ؟ فأراد كلام رسول الله ﷺ ، فقال له رجال من قومه : اجلس ، ألا ترضى أن سمى رسول الله ﷺ داركم في الأربع الدور التي سمى ، فمن ترك فلم يسم أكثر ممن سمى ، فأنهى سعد بن عباد عن كلام رسول الله ﷺ .

تنبية : تأملت حكمة تنصيب النبي ﷺ على هذه الدور الأربع ، من بين سائر دور الأنصار رضي الله عنهم ، فرأيت ذلك لكونها رأس دور الأنصار وعينها ، وهي منها بمنزلة السمع والبصر ، ولا يخفى أن الأنصار من حيث هم قبيلتان : الأوس والخزرج ، فذكر ﷺ من كل قبيلة منها بطنين ، وبدأ من بني الخزرج ببني النجار لخوواتهم له ﷺ ، فانهم أحوال عبد المطلب ؛ فلهم منزلة من هذه الحيثية ، ولما فيهم من عطاء الصحابة . ولما بدأ ببني النجار بدأ (١) ببني عبد الأشهل ، وببني الحارث بن الخزرج من الأوس ، ثم ختم ببني ساعدة من الخزرج ، فحصل التعادل بين القبيلتين من جهة التنصيب ، ومن جهة التقديم والتأخير ، كما لا يخفى على تحرير . ولما كان التنصيب على جميع دور الأنصار مما يعسر ، وربما حصل لبعض من يتأخر في الذكر نوع انكسار

(١) في الاصل : بني .

قلب ؛ ذكر صلى الله عليه وسلم كلمة جامعة مرضية لكل ، فقال صلى الله عليه وسلم : « وفي كل دور الا نصار خير » ، فما بقيت دار إلا وقد شملها قوله صلى الله عليه وسلم ، ودخلت تحت عموم لفظه ؛ فلكل دار من دور الا نصار من الخير نصيب وافر ، وحظ كبير ، فأرضى الجميع ، وهو الطبيب الناضح ، والخبر الصادق ، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، ورضي الله عن الا نصار وأبنائهم وأزواجهم وحلفائهم ، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين ، والله أعلم .

الحدث الثامن والستون

١١٣ — ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقدم عليكم أقوام هم أرق منكم قلوباً . قال : فقدم الأشعريون ، فيهم أبو موسى الأشعري ، فلما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون يقولون : غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقدم) — بفتح التحتية وسكون القاف وضم الدال المهملة والميم — (عليكم) معشر الصحابة وافد (أقوام) جمع قوم ، وهم الجماعة من الرجال .

قال في « النهاية » : القوم : مصدر قام فوصف به ، ثم غلب على الرجال دون النساء ، وسموا بذلك ؛ لأنهم قوامون على النساء بالأمور التي ليس للنساء أن يقمن بها .

وفي « القاموس » : القوم : الجماعة من الرجال والنساء معاً ، أو الرجال خاصة ، أو يدخله النساء على التبعية . (هم) أي أولئك الاقوام (أرق منكم قلوباً) نصباً على التمييز ، أي قلوبهم أرق من قلوبكم .

قال في « المطالع » : الرقة : اللين ، والمراد هنا ضد القسوة والشدة التي وصف بها غيرهم . وقال بعضهم : الرقة : صفاء القلب ، وإدراكه من المعرفة ما لا يدركه من ليس قلبه كذلك ، وأن ذلك موجب لقبولهم وسرعة إجابتهم . وقيل : إنه صلى الله عليه وسلم إنما وصفهم برقة القلب ، إشارة إلى الشفقة على الخلق ، والعطف والرحمة ، والمراد أن قلوبهم رقيقة صافية تدرك المعاني والمعارف ، وهي مع ذلك صلبة قوية ؛ فهي كالزجاجة تدرك الحقائق بصفائها ، وتدفع الشبهات بصلابتها ؛ ولهذا ضرب الله جمل ثناؤه لنوره في قلب عبده المؤمن ومحله وحامله ومادته مثلاً بالمشكاة ، وهي الكوة في الحائط ؛ فهي مثل للصدر . وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج ، حتى شبهت بالكوكب الدرّي في بياضه وصفائه ، وهي مثل القلب .

وإنما شبه القلب بالزجاجة ؛ لأنها جمعت أوصافاً هي في قلب المؤمن ، وهي : الصفاء ، والرقة ، والصلابة ؛ فيرى الحق والهدى بصفائه ، ويحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة برقته ، ويجاهد أعداء الله ويغلظ عليهم ، ويشد في الحق ، ويصلب فيه بصلابته ؛ فلا تبطل صفة منه صفة أخرى ، ولا تعاديها ، بل تساعد وتعاضدها . « أشداء على الكفار رحماء بينهم » ^(١) وقال تعالى : « فبأرحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » ^(٢)

« ١ » سورة الفتح ، الآية : ٢٩

« ٢ » سورة آل عمران الآية : ١٥٩

وفي أثر: القلوب آنية الله في أرضه فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها .
وبازاء هذا القلب قلبان مذمومان في طرفي تقيض :

أحدهما : قلب حجري قاسٍ لا رحمة فيه ، ولا إحسان ولا لين ، ولا له صفاء يرى به الحق ، بل جبار جاهل ، لا علم بالحق ، ولا رحمة للخلق .

والثاني : قلب ضعيف مائي ، لا قوة فيه ولا استمساك ، بل يقبل كل صورة ، وليس له قوة حفظ تلك الصور ، ولا قوة التأثير في غيره ، وكل ما خاطله أثر فيه ، من قوي وضعيف ، وطيب وخبيث .

والمقصود: أنه ﷺ وصف قلوبهم بالركة والصفاء ، أي مع الصلابة الدافعة لكل شبهة مضلة ، أو شهوة محرمة ، وبالله التوفيق .

(قال) أنس بن مالك رضي الله عنه : (فقدم) علينا (الأشعريون) - بهمزة مفتوحة ، فشين معجمة ساكنة ، فعين مهملة مفتوحة ، فتحنية مشددة - مرفوعة ، فواو ، فنون - هم قبيلة من قبائل اليمن ، منسوبون لأشعر ؛ لقب بذلك لأنه ولد وعليه شعر (فيهم أبو موسى) عبد الله بن قيس بن عامر (الأشعري) - بفتح الهمزة ، وسكون الشين المعجمة ، وفتح العين المهملة - نسبة إلى الأشعر ، واسمه بنت ، بفتح النون ، وسكون الباء الموحدة ، ثم مثناة فوقية - بن أد - بضم الهمزة ، بوزن عمر - بن زيد ، قدم مكة ؛ خالف سعيد بن العاص ابن أمية ، ثم أسلم بمكة ، وهاجر إلى أرض الحبشة ، ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله ﷺ بخير ، فأسهم لهم منها ، وكذلك أسلمت أم أبي موسى طيبة بنت وهب ، وتوفيت بالمدينة .

وفي « تجريد الذهبي » : قيل : إنها أمه . انتهى .

ويقال : إن أبا موسى الأشعري أسلم بمكة قديماً ، ثم رجع إلى بلاده ، ولم

يُزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعرين على رسول الله ﷺ ، فوافق قدومه
قدوم أهل السفينتين - جعفر بن أبي طالب وأصحابه - من الحبشة .

قال الامام ابن الحافظ أبو بكر بن أبي داود صاحب السنن : كان لأبي
موسى الأشعري رضي الله عنه مع حسن صوته بالقراءة فضيلة ليست لأحد من
الصحابة ، هاجر ثلاث هجرات : هجرة من اليمن الى رسول الله ﷺ بمكة ،
وهجرة من مكة الى الحبشة ، وهجرة من الحبشة الى المدينة :

قال غيره : واستعمله النبي ﷺ على زبيد وعدن وساحل اليمن ، وولاه
عمر بن الخطاب البصرة حين عزل عنها المغيرة بن شعبه ؛ فافتتح أبو موسى
الأهواز ، ولم يزل على البصرة الى صدر من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ،
ثم عزل عنها فانتقل الى الكوفة وأقام بها ، فلما دفع أهل الكوفة سميد بن العاص
عنهم ؛ ولو أبا موسى الأشعري عليهم ، فأقره عثمان على الكوفة ، ولم يزل عليها
إلى أن قتل عثمان ، ثم انقبض أبو موسى الى مكة بعد التحكيم وما كان منه ،
فلم يزل بها الى أن مات سنة اثنين وخمسين ، كما رجحه ابن الأثير .

وقال النووي : سنة خمسين ، وله نيف وستون سنة . وقال ابن أبي شيبة :
وله ثلاث وستون سنة . وقيل : بل مات في الكوفة ، ودفن بالتربة التي على ميلين
منها . روي له عن النبي ﷺ ؛ ثلثمائة وستون حديثاً ، اتفقاً على خمسين ، وقال
الحافظ ابن الجوزي : تسعة وأربعين ، وانفرد البخاري بأربعة ، ومسلم بخمسة
عشر ، رضي الله تعالى عنه (فلما دنوا) يعني الأشعريين (من المدينة) النبوية على
ساكنها الصلاة والسلام (كانوا يرتجزون) أي ينشدون أرجوزة من الشعر .
والرجز - بالتحريك - ضرب من الشعر ، وزنه مستفعل : ست مرات ، سمي
بذلك لتقارب أجزائه ، وقلة حروفه .

وَزَعَمَ الْخَلِيلُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الشَّعْرِ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَنْصَافُ أُيَاسَاتٍ ، كَمَا فِي « الْقَامُوسِ » .

وَفِي « الْمَطَالَعِ » : ارْتَجَزَ . قَالَ الرَّجَزُ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الشَّعْرِ الْقَصِيرِ الْفُصُولِ . وَقَدْ قِيلَ : لَيْسَ مِنَ الشَّعْرِ ، بَلْ هُوَ مِنَ السَّجْعِ . وَقَالَ الْخَلِيلُ . قَالَ : وَأَمَّا الْمَهْوُكُ مِنْهُ وَالْمَشْطُورُ ؛ فَلَيْسَا بِشَعْرِ ، وَمَا عَدَا هَذَيْنِ النَّوَاعِينَ فَهُوَ شَعْرٌ .

(يَقُولُونَ) يَبْنِي الْأَشْعَرِيَّينَ فِي ارْتِجَازٍ (غَدَاً نَلْقَى الْأُحِبَّةَ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ) الْحِزْبُ — بِالْكَسْرِ — الْوَرْدُ وَالطَّائِفَةُ وَالسَّلَاحُ ، وَجَمَاعَةُ النَّاسِ ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا . وَالْأَحْزَابُ جَمْعُهُ ، وَجَمْعُهُ كَانُوا تَأَلَّبُوا وَتَظَاهَرُوا عَلَى حَرْبِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَجُنْدُ الرَّجُلِ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ عَلَى رَأْيِهِ كَمَا هُنَا .

الْحَدِيثُ الْتَّاسِعُ وَالسُّتُونَ

١١٤ — ثَنَا يَحْيَى ، عَنْ حَمِيدٍ وَزَيْدٍ قَالَ : أَنَا حَمِيدٌ ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَقْدُمُ عَلَيْكُمْ أَقْوَامٌ أَرْقُ قُلُوبًا مِنْكُمْ ، أَرْقُ مِنْكُمْ أَفْئِدَةً ، فَقَدِمُوا الْأَشْعَرِيَّونَ فِيهِمْ أَبُو مُوسَى ، فَجَعَلُوا لَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ يَرْتَجِزُونَ : غَدَاً نَلْقَى الْأُحِبَّةَ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ .

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (ثَنَا يَحْيَى) بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ الْإِمَامِ الْحَافِظِ الثَّبَتِ الْحِجَّةِ ، أَبُو سَعِيدٍ الْبَصْرِيُّ التَّمِيمِيُّ الْأَحْوَلُ ، أَحَدُ الْأَثَمَةِ .

روى عن جعفر الصادق ، ومالك ، وخميد الطويل ، وهشام بن غروة ،
وعطاء بن السائب ، وحسين المعلم ، وخلق .

وعنه الامام أحمد ، وابن المديني ، وابن مهدي ، ومسدد ، وخلق .
قال الامام أحمد : لم يكن في زمانه مثله . وقال أبو زرعة : من الحفاظ الثقة
وقال ابن منجويه : كان من سادات زمانه حفظاً وورعاً وفهماً وفضلاً وديناً
وعلماً ، وهو الذي مهد لأهل العراق رسم الحديث ، وأمعن في البحث عن
الثقة ، وترك الضعفاء . مات رضي الله عنه ورحمه سنة ثمان وتسعين ومائة .
قال يحيى بن سعيد : (عن حميد) الطويل (و) عن أبي خالد (يزيد)
بن هارون بن زاذان الواسطي السلمي ، أحد الأئمة .

روى عن شعبة ، والثوري ، ومالك ، والحمادين ، وابن إسحاق ، وخلق .
وعنه الامام أحمد ، ويحيى بن معين ، وإسحاق بن راهوية ، وابن
المديني ، وخلق .

قال الامام أحمد : كان حافظاً متقناً صحيح الحديث . وقال ابن المديني :
مارأيت رجلاً قط أحفظ منه . وقال العجلي : ثقة ثبت متعبد ، حسن الصلاة
جداً ، وكان قد عمي .

قال أبو نافع ، سبط يزيد بن هارون : كنت عند الامام أحمد بن حنبل
وعنده رجلان ، فقال أحدهما : رأيت يزيد بن هارون في المنام ، فقلت : ما فعل
الله بك ؟ قال : غفر لي وشفعني وعاتبني ، وقال : أتحدث عن حريز — بفتح
الحاء المهملة وكسر الراء ، وبالزاي — بن عثمان ؟ قلت : يارب ما علمت إلا خيراً .
قال : إنه كان يبغض علياً . وقال الآخر : رأيت في المنام فقلت له : هل أتاك منك
ونكير ؟ قال : أي والله ، وسألاني : من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ؟ فقلت :

المثلي يقال هذا ، وأنا كنت أعلم الناس هذا في دار الدنيا ؟ فقالا : صدقت . توفي رحمه سنة ست ومائتين . روى له الجماعة .

(قال) يزيد بن هارون (أنا حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : يقدم عليكم) معشر المؤمنين من أصحابي (أقوام) جمع قوم ، وتقدم آتفاً (أرق قلوباً منكم ، أرق أفئدة) جمع فؤاد .

قال في « النهاية » : الفؤاد : القلب . وقيل : وسطه . وقيل : الفؤاد : غشاء القلب ، والقلب : حبه وسويداؤه . انتهى .

وقال ابن الصلاح : المشهور أن الفؤاد هو القلب ، فكرره بلفظين ، ووصفه بوصفين ، يعني الرقة والضعف ، كما في حديث أبي هريرة عند الشيخين وغيرهما مرفوعاً : « أنا كم أهل اليمن ، هم أضعف قلوباً ، وأرق أفئدة ، الفقه يمان ، والحكمة يمانية » . والمعنى أنها ذات خشية واستكانة ، سريرة الاستجابة والتأثر بقوارع التذكير ، سالمة من الشدة والقسوة والغلظ (فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى) عبد الله بن قيس رضي الله عنه وعنهم أجمعين (فجمعوا لما دنوا) أي قربوا (من المدينة) المنورة (يرتجزون) بقولهم : (غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه) ورواه ابن سعد والبيهقي .

وذكر الامام ابن القيم في كتابه « زاد المماد في هدي خير العباد » ﷺ - عن يزيد بن هارون ، عن ابن أبي ذئب ، عن الحارث بن عبد الرحمن ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقال : « أنا كم أهل اليمن كأنهم السحاب ، هم خيار من في الأرض » . فقال رجل من الأنصار : إلا نحن يا رسول الله ؟ فسكت ثم قال : إلا نحن يا رسول الله ؟ فسكت ثم قال : إلا نحن يا رسول الله ؟ قال : « إلا أنتم » ، كلمة ضعيفة . قال : ولما لقوا رسول الله ﷺ أسلموا

وبأيعوا . فقال رسول الله ﷺ : « الأشعريون في الناس كصورة فيها مسك » .
وروى عبدالرزاق قال : أخبرنا معمر ، قال : بلغني أن رسول الله ﷺ كان
جالساً مع أصحابه يوماً ، فقال : « اللهم أنج أصحاب السفينة » ، ثم مكث ساعة
فقال : « قد استمدت » ، فلما دنوا من المدينة قال : « قد جاؤوا يقودهم رجل صالح » .
قال : « والذين كانوا في السفينة الأشعريون » ، والذي قادم عمرو بن الحمق الخزاعي
فقال رسول الله ﷺ : « من أين جئتم » ؟ قالوا : « من زبيد » . قال : « بارك الله
في زبيد » ، قالوا : « وفي زمع » ؟ قال : « بارك الله في زبيد » ، قالوا : « وفي زمع » ؟ قال في
الثالثة : « وفي زمع » .

قال في « القاموس » : زبيد كأمير : بلد باليمن .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين
يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر
منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم ، إذا لقي الخيل - أو قال العدو - قال
لهم : إن أصحابي يأمرؤنكم أن تنظروهم . وفيها عنه رضي الله عنه (١) ، أن رسول الله
ﷺ قال : « إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو ، وقل طعام عيالهم بالمدينة ،
جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه في إناء واحد بالسوية ؛ فهم مني
وأنا منهم » .

وأخرج الترمذي ، وقال غريب ، من حديث أبي عامر الأشعري
رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نعم الحي الأسد ، والأشعريون
لا يفرون في القتال ولا يغفلون ، هم مني وأنا منهم » . قال عامر ابنه : فحدثت بذلك
معاوية فقال : ليس كذا قال رسول الله ﷺ ، قال : « هم مني وإلي » فقلت :
ليس هكذا حدثني أبي ، ولكنه حدثني قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« هم مني وأنا منهم » فقال : أنت أعلم بحديث أبيك ، والله الموفق .

(١) أي في « الصحيحين » عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

الحديث السبعون

١١٥ - ثنا ابن أبي عدي ، وزيد بن هارون ، قالا :
أنا حميد ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ كان عند بعض نسائه .
قال : أظنها عائشة ، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم لها
بقصعة فيها طعام . قال : فضربت الأخرى بيد الخادم ، فكسرت
القصعة بنصفين ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : غارت أمكم .
قال : وأخذ الكسرتين ، فضم إحداهما إلى الأخرى ، فجعل
فيها الطعام ، ثم قال : كلوا ، فأكلوا ، وجلس الرسول والقصعة حتى
فرغوا ، فدفعت إلى الرسول قصعة أخرى ، وترك المكسورة مكانها .
قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، وزيد بن هارون ، قالا :
أنا حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ
كان عند بعض نسائه . قال) يعني أنس بن مالك رضي الله عنه : (أظنها) أي
الكائن عندها (عائشة) الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها (فأرسلت إحدى
أمهات المؤمنين) .

قال الحافظ ابن حجر : هي زينب بنت جحش رضي الله عنها
وقد صرح بعض رواة « الصحيحين » بإسناد حميد للحديث من أنس ،
وبيّن أن التي كان في بيتها ، عائشة رضي الله عنها (مع خادم لها) أي لزينب
المرسلة . وقيل : إن المرسلة أم سلمة . وقيل : صفية . وقيل : حفصة . ولم أر من
سمى الخادم (بقصعة) متعلق بأرسلت . والقصعة - بفتح القاف وسكون

الصاد وفتح العين المهملتين - : الصفحة ، والجمع قصعات - بفتح الصاد المهملة -
وكعنب وجبال . والقصيعة - كجبهينة - تصغيرها (فيها) أي في تلك القصعة
المرسلة (طعام) ..

وفي « المحلى » لابن حزم : أنه كان جفنة من حيس .

وفي « الطبراني » من حديث أنس رضي الله عنه : صحفة خبز ولحم من
بيت أم سلمة ، ولفظه : عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنهم كانوا يوماً عند
رسول الله ﷺ في بيت عائشة زوج النبي ﷺ ، فبينما نحن عند رسول الله
ﷺ إذ أتني بصحفة خبز ولحم من بيت أم سلمة ، فوضعت بين يدي النبي ﷺ
قال : ضعوا أيديكم ، فوضع نبي الله ﷺ يده ، ووضعنا أيدينا فأكلنا . قال :
وعائشة تصنع طعاماً عجلة ، قد رأت الصحفة التي أتني بها . فلما فرغت من
طعامها جاءت به فوضعتها ، ورفعت صحفة أم سلمة فكسرتها .

(قال) أنس رضي الله عنه : (فضربت) المرأة (الأخرى) يعني عائشة
رضي الله عنها (بيد الخادم) الذي جاءنا بالقصعة من عند بعض أزواجه ﷺ
(فكسرت القصعة) التي في يد الخادم (بنصفين) فهذا ظاهر في أن كسرها
للقصعة قبل الأكل منها ؛ ولهذا قال : (فجعل رسول الله ﷺ) .. الحديث ،
بخلاف ما في الطبراني ، فانه صريح بأن الكسر كان بعد أكل القوم . ويمكن الجمع
بأن القصعة بقي فيها طعام ، فدفعها للخادم فكسرتها من يد الخادم بعد أكل القوم ،
ثم جمع الطعام الذي كان فيها ، فوضعه في شقفتها ، فأمرهم بأكله أو بأكل ما جاءت به
عائشة رضي الله عنها تطيباً لقلبها ، وحينئذ جعل ﷺ (يقول : غارت
أمكم) الخطاب لمن حضر ، والمراد بالأم هي التي كسرت الصحفة ، وهي من
أمهات المؤمنين ، وتقدم أنها عائشة رضي الله عنها .

وأغرب الداودي فقال : المراد بقوله : أمكم ، سارة . وكأن معنى الكلام

عنده: لا تتمجبوا مما وقع من هذه الغيرة؛ فقد غارت قبل ذلك أمكم ، حتى أخرج إبراهيم ولده إسماعيل وهو طفل مع أمه الى وادٍ غير ذي زرع .

قال في « الفتح » : وهذا وإن كان له بعض توجيه ، لكن المراد خلافه ، وإن المراد كسرة الصحيفة ، وعلى هذا حملة جميع من شرح هذا الحديث ، وقالوا : فيه إشارة الى عدم مؤاخذه الغيري بما يصدر منها ، لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوباً بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة .

وقد أخرج أبو يعلى بسند لا بأس به ، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « إن الغيري لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه » ، قاله في قصة .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « إن الله كتب الغيرة على النساء ، فمن صبر منهن كان لها أجر شهيد » . أخرجه البزار وأشار الى صحته ، رجاله ثقات ، لكن اختلف في عبيد بن الصباح منهم . وفي إطلاق الداودي على سارة أنها أم الخطابين نظر ، فانهم إن كانوا من بني إسماعيل ، فأمرهم هاجر ، لا سارة . وبعده أن يكونوا من بني إسرائيل حتى يصح أن أمرهم سارة . انتهى .

قوله **ﷺ** : « غارت أمكم » من الغيرة بفتح الغين المعجمة وسكون التحتية بعدها راء — قال القاضي عياض وغيره : مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص ، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين ، هذا في حق الآدمي ، وأما في حق الله تعالى ؛ فقال الخطابي : أحسن ما يفسر به ما فسر به في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو قوله : « وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه » .

وقال القاضي عياض : ويحتمل أن تكون الغيرة في حق الله الإشارة الى تغيير حال فاعل ذلك . وقيل : الغيرة في الأصل : الحمية والآنفة ، وهو تفسير

بلازم التغير ؛ فرجع الى الغضب . وقد نسب سبحانه وتعالى الى نفسه في كتابه
الغضب والرضى .

وقال ابن الاعرابي : التغير محال على الله بالدلالة القطعية ؛ فيجب تأويله
بلازمه ، كالوعيد ، أو إيقاع العقوبة بالفاعل ، ونحو ذلك . انتهى .

ومذهب السلف : الايمان بما أخبر على الوجه الذي يليق به تعالى ، لا كما
يخطر في عقول البشر من التشبيه والتمثيل . ومن غيرته تعالى : اختصاصه قوماً
بعضته . وأشد الآدميين غيرة رسول الله ﷺ ؛ لأنه كان يفار الله ولدينه ،
ولهذا كان لا ينتقم لنفسه .

وأصل غيرة النساء غير مكتسب لهن ، لكن إذا أفرطت المرأة في ذلك
بقدر زائد تلام عليه . وضابط ذلك ، ما ورد في حديث جابر بن عتيك الأنصاري
رفعه : « إن من الغيرة ما يحب الله ، ومنها ما يبغض الله ؛ فالغيرة التي يحب
الله ؛ فالغيرة في الريبة ، وأما الغيرة التي يبغض الله ؛ فالغيرة في غير ريبة » . وهذا
التفصيل يتمحض في أحوال الرجال ؛ لضرورة امتناع اجتماع زوجين للمرأة
بطريق الحل . وأما المرأة ؛ فحيث غارت من زوجها في ارتكاب محرم ، إما بالزنا
مثلاً ، وإما بنقص حقها ، وجوره عليها لضررتها ، وإيثارها عليها ، فإذا تحققت
ذلك ، أو ظهرت القرائن فيه ؛ فهي غيرة مشروعة . فلو وقع ذلك بمجرد الوهم
عن غير دليل ؛ فهي الغيرة في غير ريبة . وأما إذا كان الزوج مقسطاً عادلاً ،
وأدى لكل من الزوجين حقها ؛ فالغيرة منها إن كانت لما في الطباع البشرية التي
لم يسلم منها أحد من النساء ؛ فتعذر فيها ، مالم تتجاوز إلى ما يحرم عليها من قول أو
فعل ، وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف الصالح من النساء في ذلك ، كما
في « الفتح » .

وقال الامام ابن القيم في كتابه : « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » : ملاك

الغيرة وأعلاها ، ثلاثة أنواع : غيره العبد لربه أن تنتهك محارمه وتضيع حدوده ،
وغيرته على قلبه أن يسكن إلى غيره وأن يأنس بسواه ، وغيرته على حرمة (١) أن
يتطلع إليها غيره . وما عداها إما من خدع الشيطان ، وإما بلوى من الله ، كغيرة
المرأة على زوجها أن يتزوج عليها .

(قال) أنس رضي الله عنه : (وأخذ) رسول الله ﷺ (الكسرتين)
من القصعة المكسورة (فضم إحداها) أي إحدى الكسرتين (إلى) الكسرة
(الأخرى) منها (فجعل فيها) أي في القصعة بعد أن ضم كسرتها (الطعام)
لأنه لم يتنجس بمسه الأرض ، إما لطهارة الأرض ، وإما لحفاف الطعام والأرض .
(ثم قال) ﷺ (للقوم : (كلوا) إما من الطعام الذي جعله في كسرتي
القصعة المهداة ، وهو الظاهر ، أو من الطعام الذي صنعت عائشة رضي الله عنها
(فأكلوا) من ذلك الطعام حاجتهم (وحبس) النبي ﷺ (الرسول) الذي
هو الخادم الذي جاء بالقصعة التي كسرتها عائشة رضي الله عنها (و) حبس ، يعني
أمسك عنده وأبقى (القصعة) التي كسرتها عائشة رضي الله عنها ، ولم يزل
حابس الخادم والقصعة (حتى فرغوا) من الأكل (فدفع) ﷺ (إلى الرسول ،
قصعة أخرى) صحيحة من بيت عائشة مكان القصعة التي كسرتها إقامة للعدل ،
ليردها الرسول إلى ربها (وترك) ﷺ القصعة (المكسورة مكانها) في بيت
عائشة رضي الله عنها .

فإن قلت : هذا منه ﷺ تضمنين للمتقون بمثله .

فالجواب : إن هذا وهم ، لأن القصعتين ملكه ﷺ ، وإما لكل واحدة
من زوجتيه الاختصاص بالانتفاع بكل واحدة منها ، فلما كسرت عائشة القصعة
التي نفعها مختص بزینب ، أو غيرها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ؛ أرسل
لها القصعة التي نفعها مختص بعائشة ؛ لكونها أبطلت اختصاص الأخرى بتلك

(١) أي على امرأته .

القصة : فلا حجة لمن تعلق بذلك ، كما لا يخفى على ذي فهم .
وفي الحديث دليل على أخذ الطعام الساقط على الأرض حيث لم ينجس .
وفي مسلم من حديث جابر رضي الله عنه : « إذا سقطت لقمة أحدكم ؛
فليمط ما أصابها من أذى ، وليأكلها » . وفي بعض ألفاظه : « إذا وقعت لقمة
أحدكم ؛ فليمط ما كان بها من أذى ، ولا يدعها للشيطان » والله أعلم .

الحديث الحادي والسبعون

١١٦ — ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :
اشتكى ابنُ لَآبِي طلحة ، فخرج أبو طلحة إلى المسجد ، فتوفي
الغلام ، فهايت أم سليم الميت وقالت لأهلها : لا يخبرنَّ أحدٌ
منكم أبا طلحة بوفاة ابنه ، فرجع إلى أهله ومعه ناس من أهل
المسجد من أصحابه . قال : ما فعل الغلام ؟ قالت : خير ما كان ،
فقرَّبَت إليهم عشاءهم فتعشوا ، وخرج القوم وقامت المرأة إلى
ما تقوم إليه المرأة ، فلما كان آخر الليل قالت : يا أبا طلحة !
ألم ترَ إلى آل فلان ، استعاروا عارية ، فتمتعوا بها ، فلما طُلبت ،
كأنهم كرهوا ذلك . قال : ما أنصفوا . قالت : فإن ابنك قد
كان عارية من الله ، وإن الله تبارك وتعالى قبضه ، فاسترجع

وحمد الله ، فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ ، فلما رآه قال :
 بارك الله لكما في ليلتكما ، فحملت بعبد الله ، فولدته ليلاً ،
 وكرهت أن تحنكه حتى يحنكه رسول الله ﷺ . قال :
 فحملته غدوة ومعى تمرات ، فوجدته يهنأ أباعر له ، أو يسمها .
 فقلت : يا رسول الله ! إن أم سليم ولدت الليلة ، فـكرهت
 أن تحنكه حتى يحنكه رسول الله . فقال : أمك شبيء ؟
 قلت : تمرات عجوة ، فأخذ بعضهن فمضعهن ، ثم جمع بزاقه
 فأوجره إياه ، فجعل يتلمّظ . فقال : حبّ الانصار التمر .
 قال : قلت : سمّيه يا رسول الله ! قال : هو عبد الله . قال عبد الله :
 ثنا بNDAR ، قال : ثنا ابن أبي عدي ببعض هذا الحديث . قال :
 فأتيته وعليه بردة .

قال رضي الله عنه (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن
 أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : اشتكى ابن لابي طلحة) زيد بن سهل
 رضي الله عنه ، وهو أخو أنس لأمه ، وهو أبو عمير بالتصغير ، الذي كان يداعبه
 النبي ﷺ . وفي رواية لحميد عند الامام أحمد : وكان لها ، أي أم سليم ، ابن
 من ابني طلحة يكنى أبا عمير . وفي رواية عمارة بن زاذان ، عن ثابت عند ابن سعد :
 أن أبا طلحة كان له ابن . قال : أحسبه فطياً ، أي انتهى إرضاعه .

قال في «الفتح»: ولم أر عند من ذكر أبا عمير في الصحابة، له غير قصة النغير، يعني قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا عمير ما فعل النغير» بنون وغين معجمة، مصغراً لنغير كان يلعب به، وهو طير صغير، واحده نُغَيْرَة، وجمعه نِغْرَان. قال الخطابي: طوير له صوت. ونظر فيه في «الفتح» بأنه ورد في بعض طرقه بأنه الصمو - بمهملتين - بوزن العفو، كما في رواية رباعي. فقالت أم سلمة رضي الله عنها: مائت صموته التي كان يلعب بها. فقال، أي أبا عمير! مات النغير؟ فدل على أنها شبيء واحد. والصمو لا يوصف بحسن الصوت.

قال الشاعر:

كالصمو يرتع في الرياض وإنما حبس المهزّار^(١) لأنه يترنّم
وقال عياض: النغير: طائر يشبه العصفور، وهي فراخ العصافير، وقيل:
نوع من الحمّير - بضم المهملة وتشديد الميم ثم راء - قال: والراجح أن النغير
طائر أحمر المنقار.

قال في «الفتح»: ولاذكروا له، أي لأبي عمير اسماً، بل جزم بعض
الشرح بأن اسمه كنيته. لكن قد يؤخذ من قول أنس في رواية رباعي ابن
عبد الله: يكنى أبا عمير؛ أن له اسماً غير كنيته.

وذكر الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه «آداب النساء»، أن اسمه
حفص؛ فقد ذكر في الباب العاشر بعد المائة في آخر الكتاب المذكور في ترجمة
أم سليم رضي الله عنها، عن أنس رضي الله عنه؛ أن أبا طلحة رضي الله عنه
زوج أم سليم رضي الله عنها؛ كان له ابن منها يقال له: حفص، غلام قد ترعرع،
فأصبح أبو طلحة وهو صائم في بعض شغله، فذكر القصة بنحو قصة ما في هذا

(١) الهزار: طائر حسن التغريد.

الحديث . وسأذكرها إن شاء الله بعد ، فعمل أن اسم أبي عمير حفص ، وهو وارث على من صنف في « المبهات » .

وقوله : اشتكى ابن لأبي طلحة ، أي مرض .

قال في « القاموس » : الشكو والشكوى والشكاة : المرض ، والشاكي : من عرض له أقل مرض وأهونه ، وهذا يمرض ما أخرجه ابن الجوزي في « آداب النساء » من طريق محمد بن عمرو ، وهو أبو سهل البصري — وفيه مقال — عن حفص بن عبيد الله ، عن أنس رضي الله عنه ، أن أبا طلحة كان له ابن منها يقال له : حفص ، غلام قد ترعرع ، فأصبح أبو طلحة وهو صائم في بعض شغله ، فأقبلت أم سليم على ذات بيتها ، فخرج الغلام يلعب مع الصبيان ، فلما جاء الغلام الغداة اضطجع على فراش فترمل قطيفة لهم ، فلما صنعت أم سليم غداء بيتها ؛ جعلت تصرخ تناديه فلا يستجيب لها ، فلما غلبها شأنه كشفت عن وجهه فوجدته قد قبض في منامه ، فزملته كبيتته ، وأقبلت على ذات بيتها ، حتى إذا أمست جاء زوجها أبو طلحة ... الحديث .

وهذا مخالف لما في « المسند » و « الصحيحين » وغيرها ، ويمكن الجمع بأنه قد كان شاكياً ، وحصل له الشفاء وترعرع من مرضه . يقال : ترعرع الصبي : تحرك ومشى ، ثم إنه خرج ليلعب مع الصبيان ، ثم عاد فاضطجع على الفراش وتغطى بالقطيفة ؛ فمات في نومته تلك .

قال أنس رضي الله عنه : (خرج أبو طلحة إلى المسجد) النبوي (فتوفي) (الغلام) أي حفص المكنى بأبي عمير (فهيات أم سليم) — بضم السين المهملة وفتح اللام — سهلة بنت ملحان رضي الله عنها (الميت) أي أصلحته ، بأن سجنه وغطته (وقالت لأهلها) ممن اطلع على الحال : (لا يخبرن) نهى مؤكدا بنون التأكيد الثقيلة (أحد منكم أبا طلحة ب وفاة) أي موت (ابنه) حتى أكون

أنا التي (١) أخبره بذلك ، ففعلوا (فرجع) أبو طلحة رضي الله عنه من المسجد (إلى أهله ومعه ناس من أهل المسجد من أصحابه . قال) أبو طلحة لام سليم : (ما فعل الغلام) يعني ابنه أبا عمير (قالت : خير ما كان) وفي رواية : إنها قالت له : هداً نفّسه ، وأرجو أنه يكون قد استراح ، وهذا منها من المعارض .

وفي « الأدب المفرد » للبخاري ، من طريق قتادة عن مطرف بن عبد الله قال : صحبت عمران بن حصين من الكوفة إلى البصرة ، فما أتى عليه يوم إلا أنشدنا فيه شعراً ، وقال : إن في معاريض الكلام مندوحة عن الكذب . وأخرجه الطبري في « التهذيب » والطبراني في « الكبير » ورجاله ثقات . وأخرجه ابن عدي من وجه آخر عن قتادة مرفوعاً ، ووهاه . وأخرجه أبو بكر ابن كامل في « فوائده » والبيهقي في « الشعب » من طريقه كذلك . وأخرجه ابن عدي أيضاً من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً بسندٍ واهٍ أيضاً .

وأخرج البخاري في « الأدب المفرد » من طريق عثمان النهدي ، عن عمر رضي الله عنه أنه قال : أما في المعارض ما يكفي المسلم عن الكذب ؟ والمعارض والمعارض ، باثبات الياء ومخذفها : جمع معراض ، من التعريض بالقول .

قال الجوهري : هو خلاف التصريح ، وهو التورية بالشبيء عن الشبيء . وقال الراغب : التعريض كلام له وجهان في صدقه وكذبه ، أو باطن وظاهر . وفي « الفتح » : الأولى : كلام له وجهان : يطلق أحدهما ، والمراد لازمه ؛ ففهم أبو طلحة من ذلك أن الصبي المريض تمافى ؛ لأن قولها : هداً - مهموزاً - بوزن سكن ومعناه . والنفس - بفتح الفاء - شعر بالنوم ، والليل إذا نام ؛

(١) في الاصل : الذي

أشعر بزوال مرضه أو خفته ؛ وأرادت هي أنه قد انقطع بالكلية بالموت ، وكذا قولها : وأرجو أنه قد استراح ؛ فهم منه أنه استراح بالنوم وبالعافية ، ومرادها أنه استراح من نكد الدنيا ، وألم المرض ؛ فهي صادقة باعتبار مرادها ، وخبرها بذلك غير مطابق للأمر الذي فهمه أبو طلحة ؛ فمن ثم قال الراوي : وظن أنها صادقة ، أي باعتبار ما فهم هو (فقربت) أم سليم (إليهم) أي إلى أبي طلحة ومن معه من أصحابه (عشاءم) الذي ^(١) كانت صنعتهم لهم (فتعشوا) أي وذلك بعد ما غربت الشمس ؛ لأن أبا طلحة كان صائماً .

(وخرج القوم) إلى المسجد (وقامت المرأة) التي هي أم سليم رضي الله عنها (إلى ما) أي الأمر الذي (تقوم إليه المرأة) من التهيؤ إلى زوجها والتصنع له ، فلما كان بعد العشاء دنا منها وأصاب منها ما يصيب الرجل من امرأته (فلما كان آخر الليل قالت) أم سليم : (يا أبا طلحة) إنما نادته بيا المفيدة لنداء البعيد مع كونه مضاجعاً لها ، تنزيلاً له منزلة البعيد ، وإشارة إلى بعد مضمون القصة ، وللتنبية لما تلقيه (ألم تر إلى آل فلان) آل الرجل : أهله ، والصواب جواز إضافته إلى الضمير ، خلافاً لمن أنكره ، وفلان وفلانة كناية عن الذكر والأنثى من الناس ، فان كنيت بهما عن غير الناس . قلت : الفلان والفلانة ، قاله في « النهاية » .

وفي « القاموس » : فلان وفلانة — مضمومتين كناية عن أسمائنا ^(٢) وبأل عن غيرنا . وقد يقال : للواحد : يافُلٌ ، وللاثنتين : يافُلان ^(٣) والجمع : يافلون . وفي المؤنث : يافُلَةٌ ويا فُلَّتَانِ ويا فُلَاتٍ (استعاروا عارية) من غيرهم (فتعتموا بها)

(١) في الاصل : التي .

(٢) في الاصل : أسمائهن ؛ والتصحيح من « القاموس »

(٣) ما بين الواحد والجمع لم يكن في الاصل ، والتصحيح من « القاموس »

أي بترك العارية مدة ، وانتفعوا بها زماناً (فلما طلبت) - بضم الطاء المهملة وكسر اللام مبيناً للمجهول - أي لما طلب أهل العارية ؛ العارية (كأنهم) أي الذين استعاروها (كرهوا ذلك) أي طلب أهلها لها ، وما بادروا بدفعها لما لكها لكونهم ألفوها ؛ فشق عليهم اقتراعها منهم .

(قال) أبو طلحة رضي الله عنه مجيباً لأم سليم رضي الله عنها عما سألته عنه من أمر العارية ، وتبرم المستعيرين لها من رجوعها لأهلها (ما أنصفوا) في ذلك ، لأن الواجب عليهم المبادرة لرد العارية لأهلها ؛ حيث طلبوها ، ولا يحسن التقاعس عن ذلك ولا التبرم والمماطلة فيما هناك .

(قالت) أم سليم لأبي طلحة رضي الله عنها : (فا) ذا أفتيت بذلك فاعلم أن ابنك قد كان عارية من الله (عز وجل) وإن الله تبارك وتعالى قبضه (بعد أن تمتك به برهة من الزمان ؛ فاسترجع واحمد الله تعالى) (فاسترجع) أبو طلحة رضي الله عنه ، أي قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون »^(١) فلا استرجاع : استفعال ، وهو قول المصنف : « إنا لله وإنا إليه راجعون »^(١) . وقد جعل الله جل ثناؤه هذه الكلمات ملجأً وملاذاً لذوي المصائب ، وعصمة للممتحنين من الشيطان ، لا يتسلط على المصائب فيؤسوس له بالأفكار الرديئة ، فيهيج ماسكن ، ويظهر ما كمن ، فاذا لجأ إلى هذه الكلمات الجامعات لمعاني الخير والبركة ، أمن من ذلك ، ونجا من المهالك ، فإن قوله : « إنا لله »^(١) توحيد وإقرار بالعبودية والملك .

وقوله : « إنا إليه راجعون »^(١) إقرار بأن الله يهلكنا ثم يبعثنا ، فهو إيمان بالبعث بعد الموت ، وهو إيمان أيضاً بأن له الحكم في الأولى ، وله المرجع في الآخرة ، فهو من اليقين أن الأمر كله لله ؛ فلا ملجأ منه إلا إليه .

وروى مسلم في « صحيحه » من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت :

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٥٦

شمت رسول الله ﷺ يقول : « مامن مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : « إنا لله وإنا إليه راجعون » (١) اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها ، إلا أجره الله في مصيبته ، وأخلف له خيراً منها ، . وقد يجعل للعبد بكلمات الاسترجاع منزلة عالية وثواباً جزيلاً (وحمد الله) تعالى أبو طلحة . وفي رواية أن أم سليم تصنعت له حتى واقعها ، ثم قالت : يا أبا طلحة ، أرأيت قوماً أودعوا قوماً وديعة ، ثم طلبوها منهم ، أفما يجب أن يؤدوها اليهم ؟ قال : بلى . قالت : فاحتسب ابنك ، فغضب لما صنعت به ، وإنما حمد الله تعالى ، أبو طلحة ؛ امتثالا لما في حديث أبي موسى ، وفيه : « فيقول الله تعالى للملائكة : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول الله تبارك وتعالى : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد ، . رواه الترمذي ، وحسنه ، وابن حبان في « صحيحه » .

والحاصل أن على العبد أن يتحقق أن نفسه وأهله وماله وولده ملك لله عز وجل حقيقة ، وقد جعله الله عند العبد عارية ، فإذا أخذه منه ؛ فهو كالمير يأخذ عاريته من المستعير .

وأيضاً فليعلم أنه محفوف بعمدين : عدم قبله ، وعدم بعده ، وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير ، إذ العبد لم يوجد ذلك الولد مثلاً ، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده ، ولا يبقى عليه وجوده ، فليس له تأثير ولا ملك حقيقي ، بل هو عارية مستردة .

وفي رواية : قال أنس : فلما أصبح أبو طلحة اغتسل ، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات .

(فلما أصبح ، غدا) أبو طلحة رضي الله عنه (على رسول الله ﷺ) فصلى معه ، ثم أخبره بما كان منها (فلما رآه) النبي ﷺ وقص عليه خبر أم سليم . (قال) ﷺ : (بارك الله لكما) أي لا بني طلحة وأم سليم (في ليلتكما) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٥٦

وفي رواية في « صحيح البخاري » : فقال رسول الله ﷺ : « لعل الله يبارك لها في ليلتها ، وكأنه دعا لها أولاً ، ثم ترجى ﷺ أن تكون الدعوة قد استجبت لها ، وفي رواية : فلما كان الصباح ذهب الى رسول الله ﷺ يشكوها إليه ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « بارك الله لكما في غابر ليلتكما » (فحملت) أم سليم رضي الله عنها من تلك الليلة (بـ) ابنها (عبدالله) بن أبي طلحة (فولدته ليلاً ، وكرهت) أم سليم (أن تحنكه) هي أو أحد من قومها (حتى يحنكه رسول الله ﷺ) بتشديد النون وتخفيفها ، كما حكاه الهروي ، ومعنى التحنيك : أن يعضغ تمره ويحملها في في الصبي ويحك بها حنكه بسبابته حتى تهطل في حلقه . والحنك أعلى داخل الفم .

قال أنس رضي الله عنه : (فحملته) أي المولود (غدوة) بضم الغين المعجمة وسكون الدال المهملة وفتح الواو - أي بكرة ، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس ، كالغداة والغدية ، والجمع : غدوات وغديات (ومعي تمرات) جمع تمر (فوجدته) ﷺ (يهنأ) بتثنية النون أي يطلي (أباعره) ﷺ جمع بعير - بفتح الباء الموحدة ، وقد تكسر - الجمل البازل ، أو الجذع . وقد يكون للأنثى ، ويجمع أيضاً على أبرة وأباعر ، وبعران - بضم الباء وكسرها - بالهناء ، ككتاب : القطران ، كما في « القاموس » .

وقال في « النهاية » : هنأت البعير أهنؤه - إذا طليته - بالهناء ، وهو : القطران .

ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنهما في مال اليتيم : إن كنت تهنأ جرباها ، أي تعالج جرب إبله بالقطران .

(أو) قال أنس رضي الله عنه : (يسمها) أي الأباعر ، أي يعلم عليها بالكي . يقال : وسمه يسمه وسماً وسمه ، إذا أثر فيه يكي . والميسم الحديدية التي يكوى

بها، وأصله موسم ، فقلبت الواو ياءً لكسرة الميم . قال أنس رضي الله عنه (فقلت :
يا رسول الله : إن أم سليم) يعني والدته (ولدت الليلة ، فكرهت أن تمنكه حتى
يمنكه رسول الله) ﷺ ، التفت من الخطاب الى الغيبة ؛ تعظيماً له صلى الله
عليه وسلم واحتراماً .

(فقال) عليه الصلاة والسلام لأنس رضي الله عنه : (أملك شيئاً) من
التمر لتحشكه به .

(قلت) : معي (تمرات عجوة) وهو نوع من تمر المدينة ، أكبر من
الصيحاني ، يضرب الى السواد .

قال في « النهاية » : هو من غرس النبي ﷺ . انتهى . (فأخذ) ﷺ
(بمضغهن) أي التمرات (فمضغهن) أي لا كهن .

يقال : مضغه كمنعه : لا كنه بسنه ، والمضاعة بالضم : مامضغ ، والمضغة بالضم :
قطعة لحم وغيره (ثم) بمد مضغه صلى الله عليه وسلم التمرات (جمع بزاقه) أي ريقه
الشريف (فأوجره إياه) أي جرعه مامضغه من التمرات المختلطات بريقه .

والوَجور : الدواء يوجر في الفم ويضم . وتوجر الدواء بلمعه ، والماء شربه
كارهاً (فجعل) الصبي (يتلمظ) أي يدير لسانه في فيه ويحركه ، يتبع أثر التمر ،
واسم ما يبقى في الفم من أثر الطعام لماظ (فقال) رسول الله ﷺ (حب) أي
محبوب (الأنصار التمر) لكثرة عندم واعتيادهم لأكله وإيمانهم على الاقتيات
به والتفكه برطبه وبسره ، فهم من أشرف الناس بأكله والخبرة به ومعاطاته ،
فلهم مزيد الاعتناء به ومزية النسبة اليه .

(قال) أنس رضي الله عنه : (قلت : سمه) بفتح السين المهملة وتشديد
الميم : (يا رسول الله ! قال : هو) أي اسمه (عبدالله) وهو عبدالله بن أبي طلحة .
قال أنس : سماء النبي ﷺ ودعاه . قال : وما كان في الأنصار ناشئاً

أفضل منه ، وهو أخو أنس لأمه ، ولد لعبد الله هذا عشر بنين كلهم قرأ القرآن وروى عنه . منهم إسحاق ، وعبد الله ، وعمر . وأشهر بنيه أبو يحيى إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري المدني من ثقات المدنيين ، تابعي مشهور ، وإخوته عبد الله ويعقوب وإسماعيل وعمر ، وغيرهم ، وأشهرهم إسحاق ، وهو أكبرهم ، وهم الأخوة المشهورون بالقراء ، والأول الذي مات هو أبو عمير الذي كان رسول الله ﷺ يداعبه ويقول له : يا أبا عمير ما فعل النغير ، أي ما فعل عصفورك ؟ ففي هذا الحديث : ما ظهر من أم سليم رضي الله عنها من الصبر العظيم مما أبهر العقول ، وتحملت به النقول ، وصار منقبة لها إلى آخر الدهر ، مع ما أخلف الله لها خيراً من الذي أصيبت به ، فاذا نظر من أصيب بمصيبة إلى امرأة قد فعلت عند مصيبتها أمراً لا يكون إلا عند السرور والأفراح ؛ فعليه أن يتأسى بها ويخبر أوصاف السابقين الأولين ، ويعلم أن الرجال أولى بهذا الصنيع والصبر من النساء .

وقد روى الامام مالك رضي الله عنه في « الموطأ » عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد قال : هلكت امرأة لي ، فأتاني محمد بن كعب القرظي يمزيني بها ، فقال : إنه كان في بني إسرائيل رجل فقيه عالم عابد مجتهد ، وكانت له امرأة ، وكان بها ممجياً ، ولها محباً ، فماتت ، فوجد عليها وجداً شديداً ، وتأسف عليها أسفاً شديداً ، حتى خلى في بيت ، وعلق على نفسه ، واحتجب عن الناس ؛ فلم يكن يدخل عليه أحد ، وإن امرأة سمعت به ، فجاءته فقالت : إن لي إليه حاجة أستفتيه فيها ، ليس يجزئي إلا مشافهته ، فذهب الناس ولزمت بابه . وقالت : ما لي منه بد ، فقال له قائل : إن ها هنا امرأة أرادت أن تستفتيك . قال : ائذنوا لها ، فدخلت ، فقالت : إني استعرت من جارة لي حلياً ، فكنت ألبسه وأعيده زماناً ، ثم إنهم أرسلوا إلي فيه ، فأؤديه إليهم ؟ فقال : نعم والآله . قالت : إنه مكث عندي زماناً . قال : فذاك أحق لردك إياه إليهم حين أعاروكيه

زماناً . فقال : فقالت : أي يرحمك الله ، أفتتأسف على ما أعارك الله ، ثم أخذه منك ، وهو أحق به منك ؟ فأبصر ما كان فيه ونفعه الله بقولها ، والله تعالى الموفق .

(قال) الامام بن الامام أبو عبد الرحمن (عبد الله) بن الامام أحمد رضي الله عنهما (ثنا بندار) هو محمد بن بشار بن عثمان البغدادي أبو بكر البصري الحافظ ، ذكره الحافظ الذهبي ، ثم ابن برداس الحنبلي ، ثم الجلال السيوطي في « طبقات الحفاظ » .

روى عن مهدي ، وأبي عاصم ، وابن عون ، ويحيى القطان ، وعفان وغيرهم . وعنه الأئمة الستة ، وإبراهيم الحارثي ، وابن خزيمة ، وأبو حاتم ، وأبو زرعة ، وخلق .

قال أبو داود : وكتبت عن بندار نحواً من خمسين ألف حديث ، وكتبت عن أبي موسى شيئاً ، وهو أثبت من بندار . وقال المعجلي : إنه ثقة كثير الحديث ، مات في رجب سنة ثنتين وخمسين ومائتين ، وله خمس وثمانون سنة رحمه الله .

(قال : ثنا) محمد (ابن أبي عدي) شيخ الامام أحمد في هذا الحديث (يبعث هذا الحديث) الذي تقدم (قال) فيه ، يعني أنس بن مالك رضي الله عنه (فأتيته) أي النبي ﷺ (وعليه بركة) أي ، والحال أن على رسول الله ﷺ بركة ، والمرد من ذكر هذه الطريق مزيد التأكيده . وتام الحفظ . والحديث صحيح ، رواه البخاري في « صحيحه » وغيره ، والله تعالى الموفق .

الحديث الثاني والسبعون

١١٧ - ثنا سهل بن يوسف ، يعني المسمعي ، عن حميد
وزيد بن هارون قال : أنا حميد ، عن أنس قال : قدم رسول
الله ﷺ المدينة ، ولأهل المدينة يومان يلعبون فيها ، فقال :
قدمت عليكم ولستم يومان تلعبون فيها ، وإن الله قد أبدلكم
يومين خيراً منهما : يوم الفطر ، ويوم النحر .

قال رضي الله عنه : (ثنا سهل بن يوسف ، يعني المسمعي عن حميد)
الطويل (و) حدثنا (يزيد ابن هارون) بن زاذان الواسطي السلمي أبو خالد
أحد الأئمة .

روى عن شعبة ، والثوري ، ومالك ، والحمادين ، وابن إسحاق ، وخلق .
وروى عنه الامام أحمد ، ويحيى ، وإسحاق ، وابن المديني ، وخلق .
قال الامام أحمد : كان حافظاً متقناً صحيح الحديث ، وتقدمت ترجمته في
الثامن والستين من حديث أنس رضي الله عنه .

(قال) أبو خالد يزيد بن هارون (أنا حميد) الطويل (عن أنس) ابن
مالك رضي الله عنه (قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة) النبوية مهاجراً إليها
من مكة (ولأهل المدينة يومان يلعبون فيها) جملة : ولأهل المدينة من المبتدأ
والخبر والصفة ؛ حالية (فقال) لهم رسول الله ﷺ : أي (قدمت عليكم)
مهاجراً (ولستم) يا معشر الأنصار (يومان) وهما النيروز والمهرجان (تلعبون)

وتلهون (فيها) وتظهرون فيها الفرح والسرور مع أنها عيدان للكفار (وإن الله) جل شأنه (قد أبدلكم) معشر المسلمين (يومين خيراً منها) لأن ذينك من أحداث الكفار والملوك الماضين^(١)، وهما يعني اليومين اللذين أبدلكم الله بمشروعاتهما (يوم) عيد (الفطر) من صوم رمضان (ويوم) عيد (النحر) عند انقضاء النسك؛ فيها عيدان مشروعان للذكر والعبادة، وإظهار الفرح والسرور؛ لأن كل واحد منهما على إر ركن من أركان الإسلام، وقد تقدم الكلام على شرح هذا الحديث مستوفى في الثامن والاربعين من «مسند أنس» بن مالك رضي الله عنه.

الحديث الثالث والسبعون

١١٨ - ثنا سهل ، قال : أنا حميد ، عن أنس ، أن رجلاً اطلع على النبي ﷺ من خلل ؛ فسدد له النبي ﷺ بمشقص ، فأخرج الرجل رأسه .

قال رضي الله عنه : (ثنا سهل) بن يوسف المسمعي (قال : أنا حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن رجلاً) قيل : هو الحكم ابن أبي العاص بن أمية ، والد مروان . وقيل : سعد ، غير منسوب ، وجزم بالأول ابن البلقيني في «مبهاته» .

(اطلع) بتشديد الطاء المهملة (على النبي ﷺ) وهو في بعض حجر نسائه (من خلل) أي من فرجة ، وفي لفظ : من حجر - بضم الجيم وسكون الحاء المهملة - وهو ثقب مستدير في أرض أو حائط ، وأصلها مكانم الوحش .

(٢) في الاصل : الماضية .

وفي لفظ آخر : من حجر - بضم الحاء المهملة وفتح الجيم - جمع حجرة ، وهي ناحية من البيت . ووقع في رواية الكشميهني للبخاري : حجرة بالافراد (فسدد) بفتح السين وتشديد الدال وفتحها المهملتين ، أي قوم ، وصبوب (له) أي للرجل المطلع من خلد البيت (الذي ﷺ) أي عمد اليه مسدداً بأزاء عينه (بمشقس) وفي لفظ : مشاقص ، والمشقص - بكسر الميم والشين المعجمة الساكنة ، وفتح القاف فصاد مهملة - هو نصل السهم اذا كان طويلاً غير عريض ، كذا في «الفتح» .

وفي «القاموس» : المشقص - كمنبر - نصل عريض ، أو سهم فيه ذلك ، والنصل الطويل ، أو سهم فيه ذلك يرمى به الوحش . يريد ﷺ أن يطعن الرجل به ، وهو غافل (فأخرج الرجل رأسه) من الخلل الذي كان يتطلع منه على رسول الله ﷺ . وفي رواية من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه في «الصحيحين» وغيرهما ، أن رجلاً اطلع من حجر في دار النبي ﷺ ، والنبي ﷺ بحك رأسه بالمِدرى (١) فقال ، أي النبي ﷺ : «لو علمت أنك تنظر لطمعت بها في عينك ، إنما جعل الاذن من قبل الابصار . وفي لفظ : من قبل البصر . وفي آخر : إنما جعل الاذن من أجل النظر .

وفي «الصحيحين» عن أنس رضي الله عنه ، أن رجلاً اطلع من بعض حجر النبي ﷺ ، فقام اليه بمشقص له ، فكأنه أنظر الى رسول الله ﷺ فدخله ليطعنه - بفتح الياء المثناة تحت وسكون الخاء المعجمة وكسر المثناة الفوقية - كما في «الفتح» والمِدرى في حديث سهل - هو بكسر الميم وسكون الدال المهملة - عود تدخله المرأة في رأسها ليضم بعض شعرها إلى بعض ، وهو يشبه

(١) قال في «القاموس» : حك رأسه بالمِدرى ، وهو المشط والقرن ، كالمدراة ، والمدرية . جمعه : مدار ومدارى .

المسلّة . يقال : مدرت المرأة : إذا سرحت شعرها . وقيل : مشط له أسنان يسيرة . وقال الأصمعي ، وأبو عبيد : هو المشط . وقال الجوهري : أصل المدري ، هو القرن . وقيل : هو عود أو حديدة كالخلال لها رأس محدد . وقيل : هو خشبة على شكل شبي . من أسنان المشط ، ولها ساعد ، جرت عادة الكبير أن يحك بها مالا تصل إليه يده من جسده .

وقد روي لهذا سبب آخر ، فأخرج أبو داود ، والطبراني ، من حديث سعد بن عباد رضي الله عنه ، جاء رجل فقام على باب النبي ﷺ يستأذن مستقبل الباب ، فقال له : « هكذا عنك ، فانما الاستئذان من أجل النظر » .

وأخرج أبو داود ، أيضاً بسند قوي ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : كان الناس ليس لبيوتهم ستور ، فأمرهم الله بالاستئذان ، ثم جاء الله بالخير ؛ فلم أر أحداً يعمل بذلك .

قال ابن عبد البر : أظنهم اكتفوا بقرع الباب .

وأخرج أيضاً ، من حديث عبد الله بن بسر : كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن ، أو الأيسر ، وذلك أن الدور لم يكن عليها ستور .

وفي « الآداب الكبرى » للعلامة ابن مفلح : صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل له : كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا فيها بما أمرنا ، ولا يعمل بها أحد ؟ « ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ... إلى عليم حكيم » (١) قال : إن الله حكيم ، رحيم بالمؤمنين ، يحب الستر ، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ، ولا حجال ، فربما دخل الخادم ، أو الولد ، أو يقيمة الرجل ، والرجل على

(١) سورة النور ، الآية : ٥٨

أهله ، فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات ، فجاءهم الله بالسفور والخير ، فلم أر أحداً يعمل بذلك بعد الحجاب ، جمع حجلة بالتحريك - بيت كالقبة يستر الثياب ، وله أزرار كبار .

قال الحافظ ابن الجوزي : أكثر المفسرين على أن هذه الآية محكمة ، وأنه أصح من قول من قال : هي منسوخة بقوله : « وإذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا » ^(١) لأن البالغ يستأذن في كل وقت ، والطفل والمملوك يستأذنان ^(٢) في العورات الثلاث . وذكر ابن الجوزي أيضاً : أن البيوت الحالية ، هل دخلت في آية الاستئذان ، ثم نسخ بقوله : « ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة » ^(٣) أم لم تدخل ، لأن الاذن لا يتصور من غير إذن ، فإذا بطل الاستئذان ؛ لم تكن البيوت الحالية داخلة في الأولى ؟ على قولين ، والثاني أصح .

وقال ابن الجوزي أيضاً : لا يجوز أن تدخل بيت غيرك إلا بالاستئذان ؛ لهذه الآية ، يعني قوله : « لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » ^(٤) ومعنى تستأنسوا : تستأذنوا . وفي الآية تقديم وتأخير .

تنبيهان

الأول : ظاهر هذا الحديث أن من اطلع في بيت غيره من خلل الباب ، أو من جحر ، أو ثقب ؛ فلب الدار أن يفقأ عينه ، وتذهب هـدرأ ، وهو مخصوص بمن تممد النظر ، لا إذا وقع ذلك من رجل عن غير قصد ؛ لما في « صحيح

(١) سورة النور ، الآية : ٥٩ (٢) في الاصل . . يستأذن ، وهو خطأ

(٣) سورة النور ، الآية : ٢٩ (٤) سورة النور ، الآية : ٢٧

مسلم: « أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن نظر الفجأة ، فقال : « اصرف بصرك »
وقال لملي رضي الله عنه : « لا تتبع النظرة النظرة ، فان لك الأولى ، وليست
لك الثانية .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ
قال : « من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم ؛ فقد حلّ لهم أن يفقؤوا عينه » .
وفيهما عنه أيضاً : أن رسول الله ﷺ قال : « لو أن رجلاً اطلع عليك
بغير إذن فحذفته بحصاة ففقات عينه ؛ ما كان عليك من جناح » .

قال العلامة ابن مفلح في « الفروع » : ومن نظر في بيته من خصاص باب (١)
ولو لم يعتمد ، لكن ظنه متعمداً ، وفي رواية صححها ابن حبان والبيهقي : فلا قود
ولا دية .

قال في « الترغيب » : أو صادف عورة من محارمه ، وأصر . وفي « المغني »
في هذه الصورة : ولو خلت من نساء ، فحذف عينه ، ونحو ذلك فتلفت ؛ فهدر
ولا تبعة . وقال ابن حامد : يدفعه بالأسهل ، فينذره أولاً ، كمن استرق السمع لم
يقصد إذنه بلا إنذار ، قاله في « الترغيب » .

وفي « الاقناع » وغيره من كتب فقه مذهبنا : أن من نظر من خصاص الباب
أو من ثقب في جدار ، أو من كوة ونحوه ، لا من باب مفتوح ، فرماه صاحب
الدار بحصاة أو نحوها ، أو طعنه بعود فقلع عينه ، فلا شيء عليه ، ولو أمكن
الدفع بدونه ، وسواء كان في الدار نساء ، أو كان الناظر محرماً ، أو نظر من
الطريق ، أو من ملكه ، أولاً ، فان ترك الاطلاع ومضى لم يجز رمية ، فان رماه
فقال المطلع : ما تعمده ، أو لم أر شيئاً حين اطلعت ؛ لم يضمه ، وليس لصاحب
الدار رمية بما يقتله ابتداءً ، فان لم يندفع برمية بالشيء اليسير ، جاز رمية بأكثر
منه ، حتى يأتي ذلك على نفسه . ولو تسمع الأعمى أو البصير على من في البيت ؛ لم
(١) أي من خرق باب .

يُحْجَرُ طَمَنُ أُذُنِهِ ، وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ فِي هَدْرٍ عَيْنٍ مِنْ أَطْلَعٍ مِنْ نَحْوِ ثَقْبٍ ؛ كَمَذْهَبِنَا ،
لَكِنْ إِنْ كَانَ ، ثُمَّ لَهُ مُحَرَّمٌ غَيْرُ مَجْرَدَةٍ ، أَوْ حَلِيلَةٍ ؛ فَلَا . وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ ؛ لَا يَهْدُرُ .
وَعَنْ مَالِكٍ رَوَايَتَانِ : الضَّمَانُ وَالْأَهْدَارُ .

الثاني : الاستئذان : طلب الاذن في الدخول لمحل لا يملكه المستأذن .
وقد أخرج أبو داود ، وابن أبي شيبة بسند جيد ، عن ربعي بن خراش ،
حدثني رجل أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيته ، فقال : أأج ؟ فقال لخادمه :
أخرج الى هذا فاعلمه . فقال : قل : السلام عليكم ، أأدخل ؟ ... الحديث ، وصححه
الدارقطني .

وأخرج ابن أبي شيبة ، من طريق زيد بن أسلم قال : بعثني أبي الى ابن
عمر رضي الله عنهما ، فقلت : أأج ؟ فقال : لا تقل كذا ، ولكن قل : السلام
عليكم ، فإذا رد عليك . فادخل .

ومن طريق ابن بريدة : استأذن رجل على رجل من الصحابة ، ثلاث مرات
يقول : أأدخل ؟ وهو ينظر اليه لا يأذن له . فقال : السلام عليكم ، أأدخل .
قال : نعم ، ثم قال : لو أقمت الى الليل ، ولم تقل ذلك ، ما أذنت لك .
قال ابن مفلح في « الآداب الكبرى » : « وصفة الاستئذان : سلام عليكم .
زاد في « الرعاية الكبرى » ، والشيخ عبد القادر : أأدخل ؟ هو الذي ذكره ابن
الجوزي عن المفسرين للحديث المتقدم آنفاً . ورواه الامام أحمد ، وفيه : أخرج
الى هذا فعلمه الاستئذان . فقال له : قل : السلام عليكم ، أأدخل ؟ فسمعه ، فقال :
السلام عليكم ، أأدخل ، فأذن النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخل . فقد ظهر من
هذا ؛ تقديم السلام على الاستئذان .

وذكر في « شرح مسلم » : أن استحباب الجمع بينهما صرح به القرآن ، وقد
قال الامام أحمد : الاستئذان : السلام ، وذكر حديث عبد الله بن بسر الذي
تقدم ، وأن النبي ﷺ قال : السلام عليكم ، السلام عليكم ، والله أعلم .

الحديث الرابع والسبعون

١١٩ - حدثنا سهل ، عن حميد ، عن أنس ، أن النبي

ﷺ شجَّ يوم أحد وكسرت رباعيته ؛ فجعل يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : كيف يفاج قوم خضبوا وجهه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم !؟ فنزلت : ليس لك ... الآية^(١) .

قال رضي الله عنه . (حدثنا سهل) بن يوسف (عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن النبي ﷺ شجَّ) أي جرح (يوم) وقعة (أحد) وكانت في شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور .

والشجة : الجراحة في الرأس ، أو الوجه خاصة . وكانت تلك الشجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في جبهته ، كما مر في الحديث (وكسرت) - بضم الكاف و كسر السين المهملة مبيناً للمجهول - (رباعيته) - بتخفيف الراء - وزن ثمانية ، وهي السن التي تلي الناب من الأسنان .

قال في « المطالع » : الرباعية من الأسنان : هي السن التي بين الثنية والناب ، وهي أربعة ، محيطات بالثنايا : اثنتان من فوق ، واثنتان من أسفل ، والذي كسر رباعية رسول الله ﷺ هو عتبة بن أبي وقاص ؛ فانه رماه بأربعة أحجار ، فكسر حجر منها رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى . والذي شجَّ وجهه الشريف ، عبد الله بن قتيبة - بفتح القاف ، وكسر الميم ، وبمدها همزة - فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ﷺ ، كما تقدم شرح ذلك

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨

في الحديث السابع عشر من حديث أنس ؛ فإنه أخرجه هناك ، عن هشيم ، عن حميد ، عن أنس . ولما شجّه ابن قنينة سال الدم على وجهه الشريف (فجعل) ﷺ (مسح الدم عن وجهه) الشريف (ويقول : كيف يفلح قوم) من الفلاح ، وهو الفوز بالبقاء ، والخلود في النعيم المقيم . ويقال لكل صائب خيراً : مفلح (خضبوا) أي صبغوا (وجهه نبيهم) بدمه . وأصل الخضب في الشعر : الصبغ . يقال : خضبه وخضبه ، بالتخفيف والتشديد (وهو يدعوهم الى) طاعة (ربهم) ودينه القويم ، وصراطه المستقيم ، ويخلصهم من طاعة الشيطان ، وعبادة الأوثان (فنزلت) هذه الآية (ليس لك الآية) أي تمامها ، وهي : « ليس لك من الأمر شيء » أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » (١) .

وفي « المسند » و « صحيح مسلم » و « سنن الترمذي » : فأنزل الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شيء » أو يتوب عليهم ، (١) الآية . وقد استوفينا الكلام على هذا المقام فيما تقدم .

الحديث الخامس والسبعون

١٢٠ - ثنا يحيى ، عن حميد ، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : أعوذُ بك من الكسل والبخل ، وعذاب القبر .

قال رضي الله عنه : (ثنا يحيى) بن سعيد القطان (عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ كان يقول) في دعائه :

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨

(أعوذ) أي اللهم إني أعوذ (بك) يا الله ، أي أستعبد ، وأستجير ، وألجأ ، فالمعاذ والملاجأ واحد . يقال : عاذ به يعوذ عياداً وإعواذاً

قال ابن القيم في « بدائع الفوائد » : لفظ عاذ وما تصرف منه يدل على التحرز والتحصن والالتجاء . قال : وحقيقة معنى الاستعاذة : الهروب من شيء تخافه الى من يعصمك منه ، ولهذا يسمى المستعاذ به معاذاً ، كما يسمى ملجأً وحرزاً . وفي الحديث : أن ابنة الجون لما دخلت على النبي ﷺ ، فوضع يده عليها . قالت : أعوذ بالله منك . فقال : لقد عذت بمعاذ ، الحق بأهلك . فمعنى أعوذ : التجأ وأعتصم وأتحرز (من الكسل) بفتح الكاف والسين المهملة - التثاقل عن فعل الخير والفتور فيه . يقال : كسل ، كفرح ؛ فهو كسل وكسلان ، إذا ترك الشيء وتراخى عنه . وإن كان يستطيعه . ومن هنا فارق العجز - بسكون الجيم ، وأصله التأخر عن الشيء - مأخوذ من العجز ، وهو مؤخر الشيء ، وللزوم الضعف والقصور عن الاتيان بالشيء استعمال في مقابلة القدرة ، واشتهر فيها . فقيل : العجز : هو عدم القدرة على الخير . وقيل : ترك ما يجب فعله والتشويق اليه . وقيل : هو ضد الاقتدار . فقيل : هو ما لا يستطيعه الانسان .

قال التوربشتي : الكسل : التثاقل عما لا ينبغي التثاقل عنه ، ويكون ذلك لعدم انبعاث النفس للخير مع ظهور الاستطاعة . ويقال : هو ضد النشاط . وقال الجلال السيوطي : هو عدم انبعاث النفس للخير ، وقلة الرغبة فيه مع إمكانه . انتهى .

ومن ثم قال ﷺ في الحديث الصحيح ، من حديث أنس ، كما في « المسند » و « الصحيحين » ، وغيرها : « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل » . فقرن بينها ؛ لأن التواني عن فعل الخير ، إما أن يكون

لعدم الاستطاعة ؛ فهو المعجز ، أو مع الاستطاعة ؛ فهو الكسل ، والههم لخوف
شر متوقع ، والحزن لقوات محبوب ، أو حصول مكروه في الماضي . فان كان
المكروه حاصلًا في الحالة الراهنة ؛ فهو الغم (والبخل) .

وفي « الصحيحين » و « المسند » وغيرها ، من حديث أنس رضي الله عنه
مرفوعاً : والجبن — وهو بضم الجيم وسكون الواو ، وقد تضم — ضد
الشجاعة . وقال بعضهم : هو الخور عن ثماطي الحرب ونحوها ، خوفاً على المهجة .
قال في « النهاية » : الخور : من خار يخور ، إذا ضعفت قوته وذهبت ، وأما
البخل : فمنع المعروف .

قال في « المصباح » : بخلٌ بَخْلًا وبَخْلًا ، من بآي تعب وقرب ، والاسم
البخل ؛ فهو بخيل ، والجمع بخلاء . ورجل باخل : أي ذو بخل ، والبخل في
الشرع : منع الواجب . وعند العرب : منع السائل بما يفضل عنه . وقيل : هو
ضد الكرم ، وتقدم الكلام عليه في شرح الحديث السادس عشر من « مسند
جابر بن عبد الله » رضي الله عنها .

(و) أعوذ بك من (عذاب القبر) العذاب : اسم للمقوبة ، والمصدر
التعذيب ؛ فهو مضاف للفاعل على سبيل المجاز ، أو الاضافة ظرفية ، من إضافة
المظروف الى ظرفه ؛ فهو على تقدير في ، أي أعوذ بك من عذاب في القبر ، وفيه
إثبات عذاب القبر ، والإيمان به واجب .

قال العلماء : عذاب القبر ، المراد به عذاب البرزخ ، وإنما أضيف الى القبر
لأنه الغالب ، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه ، يناله من العذاب ما أراد الله به ،
قبر أم لم يقبر ، سواء صلب ، أو غرق في البحر ، أو أكلته السباع ، أو حرق
فصار رماداً وذري في الهواء . ومحل العذاب : الروح والبدن بانفراق أهل السنة ،
وكذا القول في النعيم .

قال الامام ابن القيم : عذاب القبر قسمان : دائم وهو عذاب الكفار وبعض العصاة ، ومنقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من العصاة ، فانه يعذب بحسب جرائمه ، ثم يرفع عنه . وقد يرفع عنه بدعاء أو صدقة ، أو نحو ذلك . وقال الياقيني في « روض الرياحين » : بلغنا أن الموتى لا يعذبون ليلة الجمعة ، تشريقاً لهذا الوقت . قال : ويحتمل اختصاص ذلك بعصاة المسلمين دون الكفار ، وعمم النسفي في بحر الكلام ، فقال : إن الكافر يرفع عنه العذاب يوم الجمعة وليلتها ، ثم لا يعود اليه الى يوم القيامة ، وإن مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة يكون له العذاب ساعة واحدة ، وضغطة القبر كذلك ، ثم ينقطع عنه العذاب ، ولا يعود اليه الى يوم القيامة ، كذا قال . وفي زعمه ذلك في الكفار بعد ، ويدل على أن عصاة المسلمين لا يعذبون سوى جمعة واحدة أو دونها ، وأنهم إذا وصلوا إلى يوم الجمعة انقطع عنهم العذاب ثم لا يعود ، وهذا عجيب يفتقر الى دليل ثابت ، وأنى به .

وقال الامام ابن القيم في « البدائع » : نقلت من خط القاضي أبي يعلى في « تعاليقه » : لا بد من انقطاع عذاب القبر ، لأنه من عذاب الدنيا ، والدنيا وما فيها منقطع ؛ فلا بد أن يلحقه الفناء . قلت : ولفظه في « البدائع » : ومن خطه ، يعني القاضي أبا يعلى من « تعاليقه » : عذاب القبر حق ، وقد قيل : ولا بد من انقطاعه ؛ لأنه من عذاب الدنيا ، والدنيا وما فيها فان منقطع ؛ فلا بد أن يلحقهم في وقت خروجهم من قبورهم يوم البعث ، ثم يكسو الله المؤمن حلل الجنان ، ويحمل على الكافر والعصاة سراويل القطران .

قال بعض العلماء : ولا يعرف مقدار مدة الانقطاع . ويؤيد هذا ما أخرجه هناد بن السري في الزهد ، عن مجاهد قال : للكفار هجمة يجدون فيها طعم النوم حتى تقوم القيامة ، فإذا صبح بأهل القبور ، ينول الكافر : « يا ويلنا من

بعثنا من مرقدنا ، (١) فيقول المؤمن من جنبه : « هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ، (١) » .

تنبيهان

الأول : ذكر الامام ابن القيم في كتابه « الروح الكبرى » : أن اسباب عذاب القبر : الجهل بالله ، وإضاعة أمره ، وارتكاب معاصيه ؛ فلا يعذب الله روحاً عرفته وأحبته ، وامثلت أمره ، واجتنبت نهيه ، ولا بدناً كانت فيه أبداً ، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة ، أثر غضب الله وسخطه على عبده ، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ، ومات على ذلك ، كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه ؛ فمستقل ومستكثر ، ومصداق ومكذب . قال وتفصيل ذلك أن النبي ﷺ أخبر عن الرجلين الذين رأهما يعذبان في قبورهما ، بأن أحدهما كان يمشي بالنميمة بين الناس ، وكان الآخر لا يستبرئ من البول ، فهذا ترك الطهارة الواجبة وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقاً ، وفي هذا تنبيه على أن الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان أعظم عذاباً ، كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيهاً على أن من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض شروطها ؛ فهو أشد عذاباً . وفي حديث شعبه : « أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ؛ فهذا مقتاب ، وذلك نمام ؛ فعذاب القبر من معاصي القلب ، والعين ، والأذن ، والفم ، واللسان ، والبطن ، والفرج ، واليد ، والرجل ، والبدن كله ؛ فالكذاب ، والنمام ، والمقتاب ، وشاهد الزور ، وقاذف المحسن ، ومثير الفتن ، والداعي إلى البدع ، والنائل على رسول الله ﷺ ما لا علم له به ، والمجازف في كلامه ، وآكل الربا وموكله ومشاهداء كاتبه ، وآكل أموال اليتامى ، وآكل

(١) سورة يس ، الآية : ٥٢

السحت من الرشوة والبرطيل ونحوهما ، وآكل مال أخيه المسلم بغير حق ، وكذا مال المعاهد ، وشارب المسكر ، وآكل لقمة الشجرة الملعونة ، والزاني ، واللوطي والسارق ، والخائن ، والفاجر ، والمخادع ، والمأكر ، والمحلل والمحلل له ، والمحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه ، ومؤذي المسلمين ، ومتبع عوراتهم ، والحاكم بغير ما أنزل الله ، والمفتي بخلاف ما شرعه الله ، والمعين على الإثم والعدوان وقاتل النفس التي حرم الله ، والملحد في حرم الله ، والمعتل لحقائق أسماء الله وصفاته ، والملحد فيها ، والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله ، والناتجة والمستمع اليها ، والمغنون الغناء الذي حرمه الله ورسوله ، والجبارون ، والمتكبرون ، والمراؤون ، والهممازون ، واللممازون ، والطاعنون على السلف ، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين يسألونهم ويصدقونهم ، وأعداء الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم ، والذي إذا خوفته الله وذكرته به لم يرعو ولم ينزجر ، فاذا خوفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكف عما هو فيه ، والذي يهدى بكلام الله ورسوله فلا يهتدي ، ولا يرفع به رأساً ، فاذا بلغه عمن يحسن به الظن ممن يصيب ويخطئ عض عليه بالنواجذ ، وذكر من نحو هذا أضراباً كمن يؤخر الصلاة عن وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً ، والذي لا يؤدّي زكاة ماله طيبة بها نفسه ، ولا يحج مع قدرته ، ونحو ذلك .

الثاني : الأسباب المنجية من عذاب القبر بحسب تلك الأسباب التي تقتضي عذاب القبر ، ومن أنفعها : أن يجلس عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه ، ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله تعالى ، فينام على تلك التوبة ، ويعزم على أن لا يماود الذنب إذا استيقظ ، ويفعل هذا كل ليلة ، فإن مات من أيلته مات على توبة ، وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير أجله حتى يستقيل من ذنبه ، ويستدرك ما فاتته ، وليس للمبدد أنفع من

هذه التوبة ، ولا سيما إذا عقب ذلك بذكر الله ، واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله ﷺ عند النوم حتى يغلبه النوم ؛ فمن أراد الله به خيراً وفقه لذلك ، ولا قوة إلا بالله .

ومن الأسباب المنجية من عذاب القبر : الرباط ، ففي « مسلم » ، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى^(١) عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتان » .

وفي « جامع الترمذي » ، من حديث فضالة رضي الله عنه مرفوعاً : « كل ميت يحتم على عمله ، إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله ، فإنه ينمى له^(٢) عمله الى يوم القيامة ، ويأمن من فتنة القبر . قال الترمذي : حسن صحيح .

ومنها : الشهادة ؛ لما في « سنن النسائي » : أن رجلاً قال : يا رسول الله ! ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ قال : « كفى ببارقة السيوف فتنة » . وروى ابن ماجه ، والترمذي وقال : حسن صحيح ، من حديث المقداد ابن معدي كرب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه .

ومنها : قراءة سورة تبارك الملك ، ففي « سنن الترمذي » ، وقال : حسن غريب ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : ضرب رجل من أصحاب

(١) في الاصل : أجرى ، والتصحيح من « صحيح مسلم » . والمراد بالفتان : فتاني القبر .

(٢) في الاصل : يجري عليه ، والتصحيح من « سنن الترمذي » .

رسول الله ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال رسول الله ﷺ : « هي المانعة ، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر » .

وفي « مسند عبد بن حميد » عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه ، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال للرجل : ألا أحفك بحديث تفرح به ؟ قال الرجل : بلى . قال : اقرأ : تبارك الذي بيده الملك ، احفظها وعلّمها أهلّك وولدك وصبيان بيتك وجيرانك ، فانها المنجية ، والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئتها ، وتطلب له إلى ربها أن ينجيه من عذاب القبر . قال رسول الله ﷺ : « لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي » .

قال أبو عمر ابن عبد البر : وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن سورة ثلاثين آية شفعت في صاحبها حتى غفر له ، تبارك الذي بيده الملك » .

وفي « سنن ابن ماجه » من حديث أبي هريرة يرفعه : « من مات مرابطاً مات شهيداً ، ووفي فتنة القبر ، وغدي وريح عليه برزق من الجنة » .

وفي « سنن النسائي » عن جامع بن شداد قال : سمعت عبد الله بن يشكر يقول : كنت جالساً مع سليمان بن صرد وخالد بن عرفة ، فذكروا أن رجلاً مات يبطنه ؛ فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته . فقال أحدهما للآخر : ألم يقل رسول الله ﷺ : « من يقتله بطنه لم يعذب في قبره » . فهذا أيضاً من الأسباب المنجية من عذاب القبر .

وقال ابن القيم في محل آخر من « الروح » : وقد ينقطع عنه ، أي الميت العذاب ، أي عذاب القبر بدعاء ، أو صدقة ، أو استغفار ، أو ثواب حج ، أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم . قال : وهذا كما يشفع الشافع في

المعذب في الدنيا فيخلص من العذاب بشفاعته ، لكن هذه شفاعته قد تكون بدون إذن المشفوع عنده ، والله جل شأنه لا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه ؛ فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع إذا أراد أن يرحم المشفوع له . قال : ولا يفتر بغير هذا ؛ فإنه شرك « من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه ؟ » (١) « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » (٢) « ما من شفيع إلا من بعد إذنه » (٣) « ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أدن له » (٤) « قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض » (٥) .

وقد ذكر ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن موسى الصائغ ، ثنا عبد الله ابن نافع ، قال : مات رجل من أهل المدينة ، فرآه رجل كأنه من أهل النار ، فاعتم لذلك ، ثم إنه بعد ساعة أو ثمانية رآه كأنه من أهل الجنة ، فقال : ألم تكن قلت : إنك من أهل النار ؟ قال : قد كان ذلك ؛ إلا أنه دفن معنا رجل من الصالحين ؛ فيشفع في أربعين من حيرانه ؛ فكنت أنا منهم . قال ابن أبي الدنيا : وحدثنا أحمد بن يحيى ، قال : حدثني بعض أصحابنا ، قال : مات أخي فرأيت في النوم ، فقلت : ما كان حالك حين وضعت في قبرك ؟ قال : أتاني آت بشهاب من نار ، فلولا أن داعياً دعا لي لرأيت أنه سيضربني به . وقال عمرو بن جرير : إذا دعا العبد لأخيه الميت ، أتاه بها ملك إلى قبره ، فقال : يا صاحب القبر الغريب ، هذه هدية من أخ شفيق عليك ، والله تعالى أعلم .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ (٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٨

(٣) سورة يونس ، الآية : ٣ (٤) سورة سبأ ، الآية : ٢٣

(٥) سورة الزمر ، الآية : ٤٤

الحديث السادس والسبعون

١٢١ - ثنا يحيى ، عن حميد ، عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : دخلت الجنة فرأيت قصرأ من ذهب . قلت : لمن هذا ؟ قالوا : لشاب من قریش ، فظننت أی أنا هو ، قالوا : لعمر بن الخطاب .

قال رضي الله عنه : (ثنا يحيى) بن سعيد القطان (عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (عن النبي ﷺ قال : دخلت الجنة) أي مناماً . كما في رواية : بينما أنا نائم رأيتني في الجنة (فرأيت) فيها (قصرأ) وهو المنزل ، أو كل بيت من حجر ، والحصن . وفي رواية : فرأيت فيها قصرأ أو دارأ (من ذهب) ولا يمارض هذا ، ما أخرجه ابن أبي الدنيا ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « دخلت الجنة ، فإذا فيها قصر أبيض . قلت لجبريل : لمن هذا القصر ؟ ... الحديث ، لأن حديث كون القصر من ذهب صحيح متفق على صحته ، بخلاف كونه أبيض ، فانما أخرجه ابن أبي الدنيا . قال الامام ابن القيم في « حادي الأرواح » : فان كان محفوظاً فبياضه نوره وإشراقه وضياؤه ، كما تقدم شرح ذلك في الحديث الثلاثين من « مسند جابر رضي الله عنه » .

قال رسول الله ﷺ : (قلت : لمن هذا) القصر الذي من ذهب ؟ (قالوا) أي جبريل ، ومن معه من الملائكة : (لشاب) أي قى ، وجمعه شبان وشباب ، ووصفه بذلك ، إما لكون قوته قوة الشباب الذي لم يين فيه السن بعد ، أو باعتبار

دخوله الى الجنة، وإلا فعمر كهل أو شيخ (من قريش) وهم من كان من ولد
 فهر بن مالك ، وفهر جماع قريش ، واسمه قريش ، وفهر لقبه . وقيل : بالعكس
 وهو الأظهر ؛ لقولهم : سمي قريشاً ، لأنه كان يقرش ، أي يفتش عن خلة
 الناس ، أي حاجتهم فيسدها بماله . وقيل : إن جماع قريش النضر ، واسمه قيس
 ابن كنانة ، وهذا المعتمد ، وإن كان الأول قول الأكثر . واختلف العلماء في
 سبب تسمية هذه القبيلة العظيمة قريشاً . فقيل : لتجمعهم بمد الفرقة . وقيل :
 لتكسبهم . وقيل : لأن جدم الأعلى جاء في ثوب واحد متجماً فيه . وقيل : من
 التقريش ، وهو أخذ الشبيء أولاً فأولاً . وقال المطرزي : سميت قريشاً بدابة في البحر
 هي سيدة الدواب البحرية ، وكذلك قريش سادة الناس .
 وقريش : هي التي تسكن البحر ، بها سميت قريش قريشاً ، تأكل الفث
 والسمين ، ولا تترك فيه لذي جناحين شيئاً .

قال الشاعر :

هكذا في البلاد حي قريش يأكلون البلاد أكلاً كميثاً^(١)

ولهم آخر الزمان في يكثر القتل فيهم والجموشا^(٢)

ومرء أن فهر أ سمي قريشاً ، لأنه كان يفتش عن خلة الناس وحاجتهم ويسدها ،
 والتقريش : هو التفتيش ، وقد علمت أن الأصح المعتمد أن قريشاً هم ولد النضر بن
 كنانة بن خزيمه ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ؛
 فمن لم يلد النضر فليس بقريشي .

قال رسول الله ﷺ لما سأل عن القصر لمن هو ؟ فقالوا : لشاب من
 قريش (فظننت أني أنا هو) ذلك الشاب ، لأنني سيد قريش ، فقلت : لمن هم ؟
 (قالوا : لعمر ابن الخطاب) .

(١) أي أكلاً سريعاً . والرجل الكميث : السريع ، العزوم . وجملة قال الشاعر : كانت
 في الاصل عند جملة . وكذلك قريش سادة الناس : فوضعناها مع البيتين .
 (٢) يقال : حمش القوم . ساقهم بفضب . وأحمش الحرب : أشعل نارها .

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بينا أنا نائم رأيتني في الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلت : لمن هذا ؟ قالوا : لعمر ، فذكرت غيرته فوليت (١) مدبراً ، فبكى عمر رضي الله عنه ، وقال : عليك أغار يا رسول الله ؟ وفي رواية : قال أبو هريرة : فبكى عمر ونحن جميعاً في ذلك المجلس مع رسول الله ﷺ . قال عمر : بأبي أنت يا رسول الله ، أعليك أغار ؟
وتقدم بأطول من هذا ، وأوفى في الثلاثين من «مسند جابر رضي الله عنه» .

الحديث السابع والسبعون

١٢٢ - ثنا يحيى بن سعيد ، عن حميد قال : سئل أنس عن كسب الحجام فقال : احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حجه أبو طيبة ، وأمر له بصاعين من شعير وكلم مواليه أن يخففوا عنه من ضربيته وقال : أمثل ما تداويتم به الحجام ، والقسط البحري .

قال رضي الله عنه : (ثنا يحيى بن سعيد) القطان (عن حميد) الطويل (قال : سئل) - بضم السين المهملة وكسر الهمزة مبنياً للمجهول (أنس) ابن مالك رضي الله عنه بالرفع نائب فاعل (عن كسب الحجام) أي ما يحصل له بسبب حجامته . والكسب : الطلب والسعي في طلب الرزق والمعيشة ، والحجام : هو الذي يتعاطى إخراج الدم .

(١) في الاصل : فوليت . والتصحيح من «الصحيحين» .

(فقال) أنس رضي الله عنه : (احتجتم رسول الله ﷺ ، حججه أبو طيبة) - بفتح الطاء المهملة وسكون الياء التحتية وبالباء الموحدة - واسمه نافع الحجام ، مولى محيصة بن مسعود الأنصاري ، معروف بكنيته . ومحیصة ، بضم الميم وفتح الحاء المهملة ، وكسر الياء التحتية مشددة فصاد مهلة (وأمر) ﷺ (له) أي لأبي طيبة (بصاعين من شمر) فاجاب أنس بعدم حرمة كسب الحجام ؛ لأنه لو كان حراماً لم يطمه النبي ﷺ ، وأما حديث : « كسب الحجام خبيث » فلا يدل على الحرمة صريحاً عند أكثر السلف والخلف ، لا على الحر ولا على العبد ، وهذا مشهور مذهب الامام أحمد . وعنه رواية ؛ قال بها فقهاء المحدثين : يحرم على الحر دون العبد ، وعلى المعتمد حمل الجمهور أحاديث النبي على التنزيه ، والارتفاع عن دنيء الاكتساب ، والحث على مكارم الاخلاق ومعالى الامور ، ولو كان حراماً لم يفرق فيه بين الحر والعبد ؛ فانه لا يجوز لاشخص أن يطعم عبده مالا يحل .

قال الامام ابن القيم في « الهدي » : حكم النبي ﷺ بحث كسب الحجام ، وأمر صاحبه أن يملفه ناضجه أو رقيقة ، صح عنه ذلك ، وصح عنه أنه احتجهم وأعطى الحجام أجرة ، فأشكل الجمع على كثير من الفقهاء ، ومنهم من ظن أن النبي عن كسبه منسوخ باعطائه أجرة ، وسلك هذا المسلك الطحاوي .

قال ابن القيم : دعوى النسخ مجردة لادليل عليها ؛ فلا تقبل ، فانه عليه السلام لم يقل : إعطاء الحجام خبيث ، بل إعطاؤه ، إما واجب ، وإما مستحب ، وإما جائز ، ولكن هو خبيث بالنسبة الى الآخذ ، وخبيث بالنسبة الى آكله ، فهو خبيث الكسب ، ولا يلزم من ذلك تحريمه ، وقد سمي النبي ﷺ البصل والثوم خبيثين مع إباحة أكلهما ؛ فخبث أجرة الحجام من هذا القبيل ، وتقدم الكلام على هذا في شرح الحديث الخامس من « مسند جابر رضي الله عنه » .

(وكلم) النبي ﷺ (مواليه) أي موالى أبي طيبة (أن يخففوا عنه من ضربيته) أي المال الذي كانوا قد ضربوه عليه عن كل يوم ، أو عن كل جمعة ، أو عن كل شهر ، ففعلوا .

وفي « صحيح مسلم » من حديث ابن عباس رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ حججه عبد لبني بياضة ، فأعطاه النبي ﷺ أجره ، وكلم سيده فخفف عنه من ضربيته ، ولو كان سحتاً لم يعطه .

وفي « المسند » و « الصحيحين » وغيرهما من حديث حميد الطويل ، قال : سمعت أنساً رضي الله عنه يقول : دعا رسول الله ﷺ غلاماً لنا حجاً ، فحججه ، فأمر له بصاع أو صاعين ، أو بمسد أو بمدين ، وكلم فيه فخفف من ضربيته .

وفي « الموطأ » ، وأبي داود ، من حديث أنس قال : حجج أبو طيبة رسول الله ﷺ ، فأمر له بصاع من تمر ، وأمر أهله أن يخففوا من خراجه . قال في « جامع الأصول » : الضريبة : الخراج الذي يقرر على العبد يؤديه في كل يوم ، أو شهر ، أو سنة .

وفي « النهاية » : الضريبة : ما يؤدي العبد إلى سيده من الخراج المقرر عليه ، وهي فعيلة ، بمعنى مفعولة ، وتجمع على ضرائب .

(وقال) رسول الله ﷺ : (أمثل ماتداويم به الحجامة) ، هو موصول بالاسناد المذكور ، وقد أخرجه النسائي مفرداً ، عن حميد ، عن أنس بلفظ : « خير ماتداويم به الحجامة » . وفي لفظ آخر : أفضل . قال أهل المعرفة : الخطاب بذلك لأهل الحجاز ، ومن في معانهم من أهل البلاد الحارة ، لأن دماء رقيقة ، وتميل إلى ظاهر الأبدان ، لجذب الحرارة الخارجة إلى سطح البدن . ويؤخذ من هذا أيضاً أن الخطاب لغير الشيوخ ، لقلة الحرارة في أبدانهم ،

وتقدم الكلام على هذا في شرح الحديث الرابع والعشرين من «مسند أنس» ثم في الخامس من «مسند جابر رضي الله عنها» فأغنى عن الإعادة هنا (والقسط البحري).

قال أبو بكر بن العربي: القسط نوعان: هندي وهو أسود. وبحري وهو أبيض، والهندي أشدها حرارة. ويقال للقسط: الكست بالكاف والتاء مكان القاف والطاء، ويجوز مع القاف بالتاء المثناة، ومع الكاف بالطاء. قال البخاري: والقسط الهندي البحري، وهو الكست، مثل الكافور والقافور، ومثل كشطت وقشطت.

وفي «الصحيحين» وغيرها، من حديث أم قيس بنت محصن قالت: دخلت بابن لي على رسول الله ﷺ، وقد أعلقت عليه من العذرة، فقال: علام تدغرن أولادك بهذا الملاق؟ عليكن^(١) بالعود الهندي؛ فإن فيه سبعة أشقية، منها ذات الجنب، يسعط به من العذرة، ويلد من ذات الجنب.

قال سفيان بن عيينة: فسمعت الزهري بين لنا اثنتين ولم يبين لنا خمساً. وقال علي بن المديني: قلت لسفيان: إن معمرأ يقول: أعلقت عليه. قال: لم يحفظ، إنما قال: أعلقت عنه، حفظته من في الزهري، ووصف سفيان الملاق، يحنك بالأصبع، وأدخل سفيان أصبعه في حنكه وقال: يعني رفع حنكه بأصبعه. وقال يونس: علق: غمزت، فهي تخاف أن تكون به عذرة. والعذرة — بضم العين المهملة وسكون الذاة المعجمة — وهو وجع الحلق، وهو الذي يسمى سقوط اللهاة. — واللهاة بفتح اللام: اللحم التي في أقصى الحلق. وقيل: هي قرحة تخرج بين الاذن والحلق — وسميت بذلك لأنها تخرج غالباً عند طلوع العذرة، وهي خمسة كواكب: تحت الشعري العبور، ويقال لها أيضاً: العذاري، وطلوعها يقع في وسط الحر — وهي تعترى الصبيان غالباً.

(١) في الاصل: عليكم، وهو خطأ. والتصحيح من «صحيح مسلم»

وفي « النهاية » : هي قرحة تخرج في الحرم الذي بين الأنف والخلق ،
تعرض للصبيان عند طلوع العذرة ؛ فتعمد المرأة الى قرحة فتفتلها فتلاً شديداً .
وتدخلها في أنفه ، فتطمئن ذلك الموضع ، فينفجر منه دم أسود ، وربما أقرحه ،
وذلك الطمن يسمى الدغر . يقال عذرت المرأة الصبي إذا غمزت حلقه من العذرة
أو فعلت به ذلك ، وكانوا بعد ذلك يعلقون عليه عقاباً كالعودة .

وروى الامام أحمد ، وأصحاب « السنن » من حديث جابر رضي الله عنه
مرفوعاً : أيما امرأة أصاب ولدها عذرة أو وجع في رأسه ، فلتأخذ قسطاً
هندياً فتحله بماء ثم تسمطه إياه .

وفي حديث أنس ، هذا الذي نحن بصدد شرحه « إن أمثل ما تداو به
الحجامة والقسط البحري ، وهو محمول على أنه وصف لكل ما يلائمه ، فحيث
وصف الهندي كان الاحتياج إلى المعالجة إلى داء شديد الحرارة ، وحيث وصف
البحري كان دون ذلك في الحرارة ، لأن الهندي كما قدمنا أشد حرارة من البحري
وقال ابن سينا : القسط حار في الثالثة ، يابس في الثانية . وقد ذكر الأطباء من
منافع القسط : أنه يدر الطمث^(١) والبول ، ويقتل ديدان الامعاء ، ويدفع السم ،
وحى الربيع ، والورد^(٢) ويسخن المعدة ، ويحرك شهوة الجماع ، ويذهب الكلف
طلاءاً ، فذكر أكثر من سبعة .

وأجاب بعض الشراح بأن السبعة علمت بالوحي ، وما زاد عليها بالتجربة ؛
فاقتصر على ما هو بالوحي لتحقيقه . وقيل : ذكر ما يحتاج إليه دون غيره ، لأنه
ﷺ لم يبعث بتفاصيل ذلك .

قال في « الفتح » : ويحتمل أن تكون السبعة ، يعني المذكورة في الحديث

(١) الطمث : الحيض .

(٢) أي حى الورد .

أصول صفة التداوي بها ، لأنها إما طلاء ، أو شرب ، أو تكسيد ، أو تنطيل ، أو تبخير ، أو سموط ، أو لدود .

فالطلاء يدخل في المرام ، ويحل بالزيت ، ويلطخ . وكذا التكسيد والشرب يسحق ويحل في عسل أو ماء أو غيرها ، وكذا التنطيل والسموط يسحق في زيت ويقطر في الأنف ، وكذا الدهن والتبخير واضح ، وتحت كل واحد من السبعة منافع لأدواء مختلفة ، ولا يستغرب ذلك ممن أوتي جوامع الكلم .

وقد استشكل معالجة العذرة بالقسط مع كونه حاراً ، والعذرة إنما تعرض في زمن الحر بالصبيان ، وأمزجتهم حارة ، ولا سيما وقطر الحجاز حار . وأجيب : بأن مادة العذرة دم يغلب عليه البلغم ، وفي القسط تجفيف للرطوبة ، وقد يكون نفعه في هذا الدواء بالخاصية . وأيضاً فالأدوية الحارة قد تنفع في الأمراض الحارة بالعرض كثيراً ، وبالذات أيضاً ، وقد ذكر ابن سينا في معالجة سقوط اللهاة بالقسط مع الشب اليابس وغيره ، على أننا لو لم نجد شيئاً من التوجيهات لسكان من المعجزة خارجاً عن القواعد الطبية .

تنبيهه : قال في « النهاية » : القسط : ضرب من الطيب . وقيل : هو العود . قال : والقسط عقار معروف في الأدوية طيب الريح ، تبخر به النفساء والأطفال . قال : وهو أشبه بالحديث بإضافته إلى الأظفار في حديث : من قسط أظفار . انتهى .

وقال النووي : القسط والأظفار نوعان معروفان من البخور ، وليس من مقصود الطيب . انتهى .

وفي « القاموس » : القسط بالضم : عود هندي وعربي ، مدر ، نافع للكبد جداً ، وللمفص ، والدود ، وحى الربع ، شرباً . ولانزكام والتزلات والوباء بخوراً ، وللهق والكلف طلاءً . انتهى . والله تعالى الموفق .

الحديث الثامن والسبعون

١٢٣ - ثنا يحيى ، ثنا التيمي عن أنس قال : كنت قائماً على الحي أسقيهم من فضيخ تمر ، قال : فجاء رجل فقال : إن الخمر قد حرمت . قال : أكفئها يا أنس ، فأكفأها . قلت : ما كان شرابهم ؟ قال : البسر والرطب . قال أبو بكر بن أنس : كانت خمرهم يومئذ ، وأنس يسمع ولم ينكر : وقال بعض من من كان معنا : كان خمرهم يومئذ .

قال رضي الله عنه : (ثنا يحيى) بن سعيد القطان قال : (ثنا) أبو معتمر سليمان (التيمي) تقدمت ترجمته في أول الحديث الثاني من « مسند أنس » (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : كنت قائماً على الحي) أصل الحي البطن من بطون قبائل العرب ، والمراد به هنا القوم (أسقيهم من فضيخ تمر) - بقاء مفتوحة وضاد وخاء معجمتين بينهما مثناة تحتية - وزن عظيم ، اسم للبسر إذا شدخ ونبد - زاد في رواية في « الصحيحين » - : وزهو ، معطوف على تمر ، وهو - بفتح الزاي وسكون الهاء بعدها واو - : البسر الذي يحمر أو يصفر قبل أن يرطب . وقد يطلق الفضيخ على خليط البسر والرطب ، كما يطلق على فضيخ البسر والتمر ، وكما يطلق على البسر وحده ، وعلى التمر وحده .

ووقع عند مسلم ، من طريق قتادة ، عن أنس : أسقيهم من مزادة فيها

خليط بسر وتمر . ووقع في رواية ، عن حميد ، عن أنس ، عند الامام أحمد بعد قوله : أسقيهم : كاد الشراب يأخذ فيهم .

(قال : فجاء رجل) قال في « الفتح » : لم أقف على اسمه . وعند ابن مردويه : حتى أسرع فيهم . ولابن أبي عاصم : حتى مالت رؤوسهم ، فدخل داخل . وفي رواية عند البخاري : فأمر رسول الله ﷺ منادياً فنادى . ولمسلم : فإذا مناد ينادي : إن الحجر قد حرمت . وله من رواية سعيد ، عن قتادة ، عن أنس نحوه . وزاد : فقال أبو طلحة : أخرج فانظر ما هذا الصوت . وفي طريق عبد العزيز بن صهيب في « الصحيح » عن أنس بلفظ : إذ جاء رجل فقال : هل بلغكم الخبر ؟ قالوا : وما ذاك ؟ قال : حرمت الحجر . وهذا الرجل يحتمل أن يكون هو المنادي ، ويحتمل أن يكون غيره مسموع المنادي ، فدخل إليهم فأخبرهم (فقال : إن الحجر قد حرمت) وفي رواية : إن الرجل وقف على الباب فذكر لهم تحريمها . وفي وجه آخر : أنا فلان من عند نبيتنا ، فقال : قد حرمت الحجر . قلنا : ما تقول ؟ قال : سمعته من النبي ﷺ الساعة ، ومن عنده أتيتكم .

(قال) أبو طلحة رضي الله عنه (أكفيها يا أنس) — بكسر الفاء مهموز — بمعنى أرقها . من كفأت القدر ، إذا كبيتها لتفرغ ما فيها . يقال : كفأت الاناء ، وأكفأته ، إذا كبيتته ، وإذا أملتته . وفي رواية في « الصحيحين » : فقال أبو طلحة : قم يا أنس ؛ فهرقها — بفتح الهاء وكسر الراء وسكون القاف — والأصل أرقها ، فأبدلت الهمزة هاء . قال أنس : (فأكفأتها) وفي رواية : فأرقتها . وفي رواية عبد العزيز بن صهيب : فقالوا : أرق هذه القلال يا أنس ، وهو محمول على أن المخاطب بذلك لأنس أبو طلحة ، ورضي الباقر بذلك ، فنسب الأمر بالاراقة إليهم جميعاً . وفي رواية في « الصحيح » عن مالك في هذا الحديث : قم إلى هذه الجرار فأكسرها . قال أنس رضي الله عنه :

فَقَعْتُ إِلَى مَهْرَاسٍ لَنَا ، فَضَرَبْتُهَا بِأَسْفَلِهِ حَتَّى انْكَسَرَتْ . وَهَذَا لَا يَنَافِي الرِّوَايَاتِ
الْأُخْرَى ، بَلْ يَجْمَعُ بِأَنَّهُ أَرَاقُهَا وَكَسَرَ أَوَانِيهَا ، أَوْ أَرَاقَ بَعْضِهَا وَكَسَرَ بَعْضًا .
وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ أَنَّ إِسْحَاقَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ تَفَرَّدَ عَنْ
أَنْسٍ بِذِكْرِ الْكَسْرِ ، وَأَنَّ ثَابِتًا وَعَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ صَهْبٍ وَحَمِيدًا وَعَدَّ جَمَاعَةٌ مِنَ
الثَّقَاتِ ، رَوَوْا الْحَدِيثَ بِتَمَامِهِ عَنْ أَنْسٍ ، مِنْهُمْ مَنْ طَوَّلَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ اخْتَصَرَهُ ؛ فَلَمْ
يَذْكُرْ إِلَّا إِرَاقَتَهَا ، وَالْمَهْرَاسَ - بِكَسْرِ الْمِيمِ وَسُكُونِ الْهَاءِ ، وَآخِرُهُ سِينٌ مَهْمَلَةٌ -
إِنَّمَا يَتَّخِذُ مِنْ صَخَرٍ وَيَنْقَرُ . وَقَدْ يَكُونُ كَبِيرًا كَالْحَوْضِ ، وَقَدْ يَكُونُ صَغِيرًا
بِحَيْثُ يَتَأَنَّى الْكَسْرُ بِهِ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ مَا يَكْسَرُ بِهِ غَيْرُهُ ، أَوْ كَسَرَ بِأَلَّةِ
الْمَهْرَاسِ الَّتِي يَدُقُّ بِهَا فِيهِ ، كَالْهَاوَنِ ، فَأُطْلِقَ اسْمُهُ عَلَيْهَا بِحَازٍ .

وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ حَمِيدٍ عَنْ أَنْسٍ ، عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ : فَوَاللَّهِ مَا قَالُوا حَتَّى
نَنْتَظِرَ وَنَسْأَلُ . وَفِي رِوَايَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صَهْبٍ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» :
فَوَاللَّهِ مَا سَأَلُوا عَنْهَا ، وَلَا رَاجِعُوا بِهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ .

وَفِي «الصَّحِيحِ» : فَجَرَتْ فِي سَكِّكَ الْمَدِينَةَ ، أَيِ طَرَقَهَا ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ
إِلَى تَوَارِدِ مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى إِرَاقَتِهَا حَتَّى جَرَتْ فِي الْأَرْقَةِ مِنْ
كَثَرَتِهَا ، وَكَأَنَّمَا ارْتَفَعَتْ فِي الطَّرِيقِ الْمُنْحَدِرَةِ بِحَيْثُ تَنْصَبُ إِلَى الْأَوْدِيَةِ وَنَحْوِهَا .
وَيُؤَيِّدُهُ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ ، مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ ، فِي قِصَّةِ
سَبِّ الْحُمْرِ ، قَالَ : فَانْصَبْتُ حَتَّى اسْتَنْقَعَتْ فِي بَطْنِ الْوَادِي .

(قُلْتُ : مَا كَانَ شَرَابَهُمْ ؟) الْقَائِلُ هُوَ سَلِيمَانُ التَّيْمِيُّ وَالِدُ مَعْتَمِرٍ (قَالَ)
أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (الْبَسْرُ وَالرُّطْبُ) أَيِ تَصْنَعُ أَوْ تَتَّخِذُ مِنْهَا .

(قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَنْسٍ) بْنُ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ : (كَانَتْ خَمْرُهُ يَوْمَئِذٍ)
يَعْنِي الْمَتَّخِذَةُ مِنَ الْبَسْرِ وَالرُّطْبِ (وَأَنْسٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (بِسْمَعٍ) قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ
ابْنِهِ أَنَّهَا كَانَتْ خَمْرُهُ يَوْمَئِذٍ (وَ) أَقْرَأَهُ عَلَى قَوْلِهِ (لَمْ يَنْكُرْ) عَلَيْهِ ذَلِكَ . قَالَ
سَلِيمَانُ التَّيْمِيُّ : (وَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَنَا) .

وفي « صحيح مسلم » عن معتمر بن سليمان عن أبيه قال : حدثني بعض من كان معي (كان خمر يومئذ) فيحتمل أن يكون أنس حدث بها حينئذ فلم يسمعه سليمان ، أو حدث بها في مجلس آخر فحفظها عنه الرجل الذي حدث بها سليمان ، وهذا الرجل المبهم يحتمل أن يكون هو بكر بن عبد الله المزني ؛ فان روايته في « الصحيح » توميء إلى ذلك ، ويحتمل أن يكون قتادة ، فانه روى في « الصحيح » من طريقه ، عن أنس . وإنما نمدها يومئذ الخمر ؛ وهذا أقوى الحجج على أن الخمر ، اسم جنس لكل ما يسكر ، سواء كان من العنب ، أو من نقيع الزبيب ، أو التمر ، أو العسل ، أو غيرها .

وأما دعوى بعضهم أن الخمر حقيقة في العنب ، مجاز في غيره ، فغير مسلم ، وإن سلم في اللغة ؛ لزم من قال به جواز استعمال اللفظ الواحد في حقيقة ومجاز ، والكوفيون لا يقولون بذلك . وأما من حيث الشرع ؛ فالخمر حقيقة في الجميع ، لثبوت حديث : كل مسكر خمر . فمن زعم أنه جمع بين الحقيقة والمجاز في هذا اللفظ ؛ لزمه أن يجيزه ، وهذا مما لا انفكاك لهم عنه ، كما في « الفتح » .

وفي « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنه قال : حرمت علينا الخمر حين حرمت ، وعامة خمرنا البسر والتمر .

الحديث التاسع والسبعون

١٢٤ - ثنا يحيى ، عن حميد ، عن أنس قال :

كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح ، وأبي بن كعب ، وسهيل بن بيضاء ، ونفراً من أصحابه عند أبي طلحة ، وأنا ساقهم ، حتى إذا

كاد الشراب أن يأخذ منهم ؛ فأتى آتٍ من المسلمين فقال :
 أوما شعرت أن الحمر قد حرمت ؛ قالوا : حتى ننظر ونسأل .
 قالوا : يا أنس أكفى ما بقي في إنائك . قال : فوالله ما عادوا
 وما هي إلا التمر والبسر ، وهي خمرهم يومئذٍ .

قال رضي الله عنه : (ثنا يحيى) بن سعيد القطان (عن حميد) الطويل
 (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : كنت أسقي أبا عبيدة) عامر ابن
 عبد الله (بن الجراح) بن هلال بن أهيب - بضم الهمزة وفتح الهاء وسكون
 التحتية فموحدة ابن ضبة - بفتح الضاد المعجمة وتشديد الموحدة - ابن
 الحارث بن فهر بن مالك ، أحد العشرة المبشرين بالجنة وأمين هذه الأمة ، تقدمت
 ترجمته في الحديث الأول من « مسند جابر رضي الله عنه » .

(وأبي بن كعب) هو أبو المنذر وأبو الطفيل ، أبي بن كعب بن المنذر ،
 وقيل : ابن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك ابن
 النجار ، واسم النجار تيم اللات ابن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر الأنصاري
 الخزرجي المعاوي ، وبنو معاوية بن عمرو يعرفون ببني حذيلة - بضم الحاء
 وفتح الدال المهملة وسكون الياء التحتية فلام - هي أمهم ينسبون إليها . شهد
 أبي العقبه الثانية ، وبايع النبي ﷺ بها فيمن بايعه من سبأ الأنصار ، ثم شهد
 بدرًا ، وما بعدها من المشاهد ، وكان يكتب للنبي ﷺ الوحي ، وهو أحد
 الستة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، وأحد الفقهاء الذين كانوا
 يفتون على عهد رسول الله ﷺ ، وكان أقرأ الصحابة لكتاب الله عز وجل ،
 كثره النبي ﷺ أبو المنذر ، وكثره عمر بن الخطاب أبو الطفيل ، وسماه النبي ﷺ

سيد الأنصار ، وسماء عمر سيد المسلمين . وقد أمر رسول الله ﷺ أن يقرأ عليه : « لم يكن الذين كفروا » روي له عن رسول الله ﷺ مائة وأربعة وستون حديثاً ، اتفقا على ثلاثة ، وانفرد البخاري بثلاثة ، ومسلم بسبعة . توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة تسع عشرة ، وقيل : سنة عشرين ، وقيل : اثنتين وعشرين ، في خلافة عمر ، وقيل : في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين ، والأول أصح وأكثر . روى عنه ابنه الطفيل وعبادة بن الصامت وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهم ، ومن التابعين عبد الرحمن بن أبي ليلى وأبو عثمان النهدي وخلق .

(وسهيل) - بالنصب - معطوف على أبي عبيدة وأبي - مفعول أسقي (ابن بيضاء) هو أبو موسى . وقيل : أبو أمية ، سهيل بن وهب بن ربيعة ابن هلال بن أهيب بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر ، وهو أخو سهل ، والبيضاء أمها ، واسمها دعد ، كان سهل ممن أظهر إسلامه بمكة ، وقيل : إنه كان يكتم إسلامه بمكة ، وخرج مع المشركين إلى بدر فأسر يومئذ ، فشهد له عبد الله ابن مسعود أنه رآه بمكة يصلي فحلى عنه . مات بالمدينة ، وصلى عليه النبي ﷺ في المسجد ، له ذكر في الصلاة على الجنازة . وأما سهيل - بالتصغير - فأسلم قديماً ، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ، وشهد بدرًا والمشاهد كلها . روى عنه عبد الله بن أنيس وأنس بن مالك ، ومات في حياة النبي ﷺ بعد رجوعه من تبوك سنة تسع ، ولا عقب له رضي الله عنه . والذي في « الصحيحين » (كنت أسقي أبا عبيدة ابن الجراح وأبا طلحة وأبي بن كعب) فذكر أبا طلحة بدل سهيل بن بيضاء . وأبو طلحة هو زيد بن سهل زوج أم سليم أم أنس ، فاقصر في هذه الرواية على هؤلاء الثلاثة . فأما أبو طلحة فلكون القصة كانت في منزله كما في « الصحيحين » عن عبد العزيز بن صهيب قال : « سألو أنس بن مالك عن الفضيح . فقال : ما كانت لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيح ، إني لقاكم أسقيها أبا طلحة ،

وأبا أيوب ، ورجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ في بيتنا، إذ جاء رجل... الحديث، وفي لفظ عن أنس : كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة . وأما أبو عبيدة ، فلأن النبي ﷺ آخى بينه وبين أبي طلحة ، كما أخرجه مسلم من وجه آخر عن أنس . وأما أبي بن كعب ، فكان كبير الأنصار وعالمهم . ووقع في رواية عبد العزيز ابن صهيب ، عن أنس عند البخاري : إني لقائم أسقي أبا طلحة وفلانا وفلانا ، كذا وقع بالإهام . وسمى في رواية مسلم أبا أيوب ، وفي « مسلم » عن أنس : كنت أسقي أبا طلحة وأبا دجانة ومعاذ بن جبل في رهط من الأنصار . وفي طريق أخرى : وسهيل بن بيضاء . ورواه البخاري أيضاً ، إلا أنه لم يذكر أبا أيوب ، ولا ذكر معاذ . وأبو دجانة - بضم المهملة وتخفيف الحيم ، وبعد الألف نون - اسمه سمالك بن خرشة - بمجمعتين بينهما راء مفتوحات ، وهذا معنى ما في هذه الرواية من قوله :

(ونفراً من أصحابه) أي أصحاب النبي ﷺ (عند أبي طلحة) رضي الله عنه وعنهم أجمعين (وأنا ساقهم) . وفي « الصحيحين » عن ثابت ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنت ساقى القوم يوم حرمت الحجر في بيت أبي طلحة . وفي رواية سليمان التيمي ، عن أنس في « الصحيحين » أيضاً : وأنا أصغرهم سنًا . ووقع عند عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ثابت وقتادة وغيرهما ، عن أنس رضي الله عنه : أن القوم كانوا أحد عشر رجلاً . وقد حصل مما ذكرنا تسمية سبعة منهم . وفي رواية سليمان التيمي ، عن أنس ، وهي في « المسند والصحيحين » : كنت قائماً على الحي - أسقيهم - عمومتي فقوله : عمومتي في موضع خفض ، على البدل من قوله : الحي ، وأطلق عليهم عمومته لأنهم كانوا أسن منه ، ولأن أكثرهم من الأنصار .

ومن المستغربات ما أورده ابن مردويه في « تفسيره » من طريق عيسى ابن

طهان ، عن أنس : أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا فيهم . وهو منكرو مع نظافة سنده . قال في « الفتح » : وما أظنه إلا غلطاً .

وقد أخرج أبو نعيم في « الحلية » في ترجمة شعبة ، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : حرم أبو بكر الخمر على نفسه فلم يشربها في جاهلية ولا إسلام . وعلى كون حديث حضور أبي بكر وعمر محفوظاً . فيحمل أن يكونا زارا أبا طلحة في ذلك اليوم ، ولم يشربا معهم ، ثم ذكر في « الفتح » أن البرار روى من وجه آخر عن أنس قال : كنت ساقى القوم ، وكان في القوم رجل يقال له : أبو بكر ، فلما شرب قال :

تحبني بالسلامة أم بسكر ... الأبيات .

فدخل علينا رجل من المسلمين فقال : قد نزل تحريم الخمر ... الحديث . وأبو بكر هذا يقال له : ابن شمو ، فظن بعضهم أنه أبو بكر الصديق ، وإس كذلك ، لكن قرينة ذكر عمر تدل على عدم الغلط في وصف الصديق . وفي « كتاب مكة » للفاكهي من طريق مرسل ما يعضد ذلك ، فحصلنا على تسمية عشرة (حتى إذا كاد الشراب أن يأخذ منهم) أي أن يسكروا ، وتقدمت رواية : حتى مالت رؤوسهم . (فأتى آت من المسلمين فقال : أو ما شعرت) بالاستفهام الإنكاري (أن الخمر قد حرمت ؟) وفي « الصحيح » من طريق عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس « إذ جاء رجل فقال : هل بلغكم الخبر ؟ قالوا : وماذا ؟ قال : حرمت الخمر . كما تقدم آنفاً .

وأخرج ابن مروديه من طريق بكر بن عبد الله ، عن أنس قال : لما حرمت الخمر وخلف على أناس من أصحابي وهي بين أيديهم ، فضربتها برجلي وقلت : نزل تحريم الخمر . فيحتمل أن يكون أنس خرج فاستنجز . وتقدم أن الرجل قام على الباب ، فذكر لهم تحريمها ، فما (قالوا) يعني الصحابة الذين كانوا يشربونها في بيت أبي طلحة وتشد : لا تنتهي عن شربها (حتى نفطر) في ذلك (ونسأل) عن

سبب التحريم ؛ بل بادروا الى الاقلاع عن ذلك و (قالوا) الفائل هو أبو طلحة كما تقدم آنفاً ، ولما رضي الباقر بذلك ؛ نسب القول إليهم جميعاً : (يا أنس ! أكفىء - بكسر الفاء مهموزاً - بمعنى أرق . وأصل الاكفاء الامالة (ما) أي الذي (بقي في إنائك) أي وعائك الذي كانت الخمرة فيه منها (قال) أنس رضي الله عنه : (فوالله ما عادوا) لشربها أبداً (وما هي) أي الخمر التي أراقوها لحرمتها ، وانتهوا عن شربها ، ولم يعودوا إليها (إلا التمر والبسر) وفي رواية عن أنس في « الصحيحين » وغيرهما : نزل تحريم الخمر فأكفأناها يومئذ ، وإنها خلطت البسر والتمر . وأخرجه الاسماعيلي من طريق روح بن عبادة ، عن سعيد ابن عبيد الله ، ولفظه عن أنس : نزل تحريم الخمر ، فدخلت على أناس من أصحابي وهي بين أيديهم ، فضربتها برجلي فقلت : انطلقوا فقد نزل تحريم الخمر ، وشربهم يومئذ البسر والتمر . ووقع عند ابن أبي عاصم من وجه آخر عن أنس : فأراقوا الشراب ، وتوضأ بعض ، واعتسل بعض ، وأصابوا من طيب أم سليم ، وأتوا النبي ﷺ ، فاذا هو يقرأ : « إنما الخمر والميسر ... الآية » (١) قال أنس رضي الله عنه : (وهي) أي الشراب المتخذ من التمر والبسر (خمرهم يومئذ) وفي رواية : وإن ذلك كان عامة خمرهم يوم حرمت الخمر . رواه مسلم .

وفي « البخاري » عن أنس رضي الله عنه قال : حرمت علينا الخمر حين حرمت ، وما نجد خمر آمن إلا عنباً إلا قليلاً ، وعامة خمرنا البسر والتمر ، أي النبيذ الذي يصير خمرأً كان أكثر ما يتخذ من البسر والتمر . قال الكرماني في « شرح البخاري » : قوله : البسر والتمر . مجاز عن الشراب الذي يصنع منها ، وهو عكس « إني أراني أعصر خمرأً » (٢) وفيه حذف تقديره : عامة أصل خمرنا أو مادته البسر والتمر .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٠ (٢) سورة يوسف ، الآية : ٣٦

وقد أخرج النسائي ، وصححه الحاكم من رواية محارب ، عن جابر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « الزبيب والتمر هو الخمر » وسنده صحيح ، وظاهره الحصر ؛ لكن المراد المباشرة ، وهو بالنسبة الى ما كان حينئذ بالمدينة موجود . أو قيل : مراد أنس رضي الله عنه بقوله : وما هي إلا التمر والبسر . الرد على من خص اسم الخمر بما يتخذ من العنب . وقيل : إن مراده أن التحريم لا يختص بالخمرة المتخذة من العنب ، بل يشركها في التحريم كل شراب مسكر ، وهذا أظهر ، والله أعلم .

تنبيهات

الأول : اختلف في وقت تحريم الخمرة . قال في « الفتح » : زعم الواحدي أنه عقب قول حمزة رضي الله عنه : إنما أنتم عبيد أبي . وحديث جابر يرد في الذين صحبوا الخمر ؛ ثم قتلوا بأحد ، وذلك قبل تحريمها . ويستفاد منه أنها كانت مباحة قبل التحريم . واستظهر في « الفتح » أن تحريمها كان عام الفتح سنة ثمان ، لما روى الامام أحمد من طريق عبد الرحمن بن وعلة قال : سألت ابن عباس رضي الله عنها عن بيع الخمر . فقال : كان لرسول الله ﷺ صديق من ثقيف ، أودوس ، فلقبه يوم الفتح براوية خمر يهديها إليه ، فقال : يا فلان ! أما علمت أن الله حرّمها ؟ فأقبل الرجل على غلامه فقال : بعها ، فقال : إن الذي حرم شرابها حرّم بيعها ، وأخرج مسلم من وجه آخر عن ابن وعلة نحوه ؛ لكن ليس فيه تعيين الوقت . وروى الامام أحمد من طريق نافع بن كيسان الثقفي ، عن أبيه ، أنه كان يتجر في الخمر ، وأنه أقبل من الشام فقال : يا رسول الله ! إني جئت بك بشراب جيد ، فقال : يا كيسان ! إنها حرّمت بعدك . قال : فأبيعها ؟ قال : إنها حرمت وحرّم ثمنها . وروى الامام أحمد أيضاً وأبو يعلى من حديث تميم الداري ، أنه كان

يهدي لرسول الله ﷺ كل عام راوية خمر ، فلما كان عام حرّمت ، جاء براوية فقال : أشعرت أنها قد حرّمت بعدك ؟ قال : أفلا أبيعها وأنتفع بشمها ؟ فنهأ . ويستفاد من حديث كيسان تسمية المہم في حديث ابن عباس ، ومن حديث تميم تأييد الوقت المذكور ، فإن إسلام تميم كان بعد الفتح . وجزم الدمياطي في «سيرته» بأن تحريم الخمر كان سنة الحديبية ، وهي كانت سنة ست ، وذكر ابن إسحاق أنه كان في وقعة بني النضير ، وهي بعد أحد ؛ وذلك سنة أربع على الراجح ، ونظر فيه في «الفتح» ، بأن أنساً كان الساقى يوم حرّمت ، وأنه لما سمع المنادي بتحريمها بادر فأراقها . قال - فلو كان ذلك سنة أربع لكان أنس يصغر عن ذلك . قلت : وفي تنظيره نظر : لأنه حينئذ ابن أربع عشرة سنة ، مع كيسه وممارسته لخدمة النبي ﷺ وخبرته بمهمات أموره ، لا يكبر عليه صنع مثل هذا كما لا يخفى .

الثاني : في ذكر سبب تحريم الخمر . قيل : السبب قصة حمزة رضي الله عنه ، وهو ما أخرجه الشيخان وغيرهما ، عن ابن جريج ، عن ابن شهاب ، عن علي بن الحسين بن علي ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال : أصبت شارفاً مع رسول الله ﷺ في مغنم يوم بدر ، وأعطاني رسول الله ﷺ شارفاً أخرى ، فأخبتها يوماً عند باب رجل من الأنصار ، وأنا أريد أن أحمل عليها إذ خراً لأبيعه ، ومعي صائغ من بني قينقاع ، فأستمعن به على وليمة فاطمة وحمزة بن عبد المطلب يشرب في ذلك البيت ، معه قينة تغنيه ، فقالت : ألا يا حمز للشرف النواء .

فسار إليهما حمزة بالسيف ، فجب أسنمتها وبقر خواصرهما ، ثم أخذ من أكبادهما - قال ابن جريج : قلت لابن شهاب : ومن السنام ؟ قال : قد جب أسنمتها فذهب بها - قال علي بن أبي طالب : فنظرت إلى منظر أفظمني ، فأتيته إلى رسول الله ﷺ وعنده زيد بن حارثة ، فأخبرته الخبر ، فخرج ومعه

زيد، فانطلقت معه ، فدخل على حمزة ؛ فتعيط عليه ، فرفع حمزة بصره فقال :
هل أنتم إلا عبيد لأبي ؟ فرجع رسول الله ﷺ يهقر حتى خرج عنهم . وفي لفظ :
كانت لي شارف من نصبي من مغنم بدر . وكان رسول الله ﷺ أعطاني
شارفاً من الخمس يومئذ ، فلما أردت أن أبتي بفاطمة بنت رسول الله ﷺ ،
واعدت رجلاً صواغاً من بني قينقاع يرتحل معي ، فنأتي بأخضر ، أردت أن أبعه من
الصوآغين ، فأستعين في وليمة عرس ، فبينما أنا أجمع اشرافي متاعاً من الأقتاب
والغرائر والحبال ، وشارفاً مناخلاً الى جانب حجرة رجل من الأنصار ،
وجئت حتى جمعت ما جمعت ، فاذا شارفاً قد أجنبنا أسنمتها ، وبقرت خواصرها ،
وأخذ من أكبادهما ، فلم أملك عيني حين رأيت ذلك المنظر منهما ، فقلت : من
فعل هذا ؟ قالوا : فعله حمزة بن عبد المطلب ، وهو في البيت في شرب من الأنصار ،
غنته قينة وأصحابه ، فقالت في غنائها :

ألا يا حمز للشرف النواء	وهن معقلات بالغناء
ضع السكين في اللبآت منها	وضرّجن حمزة بالدماء
وعجل من أطايبها لشرب	طعاماً من قديد أو شواء
فأنت أبو عمارة والمرجى	لكشف الضر عنا والبلاء

فقام حمزة بالسيف ، فاجتب أسنمتها وبقر خواصرها ، فأخذ من
أكبادهما . قال علي : فانطلقت حتى أدخل على رسول الله ﷺ وعنده زيد بن حارثة
- قال - فعرف رسول الله ﷺ في وجهي الذي لقيت ، فقال رسول الله ﷺ :
مالك ؟ قلت : يا رسول الله ! مارأيت كالיום قط ؛ عدا حمزة على ناقتي فاجتب
أسنمتها وبقر خواصرها ، وهاهو في بيت معه شرب - قال - فدعا رسول الله
ﷺ رداءه فارتداه ، ثم انطلق يمشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة ، حتى جاء الباب
الذي فيه حمزة ، فاستأذن فأذنوا له ، فاذا هم شرب ، فطفق رسول الله ﷺ يولم

حمزة فيما فعل ، وإذا حمزة محمزة عيناه ، فنظر حمزة إلى رسول الله ﷺ ، ثم صعد النظر إلى ركبتيه ، ثم صعد النظر فنظر إلى سرته ، ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ، فقال حمزة : وهل أنتم إلا عبيد لأبي ؟ - قال - فعرف رسول الله ﷺ أنه كمل (١) ، فنكص رسول الله ﷺ على عقبيه القهقري ، وخرج وخرجنا معه . زاد البخاري : وذلك قبل تحريم الخمر .

وروى أصحاب «السنن» من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ! فنزلت الآية التي في البقرة : « قل فيها إثم كبير » (٢) فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ! فنزلت التي في النساء : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » (٣) فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت التي في المائدة : « فاجتنبوه ... إلى قوله : منتهون » (٤) . فقال عمر : انتهينا . وصححه علي بن المديني والترمذي ، وأخرج الامام أحمد نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه دون قصة عمر ، لكن قال عند نزول آية البقرة : فقال الناس : ما حرّم علينا ، فكانوا يشربون ، حتى أم رجل أصحابه في المغرب فخلط في قراءته ، فنزلت التي في النساء ، فكانوا يشربون ، ولا يقرب الرجل الصلاة حتى يفيق ، ثم نزلت آية المائدة ، فقالوا : يا رسول الله ! ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على فراشهم ، وكانوا يشربونها . فأمر الله تعالى : « ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح » (٥) ... الآية . فقال النبي ﷺ : « لو حرم عليهم لتركوه كما تركتموه » . وفي مسند الطيالسي نحوه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وقال في الآية الأولى : قيل : حرمت الخمر ، فقالوا : دعنا يا رسول الله ننتفع بها . وفي الثانية : فقيل : حرمت الخمر ، فقالوا : إنا لانشرّبها قرب الصلاة . وقال في الثالثة : فقال رسول الله ﷺ : حرمت الخمر .

(١) يقال ثمل ثملاً : إذا أخذ فيه الشراب .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢١٩٦ (٣) سورة النساء ، الآية : ٤٣

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٩٠ (٥) سورة المائدة ، الآية : ٩٣

وأخرج النسائي والبيهقي بسند صحيح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
 إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من الأنصار شربوا ، فلما ثمل القوم عبث بعضهم
 ببعض ، فلما أن أصبحوا جعل الرجل يرى في وجهه ورأسه الأثر فيقول :
 صنع هذا أخي فلان ، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن ، فيقول : والله لو كان
 لي رحيماً ما صنع بي هذا ، حتى وقعت في قلوبهم الضغائن ، فأنزل الله عز وجل هذه
 الآية : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر .. إلى منتهون » (١) . قال : فقال ناس
 من المتكافين : هي رجس ، وهي في بطن فلان ، وقد قتل يوم أحد ، فأنزل الله :
 « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. إلى المحسنين » (٢) . ووقعت هذه
 الزيادة في حديث أنس في « صحيح البخاري » ، ووقعت أيضاً في حديث البراء
 عند الترمذي وصححه . ومن حديث ابن عباس عند الامام أحمد : لما حرمت
 الخمر قال ناس : يا رسول الله ! إن أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها . وسنده
 صحيح . وعند البزار من حديث جابر : إن الذي سأل عن ذلك هم اليهود .
 قال أبو بكر الرازي في « احكام القرآن » : يستفاد تحريم الخمر من هذه
 الآية من كسيتها رجساً ، وقد سمي به ما أجمع على تحريمه وهو لحم الخنزير ، ومن
 قوله : « من عمل الشيطان » (٣) لأن ما (٣) كان من عمل الشيطان حرم تناوله ، ومن
 الأمر بالاجتناب وهو للوجوب ، وماوجب اجتنابه حرم تناوله ، ومن الفلاح المرتب
 على الاجتناب ، ومن كون الشرب سبباً للعداوة والبغضاء للمؤمنين ، وتماطي ماوقع
 ذلك حرام ، ومن كونها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، ومن ختام الآية بقوله :
 « فهل أنتم متتهون » (٤) فانه استفهام معناه الردع والزجر ، فلماذا قال عمر رضي
 الله عنه لما سمعها : انتهينا انتهينا . وأخرج الطبراني وابن مردويه ، وصححه الحاكم
 من طريق طلحة بن مصرف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٠ (٢) سورة المائدة ، الآية : ٩٣ (٣) في الاصل : منها

قال : لما نزل تحريم الخمر مشى أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم الى بعض ، فقالوا : حرمت الخمر وجعلت عدلاً للشرك . قيل : يشير الى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر .. الآية » (١) فان الأنصاب والأزلام من عمل المشركين بتزيين الشيطان فنسب العمل اليه . وقال أبو الليث السمرقندي : المعنى أنه لما نزل فيها : « إنه رجس من عمل الشيطان » (٢) وأمر باجتنابها ، عادت قوله : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان » (٣) وذكر أبو جعفر النحاس أن بعضهم استدلل بتحريم الخمر بقوله تعالى : « إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق » (٤) . وقد قال تعالى في الخمر والميسر : « فيها إثم كبير ومنافع للناس » (٥) . فلما أخبر أن في الخمر إثمًا كبيراً ، ثم صرح بتحريم الخمر بذلك ، قال : وقول من قال : إن الخمر يسمى الاثم ، لم نجد له أصلاً في الحديث ، ولا في اللغة ، ولا دلالة أيضاً في قول الشاعر :

شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول
فانه أطلق الاثم على الخمر مجازاً ، بمعنى أنه ينشأ عنها الاثم . واللغة الفصحى تأنيث الخمر ، وأثبت أبو حاتم السجستاني وابن قتيبة وغيرهما جواز التذكير . ويقال لها : الخمرة ، أثبتة فيها جماعة من أهل اللغة ، منهم الجوهري ، وصاحب « القاموس » وغيرهما ، وقال ابن مالك في « المثلث » : الخمرة : هي الخمر في اللغة ، وهل سميت الخمر لأنها تغطي العقل ، أي تخامره ، أي تخالطه ، أو لأنها تخمر ، أي تغطي حتى تغلي ، أو لأنها تختمر ، أي تدرك ، كما يقال للمعجين : اختمر ؟ أقوال . وقد قال عمر رضي الله عنه : الخمر ما خامر العقل - أي غطاه - أو خالطه . والعقل هو آلة التمييز ، فلذلك حرم ما غطاه أو غيَّره ؛ لأن بذلك يزول الإدراك الذي طلبه الله من عباده ليقوموا بحقوقه .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٠ (٣) سورة الاعرف ، الآية : ٣٣

(٢) سورة الحج ، الآية : ٣٠ (٤) سورة البقرة ، الآية : ٢١٩

الثالث : الخمر يكون من العنب وغيره . وقد ثبت عن النبي ﷺ من عدة طرق أنه قال : « كل مسكر حرام ، وكل شراب أسكر فهو حرام » . كما في « الصحيحين » ، وغيرها ، وفيها من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام ؛ ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمها لم يتب ؛ لم يشربها في الآخرة » . وفيها من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً عن النبي ﷺ : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » وقد نقل كون الخمر من العنب وغيره عن الجمهور ؛ منهم عمر بن الخطاب ، وعلي ابن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، وابن عمر ، وأبو موسى ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، وعائشة رضي الله عنهم ، ومن التابعين : ابن المسيب ، وعروة ، والحسن ، وسعيد ابن جبير ، وآخرون ، وهو قول مالك ، والأوزاعي ، والثوري وابن المبارك ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق ، وعامة أهل الحديث ، خلافاً للكويتيين في زعمهم أن الخمر اسم لما يتخذ من عصير العنب خاصة . وقد ثبت في « الصحيح » ، و« السنن » ، و« المسانيد » وغيرها عن النبي ﷺ : أن كل ما أسكر فهو خمر ، وقال ﷺ : « الخمر من هاتين الشجرتين : النخلة والعنب » . رواه مسلم قال البيهقي : ليس المراد الحصر فيها ، لأنه ثبت أن الخمر يتخذ من غيرها في حديث عمر وغيره ، وفي البخاري : « قام عمر على المنبر فقال : أما بعد ، نزل تحريم الخمر وهي من خمسة : العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير . والخمر ما خامر العقل . وأخرج أصحاب « السنن » الأربعة ، وصححه ابن حبان ، عن الشعبي ، أن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الخمر من العصير والزبيب والتمر والحنطة والشعير والذرة » ، وإني أنهاكم عن كل مسكر » . ورواه الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه بسند صحيح قال : « الخمر من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والذرة » . قال صاحب « الهداية » من الحنفية : الخمر عندنا ما اعتصر من العنب إذا اشتد - قال -

وهو المعروف عند أهل اللغة وأهل العلم قال - وقيل : هو اسم لكل مسكر ؛ لقوله ﷺ : « كل مسكر خمر » وقوله : « الخمر من هاتين الشجرتين ، ولأنه من مخمرة العقل ، وذلك موجود في كل مسكر . وأجاب في « الفتح » بأن غير المتخذ من العنب يسمى خمرأً عند بعض أهل اللغة . وقال الخطابي : زعم قوم أن العرب لا تعرف الخمر إلا من العنب ، فيقال لهم : إن الصحابة الذين سموا غير المتخذ من العنب خمرأً عرب فصحاء ، فلو لم يكن هذا الاسم صحيحاً لما أطلقوه . وقال ابن عبد البر : قال الكوفيون : الخمر من العنب ؛ لقوله تعالى : « أعصر خمرأً » (١) قالوا : فدل على أن الخمر هو ما يعتصر لا ما ينبذ - قال - ولا دليل فيه على الحصر . وقال أهل المدينة ، وسائر الحجازيين وأهل الحديث كلهم : كل مسكر خمر ، وحكمه حكم ما اتخذ من العنب . ومن الحجة لهم أن القرآن لما نزل بتحريم الخمر ، فهم الصحابة - وهم أهل اللسان - أن كل شيء يسمى خمرأً يدخل في النهي ، فأراقوا المتخذ من التمر والرطب ، ولم يخصوا ذلك بالمتخذ من العنب . وعلى تقدير التسليم ؛ فإذا ثبت تسمية كل مسكر خمرأً من الشرع ؛ كان حقيقة شرعية ، وهي مقدمة على الحقيقة اللغوية .

قال ابن عبد البر ، بعد أن نقل عن العرب والصحابة والأحاديث : على أن كل ما خامر العقل يسمى خمرأً . وكذا القرطبي قال : إن الأحاديث الواردة عن أنس وغيره ، على صحتها وكثرتها تبطل مذهب الكوفيين القائلين : بأن الخمر لا يكون إلا من العنب ، وما كان من غيره لا يسمى خمرأً ، ولا يتناول اسم الخمر - قال القرطبي - وهو قول مخالف للغة العرب وللسنة الصحيحة وللصحابة ؛ لأنهم لما نزل تحريم الخمر ، فهموا أن الأمر باجتناب الخمر تحريم كل مسكر ، ولم يفرقوا بين ما يتخذ من العنب ، وبين ما يتخذ من غيره ؛ بل سموها بينها ، وحرموها ما يسكر نوعه ، ولم يتوقفوا ولا استفصلوا ، ولم يشكك عليهم شيء .

(١) سورة يوسف - الآية ٣٦

من ذلك ؛ بل بادروا الى إتلاف ما كان من غير عصير العنب ، وم أهل اللسان ، وبلغتهم نزل القرآن ، فلو كان عندهم فيه تردد لتوقفوا عن الازالة حتى يستكشفوا ويستفصلوا ويتحققوا التحريم ، لما كان تقرر عندهم من النهي عن إضاعة المال ، فلما لم يفعلوا ذلك وبادروا الى الإتلاف ؛ علمنا أنهم فهموا التحريم نصاً . فصار القائل بالتفريق سالكاً غير سبيلهم - قال - ثم انضاف إلى ذلك خطبة عمر بما يوافق ذلك ، وهو ممن جعل الله الحق على لسانه وقلبه ، وسمعه الصحابة وغيرهم ؛ فلم ينقل عن أحد منهم إنكار ذلك - قال - وإذا ثبت أن كل شيء أسكر يسمى خمرأ ؛ لزم تحريم قليله وكثيره ، وقد ثبتت الأحاديث الصحيحة في ذلك .

وأما ما تمسك به المخالف من الأحاديث عن بعض الصحابة ؛ فلا يصح منها شيء على ما قاله عبد الله بن المبارك ، والامام أحمد وغيرهما . وعلى تقدير ثبوت شيء منها ، فمحمول على نقيع الزبيب أو التمر من قبل أن يدخل حـد الاسكار . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في « الفتاوي المصرية » : خمر العنب حرام باتفاق المسلمين قليله وكثيره ، فمن استحل شيئاً من ذلك يستتاب ، فان تاب وإلا قتل - قال - وأبو حنيفة يحرم نبيذ التمر والزبيب قليله وكثيره إذا كان مسكراً ، وكذلك المطبوخ من عصير العنب الذي لم يذهب ثلثاه ، فانه يحرم عنده قليله وكثيره ، فهذه الأربعة يحرم عنده قليلها وكثيرها - قال - والذي عليه جماهير أئمة المسلمين : أن كل مسكر حرام ، وقد قال ﷺ ذلك ، واستفاضت الأحاديث بذلك . انتهى .

وقال المازري : أجمعوا على أن عصير العنب قبل أن يشتد حلال ، وعلى أنه إذا اشتد وغلى ، وقذف بالزبد ، حرم قليله وكثيره ، ثم لو تخلل بنفسه حل بالاجماع أيضاً ، فوقع النظر في تبدل هذه الأحكام عند هذه المتجددات ، فأشهر

ذلك بارتباط بعضها ببعض ، ودل على أن علة التحريم الاسكار ، فاقضى ذلك أن كل شراب وجد فيه الاسكار حرم تناول قليله وكثيره . انتهى .

وما ذكره استنباطاً ثبت التصريح به في بعض طرق الخبر ؛ فعند أبي داود والنسائي ، وصححه ابن حبان ، من حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » ، وللنسائي من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده مثله ، وسنده الى عمرو صحيح ، ولأبي داود من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « كل مسكر حرام » ، وما أسكر منه الفرق فليء الكف (١) منه حرام . ولابن حبان والطحاوي من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : « أنها كم عن قليل ما أسكر كثيره » . وقد اعترف الحافظ الطحاوي بصحة هذه الأحاديث ؛ لكن قال : اختلفوا في تأويل الحديث ، فقال بعضهم : أراد به جنس ما يسكر ، وقال بعضهم : أراد به ما يقع السكر عنده ، ويؤيده أن القتاتل لا يسمى قاتلاً حتى يقتل - قال - ويدل له حديث ابن عباس رضي الله عنهما رفعه : « حرمت الخمر قليلها وكثيرها ، والسكر من كل شراب » . قال الحافظ بن حجر في « الفتح » : وهذا حديث أخرجه النسائي ورجاله ثقات ؛ إلا أنه اختلف في وصله وانقطاعه ، وفي رفعه ووقفه ، وعلى تقدير صحته ؛ فقد رجح الامام أحمد وغيره أن الرواية فيه بلفظ : والمسكر - بضم الميم وسكون السين المهملة - لا السكر - بضم فسكون أو بفتحين - وعلى تقدير ثبوتها . فهو حديث فرد ، ولفظه محتمل ، فكيف يعارض عموم تلك الأحاديث مع صحتها وكثرتها . وجاء أيضاً عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند الدارقطني ، وعن ابن عمر عند إسحاق الطبراني ، وعن خوات بن جبير عند الدارقطني والحاكم والطبراني ، وعن زيد بن ثابت عند الطبراني ، وفي أسانيدھا مقال ؛ لكنها تزيد الأحاديث قبلھا

(١) في الاصل : الكفة ، والتصحيح من « سنن أبي داود » . والفرق : نوع من أنواع المكابيل .

قوة وشهرة . قال في الفتح : قال أبو المظفر بن السمعاني قال - وكان حنفياً فتحول شافعيًا - : ثبتت الأخبار عن النبي ﷺ في تحريم المسكر ، ثم ساق كثيراً منها ، ثم قال : والأخبار في ذلك كثيرة ، ولا مساع لأحد في العدول عنها والقول بخلافها ؛ فإنها حجج قواطع - قال - وقد زلّ الكوفيون في هذا الباب ، ورووا أخباراً معلولة لا تعارض هذه الأخبار بحال ، ومن ظن أن رسول الله ﷺ شرب مسكراً ، فقد دخل في أمر عظيم ، وباء باثم كبير ، وإنما الذي شربه كان حلواً ولم يكن مسكراً . وقد روى ثمامة بن حزن القشيري ، أنه سأل عائشة عن النبيذ ، فدعت جارية حبشية فقالت : سل هذه ؛ فإنها كانت تنبذ لرسول الله ﷺ ، فقالت الحبشية : كنت أنبذ له في سقاء من الليل وأوكمته وأعلقه ، فإذا أصبح شرب منه . أخرجه مسلم . وروى الحسن البصري ، عن أمه ، عن عائشة نحوه ، ثم قال : فقياس النبيذ على الخمر بعملة الاسكار والاطراب من أجل الأقيسة وأوضحها ، والمفاسد التي توجد في الخمر توجد في النبيذ ، ثم قال ابن السمعاني : وعلى الجملة فالنصوص المصرحة بتحريم كل مسكر قل أو كثر مغنية عن القياس . انتهى .

وقد قال عبد الله بن المبارك : لا يصح في حل النبيذ الذي يسكر كثيراً عن الصحابة شيء ، ولا عن التابعين ، إلا عن إبراهيم النخعي - قال - وقد ثبت حديث عائشة : كل شراب أسكر فهو حرام ، وقد أسند أبو جعفر النحاس ، عن يحيى بن معين ، أن حديث عائشة : كل شراب أسكر فهو حرام ؛ أصبح شيء في الباب ، وفي هذا تمقب على من نقل عن ابن معين أنه قال : لا أصل له ، وقد ذكر الزيلعي في : « تخريج أحاديث الهداية » وهو من أكثر الحنفية اهتداءً : أنه لم يثبت في شيء من كتب الحديث ، نقل هذا عن ابن معين . انتهى . قال في الفتح : وكيف يتأتى القول بتضمينه مع وجود مخارج -

الصحيحة ثم مع كثرة طرقه ؟ حتى قال الامام أحمد : إنها جاءت عن عشرين صحابياً ، وأورد الكثير منها في « كتاب الأشربة » المفرد ، فمارواه فيه من حديث علي رضي الله عنه : اجتنبوا ما أسكر . رواه الامام أحمد ، وهو حديث حسن . وفي « الفتح » : أن الأحاديث الواردة في ذلك تزيد عن ثلاثين صحابياً ، وأكثرها عنهم جيد ، ومضمونها : أن المسكر لا يحل تناوله ؛ بل يجب اجتنابه . ويأتي ما رواه الامام أحمد رضي الله عنه ، عن عبد الله بن إدريس قال : سمعت المختار بن فلفل قال : سألت أنس بن مالك عن الشرب في الأوعية ، فقال : نهى رسول الله ﷺ عن المزقة وقال : كل مسكر حرام - قال - قلت له : صدقت ، السكر حرام ، فالشربة والشربتين على طعامنا ؟ قال : ما أسكر كثيره فقليله حرام . ويأتي شرحه إن شاء الله تعالى ، وسنده صحيح على شرط مسلم . فقد ردّ أنس الاحتمال الذي جنح إليه الطحاوي ، والصحابي أعرف بالمراد بمن تأخر بعده ، ولهذا قال عبد الله بن المبارك ما قال . وتقدم طرف من الكلام على النبيذ في شرح الحديث (١) الرابع من « مسند جابر رضي الله عنه » . وبالله التوفيق .

الحديث الثامنون

١٢٥ - ثنا وكيع ، ثنا يزيد بن أبي صالح - وكان دُبَّاغاً ، وكان حسن الهيئة ، عنده أربعة أحاديث - سمعت أنس ابن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ : يدخل ناس الجحيم ، حتى إذا كانوا حُمماً أخرجوا فأدخلوا الجنة ؛ فيقول أهل الجنة : هؤلاء الجهنميون .

(١) كلمة الحديث : سقطت من الاصل .

قال رضي الله عنه : (ثنا) أبو سفيان (وكيع) بن الجراح بن فليح
الدوسي الكوفي الحافظ .

قال الامام أحمد : ما رأيت أوعى للعلم منه ولا أحفظ ، ولا رأيت معه
كتاباً قط ولا رقعة . وقال ابن معين : ما رأيت أفضل منه ، كان يستقبل القبلة ،
ويحفظ حديثه ، ويقوم الليل ، ويسرد الصوم ، ويفي بقول أبي حنيفة . وقال
الامام أحمد لعماس الدوري : لو رأيت وكيعاً لعلمت أنك ما رأيت مثله . وقال
إبراهيم الحربي : سمعت الامام أحمد بن حنبل ، وذكر وكيعاً ، فقال : ما رأيت
عينا مثله قط . وقال يحيى ابن أكرم : صحبت وكيعاً في السفر والحضر ،
فكان يصوم الدهر ، ويحتم القرآن كل ليلة . وقال ابن جنادة : جالست وكيع
ابن الجراح سبع سنين ، فما رأيت به برق ولا مس حصة ولا جلس مجلسه فتحرك ،
وما رأيت به إلا مستقبل القبلة ، وما رأيت به يحلف بالله . وقال وكيع : زكاة الفطر
لشهر رمضان كسجدة السهو للصلاة ، تحبر نقصان الصوم كما يحبر السجود
نقصان الصلاة . وأغلظ رجل لو وكيع ، فدخل بيتاً فعفر وجهه في التراب ، ثم
خرج الى الرجل فقال : زد وكيعاً بذنبه ، فلولا ما ساء عليه .

قال بعض المؤرخين : وكيع من قيس عيلان . وقيل : إن أصله من قرية
من قرى نيسابور . سمع وكيع هشام بن عمر ، والأوزاعي وبقية وحماد بن سلمة
والسفيانين ، مالكاً وخلقا . وروى عنه ابنه (١) : فليح وسفيان ، والامام أحمد بن حنبل
وإسحاق بن راهويه ويحيى بن معين . وروى عنه أيضاً عبد الله بن المبارك وعلي
ابن المدني والامام الشافعي ، وقال للشافعي : إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً ،
فلا تطفئه بظلمة المعصية . وقيل : إن الذي قال ذلك للشافعي الامام مالك ، لما
رأى من وفور فطنته وتوقد ذكائه وكمال فهمه .

(١) في الاصل : بنوه ، وهو خطأ ، لانه ذكر اثنين .

وقال الشافعي رضي الله عنه :

شكوت الى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال اعلم بأن العلم نور ونور الله لا يؤتاه عاصي

مات وكيع رحمه الله ورضي عنه سنة ست وتسعين ومائة .

قال وكيع : (ثنا يزيد بن أبي صالح) قال الامام أحمد : (وكان) يزيد هذا (دباعاً ، وكان حسن الهيئة) أي الشكل والحالة . قال في « النهاية » : الهيئة صورة الشيء ، وشكله وحالته ، وقال في قوله ﷺ : « أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود » : هم الذين لا يعرفون بالشر ، فيزل أحدهم الزلة ، قال : ويريد به ذوي الهيئات الحسنة ، الذين يلزمون هيئة واحدة وسمياً واحداً ، ولا تختلف حالاتهم بالتنقل من هيئة إلى هيئة .

وقال ابن عقييل : المراد بهم الذين دامت طاعتهم وعدائهم ، فزلت في بعض الأحيان أقدامهم بورطة . وقال ابن القيم : الظاهر أنهم ذوي الأقدار من الناس ، من الجاه والشرف والسؤدد ، فإن الله تعالى خصهم بنوع تكريم وتفضل على أبناء جنسهم ، فمن كان منهم مستوراً مشهوراً بالخير حتى كبا به جواده ، ونبا غضب صبره ، وأدبل عليه شيطانه ، فلا يتسارع إلى تأنيبه وعقوبته ؛ بل تقال عثرته ، ما لم يكن حداً من حدود الله ، فإنه يتعين استيفاءه من الشريف كما يتعين أخذه من الوضع ، وأما أهل التقوى ؛ فما عبر عنهم النبي ﷺ بذوي الهيئات . انتهى ملخصاً ، والله أعلم . (عنده) أي عند يزيد هذا (أربعة أحاديث) هذا أحدها . قال : (سمعت أنس بن مالك) رضي الله عنه (يقول : قال رسول الله ﷺ : يدخل ناس) من هذه الأمة (الجحيم) وهو اسم لطبقة من طبقات جهنم ، وباب من أبوابها . والمشهور أن عصاة هذه الأمة في الطبقة الأولى . وتسمى : جهنم ، وهي أهون عذاباً من غيرها ، وسميت بذلك ؛ لأنها تنجم في وجوه الرجال

والنساء ، فتأكل لحومهم ، والهاوية آخرها ، وهي أبدها قمرآ ، والجحيم النار
 الشديدة التأجج ، وكل نار بعضها فوق بعض كالجمجمة ، ويضم ، وكل نار عظيمة
 في مهولة ، والمكان الشديد الحر (حتى إذا كانوا) أي صاروا بعد دخولهم
 النار فيها (حمأ) - يضم الحاء المهمل وفتح الهمزة - جمع حممة ، وهي الفحمة
 (أخرجوا) من النار بالشفاعة ، أو برحمة أرحم الراحمين (فأدخلوا الجنة) فقد أخرج
 هناك من طريق جويبر ، عن الضحاك ، عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما ،
 عن النبي ﷺ قال : « إن لهم بايين ، أحدهما يسمى الجوانية والآخر يسمى
 البرانية ، فأما الجوانية فإني لا يخرج منها أحد ، وأما البرانية فإني أعذب الله فيها
 أهل الذنوب من أهل الإيمان ما شاء الله أن يعذبهم ، ثم يأذن الله للملائكة
 والرسول والأنبياء ولمن شاء من عباده الصالحين ، فيشفعون فيخرجون منها وهم
 فحيم ، فيلقون على شاطئ نهر في الجنة يسمى نهر الحيوان ، فينضح عليهم ،
 فينبتون كما تنبت الحبة في الحقل ، فإذا استوت أجسادهم قيل : أدخلوا النهر .
 فيدخلون فيشربون منه ويطهرون فيخرجون ، فيقال لهم : أدخلوا الجنة (فيقول
 أهل الجنة : هؤلاء الجهنميون) ، لبقية أثر في أجسامهم .

فقد أخرج الطبراني في « الأوسط » عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه
 قال : قال ﷺ : « يخرج قوم من النار فيسمون في الجنة الجهنميين ، فيدعون
 الله أن يحول عنهم ذلك الاسم ، فيمحوه الله عنهم ، فأخرجوا من النار نبتوا
 كما ينبت الریش » .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في مناشدة
 المؤمنين الله تعالى في إخوانهم المذنبين من المؤمنين إذا رأوا أنهم قد نجوا فيقولون :
 ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفم ، فتجرم
 صورهم على النار ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبته ،

ثم يقولون : ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به . فيقال : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ؛ ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا ، ثم يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم مثقال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً . وكان أبو سعيد يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم : « إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ، ويؤت الله من لده أجرًا عظيمًا » (١) — فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار لم يعملوا خيراً قط ، قد عادوا حمياً ، فيلقينهم في نهر ؛ في أفواه الجنة يقال له : نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ؟ ما تكون إلى الشمس أصفر وأخضر ، وما يكون منها إلى الظل ؛ يكون أبيض . فيخرجون كاللؤلؤ ، في رقابهم الخواتيم ، يعرفهم أهل الجنة ، هؤلاء عتقاء الله ؛ الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدّموه ... الحديث » والمراد لم يعملوا خيراً قط من العمل ؛ إلا أنهم موحدون ، فأصل التوحيد في قلوبهم .

وفي « البخاري » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال ﷺ : « حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار ؛ أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله ، فيخرجونهم فيعرفونهم بآثار السجود ، وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار ، وقد امتحشوا بضم التاء وكسر الحاء المهمل بعد شين معجمة — أي احترقوا ، فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبئون كما تنبت الحبة في حميل السيل ... الحديث » .

(١) سورة النساء ، الآية : ٤٠

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في «الصحيحين» وغيرها ، في حديث الشفاعة الطويل ، وفيه فأقول : « يارب ! أمّي أمّي ، فيقول : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شميرة من إيمان ؛ فأخرجه منها ، فأطلق فأفعل ، ثم أجمع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ، ثم آخر له ساجداً . فيقال لي : يا محمد ! ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب ! أمّي أمّي ، فيقال : انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ؛ فأخرجه منها ، فأطلق فأفعل ، ثم أعود إلى ربي . وفيه فيقال لي : انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان ؛ فأخرجه من النار ، فأطلق فأفعل ، وفيه : قال الحسن البصري : قال أنس رضي الله عنه : قال النبي ﷺ : « ثم أرجع إلى ربي في الرابعة ، وأحمده بتلك المحامد ، ثم آخر ساجداً ، فيقال : يا محمد ! ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب ! أئذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله ، قال : ليس ذلك لك ، أو قال : ليس ذلك إليك ؛ ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله . »

وفي «البخاري» ، من حديثه مرفوعاً : « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شميرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن برّة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرّة » وفي حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنها عند مسلم : « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ؛ وكان في قلبه من الخير ما يزن شميرة ، فيجعلون بقناء الجنة ، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء ؛ حتى ينبتوا نبات الشبث في السيل ، ويذهب حراره ، ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها ، ورواه الترمذي ولفظه : قال : قال رسول الله

ﷺ : « يمدب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمماً ، ثم تدر كهم الرحمة فيخرجون فيطرحون على أبواب الجنة - قال - فيرش عليهم أهل الجنة الماء ، فينبثون كما ينبت القثاء في حمالة السيل ، ثم يدخلون الجنة » .
وفي « صحيح مسلم » من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ؛ ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم ، أو قال : بخطاياهم ، فأماهم الله إماتة ، حتى إذا كانوا خفاً أذن في الشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ضبائر - بضاد معجمة فباء موحدة فألف بعدها همزة فراء - أي جماعات في تفرقة ، جمع ضبارة ، مثل عمارة وعمائر ، وكل مجتمع ضبارة . فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة ! أفيضوا عليهم ، فينبثون نبات الجنة في حميل السيل » .

وفي « صحيح مسلم » أيضاً من حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن قوماً يخرجون من النار يحترقون فيها ؛ إلا دارات وجوههم ، حتى يدخلون الجنة » والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً .

تنبيهان

الأول : اتفق أهل السنة والجماعة على أن النار لا يخلد فيها أحد من أهل الإيمان والتوحيد ، كما ثبت ذلك في الأحاديث ؛ أنه يخرج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، ونحوه ؛ لكن لا بد أن يدخل النار من أهل التوحيد طائفة بذنوبهم ، ويقاقبون على مقدار ذنوبهم ، ثم يخرجون بشفاعة النبي ﷺ أو غيره ، أو برحمة أرحم الراحمين .

هذا قول أهل الحق ، فإذا ارتكب المؤمن كبيرة من الذنوب غير

مكفرة بلا استحلال ، ومات بلا توبة ؛ فهو في مشيئة الله تعالى ، فلا يقطع له بالعفو ولا بالعقاب ، وعلى تقدير وقوع العذاب عدلاً منه سبحانه ، يقطع له بعدم الخلود في النار ، بل لا بد وأن يخرج منها بمقتضى ماسبق من وعده الذي لا يخلفه .
وأما أهل البدع فلهم أقوال مضطربة باطلة ، وآراء مختلفة عاطلة ، فجمهور المعتزلة والخوارج يقولون : من دخل النار يخلد فيها .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه « شرح الايمان » : ينبغي أن يعرف أن القول الذي لم يوافق الخوارج والمعتزلة عليه أحد من أهل السنة ، هو القول بتخليد أهل الكبائر في النار ، فإن هذا القول من البدع المشهورة — قال — وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان — قال — وحديث : لا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان . هو نفي الدخول المطلق الذي توعد به القرآن توعداً مطلقاً ، وهو دخول الخلود فيها ؛ وأنه لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها ، مثل قوله تعالى : « لا يصلها إلا الأشقي » (١) . وقوله : « سيدخلون جهنم داخرين » (٢) . فمن في قلبه ذرة من إيمان يمنع من هذا الدخول المعروف ، لا أنه لا يصيبه شيء من عذاب النار ؛ لأنه يقول : أخرجوا من في قلبه مثقال ذرة من إيمان . وكذا قوله ﷺ : « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر » . ففي الدخول المطلق المعروف ، وهو دخول المؤمنين الذين أعدت لهم الجنة ، كقوله : « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ... الآية » (٣) والمراد الدخول ابتداءً من غير عذاب في النار ، بحيث لا يفهم من ذلك أنهم يعذبون ، فهذا الدخول لا يناله من في قلبه مثقال ذرة من كبر . فهذه الأحاديث

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٧٣

(١) سورة الليل ، الآية : ١٥

(٢) سورة غافر ، الآية : ٦٠

مبين فيها سبب دخول الجنة من العمل الصالح ، وسبب دخول النار كالكبر ، فإن وجد من العبد أحد السببين فقط فهو من أهله ، وإن وجدا معاً استحق الجنة والنار ، فالذي معه كبر وإيمان ؛ يستحق النار فيعذب حتى يزول الكبر من قلبه ، وحينئذ يدخل الجنة ، وكذا الوتأب منه أو عفا الله عنه ، فلا يقطع له بالعذاب ، وقالت المعتزلة : يقطع لكل مرتكب كبيرة من الذنوب إذا لم يتب بالعذاب الدائم والبقاء للخلد في النار ؛ لكنه يعذب فيها عندهم عذاب الفساق لا عذاب الكفار ، بناء على قاعده مذهبهم : من أن الكبيرة تخرج العبد من الإيمان ولا تدخله في الكفر وهذا المراد عندهم بثبوت المنزلة بين المنزلتين ، فهو عندهم لا مؤمن ولا كافر (١) ، وأما الخوارج فالكبيرة عندهم تخرج العبد من الإيمان وتدخله الكفر ، فيعذب عذاب الكفار ، وكلا المذهبين باطل ، والحق ما عليه أهل السنة ، من أن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته ، فلا نسليه مطلق الإيمان كما لا تمنحه الإيمان المطلق ، بل إيمانه ناقص لفسقه ، فإن تاب قبل الموت قبلت توبته ، وإلا فأمره مفوض لربه ، فإن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له . وبالله التوفيق .

فروع : رتب بعض العلماء على وجوب عذاب طائفة من عصاة هذه الأمة منع سؤال المغفرة لجميع المسلمين لمنافاته لذلك ، وهذا إنما يظهر إذا قصد التعميم لجميع الأمة ، وأن تكون مغفرة (٢) كل ذنب لكل واحد غفراناً أولاً ، من غير أن يمس أحداً عذاب ، وإلا فلا يظهر ، لجواز تخصيص المغفرة ببعض فرق الأمة ، أو شمولها لمن مسه العذاب ثم غفر له ، وهذا بيّن ظاهر ، وقد أفتيت به على هذا المنوال . والله تعالى أعلم .

الثاني : شفاعة النبي ﷺ حق ، وكذا شفاعة غيره من النبيين والمرسلين والملائكة المقربين والعلماء العاملين وعباد الله الصالحين ، كل واحد على قدر

(١) في الاصل : كفار

(٢) في الاصل : المغفرة ، وهو خطأ .

منزله ومحسب فضيلته ودرجته عند ربه ، وقد وردت بها الأخبار ، وصحت بها الآثار ، واستفاضت بها الأحاديث وانتشرت واشتهرت حتى بلغت التواتر ، وانعقد على ثبوتها للنبي ﷺ إجماع السلف الصالح قبل ظهور أهل البدع و فرق الضلال .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه « شرح الايمان » : اتفق الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر الائمة المسلمين ، على أن نبينا ﷺ يشفع فيمن يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبار من أمته ، ففي « الصحيحين » وغيرهما ، من حديث أبي هريرة وأنس وغيرهما رضي الله عنهم ، أن النبي ﷺ قال : « لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته ، وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة . فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً » . وفي أبي داود والترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبار من أمتي » . قال الترمذي : حديث حسن صحيح . وفي « صحيح مسلم » عن زيد بن صهيب قال : كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج ، فخرجنا في عصابة ذوي عدد زيد الحج ، ثم نخرج على الناس — قال — فمررنا على المدينة ، فإذا جابر ابن عبد الله جالس على سارية يحدث عن رسول الله ﷺ ، فإذا هو قد ذكر الجهنميين ، فقلت : يا صاحب رسول الله ! ما هذا الذي تحدثونا ؟ والله تعالى يقول : « إنك من تدخل النار فقد أخزيته » (١) و « كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها » (٢) ، فما هذا الذي تقولون ؟ قال : أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . قال : فاقراً ما قبله ، إنه في الكفار . قال : فهل سمعت مقام محمد الذي يبعثه الله فيه ؟ قلت : نعم . قال : فانه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج ، ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه — قال — وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك — قال — غير أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها — قال — يعني فيخرجون

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٩٢ (٢) سورة السجدة ، الآية : ٢٠

كانهم عيدان السهام قال ... فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيغتسلون فيه ،
فيخرجون كأنهم القراطيس — قال — فرجعنا ، قلنا ، ويحكم ! أترون هذا
الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ ؟ فرجعنا ، فلا والله ما خرج غير رجل واحد .
قوله : كأنهم عيدان السهام ، هو جمع سمسم ، وعيدانه تراها إذا قلعت وتركت
ليأخذ جها سوداً رقاقاً كأنها محترقة . شبه هؤلاء الذين يخرجون من
النار بها .

واعلم أن التي تنكرها المبتدعة من الخوارج والمعتزلة من شفاعته ﷺ
إنما هي الشفاعة فيمن استحق النار من عصاة المؤمنين أن لا يدخلها ، وفيمن دخلها
أن يخرج منها ، فهي التي تكذب بها المعتزلة والخوارج ، لا مطلق الشفاعة .
وقد أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب فقال : إنه
سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالرحم والدجال ، ويكذبون بطلوع الشمس
من مغربها ، ويكذبون بعذاب القبر ، ويكذبون بالشفاعة ، ويكذبون بقوم
يخرجون من النار بعد ما امتحشوا .

وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي وهناد ، عن أنس رضي الله عنه قال :
من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها ، ومن كذب بالحوض فليس له فيه نصيب .
وأخرج البيهقي عن أنس أيضاً : أنه قيل له : إن قوماً يكذبون بالشفاعة ، قال :
لاتجالسوا أولئك . وأخرج عن أنس أيضاً قال : يخرج قوم من النار ، ولا
تكذب بها كما يكذب بها أهل حروراء ، يعني الخوارج .

وأخرج البيهقي أيضاً ؛ عن شبيب بن أبي فضالة المكي قال : ذكروا عند
عمران بن حصين رضي الله عنه الشفاعة فقال رجل : يا أبا نجيذ ! إنكم لتحدثوننا
أحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن ؛ فغضب عمران وقال للرجل : أقرأت القرآن ؟
قال : نعم . قال : فهل وجدت صلاة المشاء أربعاً وصلاة المغرب ثلاثاً

والعداة ركعتين ، والظهر أربعاً ، والمصر أربعاً قال : لا . قال : فممن أخذتم هذا ؟ أستمعنا أخذتموه ، وأخذناه عن نبي الله ﷺ ؟ وفي كل أربعين درهماً درهم ، وفي كل كذا شاة ، وفي كل كذا بعير كذا ، أوجدتم في القرآن هذا ؟ قال : لا . قال : ووجدتم في القرآن : « واطوفوا بالبيت العتيق » (١) أوجدتم : طوفوا سبعاً واركموا ركعتين خلف المقام ؟ أوجدتم هذا في القرآن ؟ عمن أخذتموه ؟ أستمعنا أخذتموه عنا ، وأخذناه عن رسول الله ﷺ ؟ قالوا : بلى . قال : أوجدتم في القرآن : لا جلب ولا جنب ولا شغار في الإسلام ؟ قالوا : لا . قال : فإن الله قال في كتابه : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (٢) وإننا قد أخذنا عن نبي الله ﷺ أشياء لم يكن لكم بها علم .

وأخرج مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم « رب إنهم أضللت كثيرًا من الناس ، فمن تبعني فإنه مني ، ومن عصاني فإنك غفور رحيم » (٣) وقول عيسى : « إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » (٤) فرفع يديه وقال : « أمي أمي ! ثم بكى ، فقال الله تعالى : يا جبريل ! اذهب إلى محمد فقل له : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك » .

وفي البزار و « الأوسط الطبراني » وأبي نعيم بسند حسن ، عن علي رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « أشفع لأمتي حتى ينادي ربي تبارك وتعالى : أَرْضِيت يا محمد ؟ فأقول : أي رب ! رضيت » .

وأخرج الامام أحمد والطبراني والبيهقي بسند صحيح ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خیرت بین الشفاعة وبين أن يدخل

(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٦

(١) سورة الحج ، الآية : ٢٩

(٤) سورة المائدة ، الآية : ١١٨

(٢) سورة الحشر ، الآية : ٧

نصف أمتي الجنة ، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفاً ، أو ترونها للمتقين ؟
ولكنها المذنبين الخطأين المتلوين .

وأخرج الامام أحمد والطبراني أيضاً ، بسند لا بأس به ، عن عبادة ابن
الصامت رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله قال : يا محمد ! إني لم
أبعث نبياً ولا رسولاً إلا وقد سأني مسألة أعطيها ، فسئل يا محمد تمط . فقلت :
مسألتني شفاعة لأمتي يوم القيامة . فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله !
وما الشفاعة ؟ قال : أقول : يا رب ! شفاعتي التي اختبأت عندك ، فيقول الرب :
نعم . فيخرج ربي بقية أمتي من النار فيدخلهم الجنة . »

وفي « الصحيحين » عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول
الله ﷺ يقول : « إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة ،
والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً ، فلا معنى لانكار الشفاعة إلا مجرد آراء
ضالة وشقاوة سابقة . نسأل الله تعالى العافية ، وأن يمن علينا بالتوفيق والهداية ،
وأن يعافيني من الخذلان والغباوة ، وأن يرزقنا شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه وسلم .

الحديث الحادي والثمانون

١٢٦ - ثنا وكيع ، ثنا مصعب بن سليم قال : سمعت
أنس بن مالك يقول : أهل رسول صلى الله عليه وسلم
بحجة وعمرة .

قال رضي الله عنه : (ثنا وكيع) بن الجراح قال : (ثنا مصعب) - بفتح الميم وسكون الصاد وفتح العين المهملتين - (ابن سليم) - بضم المهملة مصغراً - (قال : سمعت أنس بن مالك) رضي الله عنه (يقول : أهل رسول الله ﷺ) لا حج حجة الوداع (بحجة وعمرة) معاً ، أي أحرم بهما ، يعني قرن بين الحج والعمرة ، فأهل قارنا . ولفظ « الصحيحين » : عن بكر بن عبد الله ، عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يلبي بالحج والعمرة جميعاً ، قال بكر : فحدثت بذلك ابن عمر فقال : لبي بالحج وحده ، فلقيت أنسا فحدثته بقول ابن عمر ، فقال أنس : ما تمدونا إلا صبياناً ! سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لبيك عمرة وحجاً » . والاهلال : رفع الصوت بالتلبية ، يقال : أهل المحرم بالحج يهل إهلالاً ، إذا لبي ورفع صوته .

وفي « الصحيح » ، أن النبي ﷺ قرن . وروي أنه قال : « لبيك حجاً وعمرة » ، وقال ﷺ : « أنا في آت في وادي العقيق » ، قال : قل : عمرة في حجة ، قال الامام أحمد رضي الله عنه : لا أشك أن النبي ﷺ كان قارناً ، والتمتع أحب إلي . أي لمن لم يسق الهدى ، فإنه لا يختلف قوله رضي الله عنه : إن من جمع الحج والعمرة في سفرة واحدة ، وقدم في أشهر الحج ولم يسق الهدى ، إن هذا التمتع أفضل له ، بل هو المسنون ، لأمر النبي ﷺ أصحابه بذلك . وأما من ساق الهدى فالقران أفضل له ، وأما من أفرد بها بسفرتين ، أو اعتمر قبل أشهر الحج وأقام إلى الحج ، فهذا أفضل من التمتع . والحاصل أن النبي ﷺ حج قارناً ؛ كما نص عليه الامام أحمد ، وهو قول إسحق بن راهويه وغيره من حذاق أئمة الحديث .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في « مختصر الفتاوى المصرية » : وهو الصواب . وقيل : إنه أحرم ﷺ متمتاً ، بمعنى أنه أحرم بالعمرة ولم يحل لسوقه الهدى ،

وأحرم بالحج بعد أن طاف وسمى للعمرة . وهي طريقة الامام الموفق وغيره من علمائنا ، وقد يسمون هذا قارناً .

وقال الشافعي رضي الله عنه : أحرم ﷺ مفرداً ، وقال تارة : إنه ﷺ تمتع ، وقال تارة أخرى : إنه أحرم مطلقاً ، وأخذ بقول من نوى الافراد كمائشة وجابر وابن عمر رضي الله عنهم . وقد أطننا الكلام على ذلك في « شرح العمدة » فراجع إن شئت .

تنبيهات

الاول : اختلف العلماء في القارن ؛ هل يطوف طوافين ويسمى سببين ، أم يكفيه طواف واحد وسمى واحد ؟ فعند الثلاثة ليس عليه إلا طواف واحد وسمى واحد ، وعمل العمرة دخل في الحج كما يدخل الوضوء في الغسل ؛ لأن الأحاديث الصحيحة الصريحة تبين أنه ﷺ لم يطف ولم يسع إلا طوافاً واحداً وسمى واحداً ، ومذهب أبي حنيفة : أنه يطوف ويسمى للعمرة أولاً ، ثم يطوف ويسمى للحج ثانياً ، وإذا فعل محظوراً فعليه فديتان . وقد روي مثل هذا عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما . وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة » ، وإذا دخلت لم يحتج إلى عمل زائد ، وقد تقدم هذا .
الثاني : يلزم القارن دم نسك إذا لم يكن من حاضري المسجد الحرام بطلوع فجر يوم النحر ، ولا يسقط بفساد نسكه كدم التمتع ، ولا بفواته .

الثالث : اعلم أن الحاج مخير بين التمتع والافراد والقران وفاقا ، وقد ذكره جماعة إجماعاً . نعم استثنى أبو حنيفة المكي فقال : لا يصح في حقه التمتع والقران ، ويكره له فعلها ، فإن فعلها لزمه دم . انتهى .

وأفضل الثلاثة عند الامام أحمد التمتع ، فالافراد ، فالقران . قال الامام أحمد : نختار التمتع ؛ لأنه آخر ما أمر به النبي ﷺ ، وهو يعمل لكل واحد منها عملاً على حدة . وقال أبو داود : سمعت الامام أحمد يقول : التمتع أفضل . وقال الامام

أحمد : العمرة كانت آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ، وقد ذكرنا أدلة رجحان ذلك في « شرح العمدة » والله تعالى الموفق .

وقال أبو حنيفة : الأفضل القران والآفاق ثم الافراد . وقال مالك والشافعي : الأفضل الافراد ثم التمتع .

الرابع : صفة التمتع : أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج من الميقات ، فإذا فرغ منها ولم يكن معه هدي أقام بمكة حلالاً ، حتى يحرم بالحج من مكة يوم التروية من عامه ذلك . وصفة القران : أن يحرم بالحج والعمرة معاً من الميقات ، أو يهل بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل الطواف ، ثم يقتصر على أفعال الحج ، وتندرج فيه أفعال العمرة عند الثلاثة . وأما أبو حنيفة فعنده لا تتداخل أفعال العمرة في أفعال الحج ؛ بل يقدم العمرة ثم يتبعها أفعال الحج .

وصفة الافراد أن يحرم بالحج ، فإذا فرغ منه خرج إلى أدنى الحل فأحرم بالعمرة وفعل أفعالها . والله أعلم .

الحديث الثاني والثمانون

١٢٧ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، ويزيد قال : أنبأنا حميد المعنى ، عن أنس بن مالك قال : نودي بالصلاة فقام كل قريب الدار ، فأتى رسول الله ﷺ بمخضب من حجارة ، فصغر أن يبسط كفه فيه . قال : فضم أصابعه فيه . قال : فتوضأ بقيتهم . قال حميد : وسئل أنس : كم كانوا ؟ قال : ثمانين أو زيادة .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل ، قال الامام أحمد : (و) حدثنا (يزيد) يعني ابن هارون (قال) يزيد (أنبأناه حميد) الطويل (المعني ، عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : نودي بالصلاة) أي صلاة العصر كما في « الصحيحين » ، عن أنس قال : رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر (فقام كل قريب الدار) من الصحابة مبادراً لاجابة النداء ، فتوضأ في أهله ، وبقي قوم عند رسول الله ﷺ ، فأتي بضم الهمزة ، على البناء للمفعول (رسول الله ﷺ بمخضب) - بكسر الميم ، وسكون الخاء وفتح الصاد المعجمتين فموحدة ، مثل منبر - شبه الاجانة ، وهي القصيرة يغسل فيها الثياب ، قال أبو حاتم : وهو المكن (من حجارة ، فصغر) - بفتح الصاد المهملة وضم الفين المعجمة - أي صغر المخضب (أن يسط) النبي ﷺ (كفه) وفي لفظ : يده (فيه) لصفه ، فدل على أن المخضب يطلق على الصغير والكبير ، كما جاء : وأجلسوني في مخضب . وبين في « الصحيحين » وغيرها أن ذلك كان بالزوراء ، وهو سوق المدينة . وفي « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا بماء فأتي بقدر حراح ، أي واسع ، وقيل : القريب القعر ، القصير الجوانب . وفي « الصحيحين » عنه أيضاً قال : رأيت النبي ﷺ وحانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه ، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء ، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الاناء يده (قال) أنس رضي الله عنه : (فضم) رسول الله ﷺ (أصابعه) الثريفة (فيه) أي في ذلك المخضب لضيقه ، فلم يسع أصابع النبي ﷺ وهي مبسوطة لصفه فضمها فيه ، قال أنس كما في « الصحيحين » وغيرها : فجعلت أنظر الماء ينبع من بين أصابعه ، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه . وفي لفظ : فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه . (قال : فتوضأ بقيتهم) أي بقية الناس ممن لم تكن دورهم قريبة ، فبقوا

عند النبي ﷺ — قال — فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم (قال حميد: وسئل أنس) رضي الله عنه : (كم كانوا؟) يعني الذين توضؤوا من ذلك الخضب (قال :) كانوا (ثمانين) رجلاً (أو زيادة) على الثمانين . وفي رواية في «الصحيحين» ، فحزرت ما بين الستين إلى الثمانين ، وفيها من حديث أنس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ وأصحابه بالزوراء — قال — والزوراء بالمدينة عند السوق ، دعا بقدر فيه ماء فوضع كفه فيه ، فجعل ينبع بين أصابعه ، فتوضأ جميع أصحابه — قال — قلت : كم كانوا يا أبا حمزة ؟ قال : كانوا زهاء ثلثمائة ^{٢٢٠} وفي لفظ : فأني بابا بماء لا يغمر أصابعه ، أو قدر ما يغمر أصابعه . وأما حديث جابر رضي الله عنه قال : «قد رأيته مع النبي ﷺ ، وقد حضرت العصر ، وليس معنا ماء غير فضلة ، فجعل في إناء ، فأني النبي ﷺ به ، فأدخل يده فيه وفرج أصابعه ثم قال : حي على الوضوء ببركة من الله ، فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه ، فتوضأ الناس وشربوا ، فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه ، فعلمت أنه بركة .

قال أبو الجعد : قلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : ألفاً وأربعمائة . وفي رواية : خمس عشرة مائة . فهذه كانت في السادسة في غزوة الحديبية ، فهي غير التي حدث عنها أنس ، وكذا قصة كون الصحابة ثلثمائة أو أكثر ، وكونهم ما بين الستين إلى الثمانين ، الظاهر أنها قصتان ، ويحتمل كونها قصة واحدة ولا مفهوم للعدد .

وفي «صحيح البخاري» عن جابر رضي الله عنه قال : عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة ، فتوضأ ففحش الناس نحوه ، قال : ما لكم ؟ قالوا : ليس عندنا ماء فتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في

الركوة ؛ فجعل الماء يثور من أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا . قال الراوى : قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً .

واعلم أن نبع الماء من بين أصابع خاتم النبيين وإمام المرسلين تكرر مراراً متعددة ، وورد بطرق متباينة صحيحة ، يفيد مجموعها علماً قطعياً من التواتر المعنوي . فروي من حديث أنس وجابر وسلمة بن الأكوع وابن عباس وابن مسعود وأبي قتادة وغيرهم رضي الله عنهم .

تفصيله : اختلف العلماء في الماء الذي نبع من بين أصابعه ؛ هل كان من بين اللحم والدم ، أم بركة حصلت من الله تعالى في الماء ؟ قال الامام المحقق ابن القيم في « زاد المعاد في هدي خير العباد » هي بركة من الله حلت بوضعه صلوات الله وسلامه أصابعه الشريفة فيه ، فجعل يفور ويخرج من بين أصابعه ، لا أنه يخرج من نفس اللحم والدم كما ظنه بعض الجاهل . انتهى . وقال غيره : بل هو إيجاد معدوم ، وإنما نبع الماء من بين أصابعه حقيقة لا أنه تكثير موجود .

قال القرطبي : قصة نبع الماء من بين أصابعه قد تكررت منه صلوات الله وسلامه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ، ووردت من طرق كثيرة ؛ يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي . قال - ولم يسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا صلوات الله وسلامه ؛ حيث نبع الماء من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه . وربما فهم مثل هذا من كلام الصرصري وغيره ، كابن الجوزي ، وهو المشهور على السنة الناس وبالله التوفيق .

الحديث الثالث والثمانون

١٢٨ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس - أن
بني سلمة أرادوا أن يتحولوا من مساكنهم فيسكنوا قرب
المسجد ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فكره أن تعرى المدينة
فقال : يا بني سلمة ! ألا تحسبون آثاركم إلى المسجد ؟ قالوا :
بلى . فأقاموا .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل
(عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن بني سلمة) - بكسر الهمزة - وهو
بطن كبير من الأنصار ؛ ثم أخرج (أرادوا أن يتحولوا من مساكنهم) التي
يسكنونها ويبيتهم التي ابقوها ؛ لبعدها عن مسجد النبي ﷺ (فيسكنوا
قرب المسجد) حرصاً منهم على المبادرة لأدراك الصلوات في مسجده ﷺ خلفه
(فبلغ ذلك) أي إرادتهم التحول من مساكنهم ليسكنوا قرب المسجد
(رسول الله ﷺ) بالنصب على المفعولية (فكره) عليه الصلاة والسلام (أن
تعرى) - بفتح المثناة وسكون العين المهملة - (المدينة) أي تخلى ، يعني
أن تترك جوانب المدينة خالية . يقال : أعراه إذا أخلاه ، والعراء :
الأرض الخالية ، وقيل الواسعة ، وقيل : المكان الذي لا يستتر فيه
شيء ، ونبه بهذه الكراهة على السبب في منعهم من القرب من المسجد لتبقى
جهات المدينة عامرة بساكنيها (فقال) ﷺ (يا بني سلمة ! ألا

تحتسبون) بأداة التحضيض ، أي ألا تعدّون (آثاركم) أي خطاكم عند مشيكم (إلى المسجد !) فإن لكل خطوة ثواباً . والاحتساب وإن كان أصله العد ؛ لكنه يستعمل غالباً في معنى طلب تحصيل الثواب بنية خالصة .

وفي « صحيح مسلم والبخاري » وغيرهما ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال : كانت ديارنا بعيدة عن المسجد ، فأردنا أن نبتاع بيوتنا فنقرب من المسجد ، فها أنا رسول الله ﷺ وقال : « إن لكم بكل خطوة درجة » وفي رواية من حديث جابر : أرادوا أن يقربوا من أجل الصلاة . وعند ابن مردويه ، عن جابر رضي الله عنه قال : كانت منازلنا بسلع ، ولا يعارض هذا ما في حديث الاستقاء : وما بيننا وبين سلع من دار ، لاحتمال أن تكون ديارهم من وراء سلع . فلما قال النبي ﷺ لبني سلمة ذلك (قالوا : بلى) أي نحتسب آثارنا إلى المسجد عند الله تعالى (فأقاموا) في مساكنهم ولم يتحولوا عنها . وفي رواية أبي سعيد عن الترمذي : فلم ينتقلوا . وفي مسلم من حديث جابر رضي الله عنه : قالوا : ما سرنا أنا كنا نحولنا أي لما رغبتهم ﷺ وأخبرهم من أن لهم بكل خطوة يحشونها إلى المسجد درجة .

وفي « الصحيحين » وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وسوقه خمساً وعشرين درجة ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة ، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاه : اللهم صل عليه ! اللهم ارحمه ! ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة » . وفي رواية : « اللهم اغفر له ! اللهم تب عليه ! ما لم يؤذ فيه ، ما لم يحدث فيه » . ولفظه عند مالك في « الموطأ » : « ثم خرج عامداً إلى الصلاة ، فانه في صلاة ما كان يعمد إلى صلاة ، وإنه يكتب له بأحدى

خطوته حسنة ، ويمحي عنه بالأخرى سيئة ، فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا يسع ؛
فإن أعظمكم أجراً أبعدكم داراً . قالوا : لم يا أبا هريرة ؟ قال : من أجل كثرة
الخطا .

وأخرج الامام أحمد ، وأبو يعلى ، والطبراني في « الكبير » و « الأوسط »
وابن خزيمة في « صحيحه » وكذا ابن حبان ، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن
رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد رعى الصلاة ، كتب
له كاتبا أو كاتبه - بكل خطوة يخطوها إلى المسجد عشر حسنات ، والقاعد
يرعى الصلاة كالتقانت ، ويكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع
إليه » . وأخرج الامام أحمد أيضاً بأسناد حسن ، والطبراني ، وابن حبان في
« صحيحه » ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ :
« من راح إلى مسجد الجماعة ؛ فخطوة تمحو سيئة ، وخطوة تكتب له حسنة
ذاهبا وراجما » .

وفي أبي داود عن سعيد بن المسيب قال : حضر رجلاً من الأنصار الموت ،
فقال : إني محدثكم حديثاً ما أحدثكموه إلا احتساباً ، سمعت رسول الله ﷺ
يقول : « إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى الصلاة ، لم يرفع قدمه
إلى خطى إلا كتب الله عز وجل له حسنة ، ولم يضع قدمه اليسرى إلا حط الله عنه
سيئة ، فليقرب أحدكم أو لييمد » . وفي « صحيح مسلم » وغيره ، من حديث جابر
ابن عبد الله رضي الله عنه قال : دخلت البقاع حول المسجد ، فراد بنو سلمة
أن ينتقلوا قرب المسجد ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لهم : « بلغني أنكم تريدون
أن تنتقلوا قرب المسجد . قالوا : يا رسول الله ! قد أردنا ذلك . فقال : يا بني سلمة !
دياركم تكتب آثاركم ، دياركم تكتب آثاركم . فقالوا : ما يسرنا أنا كنا نحولنا » .
وأخرج ابن ماجه بأسناد جيد ، عن ابن عباس رضي الله عنها قال : « كانت

الانصار بعيده منازلهم من المسجد ، فارادوا أن يقتربوا ، فنزلت : « ونكتب ما قدموا وآثارهم » (١) فثبتوا .

وأخرج الامام أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه والحاكم ، وقال : حديث صحيح ، مدني الاسناد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجراً » . وفي « الصحيحين » وغيرهما ، من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إليها ممشى » . وفي أبي داود والترمذي ، من حديث بريدة وابن ماجه ، من حديث أنس ، عن النبي ﷺ قال : « بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » . وروي مثل هذا عن عدة من الصحابة : بريدة ، وأنس ، وأبي هريرة ، وأبي الدرداء ، وأبي أمامة ، وسهل بن سعد ، وابن عباس ، وابن عمر ، وأبي سعيد الخدري ، وزيد بن حارثة ، وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين ، وفي هذا (٢) المعنى أحاديث كثيرة ، وفي هذا القدر كفاية . والله أعلم .

الحديث الرابع والثمانون

١٢٩ - ثنا ابن أبي عدي ، وسهل بن يوسف المعنى ، عن حميد ، عن أنس ، قال : أقيمت الصلاة ، فجاء رجل يسعى ، فأنهى وقد حفزه النفس ، أو ابتهر . فلمّا انتهى إلى الصف ، فقال : الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه . فلمّا قضى رسول الله ﷺ صلاته قال : أيكم المتكلم ؟ فسكت القوم .

(٢) كلمة هذا لم تكن في الاصل .

(١) سورة يسن الآية : ١٢

فقال : أيكم المتكلم ؟ فانه قال خيراً ، ولم يقل بأساً . قال :
 يا رسول الله ! أنا أسرعت المشي ، فانهيت إلى الصف فقلت
 الذي قلت . قال : لقد رأيت اني عشر ملكاً يتدرونها أيهم
 يرفعها ، ثم قال : إذا جاء أحدكم إلى الصلاة ؛ فليمش على هيئته ؛
 فليصل ما أدرك ، وليقض ما سبقه .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي وسهل بن يوسف المعنى)
 يعني أن معنى حديثها واحد (عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله
 عنه (قال : أقيمت الصلاة ، فجاء رجل يسمى) قال الامام النووي في «مبهاته» :
 قال الخطيب : هو رفاع بن رافع الأنصاري ، ذكر في «الفتح» عن بعض أهل
 العلم أن تلك الصلاة كانت صلاة المغرب ، قال : وقد روي أن رفاع بن رافع
 حكى ذلك عن غيره ، لا أنه جرى له . انتهى . ففي «البخاري» عن رفاع بن
 رافع الزرقي رضي الله عنه قال : كنا نصلي وراء النبي ﷺ ، فلما رفع رأسه
 من الركوع قال : سمع الله لمن حمده ، قال رجل وراءه : ربنا ولك الحمد حمداً
 كثيراً .. الحديث .

وفي «السنن» ، عن رفاع بن رافع أيضاً قال : صليت خلف رسول الله
 ﷺ ، فعطست فقلت : الحمد لله حمداً كثيراً .. الحديث . قال الترمذي : حديث
 حسن . قال في «الفتح» : لا تعارض بينهما ؛ لأنه لا مانع من أن يكني عن نفسه
 لقصد إخفاء عمله ، أو كنى عنه بمض الرواة لنسيان اسمه ، وما يشهر بالاختلاف
 من غير ذلك ؛ فلمله لاختصار بمض الرواة (فانهي) الرجل إلى المسجد (وقد
 حفزه) — بفتح الحاء المهملة والفاء والزاي — أي اشتد به (النفس) — بفتح

الفاء - الهواء الذي يرد النفس الى الجوف، فيبرد من حرارته ويعدلها، فاذا تعب الانسان امتلاء جوفه منه لمجزه بالتعب عن تردده إلا يسيراً، فيمتلئ منه جوفه . والحفز : حثك الشيء من خلفه . قاله الهروي في «غريبه» : وفي «القاموس» : حفزه يحفزه : دفعه من خلفه ، وحفزه عن الأمر : أعجله وأزعبه ، واحتفز في مشيته : احتث واجتهد . انتهى ملخصاً . (أو ابتهر) أي انقطع نفسه من الاعياء .

قال في «القاموس» : البهر - بالضم - ما اتسع من الارض ، وشر الوادي وخيره ، كالبهرة فيها ، والبلد ، وانقطاع النفس من الاعياء ، وقد ابتهر وبهر فهو مبهور وبهير . انتهى . (فلما انتهى) ذلك الرجل (إلى الصف) أي صف الصلاة التي أقيمت (فقال: الحمد لله حمداً) منصوب على أنه مفعول مطلق (كثيراً) أي زائداً في عدده ومدده (طيباً) أي طاهراً خالصاً من شوائب الرياء والشرك (مباركاً فيه) وفي لفظ عليه : زاد في رواية من حديث رفاعه : كما يحب ربنا ويرضى ، قيل : هو تأكيد لما قبله ، وقيل : الأول بمعنى الزيادة ، والثاني بمعنى البقاء .

وفي «المطلع» في قوله : وتبارك اسمك ، معناه : دام ودام خيره . وقال العزيزي في «غريب القرآن» : تبارك : تفاعل من البركة ، وهي الزيادة والثناء ، والكثرة والاتساع . ويقال : تبارك : تقدس ، والقدس : الطهارة (فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته) أي أتمها وفرغ منها (قال : أيكم) معشر المصلين معي (المتكلم ؟) .

وفي حديث رفاعه في «سحيح البخاري» : من المتكلم ؟ زاد في رواية : في الصلاة (فسكت القوم) فلم يتكلم أحد (فقال) ﷺ : (أيكم المتكلم ؟) فانه قال خيراً ولم يقل بأساً) وفي حديث رافع بن رفاعه أنه قال : من المتكلم ؟ فلم

يتكلم أحد ، ثم قالها الثانية فلم يتكلم أحد ، ثم قالها الثالثة (قال) الرجل :
(يارسول الله ! أنا أسرعت المشي فانتهيت الى الصف ، فقلت الذي قلت) من الذكر ،
وهو : الحمد لله حمداً كثيراً ... الخ (قال) عليه الصلاة والسلام : (لقد رأيت
اثني عشر ملكاً يتدرونها) أي الكلمات المذكورات (أيهم يرفعها) وفي رواية :
أيهم يصعد بها .

وعند الطبراني من حديث أبي أيوب : أيهم يرفعها ، كحديث أنس ، وهو
في « صحيح مسلم » وغيره .

وفي حديث رفاعه بن رافع عند البخاري وغيره : لما كرر السؤال ﷺ
من المتكلم ؟ فقال رفاعه بن رافع : أنا قال : كيف قلت ؟ فذكره . فقال ﷺ
والذي نفسي بيده : لقد رأيت بضعة وثلاثين وفي لفظ : لقد ابتدرها بضعة
وثلاثون ملكاً : أيهم يكتبها أول .

قال في « الفتح » : ولا تعارض بين رواية يكتبها ، ويصعد بها ، وكذا
يرفعها ، لأنه يحمل على أنهم يكتبونها ، ثم يصعدون بها .
والظاهر أن هؤلاء الملائكة غير الحفظة ، ويؤيده ما في « الصحيحين »
عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق
يلتمسون أهل الذكر ... الحديث » .

واستدل به على أن بعض الطاعات قد يكتبها غير الحفظة .
وقد استشكل تأخير رفاعه لإجابة النبي ﷺ حتى كرر سؤاله ثلاثاً ، مع
أن إجابته واجبة ، بل على كل من سمع رفاعه ؛ فإنه لم يسأل المتكلم وحده على ما في
حديث رفاعه عند البخاري ، وإن كان المخاطب المسؤول المتكلم وحده عند
الامام أحمد ومسلم من حديث أنس .

وأجيب : بأنه لم يمين واحداً بعينه ؛ فلم تعمين المبادرة بالجواب من المتكلم

ولا من واحد بعينه ؛ فكانهم انتظر بعضهم بعضاً ايحيب ، وحملهم على ذلك خشية
أن يبدوا في حقه شيء ، ظناً منهم أنه أخطأ فيما فعل ، ورجوا أن يقع المغفوعه .
وكان عليه السلام لما رأى سكوتهم ، فهم ذلك ، فعرفهم أنه لم يقل بأساً . ويدل
على ذلك أن في رواية عند ابن قانع . أن رفاعه قال : فوددت أني خرجت من
مالي ، وأنني لم أشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الصلاة .

وفي رواية عند أبي داود : قال النبي صلى الله عليه وسلم : من القائل الكلمة ؟ فانه لم
يقول بأساً . فقال : أنا قلتها ! فلم أرد بها إلا خيراً .

وعند الطبراني من حديث أبي أيوب : فسكت الرجل ، ورأي أنه قد هجم
من رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء . كرهه . فقال : من هو ؟ فانه لم يقل إلا صواباً .
ويحتمل أن يكون المصلون لم يعرفوا عين القائل ؛ لا قباهم على صلاتهم ، أو
لكونه آخر الصفوف . والعذر عنه ما تقدم مع ما وجد من الهيبة ، واستعظام
ما بدر منه من الكلام .

والحكمة في سؤاله صلى الله عليه وسلم عما قال ؛ ليتعلم السامعون كلامه فيقولون مثله .
واستدل به على إحداث ذكر في الصلاة غير مأثور ؛ إذا كان غير
مخالف للمأثور .

فائدة : قيل : الحكمة في اختصاص العدد المذكور من الملائكة بهذا
الذكر ، على ما في حديث أنس ؛ فهو مطابق لعدد كلمات الذكر المذكور ، كما في
بعض الروايات بزيادة : كما يحب ربنا ويرضى . فهي اثنتا عشرة كلمة .
وعلى ما في حديث رفاعه بن رافع ، كما في « البخاري » : أن عدد حروفه
مطابق للعدد المذكور ؛ فإن البضع من الثلاث إلى التسع ، وعدد الذكر يوافق
ذلك على ما في بعض الروايات .

وفي « مسند الإمام أحمد » ، عن وائل بن حجر ، قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم

فقال رجل : الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه . فلما صلى رسول الله ﷺ قال :
 من القائل ؟ قال الرجل : « أنا يا رسول الله » ، وما أردت إلا خيراً . قال : « لقد
 فتحت لها أبواب السماء ؛ فلم ينهها شيء » دون العرش ، والذي يظهر أن المعتبر في
 عدد حروف الكلمات بالنسبة للزائد عن الذكر المعتاد ، وهو من قوله : حمداً
 كثيراً ، إلى آخر : يحب ربنا ويرضى . وحينئذ فعدد ذلك بضعة وثلاثون ، ونه
 عليه في « الفتح » أيضاً ، وبالله التوفيق .

(ثم قال) ﷺ (إذا جاء أحدكم) معشر المسلمين (إلى الصلاة) ليصلها
 مع الجماعة (فليمش على هينته) ولا يسرع في مشيته .
 قال في « النهاية » : سار على هينته ، أي على عادته في السكوت والرفق .
 يقال : امش على هينتك ، أي على رسلك .

وفي « المسند » و « الصحيحين » و « السنن » من حديث أبي هريرة
 رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « فلا تأتوها وأنتم تسمعون ، وأتوها
 وأنتم تمنشون وعليكم السكينة » زاد مسلم : فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة
 فهو في صلاة .

(فليصل) الفاء في جواب شرط مقدر ، أي إذا فعلتم ما أمرتكم به من
 المشي على الهينة ملاحظاً السكينة والوقار ؛ فليصل أحدكم (ما أدرك) مع الجماعة ؛
 فإن الجماعة تدرك بتكبيرة الاحرام على المعتمد .

قال في « الفروع » : من كبّر قبل سلام الامام ؛ أدرك الجماعة ، وفاقاً
 للشافعي . وزاد بعضهم : إن جلس . وقيل : أو قبل التسليمة الثانية . وعنه : أو
 سجود سهو بعد السلام ، وفاقاً لأبي حنيفة .

قال في « البحر المحيط » للحنفية : يترك سنة الفجر من أدركه في التشهد .
 وفي « المرغيناني » : يشتغل بالسنة عند أبي حنيفة وأبي يوسف ، لأنه كما إدراك

أول الصلاة عندها . وعند محمد ، وظاهر كلام بن أبي موسى من علمائنا : أن الجماعة لا تدرك إلا بأدراك ركعة ، وفقاً لذلك . وذكره شيخ الإسلام بن تيمية رواية عن الامام أحمد ، واختارها ، وقال : اختاره جماعة .

قال الامام المجد : معنى دروك الجماعة ، أنه أدرك أصل فضل الجماعة ، لا حصولها . فيما سبق به ؛ فإنه فيه منفرد حساً وحكماً إجماعاً انتهى .
قال الامام النووي وغيره : في الحديث النذب إلى إتيان الصلاة بسكينة ووقار .

قال القاضي عياض : السكينة : التأني في الحركات ، واجتناب البعث ، والوقار في الهيئة ، كفض البصر ، وخفض الصوت ، وعدم الالتفات ، وسواء في ذلك صلاة الجمعة وغيرها ؛ خاف فوت تكبيرة الاحرام أم لا .

وأما قوله تعالى : « فاسمعوا إلى ذكر الله » (١) فالمراد به الذهاب . يقال : سمعت في كذا ، وإلى كذا : إذا ذهبت إليه وعملت فيه : ومنه قوله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » (٢) .

قال العلماء : الحكمة في إتيان الصلاة بسكينة ، والنهي عن السعي : أن الذهاب إلى الصلاة فهو في صلاة ، لأنه عامل في تحصيلها ، ومتوصل إليها ؛ فينبغي أن يكون متأدباً بأدابها على أكمل الأحوال ، وهذا معنى رواية مسلم : فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة .

قال في « الفتح » : فينبغي له اعتماد ما ينبغي للمصلي اعتماده ، واجتناب ما ينبغي للمصلي اجتنابه . انتهى .

(١) سورة الجمعة ، الآية : ٩

(٢) سورة النجم ، الآية : ٣٩

قال في « الفروع » : يقارب خطاه ، ولا يشبك أصابعه ، وإن سمع الإقامة لم يسع إليها . ذكره - عن الامام أحمد - ابن المنذر .

قال صاحب « الفروع » : ونصه ، يعني الامام أحمد رضي الله عنه : لا بأس به ، أي السعي يسيراً ، إن رجا التكبيرة الأولى ، واحتج بأنه جاء عن الصحابة ، وهم مختلفون . انتهى .

ومعتمد المذهب : ما في « الاقناع » ، وغيره : أنه إن سمع الإقامة لم يسع ، فإن طمع في إدراك التكبيرة الأولى ، وهو أن يدرك الصلاة قبل تكبيرة الاحرام ، يعني يدرك موقفه للصلاة قبل ذلك ؛ ليكون خلف الامام إذا كبر للاقتراح ؛ فلا بأس أن يسرع شيئاً ، ما لم تكن عجلة بقمح ، وإن خشي فوات الجماعة أو الجمعة بالكلية ؛ فلا ينبغي أن يكره الاسراع ؛ لأن ذلك لا ينجبر إذا فات . هذا معنى كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في « شرح العمدة » . (وليقض) بعد سلام إمامه (ما سبقه) به .

وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً ، من رواية ابن سيرين عند مسلم وغيره : صلّ ما أدركت ، واقض ما سبقك .

وقد ورد في عدة أحاديث ، بلفظ : اقضوا . وفي عدة أحاديث : أتموا . فاختلف العلماء لاختلاف اللفظين ؛ فاحتج الامام أحمد رضي الله عنه ، وكذا أبو حنيفة ، ومالك رضي الله عنها ؛ بأن ما يدركه المسبوق مع الامام آخر صلاته ، وما يقضيه أولها . في ظاهر المذهب : فيستفتح فيما يقضيه ، ويتمود ، ويقرأ سورة ، ويخبر في الجهر في صلاة الجهر بعد مفارقة إمامه ، ويتورك مع إمامه ، كما يتورك فيما يقضيه .

وعن الامام أحمد رواية ثانية ، عكس ما تقدم . وحجة هذا القول مع ما تقدم من مقتضى ظاهر الأحاديث التي جاءت بلفظ : أتموا ، قول علي رضي

الله عنه : ما أدركت مع الإمام فهو أول صلاتك ، واقض ما سبقك به من القرآن .
رواه البيهقي وحجة معتمد المذهب : مافي « الصحيحين » وغيرهما ، من حديث
أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « ما أدركتم فصلوا ، وما
فاتكم فاقضوا » . وكذا روى أبو ذر وأنس عن رسول الله ﷺ بلفظ :
واقضوا . وروي : وما فاتكم فأتوا .

قال الحافظ ابن عبد الهادي في « تنقيح التحقيق » : قال ابن الجوزي : وما ذهبنا
إليه أكثر وأقوى ، ثم نحمله على أن يكون المعنى : فأتوا قضاءً . واعترض ابن
عبد الهادي على ابن الجوزي ، فقال : الذين قالوا : فأتوا أكثر وأحفظ ، وأنزم
لأبي هريرة ، فهو أولى .

وأخرج أبو داود ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « اثبتوا الصلاة
وعليكم السكينة ، فصلوا ما أدركتم ، واقضوا ما سبقكم » . قال أبو داود : وكذا
قال ابن سيرين ، عن أبي هريرة : ويقضي ، وكذا قال ابن رافع ، عن أبي هريرة
وأبو ذر رضي الله عنه : فأتوا . وروي عنه : فاقضوا .

قال ابن عبد الهادي : والتحقيق أنه ليس بين اللفظين فرق ، فإن القضاء
هو الاتمام في عرف الشارع . قال الله تعالى : « فاذا قضيت مناسككم » (١) وقال
تعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض » (٢) انتهى .

واستدل بظاهر الحديث ، على أن من أدرك الإمام راكعاً ، لم تحسب له
تلك الركعة ؛ للأمر باتمام ما فاته ، لأن الذي فاتة الوقوف والقراءة فيه ، وهو
قول أبي هريرة رضي الله عنه وجماعة ، بل حكاه البخاري في القراءة (٣) خلف

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٠ .

(٢) سورة الجمعة ، الآية : ١٠ .

(٣) في الأصل : القرآن ، وهو خطأ .

الامام عن كل من رأى وجوب القراءة خلف الامام ، واختاره ابن خزيمة
والضبي ، وغيرهما من محدثي الشافعية ، وآخرهم الشيخ تقي الدين السبكي من
متأخريهم كما في « الفتح » .

وحجة الجمهور من الائمة الأربعة وغيرهم ، حديث أبي بكرة ، حيث
ركع دون الصف . فقال له النبي ﷺ : « زادك الله حرصاً ولا تزد ، . ولم يأمره
بإعادة تلك الركعة ، فاعتمد مذهبنا كالحنفية والشافعية . أن من أدرك الامام
راكعاً ، فركع معه ، أدرك الركعة . وقيل : إن أدرك معه الطمأنينة . وهو
مذهب الامام مالك ، لكن شرط علمائنا أن يدركه راكعاً ثم يطمئن ، ولو
كانت الطمأنينة بعد رفع الامام ، ولا بد أن يكون غير شك في الادراك ، فان
شك في إدراكه راكعاً ، لم يدرك الركعة ، خلافاً للشافعي . قال : لأن الأصل
بقاء ركوعه . وأما إن رفع الامام قبل ركوع المسبوق ؛ لم يدرك ، ولو أحرم
قبل رفعه اتفاقاً ، ولو أدرك ركوع المأمومين ، والله أعلم .

الحديث الخامس والثمانون

١٣٠ — ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس قال :
قال رسول الله ﷺ : دخلت الجنة فسمعت بين يدي خشفة ، فإذا
أنا بالغيصاء بنت ملحان .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن
أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : دخلت الجنة)
أي رأيت في المنام أني دخلت الجنة ، كما تقدم في الحديث الثلاثين من « مسند

جابر « وفي السادس عشر من « مسند أنس » رضي الله عنها بلفظه : وانما فأبده ذكره هنا ، أن شيخ الامام هناك هشيم ، وهنا ابن أبي عدي .

(فسمعت بين يدي خشفة) بفتح الخاء وسكون الشين المجمعين ففاء ، وتحرك الشين أيضاً - ، كما في « القاموس » : هو صوت حركة ليس بالشديد . وقال الفراء : هو الصوت . والخشفة : صوت ديب الحيات . ولفظ الحديث الذي تقدم ؛ تقديم الخشفة على بين يدي (فاذا أنا بالغميصاء) ولفظه فيما تقدم : فاذا هي الغميصاء - بضم الغين المجمة وفتح الميم وبالصاد المهملة والمد - (بنت) ولفظ الذي تقدم : ابنة (ملحان) - بكسر الميم وسكون اللام وبالحاء المهملة - ، وتقدم الخلاف في اسمها ، وذكر نسبها . زاد في الحديث الذي تقدم : أم أنس بن مالك ، وتقدمت ترجمتها هناك ، مع فوائد يظفر بها من راجعه .

الحديث السادس والثمانون

١٣١ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله . قالوا : وكيف يستعمله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل موته .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أراد الله بعبده (خيراً) الخير : الأجر والثواب ، وضد الشر . ويطلق

على المال الكثير ، والمراد به هنا الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة (استعماله .
قالوا) أي قال من كان في حضرة النبي ﷺ لما قال ما قال : (وكيف
يستعمله) يا رسول الله ؟ لأن لفظه : استعماله مجمله ، تحتمل أن يكون استعماله
في أي نوع من العبادات والطاعات وأهله ، ووقفه لأي باب من القربات والمثوبات
(قال) ﷺ مجيباً لمن سأله : (يوفقه) .

قال الامام ابن القيم في كتابه « شرح منازل السائرين » : أجمع العارفون
بالله ، أن التوفيق ، أن لا يكلك الله إلى نفسك ، وضده : الخذلان ، وهو أن
يخلي بينك وبينها ؛ فالعبيد متقلبون بين توفيقه وخذلانه ، بل العبد في الساعة
الواحدة ؛ ينال نصيبه من هذا وهذا ؛ فيطيعه ويرضيه ، ويذكره ويشكره بتوفيقه ،
ويعصيه ويخالفه ، ويسخطه ويفعل عنه بخذلانه له ؛ فهو دائر بين توفيقه وخذلانه .
فإن وقفه فيفضله ورحمته ، وإن خذله ؛ فيعذله وحكمته ، وهو سبحانه المحمود في
هذا وهذا ، له أتم حمد وأكمل ؛ فإنه لم يمنع العبد شيئاً هو له ، وإنما مجرد فضله
وعطائه ، وهو أعلم حيث يضعه وأين يحمله .

قال : وفُسرَت الجبرية التوفيق : بأنه خلق الطاعة . والخذلان :
خلق المعصية ؛ فبنوا ذلك على أصولهم الفاسدة ، من إنكار الأسباب والحكم ،
وردوا الأمر إلى محض المشيئة من غير سبب ولا حكمة ، وقابلهم القدرية النفاة ؛
ففسروا التوفيق بالبيان العام ، والهدى العام ، والتمكن من الطاعة ، والافتقار
عليها ، وتهيئة أسبابها ؛ وهذا حاصل لكل كافر ومشرِك بلغته الحجة ، وتمكن
من الإيمان ؛ فالتوفيق عندهم أمر مشترك بين الكفار والمؤمنين ، إذ الافتقار
والتمكن والدلالة والبيان قد عمَّ به الفريقين ، ولو انفرد المؤمنون عندهم بتوفيق ،
وقع به الإيمان منهم ، والكفار بخذلان امتنع به الإيمان منهم ؛ لكان عندهم محاباة
وظلماً . والتزموا لهذا الأصل لوازم قامت بها عليهم سوء الشناعة بين العقلاء ،

ولم يجدوا بداً من التزامها ؛ فظهر فساد مذهبهم ، وتناقضه لمن أحاط به علماء ،
وتصوره حق تصوره ، وعلم أنه من أبطل مذهب في العالم وأرداه ، وهدى الله
الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم ؛ فلم يرضوا بطريق الجبرية ، ولا بطريق القدرية ، وشهدوا انحراف الطريقين
عن الصراط المستقيم ؛ فأثبتوا القضاء والقدر ، وعموم مشيئة الله للكائنات ،
وأثبتوا الأسباب والحكم ، والغايات والمصالح . ونزهوا الله تعالى أن يكون في
ملكه ما لا يشاء ، وأن يقدر خلقه على ما لا يدخل تحت قدرته ومشئته ، ونزهوه
عن العبث ، وأن يخلق شيئاً سدى . فالتوفيق إرادة الله من نفسه أن يفعل بعبده
ما يصلح به العبد ، بأن يجعله قادراً على فعل ما يرضيه ، مريداً له ، محباً له ، مؤثراً
له على غيره ، ويفيض إليه ما يسخطه ، ويكرهه ، وهذا مجرد فعل الله تعالى ،
والعبد محل له . قال الله تعالى : « ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ،
وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون ، فضلاً من الله
ونعمة ، والله عليم حكيم » (١) .

فاذا أراد الله سبحانه وتعالى بعبده خيراً وفقه (لعمل صالح) وزينه في
قلبه ؛ وكرهه إليه ضده ، فتنهض نفسه لذلك العمل ، وتسمو همته إليه ، فيبادر
الى عمله ، وتسمح نفسه بالاستغفال به ، والدأب والاجتهاد فيه (قبل موته) زاد
الامام أحمد في رواية ، وكذا الترمذي ، والحاكم وصححه ، وابن حبان في
« صحيحه » : ثم يقبضه عليه ، أي على ذلك العمل ، أي وهو متلبس بذلك العمل
الصالح ، ومن مات على شيء بعثه الله عليه ، كما في الحديث .

وأخرج الامام أحمد ، والحاكم أيضاً ، من حديث عمرو بن الحنبل الخزازي
الصحابي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله بعبده خيراً

« ١ » سورة الحجرات ، الآيتان : ٧ و ٨

استعمله . قيل : يا رسول الله ! وما استعمله ؟ قال : يفتح له عملاً صالحاً بين يدي موته حتى يتوب ويرضى عنه من حوله ، أي من أهله وجيرانه ومعارفه ، فيبرئون ذمته ، ويؤمنون عليه خيراً ، فيجيز الرب شهادتهم ، ويكون الله سبحانه قد ختم أعماله بما يرضيه عنه ، والأشياء بخواتيمها .

وفي « كبير الطبراني » ، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله بعبد خيراً طهره قبل موته . قالوا : وما طهره العبد ؟ قال : عمل صالح يلهمه إياه حتى يقبضه عليه .

وروى الإمام أحمد في « المسند » والطبراني في « الكبير » ، من حديث أبي عنية - بكسر الميم وفتح النون - الخولاني الصحابي ، واسمه عبد الله ، أو عبارة رضي الله عنه ، وإسناد حديثه ، حين قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله بعبد خيراً غسله . قيل : وما غسله ؟ قال يفتح له عملاً صالحاً قبل موته ثم يقبضه عليه . قوله : غسله - بفتح الميم والسين المهملتين ، مخففاً ومشدداً - أي طيب ثناءه بين الناس . يقال : غسل الطعام يغسله ، إذا جعل فيه العسل ، شبه ما رزقه الله من العمل الصالح الذي طاب ذكره بين الناس ، بالعسل الذي يجعل بالطعام ليحلو به ويطيب .

تفسيه : لما كان الظاهر علينا والبادي لنا حساً ومشاهدة الخاتمة ؛ أسند الناس الأمور إليها ، وجعلوا أن الاعتبار والمعول عليها ، وإن كان المعول عليه في نفس الأمر ، والمعتبر إنما هو السابقة ، لكنها لما كانت من عالم الغيب ، وكانت الخاتمة من عالم الشهادة ؛ أسندوا التمويل على الخاتمة دون السابقة ، وإن كان الذي يظهر في الخاتمة ، هو عين ما كمن في السابقة .

قال في « شرح منازل السائرين » : ما يظهر في الأبد : هو عين ما كان معلوماً في الأزل ، وإنما تجددت أحايينه ، وهي أوقات ظهوره ؛ فقد ظهرت إشارات

الأزل ، وهي ما يشير اليه العقل بالأزلية من المقدرات العلمية على أحياء الأبد ؛
فالأزل ما تعلق بأسمائه تعالى وصفاته ، وتقدم علمه بالأشياء ووقوعها في الأبد ،
مطابقة لعلمه الأزلي . انتهى ملخصاً .

والحاصل أن الداواوين ثلاثة :

الأول : كتابة المقادير السابقة لخلق الخلائق المذكورة في قوله تعالى :
« ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن
نبرأها » (١) .

وفي « صحيح مسلم » من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن
النبي ﷺ قال : « إن الله قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض
بخمسين ألف سنة » .

وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « أول
ما خلق الله القلم . قال له : اكتب ؛ فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة » .
وقد تكررت النصوص بذكر الكتاب السابق بالسعادة والشقاوة . وفي
« الصحيحين » من حديث علي رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من
نفس منفوسة إلا وقد كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة
فقال رجل : يا رسول الله ! أفلا نعمل على كتابتنا ، وندع العمل ؟ فقال : اعملوا
فكل ميسر لما خلق له ؛ أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما
أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة » ، ثم قرأ : « فأما من أعطى
واتقى » (٢) الآيات .

(١) سورة الحديد ، الآية : ٢٢

(٢) سورة الليل ، الآيات : ٥ - ١٠ والآيات بتمامها : « فأما من أعطى واتقى ،

وصدق بالحسن ، فسنيسره اليسرى ، وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسن ، فسنيسره
للعسرى » .

الديوان الثاني : كتابة الملك للجنين في بطن أمه كما في « الصحيحين » ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، وفيه : ثم يرسل الله الملك ، فيفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وعمله ، وأجله ، وشقي أو سعيد ، ثم قال : فوالذي لا إله غيره : إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها . فذكر في هذا الحديث أن السعادة والشقاوة بحسب خواتيم الأعمال .

وفي « صحيح البخاري » عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إنما الأعمال بالخواتيم » ومثله في « صحيح ابن حبان » من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً . وفي « صحيح ابن حبان » أيضاً ، من حديث معاوية رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بخواتيمها » كالوعاء ، فإذا طاب أعلاه طاب أسفله ، وإذا خبث أعلاه خبث أسفله .

وأخرج الامام أحمد ، من حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « لا عليكم أن تعجبوا بأحد ، حتى تنظروا بما يختم له ؛ فإن العاامل يعمل زماناً من عمره ، أو برهة من دهره بعمل صالح ، لو مات عليه دخل الجنة ، ثم يتحول فيعمل عملاً سيئاً . وإن العبد ليعمل البرهة من دهره بعمل سيئ ، لو مات عليه دخل النار ، ثم يتحول فيعمل عملاً صالحاً . »

وأخرج الامام أحمد أيضاً ، من حديث عائشة ، عن النبي ﷺ قال : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، وهو مكتوب في الكتاب من أهل النار ، فإذا كان قبل موته تحول ؛ فعمل بعمل أهل النار ؛ فمات فدخل النار . وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ، وإنه لمكتوب في الكتاب من أهل الجنة ، فإذا

كان قبل موته ، تحول فعمل بعمل أهل الجنة ؛ فمات فدخلها .
وأخرج الامام أحمد أيضاً ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث عبد الله
ابن عمرو رضي الله عنها ، قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان .
فقال : « أتدرون ما هذان الكتابان ؟ قلنا : لا يا رسول الله ، إلا أن تخبرنا .
فقال الذي في يده اليمنى : هذا كتاب من رب العالمين ، فيه أسماء أهل الجنة ،
وأسماء آبائهم ، وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم ، فلا يزداد فيهم ، ولا ينقص منهم
أبداً ، ثم قال الذي في شماله : وهذا كتاب من رب العالمين ، فيه أسماء أهل النار ،
وأسماء آبائهم ، وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم ؛ فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم
أبداً . فقال أصحابه : فقيم العمل يا رسول الله إن كان أمراً قد فرغ منه ؟ فقال :
سدّدوا وقاربوا ؛ فإن صاحب الجنة يختّم له بعمل أهل الجنة ، وإن عمل أي عمل ،
وإن صاحب النار يختّم له بعمل أهل النار ، وإن عمل أي عمل ، ثم قال ﷺ :
بيديه فنبذهما ، ثم قال : فرغ ربكم من العباد : فريق في الجنة ، وفريق في
السعير . وقد روي هذا الحديث عن رسول الله ﷺ من وجوه متعددة ،
وخرجه الطبراني من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً ، وزاد فيه : صاحب
الجنة مختوم له بعمل أهل الجنة ، وصاحب النار مختوم له بعمل أهل النار ، وإن
عمل أي عمل .

وقد يسلك بأهل السعادة طريق أهل الشقاء ، حتى يقال : ما أشبههم بهم ؟ بل هم
منهم ، وتدرّكهم السعادة فتستنقذهم .

وقد يسلك بأهل الشقاء طريق أهل السعادة ، حتى يقال : ما أشبههم بهم :
بل هم منهم ، ويترّكهم الشقاء ، من كتبه الله سعيداً في أم الكتاب لم يخرج من
الدنيا حتى يستعمله بعمل يسعده قبل موته ، ولو بفواق ناقة ، ثم قال : « الأعمال
بخواتيمها ، الأعمال بخواتيمها » . وخرجه البزار في « مسنده » بهذا المعنى أيضاً ،
من حديث بن عمر رضي الله عنها عن النبي ﷺ .

الثالث : ديوان عمل الشهادة ، وهو الواقع ما بين السابقة والخاتمة ، وعلى كل حال : المعتبر في نفس الأمر السابقة بلا محال .

وفي « الصحيحين » ، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » ، زاد البخاري في رواية له : إنما الأعمال بالخواتيم فقوله : فيما يبدو للناس : إشارة الى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك ، وأن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنية للعبد لا يطلع عليها الناس ، إما من جهة عمل سيء لا يطلع عليه ، أو من جهة اعتقاد سيء ، ونحو ذلك ؛ فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت . قاله الحافظ ابن رجب ، ثم قال : وفي الجملة ؛ فالخواتيم ميراث السوابق ، وكل ذلك سبق في الكتاب السابق . قال : ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم ، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق .

وقد قيل : إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم . يقولون : بماذا نخم لنا ، وقلوب المقرئين معلقة بالسوابق . يقولون : ماذا سبق لنا .

قال بعض السلف : ما أبكى العيون ؛ ما أبكاها الكتاب السابق . وكان سفيان الثوري رحمه الله يشتد قلقه من السوابق والخواتيم ، فكان يبكي ويقول : أخاف أن أكون في أم الكتاب شقياً ، ويبكي ويقول : أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت .

وقد كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في دعائه : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » ، فقيل له : يا رسول الله ! آمناً بك ، وبما جئت به ، فهل يخاف علينا ؟ فقال : « نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها كيف شاء » ، رواه الامام أحمد ، والترمذي ، من حديث أنس رضي الله عنه . ورواه الامام

أحمد أيضاً ، من حديث أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً : فنسأل الله تعالى أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة ، إنه هو الوهاب ، وبالله التوفيق .

الحديث السابع والثمانون

١٣٢ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : رؤيا) الشخص (المؤمن) من ذكر أو أنثى . وتقدم الكلام على معنى الرؤيا . وفي الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً : رؤيا المؤمن كلام يكلم به العبد ربه في المنام . رواه الطبراني ، والضياء ، وكذا الحكيم الترمذي في « نواذر الأصول » (جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) وقد روي هذا الحديث عن جماعة من الصحابة بألفاظ مختلفة ، فروى حديث أنس هذا الشيخان . وروى الامام أحمد والشيخان مثله سواء ، عن عبادة بن الصامت ، وكذلك أبو داود ، والترمذي ، ورواه الامام أحمد والشيخان ، وابن ماجه من حديث أبي هريرة . وإسلم : من خمسة وأربعين جزءاً . وله : من سبعين . والطبراني : من ستة وسبعين . ولابن عبد البر : من ستة وعشرين . والامام أحمد : من خمسين .

وللترمذي : من أربعين . وللطبري من : تسعة وأربعين . وللقرطبي : سبعة بتقديم
السين . وللطبري أيضاً : من أربعة وأربعين .

قال في « الفتح » : فتلخص من هذه الروايات عشرة أوجه ، أقلها جزء من
سنة وعشرين ، وأكثرها : من ستة وسبعين ، وبين ذلك أربعون ، وأربعة
وأربعون ، وخمسة وأربعون ، وستة وأربعون ، وسبعة وأربعون ، وتسعة
وأربعون ، وخمسون ، وسبعون ، وأصحبها مطلقاً ستة وأربعون . وجمع بعضهم ،
بأن ذلك بحسب مراتب الأشخاص .

قال القرطبي : المسلم الصادق الصالح ، يناسب حاله حال الأنبياء ، وهو
الاطلاع على الغيب ، بخلاف الكافر والفاسق والمخلط .

قال غيره : ومعنى كونها جزءاً من أجزاء النبوة على سبيل المجاز ، وهو
أنها تجيء على موافقة النبوة ؛ لأنها جزء من النبوة ، لأن النبوة انقطعت بموته
ﷺ . وقيل : المعنى أنها جزء من علمها ، لأنها وإن انقطعت فعلها باق . وقيل :
المعنى ، لأنها تشابهها في صدق الاخبار عن الغيب .

وأما تخصيص عدد الأجزاء وتفصيلها ؛ فلا مطلع لنا عليه ، ولا يعلم حقيقته
إلا نبي أو ملك . وقيل : إن مدة الوحي كانت ثلاثة وعشرين سنة ، منها
سنة أشهر منام ، لأنه ﷺ أول ما بدى به من الوحي الرؤيا الصادقة ، فكان
لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح ، وذلك جزء من ستة وأربعين .

قال الجلال السيوطي : وهذا عندي من الأحاديث المتشابهة التي تؤمن بها
ونكل معناها المراد إلى قائله ﷺ ، ولا نخوض في تفسير هذا الجزء من هذا
العدد ولا في حكمته ؛ خصوصاً وقد اختلفت الروايات في كمية العدد كما تقدم ،
فالله أعلم بالمراد المقصود من ذلك ، وتقدم الكلام على الرؤيا وآدابها بما فيه غنية
في شرح الحديث الثامن من « مسند جابر رضي الله عنه » .

الحديث الثامن والثمانون

١٣٣ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يهادي بين ابنيه . قال : ما هذا ؟ قالوا : نذر أن يمشي . قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل لغني أن يعذب هذا نفسه ، فأمره فركب .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (ابن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يهادي بين ابنيه) أي يمشي بينهما ، معتمداً عليهما من ضعفه وتمايله ، من تهادت المرأة في مشيتها ، إذا تمايلت ، وكل من فعل ذلك بأحد فهو يهاديه وقد تكرر في الحديث .

قال ابن البلقيني في « مبهمات » : الرجل هو أبو إسرائيل . قال : كذا رأيت بخط مغلطاي ، نقلاً عن الخطيب ما يدل عليه .

وذكر الامام النووي ان اسمه قيصر . وقيل : قيس .

وفي « مختصر الاستيعاب » : أن اسمه يسير . وقيل : قيس .

وفي « تهذيب الاسماء واللغات » أنصاري مدني . قال الخطيب في « مبهمات » :

هو عامري . قال : قيل : إن اسمه قيس . قال : ولا أعرف أن في الصحابة من كنيته أبو إسرائيل ، ولا من اسمه قيس غيره .

قال ابن البلقيني : ثم راجعت « مبهمات الخطيب » فلم أجدها فيها ما نقله مغلطاي عنه ؛ فالحمد لله عليه . انتهى .

قلت : الذي ذكره الخطيب ، أنه أبو إسرائيل ، وكذا ابن الأثير ، هو ما في « الصحيحين » من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها ، قال : كان رسول الله ﷺ في سفر ، أي من أسفاره ، وهو غزوة الفتح ، كما في الترمذي ، أو غزوة تبوك ، كما رواه الشافعي .

قال جابر : فرأى رسول الله ﷺ زحاماً ورجلاً قد ظلل عليه . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : صائم . فقال : ليس من البر الصوم في السفر .

قال الخطيب وابن الأثير : هو أبو إسرائيل العامري ، واسمه قيس ، كما في « القسطلاني في شرح البخاري » .

وقال البرماوي : في « شرح الزهر » : قال بعضهم : هذا أبو إسرائيل ، رجل من الأنصار . قال الخطيب وابن الأثير : قيل اسم أبي إسرائيل يسير - بضم التحتية وفتح السين المهملة فتحته وآخره راء - وقال الحافظ عبد الغني ابن سعيد : وليس في الصحابة من شاركه في اسمه ولا كنيته .

قال البرماوي : كأن من فسر الرجل هنا بأبي إسرائيل . أخذه مما ذكروه في حديث : أن رجلاً نذر أن لا يتكلم ، وأن يقف للشمس ، وأن لا يستظل ، من أن هذا الرجل هو أبو إسرائيل ، كما قاله الخطيب ، وابن عبد البر ، وابن الأثير ، وغيرهم هناك .

وقال ابن بشكوال : هو أبو إسرائيل الفهري ، واسمه يسير ، كذا في « المقننى لابن الجارور » . وقال أبو عمر : اسمه أسير ، ولا شك أن الأحاديث متغايرة . وقال ابن البلقيني في « المنهاج » في حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله غني عن تمذيب هذا نفسه » ورآه يمشي بين ابنيه ، تقدم أنه أبو إسرائيل فيما نقله مغلطي ، وساق نحو ما تقدم أيضاً ، والحديث في « الصحيحين » وغيرهما من حديث أنس ، وفي مسلم أيضاً . ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه ،

أيضاً ، ولفظه : أن النبي ﷺ أدرك شيخاً يمشي بين ابنيه يتوكلأ عليهما (قال : ما هذا ؟) وفي لفظ : ما بال هذا ؟ (قالوا : نذر أن يمشي) ولفظ حديث أبي هريرة : فقال النبي ﷺ : ما شأن هذا ؟ قال ابنه : يا رسول الله ! كان عليه نذر (قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل لغني أن يعذب هذا نفسه) أي بالمشي الذي لا طاقة له به . وفي لفظ : إن الله عز وجل عن تعذيب هذا نفسه لغني (فأمره) عليه الصلاة والسلام بالركوب (فركب) وفي لفظ : فأمره أن يركب . وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : فقال النبي ﷺ : اركب أيها الشيخ ، فإن الله غني عنك وعن نذرك .

تنبيهات

الاول : من نذر أن يمشي إلى بيت الله الحرام ، أو إلى الكعبة ، أو مكة ، وأطلق ، أو قال : غير حاج ولا معتمر ؛ لزمه المشي في حج أو عمرة من مكان نذره ، لا إحرام قبل ميقاته ، ما لم ينو مكاناً بعينه ، أو بنوي إتيانه ، لا حقيقة المشي ؛ فيلزمه الاتيان ، ويخير بين المشي والركوب ؛ لحصوله بكل منها ، وأما إن نذر المشي إلى موضع خارج الحرم ، كعمرة ، ومواقيت الاحرام ؛ لم يلزمه ، ويخير بين فعله والكفارة .

وفي حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ، قال : نذرت أختي أم حبان بنت عامر الأنصارية أن تمشي إلى بيت الله الحرام حافية ، فأمرتني أن أستغني لها رسول الله ﷺ ، فاستغنيته . فقال : « تمشي ولتركب » . متفق عليه : قال علماؤنا : تمشي إن نذرت على المشي ، ولتركب حيث عجزت عن المشي وأرهقها التعب ، فإذا عجزت عن المشي وركبت ؛ فعلها كفارة يمين .

قال في « شرح الكافي » : فإن ترك المشي من نذر أن يمشي إلى بيت الله الحرام لعجز أو غيره ؛ فعليه كفارة يمين ، وهو المذهب .

قال ابن منبج في « شرح المقنع » : هذا المذهب ، وهو أصح ، وجزم به في « الوجيز » ، وقدمه في « المغني » و « المحرر » و « الشرح » و « الفروع » و « الهداية » و « المذهب » و « المستوعب » ، وغيرها .

وعن الامام أحمد رضي الله عنه : عليه دم ، ووجوب كفارة اليمين من مفردات المذهب .

قال ناظمها :

لمكة ناذرٍ مشي ركبا مع عجزه التكفير أيضاً وجبا
قال شارحها ، يعني : إذا نذر المشي لمكة المشرفة ، أو بيت الله الحرام ، أو موضع من الحرم ؛ لزمه المشي في حج أو عمرة ، لأنه المشي المشروع إليه ، فإن عجز عن المشي فركب ؛ فعليه كفارة يمين .
وقال أبو حنيفة : عليه هدي ، وأقله شاة ، سواء عجز عن المشي أو قدر عليه .

وقال الشافعي : يلزمه دم ، وأقضى به عطاء ، لما روى ابن عباس رضي الله عنه ، أن أخت عقبة بن عامر نذرت المشي إلى بيت الله الحرام ، فأمر النبي ﷺ أن تترك وتهدي هدياً . رواه أبو داود ، وفيه ضعف .

وقال مالك : يحج من قابل ، ويركب مامشي ، ويمشي ماركب ، ويهدي . ولنا قول النبي ﷺ : « كفار النذر كفارة اليمين » . ولأن المشي ما لا يوجب الاحرام ، فلم يجب الهدى بتركه ، كما لو نذر صلاة ركعتين فتركها . وفي « الفروع » ، عن شيخ الاسلام ابن تيمية : القادر على فعل المتذور

يلزمه ، وإلا فله أن يكفر ؛ لقوله ﷺ : « كفارة النذر كفارة اليمين » .
ولأمره ﷺ لأخت عقبة بن عامر أن تمشي وتكفر . انتهى .
ولفظ هذا الحديث : إن أخت عقبة بن عامر نذرت أن تمشي حافية غير
مختمرة . قال : فسألت النبي ﷺ . فقال : « ان الله لا يصنع بشقاء أختك شيئاً .
مرها فلتختمر ، ولتركب ، ولتصم ثلاثة أيام » . رواه الامام أحمد ، وأصحاب
« السنن » الأربعة .

وفي رواية للامام أحمد ، وأبي داود ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
قال : جاءت امرأة الى النبي ﷺ ، فذكره ، وفيه : « لتخرج راكبة ، وتكفر
بيمينها » .

الثاني : ينتهي وجوب المشي فيما إذا نذر أن يحج ماشياً إذا رمى الجمرة .
قال الامام أحمد رضي الله عنه : إذا رمى الجمرة فقد فرغ ، وقال أيضاً :
يركب في الحج إذا رمى ، وفي العمرة إذا سعى .

وقال في « الترغيب » : لا يركب حتى يأتي بالتحللين ، على الأصح ، كما في
« الفروع » ، و « شرح الكافي » ، وغيرها ، وكذا قال الشافعية . ولو أفسد الحج
المنذور ماشياً لزم القضاء ماشياً .

الثالث : يلزم من نذر المشي الى مسجد المدينة النبوية على صاحبها الصلاة
والسلام ، أو نذر المشي الى المسجد الأقصى ؛ ذلك ، ويلزمه أن يصلي فيه
ركعتين ، إذ القصد بالنذر القرية والطاعة ، وإنما يحصل ذلك بالصلاة ، فتضمن
ذلك نذرها كنذر المشي الى بيت الله الحرام ، حيث وجب به أحد النسكين ،
وهذا مذهبنا كالمالكية ، وأحد قولي الشافعي .

وقال أبو حنيفة : لا يلزمه ذلك ، ولا ينعقد نذره . وكذا قال فيما إذا نذر
أن يصلي في المسجد الحرام ؛ أنه يجزئه أن يصلي حيث شاء من المساجد .

وقال الثلاثة : يلزمه أن يصلي فيه ، ولا تجزئته الصلاة في غيره . وإن عين
 بنذره مسجداً غير الثلاثة ؛ لم يتعين ، فيخير بين فعله والتكفير ، فإن جاءه لزمه
 عند وصوله ركعتان ، فإن عين أحد الثلاثة تمين ، ويجزئـه إن عين مسجد
 الأقصى فيه وفي أيهما صلى ، وإن عين مسجد النبي ﷺ أجزاءه فيه وفي المسجد
 الحرام وإن عين المسجد الحرام لم يجزئـه في غيره . والله تعالى أعلم .
 إذا علمت ذلك ؛ فالظاهر أن هذا الرجل لم يكن نذره المشي لبيت الله
 الحرام ، والظاهر أنه أمر بالكفاره لما تقدم ، ولما في «صحيح مسلم» : كفارة النذر
 كفارة اليمين .

وفي «صحيح البخاري» ، وأبي داود ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما :
 بينما رسول الله ﷺ يخطب ، إذا هو برجل قام فسأل عنه . فقالوا : أبو إسرائيل
 نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ، ويصوم ولا يفطر ، ولا يستظل ، ولا يتكلم .
 فقال رسول الله ﷺ : « مروه فليستظل ، وليقعد ، وليتكلم ، وليتم صومه » .
 فقصة أبي إسرائيل هذا ، الظاهر أنها كانت في الحضر ؛ بدليل قوله : وهو قائم
 يخطب ، إذ لا خطبة في السفر . لا يقال : إن النبي ﷺ كان يخطب لكل أمرهم
 في أي وقت كان ؛ فيحتمل أن يكون ذلك من هذا القبيل ؛ لا كما نقول : هذا
 بعيد ، ولأنه (١) أمره بإتمام الصوم ، مع قوله في الحديث الآخر : « ليس من البر
 الصوم في السفر » . والله أعلم .

(١) وعلى هامش الأصل بخط المؤلف مانصه : «قوله: ولأنه النع. الحاصل: أنه ذكر لكون
 ذلك وقع حضراً دليلين : أحدهما بعد الخطبة سفرأ . والثاني : أنه صلى الله عليه وسلم أمره
 بإتمام الصوم . فلو كان سفرأ لما أمره به . لانه قال : « ليس من البر الصوم في السفر » المؤلف

الحديث التاسع والثمانون

١٣٤ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :

كان رجل يسوق بأمهات المؤمنين يقال له - أنجشة ، فاشتدَّ بهنَّ في السياقة : فقال له رسول الله ﷺ : يا أنجشة ! رويدك ، سوقك بالقوارير .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : كان رجل) من أصحاب رسول الله ﷺ (يسوق بأمهات المؤمنين) أي يحدو بهن (يقال له) أي لذلك الرجل الحادي : (أنجشة) - بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الحيم والشين المعجمة - . قال ابن الأثير : هو أنجشة العبد الأسود الحادي ، حادي رسول الله ﷺ ، وكان حسن الحدي . روى عنه أبو طلحة الأنصاري ، وأنس بن مالك رضي الله عنهم . وفي «النسائي» وغيره : وكان معهم سائق وحادي . ولابي داود الطيالسي ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس رضي الله عنه : كان أنجشة يحدو بالنساء ، وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال . وفي رواية وهيب : وأنجشة غلام النبي ﷺ ، يسوق بهن (فاشتدَّ بهن في السياقة) ، وعند أبي عوانة : وكان حسن الصوت . وفي «الصحيحين» : ومعهن ، أي مع أمهات المؤمنين أم سليم . وفي رواية : وكان يحدو بأمهات المؤمنين ونسائهم . وفي رواية سليمان التيمي ، عن أنس عند مسلم : كانت أم سليم مع نساء النبي ﷺ (فقال رسول الله ﷺ :) ويحك

(يا أنجشة) وفي رواية حماد : كان النبي ﷺ في سفر له ، وكان غلام يحدو بهن يقال له : أنجشة . وفي رواية مسلم : كان في بعض أسفاره ، وغلام أسود . وفي رواية للنسائي : وغلام له يقال له : أنجشة . قال البلاذري : وأنجشة حبشي ، يكنى أبا مارية .

وأخرج الطبراني ، من حديث وائلة : أنه كان ممن نقام النبي ﷺ من الخننيين (رويدك) كذا إلا أكثر ، وهو كذلك في الصحيحين ، وغيرهما . وفي رواية سليمان التيمي : رويداً وفي رواية شعبة : أرفق . وفي رواية حميد : رويدك أرفق ، جمع بينهما . ورويدك - منصوب على الإغراء ، ومفعول بفعل مضمر - أي ألزم رفقك أو على المصدر ، أي أرود رويدك .

وقال الراغب : رويداً من أرود يرود ، كأهل يهمل وزنه ومعناه ، وهو من الرود - بفتح أوله وسكون ثانيه - وهو التردد في طلب الشيء . برفق ، والرائد : طالب الكلاء ، ورادت المرأة تريد ، إذا مشت على هينها . وقال الراهرمزي : رويداً - تصغير رود ، وهو مصدر فعل الرائد - وهو المبعوث في طلب الشيء ، ولم يستعمل في معنى المهلة إلا مصغراً .

وقال السهيلي : قوله : رويداً . جاء بلفظ التصغير ، لأن المراد التقليل ، أي أرفق قليلاً ، وقد يكون من تصغير المرحم ، وهو أن يصغر الاسم بعد حذف الزوائد ، كما قالوا في أسود : سويد ، فكذا في أرود : رويد (سوقك) كذا للأكثر . وفي رواية حميد ، عن أنس : سيرك - وهو بالنصب على نزع الخافض - أي أرفق في سوقك ، أو سقن ، كسوقك . وقال القرطبي في «المفهم» : رويداً : أي أرفق . وسوقك مفعول به . ووقع في رواية مسلم : سوقاً ، وهو منصوب على الإغراء بقوله : أرفق سوقاً ، أو على المصدر ، أي : سق سوقاً ، والمراد به جدوك ، إطلاقاً لاسم المسبب على السبب .

وقال ابن مالك : رويدك ، اسم فعل ، بمعنى أرود ، أي أمهل ، والكاف المتصلة به حرف خطاب ، وفتحة داله بنائية ، ولك أن تجعل رويدك مصدراً مضافاً الى الكاف ، ناصبها سوقك ، وفتحة داله على هذا إعرابية (بالقوارير) في رواية هشام ، عن قتادة ، عن أنس : رويدك سوقك ، ولا تكسر القوارير . قال أبو قلابة : يعني النساء . وقال قتادة : يعني ضعفه النساء . والقوارير ، جمع قارورة ، وهي الزجاجة ، سميت بذلك ، لاستقرار الشراب فيها . وقال الراهب رمزي : كنى عن النساء بالقوارير لرقتهن وضعفهن عن الحركة ، والنساء يشبهن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية . وقيل : المعنى سقهن كسوقك القوارير لو كانت محمولة على الابل . وقال بعضهم : يشبهن بالقوارير ، لسرعة انقلابهن عن الرضى ، وقلة دوامهن على الوفاء ، كالقوارير يسرع اليها الكسر ، ولا تقبل الجبر . وقد استعمل الشعراء ذلك . قال بشار :

أرفق بعمرى إذا حركت نسبته فإنه عربي من قوارير
قال أبو قلابة : فتكلم النبي ﷺ بكلمة ، لو تكلم بها بعضكم لبعتموها عليه ، وهي قوله : سوقك بالقوارير .
قال الداودي : هذا قاله أبو قلابة لأهل العراق ، لما كان غنم من التكلف ، ومعارضة الحق بالباطل .

وقال الكرماني في « شرح البخاري » : لعله نظر الى أن شرط الاستعارة أن يكون وجه الشبه جلياً ، وليس بين القارورة والمرأة وجه الشبه ظاهراً ، لكن الحق أنه كلام في غاية الحسن والسلامة عن العيب ، ولا يلزم في الاستعارة أن يكون جلاء وجه التشبيه من حيث ذاتها ، بل يكفي الجلاء الحاصل من القوارير الحاصلة ، وهو كذلك هنا . قال : ويحتمل أن يكون قصد أبي قلابة أن هذه الاستعارة من مثل رسول الله ﷺ في البلاغة ، ولو صدرت من غيره

ممن لا بلاغة له لمبتموه ، قال : وهذا هو اللائق من منصب أبي قلابة . انتهى .
قال في « الفتح » : وليس ما قاله الداودي بعيداً ، ولكن المراد من كان
يتنطع في العبارة ويتجنب الألفاظ التي تشتمل على شيء من الهزل ، وقريب من
ذلك قول شداد بن أوس الصحابي لعلامه : ائتنا بسفرة لعبت بها ، فأنكرت عليه .
أخرجه الامام أحمد ، والطبراني .

قال الخطابي : قيل : كان أنجشة أسود ، وكان في سوقه عنف ، فأمره
أن يرفق بالمطايا . وقيل : كان حسن الصوت بالحداء ، فكره أن يسمع النساء
الحداء ؛ فإن حسن الصوت يحرك من النفوس ؛ فشبهه بضعف عزائمهن وسرعة
تأثير الصوت فيهن بالقوارير ، في سرعة الكسر اليها . وجزم ابن بطال بالأول .
فقال : القوارير : كناية عن النساء اللائي كنَّ على الأبل التي تساق حينئذ ،
فأمر الحادي بالرفق في الحداء ، لأنه يحث الأبل حتى تسرع ، فإذا أسرع لم
يؤمن على النساء السقوط ، وإذا مشت رويداً أمن على النساء السقوط . قال :
وهذا من الاستعارة البديعة ، لأن القوارير أسرع شيء تكسراً ، فأفادت
الكناية من الخض على الرفق بالنساء في السير ، ما لم تفده الحقيقة ، لو قال :
ارفق بالنساء .

وقال الطبري : هي استعارة ، لأن المشبه به غير مذكور ، والقرينة حالية
لا مقالية . ولفظ الكسر ترشيح لها ، وجزم أبو عبيد الهروي بالثاني ، فقال :
شبه النساء بالقوارير لضعف عزائمهن ، والقوارير يسرع اليها الكسر ، فخشي
من سماعهن النشيد الذي يحدو به أن يقع بقلوبهن منه ، فأمره بالكف ، فشبه
عزائمهن وسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في إسراع الكسر اليها ، ورجح
عياض هذا الثاني فقال : هذا أشبه بمساق الكلام ، وهو الذي يدل عليه كلام
أبي قلابة ، وإلا فلو عبر عن السقوط بالكسر لم يعبه أحد ، وجوز القرطبي في

« المفهم » الأُمَين ، فقال : شبهن بالقوارير لسرعة تأثيرهن ، وعدم تجلدهن ؛ فخاف عليهن من حث السير لسرعة السقوط ، أو التألم من كثرة الحركة والاضطراب الناشئ عن السرعة ، أو خاف عليهن الفتنة من سماع النشيد . انتهى .
وقد جرت عادة الابل أنها تسرع السير إذا حدي بها .

وقد أخرج ابن سعد بسند صحيح ، عن طاووس مرسلًا . وأورده البزار موصولًا ، عن ابن عباس ، دخل حديث بعضهم في بعض أن أول من حـدا الابل عبد لمضر بن نزار بن معد بن عدنان ، كان في إبل لمضر ، فقصر ، فضر به مضر على يده فأوجعه ، فقال : يا يداه ، يا يداه . وكانت حسن الصوت ، فأسرعت الابل لما سمعته في السير ، فكان ذلك مبدأ الحداء . ونقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الحداء .

وفي كلام بعض علمائنا ما يشعر بنقل الخلاف فيه ، ومانعه محجوج بالأحاديث الصحيحة ، ويلتحق بالحداء غناء الحبيج المشتغل على التشوق إلى الحج بذكر الكعبة وغيرها من المشاهد .

وقد أكثر منه ابن الجوزي في « مثير العزم الساكن » . ونظيره ما يحرض على الجهاد ، ويحث على قتال الكفار . ومنه غناء المرأة لتسكين الولد في المهد .
وفي « كتاب النهي عن سماع الأغاني » للإمام العلامة محمد بن أبي بكر الطرطوشي المالكي ، قال في ذم سماع الغناء : بأنه صنو الخمر ، ورضيعه ، وحليفه ، ونائبه ، وهو جاسوس القلوب ، وسارق المروءة والعقول ، يتغلغل في مكامن القلوب ، ويطلع على سرائر الأفئدة ، ويدب إلى التخيل فيثير ما غرز فيها من الهوى والشهوة والرعوننة ، فيستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه . . . إلى أن قال : وهكذا تفعل الخمر إذا مالت بشرابها .

قال . وعلى هذا المعنى نبه النبي ﷺ لما حـدا أنجشة حادي النبي ﷺ

بأزواجه، فأعنى الابل . فقال ﷺ : يا أنجشة ! رويدك سوقاً بالقوارير، وكان
 حسن الصوت . قال : فشبه النبي ﷺ النساء لسرعة ميلهن ، بالقوارير لسرعة
 تكسرهن . وقيل : المراد به الرفق بالابل ، فانه حيوان سريع الألفة .
 قال : وقد شبه السماع بعض الشعراء بالخر ، وأخبر عن تأثيره في
 النفوس ، قال :

أذكر ليلة وقد اجتمعنا	على طيب السماع الى الصباح
ودارت بيننا كأس الأواني	فأسكرت النفوس بغير راح
فلم ترَ فيهم إلا نشاوى	سروراً والسرور هناك صاح
إذا لبي أخو اللذات فيه	ينادي اللهو حي على السباح
ولم تملك سوى المهجات شيئاً	أرقناها بالأحاط ملاح

قال الطرطوشي : دل هذا على أن الغناء يخمّر العقل كالخر ، وقد بالغ في
 الرد ، والله تعالى الموفق .

الحديث التسعون

١٣٥ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس قال :
 أسلم ناس من عرينة ، فاجتثوا المدينة . فقال لهم رسول الله
 ﷺ : لو خرجتم إلى ذود لنا فشربتم من ألبانها . قال حميد :
 وقال قتادة ، عن أنس : وأبوالها ؛ ففعلوا ، فلما صحوا كفروا
 بعد إسلامهم ، وقتلوا راعي رسول الله ﷺ ، مؤمناً ، أو مسلماً ،

وساقوا ذود رسول الله ﷺ ، وهربوا محاربين . فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم ، فأخذوا ، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمّر أعينهم ، وتركهم في الحرّة حتى ماتوا .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : أسلم ناس من عريثة) -- بضم العين المهملة وفتح الراء -- بطن من بجيلة . وفي رواية عن أنس في « الصحيحين » : من عكل ، أو عريثة .

وعكل بضم العين المهملة وسكون الكاف -- هو في الأصل اسم امرأة حصيب ، ولد عوف بن أيامين ، غلب اسمها على القبيلة من ولدها . وكان عدتهم ثمانية ، كما في « الصحيحين » : أربعة كانوا من عكل ، وثلاثة من عريثة ، والرابع كان تابعا لهم . وفي لفظ لمسلم : أن ناساً من عريثة ، كما في هذا الحديث . وفي آخر : من عكل وعريثة . وفي رواية الامام أحمد والبخاري وأبي داود : قال قتادة : فحدثني ابن سيرين ، أن ذلك كان قبل أن تنزل الحدود .

قال البرماوي : وكانت هذه القضية في شوال سنة ست من الهجرة (فاجتوا المدينة النبوية) -- وهو بالجيم الساكنة ، وفتح التاء المثناة الفوقية ، وفتح الواو الأولى وسكون الثانية -- أي أصابهم الجواء ، وهو المرض ، وداء الجوف إذا تطاول ، أي استولوا المدينة واستوخموها . وقد جاء ذلك مفسراً ، في لفظ في « الصحيح » : فقالوا : يا رسول الله ! إنا كنا أهل ضرع ، ولم نكن أهل ريف . خبره البخاري في الطب والمغازي من « صحيحه » . ولفظه : قالوا : يا رسول الله ! آوينا وأطعمنا ، فلما صحوا قالوا : إن المدينة وخمة ، وكان بهم سقم من الهزال

الشديد ، والجهد من الجوع ؛ فعند أبي عوانة : كان بهم هزال شديد . وعنده من رواية ابن سعد عنه : مصفرة ألوانهم .

وأما الوخم الذي شكوا منه بعد أن صحت أجسامهم ، فهو من حمى المدينة ؛ فعند أبي عوانة ، عن أنس : فمظمت بطونهم (فقال لهم رسول الله ﷺ : لو خر جثم إلى ذود لنا) . ذكر ابن سعد أن عدد الذود كان خمس عشرة . وفي رواية بهز بن أسد : أن الذود كان مع الراعي بجانب الحرة . قال في «المطالع» : الذود من الثلاث إلى التسع في الابل ، وإن ذلك يختص بالاناث ، قاله أبو عبيد .

وقال الاصمعي : ما بين الثلاث إلى العشر . وقال غيره : واحد . وفي «القاموس» : الذود ثلاثة أبرة إلى عشرة ، أو خمس عشرة ، أو عشرين ، أو ثلاثين ، أو ما بين الثنتين والتسع ، مؤنث ولا يكون إلا من الاناث ، وهو واحد وجمع ، أو جمع لا واحد له ، أو واحد ، جمع : أذاود . وقولهم : الذود إلى الذود إبل يدل على أنها في موضع اثنتين ، لأن الثنتين إلى الثنتين جمع . انتهى . وفي لفظ في «الصحيحين» وغيرها : فأمر لهم النبي ﷺ بلفاح . قال في «الفتح» : اللقاح باللام المكسورة والقاف وآخره حاء مهملة — النوق ذوات الالبان ، واحدها : لقحة — بكسر اللام وإسكان القاف . قال أبو عمر : يقال لها ذلك إلى ثلاثة أشهر ، أي من ولادتها ، ثم هي لبون ، واللقاح — جمع لقوح ، كصبور — وهي الناقة القريبة المهد بالنتاج . يقال : ناقة لقوح ، إذا كانت غزيرة اللبن ، ولاقح إذا كانت حاملاً . ونوق لواقح . واللقاح : ذوات الالبان .

وعند أبي عوانة ، من حديث أنس في هذه القصة : فمظمت بطونهم ، فأمرهم بلفاح ، أي أمرهم أن يلحقوا بها . وفي رواية عند البخاري وغيره :

فأمرهم أن يلحقوا برأعيه . وفي رواية : أنه وقع في المدينة الموم أي بضم الميم
وسكون الواو . وقال : وهو البرسام ، أي بكسر الموحدة ، سرياني معرب ،
يطلق على اختلال العقل ، وعلى ورم الرأس ، وعلى ورم الصدر ، والمراد هنا
الآخر . فقالوا : يا رسول الله ! قد وقع هذا الوجع ، فلو أذنت لنا فخرجنا الى
الابل . وفي رواية عند البخاري : انهم قالوا : يا رسول الله ! ابغنا رسلاً ، أي
أي اطلب لنا لبناً . قال : ما وجد لكم إلا أن تلحقوا بالذود . وظاهر ما ذكرنا أن
اللقاح كانت للنبي ﷺ . وقد صرح في البخاري في « حد الحارين » بذلك ،
فقال : إلا أن تلحقوا بابل الرسول ﷺ . وفي رواية : إلا أن تأتوا بابل الصدقة .
والجمع بينها أن بابل الصدقة كانت ترعى خارج المدينة ، وصادف بعث النبي ﷺ
بلقاحه الى المرعى ؛ طلب هؤلاء النفر الخروج الى الصحراء لشرب ألبان الابل ،
فأمرهم أن يخرجوا مع راعيهم ، فخرجوا معه الى الابل ، ففعلوا ما فعلوا ؛
فظهر بذلك مصداق قول النبي ﷺ : « إن المدينة تنفي خبيثها » (فشرتم) جواب
لو (من ألبانها) .

وفي لفظ في « الصحيحين » : فأمرهم بلقاح ، وأن يشربوا . وفي أخرى :
فاخرجوا فاشربوا من ألبانها . وفي رواية شعبة عن قتادة : فرخص لهم أن يأتوا
بابل الصدقة ، فيشربوا . أما شربهم من ألبان الصدقة ، فلائهم من أبناء السبيل ،
وأما شربهم من لبن لقاح النبي ﷺ ، فبإذنه (قال حميد) الطويل (وقال
قتادة) بن دعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب البصري الأكمه ، أحد الأعلام .
روى عن أنس ، وعبدالله بن سرجس ، وأبي الطفيل ، وابن المسيب ، والحسن ،
وابن سيرين ، وخلق . وعنه أبو حنيفة ، وشعبة ، ومسلم ، والأوزاعي ، وحماد
ابن سلمة ، وخلق .

قال سعيد بن المسيب : ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة . وقال الامام أحمد

كان قتادة أحفظ أهل البصرة ، لم يسمع شيئاً إلا حفظه . وقرئت عليه صحيفة جابر مرة واحدة ؛ فحفظها . وكان من العلماء . وقال قتادة : ما سمعت أذناني شيئاً قط إلا وعاه قلبي . وقال بعضهم : إنه كان يهتم بالقدر . ولد سنة ستين ومات سنة سبع عشرة ومائة . ومن جملة من روى عنه حميد ؛ فيكون هذا الحديث بالنسبة لهذه الزيادة رباعياً ؛ فإن الامام أحمد رواها عن ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن قتاده (عن أنس) رضي الله عنه (وأبوها) عطف على ألبانها ، وهذه الزيادة في « الصحيحين » ، وغيرهما (ففعلوا) أي شربوا من ألبان الأبل وأبوالها ، وبه احتج من قال بطهارته من الأبل ومن كل مأكول ، أما من الأبل ، فهذا الحديث ؛ وأما من كل مأكول ؛ فبالقياس عليه ، وهذا مذهب الامامين أحمد ومالك ، وطائفة من السلف ، ووافقهم من محدثي الشافعية ابن خزيمة ، وابن المنذر ، وابن حبان ، والاصمعي ، والرويانى . وذهب الشافعي والحنفي وجماعة إلى القول بنجاسة الأبوال والأرواث كلها ، من مأكول اللحم وغيره ، واحتج ابن المنذر لطهارته ، بأن الأشياء على الطهارة حتى تثبت النجاسة . قال : ومن زعم أن هذا خاص بأوائك الأقوام ، فلم يصب ، إذ الخصائص لا تثبت إلا بدليل . قال . وفي ترك أهل العلم بيع الناس أبعاد الغنم في أسواقهم ، واستعمال أبوال الأبل في أدويتهم قديماً وحديثاً من غير نكير دليل على طهارتها .

وقال ابن العربي : تعلق بهذا الحديث من قال بطهارة أبوال الأبل ، وعورضوا بأنه أذن لهم في شربها للتداوي . ورد بأن التداوي ليس حال ضرورة بدليل أنه لا يجب ، فكيف يباح الحرام لما لا يجب ، وأجيب بمنع كونه ليس حال ضرورة ، بل هو حال ضرورة إذا أخبره بذلك من يعتمد على خبره ، وما أبيح للضرورة لا يسمى حراماً وقت تناوله ، لقوله تعالى : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » (١) .

(١) سورة الانعام ، الآية : ١١٩

ولنا قوله ﷺ : « إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرّم عليها » رواه أبو داود من حديث أم سلمة : وروى من طريق في « البخاري » وغيره أيضاً : والنجس حرام ؛ فلا يتداوى به ، لأنه لا شفاء فيه . وقد قال ﷺ في جواب من سأله عن التداوي بالحجر : « إنها ليست بدواء إنها داء » رواه مسلم . وفي حديث عن ابن عباس مرفوعاً : إن في أبوال الأبل شفاء المدربة . رواه ابن المنذر .

والدربة : فساد المعدة ؛ فلولا أن أبوال الأبل طاهرة ؛ لما ثبت أن فيها دواء ؛ بدليل قوله ﷺ في الحديث الصحيح : « إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرّم عليها » وقد أطلق ﷺ الاذن في شرب أبوال الأبل لقوم حديثي عهد بالاسلام ، جاهلين بالأحكام ، ولم يأمرهم بفسل أفواههم وما يصيبهم منها لأجل صلاة ولا غيرها ، مع اعتيادهم شربها ؛ فدل ذلك المذهب القائلين بالطهارة . وأيضاً ثبت عنه ﷺ أنه قال : « صلوا في مرايض الغنم ، فأطلق الاذن ، ولم يشترط حائلاً يقي من الأبوال والأبرة ؛ فأشعر بطهارتها (فلهذا صحوا) من مرضهم الذي كان بهم ، وسمنوا ، ورجعت إياهم ألوانهم ، كما في رواية (كفروا بعد إسلامهم) الذي أظهروه ونطقوا به (وقتلوا راعي) لقاح (رسول الله ﷺ) وفي رواية عند مسلم : ثم مالوا على الرعاء فقتلوه ، وارتدوا عن الاسلام . وكان لقاح رسول الله ﷺ (مؤمناً) بالله ورسوله (أو) قال الراوي : (مسلماً) مدل مؤمن ، وهو يسار - بفتح التحيّة فسین مهيّلة فألف فراء - مولى النبي ﷺ ، وكان يرعى إبله ﷺ ؛ فلما قتلوه حمل إلى قباء ميتاً ، ودفن بها .

ودكر ابن سعد : أنه نوبى أصابه النبي ﷺ في غزوة محارب ، فرآه ﷺ يحسن الصلاة ، فأعتقه (وساقوا ذود رسول الله ﷺ ، وهربوا محاربين) فباء الخبر .

وفي رواية : فبلغ ذلك النبي ﷺ .

وفي أخرى : نجاء الصريخ . بالخاء المعجمة ، وهو فميل بمعنى فاعل أي
المصرخ بالاعلام بما وقع منهم ، وهذا الصارخ ، هو أحد الراعيين ، كما في
« صحيح ابن عوانة » ، من رواية معاوية بن قرة ، عن أنس .

وأخرج مسلم إسناده ، ولفظه : فقتلوا أحد الراعيين ، وجاء الآخر قد
جزع . فقال : قد قتلوا صاحبي ، وذهبوا بالابل ، ولم أر من سمى الراعي
الآتي بالخبر .

والظاهر أنه راعي إبل الصدقة ، ولم تختلف روايات البخاري في أن
المقتول راعي النبي ﷺ . ولا في ذكره بالافراد ، وكذا في مسلم . نعم عند
مسلم ، من رواية عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس : ثم مالوا على الرعاة فقتلوا
بصيغة الجمع . ونحوه لابن حبان ، من رواية يحيى بن سعد ، عن أنس ؛ فيحتمل
أن إبل الصدقة كان لها رعاة ، فقتل بعضهم مع راعي رسول الله ﷺ ، فاقصر
بعض الرواة على ذكر راعي لقاح النبي ﷺ ، ذكر بعضهم معه غيره ، ويحتمل
أن يكون بعض الرواة ذكره بالمعنى ؛ فتجوز باللاتيان بصيغة الجمع . ورجح في
« الفتح » الثاني ؛ لأن أهل المغازي لم يذكر أحد منهم أنهم قتلوا غير يسار .

(فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم) وكان جاءه الخبر في أول النهار .
وفي رواية سلمة بن الأكوع : فبعث في آثارهم خيلاً من المسلمين ، أميرهم كرز
ابن جابر الفهري ، وكذا ذكره ابن إسحاق ، والأكثر ، وهو بضم الكاف
وسكون الراء بعدها زاي .

وللنسائي من رواية الأوزاعي : فبعث في طلبهم قافة ، جمع قائف . ولمسلم
من رواية معاوية بن قرة ، عن أنس : أنهم شباب من الأنصار ، قريب من عشرين
رجلاً ، وبعث معهم قائفاً يقتص آثارهم .

قال في « الفتح » : ولم أقف على اسم هذا القائف ، ولا على اسم واحد من

العشرين رجلاً ، لكن في «مغازي الواقدي» : أن السرية كانت عشرين رجلاً ، ولم يقل من الأنصار ، بل سمي منهم جماعة من المهاجرين ، منهم : بريدة بن الحصيب وسلمة بن الأكوع الأسلمي ، وجندب ورافع ابنا مكيث جهنيان ، وأبو ذر وأبو رهم الغفاريان ، وبلال بن الحارث وعبد الله بن عمرو بن عوف المزنيان ، وغيرهم ، وأمير هذه السرية سعد بن زيد الأشهلي .

وفي «البرماوي» : سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل . وقيل : جرير ابن عبد الله البجلي ، لكن المعروف تأخر إسلام جرير عن ذلك بمدة ، والله أعلم . (فآخذوا) أي أخذتهم السرية بعد أن أدركوهم ، فلما ارتفع النهار ؛ جاؤوا بهم إلى رسول الله ﷺ (فقطع) رسول الله ﷺ (أيديهم وأرجلهم) .

قال الداودي : يعني قطع يدي كل واحد منهم ، وأرجليه ، أي أمر بذلك ، لكن يرد ما قاله الداودي ، رواية الترمذي : من خلاف ؛ فانها تقتضي عدم استئصال أيديهم وأرجلهم ، بل تقتضي قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ، أو عكسه ، ولم يحسمهم بزيت مغلي ليقطع الدم ، بل تركه ينزف (وسمّر أعينهم) بفتح السين المهملة وتشديد الميم - وفي رواية : بتخفيفها ، ولم تختلف رواية البخاري أنه بالراء .

ووقع لمسلم من رواية عبد العزيز : وسمّل - بالتخفيف واللام - قال الخطابي : السمل : فقاء العين بأي شيء كان . قال أبو ذؤيب الهذلي :

والعين بعدم كأن حداقها سملت بشوك فهي عور تدمع
قال : والسمر لعله لغة في السمل . ونخرجها متقارب ، وقد يكون من السمر ، يريد أنهم كحلوا بأميال قد أحميت .

وقد وقع التصريح بذلك عند البخاري ، من رواية أبي قلابة ، ولفظه :

ثم أمر بمسامير فأحميت ، فكحلهم بها ؛ فهذا يوضح رواية : ويسمر أعينهم ، ولا يخالف رواية السمل ؛ لأنه فقاء العين بأي شيء كان ، كما مر آنفاً (وتركهم) أي ألقوا (في الحرة) وهي ذات حجارة سود ، معروفة بالمدينة ، وإنما ألقوا فيها ، لأنها قرب المكان الذي فعلوا فيه ما فعلوا ، سميت بالحرة أشدة الحر بها ، ووهج الشمس فيها ، وجمعها حرار^(١) ، وأحرار ؛ فصاروا يتزاحفون فيها يستسقون فلا يسقون (حتى ماتوا) وفي رواية : ثم نبذهم في الشمس حتى ماتوا . وفي رواية شعبة ، عن قتادة : يعضون الحجارة . وفي رواية ثابت ، قال أنس رضي الله عنه : فرأيت الرجل منهم يكدم الأرض بلسانه حتى يموت . ولأبي عوانة من هذا الوجه : يعض الأرض ليجد بردها مما يجدد من الحر والشدّة . وفي رواية : ما يجد من الغم والوجع . وزعم الواقدي أنهم صلبوا .

والروايات الصحيحة ترده . وعند أبي عوانة ، عن ابن عقيل ، عن أنس : فصلب اثنين ، وقطع اثنين ، وسمل اثنين .

قال في «الفتح» : كذا ذكر سنة فقط ، فإن كان محفوظاً فعقوبتهم كانت موزعة . قال جماعة ، منهم الحافظ ابن الجوزي : إلا أن ذلك وقع عليهم على سبيل القصاص ؛ ففي مسلم من حديث أنس لما سمل النبي ﷺ أعينهم ، لا أنهم سملوا أعين الرعاة ، وقصر من اقتصر . وتعقبه ابن دقيق العيد ، بأن المثلة في حقهم وقعت من جهات ، وليس في الحديث إلا السمل ، فيحتاج إلى ثبوت البقية . انتهى .

وفي «المغازي» ، و «سبل الهدي» : فلما صحوا ورجعت إليهم أبدانهم ، وانطوت بطونهم ؛ كفروا بعد إسلامهم ، وعدوا على اللقاح فاستاقوها ، فأدركهم مولى رسول الله ﷺ يسار ومعه نفر ، فقاتلهم ، فأخذوه ، فقطعوا يديه ورجليه ، وغرزوا الشوك في لسانه وعينه حتى مات ؛ فهذا إن ثبت يدل على أنه إنما مثل

(١) في الأصل : حرا ، والتصحيح من «القاموس»

بهم ، كما مثلوا بيسار ؛ فهو صريح فيما قاله ابن الجوزي ومن وافقه ، وكان رسول الله ﷺ لما بعث في آثارهم قال : « اللهم اعم عليهم الطريق ، واجعله عليهم أضيئ من مسك حمل (١) ؛ فعمى الله عليهم السبل ؛ فأدركوا في ذلك اليوم ، كما تقدم آنفاً .

وقال الواقدي : خرج كرز وأصحابه في طلبهم حتى أدركهم الليل ، فباتوا بالحرة ، ثم أصبحوا ولا يدرون أين سلكوا ؛ فاذا بامرأة تحمل كتف بغير ، فأخذوها فقالوا : ما هذا ؟ قالت : مررت بقوم قد نحروا بغيراً ، فأعطوني هذه الكتف . فقالوا : أين ؟ فقالت : بتلك الحرة ، القفارة من الحرة ، إذا وفيت عليها رأيتم دخانهم ، فساروا حتى أتوا بهم حين فرغوا من طعامهم ، فأحاطوا بهم ، فسألوه أن يستأسروا ؛ فاستأسروا بأجمعهم ، لم يفلت منهم إنسان ، فربطوهم وأردفوه على الخيل حتى قدموا المدينة ؛ فوجدوا رسول الله ﷺ بالرغبة - بكسر الراء وبالفين المعجمة والموحدة - أرض متصلة بالجرف ، بضم الجيم والراء ، كما قاله أبو عبيد البكري ، فخرجوا بهم نحو رسول الله ﷺ ، قال أنس رضي الله عنه : خرجت أسمى في آثارهم مع الغلمان ، حتى لقي بهم رسول الله ﷺ ؛ فأمر بمسامير فأحميت ، فكحلهم بها .

قال أنس ، كما عند مسلم : لسمهم عين الرعاة ، وقطع أيديهم وأرجلهم ، ونبذهم بالحرة يعضون الحجارة يستسقون فلا يسقون ، حتى ماتوا على حالهم ، ولم يحسمهم .

قال ابن سيرين : كانت هذه قصة العرنيين قبل أن تنزل الحدود ، فأنزله الله تعالى « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا ، أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » (٢) فلم يسمل رسول الله ﷺ بعد ذلك عيناً ، ولم يقطع لساناً ، ولم يزد على قطع

(١) أي جلد خروف . (٢) سورة المائدة ، الآية : ٣٣

اليدين والرجل ، وما بعث رسول الله ﷺ بعد ذلك بعثاً إلا نهاهم عن المثلة ، فكان بعد ذلك بحث على الصدقة ، وينهى عن المثلة .

وعن أبي الزناد : أن رسول الله ﷺ لما قطع الذين سرقوا لقاحه ، وسمل أعينهم بالنار ؛ عاتبه الله في ذلك ، فأُنزل : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، (١) الآية رواه أبو داود ، والنسائي .

قال ابن شاهين — عقب حديث عمران بن حصين الذي رواه الحاكم ، وحديث ابن عمر ، والمغيرة الذي رواه الطبراني في « الكبير » ، أنه ﷺ نهى عن المثلة ، وهي — بضم الميم وسكون المثلثة — قطع أطراف الحيوان أو بمضها وهو حي ، أو التشويه به : هذا الحديث ينسخ كل مثلة ، وتعقبه ابن الجوزي ، بأن ادعاء الشيخ يحتاج إلى تاريخ .

ويدل لما قال ابن شاهين ، حديث أبي هريرة في النهي عن التعذيب بالنار بعد الاذن فيه ، وقصة المرنيين قبل إسلام أبي هريرة ، وقد حضر الاذن ثم النهي .

وقد ذكر ابن اسحاق أن قدوم المرنيين كان بعد غزوة ذي قرد ، وكانت في جمادى الآخرة سنة ست ، وذكرها البخاري بعد الحديبية ، وكانت في ذي القعدة منها .

وذكر الواقدي : أنها كانت في شوال منها ، وتبعه ابن سعد ، وابن حبان ، وغيرها .

واستشكل القاضي عياض عدم سقيهم الماء ؛ للاجماع على أن من وجب عليه القتل فاستسقى ، لا يمنع ، وأجاب بأن ذلك لم يقع عن أمر النبي ﷺ ، ولا وقع منه نهى عن سقيهم . انتهى .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣٣

وضمف الحافظ ابن حجر في « الفتح » ، هذا الجواب ، لأنه عليه السلام اطعم على ذلك ، وسكوته كاف في ثبوت الحكم .

وأجاب النووي بأن المحارب المرتد لا حرمة له في سقي الماء ولا غيره .
ويدل عليه أن من ليس معه إلا ماء لطهارته ؛ ليس له أن يسقيه للمرتد
ويقيم ، بل يستعمله ولو مات عطشاً . وقيل : الحكمة في تمطيشهم ؛ لكونهم
كفروا نعمة سقي ألبان الابل ، التي حصل لهم بها الشفاء من الجوع والوخم ،
ولأنه عليه السلام دعا بالعطش على من عطش آل بيته في قصة رواها النسائي ؛ فيحتمل
أن يكونوا في تلك الليلة ممنوا إرسال ما جرت به العادة من اللبن الذي كان
يراح به إلى آل النبي عليه السلام كل ليلة ، كما ذكر ذلك ابن سعد .

وفي « صحيح البخاري » ، قال سلام - بتشديد اللام - بن مسكين الأزدي ؛
فبلغني أن الحجاج ، أي ابن يوسف الثقفي ، الأمير المشهور بالاسراف في الدماء
والشقاوة . قال لأنس بن مالك رضي الله عنه : حدثني بأشد عقوبة عاقب النبي
عليه السلام . وفي لفظ : عاقبها ؛ فحدثه بهذا ، فبلغ ذلك الحسن البصري . فقال : وددت
أنه ، أي أنس بن مالك لم يحدثه ، أي الحجاج بن يوسف ، يعني بهذا الحديث .
وفي رواية أنس : فذكر ذلك قوم للحجاج ، فبعث إليّ فقال : هذا خاتمي
فليكن بيدك ، أي يصير خازناً له . فقال أنس رضي الله عنه ، إني أعجز عن
ذلك . قال : فحدثني بأشد عقوبة عاقبها النبي عليه السلام . . . الحديث . وفي رواية
بهز : فوالله ما انتهى الحجاج حتى قام بها على المنبر ، فقال : حدثنا أنس . فذكره
وقال : قطع النبي عليه السلام الأيدي والأرجل ، وسمر الأعين في مصيبة الله ، أفلا
نفعل نحن ذلك في مصيبة الله .

وذكر الاسماعيلي من وجه عن ثابت ، حدثني أنس ، قال : ما ندمت على
شيء ما ندمت على حديث حدثت به الحجاج ، فذكره .

وإنما ندم أنس على ذلك ؛ لأن الحجاج كان مسرفاً في العقوبة ، وكان
يعلق بأذى شبهة ، ولا حجة للحجاج في قصة العرنين ، لأنه وقع التصريح
بأنهم ارتدوا ، وكان ذلك أيضاً قبل أن تنزل الحدود كما مر ، وقبل النهي عن
المثلة كما تقدم ، والله أعلم .

تفصيله : القتل المشروع : هو ضرب الرقبة بالسيف ونحوه ؛ لأن ذلك
أوحى (١) أنواع القتل ، ولذلك شرع قتل ما ينأح قتله من الأدميين والبهائم إذا
قدر عليه على هذا الوجه . قال النبي ﷺ : « إن الله كتب الإحسان على كل
شئ ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وإيحد أحدكم
شفرته ، وليرح ذبيحته » . رواه مسلم من حديث شداد بن أوس .

وقد حكى ابن حزم الإجماع على وجوب الإحسان في الذبحة ، وأسهل
وجوه قتل الأدمي ضربه بالسيف على العنق . قال تعالى : « فإذا لقيتم الذين
كفروا فاضربوا رقابهم » (٢) وقال : « سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ،
فاضربوا فوق الأعناق » (٣) وقد قيل : إنه عين الموضع الذي يكون الضرب فيه
أسهل على المقتول ، وهو فوق العظام ، ودون الدماغ .

وكان النبي ﷺ إذا بعث سرية تغزو في سبيل الله ، قال لهم : لا تمثلوا ،
ولا تقتلوا وليداً .

وأخرج أبو داود وابن ماجه ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ،
عن النبي ﷺ قال : « أعف الناس قتلة أهل الإيمان » .

وأخرج الامام أحمد ، وأبو داود ، من حديث عمران بن حصين ، وسمره
ابن جندب رضي الله عنها : أن النبي ﷺ كان ينهى عن المثلة .

(٢) سورة محمد ، الآية : ٤

(١) أي أسرع أنواع القتل

(٣) سورة الانفال ، الآية : ١٢

وخرجه البخاري ، من حديث عبد الله بن بريد رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه نهى عن المثلة ، وتقدم .

وخرج الامام أحمد ، من حديث يعلى بن مرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال الله تعالى : « لا تمثلوا بمبادي » .

وأخرج الامام أحمد أيضاً ، عن رجل من الصحابة ، عن النبي ﷺ قال : « من مثل بذي روح ، ثم لم يتب ؛ مثل الله به يوم القيامة .

إذا علمت هذا ؛ فاعلم أن القتل المباح يقع على وجهين : أحدهما : أن يكون قصاصاً ؛ فلا يجوز التمثيل فيه بالمقتص منه ، بل يقتل كما قتل . فإن كان قد مثل بالمقتول ، فهل يمثل به كما فعل ، أم لا يقتل إلا بالسيف ؟ فيه قولان مشهوران للعلماء :

أحدهما : أنه يفعل به كما فعل ، وهو قول الامام مالك ، والشافعي ، وأحمد رضي الله عنهم في المشهور . وقد رضح رسول الله ﷺ رأس الذي رضح رأس الجارية ، كما في « الصحيحين » وغيرها .

والقول الثاني : لا قود إلا بالسيف ، وهو قول الثوري ، وأبي حنيفة ، ورواية عن الامام أحمد .

وعن الامام أحمد رواية ثالثة : يفعل به كما فعل ، إلا أن يكون حرقه بالنار ، أو مثل به ؛ فيقتل بالسيف ؛ للنهي عن المثلة ، وعن التحريق بالنار ، نقلها عنه الاثرم .

وقد خرج ابن ماجة بسناد ضعيف ، عن النبي ﷺ أنه قال : « لا قود إلا بالسيف » .

قال الامام أحمد : يروى : لا قود إلا بالسيف ، وليس إسناده بمجيد .

وحديث أنس ، يعني في قتل اليهودي الذي قتل الجارية أسند منه وأجود .
قال شيخ الاسلام ابن تيمية في « السياسة الشرعية » : التمثيل في القتل
لا يجوز إلا على وجه القصاص .

الوجه الثاني : أن يكون القتل للكفر ، إما لكفر أصلي ، أو لردة عن
الاسلام ، فأكثر العلماء على كراهة المثلة فيه أيضاً ، وأنه يقتل فيه بالسيف .
وقد روي عن طائفة من السلف جواز التمثيل فيه ، بالتحريق بالنار
وغير ذلك ، كما فعله خالد بن الوليد وغيره .

وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه حرق الفجاءة بالنار .
وروي أن أم قرفة الفزارية ارتدت في عهد أبي بكر رضي الله عنه ، فأمر بها
فشدت ذؤابتها في أذنان فلوطين أو فرسين ، ثم صبح بها ؛ فتقطعت المرأة ،
وأسانيد هذه القصة منقطعة .

وقد ذكر ابن سعد في « طبقاته » بغير إسناد : أن زيد بن حارثة قتلها هذه
القتلة على عهد النبي ﷺ ، وأخبر النبي ﷺ بذلك .

قال في « السيرة » : واسم أم قرفة : فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، وكانت
عند حذيفة بن بدر بن حذيفة عجوز كبيرة ، وكانت في شرف من قومها ،
وكانت العرب تقول : لو كنت أعز من أم قرفة ، لأنها كانت يملق في بيتها
خمسون سيفاً ، كلهم لها ذو محرم . وكان لها اثنا (١) عشر ولداً ، وابنها قرفة الذي
تكفى به قتله النبي ﷺ ، وسائر بنينا قتلوا مع طليحة في الردة ؛ فلا خير فيها
ولا في بنينا .

قال في « سبل الهدى » : فأمر زيد بن حارثة بقتل أم قرفة لسبها رسول
الله ﷺ ؛ فقتلت قتلاً عنيفاً . انتهى .

قال ابن سيد الناس في « عيون الاثر » : ربط رجلها في حبلين ، ثم

(١) في الاصل : اثني ، وهو خطأ

ربطاً إلى بعيرين. ويروى: إلى فرسين ، وزجرهما حتى شقأها. ورأيتني قد كتبت
في « شرح نونية الصرصري معارج الأنوار » في الجواب عن صنيع زيد في
قتل أم قرفة ، مع نهيه صلى الله عليه وسلم عن المثلة ، وأمره بحسن القتلة ، ولم يبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم
عاتب زيدا على ذلك ؛ فكان ذلك لمعظم جنائنها ؛ فانها كانت تسب النبي صلى الله عليه وسلم .
وجاء أنها جهزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها ، وقالت : اغزوا
المدينة ، واقتلوا محمداً . ولكن هذا خبر منكر ، على أن الواقدي ذكر أن
أم قرفة قتلت يوم بزاخة .
قال في « العيون » : إنما المقتول يوم بزاخة بنوها التسعة . قال الدولابي :
إنما قتلها زيد .

قال في « القاموس » : بزاخة - بالضم - موضع ، وبه وقعة لأبي بكر
رضي الله عنه . انتهى . وهو ، بضم الموحدة فزاي مفتوحة فحاء معجمة مفتوحة
فتاء تأنيث .

قال في « المطالع » : موضع بالبحرين . وقال الأصمعي : هو ماء لطبي .
وقال الشيباني : ماء لبني أسد . وحكى البكري فيه : بزوخة . انتهى . وإضافة
الوقعة للصدوق ؛ لأنها في خلافته ، يعني قتال أهل الردة مع طليحة ، وإنما الأمير
الذي باشر القتال خالد بن الوليد رضي الله عنه . وقد عاد طليحة إلى الاسلام
في خلافة عمر الفاروق رضي الله عنهم ، والله الحمد .

وصح عن علي رضي الله عنه أنه حرق المرتدين ، وأنكر ذلك ابن عباس
عليه . وقيل : إنه لم يحرقهم ، وإنما دخن عليهم حتى ماتوا . وقيل : إنه قتلهم
ثم حرقهم . والذي صح أنه حرقهم ، وقال :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناراً ودعوت قنبراً

أي عبده قنبر ليقربهم إليه ويضمهم في النار المؤججة . وروي أنه جيء
بمرتد ، فأمر به فوطيء بالأرجل حتى مات .

واختار الامام ابن عقيل من علمائنا جواز القتل بالتمثيل للكفر ، لا سيما
إذا تغلظ ، وحمل النهي عن المثلة على القتل بالقصاص .
واستدل من أجاز ذلك بقصة المرنيين . وقد قال بعض العلماء : من فعل
مثل فعلهم بأن ارتد ، وحارب ، وأخذ المال ؛ صنع به كما صنع بهؤلاء ، روي
هذا عن طائفة من السلف ، منهم أبو قلابة ، وهذا رواية عن الامام أحمد .
ومنهم من قال : بل هذا يدل على جواز التمثيل لمن تغلظت جرائمه في الجملة ،
ولما نهى عن التمثيل في القصاص ، وهو قول ابن عقيل . ومنهم من قال : بل
نسخ ما فعل بالمرنيين بالنهي عن المثلة ، وهذا قول الجمهور ، وبالله التوفيق .

انتهى بحمد الله

المجزء الأول

وبليـه

المجزء الثاني

وأوله الحديث الحادي والتسعون من مسند سيدنا أنس بن مالك
رضي الله عنه

الفهرس

الموضوع	صفحة
مقدمة الناشر	ج
ترجمة المؤلف	ز
خطبة الكتاب	٣
ترجمة الامام أحمد بن حنبل	٦
شيوخه وتلامذته	٩
كراماته	١١
من منشور كلامه	١٢
من شعره	١٢
زواجه وابناؤه	١٤
مولده ونشأته	١٥
اشتغاله بالعلم	١٦
وفاته	١٨
بعض ما قيل في رثائه	١٨
ترجمة الامام إسماعيل بن عمر المقدسي	٢٢
ترجمة الامام الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي	٢٣
خاتمة المقدمة :	٢٧
تعريف الحديث الثلاثي	٢٧
فضل القرون الثلاثة	٢٧

الموضوع	صفحة
فضل الصحابة والتابعين	٢٨
تعديل الصحابة	٢٩
أصول مذهب الامام أحمد	٣٢
* مسند ابن عمر *	٣٩
الحديث الاول : النهي عن بيع الولاء وهبته	٣٩
ترجمة سفيان	٣٩
ترجمة ابن عمر	٤٣
مطلب في النهي : صيغته ودلالته	٤٦
بيع الولاء وهبته	٤٨
الحديث الثاني : دخول مساكن الذين عذبوا	٥٠
مطلب في الكلام على ثمود	٥١
حكم ماء آبار ثمود	٥٢
ملك ديار ثمود	٥٣
الحديث الثالث : حكم أكل الضب	٥٤
الحديث الرابع : حكم ود السلام على اليهود	٥٨
الحديث الخامس : تناجي الاثنين دون الثالث	٦٣
الحكم اذا كانوا أربعة	٦٦
تناجي الجماعة دون الواحد	٦٦
د د د الجماعة	٦٧
الدخول بين المتناجين	٦٧
الثمانية المستحقون للصفع (شعر)	٦٨

الموضوع	صفحة
وجوب كتم السر	٦٨
الحديث السادس : في البيعة على السمع والطاعة	٦٩
الحديث السابع : البيعات بالخيار	٧٣
من ترك العمل به	٧٤
جواز خيار الشرط	٧٨
خيار المجلس	٧٩
تلف المبيع في مدة الخيار	٧٩
الحديث الثامن : من جرد إزاره خيلاء .	٨٠
ترجمة زيد بن أسلم	٨٠
استثناء ثوب المرأة	٨٦
الحديث التاسع : التسليم بالإشارة	٨٧
ترجمة صهيب	٩٠
السلام على الأصم	٩٣
ابتداء السلام سنة	٩٣
رد السلام فرض	٩٤
ابتداء السلام أفضل من رده	٩٤
الحديث العاشر : مواقيت الحج	٩٥
احرام أهل الشام من ذي الحليفة	٩٨
يلهم لليمن	٩٦
ذات عرق للعراق	١٠٢
ميقات أهل المدينة	١٠٣

الموضوع	صفحة
لزوم الاحرام من الميقات	١٠٣
ميقات المكي	١٠٥
الحديث الحادي عشر : المخابرة	١٠٥
ترجمة عمرو بن دينار	١٠٦
المزارة بجزء مشاع	١١٢
حكم المساقاة	١١٢
كراء الارض	١١٢
الحديث الثاني عشر : ما يحل للمعتبر قبل السعي	١١٣
مقام ابراهيم	١١٤
حكم ركعتي الطواف	١١٦
السمي بين الصفا والمروة	١١٧
أركان الحج وواجباته	١١٩
الحديث الثالث عشر : في غسل الجمعة	١٢٠
منبره صلى الله عليه وسلم	١٢٠
صانع منبره	١٢١
اشتقاق كلمة الجمعة	١٢١
وقت غسل الجمعة	١٢٢
حكم غسل الجمعة	١٢٣
الاحاديث الواردة في غسل الجمعة	١٢٤
الحديث الرابع عشر : النهي عن بيع الثمار قبل بدو صلاحها	١٢٥
معنى بدو صلاحها	١٢٦

الموضوع	صفحة
هل يعتبر صلاح بعض ثمر الشجر صلاحاً للجميع	١٢٧
الجانحة في الثمار	١٢٨
الحديث الخامس عشر : اقتناء الكلب	١٢٩
حكم اقتناء كلب الماشية والقنص	١٢٩
نقصان أجره إذا اقتناه بغير عذر	١٣٠
* مسند جابر *	١٣٦
ترجمة جابر رضي الله عنه	١٣٦
الحديث الأول : أكل الحوت الذي قذفه البحر	١٣٧
ترجمة هشيم بن القاسم	١٣٨
ترجمة أبي الزبير محمد بن مسلم	١٣٩
ترجمة أبي عبيدة بن الجراح	١٣٩
الكلام على سرية أبي عبيدة	١٤٠
ترجمة يحيى بن سليم	١٤٤
حل أكل ميتة البحر	١٤٤
هل يؤكل اللحم إذا أنقن	١٤٥
بعض ما يمنع أكله من حيوان الماء	١٤٦
مق كانت هذه السرية	١٤٧
القتال في الأشهر الحرم	١٤٧
الحديث الثاني : الكذب على الرسول ﷺ	١٤٨
ذكر سبب الحديث وتواتره	١٤٩
الحديث الثالث : لعن آكل الربا وموكله وشاهده	١٥١

الموضوع	صفحة
ربا الفضل	١٥١
ربا النسيئة	١٥٢
هل يجوز لمن معين	١٥٥
الحديث الرابع : النبذ في سقاء	١٥٥
شروط النبذ الحلال	١٥٦
الحديث الخامس : كسب الحجام	١٥٨
الحديث السادس : النهي عن بيع الحاضر للبادي	١٦١
الحديث السابع : الشفعة	١٦٣
شفعة الشريك	١٦٣
شفعة الجار	١٦٦
اشتراط المطالبة بالشفعة	١٦٧
تحريم الاحتيال لاسقاط حق الشفيع	١٦٨
سقوط الشفعة	١٦٨
الحديث الثامن : النهي عن التحديث بالمتام	١٦٩
الرؤيا الصالحة	١٧١
حقيقة الرؤيا	١٧٢
آداب الرؤيا الصالحة	١٧٤
الحديث التاسع : سخاء رسول الله ﷺ	١٧٨
ترجمة محمد بن المنكدر	١٧٨
شرح الحديث	١٧٩

الموضوع	صفحة
السجاء والجود وتعرفها والنصوص الواردة في ذلك	١٨١
الحديث العاشر : كشف وجه الميت والبكاء عنده	١٨٤
تعيين مكان جبل أحد	١٨٤
جواز البكاء على الميت	١٨٦
الحديث الحادي عشر : التكنية بأبي القاسم	١٨٩
الاسم واللقب والكنية	١٩٣
اختلاف العلماء في التكني بأبي القاسم	١٩٣
سبب كراهة التسمي بالقاسم	١٩٦
التسمية بمحمد وأحمد وأسماء الأنبياء	١٩٧
الحديث الثاني عشر : انتداب الناس يوم الخندق	١٩٩
موضع الخندق وحفره	٢٠٠
انتداب الزبير	٢٠٠
ترجمة الزبير ومناقبه	٢٠٠
الحديث الثالث عشر : في نزول آية الميراث	٢٠٣
صيغ الأداء في الحديث	٢٠٤
ترجمة أبي بكر الصديق	٢٠٤
مناقبه	٢٠٤
عيادة المريض وفضلها	٢٠٥
حكم عيادة المريض الكافر	٢٠٦
حكم عيادة المريض المسلم	٢٠٧

الموضوع	صفحة
الاحاديث الواردة في عيادة المريض	٢٠٧
عيادة المغمى عليه	٢١٠
صب وضوء رسول الله ﷺ على جابر وهو مغمى عليه	٢١٠
طهارة الماء المستعمل في رفع الحدث	٢١٠
تبرك الصحابة بفضل وضوئه ﷺ	٢١١
سؤال جابر رسول الله ﷺ عن تركته	٢١١
نزول آية الميراث جواباً لسؤال جابر	٢١٢
آداب عيادة المريض	٢١٣
الدعاء للمريض وماورد فيه	٢١٥
الحديث الرابع عشر : عدم الوضوء من أكل اللحم المشوي	٢١٦
الوضوء مما مسته النار	٢١٧
مذهب السلف حول الوضوء مما مسته النار	٢١٨
نقض الوضوء بأكل لحم الجزور	٢١٩
الاحاديث الواردة في نقض الوضوء بأكل لحم الجزور	٢٢٠
الحديث الخامس عشر : نفي المدينة للخبث من الناس	٢٢١
مبايعة الرسول ﷺ على الهجرة	٢٢٢
معنى الاقالة والمراد منها	٢٢٢
نفي المدينة شرار الناس	٢٢٤
الاحاديث الواردة في فضل المدينة	٢٢٥
فضل الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ	٢٢٧

الموضوع	صفحة
الحديث السادس عشر : وفاء أبي بكر بوعد رسول الله ﷺ	٢٢٨
تعيين مكان البحرين	٢٢٩
وعد رسول الله ﷺ باعطاء جابر من مال البحرين	٢٣٢
حكم إنجاز الوعد وأقوال العلماء فيه	٢٣٢
التحذير من البخل والتنفير منه	٢٣٥
التمييز بين الشح والبخل	٢٣٥
الاحاديث الواردة في ذم الشح والبخل	٢٣٦
الحديث السابع عشر : الحظ على الزوج بالبكر	٢٣٩
سبب عدول جابر عن الزواج بالبكر	٢٤١
تعريف الثيب والبكر من النساء	٢٤٢
دلالة الحديث على فضيلة الزوج بالبكر	٢٤٢
تقديم أم المصلحين إذا تزامنا	٢٤٢
الحديث الثامن عشر : حكم إطالة الصلاة	٢٤٣
ترجمة معاذ بن جبل	٢٤٤
حكم مفارقة المأموم للإمام لعذر	٢٤٨
تعريف النفاق	٢٤٩
حكم اقتداء المفترض بالمتنفل	٢٥١
أقوال الأئمة في اقتداء المفترض بالمتنفل	٢٥٢
استحباب تخفيف الصلاة	٢٥٥

الموضوع	صفحة
أقوال الأئمة في حكم صلاة الجماعة .	٢٥٥
الحديث التاسع عشر : الخدعة في الحرب	٢٥٦
تعريف الخدعة وحكمها	٢٥٧
الكلام على الكذب والمعارض وحكمها	٢٥٨
الحديث العشرون : تحية المسجد يوم الجمعة والامام يخطب	٢٦١
أقوال الأئمة في ذلك	٢٦٢
الكلام يوم الجمعة حال الخطبة .	٢٦٣
الحديث الحادي والعشرون : دخول المسجد بالسلاح	٢٦٤
تعريف السهام	٢٦٤
جواز إدخال السلاح الى المسجد	٢٦٥
الحديث الثاني والعشرون : بيع المدبر	٢٦٥
تعريف المدبر	٢٦٦
ترجمة عبد الله الزبير	٢٦٧
أقوال الأئمة في بيع المدبر	٢٧٠
الحديث الثالث والعشرون : آخر من يدخل الجنة	٢٧١
الخروج من النار بالشفاعة	٢٧٢
الخروج من النار لمن كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان	٢٧٣
الحديث الرابع والعشرون : أصحاب الحديبية ومدحهم	٢٧٤
ضبط كلمة الحديبية وتعيين مكانها	٢٧٤
عدد أصحاب الحديبية	٢٧٥

الموضوع	صفحة
أول من بايع النبي ﷺ يوم الحديبية	٢٧٦
الحديث الخامس والعشرون : مساوغة الأصحاب للاستشهاد يوم أحد	٢٧٨
تعيين مكان أحد	٢٧٩
الخلاف في مقتل عمير بن الحمام	٢٧٩
مصير من قتل في سبيل الله	٢٨١
خصال الشهيد في سبيل الله	٢٨٢
الحديث السادس والعشرون : في أكل الحوت في مربة العنبر	٢٨٢
السمكة وتعرفها	٢٨٣
منافع العنبر من الطيب	٢٨٤
أكل الصحابة من الحوت	٢٨٦
الحديث السابع والعشرون : استعاذة رسول الله ﷺ عند نزول بعض الآيات	٢٨٨
وقوع الخسف والرجم في الأمة	٢٨٩
سؤال رسول الله ﷺ ربه أشياء لأُمتة	٢٩٢
الحديث الثامن والعشرون : الطواف لمن أهل بعمرة	٢٩٣
حكم السعي بين الصفا والمروة لمن أهل في الحج بعمرة	٢٩٤
الحديث التاسع والعشرون : العزل عن المرأة	٢٩٤
عزل الصحابة	٢٩٥
الأحاديث الواردة في العزل	٢٩٦

الموضوع	صفحة
اختلاف السلف في العزل	٢٩٦
أقوال الأئمة الأربعة في العزل	٢٩٧
العزل في دار الحرب	٢٩٧
حق المرأة من الوطاء	٢٩٨
الاختلاف في علة النهي	٣٠١
الحديث الثلاثون : رؤية رسول الله ﷺ قصر عمر في الجنة	٣٠٢
غيره رسول الله ﷺ	٣٠٥
غيره عمر بن الخطاب	٣٠٥
ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٣٠٦
من مناقب عمر بن الخطاب	٣٠٧
تولي عمر الخلافة	٣١٠
مقتل عمر رضي الله عنه ووفاته	٣١١
رواية عمر للحديث	٣١١
دلالة الحديث على وجود الجنة والحدود العينية الآن	٣١٢
إنكار المعتزلة والقدرية وجود الجنة الآن	٣٢
أقوال السلف في وجود النار	٣١٣
﴿مسند أنس بن مالك﴾	٣١٦
ترجمة أنس بن مالك	٣١٦
ترجمة أم سليم أم أنس	٣١٧
رواية أنس للحديث	٣١٧

الموضوع	صفحة
وفاة أنس بن مالك	٣١٨
الحديث الاول : مدحه ﷺ للأنصار	٣١٨
ترجمة ابن علية	٣١٨
شرح كلمة اللهم ومعناها	٣٢٠
الاحاديث الدالة على فضل الأنصار	٣٢١
الحديث الثاني : تسميت العاطس	٣٢٥
ترجمة سليمان التيمي	٣٢٥
الكلام على التسميت والتسميت : بالشين والسين	٣٢٧
تسميت من حمد الله	٣٢٩
الاحاديث الواردة في تسميت العاطس الذي حمد الله	٣٣٠
ألفاظ التسميت	٣٣٢
حكم إجابة المسمت	٣٣٤
من لا يجب تسميتهم	٣٣٥
الحديث الثالث : تواضع رسول الله ﷺ	٣٣٧
ترجمة حميد الطويل	٣٣٧
تواضع رسول الله ﷺ وحسن خلقه	٣٣٨
رجحان عقل رسول الله ﷺ	٣٣٩
خائفه ﷺ	٣٣٩
ما يدخل في حسن الخلق	٣٤٠
الحديث الرابع : الكذب على رسول الله ﷺ	٣٤٠
جزاء الكاذب على رسول الله ﷺ	٣٤١

الموضوع	صفحة
الحديث الخامس : وليمة رسول الله ﷺ في العرس	٣٤١
ترجمة زينب بنت جحش	٣٤١
الكلام على وليمة العرس والاطعام فيها	٣٤٢
حكم وليمة العرس والنصوص فيها	٣٤٣
ما يجزىء في الوليمة	٣٤٤
وقت وليمة العرس	٣٤٥
حكم الإجابة الى وليمة العرس	٣٤٥
حكم إجابة الوليمة إذا تكررت	٣٤٦
الحديث السادس : صلاة الرسول ﷺ في برد حبرة	٣٤٧
الصلاة في الثوب الواحد	٣٤٨
وجوب ستر العورة في الصلاة	٣٤٩
حلة رسول الله ﷺ	٣٥٠
أقوال السلف في لبس الثوب الأحمر	٣٥١
الحديث السابع : طوافه ﷺ على نسائه بغسل واحد	٣٥٣
عدد نساء رسول الله ﷺ	٣٥٤
قوته ﷺ في الجماع	٣٥٥
فضل رسول الله ﷺ على الناس بأربعة أشياء	٣٥٦
حكم القسم بين النساء في حق رسول الله ﷺ	٣٥٧
الحديث الثامن : ما يقال عند دخول الخلاء	٣٥٨
معنى العياذ بالله	٣٥٩

الموضوع	صفحة
آداب دخول الخلاء	٣٦٠
ضبط لفظي : الخبث والخبائث في الحديث	٣٦١
آداب الخروج من الخلاء	٣٦٢
الحديث التاسع : رد السلام على أهل الكتاب	٣٦٢
كيفية رد السلام على أهل الكتاب .	٣٦٣
الحديث العاشر : نصر المسلم ظالماً أو مظلوماً	٣٦٣
ترجمة يونس البصري	٣٦٤
ترجمة الحسن البصري	٣٦٤
إنكار سماع الحسن البصري من علي بن أبي طالب	٣٦٥
أحاديث الحسن عن علي بن أبي طالب	٣٦٧
مناقب الحسن البصري	٣٦٧
الظلم وأنواعه	٣٧٠
الحديث الحادي عشر : البحث على السحور	٣٧٦
السحور وفضله	٣٧٧
وقت السحور	٣٧٧
ما يحصل به السحور ، وحكمه	٣٧٧
تأخير السحور	٣٧٧
تمجيل الفطر	٣٧٨
الحديث الثاني عشر : خاتم النبي ﷺ	٣٧٩
من أي المعادن يكون الخاتم ؟	٣٨١

الموضوع	صفحة
يحرم خاتم الذهب على الذكور	٣٨٣
التختم بالعقيق	٣٨٤
الحديث الثالث عشر : الاقامة عند الشيب ثلاثاً	٣٨٥
الحديث الرابع عشر : جعل عتق الأمة صداقها	٣٨٨
الصداق : مشروعيته ومقداره	٣٩١
الحديث الخامس عشر : وليمة رسول الله ﷺ	٣٩٥
الحديث السادس عشر : الغميصاء أم أنس في الجنة	٣٩٨
الحديث السابع عشر : كسر رباعية النبي ﷺ وشيخ جبهته :	٤٠٠
سبب غزوة أحد	٤٠٦
عدة من ثبت معه	٤٠٨
دور طلحة في أحد	٤٠٩
صراخ الشيطان في أحد	٤١١
عدد شهداء أحد	٤١٤
الحديث الثامن عشر : التلبية بالحج والعمرة جميعاً	٤١٥
حكم التلبية	٤١٧
التمتع	٤١٨
طواف القارن وسعيه	٤١٩
الحديث التاسع عشر : ركوب البدنة	٤٢٠
ترجمة ثابت البناني	٤٢٠
البدنة : ضبطها واختلاف العلماء في جواز ركوبها	٤٢٢

الموضوع	صفحة
الحديث العشرون : تسميت العاطس إذا حمد الله	٤٢٥
ترجمة معتمر بن سليمان	٢٤٥
الحديث الحادي والعشرون : من الذي ينبغي أن يلي الامام	٤٢٦
تقديم الرجال فالعبيد ، ثم الصبيان . . .	٤٢٩
إقامة الصف	٤٣٠
الحض على الصف الأول	٤٣٠
تسوية الصف من تمام الصلاة	٤٣١
الحديث الثاني والعشرون : خضب الشيب	٤٣٢
فوائد الخضب	٤٣٥
هل خضب رسول الله ﷺ ؟	٤٣٧
هل يُسنُّ الخضاب	٤٤٠
التفريق في سنّية الخضاب بين النساء والرجال	٤٤٢
الحديث الثالث والعشرون : الأمر بتناول اللقمة الساقطة بعد	٤٤٣
مسح ما بها من الأذى	
الحكمة في ذلك	٤٤٣
الحديث الرابع والعشرون : إعطاء الحاجم أجره	٤٤٦
التداوي بالحجامة	٤٤٧
متى تكون الحجامة ؟	٤٥٠
موضع الحجامة من البدن	٤٥١
الحديث الخامس والعشرون : تخفيف الصلاة مع إقامتها	٤٥٣

الموضوع	صفحة
الحديث السادس والعشرون : الصلاة في النعال	٤٥٦
ترجمة عباد بن عباد الأزدي	٤٥٦
هل تسنّ الصلاة في النعال ؟	٤٥٨
الاستكثار من النعال	٤٥٩
الاسترجاع عند انقطاع الشسع	٤٦٠
الحديث السابع والعشرون : إنكار أنس لما صنع الناس بعد النبي ﷺ	٤٦١
إنكار أنس على الحجاج تأخير الصلاة	٤٦٣
النهي عن تأخير الصلاة	٤٦٤
بعض ما أثر عمر بن عبد العزيز وشيخه من ترجمته	٤٦٥
الحديث الثامن والعشرون : النهي عن تمشي الموت حكمة النهي	٤٦٧
الحديث التاسع والعشرون : النهي عن التزعفر للرجل	٤٦٨
الحديث الثلاثون : العزم في الدعاء	٤٧٥
الحديث الواحد والثلاثون : أكثر دعوة كان يدعوها النبي ﷺ	٤٧٩
ترجمة قتادة	٤٨١
شرح الحديث	٤٨١
الحديث الثاني والثلاثون : التطويل في الصلاة	٤٨٢
الحديث الثالث والثلاثون : ما يقال عند دخول الخلاء	٤٨٤
الحديث الرابع والثلاثون : الأضحية بكباشين	٤٨٦
	٤٨٨

الموضوع	صفحة
وقت الأضحية	٤٨٩
ما يصح تضحيته	٤٨٩
حكم الأضحية	٤٩٠
ما يؤكل منها ولا يوزع	٤٩٠
هل يذبح المضحي بيد أم يوكل	٤٩١
الحديث الخامس والثلاثون : لبس الحرير	٤٩٢
الحديث السادس والثلاثون : الاقتصاد في العبادة	٤٩٥
الحديث السابع والثلاثون : مناجاة بين النبي ﷺ ورجل بعد إقامة الصلاة	٥٠٢
الحديث الثامن والثلاثون : معاملة النبي ﷺ خدمه	٥٠٣
ترجمة أبي طلحة	٥٠٣
شرح الحديث	٥٠٥
الحديث التاسع والثلاثون : خاتمة رسول الله ﷺ	٥٠٨
الحديث الأربعون : إيجاز الرسول لصلاته مع إكمالها	٥١٢
الحديث الواحد والأربعون : زواج الرسول من صفية بنت حيي	٥١٣
وقت صلاة الفجر	٥١٥
فتح خير	٥١٨
الحديث الثاني والأربعون : درع الرسول مرهونة عند يهودي	٥٢٧
ترجمة محمد بن فضيل	٥٢٨
ترجمة الأعمش	٥٢٨
شرح الحديث	٥٣٠

الموضوع	صفحة
الحديث الثالث والاربعون : الكوثر الموعود به ﷺ	٥٣١
تعريف الكوثر والأحاديث الواردة فيه .	٥٣٢
الحديث الرابع والاربعون : نزول سورة الكوثر	٥٣٣
معنى الاغفاء	٥٣٣
أحاديث عن الكوثر	٥٣٤
اختلاج المبتدعين بعد رسول الله ﷺ عن الكوثر	٥٣٦
ثبوت وجود الحوض والكوثر بالنص والاجماع	٥٣٧
سعة حوضه ﷺ	٥٣٧
الأحاديث الواردة في الحوض .	٥٤٠
الحديث الخامس والاربعون : التساؤل في خلق الله	٥٤٢
أقسام السؤال في الشريعة الاسلامية .	٥٤٣
القلب وعوارضه .	٥٤٤
السؤال عن خلق الله .	٥٤٧
وساوس الشيطان للانسان .	٥٤٩
كراهة كثرة السؤال فيما لا فائدة فيه .	٥٥٣
النهي عن أغلوطات المسائل .	٥٥٥
ذم التفكير في ذات الله .	٥٥٦
التفكير والتذكر وثمرتهما .	٥٥٧
الحديث السادس والاربعون : عدم مسابقة الامام في الركوع	٥٥٨
والسجود	
الاحاديث الواردة في ذلك	٥٦٠

الموضوع	صفحة
التسليم في الفرض والنفل	٥٦٤
حكم متابعة الامام	٥٦٥
اختلاف العلماء في رؤية النبي ﷺ من خلفه	٥٦٥
بعض ألفاظ القسم	٥٦٧
حلف المفي على ثبوت الحكم عنده	٥٦٧
المواضع التي أقسم فيها رسول الله ﷺ	٥٦٨
حلف الصحابة على الفتاوى والرواية	٥٦٨
حلف أحمد بن حنبل في مسائله	٥٦٨
حلف الشافعي والأئمة	٥٦٨
تحذير رسول الله ﷺ للصحابة من عذاب الله	٥٦٨
الحديث السابع والأربعون: عدم خروج رسول الله ﷺ	٥٧٣
الى المسجد خشية فرضية قيام الليل	
ترجمة بن عدي البصري	٥٧٣
ترك رسول الله ﷺ الجماعة في قيام رمضان خشية فرضيتها	٥٧٤
جمع عمر بن الخطاب الناس في قيام رمضان	٥٧٥
تأكيد قيام أوتار ليالي العشر الأخير من رمضان	٥٧٦
مشروعية صلاة التراويح واستحبابها	٥٧٦
حكم صلاة التراويح وعدد ركعاتها	٥٧٦
معنى قول عمر: نعمت البدعة هذه	٥٧٧

الموضوع	صفحة
الحديث الثامن والاربعون : إبطال الرسول ﷺ لأعياد الجاهلية	٥٧٨
الوقت الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة	٥٧٨
أول من اتخذ النيروز والمهرجان	٥٧٩
سبب تسمية العيد	٥٧٩
أعياد المسلمين	٥٨٠
الحديث التاسع والاربعون : مسمع رسول الله ﷺ عذاب القبر	٥٨٢
ترجمة بني النجار	٥٨٢
شرح قول رسول الله ﷺ : لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر	٥٨٣
الأحاديث الواردة في عذاب القبر	٥٨٣
إثبات أهل السنة والجماعة لعذاب القبر خلافاً للخوارج وغيرهم	٥٨٤
قول ابن القيم في الروح بعد مفارقة الجسد	٥٨٤
اتفاق أهل السنة والجماعة على شمول النعيم والمذاب على النفس والبدن	٥٨٥
كلام ابن تيمية وابن القيم في البرزخ والروح	٥٨٦
المراد من قوله ﷺ لولا أن لا تدافنوا . . . الخ	٥٨٨
عذاب أهل الجاهلية في قبورهم والخلاف فيه	٥٨٨
عدم اختصاص عذاب القبر وسؤال الملوك بهذه الأئمة	٥٨٨

الموضوع	صفحة
الحديث الخمسون : رؤية رسول الله ﷺ انهر الكوثر	٥٨٩
صفات نهر الكوثر	٥٨٩
الحديث الحادي والخمسون : تخلف المسلمين عن غزوة تبوك لعذر	٥٩٠
المتخلف لعذر شريك للسائر في الأجر	٥٩١
استمرار الثواب على العمل للمريض أو المسافر إذا كان	٥٩٢
يعمله مقياً صحيحاً	
الحديث الثاني والخمسون : وضع الشيء بعد رفعه	٥٩٤
الكلام على ناقة رسول الله ﷺ	٥٩٤
صفة المضياء والقصواء	٥٩٤
الكلام على القمود	٥٩٥
حكم المسابقة في الأشياء بموض وغير عوض	٥٩٧
أقوال الأئمة في المسابقة	٥٩٧
شروط أخذ العوض والرهان	٥٩٨
زيادة أبو البخري في حديث المسابقة	٥٩٩
الكلام على واضع حديث الحمام	٦٠٠
الحديث الثالث والخمسون : إقامة الصلاة وتراص الصفوف فيها	٦٠١
الأحاديث الواردة في فضل تسوية الصفوف وتراصها	٦٠٢
الحديث الرابع والخمسون : نوم رسول الله ﷺ وصلاته	٦٠٣
بالليل وصومه وفطره	
دلالة الحديث على قيام رسول الله ﷺ وتهجده بالليل	٦٠٤
تعريف التهجد	٦٠٥

الموضوع	صفحة
الأحاديث الواردة في فضل قيام الليل	٦٠٥
افتتاح التهجد بركتين خفيفتين	٦٠٥
فضل الذكر والوضوء والصلاة عند القيام من النوم	٦٠٥
أحب القيام والصيام الى الله تعالى	٦٠٦
حكم قيام الليل بالنسبة لرسول الله ﷺ	٦٠٨
وصية رسول الله ﷺ لأبي هريرة	٦١١
فضل الصيام وترك الرفث والصخب فيه	٦١١
الكلام على خلوف فم الصائم	٦١١
الحديث الخامس والخمسون : كون المرء مع من أحب	٦١٣
سؤال الأعرابي رسول الله ﷺ عن قيام الساعة	٦١٤
شروط محبة الله ورسوله	٦١٥
اللغات الواردة في كلمة المرء	٦١٥
قول رسول الله ﷺ : المرء مع من أحب	٦١٥
فرح المسلمين بقول : المرء مع من أحب	٦١٦
إطاعة المحب للمحبوب	٦١٧
درجات محبة الله سبحانه وتعالى	٦١٧
درجات محبة رسول الله ﷺ	٦٢٠
دلالة الحديث على انفراد علم الله بمجيبه الساعة	٦٢١
الآيات والأحاديث الواردة في انفراد علم الله بالساعة	٦٢٢
حكم مدعي علم الغيب	٦٢٣

الموضوع	صفحة
الأحاديث الواردة في تحديد مدة الدنيا لا أصل لها	٦٢٣
قول ابن القيم في العلامات التي تعرف بها الأحاديث الموضوعة	٦٢٤
الحديث السادس والخمسون : اختلاف نساء الرسول ﷺ مع بعضهن	٦٢٤
تعريف الصخب والسخب	٦٢٦
معنى الحشو واللغات الواردة في كلمتي الفم والتراب	٦٢٧
إقامة الصلاة والامام في منزله إذا كان يسمعها	٦٢٨
عدد أزواج رسول الله ﷺ	٦٢٨
الحديث السابع والخمسون : عدم تمني الموت لضرر أصابه	٦٢٩
الحديث الثامن والخمسون : مداومة أبي طلحة على الصوم في عهد النبي ﷺ وبعده	٦٣٠
الأحاديث الواردة في فضل الصيام	٦٣١
من سرد الصوم من الصحابة والسلف	٦٣٢
الحديث التاسع والخمسون : اعتكافه ﷺ في العشر الأواخر من رمضان	٦٣٢
معنى الاعتكاف لغة وشرعاً	٦٣٣
فوائد الاعتكاف	٦٣٣
شروط الاعتكاف	٦٣٣
تأخير الاعتكاف لسفر	٦٣٤
حكم الاعتكاف	٦٣٦

الموضوع	صفحة
جواز الاعتكاف بغير صوم	٦٣٦
شروط صحة الاعتكاف	٦٣٧
قضاء السنن إذا فاتت	٦٣٧
الحديث الستون : لا يلقي الحبيب حبيبه في النار	٦٣٨
تعريف القوم	٦٣٩
معنى محبة الله	٦٤٠
أول من أنكر المحبة في الاسلام	٦٤٠
إيذان الله بالحرب لمن عادى أولياءه	٦٤١
التقرب الى الله بأداء الواجبات والبعد عن المحرمات	٦٤١
دلالة الحديث على سعة رحمة الله عز وجل	٦٤٤
الحديث الحادي والستون : استسقاء رسول الله ﷺ بالدعاء	٦٤٨
استعمال كلمة اليد حقيقة ومجازاً	٦٤٩
استسقاء رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو على المنبر	٦٥١
رفع اليدين في دعاء الاستسقاء	٦٥٢
مراتب الدعاء	٦٥٣
مواطن رفع اليدين في الدعاء	٦٥٤
كراهة رفع اليدين بالدعاء في خطبة الجمعة	٦٥٤
مسح الوجه باليدين بعد الدعاء	٦٥٥
كيفية رفع اليدين في الدعاء	٦٥٥
دعاء رسول الله ﷺ بتحول المطر عن البيوت	٦٥٧
تبسم رسول الله ﷺ من سرعة ملاة ابن آدم	٦٥٨
مشروعية الاستسقاء وأنواعه	٦٦٠

الموضوع	صفحة
الحديث الثاني والستون : نداء قتلى بدر	٦٦٣
مقتل أبي جهل	٦٦٤
الحديث الثالث والستون : المنة لله ورسوله على الأنصار	٦٧١
أقسام الهداية	٦٧٩
الحديث الرابع والستون : استشارة النبي ﷺ للأنصار في القتال خارج المدينة	٦٧٩
خروج الرسول الى بدر	٦٨٠
معنى « وشاورهم في الأمر »	٦٨١
إشكال في « صحيح مسلم »	٦٨٦
الحديث الخامس والستون : بدء الحجاب	٦٨٧
« السادس » دفاع المسلمين عن رسول الله	٦٩١
ﷺ بأرواحهم	
الحديث السابع والستون : خير دور الأنصار	٦٩٤
الحديث الثامن والستون : قدوم الأشعريين	٦٩٧
رقة القلب	٦٩٨
ترجمة أبي موسى الأشعري	٦٩٩
الحديث التاسع والستون : الأشعريون	٧٠١
ترجمة يزيد بن هارون	٧٠٢
الحديث السبعون : غيرة النساء	٧٠٥
الحديث الحادي والسبعون : حديث أبي طلحة وزوجته	٧١٠
تحنيك الطفل	٧١٩
الحديث الثاني والسبعون : أعياد المسلمين	٧٢٢
الحديث الثالث والسبعون : منع الناظر الى بيوت الناس	٧٢٣
الاستئذان من أجل البصر	٧٢٥
تفسير آية الاستئذان	٧٢٥

الموضوع	صفحة
لصاحب البيت فقاً عين الناظر من الثقب	٧٢٦
كيفية الاستئذان	٧٢٨
الحديث الرابع والسبعون : شج النبي ﷺ يوم أحد	٧٢٩
الحديث الخامس والسبعون : الاستعاذة من الكسل والبخل	٧٣٠
وعذاب القبر	
عذاب القبر هو عذاب البرزخ	٧٣٢
عذاب القبر قسمان	٧٣٣
أسباب عذاب القبر	٧٣٤
الأسباب المنجية من عذاب القبر	٧٣٨
الحديث السادس والسبعون : قصر سيدنا عمر بن الخطاب في الجنة	٧٣٩
سبب تسمية قریش	٧٤٠
الحديث السابع والسبعون : الاحتجام	٧٤١
احتجام الرسول ﷺ	٧٤٢
كسب الحجام	٧٤٢
القسط البحري	٧٤٤
الحديث الثامن والسبعون : تحريم الخمر	٧٤٧
الخمر كل ما يسكر	٧٤٧
الحديث التاسع والسبعون : تحريم الخمر	٧٥٠
ترجمة أبي بن كعب الأنصاري	٧٥١
ترجمة سهيل بن وهب	٧٥٢
الاختلاف في وقت تحريم الخمر	٧٥٦
ذكر سبب تحريم الخمر	٧٥٧
موافقات عمر في تحريم الخمر ونزول الآيات فيه	٧٥٩
سبب تسمية الخمر خمرأ	٧٦١
ما يتخذ منه الخمر	٧٦٢
الحديث الثمانون : خروج الجهنميين من الجحيم	٧٦٧

الموضوع	صفحة
ترجمة وكيع بن الجراح	٧٦٨
روايته الحديث	٧٦٨
وفاته	٧٦٩
ترجمة يزيد بن أبي صالح	٧٦٩
تسمية الجحيم	٧٦٩
الخروج من النار لمن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان	٧٧١
اتفاق أهل السنة والجماعة على عدم خلود أهل الإيمان في النار	٧٧٣
شفاعة الأنبياء والملائكة والعلماء والصالحين	٧٧٥
اتفاق الصحابة والتابعين وسائر الأئمة في شفاعته النبي	٧٧٦
ﷺ في أهل الكبائر	
نوع الشفاعة التي أنكرها المعتزلة والخوارج	٧٧٧
الحديث الحادي والثمانون: إيهلال رسول الله ﷺ بالحج والعمرة	٧٧٩
تعريف الإيهلال بالحج	٧٨٠
أنواع الحج	٧٨٠
اختلاف العلماء في القارن	٧٨١
لزوم دم النسك للقارن	٧٨١
تخيير الحاج بين التمتع والافراد والقران	٧٨١
كلام الأئمة في أنواع الحج	٧٨١
صفة التمتع	٧٨٢
الحديث الثاني والثمانون : زيادة الماء ببركة رسول الله ﷺ	٧٨٢
معجزة رسول الله ﷺ في زيادة الماء	٧٨٣
اختلاف العلماء في الماء الذي ينبع من بين أصابع النبي ﷺ	٧٨٥
الحديث الثالث والثمانون : الثواب على كثرة الخطا الى المسجد	٧٨٥
فضل الخطوات الى المساجد	٧٨٧
فضل الصلاة مع الجماعة	٧٨٧

الموضوع	صفحة
فضل المشي الى المساجد	٧٨٨
الحديث الرابع والثمانون : المشي الى الصلاة بالسكينة والوقار	٧٨٩
فضل قول : الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً	٧٩٢
بم تدرك صلاة الجماعة	٧٩٤
الحديث الخامس والثمانون : سماعه ﷺ خشفة الغميصاء في الجنة	٧٩٨
الحديث السادس والثمانون : توفيق الله العبد للعمل الصالح	٧٩٩
معنى التوفيق	٨٠٠
تفسير الجبرية والقدرية للتوفيق	٨٠٠
معنى استعماله وعسله في الحديث	٨٠٢
الكلام على الخاتمة	٨٠٢
كتابة المقادير السابقة لخلق الخلائق	٨٠٣
كتابة الملك للجنين في بطن أمه	٨٠٤
العمل بين السابقة والخاتمة	٨٠٦
الخوف من السابقة والخاتمة	٨٠٦
الحديث السابع والثمانون : رؤيا المؤمن جزء من ستة	٨٠٧
وأربعين جزءاً من النبوة	
اختلاف الروايات في عدد الأجزاء	٨٠٨
الحديث الثامن والثمانون : غنى الله عن تعذيب الانسان نفسه	٨٠٩
النذر بالمشي الى بيت الله الحرام	٨١١
كفار النذر الذي لا يطاق كفارة يمين	٨١٢
اختلاف الائمة فيمن نذر أن يحج ماشياً	٨١٢
نذر المشي الى مسجد المدينة	٨١٣
الحديث التاسع والثمانون : الرفق بسيافة النساء	٨١٥
سوق أنجشة لأمهات المؤمنين	٨١٥
تفسير حديث : رويدك سوقك بالقوارير	٨١٦

تشبيه بعض الشعراء سماع الغناء بالحمر	٨٢٠
الحديث التسمون : حديث العرونيين	٨٢٠
الدود واللقاح من الابل	٨٢٢
شرب العرونيين ألبان الابل وأبوالها	٨٢٤
حكم أبوال الابل واختلاف العلماء فيه	٨٢٤
معنى الدربة	٨٢٥
قتل العرونيين راعي رسول الله ﷺ	٨٢٥
قطع أيدي العرونيين وأرجلهم وسمر أعينهم	٨٢٧
السمر والسمل	٨٢٧
نزول آية : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ... الآية »	٨٣٠
القتل المشروع	٨٣٢
الاحسان في القتلة والذبحة	٨٣٢
نهي رسول الله ﷺ عن التمثيل	٨٣٢
الأحاديث الواردة في النهي عن التمثيل	٨٣٢
أقوال العلماء في أحاديث النهي عن التمثيل	٨٣٣
القتل لكفر أصلي أو لردة	٨٣٤
التمثيل عند طائفة من السلف	٨٣٤



تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	٢	جنون أن كسمي	جنون منك أن كسمي
١١	٩	أحمد	أحد
١٢٠	٨	٦	١٣
٢٩٥	٤	٥٥	٦٠
٢٩٨	٢	٥٦	٦١
٤٠٠	٢٠	٥٧	٦٢
٤٠٢	٢٢	سجج الجلد ونشره	سجج الجلد وقشره
٤٥١	١٥	الموضوع	الموضع
٤٧٣	٥	استشهد	استشهد
٥٧٤	٥	من المسجد	من في المسجد
٦٦٥	٥	عوضاً	عضواً
٨٣٣	٢٣	٧٣٣	٨٣٣
٨٣٤	٢٣	٧٣٤	٨٣٤

بعض منشورات

المكتب الإسلامي

للطباعة والنشر

دمشق - الحلبوني

ص. ب. ٨٠٠ - هاتف : ١١٦٣٧ - برقية : (اسلامي)

- ١ - مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي بتحقيق الألباني
- ٢ - دراسات في العربية وتاريخها للسيد محمد الخضر حسين
- ٣ - حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد بهجة البيطار
- ٤ - ما دل عليه القرآن للألوسي
- ٥ - صفة الفتوى والمفتي لابن حمدان
- ٦ - حقيقة الصيام لابن تيمية
- ٧ - منهاج القاصدين لابن قدامة
- ٨ - شرح مقصورة ابن دريد للتبريزي
- ٩ - خلاصة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي
- ١٠ - المسائل التي حلف عليها الامام أحمد بن حنبل بتحقيق الشاويش